المعجم الصوفى

أول دراسة علمية فى الأصول القرآنية للمصطلح الصوفى

رسالة دكتوراه منحت مرتبة الشرف الأولى

من كلية دار العلوم جامعة القاهرة

إعداد

د / محمود عبد الرازق

أستاذ المساعد بكلية الشريعة وأصول الدين جامعة الملك خالد

قسم العقيدة و المذاهب المعاصرة

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ..

كثيرا ما يتبادر إلى الذهن أن يتساءل الإنسان عن جدوى وجوده وغايته فى الحياه ، وفى أكثر الأحيان يخضع الحياة بأنشطتها الاجتماعية والعملية والفكرية والجمالية لنوع من النقد قد يصل إلى حد الحكم بعدم الجدوى من التواصل والاستمرار ، ويغدو الحل الأكثر ترجيحا هو الانتقال من حالة الفعل إلى عدمه ومن الإجابي إلى السلبى ، من الحياة الزاخرة إلى شكل من أشكال الموت .

وتظهر لنا الموروثات الثقافية فى الحضارات المختلفة أن الإنسان قد وجه اهتماما بالغا إلى قضية الكيفية المثلى التى يجب أن يحيا عليها ، وقد وجدت منذ سالف العصور محاولات جادة لتحقيق هذا الهدف أو إعادة تشكيل جملة الأعراف السائدة والمعتقدات والمعلومات على ضآلتها بغرض الوصول بالنفس الإنسانية إلى شاطئ السلامة والاطمئنان إلى الحاضر والمستقبل .

لكن قصور إدراكات الإنسان عن تصور صلاحه يجعل الموضوعات الفلسفية التى يطرحها فى تصور الحقائق مهما بلغت من الكمال متواضعة أما نفرات النفس الوثابة التى لا تهدأ إلا إذا غمرها العجز والإحساس بعظمة ما بين يديها من كمال فى دين الله ومنهج الرسل ، ومن ثم سكنت النفس إلى خالقها الذى ليس كمثله شئ فى علمه أو حسن توجيهه لخلقه ، وكانت الفطرة مهيئة لاستقبال منهج الله الذى أنزله على رسله ، وكان هذا القرآن الذى أنزله الله

على عبده محمد ε وجعله خاتما لرسالة الإسلام وآخر لبنة فى بناء الرســالات السماوية ، فوضع فيه أسس الكمال اللازمة لقيادة البشرية فى حقبتها الأخــيرة إلى يوم القيامة ، كما قال تعالى : { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا } [المائدة/3] .

وقد ميز الله القرآن عن سائر ما سبق من الكتب الإلهية ، ليس فقط فى كونه النص الوحيد فى العالم الذى يقرأ بأسلوب الوحى الأول بإعجاز تركيبه وبلاغة كلماته ، ولكن ميزه الله بدوام حفظه وبقائه إلى يوم القيامة من خلال أمــرين اثنين :

الأمر الأول : أن الله حفظه منهجا ثابتا لا يتغير ، فهيأ الأسباب لحفظ القرآن والسنة على الدوام ، فقال تعالى فى حفظ منهجه : { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } [الحجر/9] وفى حفظ السنة تميزت الأمة الإسلامية بالأســانيد فى براعة نادرة فوضعت قواعدها التى تميز بين المقبــول والمــردود أو الصــحيح والضعيف مما نسب إلى رسول الله ε وهو ما عرف بعلم مصطلح الحديث الذى يعد معلما من معالم الفكر الإسلامى .

الأمر الثانى : أن الله حفظه واقعا مرئيا تقام به الحجة على العباد ، فقال ε فى وجوده واقعا مستمرا إلى قيام الساعة : " لا تزال طائفة من أمتى علــى الحــق منصورة لا يضرهم من خذلهم حتى يأتى أمر الله تبارك وتعالى " [1] .

1. نص الحديث فى صحيح ابن حبان ،من طريق ثوبان ،برقم (6714) 110/15 وأخرجه البخارى ومسلم بطرق وألفاظ أخرى كثيرة ، انظر فتح البارى 293/13

.

وقد كتب الله السعادة فى الدارين لأتباع هذه الرسالة الذين قدروها حق قدرها ، وقاموا بها على مراد الله وهدى نبيه ε ، فكان منهم خير القرون ومن جاء بعدهم ، ممن زكاهم رسول الله ε فى قوله : " خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم " قال عمران بن حصين راوى الحديث : " فلا أدرى أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة " [1] .

فتقبلوا القرآن الكريم بقلب محب وصدر رحب ، وتلقوه بالقبول حفظا وفهما وعلما وعملا ، وطبقوا كل ما جاء به فى حياتهم الخاصة والعامة ، إيمانا منهم بقوله : { إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا } [الإسراء/9] .

وظل الحال كذلك والأمة الإسلامية تفتح للقرآن الكريم ولغته العظيمة كل إمكانياتها ، ودخل الناس فى دين الله أفواجا ، دخل فيه الفارسي والرومى والحبشي وكل من بلغه هذا النور وشرح الله صدره له ، وتكونت دولة واحدة لا فرق فيها بين الناس وإن اختلفوا فى الجنس أو اللغة أو اللون ، ثم جاءت الفتوحات الإسلامية واتسعت الرقعة الإسلامية واختلط العرب بغيرهم والإسلام فى تلك الأدوار كلها يقضى على العصبيات والقوميات وينادى الناس جميعا : { يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } [الحجرات/13] .

---

1. أخرجه مسلم فى كتاب فضائل الصحابة الحديث (2535) 1964/4 ، والبخارى

بلفظ : خيركم قرنى ، حديث (2508) 938/2 .

حتى وصل الأمر فى رسوخ ميزان التقوى كميزان أوحد للمفاضلة بين الناس إلى أن رسول الله ε بعض الموالى على زعماء قريش وكبار الصحابة من المهاجرين والأنصار .

لهذا امتزج المسلمون العرب بغيرهم من الأمم ، ونتج عن هذا الامتزاج جيل جديد يسمع عربية خالصة ولكنة أعجمية غريبة على البيئة العربية ، وإذا كان الاختلاف مقدرا فى سنن الله الكونية ، ومحلا للابتلاء بين العباد ، كما قال تعالى : { وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ } [هود/118] .

فإن الله نهانا عنه وحذرنا منه وأمرنا بالاعتصام بمنهجه الممثل فى كتابه وسنة نبيه ε فقال جل ذكره :

{ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا } [آل عمران/103] .

وقال أيضا : { فَلْيَحْذَرْ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } [النور/63] .

فمن جانب السنن الكونية حدث الاختلاف بين الأمة ، ومن جانب التكليف والعلم كلفنا الله سبحانه وتعالى بأخذ الأسباب فى خدمة الكتاب والسنة ، ومما يثلج الصدر أن همم المسلمين لم تفتر ولم تستكن رغم الكبوات التى تحل أحيانا بالأمة الإسلامية ، فتجدها تعود سيرتها الأولى قوية عزيزة ، تغترف من القرآن والسنة الزاد الذى يقوى شكيمتها ويصحح مسيرتها .

وقد حاولت فى هذه الأطروحة التى تقدمت بها لنيل درجة الدكتوراه أن تكون سببا من الأسباب فى خدمة الكتاب والسنة ، والسعى الجاد إلى وحدة المسلمين ونبذ الخلاف من بينهم فى ميدان من أخطر الميادين وأوسعها انتشارا وهو ميدان التصوف ، فمن المعلوم أن التصوف التصق عبر تاريخه الطويل بمعتقدات اتحادية حلولية ومفاهيم فلسفية غريبة عن البيئة الإسلامية ، أدت إلى كثير من مظاهر التقديس والمبالغة فى تعظيم المريدين لأوليائهم ، حتى نسبوا إليهم أوصافا لا تليق إلا بجناب الربوبية ، واتخذوهم وسطاء شفعاء يطاف بقبورهم ويستغاث بهم وتشد الرحال إليهم .

وأصبح الأمر بعيدا عن مفهوم التوحيد البسيط الذى نزلت به الكتب وبعثت به الرسل ، والذى لا يجعل واسطة بين العبد وربه ، وقد توارثت أجيال العامة من الصوفية وغيرهم هذه الأمور المشينة ، بحيث تراكمت حول الطرق الصوفية أكداس من المفاهيم تتعارض فى كثير من الأحايين مع أصول العقيدة الإسلامية وتخالف الأصول القرآنية والنبوية .

ولما كانت الاستقامة لابد من تلمس مبادئها ودعائمها من الأصول المطهرة التى انبثق عنها الإسلام فى مطلعه الأول وهو الكتاب والسنة ، فقد كان لزاما على الباحثين أن يتجهوا إلى المعين الأول والمباشر ، إلى الاعتصام بالقرآن والسنة ، فكان موضوع الرسالة عن مدى العلاقة بين مصطلحات الصوفية وألفاظهم وما ورد فى القرآن والسنة ، وقياس مدى قربهم أو بعدهم من هذين الأصلين ، ودورهم إيجابا أو سلبا فى الحفاظ على العقيدة الإسلامية .

كما حاولت أيضا إظهار المنهج السليم الذى يؤدى إلى الاحتراز من سلبيات

الواقع الصوفى المنتشرة فى البلاد الإسلامية قديما وحديثا .

. أهمية الموضوع :

تكمن أهمية الموضوع فى الجوانب الآتية :

تقديم رؤية إسلامية صحيحة للحياة الروحية فى الإسلام ، من خلال تقديم المصطلحات الصوفية ذات الصلة بالأصول القرآنية والنبوية ، فى بحث نظرى وتطبيق معجمى .

واقعية الموضوع وأثره فى تصحيح الحياة الصوفية المعاصرة ، من خلال تقديم دراسة علمية نزيهة للمؤيدين أو المعارضين للتصوف ، وذلك بغية التجرد للوصول إلى الحقيقة .

الوقوف على مكانة المستقيمين من أوائل الصوفية وسلوكهم ومنهجهم فى الحياة بذكر ما لهم وما عليهم ، ليتأسى الناس بالفضيلة والأخلاق الحميدة والعمل على كشف الشخصيات التى أسهمت فى إيجابية الفكر الإسلامى بصورة عامة .

الوقوف على تطور الفكر الصوفى وقياس زاوية الانحراف عن الأصول القرآنية والنبوية من حيث القرب أو البعد عن المنهج الإسلامى .

الوقوف على ضوابط الاعتماد على الأصول القرآنية والنبوية فى العمل المعجمى .

. الدراسات السابقة :

ظهرت محاولات متعددة فى التراث الصوفى ، ومنذ وقت مبكر ، تتصدى لشرح ألفاظ الصوفية ومصطلحاتهم ، وانشغل أغلب الذين كتبوا عن التصوف

بمحاولة تقريبيه إلى الآخرين ، وشرح الألفاظ الجارية على ألسنة الصوفية وحاولوا جاهدين أيضا التنبيه على أن دلالة الألفاظ عندهم تحمل معان خاصة وأن طبيعتها النوعية طبيعة رامزة ، يصعب على غيرهم استيعاب دلالتها أو فك شفرتها ، وقد كان لهؤلاء دور رائد فى وضع علم الاصطلاحات ، حتى قال عنهم المستشرق الفرنسى لويس ماسينيون :

(إنهم تقريبا وضعوا علم الاصطلاحات) [1] ومن أقدم ما خلفوه فى تلك المحاولات ، القسم الذى عقده أبو نصر السراج الطوسى (ت:387هـ) فى كتابه اللمع تحت عنوان : (كتاب البيان عن المشكلات) [2] شرح فيه الألفاظ الجارية فى كلام الصوفية ، وبين مقصودهم منها .

ثم يتكرر الأمر نفسه بطريقة أوسع عند أبى القاسم عبد الكريم القشيرى (ت:465هـ) فى رسالته المشهورة ، فنراه يفرد بابا خاصا لتفسير ألفاظ الصوفية وشرح مدلولها [3] ، ويتواصل الجهد عند أبى الحسن على بن عثمان الهجويرى (ت:465هـ) [4] .

---

1. تاريخ الاصطلاحات الفلسفية العربية ، لويس ماسينيون ، تحقيق الدكتوره زينب الخضيرى ، طبعة المعهد الفرنسى للآثار الشرقية ، سنة 1991م ص 46 .
2. اللمع فى التصوف ، تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود ، وطه عبد الباقى سرور طبعة دار الكتب الحديثة ، القاهرة سنة 1960 م ، ص409 وما بعدها .
3. الرسالة القشيرية ، تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود ، ومحمود بن الشريف ، طبعة دار الكتب الحديثة ، القاهرة سنة 1974م ، حـ1ص200 وما بعدها .
4. كشف المحجوب ، تحقيق الدكتور إبراهيم الدسوقى شتا ، طبعة دار التراث العربى

القاهرة 1394 هـ سنة 1974م ص 443 وما بعدها .

ومن بعده أبو حامد الغزالى (ت:505هـ) [1] ، ثم شهاب الدين أبى حفص عمر السهروردى (ت:632هـ) [2] ، ثم ظهرت معاجم خاصة عند محى الدين بن عربى (ت:638هـ) [3] ، وعبد الرزاق الكاشانى السمرقندى (ت:735هـ) [4] .

وعلى الرغم من كون المحاولات السابقة لكتاب المصطلحات كثيرة ومتكررة إلا أن التركيز فيها كان على إظهار المعنى الدلالى للمصطلح الصوفى [5] ، فلم يتناول أحدهم البحث عن العلاقة بين المصطلح الصوفى وأصوله القرآنية ، وإنما يكتفى بذكر بعض الشواهد القرآنية إن وجدت وذكر الشواهد النبوية بغض

---

1. الإملاء عن إشكالات الإحياء للغزالى ، نسخة مطبوعة على هامش إحياء علوم الدين طبعة فيصل الحلبى دار إحياء الكتب العربية ، بدون تاريخ حـ1ص49 .
2. عوارف المعارف ، تحقيق د/عبد الحليم محمود ، مطبعة السعادة القاهرة 1971م وطبعة ملحقة بإحياء علوم الدين ، دار الريان حـ5 ص330 .
3. اصطلاحات الصوفية لابن عربى ، جمعية المعارف العثمانية ، حيدر أباد 1948م .
4. لطائف الإعلام فى إشارات أهل الإلهام ، تحقيق سعيد عبد الفتاح ، دار الكتب المصرية 1996م ، ومعجم اصطلاحات الصوفية ، تحقيق د/ عبد العال شاهين ، دار المنار 1992م ، ورشح الزلال تحقيق سعيد عبد الفتاح ، المكتبة الأزهرية 1995م .
5. انظر المبين فى شرح معانى ألفاظ الحكماء والمتكلمين لسيف الدين الآمدى ، مقدمة التحقيق للدكتور حسن الشافعى ، فى حديثه عن تاريخ المؤلفات فى المصطلح العلمى وانظر أيضا للمقارنة : اصطلاحات الصوفية ص19 ، ص20 ، والمعجم العربى نشأته

وتطوره د/ حسين نصار ، طبعة دار نهضة مصر 1956م ص 35 وما بعدها .

النظر عن كون الحديث صالحا للاحتجاج من عدمه ، فمثلا فى رسالة ابن عربى التى وضعها لشرح اصطلاحات الصوفية لا يوجد سوى ثلاثة شواهد قرآنية ، كل شاهد ورد فى شرح مدخل اصطلاحي لا علاقة للمصطلح فيه بالشاهد [1] .

وحتى الدراسات الحديثة للمصطلح الصوفى ، سار المنهج فيها على طريقة القدماء ، وهى التركيز على إبراز المعنى المقصود عند الصوفية مع إضافة صبغة الترتيب المعجمى لها ، نرى ذلك فى معجم الدكتور الحفنى [2] ، والمعجم الصوفي للدكتوره سعاد الحكيم [3] ، ومعجم الدكتور الشرقاوى [4] ، وإن كانوا جميعا قد بذلوا جهدا مشكورا فى مجال العمل المعجمى ، كل واحد بأسلوبه ومنهجه الخاص [5] كما سنرى بعد ذلك .

---

1. اصطلاحات الصوفية لابن عربى ص139 ، ص140 ، ص141 .
2. معجم مصطلحات الصوفية ، د/عبد المنعم حفنى ، دار المسيرة ، بيروت 1980م .
3. المعجم الصوفى ، د/ سعاد حكيم ، طبعة دندرة ، بيروت 1981م .
4. معجم ألفاظ الصوفية د/ حسن الشرقاوى ، مؤسسة المختار ، 1987م .
5. لم يبلغ أى معجم فى الدراسات الحديثة من حيث كثافة مصطلحاته مبلغ لطائف الإعلام ، إذ بلغت كثافة المداخل فيه ألفا وستمائة وثمانية وخمسين مدخلا ، فى حين بلغ أكبر معجم فى الدرسات الحديثة للدكتورة سعاد حكيم ست وسبعمائة ، وعلى الرغم من ذلك ، فإن المعجم الصوفى على ضخامة حجمه ، حيث بلغ عدد صفحاته 1312صفحة ،غير شامل لكل مصطلحات ابن عربى وإنما يضم جلها أو أهمها وفق

اختيار المؤلفة ، وأكثر مصطلحاته يمثل فكره ونظرياته فى التصوف .

ويعد المستشرق الغربى لويس ماسينيون أول من حاول رد المصطلح الصوفى إلى الأصول القرآنية ، حتى رأى أن التصوف الإسلامى فى أصله وتطوره صدر عن إدامة تلاوة القرآن وممارسته ، وأن القراءة المستمرة لهذا النص أعطت التصوف خصائصه المميزة ، كإقامة مجالس الذكر المنتظمة ، والذكر فى مجموعات بصوت مرتفع ، وإلقاء الأناشيد فى السماع ، والموضوعات المنظومة والمنثورة الداعية إلى التأمل ، وكتب بحثا فى نشأة المصطلح الفنى للتصوف الإسلامى [1] ، ضمن أعماله فى التعرف على تاريخ الاصطلاحات الفلسفية العربية ، لكن ماسينيون قدم نماذج نظرية محدودة لهذه الفكرة ، تحتاج إلى جهد تطبيقى شامل ، كما أن أغلب المصطلحات التى تخيرها ليرد أصولها إلى القرآن كمصطلحات : النور ، والنار ، والطائر ، والشجرة ، والكأس ، والشرب وغير ذلك ، هى فى مجملها ألفاظ قرآنية موضوعة على معانى معبرة عن فلسفة

1- Massignon , Louis : Essai sur les Originesde Lexique Technique de la Mystique Musulmane J . Vrin , Paris . 1968 .

ويعتبر هذا المستشرق الفرنسى رائدا فى دراساته عن التصوف ، فقد كتب المنحنى الشخصى لحياة الحلاج ، ترجمة عبد الرحمن بدوى دار النهضة المصرية 1964م ، ونشر للحلاج كتاب الطواسين ، طبعة باريس سنة 1913م ، ونصوص أخرى عن أخبار الحلاج ، شاركه فى جمعها المستشرق بول كراوس ، وطبعت فى باريس سنة 1936م .

وله أيضا بحث فى تاريخ الاصطلاحات الفلسفية العربية ، وغير ذلك من الأعمال ونقل عنه وحاكاه فى منهجه كثير من المستشرقين ، انظر مثلا ما كتبه المستشرق شاخت وبوزورث عن التصوف فى كتابه تراث الإسلام ، الجزء الثانى ، طبعة عالم المعرفة

الكويت ص87 وما بعدها ، حيث نقل عن ماسينيون فكرته فى رد المصطلح الصوفى = الحلول والاتحاد أو حدة الوجود أو التصوف الفلسفى بصفة عامة ، ولا علاقة لها بالمعانى التى حملت عليها فى القرآن ، ولا تتمشى إلا مع المنهج العام الذى سلكه المستشرقون فى دراسة الإسلام .

. منهج البحث :

ليس من السهل إعداد بحث شامل عن الأصول القرآنية للمصطلح الصوفى يتناول الجانب التطبيقى المعجمى ، وإن كان من السهل تناول الجانب النظرى على نماذج محدودة من المصطلحات ، فالبحث عن الأصول القرآنية لجميع المصطلحات الصوفية ، يقتضى أولا استقصاءا شاملا لألفاظ الصوفية التى أدرجها كتاب المصطلحات فى معاجمهم ، ثم البحث عن الأصول القرآنية لكل مصطلح على حدة ، وذلك من خلال النظر فى القرآن الكريم عن استعمالات اللفظ والتعريف بمعناه ، وإن وقفنا عند معانى اللفظ فى القرآن وأغفلنا ما ورد فى السنة ، فربما يدل المعنى النبوى على نتيجة مخالفة للمعانى التى توصلنا إليها

= إلى الأصول القرآنية وحاكاه فى عرض المزيد منها ، لكن يلاحظ في منهجه تأثره الواضح بالأهداف الاستشراقية فى دراسة الإسلام ،حتى إن مترجمى الكتاب الدكتور حسين مؤنس ، وإحسان صدقى العمد ، لقيا مشقة بالغة فى التعليق على كل مصطلح والإنكار على شاخت فى تجنيه على الحقيقة ، ورده إياه إلى أصول قرآنية بعيدة فى المعنى ولا علاقة لها به ، انظر : تراث الإسلام جـ2 ص 93 ، 94 وانظر أيضا الاتجاهات الحديثة فى دراسة التصوف الإسلامى للدكتور محمد عبد الله الشرقاوى ، دار الفكر العربى ، القاهرة 1993م ص167 وما بعدها وانظر أيضا :

- Arbrry , An Introdution to the Histrory of Sufism , Oxford , 1942 p.33 .
- J.Spencer Trimingham , The Sufi Orders in Islam , Oxford , 1971 p.2 .

باجتهادنا من القرآن ، فلا بد من مراعاة السنة لأنها شارحة للقرآن وموضحة لمعانيه ، كما أننا سنجد بالضرورة محاولات متكررة لا ستشهاد الصوفية بالأصول النبوية ، والرجوع إليها كالقرآن سواء بسواء ، فى استدلالهم على مصطلحاتهم .

ومن ثم يلزم الباحث أيضا استقصاء اللفظ واستعمالاته اللغوية والشرعية فى جميع كتب السنة حتى يصبح بحثه بحثا جادا ، والرجوع إلى السنة فى كل مصطلح على حدة ، والبحث عن استعمالات اللفظ فيها يتطلب بالضرورة جهدا جماعيا أعلى من طاقات البشر فى رسالة محدودة ، لأننا مثلا لو حصلنا من كتب السنة عددا من الأحاديث والروايات المسندة التى تشهد للمعنى الصوفى المستخدم تحت لفظ الاصطلاح ، فمن أين لنا الحكم على صحة ثبوتها وصلاحيتها للاحتجاج ؟

كما أن إغفال الحكم على الحديث فى أى بحث جاد يضعف الثقة فى البحث ويؤثر فى قيمته العلمية ، ولذا لا بد من مراعاة ذلك فى هذا العمل ، لكن المشكلة التى تفرض نفسها أن جهد علماء الحديث فى الحكم على الروايات المسندة بالصحة أو الضعف أو القبول والرد بلغ قرابة الثمانين ألفا ، ومجمل الروايات المسندة يزيد على المائتين وخمسين ألفا ، فالاكتفاء بالمحكوم عليه فقط يعنى ترك الكثير من الأصول التى تؤثر فى مصداقية الحكم على الصوفية عند استشهادهم بالسنة ، وتجعل الأصول التى يرجع إليها المصطلح الصوفى هزيلة

ولا تتصف بالشمولية فى تحرى الحقيقة ، فكان لا بد من الرجوع إلى أسلوب عصرى جديد نجح المسلمون فى تقنيته واستخدامه فى خدمة السنة على نطاق واسع فى السنوات الأخيرة ، وهو استخدام الكمبيوتر فى تقنية البحث الصرفى للألفاظ الواردة فى السنة ، والسرعة الخارقة فى جمع شواهدها ، وفحص السند المتصل والمنقطع والتعرف على رواة الحديث من جهة الجرح والتعديل والحكم علي رواياقم بالقبول أو الرد ، ويكفى الباحث أن يطبق قواعد مصطلح الحديث بضوابطها من اتصال السند ، وعدالة الرواه ، ومدى الضبط فى النقل وانعدام الشذوذ والعلة للحكم عليه بالقبول أو الرد ، ولو بصورة قريبة من الصواب تعد تمهيدا للباحثين من بعد ، وقد أسفر هذا الأمر عن نتائج إيجابية كان من الصعب الوصول إليها بجهد فردى وفترة زمنية محدودة ، وقد التزمت فى هذا البحث منهجا تبدو معالمه فيما يلى :

1- استقراء التراث الصوفي لحصر ألفاظ الصوفية ومصطلحاقم على منهج واضح ، فلم أكتف بمجرد ذكر المصطلح فى المعاجم الصوفية ، وإنما استخرجت الشواهد الدالة على استعمال المصطلح فى عباراقم ، والمعانى التى أشاروا إليها به ، مع تقرير ثبوقا عنهم ، ليكون الحكم حكما سليما معبرا بحق عن رأى الصوفية ، كما رتبت الشواهد فى كل مصطلح حسب التسلسل الزمنى الذى يظهر مدى التغير الدلالى للفظ عبر مراحل التصوف المختلفة .

2- الاعتماد على الشخصيات الصوفية البارزة التى تركت بصمات واضحة فى مجال التصوف ، وخصوصا أصحاب المؤلفات الأساسية الذين كتبوا عن التصوف ، وفسروا ألفاظ الصوفية ، وعليها بنى أصحاب المعاجم الحديثة

معاجمهم ، وقد تدرجت فى انتقاء هذه المؤلفات حتى القرن العاشر الهجرى لأن التأليفات التى حُققت بعد هذا التاريخ هى فى مجملها إعادة وتبسيط للدلالات القديمة لهذه المصطلحات أو شروح لها وملخصات ، وبعد الاطلاع على ما هو مشهور ومؤكد الأهمية فى مضمار التصوف فى تلك الحقبة التى تمثل فترة العزو والصفاء للتآليف فى التصوف الإسلامى ، وقع الاختيار بعد تكلف وعناية شديدة فى عشر مؤلفا ، شكلت فى الغالب المظان التى سننهل منها معانى المصطلحات التى تتصل بالقرآن والسنة ، كما أنهما جمعت أغلب المصطلحات التى تعارف المتصوفون على استعمالها ، و لم يمنع ذلك الاستعانة بما يلتقط من المراجع الأخرى .

3- إخراج المادة العلمية فى كل مبحث فى أفكار محددة جامعة للموقف الصوفى ، تجسد الفكرة وتقرب المراد إلى القارئ ، وتقرير القضايا المعينة مع الاستشهاد بأقوال الآخرين كلما أمكن .

4- الرجوع المستمر إلى النصوص القرآنية والأحاديث النبوية والتعليقات العلمية ، لمقارنة الرأى الصوفى بالمنهج الإسلامى الصافى ، ومدى قربه أو بعده منه ، وتخريج الآيات والأحاديث على منهج أهل الحديث ، مع النص على درجة الحديث من الثبوت .

5- البعد عن التهويل والتهوين ، والإفراط والتفريط ، فى عرض القضايا والاقتصار على التجرد فى طرح الحقائق الموصولة للحكم ، وبسط المقدمات ونتائجها ، كما استخدمت المنهج التاريخى مرة ، والتحليلى أخرى ، والمقارن والنقدى ، طبقا لما تمليه طبيعة المسائل المبحوثة .

• **خطة البحث :**

وقد جاء البحث مقسما إلى قسمين ومرتبا على هذا النحو :

* **المقدمة** : وقد اشتملت على سبب اختيار البحث ، وأهمية الموضوع والدراسات السابقة ، ومنهج البحث ، والخطة التى سار البحث على ضوئها .

* **القسم الأول** : ويتناول دراسة الأصول القرآنية للمصطلح الصوفى من الجانب النظرى التأصيلى ، وقد اشتمل على ستة فصول :

– **الفصل الأول** : الضوابط الأساسية للاستدلال بالقرآن .

– **الفصل الثانى** : بين التفسير والتأويل الصوفى للقرآن الكريم .

– **الفصل الثالث** : ينابيع المصطلح الصوفىمع دراسة فى المعاجم الصوفية .

– **الفصل الرابع** : مراحل التصوف وأثرها على التغير الدلالى للمصطلح الصوفى وعلاقة ذلك بالأصول القرآنية .

– **الفصل الخامس** : دراسة منهجية فى معرفة المصطلح الصوفي وأصوله القرآنية .

– **الفصل السادس** : الأصول القرآنية لمصطلح التصوف .

* **القسم الثانى** : ويتناول دراسة الأصول القرآنية للمصطلح الصوفى فى جانبه التطبيقى المعجمى ، وقد اشتمل على معجمين :

– **الأول** : ويشمل المصطلحات الصوفية ، التى تجيزها الأصول القرآنية والنبوية ، وهى مصطلحات صوفية مكونة من ألفاظ قرآنية أو نبوية وموضوعة على معانيها ، أو معان أخرى تجيزها الأصول القرآنية والنبوية ومرتبة ترتيبا ألف بائيا مشرقيا ، من حرف الألف إلى حرف الياء على النحو التالى :

الأبد ، الاتصال ، الإحسان ، الإخبات ، الاختيار ، الإخلاص ، الإرادة الاستقامة ، الاصطفاء ، الاصطناع ، الاعتصام ، الامتحان ، الإنابة ، الإيثار البخل ، البسط ، البصيرة ، البعد ، البقاء ، البلاء ، التبتل ، التجلى ، التسليم التفريد ، التفكر ، التقديس ، التقوى ، التواضع ، التوبة ، التوجه ، التوحيد التوفيق ، التوكل ، الثقة ، الجنة ، الجوع ، الحال ، الحجاب ، الحرص الحرمة ، الحرية ، الحزن الحسد ، الحق ، الحقيقة ، الحكمة ، الحياء ، الحياة الحيرة ، الخاصة ، الخاطر الختم ، الخشوع ، الخشية ، الخلق ، الخلة ، الخلوة الخليفة ، الخوف ، الدعوى ، الدنيا ، الذكر ، ذو العقل ، الذوق ، الران الرجاء ، الرضا ، الرعاية ، الرغبة ، الرهبة ، الروح ، الرياء ، الزهد ، السالك الستر ، السكر، السكينة ، السماع ، الشاهد ، الشريعة ، الشكر ، الصبر الصدق ، الصفاء ، الطهارة ، العارف ، العامة ، العبرة ، العبادة ، العجب العدو ، العزم ، الغرق ، الغرور ، الغشاوة ، الغضب ، الغيبة ، الغيرة ، الفتوة

الفرار ، الفقر ، الفناء ، القرب ، القلب ، الكبر ، اللطف ، المأخوذ والمستلب المجاهدة ، المحاسبة ، المحبة ، المحو ، المراقبة ، المقام ، المكر ، النفس ، الهمة الهوى ، الهيبة ، الورع ، الوفاء بالعهد ، الولى ، اليقظة ، اليقين .

– **الثانى** : ويشمل المصطلحات الصوفية ، التى لا تجيزها الأصول القرآنية والنبوية ، وهى مصطلحات صوفية مكونة من ألفاظ قرآنية أو نبوية ، منفصلة الدلالة عن معانيها الواردة فى الكتاب والسنة ، وموضوعة على معان أخرى استحدثها الصوفية وتداولوا الألفاظ عليها ، مرتبة ترتيبا ألف بائيا مشرقيا من حرف الألف إلى حرف الياء على النحو التالى :

الإحرام ، الاعتكاف ، الأعراف ، الأفق الأعلى ، الأفق المبين ، أم الكتاب الأوتاد ، البدنة ، البرق ، البقرة ، البيت الحرام ، البيت المعمور ، البيضاء التدانى والتدلى ، التلبيس ، التلوين ، التمكين ، الجلاء ، الجلال ، الجلوة ، الجمال جلال الجمال ، الجمع ، الحرق ، الحضرة ، الخلق الجديد ، الدبور ، الرتق والفتق ، الرداء ، الردى ، الرق المنشور ، الركوع ، الزبور ، الزجاجة ، الزكاة سدرة المنتهى ، السر ، السفر ، السقف المرفوع ، السكر ، سواد الوجه الشجرة ، الشرب ، الشفع ، الشمس ، الشيخ ، الصنم ، الضنائن ، الضياء الطور ، الظل ، الظلمة ، العرش ، العمد المعنوية ، الغراب ، الفتح ، الفراق الفرق ، الفرقان ، قاب قوسين ، القدم ، القرآن ، القلم ، القيامة ، الكأس الكتاب ، الكرسى ، الكفر ، الكوكب ، اللوح المحفوظ ، ليلة القدر ، المثل مجمع البحرين ، المسافر ، المسامرة ، المستريح ، المسخ ، المسيرون ، المشرق مغرب الشمس ، الملامتية ، المنهج الأول ، الموت ، الميزان النار ، النعلان

النفَس ، النقباء ، النكاح ، النور ، النون ، الواقعة ، الوطر ، الوطن ، الوقفة الياقوتة ، اليتيم ، اليدان ، يوم الجمعة .

* **الخاتمة** : وقد اشتملت على خلاصة البحث ، وأهم النتائج التى أسفر عنها البحث والتوصيات المقترحة .

* **وختاما ...**

أحسب أننى بذلت جهدى ما استطعت فى بيان الأصول القرآنية للمصطلح الصوفى ، ولا أدعى أن هذا العمل على الرغم من استخدام الكمبيوتر والتقنية الحديثة فى سرعة البحث وإنجازه أنه لايحتاج إلى المزيد ، وإنما فتح الباب للإضافة والتعليق والنقد والمقارنة وإثراء الفكر الإسلامى بوجه عام والتصوف بوجه خاص ، ويمكن للباحث أو القارئ من خلال هذا العمل المتواضع أن يقارن بين استعمال المصطلح فى القرآن والسنة ومفهوم الصحابة ، وبين استعمال الصوفية له عبر مراحل التصوف المختلفة ، كما يمكن أن يصل إلى مقدار المعنى الذى له أصل فى الكتاب والسنة فى كل مصطلح بعينه ، ولعل الرؤية تتضح للمعاصرين من الصوفية وعامة المسلمين ، فيلتزموا طريق الأوائل الذين استندوا إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فقد أخلصوا النية وجردوها لله واتبعوا دون ابتداع فى دينه .

وأقدر أن هذه الرسالة جهد متواضع فأنا أعلم يقينا أن مثلى لا يعطى هذا الموضوع حقه من البحث والدراسة ، نظرا لسعة الموضوع وقلة الجهد

وحسبى أنني بذلت قصارى جهدى ، وهو جهد المقل ، واجتهدت أن أصل به إلى الصورة التى تليق به ، فإن أصبت فذاك ما أردت والفضل كلــه لله ، وإن أخطأت فأستغفر الله لذنبى ، فهذه لبنة أمام من يريد إتمام البناء ، كما لايفوتنى أن أتوجه بخالص الشكر إلى القائمين على شركة صخر لبرامج الحاســب لمــا بذلوه من جهد كبير فى إخراج موسوعتى القرآن والسنة على أجهزة الكمبيوتر بهذه الكفاءة المتميزة ، وكذلك مركز التراث لأبحاث الحاســب الآلى الــذين أخرجوا الموسوعة الذهبية للحديث النبوى الشريف وعلومه ، وادعو اللّــه أن يوفقهم إلى المزيد فى خدمة السنة النبوية المطهرة وسائر العلوم الإسلامية .

الفصل الأول

الضوابط الأساسية للاستدلال بالقرآن الكريم

من نعم الله الظاهرة على الإنسان ، أنه لم يتركه يستهدى فى الحياة بما أودعه فيه من فطرة ترغبه على الدوام فى تحصيل الخيرات ، فربما تعارضت وجهات النظر بين البشر فى تحديد ضوابط الخير والشر ، ومن ثم كانت معونة السماء زادا لفقر الإنسانية فى علومها المحدودة ، فبعث الله رسله بمنهج النجاة ورسالة الهدى إلى عباده ، ومن وقت أن قال الله لآدم عليه السلام بعد أن أنزله إلى الأرض : { قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ } [البقرة /38] إلى أن أنزل على نبيه محمد ع قوله تعالى : { قَدْ جَاءَكُمْ مِنْ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } [المائدة/16:15] ،ظلت الإنسانية فى تطورها ورقيها ، يعاودها الوحى بما يناسبها ، ويحل مشاكلها فى نطاق قوم كل رسول ، حتى تم أمرها واكتمل نضجها .

وقد أراد الله لرسالة محمد ع أن تكون خاتمة الرسالات السماوية ، فأرسله الله بهذا القرآن المعجز ، الذى هيأه الله بكل سبل الإعجاز ليبقى إلى ختام البشرية ، قال تعالى : { مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا } [الأحزاب/40] ، وفى حديث أبي

هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ε قال : " إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية ، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ؟ قال : فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين " [1] .

والقرآن هو كلام الله المعجز المتزل على خاتم الأنبياء والمرسلين بواسطة الأمين جبريل عليه السلام ، المكتوب فى المصاحف ، المنقول إلينا بالتواتر المتعبد بتلاوته ، والمبدؤ بسورة الفاتحة والمختتم بسورة الناس ، وقد تلقاه النبى ε بحروفه وألفاظه عن رب العزة [2] ، قال الزرقانى : (وقد زعم بعض الناس أن جبريل كان يترل على النبى ε بمعانى القرآن ، والرسول يعبر عنها بلغة العرب وزعم آخرون أن اللفظ لجبريل ، وأن الله كان يوحى إليه المعنى فقط ، وكلاهما قول باطل مصادم لصريح الكتاب والسنة والإجماع) [3] .

لقد كانت أشرف خصوصية للقرآن أن يكون محفوظا فى صدور الناس ، وأن يعتمد فى نقله على حفظ القلوب والصدور ، لا على كتابته فى المصاحف والسطور فحسب ، بخلاف أهل الكتاب الذين يعتمدون فى حفظ التوراة أو الإنجيل على الكتب المسطرة ، ولا يقرأونه إلا نظرا لا عن ظهر قلب

1. أخرجه البخارى فى كتاب المناقب برقم (3535) 1300/3 ، ومسلم فى كتاب الفضائل (2286) 1790/4 .
2. انظر مناهل العرفان فى علوم القرآن ، تأليف محمد الزرقانى ، طبعة عيسى البابى

الحلبى ، مصر 42/1 .
3. السابق حـ1ص42 .

ولهذا دخل إليهما التحريف والتبديل [1] .

يقول موريس بوكاى : (صحة النص القرآنى المنزل على محمد لا تقبل الجدل ، وتعطى النص مكانة خاصة بين كتب التنزيل ، ولا يشترك مع نص القرآن فى هذه الصحة لا العهد القديم ولا العهد الجديد ، وسبب ذلك أن القرآن قد دون فى عصر النبى ε ، ولم يتعرض النص القرآنى لأى تحريف من يوم أن أنزل على الرسول حتى يومنا هذا) [2] .

ومن الأسباب العظيمة لحفظ القرآن التى تضاف إلى حفظه فى صدور الناس وكتابته فى المصاحف ، معرفة الضوابط اللازمة للاستدلال به ، وفهمه على النحو الذى أراده منزله .

فإذا كانت مادة البحث فى هذه الرسالة تعتمد على القرآن ، كأصل من الأصول التى يقاس بها معدن كل علم لا سيما التصوف ، حيث زعم جميع الصوفية أن القرآن معينهم ، وقد بنوا عليه قوامهم ، فلا بد من بيان الضوابط أو القواعد الأساسية اللازمة للقول بأن التصوف أو غيره من العلوم بنى على

---

1. انظر فى التعريف بالقرآن ومنزلته فى الإسلام : مباحث فى علوم القرآن لصبحى صالح طبعة دار العلم ص25 ، والإتقان فى علوم القرآن للسيوطى 101/1 ، والبرهان فى علوم القرآن للإمام بدر الدين الزركشى ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة

273/1 ، ومباحث فى علوم القرآن لمناع القطان ص16 ، والهدى والبيان فى أسماء القرآن ، لصالح إبراهيم البليهى ، طبعة جامعة الإمام 1397هـ ، ص147 .
2. القرآن والتوراة والإنجيل والعلم موريس بوكاى ص151 .

أصول قرآنية صحيحة ، لأن تلك القواعد تمثل فى الحقيقة اتفاقا وثيقا وأصولا راسخة ، أو بنية أساسية فى اعتقاد المسلمين الذين عظموا كتاب الله وسنة رسوله ε .

بل إن تلك الأسس لها من الهيبة فى نفس المسلم فضلا عن أهل العلم ، ما يبعث على الخوف والحذر من خدش إحداها أو المساس بها ، ولعل ما نجم من اختلاف بين الفرق ، كان مرده إلى تجاوز هذه الأسس أو بعضها عند البحث فى الكتاب والسنة ، ويمكن إجمال هذه الأصول وتلك القواعد والأسس فى الحقائق التالية :

[1]- أن الدين المقبول عند الله هو دين الإسلام ، ولا يقبل الله دينا سواه وأن القرآن الذى نزل على رسوله محمد ε ناسخ لما سبق من الرسالات السماوية ومهيمن عليها ، لقوله سبحانه وتعالى : { إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ } [آل عمران/19] .

وقال سبحانه : { وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنْ الْخَاسِرِينَ } [آل عمران/85] .

وفى السنة من حديث أبي هريرة عن رسول الله ε أنه قال : " والذي نفس

محمد بيده ، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ، ثم يموت و لم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار " [1] .

---

1. أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان (153) 134/1 .

ولا يقبل تحت أى ادعاء أو حسن نية القول بعكس ذلك ، كمن قال بوحدة الأديان أو صحح دين اليهود والنصارى ، أو أى ملة من ملل الكفر ، ومهما استند إلى القرآن واستخرج ما شاء من آياته ، أو انتقى ما شاء من كلماته ليستدل بها على جودة مطلبه ، وأصالة مذهبه ، فلن يقبل منه ، كمن زعم من الصوفية أن فلسفته الذوقية أو مواجيده الإيمانية فى النظر إلى حقيقة الألوهية حكمت بوحدة الوجود ، فأداه ذلك إلى القول :

عقد الخلائق فى الإله عقائدا : وأنا اعتقدت جميع ما عقدوه [1]

أو كقوله :

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبى : إذا لم يكن دينى إلى دينه دانى
لقد صار قلبى قابلا كل صورة : فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف : وألواح توراة ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنى توجهت : ركائبه فالدين دينى وإيمانى [2]

لقد حاول بعض المستشرقين الأوائل أن يقيموا دراساقم للإسلام على أساس تمييع هذا الأصل فى نفوس المسلمين ، من خلال تبنيهم لمثل هذا الفكر ونشره على الناس كدراسات بحثية مزينة بالصبغة العلمية ، أو مخطوطات محققة

مستخرجة من تراث الصوفية ، أو أعمال أخرى تخلط بين العقيدة الإسـلامية بجوانبها الغيبية التى لا تقبل الشك والجدل ، وبين فكر المسلمين المنسـوب إلى

1. فصوص الحكم شرح عبد الرزاق الكاشانى ، مكتبة البابى الحلبى 1966م ص154 .
2 . ذخائر الأعلاق شرح ترجمان الأشواق ، لابن عربى ص39 .

جهد العقل البشرى الذى يتسم فى الغالب بالنقص ، لا سيما من اصطبغ فكره بالشطط والخلط فى الدين [1] .

فأى كلام يقدم لهؤلاء المستشرقين الأعداء ، وأى فكر يعتصمون به أعظم ممن دعى إلى الإيمان بوحدة الأديان ، وتصحيح ملة المجرمين المشركين المعـذبين فى جهنم ، وادعى أن فهم الكمل من الأولياء فى قوله تعالى : { وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا } [مريم/86] ، هو أن المجرمين هم أهل الاستقامة على صـراط رب العالمين : (والمجرمون هم الذين استحقوا المقام الذى ساقهم إليـه بـريح الدبور ، التى أهلكهم عن نفوسهم بها ، فهو يأخذ بنواصيهم ، والريح تسوقهم وهى عين الأهواء التى كانوا عليها إلى جهنم ، وهى البعد الذى كانوا يتوهمونه فلما ساقهم إلى ذلك الموطن حصلوا فى عين القرب ، فزال البعد ، فزال مسمى جهنم فى حقهم ، ففازوا بنعيم القرب من جهة الاستحقاق ، لأنهم مجرمـون

1. انظر فى علة تبنى المستشرقين لفكر الحلاج و ابن عربى وتلاميذ مدرسـته : الفكـر الإسلامى والفلسفات المعارضة فى القديم والحديث ، للدكتور عبد القادر محمود ، الهيئة

المصرية العامة للكتاب 1986م ص 90 ، وانظر فى لمعرفة المزيد عن هذه الحقيقة الدراسات العربية والإسلامية فى الجامعات الألمانية تأليف رودىبارت ، ترجمة الدكتور مصطفى ماهر ، دار الكتاب العربى بمصر 1967م ، والإسلام فى مواجهة الاستشراق العالمى ، للدكتور عبد العزيز المطعنى ، طبعة دار الوفاء بمصر 1987م ، والتصوف عند المستشرقين ، لأحمد الشرباصى ، القاهرة 1966م ، ومناهج المستشرقين فى الدراسات العربية الإسلامية ، للدكتور جعفر شيخ إدريس الجزء الخاص بمنهج المستشرق واط فى دراسة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم 223/1 .

فما أعطاهم هذا المقام الذوقى اللذيذ من جهة المنة ، وإنما أخذوه بما استحقته حقائقهم من أعمالهم التى كانوا عليها ، وكانوا فى السعى فى أعمالهم على صراط الرب المستقيم ، لأن نواصيهم كانت بيد من له هذه الصفة ، فما مشوا بنفوسهم ، وإنما مشوا بحكم الجبر إلى أن وصلوا إلى عين القرب : { وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لا تُبْصِرُونَ } [الواقعة/85]) [1] .

فهذا الكلام وأمثاله بنى على أساس باطل ، وهو خلط وتدليس ، وبهتان وتلبيس ، يورد صاحبه الآية فى كلامه ليوهم القارئ بأنه اعتمد على الأصول القرآنية والنبوية ، ويوحى للآخرين بأنه عميق الفكر بعيد المنال عن أصحاب العقول المحدودة ، فهذا ومن وافقه لو زعم آلاف المرات أنه يستند إلى الأصول القرآنية والنبوية ، فزعمه كاذب وكلامه مردود من حيث المبدأ .

[2] – أن جملة الرسالة التى نزلت من الله إلى رسوله ε تمثلت فى القرآن وما ثبت فى السنة المطهرة ، وقد تلقاها النبى ε بالوحى على أشكاله المختلفة كما قال سبحانه : { وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى وَمَا يَنْطِقُ عَنْ

الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى } [النجم/5:1] .

وقال تعالى : { وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ } [الشورى/51] .

---

1. فصوص الحكم لمحى الدين بن عربى الحاتمى ، شرح عبد الرزاق الكاشانى ، مكتبة البابى الحلبى 1966م ص108 ، وانظر تفسير القرآن الكريم ، للكاشانى ، منسوب إلى ابن عربى طبعة دار الأندلس ، بيروت 1978 ، 27/2 .

فتحددت بالآية وسائل خطاب الرسل مع ربهم على الأنواع الآتية :

1- الوحى من خلال الرؤيا فى المنام ، كما أوحى الله لإبراهيم بقتل ولده إسماعيل عليهما السلام : { فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَابُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَاأَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ الصَّابِرِينَ } [الصافات/102] .

وهذه الرؤيا للأنبياء وحى ، ولغيرهم مبشرات ، لكن لا قيمة لها فى إثبات الأحكام أو إلزام النفس أو الغير بمقتضاها ، لما روى من حديث أم كرز الكعبية رضى الله عنها ، قالت : سمعت رسول الله ε يقول : " ذهبت النبوة وبقيت المبشرات " [(1)] وقد فسرت المبشرات فى غير رواية بالرؤيا الصالحة .

2- الكلام الإلهى المباشر من وراء حجاب بدون واسطة يقظة ، كما كلم الله موسى عليه السلام فقال : { وَرُسُلا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا } [النساء/164] .

وقال أيضا : { وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ } [الأعراف/143] .

3- الكلام الإلهى غير المباشر بواسطة إرسال أمين الوحى جبريل ،وله فى كيفية التبليغ إحدى حالتين ، وردتا فى حديث الحارث بن هشام τ لما سأل

1. أخرجه ابن ماجة فى كتاب تعبير الرؤيا (3896) وصححه الألبانى 1283/2.

رسول الله ε : " يا رسول الله كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله ε : أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي ، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال ، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا ، فيكلمني فأعي ما يقول ، قالت عائشة رضي الله عنها : ولقد رأيته يترل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد ، فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا " [1] .

ثم انقطع الوحى بعد ذلك ، فلا يترل على أحد من البشر إلى يوم القيامة كما قال تعالى : { مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا } [الأحزاب/40] .

فمن ادعى الاتصال المباشر فى الخطاب مع الله تحت أى تأويل أو مسمى ليجعل كلامه مقبولا بين الناس ، أو حاول أن يضفى القدسية على كلامه بادعائه أن ما يقوله أو ما يكتبه إنما تلقاه بطريق من طرق الوحى السابقة ، فقد

تجاوز أصول القرآن والسنة وسعى فى هدمها ، كقول القائل :

(أخذتم علمكم ميتا عن ميت ، وأخذنا علمنا عن الحى الـذى لا يمـوت يقول أمثالنا : حدثنى قلبى عن ربى ، وأنتم تقولون : حدثنى فلان وأين هـو ؟ قالوا : مات ، عن فلان ، وأين هو ؟ قالوا : مات) [2] .

أو كادعاء الآخر أن كتاب الفصوص أخذه من يد رسول الله ε مكتوبا من

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب بدء الوحى ، رقم (2) 4./1
2. من كلام أبى يزيد البسطامي ، والنسبه على ابن عربى فى فتوحاته ، انظر الفتوحات المكية 365/1 .

اللوح المحفوظ ، وهو مجرد ناقل أمين بلا زيادة أو نقصان ، كما قال :

(فحققت الأمنية ، وأخلصت النية ، وجردت القصد والهمة إلى إبراز هـذا الكتاب ، كما حده لى رسول الله ε من غير زيادة ولا نقصان) [1] .

وقوله أيضا : (فاقتصرت على ما ذكرته من هذه الحِكَم فى هذا الكتـاب على حد ما ثبت فى أم الكتاب ، فامتثلت ما رسم لى ووقفت عندما حـد لى ولو رمت زيادة على ذلك ما استطعت ، فإن الحضرة تمنع من ذلك) [2] .

حيث يشبه ابن عربى نفسه بالرسول ε فى دقة البلاغ عن الله وخوفـه مـن الوعيد الذى ورد فى قوله تعالى عن نبيه ε : { تَنزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ } [الحاقة/47:43] .

أو كما قال عبد الكريم الجيلى يحاكى طريقة الوحى فى التجلى الصوفى :

(يتجلى الحق سبحانه وتعالى على العبد بتجل يسمع فيه صلصلة الجرس ويسمع تصادم الحقائق بعضها مع بعض ، فيجد لها أطيطا يملأ ما بين السماء والأرض ، ثم إذا تقوى وثبت لسماع ذلك ، يترقى ويسمع صلصلة الجرس عند رفع الستر عن الصفة القاهرية) [3] .

1. فصوص الحكم ، تحقيق أبى العلا عفيفى ، طبعة بيروت ص47 .
2. السابق ص 58 .
3. المناظر الإلهية لعبد الكريم الجيلى ، تحقيق الدكتور نجاح محمود الغنيمى ، طبعة دار المنار ، ص194.

كل ذلك وأمثاله تهوين لحرمة الدين ، وانتهاك مقبوح مشين للثوابت المستقرة فى اعتقاد المسلمين ، وإن جوزه البعض من باب المخاطبات الروحانية والمحادثات الإيمانية ، عند المكاشفات والتجليات التى تحدث لبعض الصوفية فى شطحاتهم ، فإنه باب مفتوح على مصراعيه للمغرضين والحاقدين ، ويكفى الباحث أن يقف على نظرة المستشرقين للوحى فى الإسلام ، وكيف وجدوا فيما سبق من الأمثلة مرتعا خصبا لمآربهم [1] .

[3]- الاحتجاج بالسنة النبوية احتجاج بالأصول القرآنية ، وقد اعتمدت على هذا الأصل فى معرفة الأصول القرآنية للمصطلح الصوفى ، فالاحتجاج بالأصول النبوية كالاحتجاج بالأصول القرآنية سواء بسواء ، وذلك لأنه

1. انظر المزيد فى نظرة المستشرقين للوحى ومقارنة ذلك بمنهج فلاسفة التصوف : التصوف عند المستشرقين للدكتور أحمد الشرباصى ص 6: 12 ، والمستشرقون والسيرة ، للدكتور عماد الدين خليل ، طبعة دار الثقافة ، الدوحة ، قطر 1989م ص64 ، والوحى فى المنظور الاستشراقى ونقده للدكتور محمود ماضى ،طبعة دار الدعوة ، الإسكندرية ص123 وما بعدها ، وانظر أيضا الإسلام والمستشرقون للدكتور عبد الجليل شلبى ، طبعة دار الشعب ، القاهرة ص44 وما بعدها ، وانظر زعم المستشرق واط أن الوحى الذى نزل على رسول الله كان حالة من اللاوعى يمكن تحضيرها بالتنويم المغناطيسى فى العصر الحاضر ، وما كان جبريل إلا تخيلات أدت إلى حضور تلك الموضوعات إلى الحالة التى يسميها المسلمون بالوحى :

- Watt .M. The Islamic Revoltion in The Modern Warld 1969 .pp 190-191.

وانظر أيضا :

-Watt .M. Muhammead-Propht and States Man NewYork 1978 .p123.

لا خلاف بين جمهور العلماء الذين يعتد بهم فى أن السنة يحتج بها ، وتستقل بتشريع الأحكام ، وأنها كالقرآن الكريم سواء بسواء فى تحليل الحلال وتحريم الحرام ، وأنها المصدر الثانى لمعرفة أصول الإسلام بعد القرآن الكريم ، وأنه لا يستغنى عنها مطلقا لأنها المفصحة عن معانى القرآن ، الكاشفة عن أسراره (1) .

ولو أغفلنا السنة فى الاحتجاج فإن الأحكام التى نستخلصها بمفردنا من القرآن لن تعبر عن حقيقة الوحى ، وقد أكد القرآن بوضوح أن السنة وحى من الله يجب الإيمان به ، ويجب اتباع الرسول ε فى كل شئ ، وفى كل وقت فى حياته وبعد مماته ، لأنها أصول لم تخصص بزمن دون زمن ، فيجب تصديق

رسول الله ε فى كل ما ذكره من أخبار ، وتنفيذ كل أوامره ε عن رضى ومحبة .

---

1. انظر تفصيل هذا الموضوع فى : الموافقات فى أصول الشريعة للإمام الشاطبى ، طبعة المطبعة التجارية بمصر 6/4 وما بعدها ، مفتاح الجنة فى الاحتجاج بالسنة ، تأليف جلال الدين السيوطى ، طبعة البابى الحلبى ، مصر ، ص4: 26 ، ومكانة السنة فى الإسلام للدكتور محمد أبو زهرة ص17 وما بعدها ، ودراسات أصولية فى السنة النبوية للدكتور محمد إبراهيم الحفناوى ، طبعة دار الوفا ص11 وما بعدها ، والسنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى للدكتور مصطفى السباعى ، المكتب الإسلامى بيروت 1978م ص45: 65 وانظر أيضا توثيق السنة فى القرن الثانى الهجرى أسسه واتجاهاته ، رفعت فوزى عبد المطلب رسالة دكتوره مخطوط كلية دار العلوم رقم 722 سنة 1976م ص 19وما بعدها ، ومقاييس نقد متون السنة ، مسفر عزم الله أحمد الدمينى ، رسالة دكتوره مخطوط مكتبة جامعة القاهرة رقم 832 سنة 1982م ص 12: 23.

يقول ابن حزم : (إن القرآن لما كان هو الأصل المرجوع إليه في معرفة الإسلام ، وجدنا فيه إيجاب طاعة ما أمرنا به رسول الله ε ، ووجدناه عز وجل يقول فيه واصفاً لرسوله ε : { وَمَا يَنطِقُ عَنِ كالْهَوَى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى } [النجم/4:3] ، فصح لنا بذلك أن الوحي ينقسم من الله عز وجل إلى رسوله ε على قسمين :

أحدهما : وحي متلو مؤلف تأليفاً معجز النظام وهو القرآن .

الثاني : وحي مروي منقول غير مؤلف ولا معجز النظام ولا متلو لكنه مقروء

وهو الخبر الوارد عن رسول الله ، وهو المبين عن الله عز وجل مراده منا) [1] .

ومن الأصول القرآنية التى تقرر هذه الحقيقة بلا نزاع قوله سبحانه وتعالى : { وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ } [الحشر/7] وقوله : { قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمْ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِين } [آل عمران/31:30] وقوله : { فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا } [النساء/65] وقوله : { فَلْيَحْذَرْ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } [النور/63] وقوله : { وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالا مُبِينًا } [الأحزاب/36] .

وأمثال ذلك فى القرآن كثير ، وكله يدل على أن السنة وحي من الله تعالى

1. إحكام الإحكام فى أصول الأحكام ، لابن حزم الأندلسى ، 40/1 .

لرسوله ε وأنه لا بد من اعتماد السنة فى معرفة أصول الأشياء ، والإذعان لها كالقرآن سواء بسواء .

وقد ثبتت روايات كثيرة فى السنة تؤكد أن الصحابة ψ كانوا لا يتهاونون فى ذلك ، وأن النبى ε حذرهم من الكذب عليه أو التكذيب بسنته ، فمن ذلك حديث المقدام بن معد يكرب τ أن النبى ε قال :

" ألا إنى أوتيت الكتاب ومثله معه ، ألا يوشك رجل ينثنى شعبان على

أريكته يقول : عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فـأحلوه ، ومـا وجدتم فيه من حرام فحرموه "[1] .

وفى رواية أخرى : (يوشك أحدكم أن يكذبنى وهو متكى على أريكتـه يحَدَّث بحديثى فيقول : بيننا وبينكم كتاب الله ، فما وجدنا فيه مـن حـلال استحللناه ، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه ، ألا وإن ما حرم رسـول الله ε مثل ما حرم الله)[2] .

وقد روى عن علقمة عن ابن مسعود τ أنه قـال : " لعـن الله الواشمـات والمستوشمات ، والنامصات والمتنمصات ، والمتفلجات للحسن المغيرات خلـق الله " قال علقمة : فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها أم يعقوب ، وكانـت تقرأ القرآن ، فأتته فقالت :ما حديث بلغني عنك ، أنـك لعنـت الواشمـات والمستوشمات ، والنامصات والمتنمصات ، والمتفلجات للحسن المغيرات خلـق

1. أخرجه أبو داود فى كتاب السنة برقم (4604) وصححه الشيخ الألبانى 200/4 .
2. أخرجه الترمذى فى كتاب العلم برقم (2664) وصححه الشيخ الألبانى 38/5 .

الله ، فقال عبد الله : وما لي لا ألعن من لعن رسول الله ε وهو في كتـاب الله فقالت المرأة : لقد قرأت ما بين لوحي المصحف فما وجدته ، فقـال : لـئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه ، قال الله عز وجل : { وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُـذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ } [الحشر/7] .

فقالت المرأة : فإني أرى شيئا من هذا على امرأتك الآن ، قـال : اذهـبي

فانظري ، قال : فدخلت على امرأة عبد الله ، فلم تر شيئا ، فجاءت إليه فقالت : ما رأيت شيئا ، فقال : أما لو كان ذلك لم نجامعها) (1) .

وكلام عبد الله بن مسعود واضح فى التزامة بالسنة قولا وعملا كالتزامه بمقتضى أحكام القرآن ، وروى عن عمران بن حصين τ أنه كان جالسا مع أصحابه ، فقال له رجل من القوم : " يا أبا نجيد إنكم لتحدثوننا بأحاديث ما نجد لها أصلا في القرآن ، فغضب عمران وقال للرجل : أوجدتم في كل أربعين درهما درهم ، ومن كل كذا وكذا شاة شاة ، ومن كل كذا وكذا بعيرا كذا وكذا ، أوجدتم هذا في القرآن ؟ قال : لا قال : فعمن أخذتم هذا ؟ أخذتموه عنا ، وأخذناه عن نبي الله ε وذكر أشياء نحو هذا " (2) .

1. أخرجه البخارى فى كتاب فضائل القرآن (5002) 662/8 ، ومسلم فى كتاب فضائل الصحابة (2463) 382/2 .
2. أخرجه أبو داود فى كتاب الزكاة (1561) 94/2 وأخرجه ابن عبد البر فى جامع بيان العلم وفضله 234/2 ، وأخرجه الطبرانى فى الكبير (369) 165/18 ، (547) 219/18 ، وانظر زاد المعاد لابن القيم طبعة مؤسسة الرسالة 37/1 .

وعلى هذا فلا عبرة بمذهب الشيعة والخوارج فى رد بعض ما ورد فى السنة لأن لهم مواقف خاصة فى كثير من الصحابة ، وهم رواة الحديث عن رسول الله ε ، قال السيوطى : (وأصل هذا الرأى الفاسد فى عدم الاحتجاج بالسنة

أن الزنادقة وطائفة من غلاة الرافضة ، ذهبوا إلى إنكار الاحتجاج بالسنة والاقتصار على القرآن ، وهم فى ذلك مختلفوا المقاصد ، فمنهم من كان يعتقد أن النبوة لعلى وأن جبريل أخطأ فى نزوله إلى سيد المرسلين ، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا ، ومنهم من أقر للنبى ε بالنبوة ولكن قال : إن الخلافة كانت حقا لعلى ، فلما عدل به الصحابة عنه إلى أبى بكر ψ أجمعين .. كفروا الصحابة وبنوا على ذلك رد الأحاديث كلها ، لأنها عندهم بزعمهم من رواية قوم كفار) [1] .

1. انظر مفتاح الجنة فى الاحتجاج بالسنة ، تأليف جلال الدين السيوطى ، مصر ص12 وانظر فى التعرف على موقف الشيعة والخوارج من السنة : الشيعة والسنة تأليف إحسان إلهى ظهير ، إدارة ترجمان السنة لاهور باكستان ط3 ، 1396هـ ، 1976م وللمؤلف أيضا الشيعة والتشيع فرق وتاريخ ، الطبعة الثالثة إدارة ترجمان السنة لاهور باكستان سنة 1984م ، 1404هـ ص339 ، وانظر قاموس الرجال فى تحقيق رواة الشيعة ومحدثيهم ، تأليف محمد تقى بن حسن التسترى ، مركز نشر الكتاب طهران سنة 1382هـ مقدمة الكتاب 14/1 ، و مذهب التأويل عند الشيعة الباطنية محمد محمود عبد الحميد أبو أحف ، رسالة دكتوراه مكتبة كلية دار العلوم رقم 866 سنة 1983م ص 121 وما بعدها وانظر آراء الخوارج لعمار الطالبى ، نشر المكتب المصرى الحديث ، الإسكندرية ص211 .

ولا عبرة أيضا ببعض آراء المعتزلة والمتكلمين الداعية إلى عدم الاحتجاج بالسنة فى الآحاد ، أو المتواتر من الروايات بحجة مخالفتها لآرائهم الكلامية

كقول أبى الهذيل العلاف من شيوخ المعتزلة :

(إن الحجة من طريق الأخبار فيما غاب عن الحواس من آيات الأنبياء عليهم السلام وفيما سواها لا تثبت بأقل من عشرين نفسا ، فيهم واحد من أهل الجنة أو أكثر) [1] ، ويذكر عبد القادر البغدادى أن كلام العلاف تعطيل للأخبار الواردة فى الأحكام الشرعية عن فوائدها وتهكم واحتقار لما خالف ذلك من روايات السنة واستهزاء بناقليها [2] .

ويجدر التنبه إلى مسلك بعض الباحثين المعاصرين ، أو الدارسين على أيدى المستشرقين فى هجومهم على السنة المطهرة ، ونفى حجيتها ، والدعوة إلى الأخذ بالقرآن فقط ، أو محاولاتهم المتكررة لتقييم السنة لا على قواعد علم الحديث ، ولكن على استحسان أحدهم أو ادعاءاته أن العلوم العصرية تعارض مدلول الأحاديث ، أو غير ذلك من الأسباب [3] .

1. انظر الفرق بين الفرق ، تحقيق الأستاذ محمد محى الدين عبد الحميد ، طبعة صبيح بدون تاريخ ص71 .
2. السابق ص77 .
3. انظر ما كتبه الدكتور مصطفى السباعى فى كتابه السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى ص320 ، فى نقده لكتاب أضواء على السنة المحمدية لأبى رية وهجومه على السنة النبوية ، ونقده لأحمد أمين فى كتابه ضحى الإسلام وفجر الإسلام ، وانظر مقالة الدكتور توفيق صدقى تحت عنوان : (القرآن هو الإسلام وحده) مجلة المنار =

وفصل أحدهما عن الآخر لا يقبل فى أصول الإسلام ، فإن من أعظم الأسس فى الاعتماد على السنة ، التسليم بأن الطريق الوحيد فى ثبوتها هو الالتزام بقواعد المحدثين فى معرفتها ، وهو ما عرف عند المسلمين بعلم الحديث ، أو العلم بالأصول التى يعرف بها أحوال السند والمتن من حيث القبول والرد ، فيما نقل من أقوال النبي ε وأفعاله ، وروايتها وضبطها وتحريرها ، وإسناد ذلك إلي من عزي إليه بتحديث أو إخبار وغير ذلك .

فليس كل ما نسب إلى النبى ε يقبل بلا ضبط أو نقاش ، فلا بد من الترابط العلمي بين راوة السند ، بحيث يتلقى اللاحق عن السابق ، والمتحمل عن المؤدي ، فلا يكون بين اثنين من رواة الحديث فجوة زمنية أو مكانية يتعذر معها اللقاء أو يستحيل التلقي ، كما يلزم اتصاف الرواى بالعدالة وهى مَلَكَة في النفس تحمل صاحبها على ملازمة التقوى والمروءة ، ومجانبة الفسوق والابتداع ، ويتصف أيضا بالتَثَبُّت من الحفظ ، والسلامة من الخطأ أو الوهم مع القدرة على استحضار ما حفظه ، وهذا شرط في جميع رواة الحديث

= العددان 7٢12 السنة التاسعة ، وانظر مقدمة كتاب شفاء الصدر بنفى عذاب القبر للدكتور إسماعيل منصور فى دعوته لإعادة تقييم السنة على فهم القرآن ص16وما بعدها ، وانظر أيضا : إثبات الشفاعة لصاحب المقام المحمود والرد على الدكتور مصطفى محمود للمؤلف ، دار أم القرى للطباعة والنشر 1420هـ .

الصحيح من أول السند إلى آخره ، يضاف ذلك إلى عدم مخالفة الراوي لمن هو

أوثق منه أو أرجح ، وألا يكون فى روايته علة قادحة فى ثبوت الحديث [1] .

أما الحكم على ثبوت الحديث بالأصول الكلامية أو المناهج الفلسفة العقلية أو الكشوفات الذوقية ، فلا يعد رجوعا إلى الأصول القرآنية والنبوية ، لأن الآراء متعددة ، والأذواق مختلفة ، والمواجيد متغيرة ، ولا ضابط لهذه الأشياء فالحكم فى هذه الحالة ، يحكمه الهوى ويسوقه استحسان النفس ، ومن ثم لا يعتد بقول ابن عربى :

(ربما صح عندنا من أحاديث الأحكام ما اتفق المحدثون على ضعفه وتجريح نقلته ، وقد أخذناه عن الكشف عن قائله صحيحا ، فنتعبد به أنفسنا على غير ما تقرر عند علماء الأصول ورب حديث قد صححوه واتفقوا عليه وليس بصحيح عندنا بطريقة الكشف فنترك العمل به) [2] .

ومثله للشعرانى : (قد رأينا فى كلام علماء الرسوم تكفير الأولياء المحدثين

---

1. ملخص لضوابط الحديث الصحيح وتمييز المقبول من المردود ، انظر المزيد فى الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث ، لأحمد محمد شاكر ، طبعة دار الكتب العلمية بيروت 1403هـ ، ومعرفة علوم الحديث للحاكم محمد بن عبد الله النيسابورى المكتبة العلمية المدينة المنورة سنة 1403هـ ، ونزهة النظر لابن حجر العسقلانى مكتبة التوعية الإسلامية 1989م ، وتيسير مصطلح الحديث لمحمود الطحان ، دار التراث الكويت 1984م ، علوم الحديث لابن الصلاح ، دار الفكر دمشق 1986م وتدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى لجلال الدين السيوطى ، دار الفكر .
2. رسائل ابن عربى ، دار إحياء التراث العربى ، حيدر آباد ، الهند ، 1948م ص4 .

لكونهم يصححون الأحاديث التى قال الحفاظ بضعفها ، وهذا عدم انصاف منهم) [1] ، ويرى أن أقل الأحوال أن يترلوا الأولياء المكاشفين مترلة أهل الكتاب لا يصدقونهم ولا يكذبونهم [2] .

وقال عبد الكريم الجيلى فى كتابه الإنسان الكامل : (..ثم التمس من الناظر فى هذا الكتاب ، بعد أن أعلمه أنى ما وضعت شيئا فى هذا الكتاب إلا وهو مؤيد بكتاب الله أو سنة رسول الله ε ، وينبغى التسليم له وترك الإنكار حتى لا يحرم من الوصول إلى معرفته) [3] ، ثم يفاجئ القارئ بتقرير فكره فى القول بوحدة الوجود ، فمثل هذا لا يتفق مع الضوابط الصحيحة للأصول القرآنية والنبوية .

[5]- أن الدين قد كمل فلا يحتاج إلى زيادة أو نقصان ، وإنما إلى شرح وبيان ، ودعوة ببرهان ، والقرون الأولى فيها أفضل الناس ، وأولاهم بالمتابعة ومن خالفهم فهو المرجوح المفضول ، والبدعة اتهام لدين الله بالنقص ، لأنه إن ادعى صاحبها أنها واجبة أو مستحبة ، ولا يكون الدين صحيحا أو كاملا إلا بها ، يرد عليه بأن الرسول ε ما ستر شيئا مما أمر الله به المسلمين فى أمر دينهم

---

1. اليواقيت والجواهر فى بيان عقائد الأكابر ، لعبد الوهاب الشعرانى ، طبعة دار المعرفة بيروت ، بدون تاريخ 90/2 .
2. السابق حــ2ص91 .
3. الإنسان الكامل فى معرفة الأواخر والأوائل ، لعبد الكريم بن إبراهيم الجيلى ، طبعة

مصطفى البابى الحلبى ، القاهرة 1956م ، 1375هـ ، 8/1 .

ولم يدع إلى تلك البدعة ، ولما قال الله تعالى : { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا } [المائدة/3] ، علمنا أنه إما أن يكون الله تعالى الصادق فى إكمال دينه ، أو أن المبتدع هو الصادق فى نقصانه ؟ ولما استحال الثانى ثبت الأول .

ولو سُأل المبتدع عن بدعته ، هل علمها رسول الله ε أم جهلها ؟ فإن ادعى علم الرسول بها ، فسيقال له : وما الدليل ؟ وعلى فرض أنه ε علمها ، فإنه لم يثبت أنه دعى إليها ، بل سكت عنها ، فنحن أولى بالسكوت عنها ، وإذا قال : جهلها ادعى أنه أعلم من رسول الله ε بما ينفع الناس .

ولا ينفع المبتدع فى ترك السنة والتمسك بالبدعة حسن النية ، فقد ثبت أن رسول الله أنكر على المتشددين فى العبادة ، فمن حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال :

" جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ε ، يسألون عن عبادة النبي ε فلما أخبروا كأنهم تقالوها ، فقالوا : وأين نحن من النبي ε قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، قال أحدهم : أما أنا فإني أصلي الليل أبدا ، وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا فجاء رسول الله ε فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا ، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني " [1] .

1. أخرجه البخارى فى كتاب النكاح (4776) 1949/5.

وعن عائشة رضي الله عنها ، قال رسول الله ε : (من أحدث في أمرنا هـذا ما ليس فيه فهو رد) [1] .

ومن حديث أبي هريرة أن رسول الله ε أتى المقبرة فقال : (السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، وددت أنا قد رأينا إخواننا قالوا : أولسنا إخوانك يا رسول الله ؟ قال : أنتم أصحابي ، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد ، فقالوا : كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله ؟ فقال : أرأيت لو أن رجلا له خيل غر محجلة ، بين ظهري خيل دهم بهم ألا يعرف خيله ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : فإنهم يأتون غرا محجلين من الوضوء ، وأنا فرطهم على الحوض ، ألا ليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال ، أناديهم ألا هلم ، فيقال : إنهم قد بدلوا بعدك ، فأقول : سحقا سحقا) [2] .

ومن ثم فإن البدعة مرفوضة بكل سبيل ، ولن تتحمل الأصول القرآنية والنبوية مثل فعل رويم بن أحمد البغدادى الصوفى (ت:303هـ) عندما عطش عطشا شديدا فاستسقى جارية ، فقالت : (ويحك صوفى يشرب بالنهار

1. أخرجه البخارى فى كتاب الصلح برقم (2550) 959/2 .
2. أخرجه مسلم فى كتاب الطهارة برقم (249) 218/1 ، وانظر فى البدعة بتوسع

اتباع السنن واجتناب البدع ، لأبى عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسى ، تحقيق على حسن على ، دار ابن القيم ، الرياض ، السعودية 1988م ، 1409هـ ص31 وما بعدها ، وانظر الأمر بالاتباع والنهى عن الابتداع ، للحافظ السيوطى ، تحقيق مشهور حسن سليمان ، طبعة دار الأرقم ، الدمام 1410هـ ص47 وما بعدها .

فاستحى منها ونذر ألا يفطر أبدا) [1] .

ولا تجيز الأصول القرآنية والنبوية مثل رأى ابن عربى فى دعوته إلى ترك الذكر بحجة انعدام النسيان والاستحضار الدائم ، فقال :

دع الذكر والتسبيح إن كنت عاشقا : فليس يديم الذكر إلا المنافق

إذا كان من تهواه فى القلب حاضرا : وأنت تديم الذكر كنت منافقا

ألا بذكر اللَّه تزداد الذنوب : وتنعكس البصائر والقلوب

وترك الذكر أفضل كل شئ : فشمس الذات ليس لها غروب [2]

[6] – عدم المساس بأصل الإسلام وهو التوحيد ، والمقصود به إفراد الله عمن سواه ، فالأصول القرآنية والنبوية جاءت فى الإجمال والتفصيل بالدعوة إلى توحيد الله ، سواء كان ذلك فى توحيد الربوبية وإفراده بالخلق والأمر ، كما قال : { أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّه رَبُّ الْعَالَمِينَ } [الأعراف/54] ، أو كان فى توحيد العبادة ، كما قال : { وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللَّه مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ } [البينة/5] .

فلا ينبغى فى الأصول القرآنية أو النبوية الخضوع عن محبة ورغبة لأحد إلا لله وحده ، فلا شريك له فى العبادة ، أو كان فى الإيمان بما أثبته اللَّه لنفسه من

أنواع الكمالات فى الأسماء والصفات ، فلا بد من إفراد اللَّه سبحانه وتعالى

1. الرسالة القشيرية حـ1ص128 .
2. وسائل السائل ص25 ، وديوان ترجمان الأشواق ص5:4 ، وانظر أيضا كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى 116/4 .

بذاته وصفاته وأفعاله ، عن الأقيسة والقواعد والقوانين التى تحكم ذوات المخلوقين وصفاهم وأفعالهم ، والدليل على ذلك من القرآن قوله تعالى : { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ } [الشورى/11] .

فبين سبحانه انفراده عن كل شئ من أوصاف المخلوقين بجميع ما ثبت له من أوصاف الكمال والجلال ، وقال تعالى فى أول سورة الإخلاص : { قلْ هُوَ اللَّه أَحَدٌ } [الإخلاص/1] ، وقال فى نهايتها مبينا معنى الأحدية : { وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ } [الإخلاص/4] ، أى أن الأحد هو المنفرد بأوصاف الكمال ، الذى لا مثيل له فنحكم علي كيفية أوصافه من خلاله ، ولا يستوى مع سائر الخلق فيسرى عليه قانون أو قياس أو قواعد تحكمه كما تحكمهم ، لأنه المتصف بالتوحيد المنفرد عما يحكم العبيد .

وقال تعالى : { هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا } [مريم/65] ، أى هل تعلم له شبيها مناظرا يدانيه أو يساويه ، أو يرقى إلى سمو ذاته وصفاته وأفعاله ، وعلى ذلك فلا يمكن بحال من الأحوال ، أن نخضع أوصاف اللَّه لما يحكم أوصاف البشر من قوانين أو نجعل أوصاف البشر تشبه أوصاف الله عز وجل ، تحت أى ادعاء أو فكر أو

ذوق أو كشف .

يقول الجنيد بن محمد : (التوحيد إفراد القديم عن الحدث) [1] .

ويقول الهجويرى معقبا : (ويعنى ذلك أنه لا يجوز لك اعتبار القـــديم محـــلا

1.كشف المحجوب للهجويرى ص334 ، والرسالة القشيرية 28/1 ، 29 .

للحادث ومقاييسه ، ولا الحادث أن يكون محلا للقديم) [1] .

ويفصح الجنيد عن المعنى السابق بقوله : (التوحيد هو إفراد الموحد بتحقيق وحدانيته ، بكمال أحديتة ، وأنه الواحد الذى لم يلد و لم يولد ، و لم يكن لـــه كفوا أحد ، بنفى الأضداد والأنداد والأشباه ، بلا تشـــبيه ولا تكييـــف ولا تصوير ، ولا تمثيل لقوله تعالى :

{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ } [الشورى/11]) [2]

فهذه الآية جعلها الجنيد أساسا لاعتماده فى إظهار التوحيد ، وإفراد المتوحد أولا ، ثم إثبات الصفات ثانيا على ما يليق بجلال الله وعظمته ، وسئل أبو على الروذبارى عن التوحيد فقال : (التوحيد فى كلمة واحدة كل مـــا تصـــوره الأوهام والأفكار فالله سبحانه وتعالى بخلافه لقوله تعالى : { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ } [الشورى/11]) [3] .

ويقول المكى : (ونعتقد نفى التشبيه والتكييف عن الأسماء والصفات إذ لا

1. السابق ص334 ، وانظر فى هذه النقطة بتوسع ، الصفات الإلهية فى الكتاب والسنة فى ضوء الإثبات والتنزيه لمحمد آمان بن على الجامى ، رسالة دكتوراه بمكتبة كلية دار العلوم رقم (712) 1975م ، البيهقى ومشكلة الصفات الإلهية للدكتور عبد الفتاح أحمد الفاوى محمود ، رسلة ماجستير دار العلوم رقم 206 سنة 1975م ، وانظـــر أيضا كتاب الإيمان للدكتور محمد عبد الله الشرقاوى ، مكتبة الزهراء ، الطبعة الأولى القاهرة 1409 هـــ ، 1989م من ص162 :ص202 .
2. التعرف لمذهب أهل التصوف ص33 .
3. الرسالة القشيرية 187/1.

كفوء للموصوف فيشبه به ، ولا مثل له فيجنس منه) [1] .

فهؤلاء اعتمدوا على الأصول القرآنية فى إثبات توحيدهم ، واعتبروا ما ورد فى وصف الله ينفرد به ولا يشاركه فيها غيره ، أما التوحيد الذى يجـــوز فيـــه صاحبه كفر فرعون وإبليس فى عصيانهما الأمر الإلهى ، بل يـــرى صـــاحبه أن فيهما مثالا للفتوة الحقة ، فإبليس لما عصى الله بامتناعه من السجود لآدم ، إنما عصى الأمر لأنه أبى أن يسجد إلا لله .

ولما قال الله لإبليس : لأعذبنك عذاب الأبدية ، قال له إبلـــيس : أو لســـت ترانى فى تعذيبك إياى ، قال : بلى ، قال : فرؤيتك إياى تحملنى على عدم رؤية العذاب [2] ، فهو ينسى عذابه لحلول الحق فيه ، وكان إبليس فى نظر الحـــلاج محبيا لله لا عاصيا له لأن إبليس قد رأى فى جحوده للأمر تقديسا للآمر [3] .

يقول الحلاج : (إن لم تعرفوا الله فاعرفوا آثاره ، وأنا ذلك الأثر وأنا الحـــق لأننى ما زلت أبدا بالحق حقا ، فصاحبى وأستاذى إبليس وفرعون ، فـــإبليس

هدد بالنار وما رجع عن دعواه ، وفرعون أغرق فى اليم وما رجع عن دعـــواه وإن قتلت أو صلبت أو قطعت يداى ورجلاى ما رجعت عن دعواى) [4] .

وثبت عنه أنه قال أيضا :

---

1. قوت القلوب حـــ2ص126 .
2. الطواسين للحلاج ، نشره لويس ماسينيون ص 12 ، طبعة باريس سنة 1913م .
3. من قضايا التصوف فى ضوء الكتاب والسنة ، د/ محمد السيد الجليند ص 105 .
4. الطواسين ص 12 .

أنا من أهوى ومن أهوى أنا : نحن روحان حللنا بدنا

فإذا أبصرتنى أبصرته : وإذا أبصرته أبصرتنا [1] .

وقريب من فعل الحلاج ، ما يروى عن بعض الصوفية كأبى الحسين النورى فى تفضيله نباح الكلب على تكبير المؤذن ، فلما سمع المؤذن دعا عليه قـــائلا : طعنة الموت ، وسمع نباح الكلاب فقال : لبيك وسعديك ، وسئل عن ذلـــك فقال : أما المؤذن فأنا أغار عليه أن يذكر الله ، وهو غافل يأخذ عليه الأجـــرة ولولا الأجرة من حطام الدنيا لما ذكر الله ، فلذلك قلت له : طعنة الموت ، وقد قال الله تعالى :

{ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ } [الإسراء/44] .

فالكلب وكل شئ يذكرون الله بلا رياء ولا سمعة ولا طلب للعوض [2] .

وفى هذا الكلام وأمثاله ،هدم لمعانى الكتاب والسنة ، واستهزاء بتوحيـــد الله

فالمخلوقات تسبح بواقع الربوبية ، واختارت فى بداية الأمر قبول الطاعة الدائمة كما قال تعالى : { ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ } [فصلت/11] .

أما الإنسان فهو حامل الأمانة ، مستخلف فى الأرض ، مريد حر مكلف باتباع الشرع على سبيل الابتلاء ، فلا بد من السعى والمجاهدة وتنفيذ ما أمر الله به فى الأصول القرآنية والنبوية ، وتصديق ما جاء فيها من أخبار عن الله

1. السابق ص 12 .
2. اللمع فى التصوف ص492 بتصرف .

وأوصافه وأفعاله وسائر ما ورد عن عالم الغيب بصفة عامة ، أما خلط المسائل والتلبيس فى أصول التوحيد ، فلا يجتمع مع ضوابط الاعتماد على الكتاب والسنة ، كمن جعل تتريه الله جهلا وسوء أدب ، يقول : (اعلم أن التتريه عند أهل الحقائق فى الجناب الإلهى ، عين التحديد والتقييد ، فالمترة إما جاهل وإما صاحب سوء أدب ، ولكن إذا أطلقاه وقالا به ، فالقائل بالشرائع المؤمن إذا نزه ووقف عند التتريه ، ولم ير غير ذلك فقد أساء الأدب ، وأكذب الحق والرسل وهو لا يشعر ، ويتخيل أنه فى الحاصل وهو فى الفائت ، وهو كمن آمن ببعض وكفر ببعض) [1] ، ويرى فى تلبيسه أن توحيد أهل الحقائق أن يكون تشبيها تارة وتتريها تارة أخرى فقال :

فإن قلت بالتتريه كنت مقيدا : وإن قلت بالتشبيه كنت محددا

وإن قلت بالأمرين كنت مسددا : وكنت إماما فى المعارف سيدا [2]

[7]- يجب الرجوع إلى القرآن الكريم كله بالتكامل مع السنة لمعرفة الأصول القرآنية لموضوع ما أو مصطلح معين ، وذلك لكى يكون المنهج صحيحا والموضوع نابعا من القرآن بالفعل ، فالقرآن عند المسلمين هو كلام الله تعالى إلى البشر ، صدر من الله الواحد للإنسان الواحد فى النوع ، المتعدد فى الأفراد فهو يحمل فى ذاته وحدة الموضوع وإن كثرت تعلقاته ، لأنه صادر عن واحد فقط ، كما قال سبحانه وتعالى : { وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا

---

1. فصوص الحكم ص55 .
2. السابق ص 59 .

كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } [الشورى/52] .

ومن ناحية أخرى ، فهو موجه إلى الإنسان أو بنى البشر المتعددين والمختلفين زمانا ومكانا ، ومن ثم فهو يتحدث عن حقائق كثيرة وموضوعات شتى فى مائة وأربعة عشرة سورة تضم آلاف الآيات .

ومن ذلك يصبح من المعلوم بالضرورة لكل مسلم ، أن القرآن يفسر بعضه بعضا ، فما أجمله فى موضع أفاض فيه تفصيلا فى موضع آخر ، ونتيجة لهذا ينبغى علينا لمعرفة الأصول القرآنية لحقيقة من الحقائق أو موضوع من الموضوعات ، أن ننظر فى القرآن جملة باعتباره وحدة واحدة ، وأن نحاول

معرفة هذه الحقيقة أو استخلاصها من هذا القرآن الواحد ككل ، وليس ككسور متباينة أو آيات متفرقة ، ومعلوم أن القرآن الكريم لا يحمل رؤوس موضوعات أو أسماء مباحث كمباحث الفلسفة ، فإذا أردنا معرفة حقيقة معينة نجد أنفسنا مضطرين بالضرورة للبحث فى آيات القرآن جميعها ، سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، ولا بد أن نعود إلى آياته من أولها إلى آخرها بلا استثناء وكذلك السنة ، وأن تكون نظرتنا شاملة كلية عامة ،حتى نخرج بالحقيقة كاملة صحيحة ، ولو اقتصر الأمر على البعض دون الآخر فى الموضوع الواحد ، فسوف نصل إلى حقيقة ناقصة مشوهة ، أو سنصل إلى بعض جوانب الحقيقة فى القرآن دون الأخرى .

فالقرآن وحدة كاملة شاملة عامة ، ويجب أن يؤخذ كله عند البحث فيه عن أى حقيقة من الحقائق ، وهذا يلزمنا بأن نستخدم فى البحث بين آياته منهجا إحصائيا استقصائيا شاملا ، بمعنى أن لا يكون هناك مجال لإغفال أو ترك بعض الآيات أو حتى آية واحدة ، ومما لا شك فيه أن طبيعة اللغة ، أى لغة ، تحتم على مستخدمها كى يصل إلى المعانى الصحيحة للألفاظ أن يتناول الجملة أو العبارة كاملة وكذلك الموضوع ، وهذا ينطبق بطبيعة الحال على اللغة العربية لغة القرآن الكريم ، فنحن إذا تركنا آية أو أخذنا بعضها دون البعض قد نصل إلى معنى مغاير أو مناقص للمعنى المقصود .

فمثلا فى قوله تعالى : { فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ } [الماعون/4] ، إذا فصلت عما بعدها يصبح معناها وعيد للمصلى ونهى عن الصلاة ، ولا شك أن هذا تناقض واضح

مع نصوص الآيات الأخرى ، ولكن باستكمال سياق الآيات يتضح المعنى الحقيقى ، حيث يقول الله تعالى : { فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ } [الماعون/4:7] .

وهذا شئ معروف لدى طوائف المسلمين وعامتهم ، إلا أن الأمر الذى وقع فيه كثير من منهم ، هو عدم أخذ القرآن كله كوحدة واحدة فى الموضوع الواحد ، أو الرجوع إليه جميعا عند البحث عن أية حقيقة من الحقائق التى تضمنها ، ولقد فعل ذلك علماء بنى إسرائيل وأحبارهم بكتابهم نصا ومعنى فآمنوا ببعض وكفروا ببعض ، فبدلوا وحرفوا وغيروا ، وهذا نوع من التبديل والتحرييف والتغيير يمكن تسميته بالتبديل السلبى ، بمعنى أنه قائم على إخفاء بعض الحقائق وإلغائها أو تكذيبها ، والكفر بها بالتجاهل والتغاضى عنها وليس بالإنكار الصريح وفى ذلك يقول سبحانه : { ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلاء تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَتَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ } [البقرة/85] .

فإذا كان بنو اسرائيل قد آمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض ، وذلك عن قصد وسوء نية واضحين ، فإن بعض متصوفى ومتكلمى الإسلام ، قد أخذوا ببعض الكتاب وتركوا البعض عن قصد أو غير قصد ، حين تبويبهم وتصنيفهم للحقائق الإيمانية والإلهية واستخراجها من القرآن ، وذلك بتركهم النظرة

الشاملة الكاملة ، فجاء تقريرهم للحقائق مشوها قاصرا غير واف أحيانا كثيرة ومضطربا ومتناقضا فى بعض الأحيان .

ومثال ذلك أن بعض الصوفية لما غيروا مجال الاختيار المطروح أمام إرادة العبد ، من اختيار بين الدنيا والآخرة إلى الاختيار بين الله وبين غيره من المخلوقات ، فى الدنيا والآخرة وكل شئ ، كما روى عن رابعة العدوية من نساء الصوفية أنها قالت : (ما عبدتك خوفا من نارك ولا طمعا فى جنتك ولكن حبا لذاتك) [1] .

حيث جعلت ذات الله موضوعا للاختيار فى مقابل الدنيا والآخرة ، ومن ثم صرح أغلبهم بأن العبد ينبغى أن يسترسل مع الله على غير انتظار للثواب وعلى غير خوف من العقاب ، بل يسترسل معه على ما ينبغى له سبحانه وتعالى من العبودية حتى وصلوا إلى درجة يحتقرون فيها من عبد الله انتظار لثوابه وخوفا

1. صفة الصفوة حـ2ص 249 .

من عقابه ، وقد صنفوه من التجار الذين لا يعطون إلا لانتظار البدل بل غالى بعضهم فوصف هذا الفريق بأنهم عبيد السوء الذين لا يوقرون الله عز وجل لذاته ولكن لما يصلهم من نفع أو نعمة [1] حتى قال أبو بكر الشبلى : (إن لله عبادا لو بزقوا على جهنم لأطفئوها) [2] وقال أيضا : (لو خطر ببالى أن الجحيم بنيرانها وسعيرها تحرق منى شعره لكنت مشركا) [3] ، ولما رجعوا إلى الأصول القرآنية ، لم يرجعوا إلى القرآن الكريم كله بالتكامل مع السنة لكى

يكون المنهج صحيحا والموضوع نابعا من القرآن بالفعل ، ولكنهم استدلوا ببعض وتركوا دلالة البعض الآخر معطلة ، فاستدل الكلاباذى بجزء من قوله تعالى : { إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ } [التوبة/111] وقال معقبا : (ليعبدوه بالرق لا بالطمع) [4] .

أو استدلال الآخر بقوله : { إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ } [الإنسان/9] وقطع الآيات عن نهايتها التى لو استكملت لتغير المعنى تماما ، فشراء الله لأنفس المؤمنين وأموالهم إنما كان بعوض وهو الجنة ، وعمل المؤمنين كان سببا للوصول إلى هذه الجنة وإن كان لا يزنها ، ولكن هذا لا يمنع المؤمن أن يطمع فى فضل الله ورحمته فقال تعالى : { إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمْ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنْ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } [التوبة/111] .

وقال تعالى : { إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا فَوَقَاهُمْ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً

---

1. طبقات الصوفية ص489 والتعرف لمذهب أهل التصوف ص161، 184 .
2. اللمع ص 490 .
3. السابق ص 491 .
4. التعرف لمذهب أهل التصوف ص168 .

وَسُرُورًا وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا } [الإنسان/12:9] .

وإذا أخذت نصوص القرآن والسنة مجتمعة ، فسوف نجد الثناء على عباد الله وأوليائه بسؤال الجنة ورجائها ، والاستعاذة من النار وعذابها ، كقوله تعالى :

{ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ } [الأنبياء/90] .

وقال سبحانه : [وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا } [الفرقان/66:65] .

وفى الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه ε قال لرجل : " ما تقول فى الصلاة ؟ فقال : أتشهد ثم أقول : اللهم إنى أسألك الجنة وأعوذ بك من النار أنا والله ما أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ فقال ε : حولها ندندن " [1] .

[8]- العقل الصريح لا يعارض النقل الصحيح بل يشهد له ويؤيده ، لأن

1. صحيح الإسناد ، أخرجه أبو داود فى كتاب الصلاة (792) 210/1 ، وأخرجه ابن ماجه فى كتاب الإقامة (910) 295/1 ، وصحح الشيخ الألبانى إسناده فى كتابه صفة الصلاة ص 202 .

المصدر واحد ، فالذى خلق العقل هو الذى أرسل إليه النقل ، ومن المحال ان يرسل إليه ما يفسده ، وهو سبحانه أعلم بصناعته لعقل الإنسان ومدى تفكيره فيما يصلحه أو يفسده ، فإذا وضع نظاما لتشغيل صنعته وتوجيه الإنسان لجنته وصلاحه فى دنيته ، علمنا أنه لو ظهر خلل أو تعارض بين العقل والنقل فليس

ذلك بسبب نظام التشغيل ، ولكن بسبب قلة الالتزام بمنهج اللَّه أو اتخاذ البديل المرجوح من نظم البشر [1] .

دل على ذلك قوله تعالى : { فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ اتَّبَعَ هُـدَايَ فَـلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى } [طـه/123] ، ولو فرضنا وجود التعارض بين العقل والنقل فسيكون مرد ذلك إلى سببين لا ثالث لهما :

(1- أن النقل لم يثبت ، فيتمسك مدعى التعارض بأحاديـث ضـعيفة أو مكذوبة ليست من كلام رسول اللَّه ε ومثال ذلك : إذا وصـل إلى العقـل حديثان منسوبان إلى رسول اللَّه ε أحدهما يقول فيه : " إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّـه الْقَلَمَ فَقَالَ لَهُ : اكْتُبْ فَجَرَى بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى الأَبَدِ " [2] .

والآخر يقول فيه : " أول ما خلق اللَّه العقل ، فقال له : أقبـل ، ثم قـال : وعزتى وجلالى ما خلقت خلقا أشرف منك " [3] .

فالعقل يقف حائرا بين الحديثين : أيهما خلق أولا ؟ فمن الخطأ التوفيق بينهما

1. موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول لابن تيمية 211/1وما بعدها بتصرف .
2. أخرجه الترمذى فى كتاب تفسير القرآن (3319) وصححه الألبانى 424/5 .
3. قال الصنعانى : موضوع باتفاق انظر كشف الخفا للعجلونى حـ1ص263 .

قبل البحث عن ثبوتهما ، كما فعل ابن عربى عندما جعل العقل هو المخلـوق الأول من عالم العقول المدبرة ، وهو جوهر بسيط ليس بمادة ولا فى مادة عالم بذاته فى ذاته ، علمه ذاته لا صفة له ، مقامة الفقر والذلة والاحتياج إلى باريـه

وموجده ومبدعه ، له نسب وإضافات ووجوه كثيرة ، لا يتكثر فى ذاته ، وهو من جهة أخرى يسمى القلم ، وهو أول عالم التدوين والتسطير وهو الخـــازن الحفيظ العليم الأمين على اللطائف الإنسانية التى من أجلها وجد [1] .

وكان يجب قبل التعسف فى الجمع بينهما البحث عن صحة الحـــديثين أولا وبالبحث عنهما وجد أن الحديث الأول ثابت صحيح ، والثانى ليس من كلام النبى ε بل هو موضوع باتفاق .

(2- وإما أن العقل لم يفهم نصوص الكتاب والسنة ومثال ذلـــك ، قولـــه تعالى : { وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ } [البقرة/255] ، دل على جميع معـــانى العلـــو لله تعالى ، علو الفوقية وعلو القهر وعلو الشأن ، وهذه المعانى كلها إضافية مـــن إضافة صفة لموصوف ، لكن ابن عربى عارض الآية بما رسخ فى عقله من فلسفة الوحدة فقال :

(ومن أسماء الله الحسنى : العلى على من ؟ وما ثم إلا هو !! فهو العلى لذاته أو عن ماذا ؟ وما هو إلا هو ، فعلوه لنفسه وهو من حيـــث الوجـــود عـــين الموجودات ، فالمسمى محدثات هى العلية لذاتها وليست إلا هو) [2] .

---

1. عقلة المستوفز لابن عربى نشر ليدن ، مكتبة المثنى بغداد 1336هـــ ، ص40 .
2. فصوص الحكم ، ص77 .

فالتعارض الذى أدى إلى نفى علو الفوقية لله على غيره ، سببه الفهم الملـــوث باعتقاد ابن عربى أن المخلوقات تعينات للخالق ولا ثم غير ، فكيف يكون عليا

على نفسه ، لكن لو تميز الخالق عن المخلوق بالتوحيد لاستقام الأمر كما أراد الله عز وجل .

ومن ثم فإن الإقبال على القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، يجب أن يكون بغرض المعرفة والاسترشاد بتوجيه الله للإنسان ، لا بغرض البحث عن تأييد لرأى شخصى أو محاجة الآخرين ، أو كما أراد المستشرقون البحث عن ثغرات يطعن بها على القرآن والسنة ، لأن النتيجة المترتبة على ذلك هى فقدان الاستدلال بالأصول القرآنية حقيقة المعانى التى أرادها الله من النصوص ، فدور العقل حيال النقل إذا ، هو العلم بما فيه والعمل على رفعته والقيام على خدمته ولا بد للباحث أن تتوافق لديه الحقيقة المستنبطة من البحث فى القرآن مع غيرها من الحقائق القرآنية .

[9]- إخلاص النية وسلامة القصد ، فلا بد من صدق النية وابتغاء الحق وحده عند البحث فى القرآن والسنة ، فالإنسان يجب أن يتنزه عن الهوى ويخلص نفسه من التعصب ، أو غير ذلك مما يقف حاجزا بين الإنسان وبين إدراك الحقيقة المنشودة ، وإخلاص النية وصدقها أو ابتغاء الحق وحده عند البحث فى القرآن أمر نفسى خلقى ، وليس أمرا فكريا منهجيا ، ولكن الإنسان وحدة واحدة ، وأجهزته تعمل جميعا حين يقوم بأعلى الأعمال وأدناها ، والفصل بين أجهزته وملكاته فى النشاط الإنسانى سبيل الخاطئ ، ومن ثم لا يصح أن نتجاهل أجهزة الأدراك البشرية عند تفسير النشاط الخلقى ، وليس كل من قرأ القرآن عمل به ، بل هناك من يسمعه وهو فى حجاب عن الحق ، كما قال الله

تعالى : { وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا } [الإسراء/45:46] وقال أيضا : { وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلا نُفُورًا } [الإسراء/41] .

أى بينا الآيات والأمثال والوعد والوعيد ليتعظوا ولكن ما يزيدهم ذلك إلا بعدا عن الحق ونفورا منه ، ومن ثم فليس التعامل مع القرآن الكريم من خلال العقل أو الحدود المنطقية لأجهزة الإدراك البشري فقط دون الإرادة ،بل إن الإرادة الإنسانية المختارة تعتبر عاملا حاسما فى تقبل الحق والهدى أو الانصرف عنه .

وقوله تعالى : { قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ } [الأنعام/33] ، يدل على أن هؤلاء المكذبين بالحق ليس لديهم نقص فى المعرفة أو بعد عقلى عن الحق ، وإنما يكذبون جحودا ونكرانا وعنادا وإصرارا على الهوى وحرصا على الدنيا .

فالعلة إذن فى كفرهم وتكذيبهم هى إرادتهم الحرة ، وليس قصورا فى إدراك الحقيقة والحق ، فالإيمان والكفر فعلان نفسيان إراديان اختياريان لسائر المكلفين من الناس ، ومن ثم تكون معرفة الحق والخير وهما مطلب العقل البشرى مرهونة بالإيمان وعمل الخير فى الأرض ، وهنا تخضع المعرفة للأخلاق فى الإسلام وليس العكس ، والمقصود بخضوع المعرفة للأخلاق ، أن إدراك الحقيقة ومعرفتها مرتبط أوثق ارتباط باختيار الإنسان المتمثل فى النية والقصد إلى الخير أو إلى

الشر ، فمن يقبل على القرآن وفى نفسه ابتغاء معرفة الحق وحده يهديه الله إليه ويفتح له كنوز معرفته بقدر تقواه ، كما قال الله تعالى :

{ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمْ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } [البقرة/282] .

ومن يقبل عليه وفى صدره حاجة أخرى ، كالبحث عن تناقضات وهمية أو تدعيم لآرائه الشخصية ، أو تبرير لشبهاته وشهواته الحيوانية ، فالنتيجة الحتمية أنه سيسلك مسلك اليهود فى جعل القرآن عضين ، ونهايته لعنة الله وغضبه .

وهذه القاعدة ليست قاعدة منهجية فكرية ، لأنها لا تتم بالفكر ولا يطلب من الفكر تطبيقها ، ولكنها قاعدة خلقية سلوكية تتم بإرادة الإنسان واختياره للخير وابتغائه للحق ، وليس فى مقدور القواعد المنهجية والأساليب الفكرية أو غيرها الزام أحد باختيار الخير دون الشر أو العكس ، لكن التجرد لله بغية معرفة الحق عند البحث فى القرآن أول القواعد وأحقها بالالتزام وأجدرها جميعا بالتمسك .

فالعمل الذى لا تسبقه النية الواضحة الخالصة لله لا يقبله الله ، والبحث فى القرآن الكريم عبادة من أجل العبادات ، لكن لابد من الإخلاص والمتابعة كشرط لقبولها [1] .

[10]– أفهام الناس فى الدين ليست من الدين وفلسفة العلماء حول العقيدة ليست جزءا من العقيدة ، ومن الخطأ العظيم محاكمة الدين والعقيدة إلى فكر

---

1. القضاء والقدر فى الإسلام للدكتور فاروق الدسوقى ، طبعة دار الدعوة الإسكندرية

73/1 بتصرف .

الناس وأفهامهم لأنها جهد بشر يقبل الخطأ ويحتمل النقد ، أما الأصول الدينية القرآنية والنبوية فإنها وحى السماء ورسالة الأنبياء وهم معصومون فى البلاغ عن الله [1] .

وعلى ذلك فإن الإنسان مهما عَظُم بين الناس واشتهر فكره فى الآفاق فإنه يخر صريعا على صخرة العقيدة ، إذا كان مناقضا لها أو لم يكن له فيها أصول راسخة ، كما أنه ليس فى الإسلام بشر مهما كان صلاحه وتقواه فيه معنى يستحق به أن يعبد مع الله ، أو يطلب منه غفران الخطايا والذنوب ، فكثير من الناس لما عظموا بعض الأولياء تعظيما فيه غلو وإطراء ، واشتهر هذا التعظيم بين الناس ، وتناقلوا أساطير الخوارق والكرامات بنوع من التقديس ، أدى ذلك إلى تسليم الأجيال المتعاقبة بواقع مرير لا يقبل التغيير إلا بعمل خارق وجهد كبير ، وكانت النتيجة أنهم وقعوا فى الشرك وتشبيه المخلوق بالخالق والمملوك بالمالك ، فعظموهم كتعظيم الله ، وأحبوهم كمحبة الله ، وتعلقت قلوبهم بهم رهبة وخوفا من غضبهم ، وقد بالغوا فى تعظيمهم إلى حد قول القائل :

شيخى الرفاعى له بين الورى همم : نصالها ماضيات تشبه القدر
دخلت فى ظلها أبتغى التفيؤ من : رمضاء دهرى فجاء الدهر معتذرا [2]

---

1. المنطق ومناهج البحث ، مدخل نقدى للدكتور محمد عبد الله الشرقاوى ، دار النصر 1998م ص 225Υ228 .

2. الجواهر النقية فى طريقة السادة الرفاعية لصالح المكتبى ، ومعه كتاب متن أبى الشجاع طبعة المكتبه العثمانية ص15 .

والمعنى المقصود فى هذين البيتين ، أن شيخه الرفاعى قوته فى العالم تشبه قوة الله فى جريان المقادير ، بل هى أشد ، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا .
وآخر من الطريقة الرفاعية الصوفية يصف ابن الرفاعى بقوله :

يا ابن الرفاعى ما زالت ضمائرنا : تطوى على حبك العالى فترتاح

مهما دعوناك فى ضيق تجيب ولو : ضاقت بنا كرة الدنيا فتزاح

إن الولاية مشكاة وأنت لها : طول المدى يا أبا العباس مصباح [1] .

هذا مع إرهابهم للعامة بعدم الاعتراض ، وإلا يترل بالمعترض العذاب ويلحق به العقاب ، ولعنة الولى فى ضريحه ستطارده فى الملك والملكوت ، بحق ما له من تمكن وجبروت ، هكذا عكفوا على قبورهم يطلبون بركتهم ويستعينون بقوتهم ويطلبون العون والمدد منهم ، وتوفير الحماية والعناية فى أوقات الشدة والأزمات ، ولا يخفى على الناظر ما يرى من اجتماع الملايين على الأضرحة فى كل مكان ، ولا شك عند أصحاب البصيرة أن مثل هذا الاعتقاد لا علاقة له بأصول الإسلام ومبادئ التوحيد وإن ادعى صاحبه حسن النية فى تعظيم الأولياء ومحبتهم .

1. انظر السابق ص17 ، وانظر المزيد من فى حسن الصنيع البديع فى مدح النبى الشفيع ص56 وما بعدها ، والموالد دراسة للعادات والتقاليد الشعبية فى مصر ، للدكتور فاروق أحمد مصطفى طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب 1980م ، ص295 .

- **منزلة القرآن والسنة عند الصوفية .**

ينقل الكلاباذى إجماع أوائل الصوفية على تعظيمهم للقرآن وأنه كلام الله ليس بمخلوق ولا محدث ، فيقول :

(وأجمعوا أن القرآن كلام الله تعالى على الحقيقة وأنه ليس بمخلوق ولا محدث ولا حدث وأنه متلو بألسنتنا مكتوب فى مصاحفنا محفوظ فى صدورنا غير حال فيها كما أن الله تعالى معلوم بقلوبنا مذكور بألسنتنا معبود فى مساجدنا غير حال فيها) [1] .

ويذكر أيضا أنهم أجمعوا أن جميع ما فرض الله تعالى على العباد فى كتابه وأوجبه رسول الله ε فرض واجب ، وحتم لازم على العقلاء البالغين ، لا يجوز التخلف عنه ، ولا يسع التفريط فيه بوجه من الوجوه لأحد من الناس من صديق وولى وعارف ، وإن بلغ أعلى المراتب وأعلى الدرجات ، وأشرف المقامات وأرفع المنازل ، وأنه لا مقام للعبد تسقط معه آداب الشريعة من إباحة ما حظر الله ، أو تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله ، أو سقوط فرض من غير عذر ولا علة والعذر ، والعلة ما أجمع عليه المسلمون وجاءت به أحكام الشريعة ، ومن كان أصفى سرا وأعلى رتبة وأشرف مقاما ، فإنه أشد اجتهادا وأخلص عملا وأكثر توفقيا [2] .

ويذكر ابن تيمية أن أوائل الصوفية ، ويطلق عليهم مصطلح المشايخ ، يتفقون

1. التعرف لمذهب أهل التصوف ص54 .
2. السابق ص 76:75 .

مع السلف الصالح فى اتباع الكتاب والسنة والعلم بالشريعة فى كثير من الأوقات ، وأن المراد بلفظ العلم الذى يتردد على ألسنة الصوفية فى عباراهم الشريعة والالتزام بأحكام الكتاب والسنة ، وفى ذلك يقول : (العلم فى لسان الصوفية ووصاياهم كثيرا ما يريدون به الشريعة ، يقول أبو يعقوب النهرجورى الصوفى : أفضل الأحوال ما قارن العلم ، وكقول أبى يزيد البسطامى : عملت فى المجاهدة ثلاثين سنة ، فما وجدت أشد على من العلم ومتابعته ولولا اختلاف العلماء لتعبت واختلاف العلماء رحمة إلا فى تجريد التوحيد) [1] .

وقد وردت أقوال كثير ة لمشايخ الصوفية اشتهرت بين الناس ولاقت القبول عند العامة والخاصة كقول الجنيد بن محمد : (الطرق كلها مسدودة إلا على المقتفين آثار رسول الله ε والمتبعين سننه وطريقته ، فإن طرق الخيرات كلها مفتوحة عليه كما قال : { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا } [الأحزاب/21] [2] ، وقال أيضا فى بيان معتقده : (كل توحيد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو زندقة) [3] .

1. الاستقامة لابن تيمية ، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم ، توزيع مكتبة التوعية

الإسلامية ، 94/1 .

2. الأمر بالاتباع والنهى عن الابتداع للإمام السيوطى ص53 ، وتلبيس إبليس لابن الجوزى ص10 .

3. حلية الأولياء 255/10 .

وعبارة الجنيد بن محمد من أفضل ما قيل فى التمسك بالأصول القرآنية والنبوية واتباع منهج الإسلام فى توحيد الله ، وكثير من الصوفية كان متمسكا بهذا النهج فى أقواله أيضا ، كما روى عن أبى حفص النيسابورى أنه قال :

(من لم يزن أفعاله وأقواله فى كل وقت بالكتاب والسنة ، فلا تعده من ديوان الرجال) [1] ، وقال الشيخ عبد القادر الجيلانى : (لا بد لكل مؤمن فى سائر أحواله من ثلاثة أشياء : أمر يمتثله ، ونهى يجتنبه ، وقدر يرضى به ، فأقل حالة لا يخلو المؤمن فيها من أحد هذه الأشياء الثلاثة ، فينبغى له أن يلزم بها قلبه ، ويحدث بها نفسه ، ويأخذ بها الجوارح فى كل أحواله) [2] .

ويعلق ابن تيمية على كلامه بالشرح والتفصيل ، وموافقة ذلك لما جاء به الشرع ، وما يقتضى به سلوك المسلم ، وهو سلوك الأبرار والمقربين فيقول :

(هذا كلام شريف جامع يحتاج إليه كل واحد ، ومطابق لقوله تعالى : { إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ } [يوسف/90] [3] .

وقد كان لأوائل الصوفية وقفات صارمة تجاه المخالفين للأصول القرآنية والنبوية فى كثير من مسائل التصوف أو غيرها ، وشدد أبو نصر السراج الطوسى فى أن كل من ترسم برسوم هذه العصابة أو أشار إلى نفسه بأن له

1. الاستقامة لابن تيمية ، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم ، توزيع مكتبة التوعية الإسلامية ، 96/1 .
2. فتوح الغيب للشيخ عبد القادر الجيلانى ، طبعة الحلبى ، القاهرة ، 1973م ص.6
3. كتاب السلوك ضمن مجموع الفتاوى ، 456/10 .

قدما فى هذه القصة أو توهم أنه متمسك ببعض آداب هذه الطائفة و لم يحكم أساسه على ثلاثة أشياء فهو مخدوع ولو مشى فى الهواء ونطق بالحكمة أو وقع له قبول عند الخاصة أو العامة وهذه الثلاثة أشياء : أولها : اجتناب جميع المحارم كبيرها وصغيرها ، والثانى : أداء جميع الفرائض عسيرها ويسيرها ، والثالث : ترك الدنيا على أهل الدنيا قليلها وكثيرها إلا مالابد للمؤمن منها [1] .

وقد كتب أبو عبد الرحمن السلمى كتابا سماه أصول الملامتية وغلطات الصوفية [2] ، بين فيه أوجه الخطأ عند المنتسبين للتصوف ، وكيف يرد عليهم بالأصول الشرعيه وقد حصر غلطاتهم فى ثلاثة أوجه :

1- طبقة غلطت فى الأصول ، لقلة أحكامهم أصول الشرع ، وضعف فهمهم وإخلاصهم كما قال الجنيد : إنما منعوا من الوصول لتضييع الأصول .

2- وطبقة غلطت فى الفروع من الآداب والأخلاق والمقامات ، وذلك لقلة معرفتهم بالأصول وأتباعهم حظوظ النفس والدنيا ، و لم يتأدبوا بمن يروضهم ويجرعهم المرارات ، ويدلهم على المناهج ويعرفهم النفس وعيوبها فتسقط عنهم حظوظها ، فمثل هؤلاء مثل من يدخلون بيتا مظلما بغير

1. اللمع فى التصوف ص519 .
2. من الجدير بالذكر أن أبا عبد الرحمن السلمى نقل معظم هذا الكتاب مع تغيير بسيط فى ألفاظه عن كتاب اللمع لأبى نصر السراج الطوسى ، انظر للمقارنة ، اللمع فى التصوف ص518:554 وانظر تعليق الدكتور عبد الفتاح الفاوى محمود على أصول الملامتية وغلطات الصوفية ص 178 .

سراج ، يريد أن يطلب فيه شيئا ، فربما وجد ما يطلب ، وربما أفسد فى تلك الظلمة أكثر مما يصلح .

3- وطبقة غلطهم زلة أو هفوة ، فإذا يبين لهم ذلك عادوا إلى سبيل الرشد ومكارم الأخلاق ومعالى الأحوال ، وقبلوا النصح وتركوا العناد ، وأذعنوا للحق ، فلا ينقص بتلك الهفوة من مراتبهم شئ (1) .

وقد تكررت هذه المحاولات النقدية (2) بغية أن يكون تهذيب النفس فى الإسلام مقرونا بما أمر الله تعالى به وبما نهى عنه ، ويكون للمعرفة والعلم الصحيح النافع مكان عظيم مع التهذيب الروحى ، لأن النفس العاطلة من المعرفة لا تؤتى ثمارعا وهى عاطلة من التفقه فى الدين (3) .

وليس هذا بغريب حتى عند الغربين المغرضين من أبناء المستشرقين ، فمنهم من يرى أن السمو الفكرى يتطلب الاقتران بالجانب الروحى ، لكنه مع الأسف جعل العاطفة الصوفية بإطلاقها هى أعظم ملهم للمعرفة الإنسانية

1. أصول الملامتية وغلطات الصوفية لأبى عبد الرحمن السلمى تحقيق أستاذنا الـدكتور عبد الفتاح الفاوى محمود سنة 1405هـ ، 1985م ص176:177 .
2. انظر للتوسع فى هذه النقطة الموقف النقدى من التصوف لدى الصوفية ، للباحـث عدل أمين حافظ ، رسالة ماجستير مخطوط ، بمكتبة كلية دار العلوم جامعة القـاهرة برقم 615 ، سنة 1995م .
3. التصوف فى الإسلام وأهم الاعتراضات الواردة عليه ، تأليف الدكتور عبد اللطيـف محمد العبد ،طبعة دار الثقافة العربية ، القاهرة ، سنة 1407 هـ ، 1986م ص40 بتصرف .

وأن أعظم المفكرين شعروا بالحاجة إلى الجمع والتوفيق بين العلم والتصوف كى يبلغوا مرحلة السمو الفكرى [1] .

ويجدر التنبيه على التعميم الذى أطلقه هذا المستشرق ، فليس التصوف مقبولا على إطلاقه ، كما أن الجانب الروحى فى الإسلام جسده أصحاب محمد ε من خلال اتباعهم الصادق لكتاب الله وسنة رسوله ε .

ويمكن أن نلحظ منزلة القرآن والسنة عند المعتدلين من أوائل الصوفية مـن خلال موقفهم فى التعرف على أوصاف الله وأفعاله ، فقد قبحوا تقديم الـرأى على كتاب الله وسنة رسوله ε وحذروا منه ، وأعلنوا عن التزمهم بتصديق ما جاء فى الوحى من أخبار عن وصف الله عز وجل ، فقال أبو طالب المكى :

(باب ذكر العلم وطريقة السلف وذم ما أحدثه المتأخرون من الكلام .. ثم تابع كلامه فقال .. وقد ظهرت مصنفات الكلام وكتب المـتكلمين بـالرأى

والهوى والعقل والقياس وذهب علم اليقين وغابت معرفة الموقنين مـــن علـــم التقوى) [2] ، ثم يصرح بالمعتقد الصحيح فيقول : (فإنا قوم متبعـــون نقفـــوا الأثر غير مبتدعين بالرأى والمعقول نرد به الخبر .. وفى رد أخبـــار الصـــفات بطلان شرائع الإسلام من قبل أن الناقلين إلينا ذلك ، هم ناقلو شرائع الـــدين وأحكام الإيمان ، فإن كانوا عدولا فيما نقلوه من الشريعة ، فالعـــدل مقبـــول القول فى كل ما نقلوه ، وإن كانوا كذبوا فيما نقلوا مـــن إخبـــار الصـــفات

1. Russell : Mysticism and Logic ,Selected Papers The Modern Library , New York ,1957 ,p16.

2. انظر قوت القلوب 124/2 .

فالكذب مردود القول فى كل ما جاء به) [1] .

ويؤكد عبد الله بن خفيف الشيرازى أن مصدر المعرفة بالله هو ما جاء عـــن الله بالخبر الصحيح ، وعمل المريد هو التلقى والفهم ، والتصـــديق والإجابـــة يقول : (وينبغى على المريد أن يعتقد فى كل الأخبار الصحيحة التى رويت فى باب الصفات لله تعالى ، يعتقدها إيمانا وتسليما لا قياسا ومناقشـــة أو جـــدالا ومباحثة .. والعقل لا يحسن ولا يقبح والشرع حاكم على العقل) [2] .

وقد ورد أيضا أن بعض الصوفية كانت تعرض له آراء أو ألفاظ فى التصوف وسلوك الطريق ، فلا يقبلها ولا يمضيها ، إلا إذا وجد لها شـــاها فى الكتـــاب والسنة ، فقال أبو سليمان الدرانى : (ربما تقع النكتة فى قلبى من نكت القـــوم أياما فلا أقبلها إلا بشاهدين عدلين : الكتاب والسنة) [3] ، وقال سهل بـــن

عبد الله التسترى : (كل فعل نفعله بغير اقتداء فهو عيش النفس ، وكل فعل نفعله بالاقتداء فهو عذاب على النفس) [4] .

1. السابق 124/2 .
2. سيرة ابن خفيف الشيرازى ، لأبى الحسن على بن محمد الديلمى ، تحقيق الدكتور إبراهيم الدسوقى شتا ، طبعة مجمع البحوث الإسلامية ص248 .
3. الاستقامة ص96 .
4. السابق ص95 وانظر أيضا ، رسالة دكتوراه بعنوان : مدى انطباق أفكار الصوفية على الكتاب والسنة ، إعداد عبد الله يوسف الشاذلى ، بمكتبة كلية أصول الدين جامعة الأزهر بالقاهرة 1978م ص 54 ، وموقف الصوفية من التكاليف الشرعية ، إعداد أحمد على عجيبة رسالة ماجستير بمكتبة كلية أصول الدين جامعة الأزهر الشريف بالقاهرة سنة 1987م ، ص 34 : 56 .

ولا عجب أن ابن تيمية يستشهد بنصوص كثيرة من مرويات أوائل الصوفية ويبين موافقتها لنصوص الكتاب والسنة ، لأنها تدور حول فعل المأمور الشرعى وترك المحظور المنهى ، وهذا لب الشريعة الإسلامية ، وأثنى على عدد كبير منهم وعدهم من أئمة السلف الصالح ، وأن عقيدتهم ومنهجهم واحد وهو الاقتداء والالتزام بالأصول القرآنية والنبوية ، وأقوالهم هى أقوال سلف الأمة ، فيقول :

(وأئمة الهدى الذين جعل الله تعالى لهم لسان صدق فى الأمة ، مثل سعيد بن المسيب والحسن البصرى ، وعد منهم .. مالكا والشافعى وأحمد وبشرا الحافى والجنيد بن محمد وسهلا بن عبد الله التسترى وعمر بن عثمان المكى ..

وأمثال هؤلاء المشايخ ..كل هؤلاء متفقون على أن الله سبحانه ليس هو خلقه ولا جزءا من خلقه ولا صفة لخلقه ، بل هو سبحانه متميز بنفسه ، بائن بذاته المعظمة) [1] .

غير أن الصوفية على الرغم من كون القرآن والسنة لهما مترلة سامية فى نفوسهم ، إلا أنهم جعلوا للنصوص ظاهرا وباطنا ، وكان جل اهتمامهم ينصب على الجانب الباطنى دون الظاهر المتبادر إلى الأذهان ، يقول السراج الطوسى : (فأما أصحاب الحديث فإنهم تعلقوا بظاهر حديث رسول الله ε وقالوا : هذا أساس الدين لأن الله يقول : { وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ } [الحشر/7]) [2] .

1. كتاب توحيد الربوبية لابن تيمية ص 474 ، وانظر الاستقامة لابن تيمية 142/1 والفتوى الحموية ص35 37 ، 38 ، 42 .
2. اللمع ص24 .

أما الصوفية فيسميهم أهل الصفوة ويصفهم بقوله : (وللصوفية مستنبطات فى علوم مشكلة على فهوم الفقهاء والعلماء لأن ذلك لطائف مودعة فى إشارات لهم تخفى فى العبارة من دقتها ولطافتها) [1] .

ويخصص أيضا كتابا لوصف موقفهم من الكتاب والسنة فيقول : (كتاب أهل الصفوة فى الفهم والاتباع لكتاب الله عز وجل ، باب الموافقة لكتاب الله تعالى) [2] .

ثم يبين أنهم ممن يدركون المتشابه على الأفهام ، ويصلون إلى عجائب

الحكمة من القرآن مستدلا بقوله تعالى : { هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ } [آل عمران/7] ، وقوله : { وَنُنَزِّلُ مِنْ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلا خَسَارًا } [الإسراء/82] ، وقوله : { يس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ } [يس/1:2] وقوله : { حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ } [القمر/5] ، وقول النبى ε : " القرآن حبل الله المتين ، لا تنقضى عجائبه ، ولا يخلق عن كثرة الرد ، من قال به صدق ، ومن عمل به رشد ، ومن حكم به عدل ، ومن اعتصم به هدى " [3] .

---

1. السابق ص32 .
2. السابق ص105 .
3. ضعيف أخرجه الترمذى برقم (2906) عن الحرث الأعور قال : (مررت في المسجد فإذا الناس يخوضون في الأحاديث ، فدخلت على علي ، فقلت : يا أمير المؤمنين ألا ترى أن الناس قد خاضوا في الأحاديث ؟ قال : وقد فعلوها ، قلت : نعم ، قال : أما إني قد سمعت رسول الله ε يقول : ألا إنها ستكون فتنة فقلت : ما المخرج منها =

ووجه استدلاله بهذه الأدلة ، أن القرآن لما حوى كثيرا من المتشابه على كثير من الأفهام ، وفيه شفاء لا يعرفه الأطباء فضلا عن المرضى ، وفيه من عجائب الحكمة التى تخفى على العامة والدهماء ، وفيه من علم الأولين والآخرين ، فإن الصوفية هم أولى الناس بمعرفة ذلك لأنهم الخواص ، فيقول :

(فعَلِمَ أهل العلم بهذا الخطاب أن فى كتاب الله الذى أنزل على رسوله وهو

القرآن الذى لا شك فيه لأحد من المؤمنين أنه من عند الله ، أن فيه هدى وبيانا لهم فى جميع ما أشكل عليهم من أحكام الدين بعد إيمانهم بالغيب ، وهو التصديق بما أخبرهم الله به عما غاب عن أعينهم) [1] ثم يضرب أمثلة لذلك الفهم الذى يخص الصوفية منها :

(1– قوله تعالى : { وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً

= يا رسول الله ؟ قال : كتاب الله فيه نبأ ما كان قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، وهو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم هو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه ، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا : { إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ } [الجن/1]من قال به صدق ، ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم ، خذها إليك يا أعور) قال أبو عيسى : هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه وإسناده مجهول وفي الحرث الأعور مقال ، وضعفه الشيخ الألبانى 172/5 .

1. السابق ص106 .

وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ } [النحل/89] .

فأفادت هذه الآية الفهم من أهل العلم بعد إيمانهم بالغيب أيضا ، أن تحت كل حرف من كتاب الله تعالى كثيرا من الفهم مذخورا لأهله على مقدار ما قسم لهم من ذلك ، وعلى نحو ما قال سهل بن عبد الله التسترى : لو أعطى

العبد لكل حرف من القرآن ألف فهم لما بلغ نهاية ما جعل الله تعالى فى آية من كتاب الله تعالى من الفهم ، لأنه كلام الله تعالى وكلامه صفته ، وكما أنه ليس لله نهاية ، فكذلك لا نهاية لفهم كلامه ، وإنما يفهمون على مقدار ما يفتح الله تعالى على قلوب أوليائه من فهم كلامه ، وكلام الله غير مخلوق فلا تبلغ إلى نهاية الفهم فيه فهوم الخلق لأنها محدثة مخلوقة (1) .

(2- وقال عز وجل فى آية أخرى :

{ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ } [الإسراء/9] ، يعنى يدل إلى الذى هو أصوب ، فعلم أهل الفهم من أهل العلم أن لاسبيل إلى التعلق بالأصوب مما يهدى إليه القرآن ، إلا بالتدبر والتفكر والتيقظ والتذكر وحضور القلب عند تلاوته ، وعلموا ذلك أيضا بقوله : { كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ } [ص/29] .

ثم استفاد أهل الفهم من هذه الآية أيضا أن التدبر والتفكر والتذكر لا وصول إليه إلا بحضور القلب ، لقوله عز وجل : { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ } [ق/37] يعنى حاضر القلب (2) .

---

1. السابق ص107 .   2. السابق ص106 .

ولئن كان البحث والاستنباط من كتاب الله عملا محمودا فى الإسلام إذا كان مضبوطا بقواعد النظر وأصول الاستدلال ، فإن بعض الصوفية غالى فى الجانب الباطنى ، حتى أخرج نصوص القرآن والسنة من هذه القواعد وتلك

الأصول ، إلى درجة ضاعت فيها هيبتها وتغيرت مفاهيمها ، التى يعز فى ظلها تحصيل مراد الله من كلامه ، ومعرفة الغاية من خطابه سبحانه وتعالى .

فمنهم من توهم أن العبد ما دام بينه وبين الله تعبد ، فهو مسمى باسم العبودية ، فإذا وصل إلى الله صار حرا ، وإذا صار حرا سقطت عنه العبودية وأمكنه عند ذلك التحلل من الشرع وإسقاط التكاليف (1) .

ومنهم من قال : (اعلم أن المرء قائم على بساط الشريعة ما لم يصل إلى التوحيد فإذا وصل إليه سقطت من عينه ، وصارت عنده هوسا) (2) .

بل وصل الأمر إلى أن يكون معنى مصطلح القرآن نفسه عند بعضهم غير ما يعنيه سائر المسلمين ، فأصبح القرآن يعنى العلم اللدنى الإجمالى الجامع للحقائق كلها ويقابله الفرقان (3) .

قال ابن عربى : (قال فى التنزيل بلسان نوح : { قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلا وَنَهَارًا فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلا فِرَارًا } [نوح/6] ، وعلم العلماء أنهم إنما لم يجيبوا دعوته لما فيها من الفرقان ، والأمر قرآن لا فرقان ، ومن أقيم فى القرآن

1. السابق ص 531 .
2. أخبار الحلاج نشر ماسينون ، بول كرواس مكتبة باريس سنة 1936 ص 55 .
3. معجم اصطلاحات الصوفية للكاشانى ص153 .

لا يصغى إلى الفرقان وإن كان فيه ، فإن القرآن يتضمن الفرقان ، والفرقان لا يتضمن القرآن ، ولهذا ما اختص بالقرآن إلا محمد ε لأنه أوتى جوامع الكلم

فما دعا محمد قومه ليلا ونهارا ، بل دعاهم ليلا فى نهار ، ونهارا فى ليل) [1] .

وهذا الموقف الصوفى الأخير انتشر وزاع بين الصوفية إلى عصرنا هذا ، حتى إن المرء لا يعلم طريقة معينة يستطيع بها الحوار معهم ، ولا حول ولا قـــوة إلا بالله العلى العظيم .

---

1. فصوص الحكم حـ1 ص70 ، 71 .

الفصل الثانى

بين التفسير والتأويل الصوفي للقرآن الكريم

من المعلوم أن الله تعالى خاطب خلقه بما يفهمونه ، ولذلك أرسل كل رسول بلسان قومه ، وأنزل كتابه على لغتهم ، وإنما دعت الضرورة للتفسير لأن كل من وضع من البشر كتابا ، وضعه ليفهم بذاته من غير شرح ، وإذا بحثنا عن الأسباب الداعية إلى الشروح ، وجدناها تكاد تنحصر فى ثلاثة أمور :

أحدها : كمال فضيلة المصنف ، فإنه لقوته العلمية يجمع المعانى الدقيقة فى اللفظ الوجيز ، فربما عسر فهم مراده ، فقصد بالشرح ظهور تلك المعانى الخفية ، ومن هنا كان شرح بعض الأئمة تصنيفه أدل على المراد من شرح غيره له .

ثانيها : قد يكون حذف بعض مقدمات الأقيسة ، أو أغفل فيها شروطا اعتمادا على وضوحها ، أو لأنها متعلقة بعلم آخر ، فيحتاج الشارح لبيان المحذوف ومراتبه .

ثالثها : احتمال اللفظ لمعان متعددة كالمجاز والاشتراك ودلالة الالتزام ، فيحتاج الشارح إلى بيان غرض المصنف وترجيحه ، وقد يقع فى التصانيف ما لا يخلو منه بشر ، من السهو والغلط وتكرار الشئ وحذف المهم وغير ذلك ، فيحتاج الشارح للتنبيه على ذلك [1] .

---

1. البرهان فى علوم القرآن للزركشى ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم 14/1 بتصرف =

ومعلوم أن القرآن إنما أنزل بلسان عربى مبين فى زمن أفصح العرب ، وقد أثار منذ اللحظات الأولى لنزوله أذهانهم ، ودعاهم إلى الالتفات إلي ما جاء به من جديد فى أساليب التعبير والبيان ، وعلقت أفئدتهم وأسماعهم بما جمع من ألفاظ حسان ، ومن ثم وجدنا كثيرا من الصحابة ψ يسأل رسول الله ε عن معنى بعض الألفاظ ليفهم بها خطاب الله عز وجل ، كما روى عن عبد الله بن مسعود τ قال :

" لما نزلت : { الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ } [الأنعام/82] قلنا : يا رسول الله أينا لا يظلم نفسه ؟ قال : ليس كما تقولون ، { لَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ } بشرك ، أو لم تسمعوا إلى قول لقمان لابنه : { وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَابُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ } [لقمان/13] " [1] .

ففسر النبى ε الظلم بالشرك من خلال تفسير القرآن بالقرآن وشرح آية لأخرى ، وكما روى أيضا عن أبى هريرة τ أن رسول الله ε قال : " إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة ، لا يزن عند الله جناح بعوضة ، اقرؤوا إن شئتم : { فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا } [الكهف/105] " [2] .

= وانظر فى ذلك أيضا مرويات السنة فى تفاسير المحدثين فى مصر ، بحيته محمد على الإبراهيم الدوسرى ، رسالة دكتوراه مخطوط بمكتبة كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة رقم (1066) لسنة1996م ص 34 .

1. الجامع الصحيح المختصر للإمام البخارى رقم (3181) 1226/3.
2. أخرجه البخارى انظر السابق حديث رقم (4452) 1759/4 .

غير أن الصحابة ψ كانوا يعلمون من خطاب الله ظواهر القرآن وأحكامه أما دقائقه وأعماقه البعيدة فإنما كانت تظهر لهم بعد البحث والنظر من سؤالهم النبى ε فى الأكثر .

و لم ينقل إلينا عنهم تفسير القرآن وتأويله بجملته [1] ، لأن إيمانهم العميق بكلام الله دعاهم إلى التصديق بخبره والاستسلام لأمره ، وليس كما صورهم المستشرق جولد تسيهر أن أفهامهم كانت فى طور النمو والاكتمال لأن الإسلام بعد موت النبى كان طفلا يافعا و لم يكن كاملا ناضجا [2] .

فالأمر لم يكن كذلك لأن الله أنزل على نبيه ε قبل موته : { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا } [المائدة/3] .

وقد دلت على اكتمال الدين وتمام النعمة وأى تشكيك فى ذلك يكشف سوء النية أو دعاوى الجهل ، لقد كان الصحابة ψ يرتسمون ما نقل عن النبى ε بحذر شديد ، فى شرح لفظ غريب أو بيان حكمة وموعظة فيه ، فلم يكن فى القرآن ما يصعب عليهم فهمه بوجه عام ، غير أنهم لم يتصدوا للتفسير

---

1. حجج القرآن ، لأحمد بن محمد بن المظفر بن المختار الرازى دراسة وتحقيق ، رسالة ماجستير لشمران سركال يونس ، مكتبة كلية دار العلوم رقم 335 سنة 1980م مقدمة التحقيق ص33 .
2. انظر رأى جولد تسهير فى وصفه لحال المسلمين من الصحابة والتابعين وموقفهم من الحديث والتفسير فى كتابه مذاهب التفسير الإسلامى ص55 ، والعقيدة والشريعة فى الإسلام تاريخ التطور العقدى والتشريعى فى الإسلام ، ترجمة د/ محمد يوسف موسى وآخرين ، دار الكتب العربى ، ط3 سنة1959ص46 وما بعدها .

بشكل تفصيلى تحرجا من القول على الله بلا علم ، ولذا فقد روى عن أبى بكر الصديق أنه سئل عن قوله تعالى : { وَفَاكِهَةً وَأَبًّا } [عبس/31] فقال : " أى سماء تظلنى ، وأى أرض تقلنى ، إن أنا قلت فى كتاب الله ما لا أعلم " [1] .

ونقل عن أنس τ أنه سمع عمر بن الخطاب τ يقول : { فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعِنَبًا وَقَضْبًا وَزَيْتُونًا وَنَخْلا وَحَدَائِقَ غُلْبًا وَفَاكِهَةً وَأَبًّا } [عبس/27:31] .

قال : فكل هذا قد عرفناه فما الأب ؟ ثم نقض عصا كانت في يده فقال : هذا لعمر الله التكلف ، اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب [2] .

وقد يكون صحيحا أن الصحابة ψ استعصى عليهم فهم بعض الغريب ، وقد يكون إحجامهم عن التفسير تحرجا من القول فى القرآن بالرأى ، وعلى أية حال وفى كلا الأمرين ، فالصحابة ψ كانوا أقدر الناس على معرفة مرامى القرآن ومعانيه ، وقد يختلفون فى الفهم بطبيعة الحال على قدر إلمامهم ومعرفتهم بأساليب الكلام والشعر ولغة العرب وعاداتهم ، فمن كان منهم أكثر إلماما بهذا أو بعضه ، كان أكثر معرفة وأوسع فهما لمعانى القرآن وغريب ألفاظه [3] .

ومن ثم فنحن نحتاج إلى ما كانوا يحتاجون إليه وزيادة بيان لأحكام الظواهر

---

1. فتح البارى شرح صحيح البخارى ، والرواية فى سندها ضعف 272/13 .
2. أخرجه الحاكم فى المستدرك (3897) 559/2 وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وانظر الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى 196/1 .
3. فجر الإسلام ، لأحمد أمين ، طبعة لجنة التأليف بمصر ، الطبعة الثالثة ، 1354هـ 196/1 وضحى الإسلام ، طبعة الاعتماد بمصر 1352هـ ، 138/1 .

وذلك لقصورنا عن إدراك أحكام اللغة بغير تعلم ، فنحن أشد الناس احتياجا إلى التفسير منهم .

ومعلوم أن تفسير القرآن يكون بعضه من قبيل بسط الألفاظ الوجيزة وكشف معانيها ، وبعضه من قبيل ترجيح بعض الاحتمالات على بعض لبلاغته ولطف معانيه ، ولهذا لا يستغنى عن قانون عام يعول عليه ويرجع إليه فى تفسيره ، من معرفة مفردات ألفاظه ومركباتها وسياقه وظاهره وباطنه وغير ذلك ، مما لا يدخل تحت الوهم ويدق عنه الفهم ، وفى هذا تتفاوت الأذهان [1] .

- **ضوابط تفسير القرآن الكريم :**

تنوعت الاتجاهات فى تفسير القرآن وتعددت غاياتها ، فظهر تفسير القرآن بالمأثور والمنقول من الأحاديث والأخبار والسيرة والأشعار وعادات العرب وأخبارهم ، وهذا التفسير كله منقول عن الصحابة والتابعين ، وقد يرفع لرسول الله ε وهو فى الأغلب مشفوع بالسند ، وهناك من تبنى التفسير اللغوى للقرآن ، وقد اتخذه علماء اللغة ميدانا لهم ، وحاولوا التعرف على لغته وتراكيبه النحوية ، وألوان الغريب من الألفاظ فيه ، أهى عربية أصلية أو معربة من لغات البلدان المحيطة بجزيرة العرب والتى أثرت فى لسانهم بحكم التلاصق والتجارة وغيرها ؟

وقد حاولوا أيضا البحث فى المدلول اللفظى ، وصلة اللفظ بالمعنى العام للعبارة ، وغير ذلك من ألوان النواحى اللغوية والأساليب البيانية الواردة فى

---

1. البرهان فى علوم القرآن 15/1 بتصرف .

القرآن ، وهناك من نظر إلى الإشارات الرقيقة التى تظهر بين جمل الكلام فظهر التفسير الإشارى للقرآن ، وهو تأويل القرآن على خلاف ظاهره ، لإشارات خفية لبعض المجتهدين من أولى العلم أو تظهر للعارفين بالله من أرباب السلوك والمجاهدات ، ممن نور الله بصائرهم فأدركوا من أسرار القرآن ما خفى على غيرهم وانقدحت فى أذهانهم بعض المعانى الدقيقة [1] .

فتعددت الأغراض وكثرت مدارس التفسير بصورة توجب فى هذا البحث تقرير الأساس الذى يبنى عليه فهم القرآن ، وضبط منهج التفسير وطريقة التأويل ، ذلك لأننا لم نعدم فى تاريخ التراث الإسلامى استغلال معظم الفرق الإسلامية لهذا السلاح ، أعنى تفسير القرآن أو تأويله بالرأى ، تدعيما لأصول هذه الطائفة أو تلك ، وقد تفاوتت عندهم مراتب التفسير والتأويل بتفاوت البراعة فى استغلال الألفاظ ودلالتها المتعددة ، والانتفاع بالأحاديث النبوية المكملة أو المفسرة [2] .

ومن ثم كان من الضرورى إظهار الوسيلة المثلى التى يبنى عليها فهم القرآن

---

1. من أمثلة التفسير بالمأثور تفسير ابن جرير الطبرى وتفسير ابن كثير ، ومن أمثلة الفسير اللغوى النحوى مجاز القرآن لأبى عبيدة معمر بن المثنى ، ومعانى القرآن لأبى زكريا يحى بن زياد الفراء ، ومن أمثلة الإشارى ، تفسير أبى عبد الرحمن السلمى ولطائف الإشارات لعبد الكريم القشيرى ، وتفسير القرآن الكريم لعبد الرزاق الكاشانى ، وهو منسوب فى جميع طبعاته إلى محى الدين بن عربى .
2. التصوف طريقة وتجربة ومذهبا ، للدكتور محمد كمال جعفر ، طبعة دار الكتب الجامعية 1970م ، ص26 بتصرف .

وكيفية تفسيره من خلال ما ورد فى كتب التفسير المختلفة [1] .

فالقرآن كتاب عربى مبين جديد فى أسلوبه معجز ، وهو مع ذلك لم يخرج عن أساليب العرب وعادتهم فى نظم الكلام ، وكان طبيعيا أن يجمع أساليب العرب فى التعبير من قواعد فنية وتركيبية ، ففيه الحقيقية وفيه المجاز وفيه الكناية وغيرها من أساليب العرب ، ومع هذا التشابه الظاهرى بين أساليب العرب فى نثرهم وشعرهم بقيت للقرآن ميزة جعلته المثل الأعلى للبلاغة العربية [2] .

ويمكن أن تتحدد معالم المنهج الصحيح ،لمن أراد التعرف على مراد الله من خطابه فيما يلى :

(1- الاعتماد على تفسير القرآن بالقرآن ، فقد أجمع علماء التفسير على أن أشرف أنواع التفسير وأجلها تفسير كتاب الله بكتاب الله ، إذ لا أحد أعلم بمعنى كلام الله من الله عز وجل ولا يصح العدول عن هذا التفسير إلى غيره بعد ظهور مراد الله من الآيات [3] .

ومن أمثلة هذا النوع ، ما جاء مجملا فى موضع جاء مبينا فى موضع آخر كقوله تعالى : { أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ } [المائدة/1] فقد

---

1. انظر للتوسع فى هذه النقطة ، أثر القرآن على منهج التفكير الفلسفى ، محمود السعيد طه الكردى ، رسالة دكتوره بمكتبة كلية الآداب جامعة القاهرة سنة 1979م ، والحافظ ابن كثير ومنهجه فى التفسير إسماعيل سالم عبد العال ، رسالة ماجستير بمكتبة كلية دار العلوم جامعة القاهرة ، رقم 125سنة 1977م .
2. أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن ، لمحمد الأمين الشنقيطى 5/1 .
3. السابق 7/1 .

جاء تفسير قوله : إلا ما يتلى عليكم ، فى آية كريمة أخرى هى قوله تعالى :

{ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالأَزْلامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ } [المائدة/3] .

وكذلك قوله تعالى : { وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ } [الطارق/1] جاء تفسير الطارق فى نفس السورة : { وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ النَّجْمُ الثَّاقِبُ } [الطارق/2:3] ، فلا يصح العدول عن معنى اللفظ بعد أن بينه الله عز وجل إلى أى معنى آخر .

وكذلك قوله سبحانه وتعالى : { فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ } [البقرة/37] جاء تفسير الكلمات التى تلقاها آدم υ فى موطن آخر من القرآن ، فى قوله تعالى : { قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنْ الْخَاسِرِينَ } [الأعراف/23] [1] .

ومن الأمثلة أيضا على تفسير القرآن بالقرآن ، أن يذكر شئ فى موضع ثم يقع سؤال عنه وجواب فى موضع آخر يفسره ، كقوله تعالى : { الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } [الفاتحة/1] ، فإنه لم يبين هنا ما المراد بالعالمين ؟ ولكنه وقع سؤال وجواب فى موضع آخر يفسر المراد ، وهو قوله تعالى :

{ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنتُمْ مُوقِنِينَ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلا تَسْتَمِعُونَ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمْ الأَوَّلِينَ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا

---

1. السابق 9/1 .

إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ } [الشعراء/24:23] ، وسؤال فرعون وإن كان فى الأصل عـــن الرب جل وعلا ، فقد دخل فيه الجواب عن المراد بالعالمين .

وكذلك قوله تعالى : { مالك يوم الدين } [الفاتحة/2] فإنه لم يبينه هنا ، مع أنه وقع سؤال عنه وجواب فى موضع آخر وهو قوله : { وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّـــهِ } [الانفطار/19:17] .

ومن أمثلته أيضا أن يكون الظاهر المتبادر من الآية بحسب الوضع اللغوى غير مراد بدليل قرآنى آخر على أن المراد غيره ، ومثاله قوله تعالى : { الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ } [البقرة/229] ، فإن ظاهره المتبادر منه أن الطلاق كله محصور فى المرتين ، ولكنه تعالى بين أن المراد بالمحصور فى المـــرتين خصوص الطلاق الذى تملك بعده الرجعة بقوله : { فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ } [البقرة/230] [1].

وعلى الرغم من اشتهار الصوفية بالتفسير الإشارى إلا أن كثيرا منهم اهـــتم بهذا النوع من التفسير لتوضيح بعض المعانى القرآنية المتعلقة بالجانب الروحـــى فى الإسلام ، وأسفرت محاولاتهم عن نتائج إيجابية مثمرة ، نرى مثلا يدلل على ذلك فى كتاب قوت القلوب لأبى طالب المكى (ت:386هـــ) وهو يستقصى

1. السابق 13/1 ، وانظر المزيد فى تفسير القرآن بالقرآن ، ابن العـــربى ومنهجـــه فى التفسير ، لمحمد عبد السلام زغوان ، رسالة ماجستير بمكتبة جامعـــة القـــاهرة ، رقـــم 267لسنة 1978م .

حقيقة الدنيا معتمدا على تفسير القرآن بالقرآن ، فقال : (لا يمكن لعبد أن يعرف الزهد حتى يعرف الدنيا أى شئ هى ، فقد قال الناس فى الزهد أشياء كثيرة ، ونحن غير محتاجين إلى ذكر أقوالهم ، بما بين الله تعالى وأغنى بكتابه الذى جعل فيه الشفاء والغنى) [1] .

ويعتمد المكى فى معرفة الدنيا على مجموعة من الآيات يفسر بعضها بعضا ويقارن بينها إلى أن يصل إلى وصف واحد يبين حقيقة الدنيا ، فقوله تعالى :

{ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنْ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنْ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ } [آل عمران/14] ،بين الله لنا فيه أنواع المشتهيات في الدنيا وحصرها فى سبعة أصناف جامعة ، يقول المكى معقبا :

(فهذه سبعة أوصاف هى جملة متاع الدنيا ، وما تفرع من الشهوات رد إلى أصل من أصول هذه الجمل ، فمن أحب جميعها فقد أحب جملة الدنيا ، ومن أحب أصلا منها أو فرعا من أصل فقد أحب بعض الدنيا ، وعلمنا بنص كلام الله أن الشهوة دنيا ، وفهمنا من دليله أن الحاجات ليست بدنيا ، لأنها تقع ضرورات ، فإذا لم تكن الحاجة دنيا ، دل أنها لا تسمى شهوة وإن كانت قد تشتهى) [2] .

1. قوت القلوب فى معاملة المحبوب ، لأبى طالب محمد بن أبى الحسن على بن عباس المكى ، طبعة مكتبة المتنبى ، القاهرة سنة 1310هـ ، 245/1.
2. السابق 245/1 .

ثم يجمع المكى بأسلوب رائع بين الآية السابقة وبين آية أخرى تفسر لنا علل الاشتهاء وقد جمعها الله تعالى فى خمسة أنواع فقال : { اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ } [الحديد/20] .

يقول المكى معقبا : (فرد الأوصاف السبعة إلى خمسة معان هى وصف من أحب تلك السبعة) [1] .

ثم يجمع ما سبق من أصناف المشتهيات فى الدنيا وعلل اشتهائها ، ويضيف إليها آية أخرى تفسر الوصف الجامع للحياة الدنيا ، وهى قوله تعالى : { فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنْ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى } [النازعات/37:41] .

يقول المكى : (فصارت الدنيا طاعة النفس للهوى فمن نهى نفسه عن الهوى فهو لم يؤثر الدنيا ، وإذا لم يؤثر الدنيا فهذا هو الزاهد الذى لا يفرح بعاجل موجود من حظ النفس ولا يحزن على مفقود من ذلك ، يأخذ الحاجة من كل شئ عند الحاجة إلى الشئ ، ولا يتناول عند الحاجة إلا سد الفاقة ، ولا يطلب الشئ قبل الحاجة ، فأول الزهد دخول غم الآخرة فى القلب ، ثم وجود حلاوة المعاملة لله تعالى ، ولا يدخل هم الآخرة حتى يخرج هم الدنيا ، ولا تدخل حلاوة المعاملة حتى تخرج حلاوة الهوى) [2] .

والتنيجة المثمرة التى توصل إليها المكى بالدليل ، ومن خلال تفسيره للقرآن

---

1. السابق 246/1 .

2. السابق 246/1 .

بالقرآن ، أن الدنيا هى طاعة النفس للهوى ، وأن الهوى يتعلق بسبعة أصناف جامعة لكل ما يشتهى فيها ، وأن علل اشتهاء الهوى لتلك الأصناف الدنيوية لن تخرج عن خمسة أسباب ، وحقيقة الزهد فى الدنيا تكمن فى طاعة العبد لله ومعصيته لهواه [1] .

(2- الاعتماد على تفسير القرآن بالسنة ، فقد أجمعوا أيضا على أن ذلك من أشرف أنواع التفسير وأجلها ، لأنه لا أحد أعلم بمعنى كلام الله من رسول الله ε ، ولا يصح أيضا العدول عنه إلى غيره بعد كشف الرسول ε للمعنى المراد فى خطاب الله عز وجل [2] .

ومن أمثلة هذا النوع ، تفسيره ε الحساب اليسير بالعرض ، أى عرض الأعمال على المؤمن وتذكيره بها فقط ، فعن عائشة زوج النبي ε أنها كانت لا تسمع شيئا لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه ، وأن النبي ε قال : "من حوسب عذب ،قالت عائشة : فقلت أو ليس يقول الله تعالى : { فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا } [الانشقاق/8] فقال : إنما ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب يهلك " [3] .

---

1. تفتقر المكتبة الإسلامية إلى تفسير علمى جاد فى الجانب الروحى ، يكشف عن أعمال القلوب والجوارح وسائر مقامات الإيمان ، وينتهج طريقة أبى طالب المكى فى هذه الجزئية .
2. أضواء البيان 20/1 .
3. أخرجه البخارى فى كتاب العلم (103) 51/1 .

وكذلك تفسير النبى ε الزيادة فى قوله تعالى : { لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ } [يونس/26] بالرؤية ، فعن صهيب τ عن النبي ε أنه قال في هذه الآية : " إذا دخل أهل الجنة الجنة ، نادى مناد إن لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه ، قالوا : ألم تبيض وجوهنا وتنجنا من النار وتدخلنا الجنة ؟ قال : فيكشف الحجاب ، فوالله ما أعطاهم الله شيئا أحب إليهم من النظر إليه " [1] .

وكتفسيره ε القوة بالرمى ، فعن عقبة بن عامر τ قال : " سمعت رسول الله ε وهو على المنبر يقول :

{ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ } [الأنفال/60] ، ألا إن القوة الرمي ، ألا إن القوة الرمي ، ألا إن القوة الرمي " [2] .

وكثيرا ما نرى للصوفية تفسيرا من هذا القبيل فى بعض المواضع من تراثهم لكن ينقصه فى الغالب التثبت وعدم التهاون فى قبول الأخبار الضعيفة والموضوعة ، كما أشار أبو طالب المكى إلى ذلك فقال : (باب ذكر الرخص والسعة فى النقل والرواية .. ولم أعتبر ألفاظ الأخبار ، ولم آل عن سياق المعنى فى كله إذ ليس تحليل الألفاظ عندى واجبا) [3] .

ويذكر أبو القاسم القشيرى نماذج متعددة لهذا التفسير فى رسالته ، فيذكر الآية ، ثم يأتى ببضعة أحاديث يدلل بها على سياق المعنى ، أو يشرحه بها

---

1. أخرجه الترمذى فى كتاب التفسير (3105) وصححه الألبانى 286/5 .
2. أخرجه مسلم فى كتاب الجهاد (1917) 1522/3 .
3. قوت القلوب لأبى طالب المكى 176/1 .

ويوضحه ، فيروى بسنده عن أبى الدرداء τ حديثا يفسر به معنى قوله تعالى : { لَهُمْ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ } [يونس/64] ، قال : " سألت النبى ε عن هذه الآية ؟ فقال : (ما سألنى عنها أحد قبلك ، هى الرؤيا الحسنة يراها المرء أو ترى له " [1] .

قال الصابونى : (وكلا هذين القسمين ، تفسير القرآن بالقرآن ، وتفسير القرآن بالسنة ، لا شك فى أنه أعلى أنواع التفسيبر ، ولا شك فى قبوله ، أما الأول فلأن الله تعالى أعلم بمراد نفسه من غيره وكتاب الله تعالى أصدق الحديث ، لأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وأما الثانى فلأن الرسول ε قد بين مهمته القرآن ، وذكر أنها مهمة التوضيح والبيان { وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } [النحل/44] ، فما جاء عن رسول الله ε من شرح أو بيان بسند صحيح ثابت ، فإنه مما لا شك فيه أنه حق يجب اعتماده) [2] .

---

1. الرسالة القشيرية 714/2 ، والحديث بهذا اللفظ لم أجده فى كتب السنة ، ولكن معناه ورد فى حديث صحيح ، فمن حديث محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة τ عن النبى ε قال : (إذا اقترب الزمان ، لم تكد رؤيا المسلم تكذب ، وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثا ، ورؤيا المسلم جزء من خمس وأربعين جزءا من النبوة ، والرؤيا ثلاثة : فالرؤيا الصالحة بشرى من الله ، ورؤيا تحزين من الشيطان ، ورؤيا مما يحدث المرء نفسه فإن رأى أحدكم ما يكره ، فليقم فليصل ولا يحدث بها الناس) أخرجه الإمام مسلم فى كتاب الرؤيا ، برقم (2263) 1773/4 .
2. التبيان فى علوم القرآن ، محمد بن على الصابونى ص 65 .

(3- الاعتماد على ما أثر عن الصحابة ψ والتابعين ، فذهب جمهور المفسرين إلى أن التفسير بالمأثور عن الصحابة ψ له قيمته ، وأن تفسير الصحابى له حكم المرفوع ، إذا كان مما يرجع إلى أسباب الترول وكل ما ليس للرأى فيه مجال ، أما ما يكون للرأى فيه مجال فهو موقوف عليه ما دام لم يسنده إلى رسول الله ε [1] .

قال الزركشى : (اعلم أن القرآن قسمان : قسم ورد تفسيره بالنقل وقسم لم يرد ، والأول : إما أن يرد عن النبى ε أو الصحابة ψ أو رؤس التابعين فالأول يبحث فيه عن حجة السند ، والثانى ينظر فى تفسير الصحابى ، فإن فسره من حيث اللغة ، فهم أهل اللسان ، فلا شك فى اعتماده ، أو بما شاهدوه من الأسباب والقرائن فلا شك فيه) [2] .

وذكر الحافظ ابن كثير فى مقدمة تفسيره ، أنه إذا لم نجد التفسير فى القرآن ولا فى السنة ، رجعنا فى ذلك إلى أقوال الصحابة ψ ، فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال التى اختصوا بها ، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح ، ولا سيما علماؤهم وكبراؤهم ، كالأئمة الأربعة والخلفاء الراشدين والأئمة المهتدين المهديين وعبد الله بن مسعود ψ [3] .

---

1. انظر بتوسع ، أثر القرآن فى تطور النقد العربى ، محمد زغلول سلام ، رسالة ماجستير مخطوط كلية الآداب جامعة الإسكندرية سنة 1982م من ص39 :ص66 .

2. الإتقان فى علوم القرآن 183/2 .

3. تفسير القرآن العظيم لابن كثير 3/1 .

ويرى الزرقانى أن الإنصاف فى التفسير بالمأثور أنه على نوعين :

أحدهما : ما توافرت الأدلة على صحته وقبوله ، وهذا لا يليق بأحد رده ، ولا يجوز إهماله وإغفاله ، ولا يجمل أن نعتبره من الصوارف عن هدى القرآن ، بل هو على العكس عامل من أقوى العوامل على الاهتداء بالقرآن .

ثانيهما : ما لم يصح مما نقل من غير إسناد أو تثبت أو خرافات مروية عن الإسرائيليات تصادم العقيدة ، فهذا يجب رده ولا يجوز قبوله أو الاشتغال به ، ولا يزال كثير من أيقاظ المفسرين كابن كثير وغيره يتحرون الصحة فيما ينقلون ، ويزيفون ما هو باطل أو ضعيف [1] .

(4- الاعتماد على قوانين اللغة العربية وأحكامها ، لأن القرآن نزل بلغة العرب ، فقال تعالى : { الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } [يوسف/1:2] ، والمفسر لكتاب الله تعالى هنا ، لا يعتمد على المأثور المنقول عن الصحابة ψ أو التابعين ، بل يعتمد على اللغة العربية وفهم أسلوبها على طريقة العرب ، ومعرفة طريقة التخاطب ، وإدراك العلوم الضرورية التى ينبغى أن يكون ملما بها كل من أراد تفسير القرآن ، كالنحو والصرف وعلوم البلاغة وأصول الفقه ، ومعرفة أسباب الترول إلى غير ما هنالك من العلوم التى يحتاج إليها المفسر [2] .

---

1. مناهل العرفان للزرقانى ص491 .

2. التبيان فى علوم القرآن ، محمد بن على الصابونى ص 153.

وربما يطلقون على هذا التفسير التفسير بالرأى ، والمراد بالرأى هنا الاجتهاد المبنى على أصول صحيحة ، وقواعد سليمة متبعة ، يجب أن يأخذ بها من أراد الخوض فى تفسير الكتاب أو التصدى لبيان معانيه ، وليس المراد به مجرد الرأى أو مجرد الهوى ، أو تفسير القرآن بحسب ما يخطر للإنسان من خواطر ، أو بحسب ما شاء ، كما قال ابن عطية :

(يسأل الرجل على معنى فى كتاب الله عز وجل ، فيتسور عليه برأيه دون نظر فيما قال العلماء ، واقتضته قوانين العلم كالنحو والأصول ، وليس يدخل فى هذا الحديث أن يفسر اللغويون لغته ، والنحويون نحوه ، والفقهاء معانيه وأحكامه ، ويقول كل واحد باجتهاده المبنى على قوانين العلم والنظر ، فإن القائل على هذه الصفحة ليس قائلا بمجرد رأيه) [1] ، وقال القرطبي : (من قال فى القرآن بما سنح فى وهمه ، أو خطر على باله من غير استدلال عليه بالأصول ، فهو مخطئ مذموم وعليه يحمل حديث ابن عباس τ عن النبي ε قال : " اتقوا الحديث عني إلا ما علمتم ، فمن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار ، ومن قال في القرآن برأيه ، فليتبوأ مقعده من النار " [2] ويعنى من قال فى القرآن قولا يعلم أن الحق غيره ، فليتبوأ مقعده من النار) [3] .

---

1. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 32/1 .
2. أخرجه الترمذى برقم (2951) وضعفه الألبانى من هذا الطريق 5/ص199 ولكنه صحيح بغير هذا اللفظ .

3. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 32/1 .

وهذا التفسير فى الجملة يكون محمودا إذا كان موافقا لغرض الشارع بعيدا عن الجهالة والضلالة متمشيا مع قواعد اللغة ، معتمدا على أساليبها فى فهم النصوص القرآنية الكريمة ، فمن فسر القرآن ملتزما الوقوف عند هذه الشروط معتمدا عليها فيما يرى من معانى الكتاب العزيز كان تفسيره جائز سائغا [1] .

- **التأويل فى القرآن والسنة :**

التأويل فى اللغة بمعنى الرجوع والمآل والعود والمصير والعاقبة [2] ، وقد استعمل التأويل فى الكتاب والسنة وبين الصحابة ψ والتابعين على معنيين :

المعنى الأول : هو الحقيقة التى يؤول إليها الكلام ، أو حقيقة ما ينطبق عليه اللفظ [3] ، وهذا المعنى هو الذى جاء فى القرآن ، فلقد تكررت كلمة التأويل

---

1. انظر للتوسع فى معرفة هذه الضوابط على وجه التفصيل ، النص القرآنى بين التفسير والتأويل ، للدكتور عبد الفتاح سلامة ، رسالة دكتوراه ، بمكتبة كلية أصول الدين جامعة الأزهر الشريف بالقاهرة سنة 1979م ، وابن جرير الطبرى ومنهجه فى التفسير لمحمود محمد السيد شبيكة ، رسالة دكتوراه بمكتبة كلية أصول الدين جامعة الأزهر الشريف بالقاهرة سنة 1976م ، ونشأة التفسير واتجاه تطوره ، إعداد السيد أحمد خليل رسالة ماجستير بمكتبة كلية الآداب جامعة القاهرة 1947م ، والتفسير بين الرأى والأثر إعداد محمد حلمى محمود أبو غزالة ، رسالة ماجستير بمكتبة جامعة أم القرى بمكة المكرمة سنة1397هـ .
2. انظر لسان العرب لابن منظور 33/13 ، ومعجم مقاييس اللغة 159/1 ، وتهذيب اللغة للأزهرى 437/15 .

3. الرسالة التدمرية لابن تيمية ص57 ، والفتوى الحموية ص19 .

فى القرآن فى أكثر من عشرة مواضع ، كان معناها فى جميع استعمالاتها الحقيقة التى يؤول إليها الكلام ، أو الأثر الواقعى لمدلول اللفظ المستعمل ، سواء كان ذلك فى الماضى أو فى المستقبل ، كقوله تعالى حكاية عن المشركين وتكذيبهم لأخبار القيامة : { هَلْ يَنظُرُونَ إِلا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ } [الأعراف/53] .

فاللَّه تعالى يخبرنا أنهم يوم يتحققون من وقوع ما أخبرهم به فى القرآن من جراء تكذيبهم الرسل ، يعلمون يقينا أن ما جاءت به الرسل ، كان هو الحق الذى لا ريب فيه فيقولون : { رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ } [السجدة/12] { قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ } [الأعراف/53] (1) .

ووقوع هذه الأخبار يوم القيامة ، هو تأويل ما أخبر به القرآن من الوعد والوعيد والجنة والنار وما يؤول إليه أمر هؤلاء ، وقال تعالى : { بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ } [يونس/ 39] ردا على من أنكر الحقائق التى جاء بها القرآن ، حيث كذبوا به مع جهلهم بتلك الحقائق ، ولما يأتهم تأويله أى مصيرهم وعاقبة أمرهم ، ولكون تأويله لم يأتهم بعد ، قالوا : إن محمدا افتراه وأنشأه وسارعوا فى عدائه (2) .

وتأويل أخبار القرآن ، منه ما مضى كإخباره عن الأمم الماضية وما حدث لهم من أمور ، ومنه ما سيأتى كإنبائه عن أحوال القيامة وما فيها من بعث

---

1. انظر تفسير الطبرى 478/12 .

2. السابق 93/15 .

ونشور وحساب وجنة ونار والتأويل بهذا المعنى قد استعمل فى نوعى الأسلوب لأن الكلام نوعان :

1- **إنشائى** : وهذا يشتمل على أمور الشريعة التكليفية ، من الأوامر والنواهى ، وتأويل الأمر فى هذا النوع تنفيذه ومن هنا قال السلف : إن السنة هى تأويل الأمر ، وقالت عائشة أم المؤمنين رضى اللَّه عنها : " كان رسول اللَّه ε يقول فى ركوعه وسجوده : سبحانك اللَّهم وبحمدك ، اللَّهم اغفر لى يتأول القرآن " تعنى أنه كان ينفذ فى سجوده الأمر فى قوله تعالى : { فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا } [النصر/3] (1) .

2- **خبرى** : وهذا يشتمل على إخبار اللَّه عن أمور الغيب ، كالقيامة وأحوالها وأهوالها ، ومن هذا الباب الكلام فى ذات اللَّه وصفاته ، وتأويل هذا النوع هو عين المخبر به إذا وقع ، وليس تأويله فهم معناه ، وهذا النوع لا يعلم حقيقته كيفا ولا قدرا إلا اللَّه سبحانه وتعالى ، لأن اللَّه يقول : { فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [السجدة/17] ،فإن اللَّه أخبر أن فى الجنة خمرا ولبنا وعسلا ، ونحن نعلم أن حقيقة هذه الأشياء ليست مماثلة لحقيقة ما نراه منها فى الدنيا ، بل بينهما تباين عظيم مع وجود نوع من التشابه فى الأسماء ، من قبيل المواطأة أو المشاركة فى الأسماء ، ولكن هناك خاصية لتلك الحقائق فى ذاتها ، لا سبيل لنا إلى إدراكها فى الدنيا لعدم وجود نظيرها عندنا ومعرفة هذه الحقائق على ما هى عليه ، هى تأويل ما أخبر

1. أخرجه البخارى فى كتاب الأذان (784) 281/1.

اللَّه به فى القرآن ، وهذا هو التأويل الذى اختص اللَّه بعلمه ، ولا سبيل لأهل العلم إليه لقوله تعالى : { وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللَّهُ } [آل عمران/7] .

فيجب الوقوف على لفظ الجلالة بهذا الاعتبار ، ولكن يجب التنبه إلى أن جهلنا بحقائق هذه الأشياء فى ذاتها لا ينفى علمنا بالمعنى الذى خوطبنا به فى ذلك ، لوجود الفرق الكبير بين علم المعنى وبين علم التأويل ، والكيفية التى دلت عليها النصوص [1] .

وقد استعمل عبد اللَّه بن مسعود τ التأويل بالمعنى الأول فى الخبر من الكلام وهو وقوع المخبر به ووجوده ، سواء كان ذلك فى الماضى ، كالقصص التى أخبرنا عنها القرآن ، أو فى المستقبل كأخبار القيامة والجنة والنار ، فقد روى أن هذه الآية قرئت على ابن مسعود τ : { يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ } [المائدة/105] .

فقال : " ليس هذا بزمانها قولوها ما قبلت منكم ، فإذا ردت عليكم فعليكم أنفسكم ، ثم قال : إن القرآن نزل حيث نزل ، منه آيات قد مضى تأويلهن قبل أن يترلن ، ومنه آيات وقع تأويلهن على عهد النبى ε ، ومنه آيات وقع

---

1. انظر رسالة الإكليل فى المتشابه والتأويل لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ص21:10 بتصرف ، وانظر أيضا ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل ، للدكتور محمد السيد الجليند ص151 وما بعدها ، وانظر أيضا البرهان فى متشابه القرآن للكرمانى تحقيق ودراسة ، منصور محمد منصور الحفناوى ، رسالة ماجستير بمكتبة كلية دار العلوم جامعة القاهرة رقم 200 لسنة 1975م 1/ 72 .

تأويلهن بعد النبى بيسير ، ومنه آيات يقع تأويلهن يوم القيامة ، وهو ما ذكـــر من الحساب والجنة والنار ، فما دامت قلوبكم وأهواؤكم واحدة ، ولم تلبسوا شيعا ، ولم يذق بعضكم بأس بعض ، فأمروا وانهوا ،فإذا اختلفـــت القلـــوب والأهواء ، وألبستم شيعا ، وذاق بعضكم بأس بعض ، فامرؤ ونفسه فعند ذلك جاء تأويلها " [1] .

وعن عائشة رضى اللَّه عنها قالت : " قرأ رسول اللَّه ε هذه الآية : { هُـــوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَـــا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَـــا يَذَّكَّرُ إِلا أُولُوا الأَلْبَابِ } [آل عمران/7] قالت : فقال رسول اللَّه ε : فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه ، فأولئك الذين سمّى اللَّه فاحذروهم " [2] .

المعنى الثانى : ورد التأويل فى الكتاب والسنة على معنى التفســـير والبيـــان والمفسرون يقصدون به كشف المعنى وتوضيح مراد المتكلم ، وهـــذا التأويـــل كالتفسير يحمد حقه ويرد باطله ، وحين قرأ عبد اللَّه بـــن عبـــاس τ الآيـــة

1. انظر تفسير سورة الإخلاص لابن تيمية ص 107 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب التفسير ، باب منه آيات محكمات (4273) 1655/4 وانظر المحكم والمتشابه فى القرآن الكريم ، إعداد إبراهيم عبد الرحمن خليفة ، رسالة دكتوراه مخطوط بمكتبة كلية أصول الدين جامعة الأزهر الشريف بالقـــاهرة ، ســـنة 1973م ص117 .

السابقة ، قال : " أنا ممن يعلمون تأويله " [1] .

ومقصده بهذا القول هو العلم وتفسير القرآن وبيانه ، وكذلك دعاء رسول اللَّه ε له : " اللَّهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل " [2] وكل ما ورد عن ابن عباس τ من أنه يعلم تأويل القرآن ، فيجب حمله على معنى التفسير والبيان ولا يجوز القول بأنه يعلم حقائق الغيب ، أوتأويل الأخبار الواردة عنها فى القرآن لأن ذلك من الغيوب التى استأثر اللَّه بعلمها .

والطبرى فى تفسيره قد استعمل التأويل أيضا فى معنى التفسير والبيان ، إذ يقول : تأويل الآية عندنا كذا ، ثم يشرع فى تفسيرها ، وقال أهل التأويل فيها كذا ثم يحكى أقوال المفسرين من السلف فيها ، والأشبه بتأويل الآية كذا ومراده بكل ذلك تفسير الآية وتوضيح معناها ، ونظرا لكثرة استعمال التأويل فى هذا المعنى عند السلف ولشيوعه بينهم اختلط بمعنى التفسير ، وأصبح كل منهما يستعمل حيث يستعمل الآخر ، فإذا كان مقصدهم بالتأويل هو التفسير وتوضيح المعنى المخاطب به فإنه يجوز الوقف على قوله : { وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ } [آل عمران/7] بعطف الراسخين فى العلم على لفظ الجلالة .

1. تفسير ابن جرير الطبرى 170/6 ، وتفسير سورة الإخلاص لابن تيمية ص120 وتفسير ابن كثير 328/1 .
2. رواه الإمام أحمد بلفظه 1/ 266 ، والحديث صحيح ، أخرجه البخارى فى كتاب المناقب بلفظ : (اللَّهم علمه الحكمة) رقم (3546) 1371/3 ، وابن ماجه فى المقدمة بلفظ : (اللَّهم علمه الحكمة وتأويل الكتاب) رقم (164) 58/1 والطبرانى فى المعجم الكبير 84/1 .

- **التأويل فى اصطلاح المتأخرين :**

اشتهر التأويل فى عرف المتأخرين من الفقهاء ورجال الأصول ، بمعنى صرف الآية عن معناها الظاهر إلى معنى تحتمله ، إذا كان هذا المعنى الذى تصرف إليه الآية موافقا للكتاب والسنة ، وقد اشتهر هذا التأويل فى كتب الأصول والفقه وكأنه هو المقصود عند إطلاق كلمة التأويل ، وأصبح من الشهرة بحيث تجاهلوا بجانبه المعنى اللغوى العام الوارد فى القرآن والسنة ، وقد استخدم المفسرون من المتكلمين وكثير من الصوفية والباطنية التأويل بهذا المعنى فى تفسير مذاهبهم [1] .

وربما يعرف هذا التأويل فى الاصطلاحات المتأخرة بالمجاز اللغوى المقابل للحقيقة ، وهذا النوع يقبل بشروط معينة ، أو أحكام موضوعة لمعرفة الدلالة المجازية للألفاظ ، ولابد من الالتزام بها حتى يقبل ، ويتمثل أهمها فيما يلى :

1- بيان أن ذلك اللفظ مستعمل بالمعنى المجازى ، وأن ذلك المجاز مما يراد من اللفظ ، لأن لغة القرآن يجب أن تفسر فى ضوء العرف اللغوى العام الذى كان سائدا فى عصر نزوله .

2- أن يكون هناك دليل قاطع فى وجوب صرف اللفظ وتأويله من الحقيقة إلى المجاز ، لأن المتأخرين اشترطوا فى التأويل وحمل اللفظ على المعنى المجازى ، وجود الدليل الصارف له عن الحقيقة ، ولا بد أن ذلك الدليل

1. انظر بتوسع ، قضية التأويل عند الإمام ابن تيمية ، رسالة ماجستير للدكتور محمد السيد الجليند ، دار العلوم جامعة القاهرة رقم 113، 1970م ص153 وما بعدها .

قاطعا فى دلالته .

3- لابد أن يسلم الدليل عن المعارض ، فإذا قام دليل قرآنى أو فطرى يبين أن الحقيقة مراده ، امتنع تركها ، فإذا كان الدليل نصا فى الدلالة ، لم يلتفت إلى نقيضه ، وإن كان ظاهرا ، فلابد من المرجح ، وعدم علمنا بوجود الدليل المعارض لا يدل على عدم وجوده ، بل قد يكون هناك دليل يمنع الصرف إلى المجاز ولكن لا نعلمه .

4- إذا تكلم الرسول بكلام وأراد به خلاف ظاهره ، فلا بد أن يقرن بخطابه دليلا آخر يبين أن الحقيقة غير مرادة ، ولا سيما فى الخطاب عن الأمور الغيبية ، التى يطلب من العبد فيها الإيمان بها ، والاعتقاد بما جاءت به وفقط ، وهذا ما يسميه علماء البيان بالقرينة المانعة من إيراد المعنى الأصلى للفظ ، وإذا لم ينصب لهم الرسول ε دليلا على ذلك ، فيكون خطابه للأمة من باب التلبيس والتدليس وليس من باب الهدى والبيان والرسل يتنزهون عن ذلك ، وإذا أقام دليلا على إرادة المجاز لا الحقيقة فلابد أن يكون دليلا بينا وواضحا ظاهرا بنفسه ، ولا يجوز أن يحيلهم فى ذلك إلى دليل خفى لا يفهمه إلا بعض الناس وخاصتهم ، لا سيما إذا كان ذلك فيما يتعلق بالأمور الإلهية التى هى أساس الاعتقاد ، حتى لا يكون خطابه فى ذلك أشبه بالأحاجى والألغاز [1] .

1. رسالة الحقيقة والمجاز لابن تيمية ص9 ، وانظر منع جواز المجـاز فى المـنزل للتعبـد والإعجاز إعداد محمد الأمين المختار الشنقيطى ، تحقيق أبو حفص سامى بن العربى =

فإذا اختل واحد من هذه الشروط سقط الإفهام والبيان من الخطـاب ، لأن الخطاب فائدته تتوقف على أمرين :

الأول : حسن بيان المتكلم عما فى نفسه من المعانى بالألفاظ الدالة على ذلك .

الثانى : تمكن السامع من الفهم وحسن تقبله للخطاب ،فإذا افتقد أحد هـذين الأمرين لم يحصل المطلوب ولا يكون للخطاب فائدة ما وكان الخطـاب نوعا من العبث (1) .

- **أنواع التأويلات الباطلة :**

ويمكن حصر أنواع التأويلات الباطلة الممقوتة ، التى تخالف مقتضى اللغـة فيما يأتى :

[1] –كل تأويل لا يحتمله اللفظ فى أصل وضعه ، وكما جرت به عادة الخطاب بين العرب ، كتأويلهم لفظ الأحد فى قول الله تعالى : { قُلْ هُوَ اللَّـهُ أَحَدٌ } [الإخلاص/1] بأنه المجرد من الصفات ، أو هو الذى لاجزء له ولا قسيم له فإن هذا غير معروف فى لغة العرب .

[2] – كل تأويل لا يحتمله اللفظ بحسب التركيب الخاص من تثنية وجمع وإن جاز أن يحتمله اللفظ فى تركيب آخر ، كتأويلهم قوله تعالى : { قَالَ

= مكتبة السنة ص 26: 60 بتصرف ، وانظر أيضا المجاز فى القرآن بين مثبتيه ونافيه إعداد عبد السلام محمد وفا ، رسالة دكتوراه بمكتبة كلية أصول الدين جامعة الأزهر الشريف بالقاهرة سنة 1986م .

1. انظر قضية التأويل عند الإمام ابن تيمية ص181 .

يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ } [ص/75] بأن اليدين هما القدرة أو النعمة ، فإن لفظ اليد مفردا وعند إطلاقه قد يحتمل أحد هذين المعنين ، أما وهو فى صيغة التثنية ، وفى هذا التركيب بالذات ، فإنه لم يرد فى لغة العرب بهذا المعنى .

[3] – كل تأويل لا يحتمله السياق المعين ، وإن جاز فى غيره ، كتأويلهم قوله تعالى : { هَلْ يَنظُرُونَ إِلا أَنْ تَأْتِيَهُمْ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ } [الأنعام/158] ، بأن إتيان الرب هنا معناه إتيان بعض آياته ، أو إتيان أمره ، فهذا التأويل لا يحتمله السياق بحال من الأحوال .

[4] – كل تأويل لا يؤلف استعمال اللفظ فى ذلك المعنى المراد فى لغة المخاطب ، وإن كان مألوفا كاصطلاح خاص ، كتأويل لفظ الأفول بالحركة فى قوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام : { فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ } [الأنعام/76] ، فإن هذا غير معهود فى لغة العرب ، بل المعهود الأفول بمعنى الغياب ، فلا يجوز حمل آية من القرآن عليه لأنه نوع من التلبيس .

[5] – التأويل الذى لا دليل عليه من سياق أو قرينة ، لأن هذا لا يقصده المتكلم الذى يريد فى خطابه هداية الناس والبيان لهم [1] .

1. مقدمة فى أصول التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية ص43 وما بعدها .

- **تفسير الصوفية للقرآن :**

عرف التفسير الصوفى بالتفسير الإشارى ، ويتمثل على زعمهم فى أن يرى المفسر معنى آخر غير المعنى الظاهر ، ربما تحتمله الآية الكريمة ولكنه لا يظهر للعامة من الناس ، وإنما يظهر لخاصتهم ومن فتح الله قلبه وأنار بصيرته وسلكه ضمن عباده الصالحين ، الذين منحهم الله الفهم والإدراك ، وهذا النوع من العلم ليس من العلم الكسبى الذى ينال بالبحث والمذاكرة وإنما هو من العلم الوهبى الذى هو أثر التقى والاستقامة والصلاح ، كما قال تعالى :

{ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمْ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } [البقرة/282] .

والتفسير الصوفى يعتمد أساسا على أن للقرآن ظاهرا وباطنا ، ويقصد بالظاهر الشريعة وبالباطن الحقيقة ، وعلم الشريعة علم المجاهدة ، وعلم الحقيقة علم الهداية ، وعلم الشريعة علم الآداب وعلم الحقيقة علم الأحوال ، وعلم الشريعة يعلمه علماء الشريعة وعلم الحقيقة يعلمه العلماء بالله ، يقول السلمى فى مقدمة تفسيره عن الباعث لإقدامه على كتابة تفسير القرآن :

(لما رأيت المتوسمين بعلوم الظاهر قد سبقوا فى أنواع فرائد القرآن ، من قراءات وتفاسير ومشكلات وأحكام وإعراب ولغة ومجمل ومفصل وناسخ

ومنسوخ ، و لم يشتغل أحد منهم بفهم الخطاب على لسان أهل الحقيقة إلا آيات متفرقة ، أحببت أن أجمع حروفا أستحسنها من ذلك وأضم أقوال مشايخ أهل الحقيقة إلى ذلك وأرتبه على السور حسب وسعى وطاقتى) [1] .

1. تفسير القرآن الكريم على الطريقة الصوفية ، دراسة وتحقيق حقائق التفسير لأبى =

ويقول سهل بن عبد الله التسترى فى تفسيره ، وهو أول ما ظهر للصوفية من تفسير للقرآن : (ما من آية فى القرآن إلا ولها أربعة معان ، ظاهر وباطن وحد ومطلع ، فالظاهر التلاوة ، والباطن الفهم والحد حلالها وحرامها والمطلع إشراف القلب على المراد بها فقها من الله عز وجل ، فالعلم الظاهر علم عام ، والفهم لباطنه والمراد به خاص) [1] .

وقد ظهر أيضا تفسير ثالث للعبد الكريم القشيرى سلك فيه مسلك الصوفية فى إدراك الإشارات التى يراها الصوفى خلف آيات القرآن ، وسماه لطائف الإشارات ، قال عن الباعث لتأليفه :

(وكتابنا هذا يأتى على طرف من إشارات القرآن على لسان أهل المعرفة إما من معانى قولهم أو قضايا أصولهم ، سلكنا فيه طريق الإقلال خشية الملال مستمدين من الله تعالى عوائد المنة ، متبرئين من الحول والمنة مستعصمين من الخطأ والخلل ، مستوثقين لأصوب القول والعمل) [2] .

و لم يظهر فى تاريخ التفسير الإشارى حتى القرن الخامس ، أهم من حقائق التفسير للسلمى ، ولطائف الإشارات للقشيرى وإن كان القشيرى قد استفاد

= عبد الرحمن محمد بن الحسين الأزدى السلمى رسالة ماجستير ، إعداد سلمان نصيف جاسم التكريتى ، مكتبة كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة سنة 1975م ص22 .

1. تفسير القرآن العظيم لسهل بن عبد الله ، مطبعة السعادة ، سنة 1908م ص61 .

2. لطائف الإشارات ، للقشيرى ، تحقيق الدكتور إبراهيم بسيونى ، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، سنة 1981م ، 41/1 .

من السلمى فائدة كبرى واقتبس منه كثيرا من آرائه [1] .

وقد ظهر تفسير القرآن المنسوب لابن عربى ، ولكنه فى الحقيقة للكاشانى السمرقندى ، ويعد هذا التفسير أهم تفسير إشارى بعد اللطائف ، قال مؤلفه فى مقدمته : (ما نزل من القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن ، ولكل حرف حد ومطلع ، فالظهر هو التفسير ، والبطن هو التأويل ، والحد هو ما تتناهى إليه الفهوم من معنى الكلام ، والمطلع ما يصعد إليه منه فيطلع على شهود الملك العلام) [2] .

ويمكن القول باستقراء التفسيرات الصوفية السابقة أن السمة الغالبة فى التفسير الإشارى لدى الصوفية تتمثل فيما يلى :

(1- أن للقرآن ظاهرا وباطنا ، وأن الظاهر للعوام والباطن لا يدركه إلا الخواص وإدراك الخواص مستمد من فيض إلهى ينير بصائرهم ، ويكشف لهم على زعمهم عن معارف لدنية مباشرة .

(2- أن العلم بالقرآن على هذا النحو يفترق عن العلوم القرآنية الأخرى فى بدايته وفى طرائقه وفى غاياته ، فضلا عن أنه يفترق عن سائر العلوم بضرورة العمل ، فالعالم لابد أن يكون عاملا وعمله هو جهاده ورياضاته التى تؤدى إلى

1. تاريخ أدبيات در إيران للدكتور ذبيح الله صفا الطبعة الثالثة سنة1339هت257/2 .

2. تفسير ابن عربى 4/1 وانظر تحقيق نسبته فى تفسير المنار18/1 ، ومحى الدين بن عربى مفسرا ، إعداد حامد محمود الزفرى ، رسالة دكتوراه ، بمكتبة كلية أصول الدين جامعة الأزهر القاهرة سنة 1972م ص174.

صقل إرادته وشحذ همته وتنقية مرآته الباطنية من كل شائبة ، فالتفسير عموما ليس تفسيرا مباشرا ، بل يسلك تزكية النفوس وتطهير القلوب والحث على التحلى بالأخلاق الفاضلة .

(3 – أن التفسير الإشارى وإن كان يعتمد على ما وراء العبارة الظاهرية إلا أنه لم تخل من بعض ما نقل من الآثار على النحو المذكور فى التفسير بالمأثور أو التفسير بالرأى بالطريقة الاستنباطية ، أو تفسيرات تعتمد على معانى الألفاظ والتفسيرات بلاغية .

(4– تتعرض هذه التفسيرات لكثير من المعانى والمصطلحات الصوفية التى تكشف عن طريقتهم وتجربتهم ، لا سيما أنهم يوجهون الآيات كشواهد لهذه الرموز والمصطلحات .

(5– ومع ما فيها من معانى تقبل بصعوبة ، أو يلتمس لها وجها تحمل عليه بمشقة ، إلا أن هناك معان مشكلة تصل فى بعض الأحيان إلى الكفر والزندقة .

6)- لم تسلم هذه التفسيرات من الإسرائيليات ، والاستشاد بغير القرآن والسنة ، ولم تتبع الدقة فى تحرى ثبوت الحديث ، أو مراعات التعليق على الأسانيد ، وكذلك لم تخل من فكر باطنى [1] .

---

1. انظر الموافقات للشاطبى 403/3 وما بعدها ، وانظر أيضا فى التفسير الصوفى للقرآن إعداد حسن عبد التواب رسالة دكتوراه بمكتبة كلية أصول الدين جامعة الأزهر الشريف القاهرة ، سنة 1972م ص144 .

- **أدلة المجيزين للتفسير الإشارى :**

استدل الصوفية بكثير من الآيات القرآنية العامة ، التى تدعو إلى التدبر وفهم كتاب الله بالتأمل وحسن الاستماع ، كقوله تعالى : { الم ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ } [البقرة/3:1] وكقوله :

{ فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا } [النساء/78] ، والمعنى لا يفهمون عن الله مراده من الخطاب ، ولم يرد أنهم لا يفهمون نفس الكلام وكقوله تعالى : { أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا } [محمد/24] حيث دل على أن ظاهر المعنى شئ وهم عارفون به لأنهم عرب ، والمراد هو شئ آخر وهو الذى لا شك فيه أنه من عند الله ، والتدبر إنما يكون لمن التفت إلى المقاصد ، وذلك ظاهر فى أنهم أعرضوا عن مقاصد القرآن ، فلم يحصل منهم تدبر ، وكقوله تعالى : { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ } [ق/37] ، وقال أبو سعيد الخراز : (أول الفهم

لكتاب الله عز وجل العمل به ، لأن فيه العلم والفهم والاستنباط ، وأول الفهم إلقاء السمع والمشاهدة لقوله عز وجل : { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ } [ق/37] [1] .

ويواصل السراج الطوسى استدلاله على التفسير الإشارى فيقول : (وقال تعالى : { الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ } [الزمر/18] فالقرآن كله حسن

1. اللمع فى التصوف للسراج الطوسى ص 113 .

ومعنى اتباع الأحسن ، ما يكشف للقلوب من العجائب عند الاستماع وإلقاء السمع من طريق الفهم والاستنباط) [1] .

ومن السنة يستدلون بقوله ε : " لكل آية ظهر وبطن ولكل حرف حد ومطلع" [2] ، فلفظ الظاهر والباطن على زعمهم قرآنيان ، ولا يمكن الاعتراض على الفكرة القائلة بأن فى القرآن ناحية واضحة تدرك فى ضوء الاشتقاق ، وأن به ناحية أخرى ربما كانت أخفق وأعمق بالنسبة للأولى ، لأن هذه الفكرة يمكن أن تطبق فى الواقع على أى نص فكل نص له ناحية قريبة مباشرة تدرك بلا عناء ، وناحية أخرى تحتاج إلى تعمل وجهد فى استيعابها وفهمها ، كما لا يمكننا أن ننكر أن الحقيقة الإنسانية الثابتة تشير إلى عدم تساوى الناس فى الفهم والإدراك ، وقد ظهرت تلك الحقيقة فى حياة الرسول ε وصحابته ψ الذين تفاوتت أقدارهم فى سرعة ومدى فهمهم للقرآن ، وهذا يفسر ما أثر عنهم من تفسيرات مختلفة [3] .

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : " كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر فقال بعضهم : لم تدخل هذا الفتى معنا ولنا أبناء مثله ؟ فقال : إنه ممن قد

1. اللمع فى التصوف للسراج الطوسى ص 113 .
2. لا أصل له ، و لم أجده في كتب السنة مرفوعا إلى النبى ε ولكنه أثر موقوف على عبد الله بن مسعود τ ولفظه قال : " إن القرآن ليس منه حرف إلا له حد ولكل حد مطلع " انظر معجم الطبرانى الكبير رقم (8667) 136/9 .
3. انظر التصوف طريقا وتجربة ومذهبا للدكتور محمد كمال جعفر ص157 بتصرف .

علمتم قال : فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم ، قال : وما أريته دعاني يومئذ إلا ليريهم مني ، فقال : ما تقولون في : { إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا } [النصر/2:1] حتى ختم السورة ؟ فقال بعضهم : أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا ، وقال بعضهم : لا ندري أو لم يقل بعضهم شيئا ، فقال لي : يا بن عباس أكذاك تقول ؟ قلت : لا ، قال : فما تقول ؟ قلت : هو أجل رسول الله ε أعلمه الله له : { إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ } فتح مكة ، فذاك علامة أجلك { فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا } [النصر/4:3] قال عمر τ : ما أعلم منها إلا ما تعلم " (1) .

والشاهد هنا أن ابن عباس τ فهم من خطاب الله معنى خفيا وراء ظاهر الألفاظ لم يدركه عامة الصحابة فى مجلسهم ، وهذا يشبه عمل الصوفية فى التفسير الإشارى .

ومثله أيضا ما روى عن أبي سعيد الخدري τ أن رسول الله ε جلـــس علـــى المنبر فقال : " إن عبدا خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده فاختار ما عنده ، فبكى أبو بكر وقال : فديناك بآبائنا وأمهاتنا ، فعجبنا له وقال الناس : انظروا إلى هذا الشيخ ، يخبر رسول الله ε عن عبد خـــيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا وبين ما عنده ، وهو يقول فديناك بآبائنا وأمهاتنا فكان رسول الله ε هو المخير ، وكان أبو بكر هو أعلمنا به .

وقال رسول الله ε : إن من أمن الناس علي في صحبته وماله أبا بكر ، ولـــو

1. أخرجه البخارى برقم (4043) 1563/4 .

كنت متخذا خليلا من أمتي لاتخذت أبا بكر إلا خلة الإسلام ، لا يبقين في المسجد خوخة إلا خوخة أبي بكر " [1] .

فأبو بكر الصديق فهم بطريق الإشارة ما لم يفهمه عامة الصحابة وأسعد بذلك رسول الله ε وكان الأمر كما قال .

وعن عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ كَرِهَ لِزَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ نَسْخَ الْمَصَاحِفِ ، وَقَالَ : يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ أُعْزَلُ عَنْ نَسْخِ كِتَابَـــةِ الْمُصْحَفِ وَيَتوَلاهَا رَجُلٌ وَاللَّهِ لَقَدْ أَسْلَمْتُ وَإِنَّهُ لَفِي صُلْبِ رَجُلٍ كَافِرٍ ، يُرِيدُ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ ، وَلِذَلِكَ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ τ : يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ اكْتُمُوا الْمَصَاحِفَ الَّتِي عِنْدَكُمْ وَغُلُّوهَا ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ : { وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَـــلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ } [آل عمران/161] فَالْقُوا اللهَ بِالْمَصَاحِفِ [2] .

فالغلول ، وهو إخفاء الغنائم طمعا قبل تقسيمها فعل المجرمين ، وظاهر الآية ورد فى عقابهم وفضحهم يوم القيامة ، وقد استخدمها ابن مسعود τ بطريــق الإشارة فيمن غل القرآن وأخفاه ، ويرد عليهم بأن الصحابة انكروا عليه ذلك فقَالَ الزُّهْرِيُّ :

(فَبَلَغَنِي أَنَّ ذَلِكَ كَرِهَهُ مِنْ مَقالَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ رِجَالٌ مِنْ أَفَاضِلِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ε) [3] .

---

1. أخرجه البخارى برقم (3691) 1417/3 .
2. أخرجه الترمذى فى كتاب تفسير القرآن (3104) 282/5 حسن صحيح .
3. السابق 5/ 282.

- **آراء العلماء فى التفسير الإشارى :**

اختلف العلماء فى التفسير الإشارى ، وتباينت فيه أراؤهم فمنهم من أجازه ومنهم من منعه ، ومنهم من عده من كمال الإيمان ومحض العرفان ، ومنهم من اعتبره زيغا وضلالا وانحرافا عن دين الله تبارك وتعالى .

والواقع أن الموضوع دقيق يحتاج إلى بصيرة وروية ونظرة إلى أعماق الحقيقة ليظهر ما إذا كان الغرض من هذا النوع من التفسير هو اتباع الهوى والتلاعب فى آيات الله كما فعل الباطنية والشيعة [1] ، فيكون ذلك من قبيل الزندقــة والإلحاد ، أو الغرض منه الإشارة إلى أن كلام الله تعالى يعز أن يحيط به بشر إحاطة تامة ، وأن كلامه تعالى وضعت فيه مفاهيم وأسرار ودقائق وعجائب لا تنقضى على مدار الأزمان ، ويتوالى إعجازه مرة بعد أخرى ، فيكون ذلك من

محض العرفان وكمال الإيمان ، كما نسب السيوطى إلى ابن عباس رضى الله عنهما : " إن القرآن ذو شجون وفنون وظهور وبطون ، لا تنقضى عجائبه ولا تبلغ غايته ، فمن أوغل فيه برفق نجا ومن أوغل فيه بعنف هوى ، أخبار وأمثال

1. انظر للمقارنة والتوسع فى هذه النقطة ، الفكر السياسى عند الباطنية وموقف الغزالى منه ، إعداد أحمد عرفات أبو الحسن القاضى رسالة ماجستير بكلية دار العلوم جامعة القاهرة 1988م ، الفصل الخاص بحيل الباطنية وأصناف المتبعين لهم ص 217:19 . ومذهب التأويل عند الشيعة الباطنية ، دراسة تحليلية نقدية ، إعداد محمد محمود عبد الحميد رسالة ماجستير بالموضع السابق سنة1983، وانظر أيضا الشيعة الإمامية الاثنا عشرية ومنهجهم فى التفسير إعداد محمد محمد إبراهيم العسال ، رسالة دكتوراه بمكتبة كلية أصول الدين ، جامعة الأزهر الشريف بالقاهرة سنة1981م .

وحلال وحرام ، وناسخ ومنسوخ ، ومحكم ومتشابه ، وظهر وبطن ، فظهره التلاوة ، وبطنه التأويل ، فجالسوا به العلماء وجانبوا به السفهاء " [1] .

ويمكن أن نعرض أهم آراء العلماء التى نسترشد بها فى تحديد شروط قبول التفسير الإشارى فمن ذلك :

(1- رأى ابن الصلاح : ينقل ابن الصلاح عن الإمام أبى الحسن الواحدى المفسر أنه قال : (صنف أبو عبد الرحمن السلمى حقائق التفسير ، فإن كان قد اعتقد أن هذا تفسير فقد كفر) ثم يعقب على ذلك بقوله : (وأنا أقول : الظن بمن يوثق به منهم أنه إذا قال شئ من أمثال ذلك أنه لم يذكره تفسيرا ولا ذهب به مذهب الشرح للكلمة المذكورة من القرآن العظيم ، فإنه لو كان كذلك

كانوا قد سلكوا مسلك الباطنية ، وإنما ذلك ذكر منهم لنظير ما ورد به القرآن فإن النظير يذكر بالنظير ومن ذلك ، قتال النفس فى الآية المذكورة فى قولـه تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنْ الْكُفَّارِ } [التوبة/123] فكأنه قال : أمرنا بقتال النفس ومن يلينا من الكفار ومع ذلك فياليتهم لم يتساهلوا فى مثل ذلك لما فيه من الإلهام والإلباس) [2] .

(2- رأى الشاطبى : يقسم الشاطبى الاعتبارات القرآنية الواردة على القلوب الطاهرة وأصحاب البصائر إذا صحت على كمال شروطها على ضربين :

---

1. الإتقان فى علوم القرآن 185/2 .
2. انظر فتاوى ابن الصلاح فى التفسير والحديث والأصول والفقه ، تحقيق الدكتور عبد المعطى أمين قلعجى ، الطبعة الأولى ، دار الوعى ، سوريا 1403هـ ، 29/1 .

1- ما يكون أصل انفجاره من القرآن ويتبعه سائر الموجودات ، فإن الاعتبار الصحيح فى الجملة هو الذى يخرق من البصيرة فى حجب الأكوان من غير توقف ، فإن توقف فهو غير صحيح حسبما بينه أهل التحقيق بالسلوك .

2- ما يكون انفجاره من الموجودات كليا أو جزئيا ويتبعه الاعتبار فى القرآن . فإن كان الأول فهذا الاعتبار صحيح وهو معتمد على فهم باطن القرآن من غير إشكال ، وإن كان الثانى فالتوقف على اعتباره فى فهم باطن القرآن لازم وأخذه على إطلاقه ممتنع لأنه بخلاف الأول [1] .

(3- رأى تاج الدين بن عطاء الله : ويعتبر ابن عطاء الله تفسير الصوفية لكلام الله ورسوله ε بالمعانى الغريبة ، ليس إحالة للظاهر عن ظاهره ، ولكن

ظاهر الآية مفهوم منه ما جلبت الآية له ودلت عليه فى عرف اللسان ، وثمة أفهام باطنة تفهم عند الآية والحديث لمن فتح الله قلبه ، وقد جاء فى الحـــديث لكل آية ظهر وبطن ، فلا يصدنك عن تلقى هذه المعانى منهم أن يقول لك ذو جدل ومعارضة هذا إحالة لكلام الله ورسوله ، فليس ذلك بإحالة وإنما يكـــون إحالة لو قالوا : لا معنى للآية إلا هذا وهم لم يقولوا ذلك بل يقرون بالظواهر على ظواهرها مرادا بها موضوعاتها ويفهمون عن الله ما أفهمهم [2] .

(4- رأى حاجى خليفة : يرى حاجى خليفة أن التصوف علم يعرف به

1. الموافقات فى أصول الشريعة للإمام الشاطبى ، المطبعة التجارية بمصر ، 272/3 .
2. الإتقان للسيوطى 314/2 ، والأثر المذكور موقوف على عبد الله بن مسعود τ وقد تقدم تخريجه ص114 .

كيفية رقي أهل الكمال من النوع الانساني في مدارج سعادتهم ، والأمور العارضة لهم في درجاتهم ، بقدر الطاقة البشرية ، وأما التعبير عن هذه الدرجات والمقامات كما هو حقه ، فغير ممكن لأن العبارات إنما وضعت للمعاني التي وصل إليها فهم أهل اللغات ، وأما المعاني التي لا يصل إليها إلا غائب عن ذاته فضلا عن قوى بدنه ، فليس يمكن أن يوضع لها ألفاظ ، فضلا عن أن يعبر عنه بألفاظ ، فكما أن المعقولات لا تدرك بالأوهام والموهومات ، لا تـــدرك بالخياليات ، والتخيلات لا تدرك بالحواس ، كذلك ما من شأنه أن يعاين بعين اليقين لا يمكن أن يدرك بعلم اليقين ، فالواجب على من يرد ذلك أن يجتهد في الوصول إليه ، بالعين دون أن يطلبه بالبيان فإنه طور وراء طور العقل [1] .

5- رأى سعد الدين التفتازانى : فى شرحه للعقائد النسفية وتحت قول النسفى : (النصوص على ظاهرها والعدول عنها إلى معان يدعها أهل الباطن إلحاد) علق سعد الدين التفتازانى بقوله : (سميت الملاحدة باطنية لادعائهم أن النصوص ليست على ظاهرها ، بل لها معان باطنة لا يعرفها إلا المعلم وقصدهم فى ذلك نفى الشريعة بالكلية ، وأما ما يذهب إليه بعض المحققين بأن النصوص على ظاهرها ، ومع ذلك فيها إشارات خفية إلى دقائق تكشف عن أرباب السلوك ، يمكن التوفيق بينها وبين الظواهر المرادة ، فهى من كمال الإيمان ومحض العرفان)[1] .

6- رأى محى الدين ابن عربى :

يقول : (وكما كان أصل تنزيل الكتاب من الله على أنبيائه ، كان تنزيلا للفهم على قلوب بعض المؤمنين ، والأنبياء ما قالت على الله ما لم يقل لها ، ولا أخرجت ذلك من نفوسها ولا أفكارها ، ولا تعملت فيها ، بل جاءت من عند الله ، قال تعالى : { تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ } [فصلت/42] وقال فيه : { لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ } [فصلت/42] ، وإذا كان الأصل المتكلم فيه من عند الله لا من فكر الإنسان ورؤيته ، وعلماء الرسوم يعلمون ذلك ، فينبغى

1. كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ، تأليف مصطفى بن عبد الله ، المشهور بحاجى خليفة ، نشرة المستشرق جوستاف فلويجل ، طبعة مكتبة المثنى ، بغداد ، بدون تاريخ 413/1 ، وكلام حاجى خليفة يفتح بابا لا يغلق لتلبيس للباطنية وتراهات الصوفية ، وكل من اكتسى بزيهم .

أن يكون أهل الله العاملون به أحق بشرحه ، وبيان ما أنزل الله فيه من علماء الرسوم فيكون شرحه أيضا تنزيلا من عند الله على قلوب أهل العلم كما كان الأصل) [2] .

(7- رأى أبى حامد الغزالى :

1. العقائد النسفية وشرحها لسعد الدين التفتازانى ص143 .
2. الفتوحات المكية 280/1 ، وينبغى التنبيه على أن ابن عربى يقول هذا الكلام كخطاب لأهل الظاهر ، أما حقيقة مذهبة ، فكلام الصوفية وغيرهم فى القرآن وغيره هو كلام الله على اعتبار أنه تجلى فى هذه التعينات فتنبه ، انظر المزيد عن رأى ابن عربى فى التفسير الإشارى للقرآن ، محى الدين بن عربى مفسرا ، إعداد حامد محمود الزفرى ، رسالة دكتوراه ، بمكتبة كلية أصول الدين ، جامعة الأزهر ، القاهرة سنة 1972م .

يقول الغزالى : (لا تظنن فى ضرب الأمثال ، فرصة منى فى رفع الظواهر واعتقادا فى إبطالها حتى أقول مثلا لم يكن مع موسى نعلان و لم يسمع الخطاب بقوله : { فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ } [طــه/12] حاشا لله فإن إبطال الظواهر رأى الباطنية الذين نظروا بعين عوراء إلى أحد العالمين ، وجهلوا جهلا بالموازنة بينهما ، فلم يفقهوا وجهه ، كما أن إبطال الأسرار مذهب الحشوية ، فالذى يجرد الظاهر حشوى ، والذى يجرد الباطن باطنى ، والذى يجمع بينهما كامل ، بل أقول : موسى فهم من خلع النعلين اطرح الكونين ، فامتثل الأمر ظاهرا بخلع النعلين وباطنا بخلع الكونين) [1] .

(8- رأى الأستاذ محمد عبد العظيم الزرقانى :

يرى الزرقانى أن بعض الناس قد فتنوا بالإقبال على دراسة تلك الإشارات والخواطر ، فدخل فى روعهم أن الكتاب والسنة بل والإسلام كله ما هـــو إلا سوانح وواردات على هذا النحو من التأويلات والتوجيهات ، وزعمـــوا أن الأمر ما هو إلا تخييلات ، وأن المطلوب منهم هو الشطح مع الخيال أينما شطح فلم يتقيدوا بتكاليف الشريعة ، ولم يحترموا قوانين اللغة العربية فى فهم أبلـــغ النصوص العربية ، كتاب الله وسنة رسوله ε والأدهى من ذلك أنهم يتخيلـــون ويخيلون للناس أنهم هم أهل الحقيقة ، الذين أدركوا الغاية واتصلوا بالله اتصالا

1. مشكاة الأنوار ، لأبى حامد الغزالى ، تحقيق الدكتور أبى العلا عفيفى ، الدار القومية القاهرة 1964م ، ص33 ، وتفسير الغزالى لخلع النعلين باطنا بخلع الكونين ، تعسف كبير ، فليس فى دلالة اللغة ولا قرينة الخطاب اطلاق الكونين وإرادة النعلين .

أسقط عنهم التكليف ، وسما بهم عن حضيض الأخذ بالأسباب ما دمـــوا فى زعمهم مع رب الأرباب ، وهذا لعمر الله هو المصاب العظيم الذى عمل له الباطنية ، كيما يهدموا التشريع من أصوله ويأتوا بنيانه من قواعده ، فواجـــب النصح لإخواننا المسلمين يقتضينا أن نحذرهم الوقوع فى هذه الشباك ، ونشـــير عليهم أن ينفضوا من أمثال تلك التفاسير الإشارية الملتوية ، لإنها كلـــها أذواق ومواجيد خارجة عن حدود الضبط والتقييد ، وكثيرا ما يختلط فيها الخيال بالحقيقة والحق بالباطل فالأحرى بالفطن العاقل أن ينأى بنفسه عن هذه المزالق وأن يفر بدينه من هذه الشبهات ، وأمامه فى الكتاب والسنة وشروحهما على قوانين الشريعة واللغة رياض وجنات) [1] .

(9- رأى الأستاذ محمد حسين الذهبى :

يقرر الذهبى أن الأدلة مجتمعة تعطينا أن القرآن الكريم له ظهر وبطن ، ظهر يفهمه كل من يعرف اللسان العربى ، وبطن يفهمه أصحاب الموهبة وأرباب البصائر ، غير أن المعانى الباطنية للقرآن ، لا تقف عند الحد الذى تصل إليه مداركنا القاصرة بل هى أمر فوق ما نظن وأعظم مما نتصور [2] .

يقول : (أما المعنى الباطن فلا يقف على جريانه على اللسان وحده بل لا بد فيه مع ذلك إلى نور يقذفه الله تعالى فى قلب الإنسان ، يصير به نافذ البصيرة سليم التفكير ، ومعنى هذا أن التفسير الباطن ليس أمرا خارجا عن مدلول

1. مناهل العرفان فى علوم القرآن للزرقانى ، طبعة عيسى البابى 1953م ، 558/1 .
2. التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبى ، دار الكتب الحديثة 22/3 .

اللفظ القرآنى) [1] ويقول أيضا : (أما الصوفية أهل الحقيقة وأصحاب الإشارة فقد اعترفوا بظاهر القرآن و لم يجحدوه كما اعترفوا بباطنه ولكنهم حين فسروا المعانى الباطنية خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ، فبينما تجد لهم أفهاما مقبولة تجد لهم بجوارها أفهاما لا يمكن أن يقبلها العقل أو يرضى بها الشرع) [2] .

والخلاصة فى رأى الذهبى أن مثل هذه التفاسير الغريبة للقرآن مزلة قدم لمن يعرف مقاصد القوم ، وليتهم احتفظوا بها عند أنفسهم و لم يذيعوها على الناس فيوقعهم فى حيرة واختلاف ، منهم من يأخذها على ظاهرها ويعتقد أن ذلك هو مراد الله من كلامه ، وإذا عارضه ما ينقل فى كتب التفسير على خلافها ربما كذب بها أو أشكل عليه ومنهم من يكذبها على الإطلاق ويرى أنها تقول

على الله وبهتان ، إذن ليتهم ما فعلوا ذلك ، إذن لأراحونا من هـــذه الحـــيرة وأراحوا أنفسهم من كلام الناس فيهم وقذف البعض لهم بالكفر والإلحاد فى آيات الله [3] .

(10 – رأى الدكتور محمد كمال جعفر :

ويرى الدكتور جعفر أنه يجب أن لا يغيب عن أذهاننا أنه من الطبيعى أن لا يقف الصوفى عند المعانى التقليدية فى أى من القرآن أو السنة قولا وعملا ، لأنه ليس كالفقيه أو العالم الذى يعتمد على النظر العقلى فحسب ، لأن ذلك لا

---

1. السابق 22/3 .
2. السابق 22/3 .
2. السابق 42/3 .

يشبع رغبته ولا يمد روحه بالزاد الضرورى ، بل إنه يتعمق إلى معان وراء المعنى الظاهر المباشر ، وإن لم يكن من الضرورى أن تكون هذه المعانى العميقـــة متناقضة مع تلك المعانى الظاهرية ، ويشير الدكتور جعفر إلى نقطة هامة ، وهى أن القرآن بالنسبة للصوفى يحمل حقيقتين متساويتين فى الأهمية ، فهو من جهة وحى تاريخى اتخذ وضعه فى الزمان والمكان المحددين ، وهو من جهة أخرى النبع الفياض الذى لا تنفد حقائقه الإلهية الصادرة عن الله جل جلاله ، وهو لا متناه لأنه كلام الموجود الذى لا يتناهى ، والمعانى الباطنية لكلماته غير متناهية كذلك أيضا [1] .

كما أن الصوفى المتأمل قد يصل إلى مرحلة يدرك فيها أعمق المعانى الروحية فى القرآن ، وهذه الفكرة فى حد ذاتها بصرف النظر عن الاعتبارات الأخرى قد تثير صعوبات ، بحيث أنها تؤدى إلى أن يكون تفسير القرآن مختلفا باختلاف الذوات المشتركة فيها أى أن يكون الموقف موقفا ذاتيا مما ينتج بدوره تفسيرات متعارضة ويؤدى إلى اضطرار كبير ، ولكن الحقيقة أن الصوفية فعلا يرون أن تعدد التفسيرات أمر حتمى ، لأن معانى القرآن لا نهائية وتتكشف لكل صوفى حسب طاقته الروحية وحسب فضل الله يؤتيه من يشاء ، وليس فى ذلك أى ضير ما دام هذا متصلا بالمعانى الكمالية التى لا تتجاوز حدود المعانى المباشرة المتفق عليها [2] .

---

1. التصوف طريقا وتجربة ومذهبا 1970م ص157 .
2. من التراث الصوفى لسهل بن عبد الله التسترى ،ص 109 .

- **أراء المستشرقين فى التفسير الصوفى :**

وقبل النظر والتعقيب على الآراء السابقة فى التفسير الإشار لنستخلص منها ما يمكن أن نصل إليه فى تقرير شروط التفسير الإشارى ، تجدر الإشارة إلى رأى بعض المستشرقين الغربيين من قبيل المقارنة المؤثرة فى توجيه الآراء إلى الأفضل .

فنرى المستشرق نكلسون أستاذ مدرسة كمبردج الاستشراقية يصرح بأن التفسير الصوفي يشابه التفسير الشيعى وكلاهما عنده من التأويلات المغرضة التى تتلاعب بالنصوص ، فيقول :

(استطاع الصوفية متبعين فى ذلك الشيعة ، أن يبرهنوا بطريقة تأويل نصوص الكتاب والسنة تأويلا يلائم أغراضهم على أن كل آية بل كل كلمة من القرآن تخفى وراءها معنى باطنيا لا يكشفه الله إلا لخاصة العباد ، الذين تشرق هذه المعانى فى قلوبهم وفى أوقات وجدهم ، واعتبروا أنفسهم خاصة أهل الله الـــذين منحهم الله أسرار علم الباطن المودعة فى القرآن والحديث ، وأنهم استعملوا فى التعبير عن هذا العلم لغة الرمز والإشارة ، التى لا يقوى على فهمها غيرهم من المسلمين)[1] ، وربما كان هذا الموقف للمستشرق نيكلسون بسبب ما أشارت إليه الباحثة Annemarie Schimmel أن المستشرقين فى القرن التاسع عشر قد عرفوا المصادر الصوفية المتأخرة والتى لا تصور التصوف فى مراحله الأولى[2] .

---

1. فى التصوف الإسلامى وتاريخه لرينولد نكلسون ، ترجمة الدكتور أبى العلا عفيفـــى طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر ص76 .

2 . Annemarie Schimmel, Mystical Dimension of Islam, North Carolina , U SA . 1975 p12.

فحكم نيكلسون على جميع الصوفية فى تفسيرهم للقرآن بما رآه من الغلو فى التفسير الإشارى عند المتأخرين ، ولذا أدرك نيكلسون بعد ذلك استحالة وضع حكم منصف للتصوف قبل أن تعد مصادره الأولى إعدادا علميا دقيقا ، وقـــد تولى هو زمام المبادرة فى نشر المخطوطات وتحقيقها والتعليق عليها وترجمتـــها وتحليل مادتها[1] .

ويرى المستشرق جولد تسهير أن العمل بما روى عن عبد الله بن مسعود τ : (من أراد علم الأولين والآخرين فليتثور القرآن) لا يحصل بمجرد تفســـيره

الظاهر ، فالأمور كلها داخلة فى أفعال الله عز وجل وصفاته ، وهذه العلوم لا نهاية لها ، وفى القرآن إشارة إلى مجامعها ، وفيه رموز ودلالات لكل ما أشكل من ذلك على النظار ، ومهمة التفسير هى استخراج كل ذلك العلم من الكتاب والتعمق فى تفصيله ، ووراء هذه المعانى الظاهرة يحتجب المعنى الباطن وتسكن أسرار القرآن التى ينبغى البحث عنها بتغلغل ونفاذ أعمق من ذلك ، ولن يترتب على ذلك القضاء على ظاهر التفسير بل هو استكمال له ووصول إلى لبابه ، وإذا كان التفسير الصوفى فيه تجاوز للتفسير المنقول المحدود فى حرية لا توقفها قيود ، ومع استخدام أمثلة بعيدة المدرك والمورد فى الغالب فى الكشف عن أفكار الورى إلا أن أثرث فى التغلغل إلى ما وراء المسموع

1. انظر الاتجاهات الحديثة فى دراسة التصوف الإسلامى ، للدكتور محمد عبد الله الشرقاوى ص19وما بعدها .

والمنقول من المعانى المقصودة فى كلام الله والمكنونة فى حجبها والتى لا يعقلها إلا العالمون [1].

ويرى المستشرق هنرى كوربان أن المستمع للكلام الإلهى يحق له أن يفهم منه كل شئ ، وفى أى حقل من المعرفة وفى أى درجة من العمق والخفاء شرط ألا يتجاوز فهم السامع ، ولا يتعدى التفسير من محتوى الكلام ودلالاته الوصفية حقيقة ومجازا وكناية حيث أن علم الله عين ذاته [2] ولا حد له وسع كل شئ علما [3] .

1. مذاهب التفسير الإسلامى للمستشرق إجناز جولد تسهير ترجمة محمد يوسف موسى وآخرين ، طبعة دار الكتاب العربى سنة 1959م ص207 .
2. القول بأن علم الله عين ذاته نقلها كوربان عن الفكر الاعتزالى الذى بنى على إثبات الأسماء ونفى الصفات ، ومعنى ذلك أنهم أثبتوا وجود الذات بلا صفة ، وجعلوا أسماء اللّه الدالة علي ذاته أسماء بلا مسمى أى فارغة من الأوصاف فقالوا : عليم بلا العلم وسميع بلا سمع وهكذا ، وهذا مخالف للأصول القرآنية والنبوية لأن الصفات قائمة بالموصوف وليست عينه ، وهى ثابتة لله عز وجل وليس كمثله شئ لا فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله ، فإذا كان لذات اللّه وجود حقيقى لا يماثل سائر الذوات من المخلوقات فالذات متصفة بصفات حقيقية لا تماثل سائر الصفات ، انظر المزيد فى هذه النقطة ، موقف القاضى عبد الجبار المعتزلى من آراء الأشعرية إعداد محمد عبد الفتاح إمام ، رسالة ماجستير بكلية الآداب جامعة القاهرة سنة 1983م ص194وما بعدها .
3. تاريخ الفلسفة الإسلامية ، القسم الأول ، تأليف المستشرق هنرى كوربان ، ترجمة حسن قبيسى وزميله ، الطبعة الأولى 1966 م بيروت ص10 .

- **شروط قبول التفسير الصوفى** :

يرى الدكتور محمد كمال جعفر أنه لا بد قبل تقرير شروط قبول التفسير الصوفى التنبه إلى أن التفسير الصوفى يرتبط بنوعية اعتقاد المفسر ، ويمكن إجمال تفسيراتهم فى نوعين :

(1- التفسير النظرى : وهو التفسير المبنى على نزعة فلسفية حيث تتوجه الآيات القرآن لديهم وفق نظرياتهم وتتفق مع تعاليمهم .

(2- التفسير الإشارى : هو تأويل آيات القرآن الكريم على خلاف ما يظهر منها بمقتضى إشارات خفية تظهر لأرباب السلوك ولا يمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة .

والفرق بين التفسير النظرى و التفسير الإشارى فى أثرهما على تفسير القرآن أن التفسير النظرى يبنى على مقدمة علمية تنقدح فى ذهن الصوفى أولا ثم يترل القرآن عليها بعد ذلك ، أما التفسير الإشارى فلا يرتكز على مقدمات علمية بل يرتكز على مجاهدات رياضية ، يأخذ الصوفى نفسه بها حتى يصل إلى درجة إيمانية تنكشف له فيها من سبل العبارات هذه الإشارات ، وتتوالى على قلبه تحليل الآيات من المعانى الربانية .

كما أن التفسير الصوفى النظرى يرى صاحبه أنه كل ما تحتمله الآية من معانى وليس وراءه معنى آخر يمكن أن تحمل عليه إلا هذا ، على حسب طاقته أما التفسير الإشارى فلا يرى الصوفى أن كل ما يراد من الآية بل يرى أن هناك معنى آخر تحتمله الآية ويراد منها أولا وقبل كل شئ ذلك المعنى الظاهر الذى ينساق إليه الذهن قبل غيره .

ويرى الدكتور جعفر فى شرطه لقبول التفسير الصوفى أن تأويل الصوفية للقرآن أو الفهم الخاص له إذا خلا من أى هدف سياسى أو اجتماعى ، سواء كان لرد اعتبار أو كوثيقة أمن أو بسط سلطان أو كسب ثروة أو احتفاظ بمراكز نفوذ تتعلق بأشخاص أو بجماعات ، إذا لم يكن له مثل هذا الهدف وإذا كان لا يعارض نصا قرآنيا آخر ، ولا يعارض الاستعمال العربى ، ولا يؤدى إلى تحريف أو انحراف ، وإذا كان وجوده يضيف ثروة روحية أو عقلية ، وإذا

كان لا يدعى من السلطة ما يجعله أمرا ملزما ، بفرض واحديته فى الأحقية ، إذ كان كذلك فهو تأويل مقبول ، ليست له غاية إلا تعميق الفهم عن الله الذى ما زال كتابه منبعا لا يغيض ومعينا لا ينضب للحقائق والأسرار [1] .

ومن ثم وبناء على ما سبق من الآراء يمكن تقرير الشروط التى يقبل بها التفسير الصوفى فى العناصر الآتية :

1- ألا يكون التفسير الصوفى منافيا للظاهر من النظم القرآنى الكريم .

2- أن يكون له شاهد شرعى يؤيده .

3- ألا يكون له معارض شرعى أو عقلى .

4- ألا يدعى أن التفسير الصوفى هو المراد وحده من الظاهر .

5- ألا يكون التأويل بعيدا لا يحتمله اللفظ فيه تلبيس على أفهام الناس .

فإذا توفرت هذه الشروط ، وليس للتفسير ما ينافيه أو يعاضه من الأدلة الشرعية ، جاز الأخذ به أو تركه ، لأنه من قبيل الوجدانيات ، والوجدانيات

1. التصوف للدكتور محمد كمال جعفر ص26 .

لا تقوم على دليل نظرى ، وإنما هو أمر يبعث على تنمية المشاعر وتحصيل مكارم الأخلاق ، فيجده الصوفى من نفسه ويسره بينه وبين ربه ، فله أن يأخذ به أو يعمل بمقتضاه دون أن يلزم به أحدا من الناس ، والأحرى ألا يسمى هذا اللون من الفهم تفسيرا وإنما يسمى ذكر النظير بالنظير الذى يعتبر صحيحا [1] .

- **أمثلة على التفسير الإشارى يترك تقديرها للقارئ :**

ما ذكره سهل بن عبد الله التسترى في قوله تعالى : { وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ } [الشعراء/80:81] قال : (يعنى إذ تحركت بغيره لغيره عصمنى ، وإذا ملت إلى شهوة من الدنيا منعها عنى ، وقوله والذى يميتنى ثم يحين أى الذى يميتنى بالغفلة ثم يحيينى بالذكر) [2] وفى قوله : { فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا } [النمل/52] قال : (الإشارة فى البيوت إلى القلب فمنها ما هو عامر بالذكر ، ومنها ما هو خرب بالغفلة ومن ألهمه الله عز وجل بالذكر فقد خلصه من الظلم) [3] .

وقال فى قوله تعالى :

{ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا

1. انظر السابق ص160 .
2. تفسير القرآن العظيم ، لسهل بن عبد الله التسترى ، طبعة دار الكتب العربية الكبرى القاهرة سنة 1329هـ ، ص70.
3. السابق ص70 .

بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ } [الحجرات/9] .

ظاهرهما ما عليه من أهل التفسير ، وباطنها هو الروح والعقل والقلب والطبع والهوى والشهوة ، فإن بغى الطبع والهوى والشهوة على القلب والعقل والروح ، فليتقاتل العبد بسيوف المراقبة وسهام المطالعة وأنوار الموافقة ليكون الروح والعقل غالبا والهوى والشهوة مغلوبا [1] .

وأورد أبو نصر السراج الطوسى بعض الأمثلة التى ذكرها الصوفية من طريق الإشارة والاستنباط والفهم الصحيح ، وبين أنهم لم يقدموا فيها ما أخـــر الله تعالى ولا أخروا ما قدم الله ، ولا نازعوا الربوبية ولا خرجوا عن العبوديـــة ولا يكون فيه تحريف الكلم ، منها قوله تعالى : { يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ إِلا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ } [الشعراء/89:88] سئل عنه أبو بكر الكتانى فقال : القلب السليم على ثلاثة أوجه من طريق الفهم :

أحدها : هو الذى يلقى الله تعالى عز وجل وليس فى قلبه مع الله شريك .

والثانى : هو الذى يلقى الله تعالى وليس فى قلبه شغل مع الله عـــز وجـــل ولا يريد غير الله تعالى .

والثالث : الذى يلقى الله عز وجل ولا يقوم به غير الله عز وجل ، فنى عـــن الأشياء بالله ، ثم فنى عن الله بالله [2] .

ويعقب السراج الطوسى بقوله : (معنى قوله : فنى عن الله بالله ، يعنى يذهب

---

1. السابق ص91 .
2. اللمع فى التصوف ص126.

عن رؤية طاعة الله عز وجل ورؤية ذكر الله ورؤية محبة الله ، بذكر الله له ومحبته قبل الخلق ، لأن الخلق بذكره لهم ذكروه ، وبمحبته لهم احبوه ، وبقديم عنايته بهم أطاعوه) [1] .

ومثل ما أشار الجنيد بن محمد سيد الصوفية فى عصره بقوله تعالى : { وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ } [النمـــل/88] ، إلى سكونه وقلة

اضطراب جوارحه عند السماع ، وكذلك ما كان يشير به أبو على الروذبارى إذا رأى أصحابه مجتمعين فيقرأ :

{ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ } [الشورى/29] [2] .

وقال أبو القاسم القشيرى فى قول الله تعالى : { وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا } [الإسراء/33] ، لا يجوز قتل نفس الغير بغير الحق ، ولا للمرأ أن يقتل نفسه أيضا بغير الحق ، وكما أن قتل النفس بالحديد وما يقوم مقامه من الآلات محرم ، فكذلك القصد إلى هلاك المرأ محرم ، ومن انهمك فى مخالفة ربه فقد سعى فى هلاك نفسه ، وقوله : { وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا } أى تسلطا على القاتل فى الاقتصاص منه ، وعلى معنى الإشارة إن النصرة من قبل الله ومنصور الحق لا تنكسر سنانه ولا تطيش سهامه [3] .

1. السابق ص.126
2. السابق ص129 .
3. لطائف الإشارات 346/2 .

الفصل الثالث

ينابيع المصطلح الصوفى ودراسة فى المعاجم الصوفية

إذا كان فهم المصطلح المعين الذى يرتكز على دلالته الدقيقة والواضحة يشكل المدخل الصحيح لفهم أى علم من العلوم ، أو الحكم عليه بصـــورة موضوعية ، أو محاولة تطويره وتجنيبه المنازعات والمشاحنات اللغوية العقيمة فإنه من الضرورى أن يتزايد الاهتمام به يوما بعد يوم وبشكل مطرد ، ويرافق ذلك أيضا بحوث مكثفة ودراسات عميقة فى مواضيع الدلالة وقوانين اللغة ومعـــانى الحدود وغيرها ، كل ذلك وسائل لتأصيل العلوم وإعداد الأبحاث المتخصصـــة فى كل علم منها ، فدراسة أوجه الدلالة لمصطلح علمى ما يساعد بشكل فعال على معرفة هذا العلم واستغلاله [1] .

1- يمكن الرجوع لنوعية البحث فى الدراسات المتعلقة بالمصطلح العلمى والتوســع فى معرفة أساليب الصياغه والتراكيب الدلالية من خلال المراجع الآتية : علـــم الدلالـــة للدكتور أحمد مختار عمر ، طبعة مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيـــع ، الكويـــت سنة1982م ، ودلالة الألفاظ للدكتور إبراهيم أنيس ، الطبعة الثالثـــة ، مكتبـــة الأنجلو المصرية سنة1972م ، المصطلح العلمى وأساليب صوغه فى مصر فى العصـــر الحديث إعداد إبراهيم عبد المجيد عبد العزيز ضوه ، رسالة ماجســـتير بكليـــة دار العلوم جامعة القاهرة سنة 1985م ، دراسة فى توليد الألفاظ للدلالة على المعانى ، إعداد محمد إبراهيم حسن العفيفى رسالة ماجستير بمكتبة كلية اللغة العربية جامعـــة

الأزهر القاهرة سنة1979م ، المصطلحات النقدية فى التراث العربى حتى القرن السابع الهجرى لعبد=

ولما كان التصوف بوجه من الوجوه سلوكا له إطاره النظرى والتجريبى ، فإن دراسة مصطلحاته تعين بشكل فعال فى التعرف عليه ، ومن ثم انشغل أغلب الذين كتبوا عن التصوف بمحاولة تقريبه إلى الآخرين ، وشرح الألفاظ الجارية على ألسنة الصوفية ، وحاولوا جاهدين فى وقت مبكر التنبيه على أن دلالة الألفاظ عندهم تحمل معان خاصة ، واصطلاحات مشتركة بين الصوفية دون غيرهم ، وقد أدرك أئمة الصوفية كما أدرك غيرهم من طوائف المجتمع الطبيعة النوعية لاصطلاحاتهم ، ولم يروا فى ذلك خروجا عن قوانين اللغة ، لأن لكل علم من العلوم ألفاظه ومصطلحاته الخاصة ، والتى لا يفهم دلالتها الحقيقية إلا أبناء كل علم منها ، فقال القشيرى منبها على هذه الحقيقة :

(إن لكل طائفة من العلماء ألفاظا يستعملونها ، انفردوا بها عمن سواهم وتواطئوا عليها لأغراض لهم من تقريب الفهم على المخاطبين بها أو تسهيل على أهل تلك الصنعة فى الوقوف على معانيهم بإطلاقها) [1] .

= المطلب عبد المطلب زيد رسالة دكتوراه بمكتبة كلية دار العلوم 1989م ، الأبعاد الدلالية للتركيب عند ابن تيمية ، إعداد أحمد طاهر عبد الرحمن رسالة ماجستير بالمكان السابق سنة1994م ، الغموض فى الدلالة أنماطه وعوامله ووسائل التخلص منه ، إعداد محمد أحمد محمود حماد رسالة دكتوراة بكلية دار العلوم جامعة القاهرة سنة1986م ، دراسة دلالية للمصطلحات الإسلامية فى القرآن الكريم ، إعداد عودة خليل أبو عودة رسالة ماجستير بالمكان السابق سنة 1981م .

1. الرسالة القشيرية ، تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود 200/1 .

وربما أخفق بعض الدارسين الغربيين فى دراساتهم للتصوف من الناحية النفسية ووصلوا إلى نتائج لاتتسم بالإيجابية ، بسبب أنهم كانوا يحصرون أنفسهم فى أهداف مغرضة غير خالصة أو دائرة التجربة الحسية والمقاييس المادية فى فهمهم لاصطلاحات الصوفية ، و لم يدققوا فى الألفاظ التى عبر بها هؤلاء عن أحوالهم الوجدانية وتجاربهم الذاتية ، وأن تلك الألفاظ تعد من المصطلحات الخاصة التى لا تتصف بالعمومية .

ومن الضرورى لكى يتصف البحث فى مصطلحات الصوفية بالجدية والإيجابية أن يراعى الباحث الطبيعة النوعية فى إشارات الصوفية وتحليل نفسيتهم عند النطق بالألفاظ ، فهؤلاء العلماء لا يدرسون الصوفية فى الواقع كائنين بين أيديهم وإنما يكتفون بتحليل ما خلفه الصوفية القدامى من آثار أدبية ، مما يعنى أن دراساتهم ليست دراسات مطابقة للحقيقة بمعنى الكلمة [1] .

ولا يعنى ذلك استحالة دراسة غير الصوفى ألفاظ الصوفية بصورة علمية ، كما ذكر بعض الباحثين [2] ، وإلا لكانت ألفاظ الصوفية فى طى الكتمان ، ولكان التصوف نكرة إلى الآن ، أو كانت ألفاظهم من قبيل الطلاسم والأحاجى التى

---

1. انظر على سبيل المثال :

- James , H, Leuba : Psychologie du mysticisme religieux traduction fr ancaise Par , Lucien Herr , 1295 .
- Evelyn Underhill Mysticism astudy in the nature and development of man's spiritual consciousness 1940 .
- Robere Thouless An Introduction to the Psychology of Religion C ambridge , 1928 .

2. مدخل إلى التصوف الإسلامى للدكتور أبى الوفا التفتازانى ص11 .

لا يعرفها إلا من خاض مضمار التصوف ، أو لبس خرقتهم واكتسى حلتهم لكن الأمر فى نظرى أبسط من ذلك .

ومن الملاحظ أن الصوفية سعوا عن قصد إلى أن تكون معانى اصطلاحاتهم مبهمة على غيرهم ، وقصدوا عن وعى إلى الرمز الغامض والإشارة البعيدة يقول القشيرى : (وهذه الطائفة يستعملون ألفاظا فيما قصدوا إليها الكشف عن معانيهم لأنفسهم ، والإخفاء والستر على من يباينهم فى طريقتهم ، لتكون معانى ألفاظهم مستبهمة على الأجانب ، غيرة منهم على أسرارهم أن تشيع فى غير أهلها) [1] .

ويعلل القشيرى ذلك باختلاف حقائق التصوف عن حقائق هذه العلوم ، إذ ليست حقائقهم مجموعة بنوع تكلف أومجلوبة بضرب تصرف بل هى معان أودعها الله تعالى قلوب قوم واستخلص لحقائقها أسرارهم [2] .

ويشير الشعرانى إلى أن ألفاظ الصوفية تختلف عن ألفاظ العلوم الأخرى ، وأن فهم دلالات اصطلاحاتهم لا يستعصى على الصادقين من أبنائهم ، فالمريد الصادق إذا دخل مجلسا من مجالس الصوفية ، وليس عنده فكرة عما يتكلمون فيه من موضوعات ، وما يتحدثون به من ألفاظ وإشارات ، فإنه يفهم جميع ما يتكلمون به ، وكأنه واضع تلك الاصطلاحات والإشارات ، ويمكنه أن يشاركهم فى الخوض فى علومهم ، أما المريد الكاذب فمثله مثل علماء الظاهر

---

1. الرسالة القشيرية 200/1 .

2. السابق 200/1 .

الذين يعجزون عن فهم كلام الصوفية ، ولا يعرف ذلك إلا بتوقيف ولا يسمح له قبل إخلاصه فى الإرادة [1] ، ويرجع الشعرانى عدم وضوح الدلالـــة فى المصطلح الصوفى إلى أن الفقيه إذا لم يوفق يقال : إنه أخطأ ، أما الصوفى فإنـــه عندما لا يوفق يقال : إنه كفر ، لذلك كان لزاما على الصوفية اســـتخدام الإشارات حتى لا يشتد إنكار العامة لهم [2] .

وعبر ابن الفارض عن دافع الرمز والإشارة بالخوف من الفهم غير المقصود الذى يمكن أن يترتب عليه إباحة دمه بقوله :

وعنى بالتلويح يفهم ذائق : غنى عن التصريح للمتعنت
بها لم يبح من لم يبح دمه وفى : الإشارة معنى ما العبارة حدت [3] .

وقد كان أبناء الطبقات الأخرى فى المجتمع يدركون غرابة تلك الألفاظ وغموض معانيها ، وقد ذكر الكلاباذى أن أحد المتكلمين سأل أبا العباس بـــن عطاء : ما بالكم أيها الصوفية قد اشتققتم ألفاظا أغربتم بها علـــى الســـامعين وخرجتم عن اللسان المعتاد ، هل هذا إلا طلب للتمويه أو ستر لعوار المذهب ؟ فقال : ما فعلنا ذلك إلا لغيرتنا عليه ولعزته علينا ثم اندفع يقول :

إن أهل العبارة سألونا : أجبناهم بأعلام الإشارة
نشير بها فنجعلها غموضا : تقصر عنه ترجمة العبارة

1. اليواقيت والجواهر فى بيان عقائد الأكابر ، للشعرانى ، دار المعرفة بيروت ، 3/1 .
2. السابق حـــ1ص9 .

3. ديوان بن الفارض، دار صاردر ، بيروت ص83 ، ص84 .

ونشهدها وتشهدنا سرورا : له فى كل جارحة إشارة
ترى الأقوال فى الأحوال أسرى : كأسر العارفين ذوى الخسارة [1] .

وقد نبه أئمة الصوفية إلى أن ألفاظهم وعباراهم لا يقصد ها الدلالات الظاهرية وإنما يشيرون ها إلى معان باطنية ، وعلى من يريد أن يفهمها حق الفهم أن يلتمس المعنى الباطن ، ويصرف الخاطر عن المعانى الظاهرية يقول ابن عربى :

كل ما أذكره من طلل : أو ربوع أو مغان كل ما
أو خليل أو رحيل وربا : أو رياض أو غياض أو حمى
أو نساء كاعبات نهد : طالعات كشموس أو دمى
فاصرف الخاطر عن ظاهرها : واطلب الباطن حتى تعلما [2] .

ولما كانت الطبيعة النوعية لاصطلاحات الصوفية طبيعة رامزة ملغزة يصعب على غيرهم استيعاب دلالتها إنما تعرف عندهم عن طريق الذوق والكشف وهو من أهم خصائص علم الحقائق إلا فى الصوفية وحدهم ، لأن علم الحقائق كما يرى ثمرة العلوم كلها ونهايتها ، ويؤول بالضرورة فى النهاية إلى علم القلوب وعلم الأسرار وعلم الباطن وعلم التصوف وعلم الأحوال والمعاملات

---

1. التعرف لمذهب أهل التصوف الكلاباذى ، تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود ، وطه 2عبد الباقى سرور القاهرة طبعة عيسى الحلبى سنة 1960م ، ص89 .
2. ذخائر الأعلاق شرح ترجمان الأشواق لابن عربى ، تحقيق الدكتور عبد الرحمن الكردى ، بيروت سنة 1312هـ ص5 .
3. ظهر الإسلام القاهرة لأحمد أمين ، دار النهضة العربية سنة 1961هـ ، 59/2 .

وهذا بحر واسع يفتقر إلى بحر مثله من الرموز والألفاظ ، كالمذكور فى قولـــه تعالى : { قُلْ لَوْ كانَ البَحْرُ مِدَادا لِكَلِماتِ رَبِّي لَنَفِدَ البَحْرُ قَبْلَ أنْ تَنْفَدَ كَلِماتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مددا } [الكهف/109] (1) .

فلما كان الأمر كذلك كان من الضرورى أن يلتزم كل كاتب صوفى يسعى إلى تعريف الآخرين بالتصوف الكشف عن المعانى الخاصة لهذه الألفـــاظ ، لا سيما إذا كان ظاهرها مستشنعا فى عرف الناس ، وباطنها سليما مستقيما عند الصوفية ، فتمهد بذلك وبصورة تلقائية الطريق لإعداد العملية المعجمية لاصطلاحات الصوفية .

فبدأ الأمر عند المشتغلين فى التأليف عن التصوف قديما ، ثم تطور شيئا فشيئا ففى أقدم مرجع صوفى معروف ، رأينا السراج الطوسى فى كتابه اللمع الـــذى يعد الكتاب الأم فى تاريخ التصوف الإسلامى (2) يفرد للمصطلح الصوفى جزءا كبيرا يشرح فيه الألفاظ الجارية فى كلام الصوفية ويبين مقصودهم منها (3) .

ويعد السراج الطوسى أول من تكلم فى مصطلحات الصوفية وأول من أخذ بزمام المبادرة فى وضع عمل مرجعى للتعرف على الألفاظ والمصطلحات ، ومن ثم فإنه من أصحاب الفضل فى نشأة علم الاصطلاحات فى الإسلام ، وقد أشار

---

1. اللمع لأبى نصر السراج الطوسى دار الكتب الحديثة بمصر 1960هـــ ص 457 .
2. السابق ، مقدمة التحقيق للدكتور عبد الحليم محمود ص 10 .
3. السابق ص409 : ص 452 .

المستشرق لويس ماسينيون إلى هذه النتيجة فى بحثه عن المصطلح الفنى للتصوف الإسلامى [1] .

ثم يتكرر الأمر نفسه بطريقة أوسع عند مؤلف آخر من المؤلفين الراسخين فى التصوف ، وهو أبو القاسم عبد الكريم القشيرى فى رسالته المشهورة ، فنراه يفرد بابا خاصا لتفسير ألفاظ الصوفية وشرح مدلولها [2] وتمتد السلسلة مرورا بأبى الحسن على بن عثمان الهجويرى [3] ، ثم أبى حامد الغزالى [4] ، فشهاب الدين أبى حفص عمر السهروردى [5] .

ثم يبدأ الاصطلاح بالاستقرار والثبات على معناه ، ويكتسب دلالته النهائية ويدون فى معاجم خاصة عند محى الدين بن عربى [6] وعبد الرزاق الكاشانى [7]

---

1 - Massignon , Louis : Essai sur les Originesde Lexique Technique de la Mystique Musulmane J . Vrin , Paris . 1968 . p23 .

2. الرسالة القشيري تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود 200/1وما بعدها .

3. كشف المحجوب للهجويرى تحقيق الدكتور إبراهيم الدسوقى ص 443 وما بعدها .

4. الإملاء عن إشكالات الإحياء للغزالى ، نسخة مطبوعة على هامش إحياء علوم الدين طبعة الحلبى 49/1 .

5. عوارف المعارف للسهروردى دار الكتاب العربى بيروت سنة 1983م ، وطبعة أخرى ملحقة بإحياء علوم الدين دار الريان للتراث 330/5 .

6. اصطلاحات الصوفية لمحى الدين ابن عربى ، طبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية حيدر أباد الدكن سنة 1948م .

7. انظر لطائف الإعلام ، ومعجم اصطلاحات الصوفية ، ورشح الزلال .

ويصبح جزءا لا يتجزأ من المصطلحات العلمية والفنية للحضارة الإسلامية مع الشريف الجرجانى فى تعريفاته [1] ومحمد بن على الفـــاروقى التـــهانوى فى كشافه [2] .

وإذا كان بعض مؤلفى كتب الصوفية الأساسية ، لم يصنعوا جداول أو معاجم خاصة بالمصطلحات الصوفية ، لكنهم كانوا المصدر الذى استمد منه مؤلفـــو المعاجم الفنية والعلمية والصوفية ، معانى المصطلحات التى ذكروها وقدموها .

ونظرا لأن البحث فى هذه الرسالة يرتكز على معرفة الأصول القرآنية للمصطلحات الصوفية ، فإنه ليس من السهل تحديد المصادر والمراجع الضرورية لانتقاء المصطلحات الصوفية المرتبطة بالأصول القرآنية والمبنية عليها ، فالأمر لا يتناول استقصاء جميع المصطلحات الصوفية لإعداد معجم شامل ولكنه يمتد إلى استعاب المصطلحات ذات الصلة بالقرآن والسنة على وجه التفصيل ، لنصل من خلال أذواقهم ومواجيدهم إلى مفردات اللغة التى يتعامـــل بهـــا الصـــوفية والألفاظ التى تناولها المصطلحون فى أصل كلامهم ، فلعل واحدا من الصـــوفية وضع لفظا معينا على معنى معين ثم وافقه عليه الباقون ، أو ربما وضع أحـــدهم معنى معينا للفظ عام من مفردات اللغة حتى أصبح اصطلاحا خاصا ، أو لعلـــه

1. التعريفات للشريف الجرجانى طبعة مكتبة لبنان ، بيروت سنة 1978م .
2. كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ، طبعة طهران سنة 1947 ، وأربعة أجـــزاء تصل إلى فصل الباء من باب الصاد ، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، تحقيق لطفـــى عبد البديع وعبد المنعم حسنين .

يتفق وضع أحد الصوفية للفظ على معنى معين ، واصطلح عليه آخر بإزاء نفس المعنى ، أو ما يقرب منه ، من غير شعور لكل واحد بما وضعه الأخر ثم يشتهر الوضعان بينهم ، أو يذكر أحدهم لفظا مجملا اشتهر بينهم وورد تفصيله عند آخر ، أو ربما حدث للاصطلاح تطورات دلالية متعددة حتى صارت مفاهيم محددة لكل مرحلة من مراحل الطريق .

ومن ثم كان من الضرورى انتقاء المؤلفات التى تشكل أمهات الكتب الصوفية ثم الاستعانة بالمعاجم الصوفية القديمة والمعاجم العلمية التى تتناول ألفاظ الصوفية أيضا ، هذا علاوة على تتبع أقوال الصوفية وإشارات أعلامهم فى متفرقات ما أثر عنهم فى التراث الصوفى ، ولذا انحصرت ينابيع المصطلح الصوفى لهذه الرسالة فى نوعين :

النوع الأول : المؤلفات الأساسية للذين كتبوا عن التصوف وفسروا ألفاظ الصوفية وعليها بنى أصحاب المعاجم الحديثة معاجمهم ، وقد تدرجت فى انتقاء هذه المؤلفات حتى القرن العاشر الهجرى ، لأن التأليفات التى حُققت بعد هذا التاريخ هى فى مجملها إعادة وتبسيط للدلالات القديمة لهذه المصطلحات أو شروح لها وملخصات [1] .

وبعد الاطلاع على ما هو مشهور ومؤكد الأهمية فى مضمار التصوف فى

1. التصوف الإسلامى ، لزكى مبارك ، طبعة الاعتماد ، القاهرة 1937م ، 378/1 وانظر الحياة الروحية فى الإسلام للدكتور مصطفى حلمى ، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة 1984م ، ص197 .

تلك الحقبة التى تمثل فترة العزو والصفاء للتآليف فى التصوف الإسلامى ، يمكن حصر الاختيار بعد تكلف وعناية شديدة فى عشرة مؤلفات ، هذه المؤلفات شكلت فى الغالب المظان التى سننهل منها معانى المصطلحات التى تتصل بالقرآن والسنة ، كما أنها جمعت فى الغالب كامل المصطلحات التى تعارف المتصوفون على استعمالها ، وهذه المؤلفات المختارة مع ترجمة تفصيلية لمؤلفيها مرتبة وفقا للتسلسل التاريخى على النحو التالى :

(1- اللمع فى التصوف ، لأبى نصر عبد الله بن على بن محمد بن يحى السراج الطوسى ، أصله من طوس [1] ويعد من أكبر المؤلفين الصوفيين ، وهو صاحب مدرسة كبرى فى التصوف فى نيسابور اتخذت من الكتب منابر لدعوتها وشرح رسالتها ونشر علومها وأذواقها ومعارفها [2] تتلمذ عليه بعض مشاهير الصوفية كأبى عبد الرحمن السلمى صاحب الطبقات [3] ،ومن مآثر مدرسته أنها حفظت تراث الجنيد وتلاميذه ورجاله ، وكان على طريقة أهل السنة فى أغلب ما ترك من تراث [4] توفى سنة 378هـ ، وقد أفرد السراج الطوسى بابين لشرح الألفاظ الجارية فى كلام الصوفية ، وبيان هذه الألفاظ [5] .

---

1. تاريخ التراث العربى لفؤاد سيزكن ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1978، 487/2.
2. اللمع فى التصوف ، ص7 .
3. طبقات الصوفية ، للسلمى ، تحقيق نور الدين شربية ، سنة 1969 ، 19/2 .
4. انظر مصادر ترجمته فى تاريخ التراث العربى ، 487/2 .
5. اللمع ، كتاب البيان عن المشكلات ، ص409 .

وقد نهج فيها إيراد المصطلح ، ثم شرح معناه مع ذكر بعض الشواهد من أقوال الصوفية ، وكان التركيز فى ذلك على توضيح المشكل من ألفاظ الصوفية التى أخذت عند عامة الناس فى وقته بمعان أخرى ، أما بقية الألفاظ التى وردت فى المقامات والأحوال ، كالتوبة والإنابة والورع والزهد والصبر والتوكل والرضا والمحبة والخوف والرجاء .. إلخ ، فيمكن التقاطه من سائر صفحات الكتاب .

كما حاول السراج الطوسى أن يدعم شرحه للمعانى المختلفة بشواهد متعددة من القرآن والسنة ، سواء كان ذلك باجتهاده ، أو بالنقل عن الآخرين من مشايخ الصوفية ، وقد اعتبر المستشرق نيكلسون كتاب اللمع لكثرة اعتماده على القرآن والسنة ، مدرسة عليا لتخريج الفحول من المتصوفة الصادقين فى مبادئ التصوف النقية التى تعبر عن الجانب الروحى فى الإسلام [1] .

(2- التعرف لمذهب أهل التصوف ، لأبى بكر محمد بن اسحاق بن إبراهيم البخارى الكلاباذى ، فقيه حنفى عالم عارف وعلم من أعلام الصوفية [1] .

جاء كتابه التعرف معبرا عن العصر الذهبى للتصوف فى القرن الرابع الهجرى حتى قيل عنه لولا التعرف لما عرف التصوف [2] توفى سنة 380هـ على

---

1. فى التصوف الإسلامى وتاريخه لرينولد نكلسون ترجمة الدكتور أبى العلا عفيفى طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر ص101 .
2. انظر فى ترجمته تاريخ التراث العربى 492/2 ، وكشف الظنون لحاجى خليفة ص419 ، وهدية العارفين للبغدادى 54/2 .
3. كشف الظنون لحاجى خليفة 419/1 .

الأرجح [1] ، لم يفرد الكلاباذى بابا خاصا لشرح المصطلحات الصوفية ولكن العناوين الغزيرة التى بوب بها فى الكتاب لعلوم الصوفية ، تعتبر كمصطلحات وردت ألفاظها فى المعاجم الأخرى ، حيث تضمن الكتاب خمسة وسبعين بابا من أبواب علوم الصوفية ، ورد منها أكثر من ستين لفظا منسوبا للمصطلح الصوفى عند الكتاب الآخرين ، كما أن هذا الكتاب الينبوعى تميز بغزارة أقوال المتصوفة الأوائل كشواهد يعتمد عليها ، ونادرا ما يبدى الكلاباذى آراءه الشخصية حولها ، ولذلك يعتبر التعرف من أصدق المصادر التى يعول عليها لفهم بدايات التصوف ورموزه ، كما أنه يتميز أيضا بالاعتدال ، دون إفراط أو إخلال فى دفع ما نسب إليهم مما ليس فى ألفاظهم واصطلاحاتهم ، كما بين ذلك فى مقدمته فقال :

(رسمت فى كتابى هذا وصف طريقتهم ، وبيان نحلتهم وسيرتهم ، من القول فى التوحيد والصفات ، وسائر ما يتصل به مما وقعت فيه الشبهة عند من لم يعرف مذاهبهم ، ولم يخدم مشايخهم ، وكشفت بلسان العلم ما أمكن كشفه ، ووصفت بظاهر البيان ما صلح وصفه ، ليفهمه من لم يفهم إشاراتهم ويدركهم من لم يدرك عباراتهم ، وينتفى عنهم خرص المتخرصين وسوء تأويل الجاهلين ، ويكون بيانا لمن أراد سلوك طريقه ، مفتقرا إلى الله تعالى فى بلوغ تحقيقه ، بعد أن تصفحت كتب الحذاق فيه ، وتتبعت حكايات المتحققين

---

1. هدية العارفين 54/2 .

له ، بعد العشرة له والسؤال عنهم) [1] .

(3- قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد في التصوف لأبي طالب محمد بن على بن عطية العجمي ثم المكى ، نشأ بمكة ورحل إلى البصرة ثم بغداد ، كان زاهدا عابدا جمع الناس عليه فى الوعظ وكان رجلا صالحا مجتهدا توفى ببغداد سنة 386هـ [2] ، وقيل عن كتابه قوت القلوب : لم يؤلف فى هذا الباب مثله [3] ، والمكى شأنه شأن الكلاباذى لم يفرد بابا خاصا لشرح المصطلحات ، ولكنه عرض طريق السالكين فى أبواب وتقسيمات ، منبها على دقائق المنازل فى المقامات ومراعاة الأحوال فى سائر الأوقات ، حتى يصل المريد إلى مقام التوحيد ، وكلها كما هو ظاهر ترجع إلى ألفاظ ومصطلحات ، متداولة بين الآخرين من المؤلفين ، بلغ عددها أكثر من ثلاثين مصطلحا .

ويتميز هذا المصدر الينبوعى باعتماده فى معظم ما يورده من اصطلاحات

---

1. التعرف لمذهب أهل التصوف تحقيق محمود أمين النواوى طبعة مكتبة الكليات الأزهرية 1980م ص28 ، كما اعتمدت أيضا على نسخة أخرى حققها الدكتور عبد الحليم محمود وآخر ، طبعة دار إحياء الكتب العربية سنة 1960م .
2. المنتظم فى تاريخ الأمم والملوك لابن الحوز ى ، طبعة دار الكتب العلمية بيروت سنة 1412هـ ، 385/4 وتاريخ بغداد للخطيب البغدادى ، مطبعة السعادة ، القاهرة سنة 1349هـ ، 89/3 .
3. كشف الظنون 1361/2 .

للصوفية على الأصول القرآنية والنبوية ، وإن كان متوسعا فى النقل متساهلا فى توثيق الأحاديث أو التحرى فى ثبوتها ، كما أشار هو إلى أسباب الرخصة والسعة فى النقل والرواية فقال : (وربما كان المقطوع والمرسل أصح من بعض المسند إذ رواه الأئمة وجاز لنا رسم ذلك لمعان :

1- أنا لسنا على يقين من باطلها .

2- أن معنا حجة بذلك وهو روايتنا له وأنا قد سمعنا ، فإن أخطأنا الحقيقة عند الله تعالى فذلك ساقط عنا .

3- أن الأخبار الضعاف غير مخالفة الكتاب والسنة ، لا يلزمنا ردها بل فيها ما يدل عليها .

4- أنا متعبدون بحسن الظن منهيون عن كثير من الظن مذمومون بظن السوء .

5- أنه لا يتوصل إلى حقيقة ذلك إلا من طريق المعاينة ولا سبيل إليها فاضطررنا إلى التقليد والتصديق بحسن الظن بالنقلة) [1] .

لكن يبقى اعتماده على استقصاء الأصول القرآنية والشواهد النبوية فى شرح ألفاظ الصوفية ومصطلحاتهم بشكل تفصيلى دقيق خادما لموضوع البحث [2] .

(4- كشف المحجوب لأبى الحسن على بن عثمان بن أبى على الهجويرى

1. قوت القلوب 176/1 .
2. انظر المزيد عن أبى طالب المكى وكتابه قوت القلوب فى رسالة ماجستير بعنوان أبو طالب المكى ومنهجه الصوفى للدكتور عبد الحميد مدكور ، مخطوط بمكتبة كلية دار العلوم جامعة القاهرة برقم (146) سنة 1972م .

الغزنوى [1] صوفى حنفى من علماء الصوفية فى القرن الخامس الهجرى ، عاصر الدولة الغزنوية وتتلمذ على أبى العباس الشقانى واتبع مسلك الصوفية مسترشدا بأبى الفضل محمد بن الحسن الختلى ، وتلقى بعض التعاليم الصوفية على يد أبى القاسم الجرجانى والمظفر أحمد بن حمدان ، كما التقى بأبى القاسم القشيرى الذى يعد من أشهر معاصريه ، وقد سلك الهجويرى مسلك علماء عصره فسافر وتجول وقام برحلات واسعة النطاق فى أرجاء العالم الإسلامى ، زار العراق وخراسان وما وراء النهر وخوزشنان وفارس وأزربيجان وجرجان والهند ، ثم عاد إلى غزنة وظل بها حتى وفاته فى عهد السلطان إبراهيم الغزنوى سنة 465هـ على الأرجح [2] .

ويحتوى الكتاب على باب خاص فى بيان منطقهم وحدود ألفاظهم وحقائق معانيهم حيث ورد فيه أكثر من تسعين اصطلاحا مقسمة إلى ثلاثة أنواع :

النوع الأول : عبارات وكلمات فى جريان أسرارهم وكلمات لا يعرف معناها سواهم كالحال والوقت والمقام والتمكين وغير ذلك مع بيان الفرق بين هذه الاصطلاحات مع شروح تفصيلية واسعة أحيانا .

النوع الثانى : العبارات التى تقبل الاستعارة فى كلامهم ويصير حكمها

---

1. انظر مصادر ترجمته فى مقدمة تحقيق الدكتورة إسعاد قنديل لكشف المحجوب طبعة دار النهضة العربية بيروت سنة1980م ، وتحقيق الدكتور إبراهيم الدسوقى ، طبعة دار التراث العربى 1974م .
2. كشف الظنون لحاجى خليفة 14/2.

بالتفصيل والشرح أصعب كالطمس والرمس والعلايق والزوايد .

النوع الثالث : العبارات التى تحتاج إلى شرح وهى متداولة بين الصوفية وليس مقصودهم بها ما هو معلوم لأهل اللسان ، من مظاهر اللفظ كالواقع والتحلى والتخلى والمقصود والشرور ، إلى غير ذلك من الاصطلاحات [1] .

وقد بين الهجويرى فى هذا الكتاب السبب فى تخصيصه هذا الباب فقال :

(اعلم أسعدك الله أن المشتغلين بأى حرفة أو عمل ، يستعملون عند فك رموزهم بعض الألفاظ والعبارات يعرفون معناها فقط ، وقد اخترعت هذه العبارة لأمرين أساسيين ، أولهما : لتسهيل الفهم وتذليل المصاعب وتقريبها لفهم الطالب ، وثانيهما : لحجب أسرار هذا العلم عن غير أهله ، والصوفية لهم أيضا اصطلاحات فى بيان مذاكراتهم ، ولكن يكشفوا ويوضحوا معانيهم كما يحبون) [2] .

كما تميز هذا المصدر أيضا باجتهاد الهجويرى فى تدعيم المصطلحات بأصولها القرآنية والنبوية كلما أمكن .

(5- الرسالة القشيرية لعبد الكريم بن هوزان بن عبد الملك بن طلحة بن

---

1. كشف المحجوب تحقيق الدكتورة إسعاد قنديل طبعة دار النهضة العربية بيروت 1980م ص466 .
2. السابق ، تحقيق الدكتور إبراهيم الدسوقى ، دار التراث العربى 1974م ص443 .

محمد الاستوائى أبو القاسم القشيرى النيسابورى [1] ولد سنة 376هـ في بلدة أستوا ، وكان سكانها من العرب الذين قدموا من خرسان ، اشتغل بعلوم الشريعة فدرس عند أبى بكر الطوسى ، وأخذ عنه الفقه وأخذ علم الأصول عن أبى بكر بن فورك ، وأخذ علم الطريقة على يد أستاذه أبى على الدقاق ، اشتغل بالتدريس فى نيسابور وبغداد ومرو ، وكان يقضى معظم أوقاته فى التأليف والتنسك والاجتماع بالأصحاب والمريدين ، وكان سنيا شافعيا أشعريا توفى سنة 465 هـ فى نيسابور [2] ، والقشيرى فى رسالته خصص بابا فى تفسير الألفاظ التى تدور بين هذه الطائفة وبين ما يشكل فيها تيسيرا لهم ولغيرهم كما قال : (ونحن نريد بشرح هذه الألفاظ تسهيل الفهم على من يريد الوقوف على معانيهم من سالكى طرقهم ومتبعى سنتهم) [3] .

وتميزت الرسالة بالإسهاب فى عرض معانى ألفاظ الصوفية ، والإفاضة فى شرحها وكثرة شواهدها ، ورد أغلب المصطلحات إلى أصولها القرآنية والنبوية

---

1. انظر ترجمته فى هداية العارفين 607/5 ، وطبقات الشافعية 243/3 ، ومقدمة ابن خلدون ص405 ، وجمهرة الأنسب ص273 ، وانظر للتوسع فى معرفة القشيرى وأثره فى التصوف ، الإمام القشيرى سيرته وآثاره ومذهبه فى التصوف ، إعداد إبراهيم بسيونى رسالة دكتوراه مكتبة كلية أصول الدين جامعة الأزهر سنة1971م .
2. انظر وفيات الأعيان لابن خلكان 481/1 ، وتاريخ بغداد 248/2 ، وكشف الظنون 58/1 .

3. الرسالة القشيرية 200/1 .

ولذلك فإن الرسالة القشيرية تعد من أمهات المصادر الينبوعية فى هذا البحث .

(6- الإملاء عن إشكالات الإحياء ، لأبى حامد محمد بن أحمد الطوسى الغزالى [1] فقيه وفيلسوف ومتصوف ، ولد فى الغزالة وهى بلدة فى جوار طوس من أعمال خرسان عام 450هـ ، وكان شافعيا ينتمى إلى المدرسة الأشعرية فى علم الكلام ، ولى منصب التدريس فى المدرسة النظامية ببغداد سنة 484هـ بعد أن أعجب به نظام الملك ، ولكنه تعرض لأزمات نفسية وصحية حادة اضطرته إلى ترك التدريس بعد مرور أربع سنوات على وجوده بها ، فاعتزل التدريس ومكث عشر سنوات فى عزلة يمارس السلوك الصوفى ، من رياضة ومجاهدة واعتكاف وتأليف ، ثم رحل إلى بيت المقدس والخليل ، وبعدها إلى الحجاز لتأدية فريضة الحج كما سافر إلى مصر ، واستمر يجول فى البلدان والأقطار ويهيم على وجهه لابسا المرقعة ومعه المزود وبيده العصا ثم رجع إلى التدريس فى نيسابور سنة 499هـ ، ولكنه لم يقم بها إلا سنتين عاد بعدهما إلى طوس وأنشأ زاوية للمتصوفين ومدرسة لطلاب الفقه ثم انقطع خلال السنوات الأخيرة من حياته إلى العبادة ومجالسة الصوفية وأهل الحديث وكانت وفاته سنة505هـ ، ومن أهم مؤلفاته كتاب إحياء علوم الدين ، أما كتابه الينبوعى الإملاء فيخصص فيه الغزالى مقدمة ، الغرض منها تبين عبارات انفرد بها أرباب

1. انظر ترجمة الغزالى فى كتاب الغزالى للشيخ مصطفى المراغى ، القاهرة طبعة دار المأمون سنة1926 م ، وإحياء علوم الدين طبعة الحلبى 49/1 ، وكشف الظنون لحاجى خليفة 24/1 ، وهدية العارفين للبغداى 273/6 .

الطريق عد فيها نحو خمسين مصطلحا [1] .

(7- عوارف المعارف لشهاب الدين أبى حفص بن محمد السهروردى [2] فقيه شافعى المذهب واعظ من أئمة المتصوفين ، ولد سنة 539هـ بسهرورد وسكن بغداد وصحب عمه أبا النجيب ، وتفقه وتفنن وصنف التصانيف فى بيان طريقة القوم ، منها عوارف المعارف وانتهت إليه تربية المريدين وتسليك العباد ومشيخة العراق وقيل عنه : لم يخلف بعده مثله ، وكان شيخ وقته فى علم الحقيقة وولى عدة ربط للصوفية وتوفى فى سنة 632هـ [3] .

وقد بين فى كتابه ما رزق به الصوفية من العلوم التى أشار إليها المتقدمون كعلم الحال وعلم القيام وعلم الخواطر وعلم اليقين وعلم الإخلاص وعلم النفس ومعرفتها ومعرفة أخلاقها ، وعلم معرفة أقسام الدنيا ، ووجود دقائق الهوى وخفايا شهوات النفس وشرها ، وعلم الضرورة ومطالبة النفس بالوقوف على حد الضرورة ، ومعرفة حقائق التوبة ، وعلم خفى الذنوب ، ثم علوم المشاهدات كعلم الهيبة والأنس والقبض والبسط ، والفرق بين القبض والهم والبسط والنشاط وعلم الفناء والبقاء وغير ذلك ، كما خصص السهروردى

---

1. إحياء علوم الدين طبعة الحلبى 1/ص56 .

2. انظر ترجمته فى وفيات الأعيان لابن خلكان 119/3 ، وشذارت الذهب 153/5 والنجوم الظاهرة فى ملوك مصر والقاهرة 283/6 .

3. لسان الميزان 195/5 ، وكشف الظنون 50/1 .

بابين لشرح مصطلحات الصوفية فى كتابه بلغت قرابة الخمسين [1] .

(8- اصطلاحات الصوفية لمحى الدين أبى بكر محمد بن على العربى الحاتمى الطائى الأندلسى [2] أطلق عليه أتباعه لقب الشيخ الأكبر ابن عربى ، وعرف فى الأندلس باسم ابن سراقة ، وهو صوفى كبير ولد فى مرسية بالأندلس عام 560هـ ، وسكن فى إشبيلية حوالى ثلاثين عاما تقريبا ، حيث درس الحديث والفقه ، زار تونس سنة 590هـ ثم نزح إلى المشرق نهائيا ، طاف بمصر ومكة وبغداد والموصل وآسيا الصغرى ، ثم استقر أخيرا فى دمشق حيث عاش فيها بقية عمره وتوفى بها عام 638هـ ودفن بسفح جبل قاسيون ، كان ابن عربى على مذهب الظاهرية فى الفقه ، وكان صوفيا باطنيا إلى أقصى الحدود ، ومن مزاعمه الشهيرة أنه رأى النبى ε ورأى الخضر يقظة ، وعرف اسم الله الأعظم وعرف الكيمياء بالمكاشفة لا بالتحصيل وأتهم بالزندقة والقول بوحدة الوجود فأثار ذلك حفيظة الناس عليه وحاولوا قتله ، وممن رماه بالزندقة ابن تيمية وسعد الدين التفتازانى وابن الخطيب الأندلسى المالكى وشمس الدين الموصلى وشمس الدين الذهبى وغيرهم [3] .

---

1. عوارف المعارف ، تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود ، والدكتور محمود بن الشريف طبعة مطبعة السعادة ، 177/1 : 179 .

2. هدية العارفين ، لإسماعيل باشا البغدادى 114/6 .
3. انظر مصرع التصوف ، للعلامة برهان الدين البقاعى ، تحقيق عبد الرحمن الوكيل مطبعة السنة المحمدية القاهرة سنة 1373هـ ، 1953م ص150 وما بعدها .

وكان ابن عربى غزير التأليف ، وأهم مصنفاته الفتوحات المكية [1] .

وتعد رسالته اصطلاحات الصوفية من بواكير إعداد المعاجم الصوفية ، وليس ببعيد أن تكون البادرة الأولى لنشأة المعاجم المستقلة ، ويشير ابن عربى إلى سبب تأليفها ، أن بعضهم أشار عليه وطلب منه شرح الألفاظ التى يتداولها الصوفية لأنها مبهمة على الناس فأجابه : (أما بعد ، فإنك أشرت إلينا بشرح الألفاظ التى تداولها الصوفية المحققون من أهل الله بينهم ، لما رأيت كثيرا من علماء الرسوم وقد سألونا فى مطالعة مصنفاتنا ومصنفات أهل طريقتنا مع عدم معرفتهم بما تواطأنا عليه من الألفاظ التى بها يفهم بعضنا عن بعض كما جرت عادة أهل كل فن من العلوم فأجبتك إلى ذلك) [2] .

وقد أورد ابن عربى فى تلك الرسالة مائة وثمانية وتسعين مصطلحا شرحت معانيها باختصار شديد وهى أيضا فقيرة الشواهد القرآنية والنبوية [3] .

---

1. انظر مصادر ترجمته فى دائرة المعارف الإسلامية ، تحقيق إبراهيم زكى خورشد وأحمد الشناوى وعبد الحميد يونس ، القاهرة دار الشعب سنة1933م ، حـ1ص345 .
2. اصطلاحات الصوفية لابن عربى ، طبعة ملحقة فى نهاية كتاب التعريفات ص138 .
3. انظر المزيد عن ابن عربى وأثره فى التصوف :

– الولاية عند محى الدين بن عربى ، لأستاذنا الدكتور ر عبد الحميد مدكور ، رسالة دكتوراه مخطوط بمكتبة كلية دار العلوم جامعة القاهرة برقم 806 سنة 1980م .

- Affifi (Dr . A .) : The Mystical Philosophy of Muhyid - Din Ibn Arabi , cambridge 1939 .

– الإنسان الكامل عند محى الدين بن عربى ، إعداد هالة أحمد فؤاد مصطفى ، رسالة =

(9– معجم المصطلحات والإشارات الصوفية والمعروف باسم : (لطائف الإعلام فى إشارات أهل الإلهام) [1] لكمال الدين عبد الرزاق بن جمال الـــدين الكاشانى السمرقندى ، صوفى كبير مؤلف يرجح انتماؤه إلى الشيعة الإماميـــة ويعد انتماؤه معبرا عن مذهب هذه الفرقة من قبل الشيرازى ، وينفى الدكتور كمال جعفر انتسابه إلى هذه الفرقة ، ولكنه يؤكد أنه قد تعرف على بعـــض أعلام الشيعة الإمامية [2] ، لا يعرف تاريخ مولده بالتحديد ولا تتوفر المعلومات عن تفاصيل حياته توفى سنة 735هـــ [3] .

وللكاشانى أيضا كتاب اصطلاحات الصوفية وهو غنى بالمصطلحات الصوفية ويتميز بجودة الترتيب والتصنيف [4] ، وله أيضا كتاب رشح الزلال فى شـــرح

= ماجستير ، مخطوط بمكتبة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ســـنة 1990م ، مشـــكلة الذات والصفات عند محى الدين بن عربى ، إعداد إسماعيل منصور جوده ، رســـالة ماجستير مخطوط بمكتبة كلية الآداب ، جامعة القاهرة سنة 1990م .

1. لطائف الإعلام فى إشارات أهل الإلهام ، تحقيق ودراسة سعيد عبد الفتاح ، مطبعـــة دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة1996م .
2. اصطلاحات الصوفية للكاشانى تحقيق الدكتور كمال جعفر ، مقدمة التحقيق ص3 .

3– انظر ترجمته فى معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة 215/5 ، الأعلام لخير الـــدين الزركلى350/3 وهدية العارفين 566/1 ، وانظر أيضا للتوسع ، المنهج الصـــوفى عند عبد الرزاق الكاشانى ، إعداد عصام على معوض رسالة ماجستير مخطوط بكتبة

كلية دار العلوم جامعة القاهرة سنة 1997م . 4. انظر كشف الظنون 107/1 .

الألفاظ المتداولة بين أرباب الأذواق والأحوال [1] ، لكن يقل فى جودة ترتيبه وكثافة مداخله عن المرجعين السابقين ويحتاج الكتاب إلى إعادة تحقيقه بصورة أفضل ، وكل ما سبق من مؤلفات للكاشانى ينابيع فياضة بالمصطلحات غير أن لطائف الإعلام يكاد يحوى جميع الرسائل ، ويستوعب جميع الكتب التى عنيت بشرح ألفاظ الصوفية ، فقد حوى على وجه التفصيل شرح ما يزيد على ألف وخمسمائة مصطلح صوفى ، ولذا كانت مؤلفات الكاشانى من أهم الدعائم الأساسية التى ساعدت فى انتقاء ما له صلة بالقرآن والسنة من ألفاظ الصوفية وإشاراتهم .

(10– المناظر الإلهية لعبد الكريم بن إبراهيم بن خليفة بن أحمد الجيلى [2] ينسب إلى الشيخ الصوفى عبد القادر الجيلانى [3] ، وهو حنبلى المذهب من خلفاء الشيخ إسماعيل الجبرتى [4] ، والجيلانى نسبة إلى جيلان اسم لبلاد كثيرة من وراء بلاد طبرستان [5] .

ويعتبر الجيلى من أبرز تلاميذ مدرسة ابن عربى ، وكانت لديه الشجاعة لنقد

---

1. رشح الزلال للكاشانى ، تحقيق وتقديم سعيد عبد الفتاح ، طبعة المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة سنة 1995م .
2. المناظر الإلهية للجيلى ، تحقيق الدكتور نجاح محمود الغنيمى ، دار المنار سنة1987م .
3. الأعلام للزركلى 175/4 .

4. هدية العارفين للبغدادى 610/5 .
5. معجم البلدان لياقوت الحموى 179/2 .

العديد من قضايا فكره وتوجيهها وجهة جديدة ، و لم يسلك مسلك أقرانه فى مدرسة ابن عربى الذين وقفوا عند شرح فكره أو توضيحة أو تقنين مصطلحاته فى معاجم اصطلاحية ، ولذا يلقب بالقطب الجيلى [1] ، وليس فى المصاد مـــا يدل على ترجمة تفصيلية تشير إلى سيرة حياته ، ولكن ذكر لويس ماسنيون أنه دفن فى بغداد ووافقه على ذلك بنرت [2] ، وتوفى سنة 832هـــ تقريبا [3] وقد أورد فى كتابه المناظر الإلهية قرابة مائة مصطلح صوفى ، وله من التصانيف التى اعتمدت عليها أيضا ، كتاب الإنسان الكامل فى معرفة الأواخـــر والأوائـــل والكمالات الإلهية فى الصفات المحمدية [4] .

النوع الثانى : المؤلفات التى تحوى شواهد المصطلحات الصوفية وتحقيق نسبتها إلى أعلامهم ، من أقوال أو آراء أو تفسير لآيات أو أحاديث أو غير ذلك مـــن شواهد المصطلحات ، وقد قسمت هذه المصادر التى ينبع منها معين فيـــاض يمدنا بالشواهد الصوفية إلى ثلاثة أنواع :

---

1. الأعلام للزركلى 175/4 .
2. انظر :

- Cf . Massignon : Recueil de texts , p148 , n. 2 .
- Bannerth .e : das : Buch der Vierzig Stufen ,8.11.
- Goldziher : Encycl . of Islam . art , Abdo Karim vol I , p. 46,ed. 1913.

3. يذكر البغدادى أنه توفى سنة 820هـــ ، انظر هدية العارفين حـــ5ص610 .

4. الكمالات الإلهية فى الصفات المحمدية لعبد الكريم الجيلى ، تحقيق سعيد عبد الفتاح طبعة مكتبة عالم الفكر ، القاهرة ، سنة 1997م .

(1- المؤلفات السابقة لكتاب المصطلحات ، فهى على الرغم من كونها أفردت أبوابا أو كتبا لتفسير ألفاظ الصوفية الملغزة وشرح مصطلحاتهم الرامزة إلا أنها أيضا غنية بأقوال الصوفية ، وشرح مقاماتهم وأحوالهم والكشف عن طريق المريدين والسالكين فى تجاربهم وسيرهم إلى الله ، مما يتيح لنا إمكانية التقاط الشواهد الدلالية ، والتعرف على الأصول القرآنية والنبوية لاصطلاحات الصوفية .

(2- المؤلفات الخاصة ببعض الصوفية الذين كتبوا عن أرائهم وتجاربهم الشخصية ، سواء كانت مطبوعة أو مخطوطة وهذه المؤلفات من أوثق المصادر فى نسبة الشواهد إلى قائليها لأنهم دونوا كلامهم بأنفسهم فهى حجة فى إثبات أراء الصوفية ومعتقداتهم ، وقد اعتمدت على أغلب ما وجد من هذه المؤلفات مثل تراث الحارث بن أسد المحاسبى (243هـ) وأبى سعيد الخراز (279هـ) وسهل بن عبد اللّه التسترى (293هـ) والحسين بن منصور الحسين بن منصور الحلاج (309هـ) وتراث الحكيم الترمذى (320هـ) والشخ عبد اللّه بن خفيف (371هـ) وتراث أبى القاسم عبد الكريم القشيرى (465هـ) وأبى حامد الغزالى (505هـ) ، وابن عطاء الله السكندرى (709هـ) وابن عربى وتلاميذ مدرسته ، كالكاشانى والجيلى والشعرانى وغيرهم ، وكذلك التفسيرات الصوفية للقرآن الكريم كتفسير سهل بن عبد الله التسترى ، وتفسير أبى عبد الرحمن السلمى ، ولطائف الإشارات للقشيرى ،

وتفسير القرآن لعبد الرزاق الكاشانى ، وقد كانت هذه التفسيرات منبعا غنيـــا لمعرفة الأصول القرآنية للمصطلحات الصوفية .

(3- المؤلفات التى جمعت متفرقات ما أثر من كلام الصوفية فى تـــراجمهم مثل طبقات الصوفية لأبى عبد الرحمن السلمى ، وحلية الأولياء لأبى نعـــيم الأصبهانى وصفة الصفوة لابن الجوزى ، وطبقات الشعرانى ، ونفحات الأنس لأبى البركات عبد الرحمن الجامى ، وكثير من كتب التراجم الأخرى .

• دراسة فى المعاجم الصوفية :

كان طبيعيا نتيجة لتلك الطبيعة الخاصة للمصطلح الصوفى أن تنشأ المحاولات لفك الرموز المغلقة أمام قارئ مؤلفات الصوفية ومصنفاتهم ، وكان أمرا طبيعيا أن يتساءل جمهور القراء عن معنى هذه الاصطلاحات ويسألون أهل المعرفة والذوق الذين لديهم القدرة على فك هذه الرموز وإزالة تلك الصعوبات فى الفهم والتفسير والشرح ولقد كثرت الأسئلة وبدأت الإجابات .

ويعتبر ما أورده السراج الطوسى فى كتابه اللمع فى التصوف من بواكير تلك المحاولات ، وليس ببعيد أن تكون البادرة الأولى لنشأة المعجم الصوفى ثم تتابعت الجهود والمحاولات تترى حتى ظهر كتاب الإملاء فى إشكالات الإحياء لإبى حامد الغزالى حيث خصصه لتبيين عبارات انفرد بها أرباب الطريق ، ثم رسالة ابن عربى اصطلاحات الصوفية الواردة فى الفتوحات المكية حيث تعد بداية جادة لنشأة المعجم الصوفى ، وقد بين ابن عربى أنه أعد هذه الرسالة تحقيقا لرغبة عامة ونتيجة الإحساس بالحيرة التى انتابت من يطالع مصنفات

الصوفية ومصنفات ابن عربىعلى وجه الخصوص ، لعدم معرفتهم بمعانى هـــذه الألفاظ ، وهى معان خاصة تواطئوا عليها ، وبها يفهم بعضهم عن الـــبعض الآخر [1] .

ولكن ابن عربى لم يجمع كل الألفاظ الصوفية ويقوم بشرحها وإنما يقـــول :

---

1. اصطلاحات الصوفية ، لابن عربى ملحق بكتاب التعريفات للجرجانى ص138 .

(و لم أستوعب الألفاظ كلها ولكن اقتصرت منها على الأهم فالأهم وأضربت عن ذكر ما هو مفهوم من ذلك عند كل من ينظر فيه بأول نظرة لما فيها مـــن الاستعارة والتشبيه) [1] .

ومعنى ذلك أن رسالة ابن عربى اصطلاحات الصوفية كانت بخصوص المصطلحات الصوفية بعامة دون اقتصار على المصطلحات الواردة فى الفتوحات المكية أو غيرها من المؤلفات ، ودون اقتصار على ما ليس فيه استعارة أو تشبيه وأن الاختيار فيها إنما وقع من المؤلف وحده فاصطلاحات الصوفية رسالة فيها العناية بعموم المصطلح الصوفى بشكل عام .

و لم تكن رسالة اصطلاحات الصوفية لابن عربى وحدها تلبية لرغبة ملحـــة وإجابة لسؤال حار فى إجابته غير المتصوفة ، وإنما جاء معجم الكاشانى (735) اصطلاحات الصوفية تلبية لسؤال أشار به سلطان الوزراء محمد بن أبى الخـــير الوزير والمؤرخ الكبير ، وعبر به عن غيره من أهل العلوم المعقولة والمنقولة لعدم تعارفهم على اصطلاحات الصوفية ، وفى ذلك يقول الكاشـــانى فى مقدمتـــه لمعجمه : (فإنى لما فرغت من تسويد كتاب شرح منازل الســـائرين ، وكـــان

الكلام فيه وفى شرح فصوص الحكم وتأويلات القرآن الحكـــيم مبنيـــا علـــى اصطلاحات الصوفية و لم يتعارفها أكثر أهل العلوم المعقولة والمنقولة و لم تشتهر بينهم سألونى أن أشرحها وقد أشرت فى ذلك الشرح إلى أن الأصول المذكورة

1. السابق ص138 .

فى الكتاب من مقامات القوم تتفرع إلى ألف مقام ، ولوحت إلى كيفية تفريعها وما بينت تفاريعها و لم أفصل فروعها ودرجاتها و لم أصرح بصنوفها وتفريعاتها فتصديت للإسعاف بسؤالهم وزدت ذلك ترويحا لقلوبهم ببيان ما أهمل من ذلك وتفصيل ما أجمل هنا لك) [1] .

ويتضح من هذا النص الطويل أمور أهمها ، أن مؤلفات الصوفية وبخاصـــة منازل السائرين لأبى إسماعيل عبد الله الهروى (ت:481هـــ) وفصوص الحكم لابن عربى (ت:638هـــ) وتأويلات القرآن للكاشانى (ت:730هـــ) كانت بحاجة إلى من يشرحها حتى يمكن فهمها ، لأنها مبنية على اصطلاحات الصوفية ثم وهو أمر طبيعى لم تكن هذه الاصطلاحات مشتهرة بين أهل العلوم الأخرى فلم يتعارفوا هذه الإشارات ، و لم يألفوا استخدام الألفاظ فى مثل هذه الملغزات وإلى جانب ذلك يتضح أن الكاشانى فى معجمه اصطلاحات الصوفية لم يتناول جميع الاصطلاحات ، فقد شرح ما يختص منها بالمقامات فى شرحه لفصـــوص الحكم ، ويتضح أخيرا أن أبا الخير الوزير المؤرخ (ت:736هـــ) قد أشار إليه بشرح هذه الاصطلاحات وكانت إشارته الباعث على تأليفه لهذا المعجم .

ويعد معجم الكاشانى ممثلا لمرحلة نضج المعجم الصوفى فى عصره وتمهيدا للمعجم الأكبر الذى يمثل المرحلة النهائية فى جهد الكاشانى لجمع ألفاظ الصوفية وحصر إشاراتهم وتفسير اصطلاحاتهم ، فكتب مؤلفا معجميا كبيرا

1. اصطلاحات الصوفية للكاشانى تحقيق الدكتور عبد الخالق محمود ص44 .

سماه لطائف الإعلام فى إشارات أهل الإلهام ، حوى من المصطلحات عددا أعجز من بعده ، فلم يظهر حتى الآن معجما فاق اللطائف فى عدد مصطلحاته كما أنه بناه على نظم معجمى متكامل ، وقد ذكر الكاشانى الباعث لتأليفه ومنهجه فى نظمه فقال :

(إنى لما رأيت كثيرا من علماء الرسوم ربما استعصى عليه فهم ما تتضمنه كتبنا وكتب غيرنا من النكت والأسرار التى يشير إليها المحققون العالمون بالله من أكابر شيوخ الصوفية الوارثين للعلوم الحقيقية والمعارف الحقية من مشكاة النبوة المحمدية ، المعتلية عن حضيض التلبيسات الخلقية إلى أوج الحضرات الحقية القدسية ، الجامعة جوامع الكلم الحكمية والأسرار الإلهية أحببت أن أجمع هذا الكتاب مشتملا على شرح ما هو الأهم من مصطلحاتهم وما تواطأوا عليه من الألفاظ والألقاب التى يعبرون بها عما يتداولونه بينهم من علومهم الإلهية وأسرارهم الشريفة الربانية وما به يفهم بعضهم عن بعض كما جرت عليه عادة أهل كل فن ، وبينت ذلك بالبيان المتقن المحكم المرتب على حروف المعجم بحيث أنى جعلت الحرف الثانى من كل كلمة على ترتيب الحروف أيضا ليكون ذلك أضبط فى النظم وأظهر للفهم)[1] .

و لم يظهر للمصطلح الصوفى بعد القرنين السابع والثامن للهجرة وبعد رسالة اصطلاحات الصوفية لابن عربى ولطائف الإعلام للكاشانى أى معاجم جديدة

---

1. لطائف الإعلام 105/1 .

إلا فى العصر الحديث ، وإن كانت أغلب ألفاظ الصوفية قد دخلت ضمن معاجم أخرى فى إطار تقنين المصطلحات الفنية لمختلف العلوم ، حيث حققت الصناعة المعجمية تقدما واسع النشاط ، ووضعت المعايير المختلفة والأسس الدلالية لمختلف العلوم حتى أصبحت المعاجم أعمال موسوعية تشمل المعارف العامة والخاصة [1] .

وقد ظهر فى بداية القرن التاسع كتاب التعريفات للشريف محمد بن على الجرجانى (ت:816هـ) وهو أقرب إلى الموضوعات الموسوعية التى تتضمن الكثير من التعريفات فى العلوم المختلفة ، فالكتاب يشمل المصطلحات اللغوية نحوية وبلاغية وغيرها ، والمصطلحات الكلامية والفلسفية بما فيها المنطقية والرياضية والطبيعية ومصطلحات العلوم الشرعية من حديث وفقه وأصول إلى جانب المصطلحات الصوفية ومصطلحات الجدل والمناظرة كما يتعرض أحيانا

---

1. انظر للتوسع فى هذه النقطة : المعجم العربى نشأته وتطوره ، للدكتور حسين نصار القاهرة ، دار نهضة مصر ، مصر سنة 1956م ، والمعاجم العربية دراسة تحليلية للدكتور عبد السميع محمد أحمد ، دار الفكر العربى ، الطبعة الرابعة القاهرة سنة1984م ، وعلم اللغة وصناعة المعجم ، للدكتور على القاسمى ، مطبوعات جامعة الرياض بالمملكة العربية السعودية ، سنة 1975م ، التعبير الاصطلاحى دراسة فى تأصيل المصطلح ومفهومه

ومجالاته الدلالية وأنماطه التركيبية ، للدكتور زكى حسام الدين كريم ، طبعة مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، سنة 1985م .
- Urdang , Laurence : Review of problems in Lexicography . Language 30 (1963) 586 - 594.

للتعريف بالفرق والجماعات والمذاهب والطوائف ، ويلاحظ أنه يمتاز بالترتيب الهجائى المنظم ، وإلى جانب هذه الناحية التطورية ، فإن له عناية خاصة بالمصطلحات الفقهية ، ولكن بترعة حنفية ، وبالمصطلحات الصوفية ولكن بمشرب يميل إلى استعمالات صاحب الفتوحات [1] .

وقد ظهر أيضا فى الساحة المعجمية كتاب كشاف اصطلاحات العلوم والفنون للشيخ محمد بن على بن القاضى محمد حامد بن محمد صابر الفاروقى الحنفى الهندى التهانوى الذى فرغ من تأليفه عام1158هـ [2] وقد تضمن اصطلاحات الصوفية ضمن بقية العلوم وهو كتاب يحتل مكانة مرموقة بين كتب التعريفات العامة لكونه من أكثرها شمولا واستيعابا مع الدقة والترتيب وهو أشهرها وأكثرها نفعا للباحثين المحدثين دون منازع [3] يقول محققه بعد أن تعرض للمؤلفات الأخرى فى بابه : (إنه يقع منها موقعا حسنا فقد استقصى فيه التهانوى بحث الموضوعات العلمية متدرجا من الدلالات اللغوية إلى غيرها من الدلالات فى شتى العلوم من نقلية وعقلية بحيث أضحى الكتاب معلمة للثقافة الإسلامية) [4] .

ثم ظهرت للمصطلح الصوفي المعاجم الحديثة ، فبدأها الدكتور عبد المنعم

---

1. المبين فى شرح معانى ألفاظ الحكماء والمتكلمين ، د/ حسن الشافعى ص12 .

2. هدية العارفين 326/1 .
3. المبين ص14 .
4. كشاف اصطلاحات الفنون ، مقدمة التحقيق للدكتور لطفى عبد البديع ح1ص د .

الحفنى بوضع معجم مصطلحات الصوفية سنة 1980م ، ثم المعجم الصوفى للدكتورة سعاد حكيم سنة 1981م ، ثم معجم ألفاظ الصوفية للدكتور حسن الشرقاوى سنة 1987م .

ونظرا لأن هذه المعاجم القديمة والحديثة تعد من الدراسات السابقة المعنية بالمصطلح الصوفى وتتبع شواهده القرآنية والنبوية ، وما فى ذلك من صلة وثيقة بموضوع الرسالة ، فإن الأمر يتطلب دراسة مقتضبة لتلك المعاجم من حيث ترتيبها ، ومدى كثافة المداخل فيها ، والتعريف بالأصول القرآنية والنبوية للمصطلحات إن وجدت ، وقد رتبت هذه الدراسة على النحو الآتى :

أولا : ترتيب المداخل فى معاجم المصطلح الصوفى .

عرفت المعاجم العربية العامة عدة اتجاهات فى ترتيب المداخل بها [1] واتضحت هذه الاتجاهات فى المجتمع اللغوى العربى قبل ظهور أول معجم صوفى يلتزم بطريقة واضحة فى ترتيب المداخل المعجمية فى القرن الثامن الهجرى ، ومع ذلك جاء معجم عبد الرزاق الكاشانى (735هـ) على ترتيب جديد للمداخل لم تعهده المعاجم العامة ، وإن كانت المعاجم الأخرى قد اقتفت أثر بعض المعاجم العامة ، وفيما يلى محاولة لتحديد اتجاهات الترتيب المعجمى للمداخل فى المعاجم الصوفية :

1. انظر المعجم العربى نشأته وتطوره ، للدكتور حسين نصار 1/ 42 ، والاتجاهات الحديثة فى صناعة المعجمات للدكتور محمود فهمى حجازى ، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة الجزء الأربعون سنة 1977م ص86 وما بعدها .

(1- الترتيب العشوائى فى رسالة ابن عربى (638هـ) فلم يكن من أهداف المؤلف أن يقدم معجما فى المصطلحات الصوفية ولا حصرا بألفاظ الصوفية فى مؤلفاته أو فى كتابه الفتوحات المكية ، وإنما سعى إلى تحقيق شئ واحد وهو شرح مجموعة من الألفاظ اختارها ، ولم يراع ترتيبها هجائيا أو أبجديا وإنما أوردها بطريقة عشوائية أو كما قال : (وقد أوردنا ذلك لفظة لفظه) [1] .

(2- الترتيب الهجائى الأبجدى فى اصطلاحات الكاشانى ، فقد رتب الكاشانى مداخل معجمه اصطلاحات الصوفية ترتيبا يتخذ صورتين مختلفتين :

الصورة الأولى : الترتيب العام ، وفيه صنفت اصطلاحات الصوفية وفق الحرف الأول إلى ثمانية وعشرين بابا ورتبت الأبواب وفق حروف أبجد هوز فى نظام الكتابة السريانى ، وقد أشار إلى هذا الترتيب فى مقدمته القصيرة لمعجمه مبينا هدفه من هذا الترتيب يقول : أما القسم الأول فمبوب تبويبا مبنيا على ترتيب حروف أبى جاد تسهيلا لمن يتفحص عنها ويتطلب واحدا واحدا منها .

الصورة الأخرى : الترتيب الداخلى للمداخل ولم يتبع عبد الرزاق الكاشانى النظام الأبجدى السريانى فى الترتيب الداخلى للمداخل فى كل باب من أبواب المعجم وإنما أخذ بالترتيب الهجائى الأبتثى لصورة الكلمة المكتوبة .

وأما لطائف الإعلام فقد أخذ فيه بالترتيب الهجائى الأبتثى لصورة الكلمة المكتوبة ، وجعل الحرف الثانى من كل كلمة على ترتيب الحروف الهجائية

1. اصطلاحات الصوفية لابن عربى ص38 .

أيضا ، وعلل ذلك بأنه أضبط فى النظم وأظهر للفهم [1] غير أنه وإن التـــزم فى المداخل والأبواب العامة بالحروف الهجائية إلا أنه لم يلتزم بذلك كما قطع على نفسه فى الحرف الثانى ، فقد خرج عن هذا الترتيب فى كثير من المداخل فمثلا يقدم مصطلح الأحوال على مصطلح الاحتساب ، أو يقدم الإخلاص علـــى الإخبات وهكذا .

(3- الترتيب الهجائى الألفبائى المشرقى لحروف الكلمة المكتوبة عند كل من الدكتور الحنفى والدكتور حسن الشرقاوى ، فلم يكتب الدكتور الحنفى مقدمة يبين فيها خطة عمله من حيث ترتيب المداخل أو غيره ويمكن بعد قراءة المعجم أن نحدد طريقته فى الترتيب ، فمن حيث الترتيب العام ، أخذ الدكتور الحنفى فى ترتيب مداخل معجمه بطريقة الترتيب الهجائى الألفبائى فى المشرق العـــربى فصنف المعجم إلى أبواب أطلق على كل باب حرف ، فحرف الألف ثم حرف الباء ثم حرف التاء ، فحرف الثاء ثم حرف الجيم ، فحرف الحاء فالخاء فالدال إلى آخر حروف الهجاء ، باستثناء حرفى الهاء الياء ، فليس لهمـــا مـــداخل فى المعجم ، ومعنى ذلك أن أبواب المعجم ستة وعشرون بابا أو ســـتة وعشـــرون حرفا ، أما الترتيب الداخلى للمداخل فقد راعى المؤلف فى كل حرف جميـــع حروف الكلمة المدخل الأول فالثانى فالثالث وما يليها .

وفى معجم الدكتور الشرقاوى لم يحدد لنا فى مقدمته التى بلغت إحدى عشرة

1. لطائف الإعلام 105/1 .

صفحة الطريقة التى اختارها لترتيب مداخل معجمه ، ويمكننا بعد النظر فى ترتيب ألفاظ الصوفية فى المعجم الذى أخذ به المؤلف ، أن نقف على هذه الطريقة ، فمن حيث الترتيب العام صنف المؤلف ألفاظ الصوفية إلى مجموعات وفق حروف الهجاء التى تبدأ بها هذه الألفاظ ، ثم رتب هذه المجموعات وفق الترتيب الهجائى المعروف مع تجاوز الحرف الذى لم ترد ألفاظ صوفية تبدأ به مثل حرفى الثاء والضاد ، وبذلك ضم معجمه ستة وعشرين بابا ، اختص كل باب منها بحرف من حروف الهجاء الباقية ، فباب الهمزة ثم باب الباء ثم باب التاء وهكذا ، ومن حيث الترتيب الداخلى ، رتب الدكتور حسن الشرقاوى الألفاظ فى داخل كل مجموعة ، أو فى داخل كل باب ترتيبا هجائيا ألفبائيا مشرقيا أيضا ،مع الاعتداد بجميع حروفها فى الترتيب ، وبذلك يتضح أن الأساس فى الترتيب ليست المادة اللغوية ، وإنما صورة الكلمة المكتوبة ، مع ملاحظة أن باب الهمزة فى المعجم قد ضم كل ما أوله همزة أو ألف وصل كما هو عند الدكتور الحفنى ، ولا يوجد تمييز بين المجموعتين فجميع ألفاظهما تبدأ عند المؤلف بهمزة ، وهو يراعى فى الترتيب الداخلى بين الألفاظ الحرف الثانى والحرف الثالث وما بينهما أيضا ، وفى المصطلحات المركبة لم يعتد المؤلف بالجزء الآخر من التركيب عند الترتيب ، سواء أكان هذا الجزء هو الجزء الأول أم الثانى أم الثالث .

(4- الترتيب الهجائى وفق الحروف الأصول عند الدكتورة سعاد الحكيم فى المعجم الصوفى ، حيث قامت المؤلفة بتصنيف المصطلحات الصوفية التى جمعتها من مؤلفات ابن عربى إلى مجموعات وفق الحرف الأول من حروف الهجاء للمادة اللغوية لكل منها ، إذ الاعتداد عندها فى المدخل بالحروف الأصول للمادة اللغوية ، وإن كان ترتيب المشتقات من المادة اللغوية الواحدة لا يحكمه نظام معين ، وفى الترتيب الداخلى فى المجموعة الأخيرة سارت المؤلفة وفق حروف الهجاء من حيث صورة الكلمة المكتوبة ، وبذلك تتعد طرق الترتيب الداخلى ، بحيث لا يمكن القول بأن المؤلفة قد التزمت طريقة معينة ، ومعنى ذلك أن المؤلفة وإن كانت قد أخذت فى الترتيب العام للمداخل بالمادة اللغوية وترتيب حروفها أساسا ، لم تعتمد هذا الأساس أو غيره فى الترتيب الداخلى على النحو المتكامل .

ثانيا : كثافة المداخل فى معجم المصطلح الصوفى .

بلغ عدد المصطلحات فى رسالة ابن عربى 198 مصطلحا ، شرحت معانيها باختصار شديد ، وقد رتبها كما سبق ترتيبا عشوائيا ، أما كثافة المداخل فى اصطلاحات الكاشانى ، فقد بلغ عدد المداخل فى اصطلاحات الصوفية للكاشانى وفق طبعة الدكتور عبد الخالق محمود 498 أربعمائة وثمانية وتسعين مدخلا ، وبلغت 502 مدخلين وخمسمائة مدخل وفق طبعة الدكتور كمال جعفر ، وبلغت 510 عشرا وخمسمائة مدخل وفق طبعة الدكتور عبد العال شاهين ، أما كثافة المداخل فى لطائف الإعلام فقد بلغت 1658 ألفا وستمائة وثمانية وخمسين مدخلا ، ويعتبر هذا المعجم أكثر المعاجم التى ظهرت حتى الآن

من حيث عدد المداخل ، وفى معجم الدكتور الشرقاوى يقل عدد المداخل إلى الحد الملحوظ بحيث نرى أبوابا لا يرد فى كل منها سوى مدخل أو مدخلين أو ثلاثة مداخل ، وبلغت كثافته المداخل 195 مائة وخمسة وتسعين مصطلحا .

وفى المعجم الصوفى للدكتورة سعاد الحكيم ، قامت المؤلفة بترقيم المصطلحات ترقيما متسلسلا فلكل مدخل رقمه ، ورقم المصطلح الأخير يحدد لنا عدد المداخل التى ضمها المعجم ، حيث بلغت كثافة المداخل فى معجمها 706 ستة وسبعمائة مدخل ، وجدير بالذكر أن هذا العدد يعد قليلا ولا يضم كل ما ورد عند بن عربى فى مؤلفاته من مصطلحات ، والمؤلفة لا تدعى حصرا لها وإنما تقول : (الواقع أن عملا كهذا لا يعتبر كاملا ، وذلك نظرا لضخامة المشروع فمعجم صوفى تنتقى مفرداته من قمة تفتح التجربة الصوفية واللغة الصوفية فى إطلالتها على الفلسفة بأنواعها والفلك و.. ، يجعل عملا كهذا فى حكم المشروع الإنسانى ، يضاف إلى ذلك غزارة نتائج الشيخ الأكبر إذ أن فتوحاته تزيد على ثلاثة آلاف صفحة) [1] .

وبذلك يعد هذا المعجم على ضخامة حجمه حيث بلغ عدد صفحاته 1312صفحة غير شامل لكل مصطلحات ابن عربى ، وإنما يضم جلها أو أهمها وفق اختيار المؤلفة ، وأكثر مصطلحاته تعبيرا عن فكره ونظرياته فى التصوف .

وفى معجم المصطلحات الصوفية الذى أعده الدكتور عبد المنعم الحفنى بلغت كثافة المداخل المعجمية ألف مصطلح تقريبا فقد بلغت مداخله 998 ثمانية وتسعين وتسعمائة مصطلحا .

1. مقدمة المعجم الصوفى للدكتورة سعاد حكيم ص24 .

ثالثا : الأصول القرآنية والنبوية فى معجم المصطلح الصوفى .

احتلت الشواهد من القرآن الكريم والحديث الشريف مكانة واضحة فى شرح المداخل بمعاجم المصطلح الصوفى ، وكثرت الأقوال المأثورة وبخاصة أقوال أئمة الصوفية فى شرح المداخل ، حتى كاد الدكتور الحفنى أن يجعلها أساسا للشرح فى جميع مداخل معجمه كما عنى بالنقل عن المتصوفة جميع أصحاب المعاجم الصوفية عناية ملحوظة فى شرح المداخل بمعاجمهم ، وهو أمر طبيعى فمصطلحات الصوفية لا يفهم دلالتها غير الصوفية ، فكانت شروحهم لها وتفسيراتهم ضرورية لكل من يحاول أن يجمع هذه الاصطلاحات فى معجم يعين القارئ على فهمها .

[1]- الشواهد القرآنية : تندر الشواهد القرآنية فى رسالة ابن عربى فى شروح الاصطلاحات ولا يوجد سوى ثلاثة شواهد قرآنية فى شرح ثلاثة مداخل اصطلاحية ، وليس ثمة شواهد من الحديث القدسى أو النبوى ، وقد جاء بالشواهد القرآنية الثلاثة شاهدا للمعنى دون اللفظ ، وإن كان أحدها قد

تضمن لفظا ، له بأحد ألفاظ المدخل علاقة صرفية اشتقاقية ، يقول ابن عربى : (العدل والحق مخلوق به ، عبارة عن أول موجود خلقه الله وهو قوله : { وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلا بِالْحَقِّ } [الحجر/85]) [1] .

1. اصطلاحات الصوفية ص139 .

وقد تضمن الشاهد القرآنى لفظ : (خلقنا) ولفظ : (بالحق) ، والأول بصيغة الماضى واللفظ الوارد بالمدخل : (المخلوق) اسم مفعول على صيغة : (مفعول) أما الثانى فقد ورد بلفظه ولكن المدخل لم يرد بلفظه فى الشاهد بنفس العلاقات بين أجزائه ، ويلاحظ أنه قد فصل بين المدخل والشاهد بشرح المدخل بمرادف تفسيرى ، ويقول فى المصطلح الثانى :

(الحقيقة سلب آثار أوصافك عنك بأوصافه بأنه الفاعل بك فيك منك لا أنت : { مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا } [هود/56]) [1] ، فقد خلا الشاهد من لفظ المدخل ، فهو شاهد على معناه دون لفظه ، ويلاحظ أن الشاهد لم يسبق بعبارة ، قوله تعالى أو قال تعالى التى تدل على أن الشاهد قرآنى ، وقد فصل بينه وبين المدخل بشرحه بمرادف تفسيرى أيضا ، وجاء الشاهد فى نهاية الشرح ، وفى شرح المصطلح الثالث يقول : (التلوين تنقل العبد فى أحواله وهو عند الأكثرين مقام ناقص ، وعندنا هو أكمل المقامات ، وحال العبد فيه حال قوله تعالى : { كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ } [الرحمن/29]) [2] ، وهو شاهد على المعنى أيضا ، وقد فصل بينه وبين المدخل بشرح تفسيرى ثم جاء الشاهد

القرآنى فى نهاية شرح المدخل أيضا ، وبذلك يتضح أن رتبة الشاهد القرآنى فى هذه الشروح الثلاثة تأتى بعد المدخل، ثم الشرح بمرادف تفسيرى ، ثم الشاهد القرآنى .

---

1. السابق ص140 . 2. السابق ص141 .

* وفى معجم الكاشانى تأتى الشواهد القرآنية من حيث الرتبة ، بعد شرح المدخل شرحا دلاليا بذكر مرادفه الإفرادى أو التركيبى أو التفسيرى أو بوسيلة أخرى غير الاستشهاد ، ويتمثل ذلك فى شرح عدة مداخل تختلف باختلاف الشرح الدلالى ، ففى قوله : (الكتاب المبين : هو اللوح المحفوظ المراد بقوله تعالى : { وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ } [الأنعام/59]) [1] .

شُرح المصطلح المدخل بمرادف تركيبى مثله وهو : (اللوح المحفوظ) ، ثم جاء بالشاهد القرآنى المتضمن للفظ المصطلح ، أما فى المدخل : (النفس الأمارة) فيقول : (النفس الأمارة هى التى تميل إلى الطبيعة البدنية ، وتأمر باللذات والشهوات الحسية ، وتجذب القلب إلى الجهة السفلية ، فهى مأوى الشر ومنبع الأخلاق الذميمة والأفعال السيئة ، قال الله تعالى : { إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ } [يوسف/53]) [2] .

فقد اتسع الشرح الدلالى فجأة فى عدة جمل متتابعة فى علاقة عطفية ، ثم انتهى الشرح بالاستشهاد بالشاهد القرآنى ، وقلما يقدم الشاهد القرآنى على شرح المدخل دلاليا كما جاء فى قوله :

(نون فى قوله تعالى : { ن وَالْقَلَمِ } [القلم/1] ، هو العلم الإجمالى فى الحضرة الأحدية ، والقلم حضرة التفضيل)[3] ، ومن ذلك أيضا أن يأتى بالمدخل ثم

1. اصطلاحات الصوفية للكاشانى تحقيق الدكتور عبد العال شاهين ص88 .
2. اصطلاحات الصوفية ص115 ، ولطائف الإعلام 359/2 .
3. السابق ص118 ، ولطائف الإعلام 365/2 .

يشير إلى الشاهد دون ذكره ، ثم يشرح المعنى كما فى قوله : (الزجاجة المشار إليها فى آية النور ، هى القلب والمصباح هو الروح ، والشجرة التى تتقد منه الزجاجة المشبهة بالكوكب الدرى ، هى النفس والمشكاة هى البدن)[1] .
وإن كان لم يكتف فى شرح المدخل بشرح الزجاجة ، وإنما شرح ألفاظا أخرى وردت فى الآية على أنها مصطلحات صوفية أيضا .

ويستشهد الكاشانى بالشاهد القرآنى للمصطلح المدخل لفظا ومعنى أو لمعناه فحسب ، أى أن الشاهد القرآنى قد يتضمن لفظ المدخل إذا كان مفردا أو مركبا ويدل على معناه ، وقد يكون شاهدا على معنى المدخل سواء أكان مفردا دون أن يتضمن لفظه ، وفى بعض المداخل المركبة يتضمن الشاهد القرآنى لفظ أحد جزئى التركيب الاصطلاحى مثل :

1- مداخل تتضمن شواهدها القرآنية لفظ المصطلح المدخل ، ومن أمثلتها مصطلح : (النفس المطئنة) ، قال : (هى التى تم تنورها بنور القلب حتى انخلعت عن صفاتها الذميمة ، وتخلقت بالأخلاق الحميدة ، وتوجهت إلى جهة القلب بالكلية ، مشايعة له فى الترقى إلى جانب عالم القدس ، متنزهة

عن جانب الرجس ، مواظبة على الطاعات ، مساكنة إلى حضرة رفيع الدرجات ، حتى خطابها ربها بقوله :
{ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي

1. السابق ص80 ، ولطائف الإعلام 507/1 .

عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي } [الفجر/ 27:30]) [1] ومن الواضح أن مصطلح (النفس المطمئنة) قد ورد بلفظه فى الشاهد القرآنى كما تضمن الشاهد معنى المدخل أيضا .

2- مداخل شواهدها القرآنية للمعنى ولا تتضمن لفظها ، ومن ذلك مصطلح المكانة يقول : (وهى المترلة التى هى أرفع المنازل عند الله تعالى وقد يطلق عليها المكان ، وهو المشار إليه بقوله تعالى : { فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ } [القمر/55]) [2] ومن الواضح أن لفظ : (المكانة) لم يرد فى نص الشاهد القرآنى وإنما ورد معناه المتضمن مرادفه .

3- مداخل مركبة الشواهد القرآنية للجزء الثانى منها ، ومن أمثلتها قوله : (عبد المجيب هو الذى أجاب دعوة الحق وأجابه وأطاعه حين يسمع قوله : { يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ } [الأحقاف/31] ، وأجاب الله تعالى دعوته حتى تجلى له باسمه المجيب ، فيجيب كل من دعاه من عباده إلى حاجته ، لأنه من جملة الاستجابة التى أوجبه عليه لإجابته تعالى له ، فى قوله : { وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا

لِي } [البقرة/186] لأنه يرى دعائهم دعائه بحكم القرب ، والتوحيد اللازم للإيمان الشهودى فى قوله : { وَلْيُؤْمِنُوا بِي } [البقرة/186]) [3] فالجزء الأول

1. السابق ص 116 ، ولطائف الإعلام حـ2ص360 .
2. السابق ص108 ، ولطائف الإعلام 333/2 .
3. السابق ص 136، ولطائف الإعلام 127/2 .

من : (عبد المجيب) ، لم يرد فى الشاهد ، وإنما ورد بالشاهد لفظ من مادة الجزء الثانى ، ومن الواضح أن صيغة الجزء الثانى من المدخل المركب فى : (عبد المجيب) تخلفت عن صيغة اللفظ الوارد بالشاهد القرآنى : (أجيبوا أجيب – فليستجيبوا) ، وثمة أمر تجدر الإشارة إليه ، وهو أن الشاهد القرآنى فى معجم الكاشانى لم يأت فى نهاية شرح المدخل فى جميع حالاته وإنما اكتنفه الشرح الدلالى فى بعض الأحيان ، بحيث توسط الشاهد بين أجزء الشرح أو ايضاح المدخل .

* وأما الشواهد القرآنية فى معجم الدكتور الحفنى ، فقد بلغ خمسة وأربعين شاهدا ، استعان المؤلف بها وحدها فى شرح خمسة وثلاثين مدخلا ، وتعدد الشاهد القرآنى فى خمسة مداخل منها ، وجاء وحده فى ثلاثين مدخلا وقد أخذ الشاهد القرآنى فى شرح المداخل عند الحفنى اتجاهين من حيث الرتبة ، فإما يأتى المدخل ، ثم الشرح بمرادف تفسيرى ، ثم يأتى الشاهد القرآنى ، كما ورد فى مصطلح : (الاصطفاء) قال : (الاصطفاء أن يجعل الله تعالى قلب العبد فارغا لمعرفته ،حتى تبسط معرفته الصفاء فى قلبه ، وتتساوى فى هذه الدرجة خواص

المؤمنين وعامتهم من عاص ومطيع وولى ونبى لقوله تعالى : { ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ } [فاطر/32]) [1] .

---

1. معجم مصطلحات الصوفية للدكتور عبد المنعم حنفى ص 17 .

ومن الواضح أن الشاهد القرآنى جاء فى نهاية شرح المدخل ، وأن الشرح قد بدأ بمرادف تفسيرى من عدة جمل ، وجاء الشاهد شاهدا على اللفظ والمعنى جميعا ، وإما أن يأتى الشرح بمرادف تركيبى ثم يأتى بعده الشاهد [1] .

وقد يتسع شرح المدخل فيتجاوز الإطار المعجمى إلى الإطار الموسوعى المقالى وينتهى بالشاهد القرآنى [2] ، لكن الشاهد القرآنى فى معجم الحفنى لا يتقدم شرح المدخل ، سواء أكان فى نهاية الشرح أم كان متوسطا بين الشرح ، كما أن الجزء الثانى من الشرح ، قد يختلف فى علاقته بالجزء الأول بين أن يكون رأيا جديدا منقولا عن أحد الأئمة أو الصحابة ، أو أن يكون تكملة للجزء الأول من الشرح أو يكون تعليقا على الشاهد القرآنى .

* الشواهد القرآنية فى المعجم الصوفي : كان للطريقة التى حددتها الدكتورة سعاد الحكيم لشرح المداخل فى معجمها ، أثر كبير فى نمطية الاستعانة بالشاهد القرآنى فى شرح المصطلح الصوفى عند ابن عربى على وجه الخصوص ، فلقد تضمن المعجم معجما للألفاظ القرآنية التى استخدمها الصوفية استخداما خاص بهم ، وبخاصة ما ورد من هذه الألفاظ من مؤلفات ابن عربى ، أما ما لم يرد من

هذه الاصطلاحات فى القرآن الكريم ، فقد أشارت إليه أحيانا بتعبير : (المفرد غير وارد فى القرآن) ، وبذلك يمكن تقسيم مداخل المعجم إلى قسمين :

الأول : ألفاظ وردت فى القرآن الكريم ، وقد بلغ عدد ألفاظ هذا القسم مائة

1. السابق ص34 ، ص213 .
2. السابق ص68 .

وخمسة وسبعين لفظا (175) وتعددت معها الشواهد القرآنية وفقا لتنوع كل لفظ منها فى القرآن الكريم [1] .

الثانى : ألفاظ غير واردة فى القرآن الكريم ، وبلغت ألفاظ القسم الثانى خمسمائة وواحدا وثلاثين لفظا (531) ، جاء منها اثنان وعشرون لفظا ، أورت المؤلفة نصا على عدم ورود كل منها فى القرآن الكريم بتعبير : (المفرد غير وارد فى القرآن) أو (غير قرآنية) أو (لم يرد المفرد فى القرآن) ، إلى غير ذلك من التعبيرات [2] .

وقد أخذ الشاهد القرآنى من حيث الرتبة مكانا معينا لم يتغير بالنسبة للمدخل والشرح عند ابن عربى ، فقد توسط بين شرح المعنى اللغوى وبين شرح المعنى عند ابن عربى وهى رتبة طبيعية ، اختارتها له المؤلفة منذ بداية المعجم ، أو منذ شرعت تقدم لمعجمها ، والتزمت باختيارها لذلك إلى حد ملحوظ ، كما أنه من الواضح أن المؤلفة تعنى بعدد مرات ورود الشاهد فى القرآن الكريم ، كما عنيت بالتعليق على الشاهد القرآنى فى كثير من الأحيان ، وتوثيقه بذكر السورة ورقم الآية ، وربما يأتى التعليق متقدما فى بعض المداخل على الشواهد وهى

تبرز فى عمومها الصلة الوثيقة بين المعنى الصوفى والمعنى القرآنى ، وهو أمر يشير إلى مدى اهتمام المؤلفة وعنايتها بالشاهد القرآنى فى شرح مصطلاحات ابـــن عربى على وجه الخصوص .

---

1. انظر على سبيل المثال مصطلح (الأمانة) فى المعجم الصوفى ص131 .
2. انظر على سبيل المثال مصطلح (العماء) فى المرجع السابق ص820 .

* الشواهد القرآنية فى معجم الدكتور الشرقاوى :

اختلفت طريقة الاستعانة بالشواهد القرآنية فى المعجم اختلافا ملحوظا ، ففى رتبة الشاهد فى المداخل التى عنى فيها المؤلف بشرح المعنى اللغوى يقدم الشرح اللغوى ، ثم يورد بعد ذلك الشاهد القرآنى ، وبعد ذلك يذكر المعنى الصـــوفى كما فى مصطلح (البرزخ) ، وقد يستشهد بشاهدين من القـــرآن الكـــريم ، ثم يعلق بشرح الشاهد ، ويكون الشاهد القرآنى متوسطا بين ذكر المعنى اللغـــوى وبين ذكر المعنى الصوفى أيضا كما فى مصطلح (الأثر) (1) .

وقد يقدم الشاهد القرآني مشيرا إلى أن المصطلح الصوفى مستمد منه ، ثم يذكر المعنى اللغوى ثم المعنى الصوفى (2) ، وإذا كان المصطلح متعدد الدلالة تتعـــدد الشواهد القرآنية وفقا لهذا التعدد فى المعنى ففى مصطلح : (الإحسان) ، جـــاء المؤلف بعشرة معان فأورد عشرة شواهد ، لكل معنى شاهد من القرآن الكريم يقدم المعنى ثم يعقبه بالشاهد (3) ، وقد تنتشر الشواهد فى أثناء الشـــرح تبعـــا لذكر الملامح المختلفة للمعنى كما فعل فى مصطلح : (الرؤيا) (4) ، وغالبا مـــا

كانت العلاقة الصرفية بين صيغة المصطلح المدخل وصيغة اللفظ الوارد بالشاهد القرآنى متوافقة فى أغلب الشواهد .

---

1. معجم ألفاظ الصوفية للدكتور حسن الشرقاوى ص71 .
2. السابق ص27 .
3. السابق ص105 .
4. السابق ص28 .

ومما يجد التنبيه إليه أن كل المعاجم السابقة خلت فى الغالب من ضوابط اعتبار الأصول القرآنية للمصطلحات ، فالكل يورد الشاهد على أنه أصل قرآنى للاصطلاح ، دون نقد أو تعليق يبين السبب فى ذلك ، وعلى أى منهج اعتبر الشاهد صالحا للاحتجاج ، سواء هو الذى استشهد للمصطلح ، أو نقله عن غيره من أعلام الصوفية ولعل ذلك يرجع إلى اهتمامهم بالعملية المعجمية فى المقام الأول ، فما يعنيهم هو حصر ألفاظ الصوفية والاستدلال لها بغض النظر عن كون ذلك مقبولا أو غير مقبول .

ثانيا : الشواهد الحديثية .

* الشواهد الحديثية عند الكاشانى : لا تختلف طريقة الكاشانى فى استخدام شواهد الحديث النبوى عن طريقته فى استخدام الشواهد القرآنية أو شواهد الحديث القدسى ، فهو يأتى بشاهد الحديث النبوى بعد شرح المدخل دلاليا فى بعض المداخل ، وفى بعض ثان يتسع الشرح ليشمل الشاهد ، كما أن بعض

الشواهد تتضمن المدخل لفظا ومعنى ، فتتشابه الصيغة الصرفية للفظ المـــدخل واللفظ الوارد بالشاهد وقد تختلف .

فمثلا فى مصطلح : (القدم) يأتى المصطلح المدخل ، ثم الشرح الدلالى ، ثم الشاهد من الحديث النبوى ، يقول الكاشانى [1] : (القدم هى السابقة الـــتى حكم الحق بها للعبد أزلا ويخص بما يكمل ويتم به الاستعداد من الموهبة الأخيرة

1. معجم اصطلاحات الصوفية ص160، لطائف الإعلام 228/2 .

بالنسبة إلى العبد لقوله عليه السلام : " لا يزال جهنم تقول : هل من مزيـــد ؟ حتى يضع الجبار فيها قدمه فيقول قطنى قطنى " [1] ، وقد جاء الحديث شـــاهدا على لفظ المدخل دون معناه ، وقد يستشهد الكاشانى بشاهدين من الحـــديث النبوى ، ويأخذان نفس الموضع من الترتيب أيضا ، كما فى مصطلح (صـــبيح الوجه) [2] ، فقد استشهد فيه بحديثين جاء أحدهما شاهدا على لفظ المـــدخل ومعناه ، وجاء الآخر ويشاركه قول الصحابي شاهدا على المعنى دون اللفظ .

* الشواهد الحديثية فى معجم الحفنى : بلغ عدد شواهد الحديث النبوى أربعين حديثا ، فى حين قل عدد شواهد الحديث القدسى إلى حد ملحوظ إذا ما قورن بعدد شواهد الحديث النبوى ، فقد بلغ ثلاثة أحاديث فقط ، وجـــاء حـــديث قدسى واحدا شاهد فى شرح أحد المداخل فى المعجم تقدم عليه الشرح بمرادف تفسيرى وفصل بينه وبين المدخل [3] .

ومن الواضح أن المؤلف قد استخدم عبارة : (قوله تعالى) ، وهى العبارة التى يستخدمها فى كثير من الشواهد القرآنية ، مما يجعل القارئ قد يخلط بين النص القرآنى ونص الحديث القدسى ، فلم يقل : وفى الحديث القدسى أو قال رسول

1. أخرجه مسلم عن أنس بن مالك τ أن نبي الله ε قال : " لا تزال جهنم تقول : هل من مزيد ؟ حتى يضع فيها رب العزة تبارك وتعالى قدمه ، فتقول : قط قط وعزتك ويزوى بعضها إلى بعض " انظر صحيح مسلم حديث رقم (2848) 2187/4 .
2. معجم اصطلاحات الصوفية ص155 ، لطائف الإعلام 52/2 .
3. معجم مصطلحات الصوفية للدكتور عبد المنعم حنفى ص 130 .

الله عن رب العزة ، أو غير ذلك من التعبيرات التى اعتاد الدارسون استخدامها عند الاستشهاد بحديث قدسى ، ويتضح من شرح المدخل أن الحديث القدسى لم يتضمن لفظ المدخل ، وإنما جاء شاهدا على معنى المدخل دون لفظه ، كما أورده المؤلف فى نهاية الشرح دون أن يعلق عليه ، وفى الشاهدين اللذين أوردهما المؤلف من الأحاديث القدسية مع نوعين آخرين من الشواهد استخدم عبارة : (قوله تعالى) أيضا ، وهى عبارة متلابسة وبخاصة عند اجتماع شاهدين أحدهما قرآنى والآخر حديث قدسى [1] .

أما شواهد الحديث النبوى فقد جاء منها ثلاثة وثلاثون حديثا ، كل منها فى شرح المدخل المعجمى ، وتعدد الشاهد الحديثى فى شرح مدخلين ، وجاء مع غيره فى خمسة مداخل ، وقد أخذ الشاهد الحديثي ثلاث رتب بالنسبة للمدخل والشرح :

1- أن يأتى الشاهد الحديثي بعد المدخل وقبل الشرح .

2- أن يأتى المدخل ثم الشرح ثم الحديث .

3- أن يأتى الشرح شاملا للشاهد بعد المدخل المعجمى بحيث يتقدمه جزء من الشرح ويتأخر عنه جزء آخر .

* الشواهد الحديثية فى المعجم الصوفى : عنى ابن عربى بالأحاديث الشريفة فى استقصاء مصطلحاته منها ، أو فى تأويل معانيها لتساير المعنى الصوفى الغامض

1. السابق ص199 .

بالرمز والإشارة ، وكان أمرا طبيعيا أن ترد بالمعجم الصوفى شواهد من الحديث الشريف ، فالمؤلفة تنقل نصوص ابن عربى فى شرح كل مصطلح من المصطلحات فى المعجم ، وكثير من هذه النصوص يتضمن شواهد من الحديث الشريف ، ولذلك تعد نصوص ابن عربى المكان الواضح والرتبة البارزة للشاهد الحديثى ، فمثلا فى مصطلح : (جنة ميراث) تنقل المؤلفة فى شرحه نصا من عوارف المعارف يبدأ بحديث شريف ، قالت :

(جنة ميراث قال ε : " إن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع .. الحديث ") [1] .

ثم تشرح المؤلفة معنى المصطلح بإيجاز ، وتنقل نصوصا من فتوحات ابن عربى وهى تعتمد فى عدم إيراد المعنى فى اللغة أو المعنى فى القرآن على ذكر ذلك فى المدخل الرئيسى ، وقد تذكر المؤلفة الشاهد الحديثى تحت عنوان : (فى القرآن) فى شرح المدخل وهو أمر نادر كما حدث فى شرح : (ترجمان) فقد ذكرت

المؤلفة المعنى فى اللغة ثم قالت : (فى القرآن كلمة ترجمان ليست قرآنية ولكنها وردت فى الحديث الشريف بالمعنى اللغوى السابق : ما منكم أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان)[2] ، ثم ذكرت بعد ذلك المعنى عند ابـــن عـــربى وكأن المؤلفة كانت تفكر فى أن تجعل للحديث رتبة بارزة بعد القرآن فى شرح المداخل فى معجمها ، ولكن السمة البارزة فى جميع المصطلحات ، هـــى ورود

1. المعجم الصوفى ص281 .
2. السابق ص237 .

الشواهد الحديثية فى أثناء شرح المعنى عند ابن عربى وبخاصة بين جنبات نصوصه السياقية .

* الشواهد الحديثية فى معجم الشرقاوى : اشتمل معجم الدكتور الشـــرقاوى على واحد وعشرين شاهدا من الحديث النبوى ، وأربعة شواهد من الحـــديث القدسى ، وفيما يلى محاولة لتوضيح أهم ملامح كيفية الاستعانة بهذا النوع من الشواهد فى شرح مداخل المعجم :

1- فقد يتوسط الشاهد من الحديث النبوى الشريف بين ذكر المعنى اللغـــوى وشرح الدلالة الصوفية كما فى مصطلح (الغين)[1] .
2- وقد يبدأ الشرح بذكر المعنى عند الصوفية ثم يأتى بالشاهد من الحـــديث النبوى الشريف كما جاء فى شرح مصطلح (الإيمان)[2] .

3- وعندما يجتمع الشاهد القرآنى والشاهد الحديثى ، يقدم الشاهد أو الشواهد القرآنية ثم يعلق عليها وبعد ذلك يأتى بالشاهد من الحديث النبوى الشريف كما حدث فى شرح مدخل (الابتلاء) (3) .

4- وقد يقدم الشاهد من الحديث النبوى على الشاهد القرآنى كما حدث فى شرحه لمصطلح (الدعاء) (4) .

---

1. معجم ألفاظ الصوفية للدكتور حسن الشرقاوى ص221 .
2. السابق ص.63
3. السابق ص.20
4. السابق ص138 .

4- أما الحديث القدسى ، فقد ورد شاهدا مقترنا بالقرآن الكريم ، ففى مدخل (الجوع) ،جاء المعنى اللغوى : ثم الشاهد القرآنى ، ثم الحديث القدسى وفى مصطلح (الذكر) ، فصل بين الشواهد القرآنية وشاهد الحديث القدسى فبدأ بالشرح اللغوى ، ثم بذكر المعنى الصوفى ثم أتى بشواهد قرآنية ، ثم آراء لبعض الصوفية ثم جاء الحديث القدسى (1) .

ومما يجدر التنبيه إليه أن كل المعاجم السابقة كما خلت فى الغالب من ضوابط اعتبارية للاحتجاج بالأصول القرآنية ـــ فالكل يورد الشاهد على أنه أصل قرآنى للاصطلاح كأمر مسلم به دون نقد أو تعليق يبين السبب فى ذلك وعلى أى منهج اعتبر الشاهد صالحا للاحتجاج ـــ كذلك سار الأمر فى الشواهد الحديثية ، هذا فضلا عن خلوها من التحقيق العلمى لدرجة الحديث من حيث

الثبوت أو عدمه ، فأغلبهم يشير إلى تخريج الحديث من مصدره بغض النظر عن صلاحيته للاحتجاج أو يعزوه إلى مصدر آخر نقله عنه .

1. السابق ص111 .

الفصل الخامس

دراسة منهجية فى معرفة المصطلح الصوفى وأصوله القرآنية

من الأساسيات الضرورية للتعرف على المصطلح الصوفي ، تحديد المنهج الذى نميز به بين ما يمكن أن يكون مصطلحا تعارف عليه الصوفية ، أو لفظا صوفيا يشابه سائر الألفاظ ، فلا يمكن أن نعتبر كل لفظ نطق به أحد الصوفية وأراد التعبير عن فكرة عنت له فى كشف مذهبه أو خوض تجربته ، اصطلاحا ينسب إلى جميع الصوفية بدعوى الانتساب إلى التصوف .

فالاصطلاح فى علم اللغة : هو اتفاق طائفة مخصوصة على أمر مخصوص ، أو إجماع قوم على تسمية شئ من الأشياء [1] .

والتعبير الاصطلاحى فى علم اللغة ، له ضوابط محددة لا يصح إغفالها ، فلا بد للمصطلح أن يكون دقيقا محدد المعنى تحديدا تاما ، وأن تكون دلالته على معناها دلالة جامعة مانعة ، فلا يأتى المصطلح على معنى أوسع من لفظه ، وأن يكـــون لكل مفهوم دلالى مصطلح واحد ، لأن التعدد يوجب الخلط والاضطراب وهو

---

1. انظر مادة صلح فى المعاجم الآتية : المغرب في ترتيب المعرب ، لأبى الفتح ناصر الدين بن المطرز ، تحقيق محمود فاخوري ، و عبدالحميد مختار ، مكتبة أسامة بن زيد ، ســـوريا حلب 1979م ، 479/1 ، ولسان العرب لابن منظور 516/2 ، والقاموس المحيط للفيروز أبادى 293/1 .

ما لا يجوز فى لغة التخاطب العلمى ، وأن يكون مختصرا سهلا غير متنـــافر الحروف حتى يسهل نطقه وتداوله [1] .

ومن ثم لا بد من وضع الضوابط المنهجية التى تحكم قواعد اعتبار اللفظ ، بين كونه لفظا عاما ، أو اصطلاحا خاصا عندهم ، كما أنه من الضرورى أيضا التعرف على المنهج الذى نعتمد عليه فى استخراج الأصول القرآنية لتلك المصطلحات ، بحيث يكون منهجا شاملا صحيحا ، يؤدى إلى إظهار موضوع المصطلح من القرآن والسنة ، والكشف عن معناه ، فمن المعلوم أن القـــرآن لا يحمل رؤوس موضوعات ، أو أسماء أبواب وفصول كالمباحث الفلسفية ، ولكن الباحث يستخرج مما ورد فى آيات القرآن جميعها ، شاهدا يدل على أصـــالة

---

1. انظر المزيد عن المصطلح وصياغته من الناحية اللغويه : التعبير الاصطلاحى دراسة فى تأصيل المصطلح ومفهومه ومجالاته الدلالية وأنماطه التركيبية ، للدكتور زكى حسام الدين كريم ، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة سنة1985م ، الألفاظ المترادفة المتقاربة المعنى لأبى الحسن على بن عيسى الرمانى ، تحقيق ودراسة للدكتور فتح الله المصرى ، دار الوفاء القاهرة سنة1987م ، المصطلحات النقدية فى التراث العربى حتى القرن السابع الهجـــرى دراسة دلالية تاريخية ، رسالة دكتوراة إعداد عبد المطلب زيد ، مكتبة كلية دار العلوم سنة1989م ، المصطلح العلمى وأساليب صوغه فى مصر فى العصر الحديث ، رسالة ماجستير بمكتبة دار العلوم ، إعداد إبراهيم عبد المجيد عبد العزيز ضـــوه ســـنة1985م ، دلالة الألفاظ للدكتور إبراهيم أنيس ، الطبعة الثالثة ، مكتبة الأنجلو المصرية سنة1972م .

موضوعه وصحة المعنى الذى يشير إليه ، أو على الأقل يدلل على أن ما ذهب إليه لا يخالف أصول القرآن والسنة ، بصورة مباشرة أو غير مباشرة ، ومن ثم يتطلب الأمر استقصاءا شاملا للقرآن والسنة وفق منهج واضح فى بحث الأصول القرآنية لكل مصطلح صوفى على حده ، وقد اتبعت الدراسة المنهجية التالية فى معرفة المصطلح الصوفي وأصوله القرآنية :

أولا : منهج التعرف على المصطلح الصوفي :

تتنوع المصطلحات الصوفية التى لها أصول قرآنية وتنحصر فى نوعين :

. **النوع الأول** : مصطلحات صوفية لها أصول قرآنية أو نبوية من جهة اللفظ والمعنى ، وقد أوردها فى الجانب التطبيقى المعجمى من القسم الثانى فى الرسالة وقد استوعبت أربعة فصول متتالية ، الفصل الأول ويشمل المصطلحات التى بدأت بحرف الألف إلى حرف التاء ، والفصل الثانى ويشمل المصطلحات التى بدأت بحرف الثاء إلى حرف الذال ، والفصل الثالث ويشمل المصطلحات من حرف الراء إلى حرف الغين ، والفصل الرابع ويشمل المصطلحات ، من حرف الفاء إلى حرف الياء .

وقد التزمت فى حصر هذه النوعية من المصطلحات شرطا صارما يتمثل فى اتفاق جمع من الصوفية على ذكر مدخل المصطلح ، أو أحد تصاريفه اللغوية ، ولما كان أقل الجمع اثنين فصاعدا على خلاف بين علماء الأصول فى ذلك ، حيث قال بعضهم : أقل الجمع اثنان ، لأن الجمع في اللغة ضمّ شيء إلى شيء آخر فلما ضمّ

الواحد إلى الواحد كان ذلك جمعاً صحيحاً ، وقال آخرون : أقل الجمع ثلاثة لأن الألفاظ في اللغة إنما هي عبارات عن المعاني ، ولا خلاف بين العـرب في أن الاثنين لهما صيغة في الإخبار عنهما غير الصيغة التي للثلاثة فصاعداً ، وإن للثلاثـة فصاعداً إلى ما لا نهاية له من العدد صيغة غير صيغة الخبر الاثنين ، وهي صيغة الجمع ، ولا خلاف بين أحد من أهل اللسان في أن ضمير الغائب موضـوع بـلا خلاف بين أحد من أهل اللسان في موضع اسم الغائب ومبدل منه ، فلا يجـوز أن يبدل ضمير الجماعة إلا من الجماعة ، ولا ضمير الاثنين إلا من الاثنين ، ولو كان ذلك لوقع الإشكال وارتفع البيان ، فصح أن حكم ظاهر اللغة التي بها نزل القرآن وبها تكلم النبي ε أن أقل الجمع ثلاثة [1] .

وقد أخذت بالرأى الأخير من باب الأخذ بالأحوط ، والتزام الدقة على قدر الإمكان والاطمئنان فى حصر المصطلح الصوفى ، فاشترطت أن يتفق ثلاثة من الصوفية على الأقل على ذكر المصطلح بلفظه أو أحد تصاريفه المرتبطة بمعناه .

وقد بلغ عدد المداخل العامة على هذا الشرط فى الفصل الأول والثانى والثالث والرابع من القسم المعجمى ، مائة وأربعة وعشرين مصطلحا لهم أصول قرآنية .

وبلغ مجموع المداخل الفرعية والعامة فى هذه الفصول ، ثلاثمائة وتسعة وثلاثين مصطلحا ، وقد تنوعت الأوجه فى الالتزام بهذا الشرط على أربعة أنواع :

---

1. إحكام الإحكام فى أصول الأحكام ، لابن حزم الأندلسى 33/1 .

[1] – أن يتداول المصطلح أو أحد مشتقاته المرتبطة بمعناه ، ثلاثة من أعـــلام الصوفية على الأقل ، فيرد التصريح به والنص عليه فى ألفاظهم ومثال ذلك :

مصطلح : (الخلوة) ، حيث ورد على معنى الانفراد والوحدة ، والتخلى لذكر الله ، فى قول بشر بن الحافى الصوفى (ت:227هـــ) ، عندما سئل عمن يتفرد ويختار الخلوة ؟ : (ليتق الله تعالى عند خلوته وليلزم بيته ، وليكن أنيسه الله عز وجل وكلامه) [1] ، وقول ذى النون المصرى (ت:245هـــ) : (لم أر شـــيئا أبعث لطلب الإخلاص من الوحدة ، لأنه إذا خلا ، لم ير غير اللّه تعالى ، فـــإذا لم ير غيره ، لم يحركه إلا حكم اللّه ، ومن أحب الخلوة ، فقد تعلق بعمود الإخلاص ، واستمسك بركن كبير من أركان الصدق) [2].

وقول أبى عثمان المغربى (ت:373هـــ) : (من اختار الخلوة على الصـــحبة ينبغى أن يكون خاليا من جميع الأذكار إلا ذكر ربه ، وخاليا من جميع الإرادات إلا رضا ربه ، وخاليا من مطالبة النفس من جميع الأسباب ، فإن لم يكن بهذه الصفة ، فإن خلوته توقعه فى فتنة أو بلية) [3] ، فجميعهم صرح بلفظ المدخل وهو مصطلح (الخلوة) .

---

1. السابق ص 34 .
2. اللمع فى التصوف ص277 .
3. طبقات الصوفية ص21 .

ومثال ذلك أيضا مصطلح : (الدعوى) ، حيث ورد فى قول سهل بن عبد الله (ت:293هـ) : (أغلظ حجاب بين العبد وبين الله الدعوى) [1] ، وقول ابن عطاء الأدمى (ت:311هـ) :

(ثلاثة مقرونة بثلاثة الفتنة مقرونة بالمنية ، والمحبة مقرونة بالاختيار ، والبلوى مقرونة بالدعوى) [2] ، وقول أبى الخير الأقطع (ت:340هـ) : (الدعوى رعونة لا يحتمل القلب إمساكها فيلقيها إلى اللسان ، فتنطق بها ألسنة الحمقى ولا يعرف الأعمى ما يبصره البصير من محاسنه وقبائحه) [3] ، فجميعهم صرح بلفظ المدخل وهو مصطلح : (الدعوى) .

[2] – أن يرد المصطلح أو أحد تصاريفه المرتبطة بمعناه عند ثلاثة على الأقل من كتاب الصوفية الذين فسروا ألفاظهم وشرحوا رموزهم ، فيصرح كل منهم بأن المصطلح لفظ جرى على ألسنة الصوفية ، وإن اختلفوا فى توضيح معناه ، ومثال ذلك مصطلح : (الإحسان) ، حيث ورد عند السراج الطوسى على معنى أن تعبد اللَّه كأنك تراه ، بدوام المراقبة والمشاهدة بالإيمان واليقين [4] ، وذكره عبد الرزاق الكاشانى على معنى رؤية الرب نفسه فى عبده ، ورؤية العبد نفسه فى ربه كالمرآة يرى الناظر فيها نفسه ، فالإحسان رؤية الحق موصوفا بصفات العبد

---

1. الرسالة القشيرية ص300 .
2. اللمع ص429 .
3. طبقات الصوفية ص269 .
4. اللمع 544 .

فيراه العبد وراء حجب صفاته بعين صفاته لأنه فى عين اليقين ، فلا يرى الحقيقة بالحقيقة لأنه تعالى هو الرائى وصفه بوصفه ، فالكل تعيناته فلا شئ يوصف مما سواه بأنه عينه أو أنه غيره [1] ، وورد عند عبد الكريم الجيلى على معنى اتحـــاد البصر بالبصيرة ، فيشهدك الحق تعالى أنوار عظمته ساطعة على الوجود فيأخذك الصعق ، فحينئذ تبدو عليك شموس الجلال وأقمار الجمال من فلك الكمال على وفق مقتضى الحال مما لا يدخل تحت المقال ، فتشهدها ببصيرتك كأنك ناظر إليها بالبصر ، لاتحادها بقوة أحدية نور اليقين [2].

ومصطلح ، (الإنابة) ، وردت الإنابة عند أبى بكر الكلاباذى (ت:380هـــ) على معنى ، إخراج القلب من ظلمات الشبهات ، والرجوع من الكل إلى من له الكل ، والرجوع من الغفلة إلى الذكر ، ومن الوحشة إلى الأنس [3] .

وذكرها أبو اسماعيل الأنصارى الهروى (ت:481هـــ) ،على معنى الرجوع إلى الحق اصلاحا ، كما رجع إليه اعتذارا ، وذلك يكون بالخروج من التبعات والتوجع للعثرات ، واستدراك الفائتات ، والرجوع إليه وفاء ، كما رجع إليـــه إجابة ، وذلك يكون بالخلاص من لذة الذنب ، وبترك استهانة أهل الغفلة تخوفا

1. معجم الكاشانى ص53 ، وانظر لطائف الإعلام 178/1.
2. المناظر الإلهية ص181 .
3. التعريفات ص39 .

عليهم مع الرجاء لنفسك بالاستقصاء فى رؤية علل الخدمة ، والرجوع إليه حالا كما رجع إليه إجابة ، وذلك بالإياس من عملك ومعاينة اضطرارك وشيم برق لطفك [1] ، وعند عبد الرزاق الكاشانى على المعنى نفسه ، ولكن سماها إنابة العوام ، ثم ذكر أنواعا أخرى كإنابة الخاصة ، وإنابة خاصة الخاصة ، وإنابة خلاصة خاصة الخاصة ، وإنابة صفاء خلاصة خاصة الخاصة [2] .

[3] – أن يتداول المصطلح أو أحد مشتقاته المرتبطة بمعناه ، اثنان من أعلام الصوفية ، ويشهد لهم واحد من كتاب الصوفية الذين فسروا ألفاظهم وشرحوا رموزهم ، ومثال ذلك : مصطلح : (الإيثار) ، فقد ورد النص عليه فيما يروى عن أبى حفص النيسابورى (ت:270هـ) : (الإيثار أن تقدم حظوظ الإخوان على حظك فى أمر آخرتك ودنياك) [3] ، وفيما ذكره عبد اللّه بن خفيف الشيرازى (ت:371هـ) : (إن استطعت ألا يسبقك أحد إلى مولاك فافعل ولا تؤثر على مولاك شيئا) [4] .

ثم ذكره عبد الرزاق الكاشانى (ت:735هـ) ، عند الصوفية على معنى تخصيص الغير على النفس وهو عندهم يسمى إيثار الشريعة ، فيقول : (إيثار الشريعة هو الإيثار الذى تدعوا إليه الشريعة ، وهو أن يكون العبد مؤثرا اللّه

---

1. منازل السائرين للهروى ص 178 . 2. لطائف الإعلام 248/1 ، 249 .
3. طبقات الصوفية ص122 . 4. السابق ص144 .

ورسوله على هوى نفسه ، بحيث لا يعصى اللَّه فى شئ مما أمر ونهى ، كما قال رسول الله ε : " والذى نفسى بيده لا يؤمن أحدكم ، حتى يكون هواه تبعا لما جئت به " ثم ذكر معان أخرى للإيثار عندهم [1] .

ومصطلح : (الإخبات) ، ورد النص على لفظه عند الحكيم الترمـذى وأبى القاسم القشيرى ، وهما من أعلام الصوفية ، وإن كان القشيرى من كتاب الصوفية الذين فسروا ألفاظهم وشرحوا رموزهم ، ولكن الإخبات ورد فى متفرقات كلامه ، و لم يذكره كلفظ جرى على ألسنة الصوفية ، فهو يمثل هنـا واحدا من أعلام الصوفية لا واحدا من كتابهم ، قال الحكيم الترمذى : (القلب هو معدن التقوى ، والسكينة والوجل والإخبات واللين) ، ثم استدل له بقوله تعالى : { وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ } [الحج/54]) [2] ، ويقول القشيرى (ت:465هـ) : (الإخبـات استدامة الطاعة بشرط الاستقامة بقدر الاستطاعة ومن أمارات الإخبات كمال الخضوع بشرط دوام الخشوع ، وذلك بإطراق السريرة ، قال تعالى : { فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرْ الْمُخْبِتِينَ } [الحج/34] [3] ، ويعرفه مرة أخرى بأنـه

---

1. لطائف الإعلام 257/1 .
2. بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب ، للحكيم الترمذى ص54 .
3. لطائف الإشارات 2/ 542 .

التخشع لله بالقلب بدوام الانكسار ، ومن علامته الذبول تحت جريان المقـــادير بدوام الاستغاثة بالسر ، لقوله تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } [هود/23] [1] .

كما أورد الكاشانى (ت:735هـــ) الإخبات عند الصوفية فى مصطلحاته وجعله على أربعة أنواع ، السابق وهو إخبات العوام ، ثم إخبات المتوســطين وإخبات الخواص ، وإخبات البالغين [2] ، وكذلك مصطلح (البخل) حيث ورد فى قول أبى حفص النيسابورى (ت:270هـــ) عندما سئل عن البخل ؟ فقال : (ترك الإيثار عند الحاجة إليه) [3] .

وقال أبو على الجوزجانى (ت:بعد300هـــ) فى البخل : (هو ثلاثة أحرف : الباء وهو البلاء ، والخاء وهو الخسران ، واللام وهو اللوم ، فالبخيل بلاء فى نفسه وخاسر فى سعيه وملوم فى بخله) [4] ، وذكر القشيرى (ت:465هـــــ) أن حده على لسان أهل العلم منع الواجب ، وعلى بيان الإشارة ترك الإيثار فى زمان الاضطرار ، وأمر الناس بعدم البخل فى قوله تعالى : { الَّذِينَ يَبْخَلُــونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ } [الحديد/24] ، معناه منعهم عن مطالبـــات الحقـــائق فى معرض الشفقة عليهم بموجب الشرع ، وبيان هـــذا أن يقـــع بلســـانك الانسلاخ

1. السابق 130/2 .
2. معجم الكاشانى ص214 .
3. طبقات الصوفية ص120 .
4. السابق ص246 .

عن العلائق وحذف فضولات الحالة [1] .

[4] – أن يرد المصطلح أو أحد مشتقاته المرتبطة بمعناه ، عند اثنين من كتاب الصوفية الذين فسروا ألفاظهم وشرحوا رموزهم ، فيصرح كل منهم بالمصطلح كلفظ جرى على ألسنة الصوفية واصطلحوا عليه ، ويشهد لهم أيضا واحد من أعلام الصوفية ، ومثال ذلك مصطلح : (الاصطفاء) ، حيث أورده السراج الطوسى (ت:387هـ) ، ضمن شرحه لاصطلاحات الصوفية وألفاظهم على معنى الاجتباء فى سابق العلم ، لقوله تعالى : { وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } [الأنعام/87] ، ولقوله : { اللَّهُ يَصْطَفِي مِنْ الْمَلائِكَةِ رُسُلا وَمِنْ النَّاسِ } [الحج/75] [2] ، وذكره الهجويرى أيضا (ت:465هـ) ، أن الاصطفاء هو أن يفرغ الحق قلب المؤمن لمعرفته ، حتى تنشر معرفته صفاءها فيه ، واستدل لذلك بقوله تعالى : { ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ } [فاطر/32] [3] ، كما ذكره الحكيم الترمذى (ت:320هـ) ، وهو من أعلام الصوفية ، فقال : (الاصطفاء هو الاجتباء ، فالعبد المجتبى منذ بداية أمره رهن الفيضة الإلهية) [4] .

ومصطلح : (الامتحان) ، حيث ورد عند السراج الطوسى (ت:387هـ) فى

1. لطائف الإشارات 332/1 ، 333 .
2. اللمع ص447 .
3. كشف المحجوب ص635 .
4. الحكيم الترمذى ونظريته فى الولاية ص118 .

شرحه للألفاظ الجارية على ألسنتهم ، على معنى ابتلاء من الحق يحل بـــالقلوب المقبلة على اللَّه تعالى ، ومحنتها انقسامها وتشتتها ، ثم يقسم الامتحان إلى ثلاثة أنواع : امتحان لقوم منهم عقوبة ، وامتحان لقوم منهم تمحيص وكفـــارة وامتحان لقوم منهم استدعاء الزيادة وارتفاع الدرجة [1] ، وعنـــد الهجـــويرى أيضا حيث قال : (هذا الاصطلاح يدل على تجربة قلوب الأولياء بالبلوى التى يبتليهم الله تعالى بها فى الخوف والحزن والقبض والخشية قال تعالى : { أُوْلَئِـــكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ } [الحجرات/3]) [2] .

كما ذكر خير النساج من أعلام الصوفية (ت:بعد300هـــ) تصـــريفه ، فروى عنه أنه دخل بعض المساجد ، فتعلق به شاب من أصحابه ، فقال له : يا شيخ تعطف على فإن محنتى عظيمة ، فقال النساج : وما محنتـــك ؟ فقـــال : افتقدت البلاء وقورنت بالعافية ، وأنت تعلم أن هذه محنة عظيمة [3] .

ويجدر التنبيه على أن النوع الأول من المصطلحات ، روعى فيه تحقق معظـــم الأوجه السابقة مجتمعة ، أعنى أنه قد يجتمع فى المصطلح الواحد اتفاق ثلاثة من أعلام الصوفية على ذكره ، مع إضافة واحد من من كتاب المصطلحات أو اثنين أو ثلاثة ، وكذلك العكس يتفق ثلاثة من كتاب المصطلحات على ذكره ، مع إضافة شاهد لعلم من أعلام الصوفية أو اثنين أو ثلاثة ، وربما يرد فى المصـــطلح

---

1. اللمع ص449 . 2. كشف الحجوب ص471. 3. اللمع ص448 .

الواحد أربعة أو أكثر من أعلام الصوفية أو كتاب المصطلحات ، على حسب ما يظهر من المعانى الصوفية التى تبرز الأصول القرآنية ، أو تسهم فى توضيحها بشكل فعال ، أو تضيف بعض الاجتهادات المؤثرة فى إثراء الجانب الروحى فى الإسلام ، أو تبين معنى مفارقا للأصول القرآنية والنبوية ، كما ورد فى مصطلح (التوكل) ، حيث ذكرت فيه خمس عبارات صوفية ، مؤثرة فى توضيح الأصول القرآنية والنبوية ، ولا يسع الباحث تركها ، كقول الحارث بن أسد المحاسبى (ت:243هـ) : (التوكل المفترض على الناس فى جملتهم ، هو التصديق لله عز وجل فيما أخبر من قسم ، حيث قال :

{ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ } [الذاريات/22:23] ، وكفالته من سياقه الأرزاق إليهم ، وإيصال الأقوات التى قسمها فى الأوقات التى وقتها ، بتصديق تقوم الثقة به فى قلوبهم وينفى به الشكوك عنهم والشبه ، ويصفون به اليقين ، ويثبت به حقائق العمل أنه الخالق الرازق ، المحيى المميت ، المعطى المانع ، المنفرد بالأمر كله ، فإذا صح هذا العلم فى القلوب ، وكان ثابتا فى عقود الإيمان ، تنطق به الألسنة ، إقرارا منها بذلك لسيدها ، ويرجع إلى ذلك العلم عند تذكرها ، دفع الإسم عليها بالتوكل) [1] ، وما يروى عن أبى تراب النخشبى (ت:245هـ) حيث سأل

1. الرزق الحلال وحقيقة التوكل على اللَّه للمحاسبى ص40 .

عن التوكل فأجاب بعبارة جامعة معبرة عن أركان التوكل فى الإسلام ، فقال :

(التوكل طرح البدن فى العبودية ، وتعلق القلب بالربوبية ، والطمأنينة إلى الكفاية ، فإن أعطى شكر ، وإن منع صبر راضيا موافقا للقدر) [1] ، وكذلك من أجود ما ينسب لسهل بن عبد اللَّه (ت:293هـ) أنه قال : (من طعن فى الحركة فقد طعن فى السنة ومن طعن فى التوكل فقد طعن فى الإيمان ، والتوكل حال النبى ε والكسب سنته ، فمن بقى على حاله فلا يتركن سنته) [2] .

وهذا مما لاشك فيه باعث لعوام الصوفية فى عصرنا إلى والسعى والعمل والأخذ بالأسباب ، وترك التواكل والنهى عن بقائهم عالة على المجتمع ، ومثله أيضا ما ورد فى قول الحكيم الترمذى (ت:320هـ) ، فيمن ترك الطلب والسعى فى الأسباب وتواكل بحجة أن الرزق يطلب العبد كما يطلبه أجله ، وقد ضمن اللَّه الرزق لمخلوقاته : (إن كانوا قعدوا ينبغى لهم أن يقوموا وأن يطلبوا ، تحرزا من الطمع وفساد القلب ، فلا يضيع حق الزوجة والولد ، برغم أن أرزاقهم على اللَّه ، فهذا تارك للسبيل والسنة ، لقوله تعالى : { وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ } [البقرة/233] [3] ، وقال عبد اللَّه بن خفيف الشيرازى (ت:371هـ) : (التوكل الاكتفاء بضمانه وإسقاط التهمة عن قضائه) [4] .

---

1. الرسالة القشيرية 418/1 . 2. قوت القلوب فى معاملة المحبوب 16/2 .
3. آداب المريدين للترمذى ص169؛168 .
4. طبقات الصوفية ص465 .

وقد بين أبو طالب المكى (ت:386هـ) ، فى دراسة مستفيضة درجات التوكل ومراحله ، أوردت مختصرا يكشف أصالة ما ورد فى هذا الاصطلاح عند الأوائل [1] ، وكذلك أوردت ما ذكره السراج الطوسى (ت:387هـ) – وهو من كُتَّاب المصطلحات – فى كيفة الاستنباط من الأصول القرآنية التى يرد إليها المصطلح الصوفى [2] ، ثم ذكرت بعد ذلك ، ما يدلل على أن هذا التقسيم السابق فى أقوال الصوفية الذى تشهد له الأصول القرآنية والنبوية إلا أنه يعد مفهوما متواضعا عند كثير منهم ، حيث يسمونه توكل العامة ، أما التوكل عندهم ، فقد أخذ بنظرة أخرى ، فقالوا : (التوكل ترك التوكل) [3] ، حيث يكون العبد في هذه الدرجة ، مضمحلا لا وجود له ، ومن ثم يسقط التوكل فيقول الكاشانى : (التوكل أن ملكة الحق للأشياء ملكة عزة ، لا يشاركه فيها مشارك ، ليكل شركته إليه) [4] .

ومثال ذلك أيضا مصطلح : (الاستقامة) ، حيث ورد فيه أربع عبارات للصوفية وذكره أيضا ثلاثة من كتاب المصطلحات ، فروى عن حاتم الأصم (ت:237هـ) أنه قال :

1. قوت القلوب 13/2 .
2. اللمع ص78 .
3. السابق ص79 ، وانظر التعرف ص121 ، وعوارف المعارف ص346 .
4. الرسالة القشيرية 442/2 .

(يعرف الإخلاص بالاستقامة ، وتعرف الاستقامة بالرجاء) [1] ، وينسب ليحى بن معاذ (ت:258هـ) : (الاستقامة على ثلاثة أضرب : استقامة اللسان على كلمة الشهادة ، واستقامة الجنان على صدق الإرادة ، واستقامة الأركان على الجهد فى العبادة) [2] .

وروى عن أبى بكر الواسطى (ت:بعد320هـ) أنه قال : (الخصلة التى بها كملت المحاسن وبفقدها قبحت المحاسن الاستقامة) [3] ، ويذكر لأبى على الدقاق (ت:410هـ) أن الاستقامة توجب دوام الكرامات ، لقوله تعالى :

{ وَأَلَّوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا } [الجن/16] ، ولم يقل سقيناهم ، بل قال : أسقيناهم ، يقال : أسقيته إذا جعلت له سقيا فهو يشير إلى الدوام [4] .

كل هذه المعانى تدل علي حد الاستقامة عند الصوفية من خلال الأصول القرآنية ، ويؤيدها أيضا أحد كتاب المصطلحات ، وهو عبد الكريم القشيرى (ت:465هـ) فعرفها بأنها درجة بها كمال الأمور وتمامها ولوجودها حصول الخيرات ونظامها ، ومن لم يكن مستقيما فى حالته ضاع سعيه وخاب جهده ثم استدل لذلك بقوله تعالى :

1. السابق 441/2 .
2. لطائف الإعلام 1/ 362 وانظر معجم الكاشانى ص238 .
3. طبقات الصوفية ص94 .
4. الرسالة القشيرية 442/2 .

{ وَلا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا } [النحل/92] ، وقوله : { إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا } [الأحقـاف/13] ، وقد استدل على معنى الاستقامة بحديث سفيان بن عبد اللَّه الثقفى τ لما قال له النبى ε :" قل آمنـت باللَّه ثم استقم " [1] .

ولكن الاستقامة تأخذ مفهوما مفارقا عند آخرين ، فأوردت ما يؤيد ذلك من كلام ابن عربى (ت:638هـ) ، وعبد الكريم الجيلى (ت:829هـ) وكلاهما من كتاب المصطلحات ، فابن عربى يجعل الاستقامة عامة فى الوجود ، فالكـل على صراط مستقيم ، لقوله تعالى : { مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } [هود/56] ، فيقول ابن عربى (ت:638هـ) : (فما من أحد من العالم إلا على صراط مستقيم وهو صراط الرب تبارك وتعالى) [2] .

ويقول عبد الكريم الجيلى (ت:829هـ) : (الصراط المستقيم ، هو صراط اللَّه الذى هو تنوعات تجليه فى ذاته لذاته ، فمن حصل فى هذا الصراط واستقام على علم كيفية الاتصاف بأسماء اللَّه تعالى وصفاته ، فيتنوع بتجلياها فى العـالم على حسب مقتضى الشأن) [3] .

وقد تكرر هذا المنهج فى مصطلحات كثيرة ، كالأبد والإخلاص والتجلـى والتفكر والتقوى والتوبة والتوحيد والجوع والحرية والحزن والخوف .. إلخ .

---

1. السابق 441/2 . 2. فصوص الحكم ص241 . 3. المناظر الإلهية ص214 .

• **النوع الثانى** : مصطلحات صوفية لها أصول قرآنية أو نبوية من جهة اللفظ دون المعنى ، وقد أوردتها فى الفصل الخامس من حرف الألف إلى حرف الضاد وفى الفصل السادس من حرف الطاء إلى حرف الياء ، ولم أشترط فى حصرها المنهج المتبع فى النوع الأول ، وإنما اكتفيت فى معظمها أن يذكر المدخل عند كتاب المصطلحات ، مع بعض الشواهد إن وجد ، وسبب ذلك أن أغلب هذه الاصطلاحات ، إنما تمثل فى الحقيقة المفاهيم المعبرة عن آراء محى الدين بن عربى (ت:638هـ) وتلاميذ مدرسته ، حيث استخدمت فيها ألفاظ القرآن والسنة منزوعة الدلالة تماما عن معانيها المتعارف عليها بين الصحابة والتابعين وعامة السلف ، وكسيت بها فلسفة ابن عربى فى وحدة الوجود .

ولما لم يظهر هذا الفكر قبل ابن عربى ، تعذر تطبيق المنهج فى النوع الأول من المصطلحات على هذه النوعية ، فمن أمثلة ذلك مصطلح : (الغراب) يطلق فى الكتاب والسنة ويراد به الطائر المعروف سمى بذلك لسواده وكونه مبعدا فى الذهاب [1] ، فذكر فى قوله تعالى : { فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ } [المائدة/31] ، وقوله : { قَالَ يَاوَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنْ النَّادِمِينَ } [المائدة/31] ، وورد فى السنة من حديث أم المؤمنين حفصة ، قال رسول اللَّه ε : " خمس من الدواب

---

1. المفردات فى غريب القرآن ص359 .

لا حرج على من قتلهن ، الغراب والحدأة والفأرة والعقرب والكلب العقور " [1] .

وقال ابن عمر رضى الله عنه : " من يأكل الغراب وقد سماه رسول اللّـه ε فاسقا ، واللّه ما هو من الطيبات " [2] .

ولكنه يعنى فى اصطلاح ابن عربى شيئا آخر فيقول : (فقام الغراب وقال : أنا هيكل الأنوار ، ومحل الكيف والكم ، وأنا الرئيس المرؤس ، ولى الحس والمحسوس بى ظهرت الرسوم ، وأنا أصل الأشكال ، وبمراتب صورى تضرب الأمثال ، أنا صورة الفلك ، ومحل الملك على صح الاستواء ، وعنى كنى بالمستوى ، وأنا اللاحق الذى لا ألحق كما العقاب ، والسابق الذى لا يسبق ، هو الأول وأنا الآخر ، وله الباطن ولى الظاهر ، قسم الوجود بينى وبينه ، وأنا أظهرت عزه وكونه) [3] .

ثم يورده عبد الرزاق الكاشانى على أنه اصطلاح عند الصوفية ، ومعلوم أنه ينتمى إلى مدرسة ابن عربى ، ولهذا يشرح مقصود ابن عربى منه بصورة أوضح وأن الغراب يعنى الجسم الكلى لكونه فى غاية البعد عن عالم القدس والحضرة الأحدية والخلوه عن الإدراك والنورية [4] ، يقول : (الغراب الجسم الكلى وهو

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب الحج برقم (1828) 4/4 .
2. أخرجه ابن ماجة فى كتاب الصيد (3248) وصححه الشيخ الألبانى 1082/2.
3. رسالة الاتحاد الكونى ق146ب وانظر اصطلاحات الصوفية لابن عربى ص12 .
4. اصطلاحات الصوفية للكاشانى ص185 .

أول صورة الجوهر الهبائى ، وبه عم الخلاء ، وهو امتداد متوهم من غير جسم وحيث قبل الجسم الكلى من الأشكال الاستدارة ، علم أن الخلاء مستدير ، ولما كان هذا الجسم أصل الصور الجسمية الغالب عليها غسق الإمكان وسواده فكان فى غاية البعد من عالم القدس وحضرة الأحدية ، سمى بالغراب الذى هو مثل فى البعد والسواد) [1] .

ومصطلح : (الفرقان) ورد فى الكتاب والسنة على معنى القرآن ، فقال تعالى : { تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا } [الفرقان/1] ، وقال سبحانه : { شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنْ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ } [البقرة/185] ، فالفرقان كلام اللَّه تعالى ، سمى بذلك لفرقه بين الحق والباطل فى الاعتقاد ، والصدق والكذب فى المقال ، والصالح والطالح فى الأعمال [2] .

قال الإمام البخارى : " سمي الفرقان لأنه يفرق بين الحق والباطل " [3] ، وقال ε فى دعائه : " ربنا رب كل شيء ، فالق الحب والنوى ، ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان " [4] .

---

1. رشح الزلال ص129¡128 .
2. المفردات ص378 .
3. الجامع الصحيح المختصر للإمام البخارى ، طبعة دار ابن كثير 1770/4 .
4. أخرجه مسلم فى كتاب الذكر برقم (2713) 2084/4.

ولكنه عند ابن عربى ، يأخذ معنى مفارقا ، فالفرقان ضد القرآن حيث القرآن هو العلم اللدنى الإجمالى الجامع للحقائق كلها ، فيقول :

(قال فى التتريل بلسان نوح : { قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلا وَنَهَارًا فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلا فِرَارًا } [نوح/6] ، وعلم العلماء أهم إنما لم يجيبوا دعوته لما فيها من الفرقان ، والأمر قرآن لا فرقان ، ومن أقيم فى القرآن ، لا يصغى إلى الفرقان وإن كان فيه ، فإن القرآن يتضمن الفرقان ، والفرقان لا يتضمن القرآن ولهذا ما اختص بالقرآن إلا محمد ε لأنه أوتى جوامع الكلم ، فما دعا محمد قومه ليلا ونهارا ، بل دعاهم ليلا فى نهار ونهارا فى ليل) [1] .

ويقول أيضا : (فإن اللّه يقول : { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ } [المائدة/ 3] هذا هو الفرقان عند أهل اللّه بين الأمرين ، فإنهم قد يرونه ε فى كشفهم فيصحح لهم من الإخبار ما ضعف عندهم بالنقل ، وقد ينفون من الأخبار ما ثبت عندنا بالنقل) [2] .

ثم يذكره عبد الكريم الجيلى على معنى قريب من المعنى الذى أشار إليه ابن عربى ، فيقول : (الفرقان عبارة عن حقيقة الأسماء والصفات على اختلاف تنوعاتها ، فباعتباراتها تتميز كل صفة واسم عن غيرها ، فحصل الفرق فى نفس

---

1. فصوص الحكم 1 /70؛71 .
2. الفتوحات المكية 28/4 .

الحق من حيث أسماؤه الحسنى وصفاته ، فإن اسمه الرحيم غير اسمه الشديد واسمه المنعم غير اسمه المنتقم ، وصفة الرضا غير صفة الغضب ، فكما أن الفرق حاصل فى الأفعال ، فكذلك فى الصفات ، وكذلك فى نفس واحدية الذات التى لا فرق فيها ، لكن من غرائب شئؤون جمع الذات النقيضين من المحال والواجب) [1] .

ومثله أيضا فى مصطلح : (الكفر) يراد به فى القرآن والسنة الكفر بالله ورسله ε ، فقال تعالى فيمن يجحد الوحدانية : { لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلا إِلَهٌ وَاحِدٌ } [المائدة/73] ، وقال عن كفر اليهود بالرسالة المحمدية :

{ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ } [البقرة/89] وقال فيمن جحد الشريعة : { هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ فِي الأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلا مَقْتًا وَلا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلا خَسَارًا } [فاطر /39] ، وفى السنة عن جبير بن مطعم τ قال : قال رسول الله ε : (لي خمسة أسماء ، أنا محمد وأحمد ، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي ، وأنا العاقب) [2] .

ولكن الكفر يراد به عند ابن عربى الإيمان الحقيقى ، حيث يقول : (وأما

---

1. الإنسان الكامل 75/1 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب المناقب (3268) 385/6.

الإيمان فهو أمر عام ، وكذلك الكفر الذى هو ضده ، فإن اللَّه قد سمى مؤمنا من آمن بالحق ، وسمى مؤمنا من يؤمن بالباطل ، وسمى كافرا من يكفر باللَّه وسم كافرا من يكفر بالطاغوت ، والكافر من الأولياء من كان ختم الحق على قلبه لأنه اتخذه بيته ، وختم على سمعه فلا يصغى إلى كلام أحد إلا كلام ربه) (1) .

ثم يتنوع الأمر عند أتباع ابن عربى على هذا المنوال فيقول عبد الرزاق الكاشانى : (ومنهم الكافرون يقصد الأولياء ، وهم الساترون ، مقامهم مثل الملامتية والكفار الزارعون لأنهم يسترون البذرة فى الأرض) (2) ، ويقول الجيلى : (وفى منظر الكفر ، يتجلى الحق تعالى على العبد بتجلى يستتر عنه حقائق ما يجب الإيمان به ، لظهور سمات الجمال ، فيقال : كافر بمعنى ساتر) (3) .

وكذلك فى مصطلح : (النكاح) ، حيث ورد فى الكتاب والسنة على معنى الزواج ، فقال تعالى : { وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ } [النساء/6] ، وقال سبحانه : { فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ } [النساء/25] ، إلى غير ذلك من الآيات ، وفى السنة ما روى أن زينب بنت جحش رضي اللَّه عنها ، كانت تفخر على نساء النبي ε وتقول : " إن

---

1. الفتوحات 136/2، 388/3 .
2. تفسير القرآن الكريم للكاشانى ، منسوب لابن عربى 339/1 .
3. المناظر الإلهية ص178 .

اللَّه أنكحني في السماء "[1] ، وعن المسور بن مخرمة τ قال : " إن عليا خطب بنت أبي جهل ، فسمعت بذلك فاطمة ، فأتت رسول اللَّه ε فقالت : يزعم قومك ، أنك لا تغضب لبناتك ، وهذا علي ناكح بنت أبي جهل "[2] .

ولما دخل عبد اللَّه بن عباس τ على عائشة رضى الله عنها قبل موهتا وهي مغلوبة ، قال : " فأنت بخير إن شاء اللَّه زوجة رسول اللَّه ε و لم ينكح بكرا غيرك ، ونزل عذرك من السماء "[3] .

ولكن النكاح عند ابن عربى يقصد به التزاوج بين الذات اللإلهية فى خفائها بالمخلوقات العينية فى ظهورها عن طريق التوجه الحبى ، فالذات فى الأزل على زعمه كانت كنزا مخيفا بالغيبة وانعدام الظهور فأرادت أن تعرف بالميل الأصلى والحب الذاتى للظهور ، هذا الحب هو الوصلة بين الخفاء والظهور ، يسرى ذلك إلى كل متعين ظاهر فى جميع مراتب التعينات ، فتلك الوصلة هى أصل النكاح السارى فى جميع الزرارى عند أصحاب الوحدة ، يقول ابن عربى :

(المخلوقات زوج لأنها شفعت وجود الحق بعد أحديته فى الأزلية ، كما أن هناك المرأة شفعت بوجودها الرجل ، فصيرته زوجا فظهرت الثلاثة ، حق

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب التوحيد (7421) 415/13 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب المناقب (3729) 106/7 .
3. أخرجه البخارى فى كتاب تفسير القرآن (4754) 341/8 .

ورجل وامرأة ، فحن الرجل إلى ربه الذى هو أصله حنين المرأة إليه ، فحبب إليه ربه النساء ، كما أحب اللّه من هو على صورته ، فإذا شاهد الرجل الحـــق فى المرأة كان شهودا فى منفعل ، وإذا شاهده فى نفسه من حيث ظهور المرأة عنه شاهده فى فاعل ، وإذا شاهده فى نفسه من غير استحضار صورة ما ، كـــان شهودا فى منفعل عن الحق بلا واسطة ، فشهوده للحق فى المرأة أتم وأكمل ، لأنه يشاهد الحق من حيث هو فاعل منفعل) [1] .

ثم يعلل بذلك ما روى عن أنس بن مالك τ من قوله ε : " حبـــب إلي مـــن الدنيا النساء والطيب وجعل قرة عيني في الصلاة " [2] ، فيقول : (فلهذا أحب ε النساء ، لكمال شهود الحق فيهن ، إذ لا يشاهد الحق مجردا عن المواد أبـــدا ولما لم تكن الشهادة إلا فى مادة ، فشهود الحق فى النساء ، أعظم الشـــهود وأكمله ، وأعظم الوصلة الجماع الحلال وهو نظير التوجه الإلهى على من خلقه على صورته ليخلفه فيرى فيه نفسه) [3] .

1. فصوص الحكم ص .332
2. أخرجه النسائى فى كتاب عشرة النساء برقم (3939) ، وقال الشيخ الألبـــانى : حديث حسن صحيح 7/ 61 ، ورواه الحاكم فى المستدرك وقال : صحيح على شرط مسلم برقم (2676) 174/2 ، وأخرجه أبو يعلى فى مسنده برقم (3482) وقال الشيخ حسين أسد : اسناده حسن 199/6 .
3. فصوص الحكم ص 332 .

وقال أيضا : (ولما أحب الرجل المرأة ، طلب الوصلة ، أى غاية الوصلة التى تكون فى المحبة ، فلم يكن فى صورة النشأة العنصرية أعظم وصلة من النكاح ولهذا تعم الشهوة أجزاءه كلها ، ولذلك أمر بالاغتسال منه ، فعمت الطهارة كما عم الفناء فيها عند حصول الشهوة ، فإن الحق غيور على عبده أن يعتقد أنه يلتذ بغيره فطهره بالغسل ليرجع بالنظر إليه فيمن فنى فيه ، إذ لا يكون إلا ذلك) [1] .

وعلى هذه الوتيرة ، يفسر قوله تعالى : { يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ } [فاطر/13] ، فيقول : (فجعله اللَّه نكاحا معنويا ، لما كانت الأشياء تتولد فيهما معا ، وأكد هذا المعنى بقولة : { يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ } [الأعراف/54] من قوله : { فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلا خَفِيفًا } [الأعراف/189] ، فأراد النكاح فكان) [2] .

وقد تكرر الأمر على هذا النهج فى المصطلحات كثيرة كالفتح المبين ، والفتح القريب والفراق ، وقاب قوسين ، والقدم ، والقلم والقيامة ، والكأس والكتاب المبين ، والكتاب المسطور ، والكوكب ، وليلة القدر ، والمثل ، ومجمع البحرين ومشرق الشمس ، ومغرب الشمس ، والموت ، والنار ، والثقلان ، والنقباء والنور ، والواقعة ، والياقوت ، ويوم الجمعة ، وجميعها ألفاظ قرآنية أو نبوية متروعة الدلالة عن معانيها المرادة فى مقصود المتكلم ، وموضوعة بتعسف على

---

1. السابق ص 333؛332 .
2. كتاب أيام الشأن ص7 .

متفرقات جزئية لفكر ابن عربى ، تتابع أتباعه على شرحها أو إعادة صياغتها بصورة أخرى ، وقد توسعت الدكتوره سعاد حكيم فى معجمها الصوفى فى حصر هذه النوعية من المصطلحات عند ابن عربى ، سواء ورد اللفظ فى القرآن أو لم يرد ، واعتبرت كل ما ورد عنه من هذه النوعية اصطلاحات صوفية ومداخل معجمية تنطق بالحكمة .

أما إذا كان الاصطلاح له امتداد عند الأوائل ، أو ما قبل عصر ابن عربى موضوع على معنى باطنى ، لا يدل عليه مقتضى ظاهر القرآن أو السنة ، ذكرته على شرط منهج النوع الأول من المصطلحات مثل مصطلح الإحرام ، والبيت المعمور ، والتلبيس والتلوين ، والتمكين ، والجمع ، والزكاة ، والسكر ، والشرب والفرق والمسامرة ، والملامتية ، والوطن وغير ذلك من المصطلحات .

فمصطلح : (الإحرام) ورد فى القرآن والسنة على نية أحد النسكين الحج أو العمرة أو لهما معا ، وهو فيهما بمترلة التكبير فى الصلاة ، فالتكبيرة الأولى فى الصلاة يقال لها تكبيرة الإحرام ، فإذا أحرم الحاج أو المعتمر منع من أشياء تحل له فى غير الإحرام ، كحلق الشعر وتغطية الرأس وصيد البر والنكاح والجماع وغير ذلك مما بينه القرآن والسنة ، ففى القرآن : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ } [المائدة/95] وقال سبحانه : { أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ } [المائدة/1] وقال : { وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا } [المائدة/96] ، وفى السنة عن عبد اللَّه بن عمر رضى اللَّه عنهما قال : " قام رجل فقال : يا رسول اللَّه ، ماذا تأمرنا أن نلبس من

الثياب في الإحرام ؟ فقال النبي ε : لا تلبسوا القميص ولا السراويلات ، ولا العمائم ولا البرانس ، إلا أن يكون أحد ليست له نعلان فليلبس الخفين وليقطع أسفل من الكعبين ، ولا تلبسوا شيئا مسه زعفران ولا الورس ولا تنتقب المـــرأة المحرمة ولا تلبس القفازين " (1) .

والإحرام ينتهى بانتهاء النسك ، ولا دليل فى إيجاب الإحرام على غير من دخل لأحد النسكين الحج أو العمرة ، لقوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلا الْهَدْيَ وَلا الْقَلائِدَ وَلا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا } [المائدة/2] (2) .

أما الإحرام فى الاصطلاح الصوفى ، فيعنى عندهم معنى باطنيا يخالف المعنى الظاهر المتعارف عليه بين النبى ε وأصحابه ، فإذا قيل فى عرفهم : رجل محـــرم فإنهم يعنون أنه ترك شهوة المخلوقات ، كما أن الخروج عن الإحـــرام لـــيس بالتحلل منه كما هو المقصود فى القرآن والسنة ، ولكنه عبارة عـــن التوســـع للخلق والنزول إليهم بعد العندية فى مقعد صدق (3) .

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب الحج (1838) 63/4 .
2. الروضة الندية شرح الدرر البهية ، لأبى الطيب صديق بن حسن البخارى ، مكتبة التراث القاهرة ، بدون تاريخ 250/1 ، والمفردات فى غريب القرآن ص115 .
3. كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى 131/6 .

وهذا المعنى نقله التهانوى عن الصوفية دون نسبته إلى أحد ، ولكن له امتداد عند الجنيد بن محمد (ت:298هـ) ، فيروى عنه أنه قال لرجل محرم يريد الحج إلى مكة : هل تخليت عن صفاتك الآدمية كما تخليت عن ثيابك الاعتيادية ؟ فقال : اللَّهم لا ، قال له : إنك إذا لم تحرم [1] ، ويؤيده فى هذا الفكر الباطنى السراج الطوسى (ت:378هـ) فيقول :

(وإذا نزعوا ثيابهم للإحرام وتجردوا وحلو العقد واتزروا وارتدوا ، كذلك نزعوا عنهم أسرارهم الغل والحسد وحلوا عن قلوبهم عقد الهوى ومحبة الدنيا و لم يعودوا إلى ما خرجوا منه من ذلك) [2] ، ويصرح على بن عثمان الهجويرى فى كشف المحجوب (ت:465هـ) أن الإحرام فى عرف الصوفية ، هو أن يحرم على نفسه ذكر الغير [3] .

أما من جهة الأصول القرآنية والنبوية ، فإن الشواهد ظاهرة فى أن الإحرام فعل ظاهر من أفعال العبادات يرتبط بالنية وإرادة اللَّه بالعمل ، كما هو الحال فى سائر العبادات ، فيتحتم أن يتوفر فيها شرطان أساسيان حتى يقبل العمل وهما :

---

1. كشف المحجوب ص393 .
2. اللمع ص228 .
3. كشف المحجوب ص 391 .

1- الإخلاص لله ، لقوله تعالى : { وَمَا أُمِرُوا إلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ } [البينة/5] .

2- متابعة السنة ، لقوله ε فيما روى عن عائشة رضى الله عنها : " من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد " [1] .

أما ما ذكره الصوفية لمعنى الإحرام من ترك شهوة المخلوقات ، ففيه نوع من الإطلاق يفتقر إلى ضبطه بمقياس الشرع ، فليس كل ما يشتهى محرما ، والتخلى عن صفات الآدمية ، وذكر الغير ليس على إطلاقه أيضا ، وإنما التخلى عن الصفات الذميمة من الوجهة الشرعية هو المراد ، فليس كل الصفات الآدمية ذميما ، ولا ينبغى أن يسمى ذلك إحراما ، لأن الإحرام له مفهومه الشرعى وقدسيته الخاصة ، التى لا يجوز المساس بها أو تمييع مدلولها .

كما أن نزع الغل والحسد ، وخلع عقد الهوى ، ومحبة الدنيا عن القلب ، كل ذلك من المعانى ، لا تقترن بالحج أو غيره من العبادات عند أدائها أو أداء بعضها فقط ، ولكنها معان مصاحبة للمسلم عند نطقه بالشهادتين وإذعانه لربه وإعلانه الإسلام ، فالصحابة وهم خير القرون ، لم يذكر عنهم أنهم التفتوا فى إحرامهم إلى ذلك ، ولم يتناقلوه فيما بينهم ، ولم يثبت عنهم ذلك ، ولو كان خيرا ما تركوه .

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب الصلح (2697) .

ثانيا : منهج ترتيب مداخل المصطلحات الصوفية .

التزمت فى ترتيب مداخل المصطلحات منهجا تبدو معالمه فيما يأتى :

[1] – رتبت المداخل حسب الترتيب الهجائى للمشرق العربى [1] فصنفت المصطلحات ، دون اعتبار ألف ولام التعريف ، إلى ثمانية وعشرين مدخلا وفق الحرف الأول من المصطلح .

[2]– اعتمد ترتيب الحروف فى كل مصطلح على صورة الكلمة ، لا على نظام المواد اللغوية الذى يرجع اللفظ إلى أصوله اللغوية ، ثم يعتمد حروف المواد الأصول فى الترتيب ، وإنما المدخل هو صورة الكلمة المكتوبة فقط ، فمثلا فى باب الألف ، وردت الاصطلاحات الآتية : (الأبد ، الاتصال ، الإحسان الإخبات ، الاختيار ، الإخلاص ، الإرادة ، الاستقامة ، الاصطفاء ، الاصطناع الاعتصام ، الامتحان ، الإنابة ، الإيثار) ، فالمعتبر هو النظر إلى المدخل بحروف الكلمة ، لا بالمادة اللغوية أو حروفها الأصول ، كما أن حرف الألف ليس

---

1. ترتيب المشرق العربى : (أ – ب – ت – ث – ج – ح – خ – د – ذ – ر – ز – س ش – ص – ض– ط ظ – ع – غ – ف – ق – ك – ل – م – ن –هـ – و– ى) .
وترتيب المغرب العربى : (أ – ب – ت – ث – ج – ح – خ – د – ذ – ر – ز– ط ظ – ك – ل – م – ن – ص – ض – ع – غ – ف– ق– س – ش – هـ – و– ى)
فالاختلاف بينه وبين ترتيبها فى المشرق العربى بعد الزاى .

مقصورا على المصطلحات التى تبدأ بالألف فقط وإنما ضم إليه ما بدأ بالهمزة .

[3]- الاصطلاحات المركبة ، لا يعتد فى ترتيبها ، إلا بالجزء الأول من تركيبها كما فى اصطلاحات : (المأخوذ والمستلب ، الأفق الأعلى ، الأفق المبين ، التدانى والتدلى ، مشرق الشمس ، مغرب الشمس ، الوفاء بالعهد ، يوم الجمعة ..) حيث تقدم الأول فى الترتيب على الثانى مع النظر إلى الحرف الأول من الجزء الثانى فى الترتيب العام للمداخل .

[4] – الترتيب الداخلى للمداخل روعى فيه ترتيب المداخل المعجمية حسب كل حرف من حروف الكلمة ، الأول فالثانى فالثالث وما يليها ، كما فى المصطلحات الواردة فى حرف التاء : (التبتل ، التجلى ، التسليم ، التفريد التفكر ، التقديس ، التقوى ، التواضع ، التوبة ، التوجه ، التوحيد ، التوفيق التوكل ..) حيث تقدم مدخل التبتل على التجلى ، لتقدم الباء على الجيم ، والتجلى على التسليم ، لتقدم الجيم على السين ، وهكذا فى جميع المداخل .

[5] – إذا اشتمل المدخل العام على بعضى المداخل الفرعية ، فإنه لا ينطبق عليها ما تقدم ، وإنما رتبت المداخل الفرعية حسب القرب أو البعد من المعانى ذات الأصول القرآنية ، كما فى مصطلح : (التفكر) ، حيث اشتمل هذا المدخل على بعض المداخل الفرعية مثل : (تفكر العامة) ، (تفكر الخاصة) ، (تفكر خاصة الخاصة) ، فجاء (تفكر العامة) أولا ، لأنه أقرب إلى الأصول القرآنية والنبوية ، فيعنى عندهم : (التفكر لعامة الناس من غير الصوفية ، لتحصيل ما به يسهل عليهم الخلاص من إتيان الشهوات التى زينت للناس ، حتى ملكت

رقهم ، فإذا أمكن العبد التحرر من رقها بالتحرر من إتيانها ، حتى خرج من ظلمة الشهوات إلى أنوار المشاهدات ، صار من أهل القربات لا محالة) [1] ، ثم (تفكر الخاصة) ثانيا ، وهو عند الصوفية أرقى ، إلا أنه من الأصول القرآنية أبعد فجاء على معنى :(تحصيل ما يسهل سلوك طريق الحقيقة) [2] ، ثم (تفكر خاصة الخاصة) ، إذ هو أشد بعدا ، حيث ينقلب الأمر بالتفكر ، إلى ترك حضيض التفكر ، فورد كما ذكر عنهم : (وأما خاصة الخاصة ، فقد ارتفعوا عن حضيض التفكر ، الذى هو طلب أمر مفقود ، إلى أوج التذكر الذى هو مشاهدة الحق الموجود) [3] .

وربما تعددت المداخل الفرعية إلى ما هو أكثر من ذلك ، كما فى مصطلح : (الإنابة) ، حيث ورد تحت المدخل العام ، خمسة مداخل وهى : (إنابة العوام) فذكرت أولا ، لأنها مبنية على الشواهد الصحيحة من الكتاب والسنة ، ثم (إنابة الخاصة) ، وهى الرجوع من مخالفة الإرادة الإلهية إلى موافقتها ، بحيث لا يختلج فى القلب إرادة شئ من الأشياء لعلمه أنه لا يقع إلا ما أراد اللَّه وقوعه [4] .

---

1. معجم الكاشانى ص196 .
2. السابق ص 196 .
3. لطائف الإعلام 336/1 ، 337 .
4. السابق 248/1 ،249 .

وهذ قريب من مذهب الجبر ، ثم (إنابة خاصة الخاصة) ، وهى ألا يرى مع اللَّه سواه [1] ، ثم (إنابة خلاصة خاصة الخاصة) ، وهى ألا يرى فيما يقال إنه سواه أنه شئ سوى مراتب تجلياته ، ثم (إنابة صفاء خلاصة خاصة الخاصة) .

ويعرف الكاشانى حدها عندهم بقوله : (تمكنك عند إنابتك إليه ، بحيث لا تنقهر تحت سلطنة التجلى عن رؤية المجلى ، باستهلاكك فى نور المتجلى ، لئلا يستهلك أحكام المراتب ، فيفوتك الخير الكثير ، الذى هو معرفة الحكمة فى أحكام مواقع تلك التجليات ، والقيام بحقوقها) [2] ، وجميع هذه المعانى ما عدا (إنابة العوام) ، تميل عن المعنى القرآنى على اختلاف بينها فى زاوية البعد .

ثالثا : منهج ترتيب الشواهد الصوفية فى المداخل .

التزمت فى ترتيب شواهد المداخل العامة ، سواء من أقوال الصوفية أو كتاب المصطلحات فى الأبواب ، الثالث والرابع والخامس منهجا يرتكز على ما يلى :

(1 – عرض أقوال الصوفية حسب الترتيب الزمنى لتاريخ الوفاة من الأدنى إلى الأعلى ، ليتسنى للقارئ متابعة التطور فى معنى المصطلح الصوفي ، وما طرأ عليه من تغير عبر الزمن ، ومن الأمثلة الدالة على ذلك مصطلح : (الحرية) ، حيث ورد فى هذا المدخل سبعة شواهد من أقوال أعلام الصوفية ، وثلاثة من أقوال كتاب المصطلحات ، فرتبتهم حسب التسلسل الزمنى لتاريخ الوفاة ، فالأول ما

---

1. السابق 249/1 .   2. السابق 249/1 .

روى عن بشر الحافى ، حيث توفى سنة (227هـــ) [1] ، ثم ما نسب لأحمد بن خضرويه توفى سنة (240هـــ) [2] ، ثم ما يروى عن الجنيد بن محمـــد ســـيد الطائفة فى عصره (ت:297هـــ) [3] ثم إبرهيم بن شيبان (ت:330هـــ) [4] .

---

1. انظر فى ترجمته ومعرفة تارخ وفاته ، الرسالة القشيرية 73/1 ، ومرآة الجنان 92/2 وطبقات الشعرانى 84/1 ، وشذرات الذهب 60/2 ، وتاريخ بغداد 67/2 ، والبداية والنهاية 297/10 ، وحلية الأولياء 336/8 معجم البلـــدان 444/1 ، والفهرســـت 184/1 .
2. يراجع فى ترجمته : تاريخ بغداد 137/4، وحلية الأولياء 42/10 ، وصـــفة الصـــفوة 137/4 وطبقات الشعرانى 95/1 ، الرسالة القشيرية 103/1 وسير أعـــلام النـــبلاء 129/8 ، ومعجم المؤلفين 214/1 ، وكنوز الأولياء ص94 ، وجامع كرامات الأولياء 290/1 ، والكواكب الدرية 198/1 ، و النجوم الزاهرة 303/2 ، وتذكرة الأوليـــاء 247/1 .
3. انظر ترجمته فى طبقات الصوفية ص155، ولواقح الأنوار 98/1 ، ومرآة الجنان 231/2 والمنتظم 105/6 وفيات الأعيان 146/1 وطبقـــات الشـــفاعية 28/2 ، والأنســـاب ص464 والبداية والنهاية 4113/11 ، وسير أعلام النبلاء 155/9 ، وطبقات الحنابلة 127/1 ونتائج الأفكار القدسية 139/1 وهدية العارفين 258/1 ، وفهرست بن النديم 185/1 وفهرست الخديوية 87/2 ، وروضات الجنات ص 164، والنجـــوم الزاهـــرة 76/3 ، وسير السلف الصالحين ص195 .

4. انظر ترجمته فى حلية الأولياء 361/10 ، وشذرات الذهب 344/2 ، والرسالة القشيرية 174/1 ونتائج الأفكار القدسية 199/1 ، وطبقات الشعرانى 132/1 ، وطبقات الصوفية ص403 .

ثم أبو بكر الشبلى (ت:334هـ) [1] والشيخ عبد الله ابن خفيف الشيرازى (ت:371هـ) [2] وكل هؤلاء من أعلام الصوفية ، ثم أوردت قول أبى نصر السراج الطوسى (ت:387هـ) [3] ، ككاتب للمصطلحات الصوفية ، ثم ما يروى عن أبى على الدقاق (ت:410هـ) [4] ، وهو من أعلام الصوفية لا من كتابهم ، ولكنه جاء فى الترتيب متأخرا فى الزمن عن السراج الطوسى ، ثم أوردت بعد ذلك فى المدخل ، شرح المصطلح لأبى القاسم القشيرى ، حيث

---

1. انظر ترجمته فى حلية الأولياء 366/10 ، وصفة الصفوة 258/2 ، ونتائج الأفكار القدسية 187/1 ، وطبقات الشعرانى 121/1 ، ووفيات الأعيان 225/1 ، وتاريخ بغداد 389/14 ، واللباب 10/2 ، والأنساب ص329 ، والديباج المذهب ص116 وهدية الأحباب ص140 ، والكامل 350/8 ، والمنتظم 347/6 .
2. انظر ترجمته فى حلية الأولياء 385/10 ، ونتائج الأفكار القدسية 6/2 ، وطبقات الشعرانى 142/1 ، وشذرات الذهب 76/3 ، ومعجم البلدان 350/3 ، وطبقات الشافعية 150/2، والمنتظم 112/7 .
3. تقدمت ترجمته انظر ص 147 .
4. أستاذ القشيرى صاحب الرسالة ، توفى ودفن بنيسابور سنة 410 هـ انظر وفيات الأعيان لابن خلكان 375/2 ، وطبقات الشافعية 112/3 ، والكواكب الدرية فى

تراجم السادة الصوفية لعبد الرؤف المناوى 225/1 .

توفى سنة (465هـ) [1] ، ثم رأى محى الدين بن عربى (ت:638هـ) [2] من خلال ما ذكره عبد الرزاق الكاشانى (ت:735هـ) فى تصنيفه للمداخل الفرعية فى مصطلح (الحرية) .

ويمكن للقارئ أن يلحظ بمجرد النظر إلى الشواهد فى ترتيبها تطور معنى الحرية عند الصوفية من معنى بسيط يعنى إتمام العبودية لله والإخلاص لله وحده ، وألا يكون العبد عبدا لدرهم أو دينار أو استرقه شئ سوى الله [3] إلى معنى مركب بعيد الصلة تماما عن الأصول القرآنية فى عصر ابن عربى ، حيث تعنى الخروج عن رق الرسوم والآثار ، لانمحاق ظلمة كونهم فى تجلى نور الأنوار ، فالحرية تحرر من ظلمات أهل الحجاب، الذين لا يعبدون إلا صور الكثرة الأسمائية المحتجبين بها عن الوحدة [4] .

(2 – رجعت فى تحديد تاريخ الوفاة إلى جميع كتب التراجم الممكنة ، مثل ما ورد من مراجع فى الترجمة السابقة لبشر الحافى وأحمد بن خضرويه والجنيد بن محمد وإبرهيم بن شيبان وغيرهم ، كما اكتفيت بوضع سنة الوفاة بجوار الإسم

---

1. تقدمت ترجمته انظر ص 154 .
2. تقدمت ترجمته ص 157 .

3.اللمع ص450 .

4. فصوص الحكم ص 73:71 .

مباشرة ، و لم أبين فى الهامش المصادر التى اعتمدت عليها فى تحديد سنة الوفـــاة لأن صفحات الرسالة تضيق ولا تتسع بشكل تفصيلى أو إجمالى ، لذكر مصادر الترجمة لهذا العدد الكبير من الصوفية ، فقد بلغ عدد أعلام الصوفية وكتابهم فى جميع المداخل أكثر من خمسمائة صوفى ، ولذا اكتفيت بوضع سنة الوفاة بجوار الإسم فقط ، وقد راعيت عند اختلاف أصحاب التراجم فى تاريخ الوفاة لأحد أعلام الصوفية الأخذ بالرأى الذى عليه جمهور المترجمين ، فإن لم يكن غير رأيين أو ثلاثة أخذت بالأحوط دائما ، مثال ذلك فى ترجمة (الجنيد بن محمد) اختلفوا فى وفاته ، فمن قائل إنه توفى سنة سبع وتسعين ومائتين [1] ، ومن قائل إنه توفى ببغداد سنة ثمان وتسعين ومائتين [2] ، ومن قائل إنه توفى ببغداد سنة تسع وتسعين ومائتين [3] ، وجمهور المترجمين أو ما يزيد على العشرين منهم على أنه توفى سنة (ت:297هـــ) فأخذت به .

---

1. ذكره أبو القاسم القشيرى فى ترجمته ، انظر الرسالة القشيرية 116/1 ، وأبو عبـــد الرحمن السلمى فى طبقات الصوفية ص156 .

2. ذكره الخطيب البغداى بسنده عن الحسين بن المنادي قال : (مات الجنيد بن محمـــد ليلة النيروز ودفن من الغد وكان ذلك في سنة ثمان وتسعين ومائتين) ، انظر تـــاريخ بغداد 241./7

3. انظر كتاب نفحات الأنس من حضرات القدس لأبى البركات عبد الرحمن الجـــامى طبعة الأزهر الشريف ، دار التراث العربى سنة 1409ه ، 1989م ، ص258 .

ومثال ذلك أيضا ترجمة (شاه الكرمانى) حيث ورد قولان فى وفاته ، القـــول الأول أنه مات سنة ست وسبعين ومائتين [1] ، والثانى أنه مات قبل الثلاثمائة [2] وقد ترددت أقوال المترجمين جميعا بين هذين القولين ، فأخذت بالأحوط وهـــو الرأى الثانى ، وكتبت بجوار شاه الكرمانى (ت:قبل300هـــ) .

(3- ألحقت فى كل مصطلح على حدة ، تاريخ الوفاة لكل شخصية صوفية وذلك حتى يتسنى ترتيبهم زمنيا من جهة الأقرب إلى عصر خير القرون ، ومـــن ناحية أخرى مراعاة ترتيب الأفكار قربا من المعنى الوارد فى الأصول القرآنيـــة والنبوية ، وثالثة أنه ربما أراد القارئ البحث عن مصطلح بعينه دون الرجوع إلى ما سبق ، فيمكِّنه ذلك من معرفة الترتيب الزمنى للشواهد فى هـــذا المـــدخل ، ولهذا ربما يتكرر ذكر تاريخ الوفاة لصوفى ما فى كل مصطلح ، مثل الحارث بن أسد المحاسبى (ت:243هـــ) ذكر فى مصطلح (الإخلاص) وذكر مرة أخـــرى فى مصطلح (البلاء) ومصطلح (الحرص) وغير ذلك من المداخل ، أما إذا تكرر ذكر شخصية صوفية أكثر من مرة فى المصطلح الواحد ، اكتفيت بذكر تـــاريخ الوفاة مرة واحدة ، كما فى مصطلح : (الخليفة) ، حيث ورد ذكر ابن عربى

1. ذكره صاحب نفحات الأنس ص274 .

2 . ذكره أبو عبد الرحمن السلمى فى طبقات الصوفية ص192 ، وأبو القاسم القشيرى فى الرسالة 136/1 .

(ت:638هـ) أربع مرات ، فأوردت تاريخ وفاته عند أول ما ذكر .

(4 – عرضت أقوال الصوفية فى القسم الثانى ، من الفصل الأول إلى الفصل الرابع فى جميع المداخل ، بصورة تمكن القارئ من معرفة ما إذا كان القول ثابت النسبة أو محتمل ، ففرقت بين ما هو مؤكد من الأقوال فى نسبتها إلى أصحابها وبين ما يروى عنهم ، مما لا يخضع للضوابط المتفق عليها ، فى اتصال السند وعدالة الرواة ، وضبطهم ، ومدى توثيق النقل عندهم ، فإذا كان القول مرويا عن شخصية صوفية ، دون سند صحيح منصوص عليه ، ومتصل إلى ذلك الصوفى ، ذكرته بصيغة التمريض أو البناء للمجهول ، مثل : (روى عن فلان) أو (ينسب لفلان كذا) ، أو (يذكر لفلان) ، أو (أن فلانا قال) ، أو ما شابه ذلك من الصيغ التى تعطى معنى إمكانية الثبوت أو عدمها ، أما إذا كان القول ثابتا فى تراث منسوب له نسبة صحيحة ذكرته بصيغة الجزم ، أو البناء للمعلوم مثل : (قال فلان) ، أو (ذكر فلان) ، أو غير ذلك من صيغ الأداء .

ومثال ذلك الشواهد الواردة فى مصطلح : (الشكر) ، حيث ورد فى هذا المدخل شاهدان مرويان عن أبى سعيد الخراز ، ورويم بن أحمد البغدادى ، الأول ذكره أبو بكر محمد الكلاباذى فى كتابه التعرف بصيغة الجزم ، فقال : (قال أبو سعيد الخراز : (الشكر الاعتراف للمنعم والإقرار بالربوبية) [1] ، والثانى

1. التعرف ص100 .

ذكره أبو القاسم القشيرى فى الرسالة بصيغة الجزم أيضا ، فقال : (وقال رويم : الشكر استفراغ الطاقة) [1] ، مع أن الكلاباذى لم يدرك أبا سعيد الخراز ، و لم يسمع منه فأبو سعيد توفى سنة (279هـ) ، والكلاباذى توفى سنة (380هـ) و لم يصرح أنه سمع من ثقة نقله عن أبى سعيد وكذلك القشيرى (ت:465هـ) لم يدرك رويم بن أحمد البغدادى (ت:303هـ) ومن ثم عرضت قولهما بصيغة البناء للمجهول هكذا :

(ويروى عن أبى سعيد الخراز (ت:279هـ) أنه قال : (الشكر الاعتراف للمنعم والإقرار بالربوبية) وحكى عن رويم بن أحمد البغدادى (ت:303هـ) أنه قال : (الشكر استفراغ الطاقة) .

والمراد من ذلك أن يتحقق القارئ قبل الحكم على الصوفية ، أن ما ينسب إليهم هو من كلامهم ، فهذه من أعظم أمور الإنصاف فى ذكر ما للصوفية وما عليهم ، ولذلك نجد ابن تيمية يراعى فى منهجه هذه المسألة بدقة ، إنصافا لأوائل الصوفية ، أو ما أطلق عليهم اصطلاحا لفظ : (المشايخ) ، فقال فى رواية نقلها القشيرى فى الرسالة عن أحمد بن عطاء (ت:269هـ) [2] ، بدون سند : (لم يذكر لهذه الحكاية إسنادا ، ومثل هذا لا تقوم به حجة ، ولا يحل لأحد أن يدل المسلمين فى أصول دينهم بكلام لم تعرف صحة نقله ، مع ما علم

1. الرسالة القشيرية 439/1 .
2. السابق 644/2 .

من كثرة الكذب على المشايخ المقتدى بهم ، فلا يثبت بمثل هذا الكلام ، قول لابن عطاء ولا مذهب ، بل قد ظهر على هذه الحكاية ، كذب ناقلها وجهل قائلها) [1] ، ويقول أيضا فى مثل ما نقله القشيرى من غير تثبت عن أحمد بن أبى الحوارى (ت:230هـ) فى السماع : (هذا المقالة ذكرها مرسلة ، فلا يعتمد عليها) [2] .

وورد أيضا فى مدخل الشكر عدة شواهد أخرى للحارث بن أسد المحاسبى (ت:243هـ) ، وسهل بن عبد اللّه التسترى (ت:293هـ) ، وأبى طالب المكى (ت:386هـ) ، وأبى القاسم القشيرى ، لكنها ذكرت بصيغة الجزم لأنها نقلت من كتبهم ، وبهذا يمكن إلى حد ما ، تحرى الدقة فى التعرف على آراء الصوفية ومعتقداتهم [3] .

(5- أردفت بجوار المداخل تعليقا موجزا يكشف بصورة مختصرة عن معنى

---

1. الاستقامة لابن تيمية 198./1
2. السابق 410/1 ، وانظر أيضا فى مثل ذلك : التصوف فى تراث ابن تيمية للدكتور الطبلاوى محمود سعد ص206 .
3- انظر قول الحارث المحاسبى فى كتابه : القصد والرجوع إلى اللّه ص70 ، وكلام سهل بن عبد الله التسترى فى كتابه : تفسير القرآن العظيم ص 7 ، وكلام أبى طالب المكى

فى كتابه : قوت القلوب 204/1 ، وكلام أبى القاسم عبد الكريم القشيرى فى كتابه : الرسالة القشيرية 438:437/1 .

المصطلح عند الصوفية بصفة عامة ، ومستخلص من مجموع ما ورد من ألفاظهم فقد يكون مقتبسا من قول منسوب لأحدهم كما ورد فى مصطلح : (الأبد) ومصطلح : (الاتصال) وغيرهما ، وقد يكون ملخصا من المعانى الصوفية الواردة فى المصطلح كما فى مصطلح : (الحقيقة) ، حيث ورد التعريف به على هذه الصورة : (وردت الحقيقة فى ألفاظ الصوفية على عدة معان ، تدور أغلبها حول الصدق فى الإيمان ، وبلوغ درجة الإحسان ، وكمال المراقبة ، والمداومة على النظر فى أفعال الله) ، وقد يكون المعنى مطابقا لما ورد فى الأصول القرآنية فأكتفى بالتنبيه على ذلك ، كما فى مصطلح : (الإخلاص) ، وقد يكون المعنى فى الاصطلاح الصوفى متعدد ومتنوع ، فأذكر مداخله ، كما فى مصطلح : (الإرادة) ، وقد تكون العبارة الجامعة مقتبسة من كتاب المعاجم ، كما فى مصطلح : (الاستقامة) ، حيث اقتبست عبارة موجزة من أصل ما ورد عند التهانوى ، وربما أذكر شاهدا لأحد أعلام الصوفية أو أصلا قرآنيا أو نبويا بجوار المدخل ، يوضح المعنى العام للمصطلح ، كما فى مدخل : (التبتل) ، كل ذلك مع التنبيه على نسبة الأقوال لمصادرها .

(6 – نظرا لما دار حول مصطلح : (التصوف) من خلافات فى أصوله التى يرد إليها ، أو زمن نشأته واشتهاره بين الناس ، فقد أفردت فصلا كاملا لتحقيق الأصول القرآنية التى يرد إليها التصوف عند الصوفية أنفسهم ، ثم ناقشت ذلك

مناقشة مبنية على تقرير تلك الأصول أو النظر فيها ، فاستقصيت لذلك جميع ما ورد فى كتب السنة مما يمكن إضافته لهذ الموضوع ، بالإضافة إلى تحليل لمنشأ الإصطلاح وأول من أطلقه علي الزهاد الأوائل .

رابعا : منهج التعرف على الأصول القرآنية للمصطلح الصوفى .

راعيت فى ترتيب مداخل المصطلحات بصفة عامة ، أن أبدأ باستقصاء شامل للمداخل ، يحتوى على ذكر المعنى اللغوى للمصطلح ، ثم الأصول القرآنية والنبوية ، ثم عرض أقوال الصوفية حسب القرب أو البعد من المعنى القرآنى فى تناسب مطرد ، فالأقرب إلى الأصول القرآنية والنبوية ، يوضع مجاورا لها فى المدخل ، مع مراعاة الترتيب الزمنى للشواهد من أقوال الصوفية أيضا ، بمعنى أن الأقرب منهم إلى عصر خير القرون يوضع مجاورا للأصول القرآنية ثم الأبعد فى الزمن ، وقد التزمت فى التعرف على الأصول القرآنية للمصطلح الصوفى منهجا تتضح معالمه فيما يأتى :

[1- اعتبار القرآن والسنة شواهد لغوية لجميع المداخل ، واستقصاء وجوه استعمال اللفظ فى هذه الشواهد ، حتى تظهر بوضوح جذور استعمال اللفظ فى الأصول القرآنية والنبوية ، والمعانى المتنوعة التى ترددت بين رسول الله ε وأصحابه ψ ، ثم مقارنة ذلك باستعمال الصوفية لمعنى المصطلح عندهم ، وقد قدمت هذه الشواهد على غيرها فى توجيه المعانى وترتيبها ، لأن القرآن والسنة من أرقى أنواع الشواهد اللغوية ، فالقرآن كلام معجز نزل بلغة العرب

وتحداهم الله به ، ودعاهم الله إلى الالتفات إليه ، والتدبر فيه من جميع الوجـــوه فقال تعالى : { إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } [الزخرف/3] .

وقال أيضا : { وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُـــهُ بَشَـــرٌ لِسَـــانُ الَّـــذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ } [النحل/103] فحوى من أساليب التعبير والبيان وروعة الأثر فى العقول والنفوس ، ما دعى بلغاءهم وألو الفطـــن منهم أن يتحيروا فيه أهو شعر أم سحرا ؟ حتى أقروا أنه ليس من كلام البشر ، وأن أعلى الطاقات البشرية فى الفصاحة ، لا يمكن أن ترقى إلى هذا المستوى [1] ، ومن ثم اعتبرت القرآن له الأسبقية فى الشواهد اللغوية ، كما أن السنة أيضـــا قول رسول الله ε وهو أعلم الناس بكلام الله وكلام العرب ، وأفصحهم لسانا وأحسنهم بيانا وأعلمهم بجوامع الكلم ، كما قال فى حديث أبى هريرة τ : " بعثت بجوامع الكلم " [2] .

ولا يعنى تقديم الكتاب والسنة فى الشواهد اللغوية ، إهمال المصادر والمعاجم اللغوية ، ولكن اعتبرت شواهد المعانى اللغوية الواردة فى القرآن والســـنة لهـــا الأولويه فى حصرالمعانى وترتيبها ، ومثال ذلك مصطلح : (الاتصال) ، حيـــث

---

1. انظر أثر القرآن فى تطور النقد العربى للدكتور محمد زغلول سلام ، طبعـــة مكتبـــة الشباب سنة 1982م ، ص39 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب الجهاد والسير (2977) 149/6 ، ومسلم فى كتاب

المساجد (523) 371/1 وبلفظ : أعطيت .

ورد فى كتب المعاجم على معنى ارتباط الأشياء بعضها ببعض ، كاتحاد طـرفى الدائرة ويضاد الانفصال [1] ، لكن اعتمدت على الشواهد القرآنية والنبويـة فى التدليل على هذا المعنى ، وحصر المعانى المتعلقة به ، لأنها أوضح وأيسر مما ذكر عندهم ، فقد استعمل الاتصال فى القرآن والسنة على نوعين :

1- الاتصال فى الأعيان ، كقوله تعالى : { فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ } [هود/70] ، ونحو حديث أسماء رضى اللَّه عنها قالت :" سألت امـرأة النبي ع فقالت : يا رسول اللَّه إن ابنتي أصابتها الحصبة فامرق شـعرها ، وإني زوجتها أفأصل فيه ؟ فقال : لعن اللَّه الواصلة والموصولة " [2] .

2- الاتصال فى المعانى ، وهو ما يعنينا فى التدليل على استخدام الصوفية لمصطلح الاتصال على المعنى المذكور عندهم ، فأكثرت من ذكـر الشـواهد الموضحة لاستعمال الاتصال فى المعانى ، كقوله عز وجل : { وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمْ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ } [القصص/51] ، أى أكثرنا لهم القول موصولا بعضه ببعض .

وقالت خديجة رضي اللَّه عنها لرسول اللَّه ع : " واللَّه ما يخزيك اللَّه أبـدا إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف وتعين

1. المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ص525 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب اللباس (5941) 391/1.

على نوائب الحق "[1] ، وعن عبد اللَّه بن عمر τ : " أن النبي ε واصل فواصل الناس فشق عليهم فنهاهم ، قالوا : إنك تواصل ؟ قال : لست كهيئتكم إني أظل أطعم وأسقى "[2] .

وفى مصطلح : (التجلى) ، ورد فى جميع كتب المعاجم على معنى الظهور يقال : أجليت الأمر بينته وأظهرته ، ولكن اعتمدت على الأصول القرآنية والنبوية كشواهد لغوية ، فمن حديث ابن عباس τ قال : " خسفت الشمس على عهد رسول الله ε ، فصلى رسول الله ε والناس معه .. ثم انصرف وقد تجلت الشمس "[3] أى ظهرت ، وعن أبي هريرة τ قال ε : " تخرج الدابة معها خاتم سليمان ، وعصا موسى ، فتجلو وجه المؤمن ، وتختم أنف الكافر بالخاتم "[4] ، أى تظهره للناس ، وقد يكون التجلى بالذت أو الأمر[5] :

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب بدء الوحى (4) 37/1 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب الصوم برقم (1922) 165./4
3. أخرجه البخارى فى كتاب النكاح برقم (5197) 209/9 .
4. أخرجه الترمذى فى كتاب تفسير القرآن (3187) ، وقال حسن غريب ، وضعفه الشيخ الألبانى 340/5 ، ورواه ابن ماجة فى كتاب الفتن 1351/2 برقم

(4066) وأحمد فى مسنده 295/2 برقم (7924) وأبو داود الطيالسى فى مسنده ص334 برقم (2564) .

5. المفردات فى غريب القرآن ص96 .

1- فمن الأول : قوله : { وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى } [الليل/ 1:2] وقوله : { وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا } [الأعراف/143] وعن أنس بن مالك τ أن النبي ε قرأ هذه الآية : { فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا } قال حماد : هكذا وأمسك سليمان بطرف إبهامه على أنملة إصبعه اليمنى قال : فساخ الجبل وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا [1] ، وفى رواية أخرى ، قال أنس τ : " قال هكذا ، يعني أنه أخرج طرف الخنصر) [2] ، وثالثة قال : (فأومأ بخنصره ، قال : فساخ) [3] وكرؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة ، كما فى حديث جابر بن عبد الله τ قال ε : " ثم يأتينا ربنا بعد ذلك فيقول : من تنظرون ؟ ، فيقولون : ننظر ربنا فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : حتى ننظر إليك فيتجلى لهم يضحك " [4] .

---

1. أخرجه الترمذى فى كتاب تفسير القرآن (3074) وصححه الشيخ الألبانى 265/5 وأحمد فى المسند 125/3 (12282) والحاكم فى المستدرك على الصحيحين 77/1 برقم (66) المعجم الأوسط 497/2 (1857) .

2. أخرجه أحمد برقم (11851) والحاكم برقم (3249) وقال : صحيح على شرط

مسلم 351/2 ، وصححه الشيخ الألبانى فى سنن الترمذى 265/5 .

3. أخرجه أحمد (12766) والحاكم (4104) وقال : صحيح على شرط مسلم ، و لم يخرجاه 630/2 .

4. أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان (191) 17/1 .

وعن صهيب τ عن النبي ε قال : " إذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، نودوا يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدا .. فيكشف الحجاب فيتجلى الله عز وجل لهم ، قال : فما أعطاهم الله شيئا أحب إليهم من النظر إليه " [1] .

2- ومن الثانى : ما روى عن النعمان بن بشير τ : " أن الشمس انكسفت فصلى النبي ε ركعتين حتى انجلت ، ثم قال : إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ، ولكنهما خلقان من خلقه ، ويحدث الله في خلقه ما شاء ، ثم إن الله تبارك وتعالى ، إذا تجلى لشيء من خلقه خشع له ، فأيهما انخسف ، فصلوا حتى ينجلي ، أو يحدث الله أمرا " [2] ، فظاهر من الحديث أن التجلى تجلى الأمر ، وقد استدل الراغب الأصفهانى على تجلى الأمر بقوله تعالى : { فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا } ولكن هذا فى غير موضعه كما بينت السنة أنه تجلى الذات ، فذكرت ما ورد فى السنة وأغفلت ما ذكره الراغب [3] .

[2 – التنبيه على المعانى الاصطلاحية الواردة فى الكتاب والسنة إذا وجدت

---

1. أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان برقم (181) 163./1

2. أخرجه الحاكم فى المستدرك برقم (1235) وقال : صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه بهذا اللفظ 481/1 ، وأخرجه النسائى عن قبيصة الهلالى فى كتاب الكسوف

برقم (1487) ولكنه ضعيف كما ذكر الألبانى 144/3 .
3. المفردات ص96 .

كما فى مصطلح : (الجمع) ، حيث ورد فى القرآن والسنة على معنى ضم الشئ بتقريب بعضه من بعض ، كقوله تعالى : { وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ } [القيامة/9] ومن حديث ابن عمر عن النبى ε : " فيومئذ يبعثه اللَّه مقاما محمودا ، يحمده أهل الجمع كلهم " [1] .

ولكن الجمع ورد فى السنة ، كاصطلاح خاص يراد به التمر المتنوع المختلط لما روى عن أبي سعيد الخدري τ قال : " كنا نرزق تمر الجمع ، وهو الخلط من التمر وكنا نبيع صاعين بصاع فقال النبي ε : " لا صاعين بصاع ولا درهمين بدرهم " [2] وفى رواية " لا تفعل بع الجمع بالدراهم ، ثم ابتع بالدراهم جنيبا " [3] ، وقد يستخدم البخل أيضا على معنى اصطلاحى ، وإن احتفظ بمدلوله اللغوى العام ، كما روى عن علي بن أبي طالب τ أن رسول اللَّه ε قال : " البخيل الذي من ذكرت عنده فلم يصل علي " [4] .

1. أخرجه البخارى فى كتاب الزكاة (1475) 396/3 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب البيوع (2080) 364/4 .
3. أخرجه البخارى فى كتاب البيوع (2202) 467/4 .
4. أخرجه الترمذى فى كتاب الدعوات برقم (3546) ، وقال : حديث حسن صحيح

وقال الشيخ الألباني : صحيح 551/5 ، والنسائى (9885) 20/6 ، وابن حبان فى صحيحه برقم (909) 189/3، وأحمد فى المسند برقم (1738) .

وفى مصطلح : (ذو العقل) استخدم العقل على معنى اصطلاحى خاص بين العرب ، فيقال للعوض المالى المقدر فى الشرع مقابل القتل أو الجراح ، فعن أبي جحيفة قال : قلت لعلي بن أبي طالب : هل عندكم كتاب ؟ قال لا إلا كتاب اللَّه أو فهم أعطيه رجل مسلم أو ما في هذه الصحيفة ، قلت : فما في هذه الصحيفة ؟ قال : العقل وفكاك الأسير ولا يقتل مسلم بكافر) [1] .

وعن أبي هريرة τ أنه قال : " قضى رسول اللَّه ε في جنين امرأة من بني لحيان ، سقط ميتا بغرة عبد أو أمة ، ثم إن المرأة التي قضى لها بالغرة توفيت فقضى رسول اللَّه ، بأن ميراثها لبنيها وزوجها وأن العقل على عصبتها " [2] .

وفى مصطلح : (الصبر) ، استخدم الصبر على معنى اصطلاحى بين العرب غير ما عرف من المعنى العام ، فيقال لعصارة شجرة مرة تستعمل كدواء ، فعن أم سلمة رضى الله عنها قالت :

"حين توفي أبو سلمة : جعلت على عيني صبرا ، فقال ε : ما هذا يا أم سلمة ؟ قلت : إنما هو صبر يا رسول اللَّه ليس فيه طيب ، قال إنه يشب الوجه فلا تجعليه إلا بالليل ، ولا تمتشطي بالطيب ولا بالحناء ، فإنه خضاب ، قلت

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب العلم برقم (111) 246/1 .

2. أخرجه البخارى فى كتاب الفرائض برقم (6740) 2/1ص25 .

بأي شيء أمتشط يا رسول اللّه : قال : بالسدر تغلفين به رأسك " [1]

وأطلق أيضا على هيئة مخصوصة للقتل ، يقيد فيها الكائن الحى ثم يرمى حتى الموت ، وقد نهى عنها الشرع ، فعن أبي أيوب الأنصاري τ قال : " سمعت رسول اللَّه ε ، ينهى عن قتل الصبر ، فوالذي نفسي بيده ، لو كانت دجاجة ما صبرتها " [2] ، وعن جابر بن عبد اللَّه τ قال : " نهى رسول اللَّه ε أن يقتل شيء من الدواب صبرا " [3] .

[3 – معظم الباحثين فى التصوف ، لا يأخذون بعين الاعتبار ، التحقق من الأحاديث ، ومدى ثبوتها عن النبى ε ، ويكتفون بمجرد الإحالة على كتب السنن أو من نقل عنها دون تحقيق ، ولا يذكرون درجة الحديث من الصحة أو الضعف ، مما يضعف الثقة فى الاستشهاد بالأصول النبوية ونسبة الكلام إلى

1. صحيح بغير هذا اللفظ ، انظر الجامع الصحيح المختصر (4025) 2043/5 ومسلم (1488) 1124/2 ، وأخرجه النسائى فى كتاب الطلاق (3537) هذا اللفظ ، وقد ضعفها الشيخ الألبانى 204/6 .
2. أخرجه ابن حبان فى صحيحه (5610) وقال شعيب الأرناؤوط : إسناده قوى 2/1ص424 ، والطبرانى فى الكبير (4002) 159/4 وأخرجه أبو داود (2687) برواية ضعفها الألبانى 60/3 .

3. أخرجه مسلم فى كتاب الذبائح برقم (1959) 1550/3وابن ماجة فى سننه برقم (3188) 1064/2 .

قائليه ، وربما تطلب هذا جهدا كبيرا ، ولكنه أمر ضرورى لإظهار جدية البحث ، وإضفاء الثقة فى نفس القارئ ، ولهذا راعيت النص على ذكر درجة الحديث والتحقق من صحتة أو ضعفه ، على الرغم من كثرة الأحاديث الواردة فى الرسالة ، مع التنبيه فى هامش كل مصطلح على نسبة الأحكام إلى قائلها وقد راعيت تحرى الأصوب والأحوط فى الحكم على الحديث ، وقد بلغ عدد الأحاديث والشواهد المرفوعة والموقوفة ، من كتب السنة أكثر من ألفى حديث اتبعت فيهم المنهج الآتى :

1- إذا وجد الشاهد فى الصحيحين ، صحيح الإمام البخارى ، وصحيح الإمام مسلم اكتفيت به فى بيان المعنى ، واكتفيف أيضا بعزوه إليهما ، لأن العزو إليهما حكم للحديث بالصحة ، كما هى طريقة الحافظ العراقى فى تخريج أحاديث إحياء علوم الدين ، فذكرته فى الهامش هكذا : (أخرجه البخارى فى كتاب ... برقم (....) جـ ...ص....) ، وكذلك بالنسبة لأحاديث الإمام مسلم .

2- إذا وجد الشاهد فى غير الصحيحين ، تحريت على قدر المستطاع أن يكون الحديث صحيحا أو حسنا صالحا للاحتجاج ، وإذا كان الحديث ضعيفا نبهت على ذلك أيضا ، مع ذكر علة الضعف أحيانا .

3- خرجت جميع الشواهد الحديثية التى وردت فى كلام الصوفية ، وذكرت

الألفاظ الصحيحة لهذه الأحاديث وأماكن ورودها ، مع ذكر الحكم عليها من ناحية الصحة والضعف ، مثال ، ذلك الحديث الذى ذكره أبو القاسم القشيرى فى مصطلح : (البعد) ، حيث أورده بالمعنى ، فقال : (قال ε : وما تقرب إلى المتقربون ، بمثل آداء ما افترضتهم عليهم ، ولا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى يحبنى وأحبه ، فإذا أحببته كنت له سمعا وبصرا ، فبى يبصر وبى يسمع " [1] وقد نقلته بلفظه الصحيح فى الهامش من صحيح البخارى عن أبى هريره τ : " وما تقرب إلي عبدي بشيء ، أحب إلي مما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها " [2] .

4- راعيت فى جميع الشواهد الحديثية التى وردت فى الرسالة ، ذكر الراوى الأعلى فى السند الذى تنسب إليه الرواية ، حتى يتيسر لدى الباحثين بعد ذلك طريق البحث عن الحديث من خلال التعرف على راويه .

[4- تفسير المعانى القرآنية والنبوية إذا تطلب الشاهد ذلك ، بالرجوع إلى كتب التفسير المعروفة وخصوصا التفسيرات اللغوية ، والشروح المختلفة لكتب السنة ، مع ترتيب المعانى الأصولية فى شواهد القرآن والسنة فى نقاط محددة كلما أمكن ، والتركيز على المعانى الصالحة لشواهد المصطلحات الصوفية .

1. الرسالة القشيرية 257/1 .

2. أخرجه البخارى فى كتاب الرقاق برقم (6502) 348/1 .

الفصل السادس

الأصول القرآنية لمصطلح التصوف

يعتبر الوحى الإسلامى الممثل فى الكتاب والسنة هو النبع الصافى لجميع الأصول الإسلامية ، وقد جعله الله عز وجل فى منزلة الماء الذى ينزل من السماء ، فيطهرُ الأرضَ ويذهبُ الزبدَ جفاء ، أو كجودة المعادن فى الأصالة والنقاء ، ونفع الناس ودوام البقاء ، كما قال تعالى : { أَنزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ ، كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ } [الرعد/17] .

وإذا كانت العلوم الإسلامية قد فاضت من هذا النبع الصافى ، فإن أصالة كل علم ونقاء معدنَه وما فيه من نفع للإنسانية ، يقاس بمقدار أصوله الممتدة وجذوره الراسخة فى الكتاب والسنة ، مصداقا لقوله تعالى : { فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَال } [الرعد/17] .

وأول ما يطالب به أصحاب كل نوع من أنواع العلوم الإسلامية ، أو كل طريقة أو تجربة أو مذهب ينتسب إلى الإسلام ، البحث عن الرخصة التى أهلتهم للخوض فى هذا المجال ، لأن الرسول ε استعاذ من العلم الذى لا ينفع فمن حديث زيد بن أرقم τ قال : لا أقول لكم إلا كما كان رسول الله ε يقول ، ثم ذكر من دعائه ε : " اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعوة لا يستجاب لها " [1] .

1. أخرجه مسلم فى كتاب ذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (2722) 2088/4 .

أو يمكن القول بتعبير آخر مطالبة أصحاب العلوم المختلفة بالبحث عن أصالة علمهم ، وإظهار الأصول التى يعتمد عليها من الكتاب والسنة ، فمن البديهى أن العلوم الإسلامية كعلوم القرآن والحديث والفقه والمواريث والتوحيد واللغة وغير ذلك من أنواع العلوم ، لم تظهر بصورها المتميزة فى عصر النبوة أو الخلافة الرشيدة ، إنما ظهرت بعد ذلك بفترة ، ولكن هذه العلوم قائمة على أصول قرآنية أو نبوية تمنحها شرف الانتساب ورخصة الإنشاء وجواز التوسع فيها ، حتى تصل إلى ما يمكن من الكمال ، فعلوم القرآن المختلفة كضوابط التلاوة ، وتنوع القرءات ، وتفسير القرآن ، وفهم الناسخ والمنسوخ ، وأسباب النزول ، يمكن أن ترد جميعا إلى حديث عثمان بن عفان τ ، فقد روى عن رسول الله ε أنه قال : " إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه " [1] وفى رواية أخرى : " خيركم من تعلم القرآن وعلمه " [2] .

فيصح للمشتغلين بعلوم القرآن أن يحتجوا على أصالة علمهم ، وشرف نسبته بمثل هذه الأحاديث كما أن الرسول ε دعا إلى البحث فى القرآن ، ليكون القول فيه عن علم وفهم ، وحذر من الخوض فيه بالرأى وحده ، وجعل المتعلم المعلم من خيرة الأمة وأفضلها ، كل هذا يضاف إلى ما ورد فى القرآن الكريم من تكليف بذلك كقوله تعالى : { وَرَتِّلْ الْقُرْآنَ تَرْتِيلا } [المزمل/4] ، وقوله عز وجل : { وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ } [القمر/17] وقوله : { أَفَلا

1. أخرجه البخارى فى كتاب فضائل القرآن (5028) 692/8 .

2. الموضع السابق (5027) 92/8 .

يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا } [محمد/24] ، فهذه الآيات وأمثالها تدل دلالة صريحة على أصالة هذا العلم ونقاء معدنه .

ويحق للمشتغلين بعلوم الحديث رواية ودراية ، المعنين بدراسة العلل والأسانيد ومعرفة الرجال ووصفهم بالجرح أو التعديل ، أن يستندوا فى رد الحديث وعلومه إلى لفظ وارد فى السنة ، يحمل الدلالة على معنى التثبت فى النقل والتحذير من الكذب على رسول اللَّه ε ، وإتاحة الجهود اللازمة لوضع الضوابط الضرورية التى تحقق تلك الغاية ، كما فى حديث أبى سعيد الخدرى τ أن رسول الله ε قال : " حدثوا عني ولا حرج ، ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار " [1] ، فلفظ : (حدثوا) ، فيه جواز النسبة إلى علم الحديث ، ورخصة إنشائه ، وبذل الجهد للتوسع فيه ، حتى يصل إلى الكمال الممكن ، وقال أنس بن مالك τ : " إنه ليمنعني أن أحدثكم حديثا كثيرا أن رسول الله ε قال : من تعمد علي كذبا فليتبوأ مقعده من النار " [2] ، وهو τ ينبه بذلك على ضرورة الاحتياط فى الحديث عنه من احتمال الخطأ ، لأنه لا يُظن فى صحابى جليل الشأن كأنس بن مالك τ ، أن يكذب على رسول الله ε ، وإنما يدعوا نفسه والآخرين ، إلى أن يكون الحديث عن النبى ε مضبوطا منقولا كما نطق به .

وكما وجدنا أصولا قرآنية أو نبوية لعلوم القرآن والحديث ، يمكن أن يجد

---

1. أخرجه مسلم فى الزهد (3004) 2298/4 ، وابن ماجه فى المقدمة (37) 14/1

.

2. أخرجه البخارى فى العلم (108) 243/1 ، ومسلم فى المقدمة (2) 10/1 .
المشتغلون بالفقه والفرائض والمواريث والتوحيد واللغة ، أصولا قرآنية لنسبة علومهم ، والمبررات الداعية لإنشائها ، وإتاحة الجهود اللازمة للتوسع فيها حتى تصل إلى الكمال الضروري فى وضع الضوابط لكل باب ، فنجد نسبتة الفقه ، والدعوة إلى تعلمه ونقله إلى الناس بما يلزمه من ضوابط تحقق ذلك ، فى قوله تعالى : { فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ } [التوبة/122] .

فقوله تعالى : { لِيَتَفَقَّهُوا } بنى عليه اصطلاح الفقه ، وكذلك ما ورد فى حديث معاوية بن أبى سفيان τ ، قال رسول الله ε : " من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ، والله المعطي وأنا القاسم " [1] .

وعلم الفرائض أو المواريث له أصول قرآنية ونبوية ، تحض على تعلمه وحفظ أحكامه واستقصاء أصوله من الكتاب والسنة ، كقوله تعالى : { لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا } [النساء/7] ، أو قوله : { يَسْتَفْتُونَكَ قُلْ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلالَةِ إِنْ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ } [النساء/176] .

فقوله تعالى : (مفروضا) ، (يرثها) ، تعطى أصالة النسبة لعلم الفرائض والمواريث ، وتتيح مشروعية بذل الجهود وتضافرها من أجله ، وكذلك ما

1. أخرجه البخارى فى كتاب فرض الخمس (3116) 52/6 ، ومسلم فى كتاب الزكاة (1037) 718/2 .

رواه أَبو أُمَامَةَ الْبَاهِلِي τ قَال : " سمعت رسول الله ε يقول في خطبته عام حجة الوداع : " إن الله قد أعطى لكل ذي حق حقه ، فلا وصية لوارث " [1] وقوله ε عن عبد الله بن عباس τ : " ألحقوا الفرائض بأهلها ، فما بقي فهو لأولى رجل ذكر " [2] .

وعلم التوحيد أيضا ، له أصول قرآنية ونبوية منصوص علي لفظه فيها ، كما روى عبد الله بن عباس τ ، أن النبي ε لما بعث معاذ بن جبل τ إلى نحو أهل اليمن ، قال له : " إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب ، فليكن أول ما تدعوهم ، إلى أن يوحدوا الله تعالى ، فإذا عرفوا ذلك ، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم ... الحديث " [3] ، فقوله ε : " فليكن أول ما تدعوهم ، إلى أن يوحدوا الله تعالى " ، يدل على أن علم التوحيد ، هو أصل الدين وأول العلوم التى يبدأ بها الداعى دعوته ، كما أنه يمثل له المحصلة المرجوة لكونه الغاية من دعوة النبوة ، قال تعالى :

{ هَذَا بَلاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ } [إبراهيم/52] ، وقوله سبحانه :

---

1. أخرجه الترمذى فى الوصايا (2120) ، وقال الألبانى : صحيح 433/4 ، والنسائى فى الوصايا (3641) 47/6 ، وأبو داود فى الوصايا (2870) 114/3 .

2. أخرجه البخارى فى كتاب الفرائض (6354) 16/12 ، ومسلم فى كتاب الفرائض (1615) 1233/3 .

3. أخرجه البخارى فى التوحيد (7372) 3/1ص359 ، ومسلم فى الإيمان (19) .

{ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا } [الحج/34] ، وما يقال في العلوم السابقة يقال أيضا فى علم اللغة وحسن التعبير والبيان ، فلأهل اللغة المشتغلين بضوابط الكلمة ووضع القواعد التى تحقق استقامة اللغة وعدم اعوجاجها ، أن يستندوا إلى القرآن والسنة فى نسبة علمهم وتأصيل مبناه ، ورده إلى أصول شرعية كقوله تعالى : { وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ } [النحل/103] ، وقال الإمام البخارى رحمه الله : "نزل القرآن بلسان قريش والعرب ، وقول الله تعالى : { قُرْآنًا عَرَبِيًّا } [يوسف/2] ، وقوله : { بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ } [الشعراء/195] " [1] وقد بين رسول اللَّه ε أنه أعطى جوامع الكلم وحسن البيان ، فعن أبى هريرة τ أن رسول الله ε قال : " بعثت بجوامع الكلم " [2] ، فعلم اللغة ضرورة مفروضة لفهم القرآن والسنة ، لا سيما أن كل ما ورد عن النبى ε ، فيه كمال الفصاحة وروعة البلاغة اللغوية ، التى تُظهر جوامع الكلم فى قوله ε ، وهكذا يمكن بالبحث والتتبع أن نتعرف على الأصول القرآنية والنبوية لكل علم إسلامى نافع للإنسانية فى الدنيا والآخرة .

وإذا عدنا إلى التصوف وعلومه ، فالسؤال الضرورى الذى يطرح نفسه فى هذا الموضع ، هل اهتم الصوفية بالبحث عن الأصول القرآنية والنبويه لعلومهم ؟ وهل التصوف له أصل فى الكتاب والسنة يعتمد عليه ؟ .

1. انظر فتح البارى 625/8 .
2. أخرجه البخارى فى الجهاد (2977) 149/6 ، ومسلم فى المساجد (523) .

وينبغى أن نتعرف أولا على أمرين ضروريين قبل الخوض فى تفاصيل الإجابة :
الأمر الأول : ماهيته التصوف وحقيقة ؟
الأمر والثانى : الأصول التى يرد إليها الصوفية مصطلح التصوف ؟

. حقيقة التصوف الإسلامى :

لم يعد هناك شك فى القول بأن التصوف فى مرحلته الأولى ، كان معبرا عن نزعة الزهد والتوكل على الله ، من قبل الراغبين فى الخلاص من فتن الحياه وإن كانت أفعالهم تتسم بنوع من المبالغة إلى حد كبير .

إن الباحث فى التراث الصوفى ، يجد أغلب العلوم الموروثة عن أوائل الصوفية ، تدور حول وصف سلوك طائفة من المسلمين ، أدت بهم بعض الدوافع إلى إذلال النفس ومحو أوصافها ، والزهد في الحياة بأنواعها قربة منهم إلى اللَّه ، مع مراعاتهم أداء العبادات على النحو المشروع بحرص واحتياط وتعامل مع الأحكام بدرجة واحدة ، لا فرق عندهم بين فرض ونفل ، فأمر الله ملزم ولا يسع الصوفى تركة ، سواء كان على سبيل الندب والاستحباب أو على سبيل الوجوب والإلزام ، كما رأينا ذلك فى مرحلة التصوف الأولى البسيط والمركب .

ويمكن للباحث أن يجد بداية التصوف ، المعبر عن إذلال النفس وقمعها والمجاهدة فى محو أوصافها ، والزهد في الحياة بأنواعها ، يجده مسطورا فى

كتاب الصدق أو الطريق إلى اللّه لأبى سعيد الخراز (ت:277هـ) ، وفى تراث الحارث بن أسد المحاسبى (ت:243هـ) ، لا سيما كتابه الرعاية لحقوق اللّه ، وفى تراث سهل بن عبد اللّه التسترى (ت:283هـ) ، وآداب المريدين للحكيم بن على الترمذى (ت:320هـ) ، وغيرهم ممن كتبوا فى التصوف أو كتب عنهم ، غير أنهم من غير تعمد ، لا يشيرون فى كتاباتهم إلى مصطلح التصوف ، وإنما يذكرون مصطلح المريد وآداب المريدين والزهد والصدق والتوكل ، والرعاية لحقوق اللّه ومحاسبة النفس ، وما شابه ذلك من ألفاظ وتعبيرات [1] .

كما يجد الباحث التصوف ، وقد أصبح قريبا من الفكر المنظم إلى حد ما مشروحا مسطرا عند أبى نصر السراج الطوسى (ت:378هـ) ، فى كتابه اللمع فى التصوف ، وأبى بكر محمد الكلاباذى (ت:380هـ) ، صاحب التعرف لمذهب أهل التصوف ، وأبى طالب المكى (ت:386هـ) ، فى كتابه قوت القلوب ، والهجويرى (ت:465هـ) ، صاحب كشف المحجوب ، كما نجد الترقى فى طريق التصوف ، بارزا فى ترتيب المقامات والأحوال ، عند أبى القاسم عبد الكريم القشيرى (ت:465 هـ) ، صاحب الرسالة القشيرية ، وما خلفه من تراث كبير فيها ، وكذلك عند أبىحامد الغزالى (ت:505هـ) فى كتابه إحياء علوم الدين ، والسهروردى (ت:632هـ) صاحب عوارف المعارف ، غير أنهم جميعا أظهروا عَلَمِيَّة التصوف ، وأنه اصطلاح يخصهم ومذهب يستقلون به دون سائر الناس ، فحاولوا جاهدين أن يضعوا حدا للتصوف ، يتميز باستقلالية خاصة عن بقية

العلـــــــوم ويعرفـــــــون بـــــــه ، فنقلـــــــوا عـــــــن

1. انظر مدخل إلى التصوف الإسلامى للدكتور التفتازانى ص95 وانظر أيضا :
- Massignon , Louis : Recueil De Textes Inedits , Concernant L'histoire de la Mystique en Pays de L'Islam , Paris 1929 . pp 1-2 .

الأوائل بعض العبارات الجامعة فى حد التصوف ، تدل فى مجملها إما على كمال التوحيد فى العبادة وعلو الإيمان ، وإما على الأخلاق الفاضلة والخلـــق العظيم الذى اتصف به رسول الله ε :

[1- **فمن الأول** : نجد عبارات كثيرة ومتكررة ، تدل فى مجملها على أداء العبودية وتوحيد الله فى أبهى صوره المرجوة التى دعا إليها الإسلام ، كقول ذى النون المصرى (ت:245هـــ) : (الصوفية قوم آثروا الله تعالى عن كل شـــئ فآثرهم الله عن كل شئ) [1] ، ويناظره قول الجنيد بن محمد ، سيد الطائفة فى عصره (ت:297هـــ) : (التصوف أن يميتك الحق عنك ويحييك به) [2] .

وكذلك أيضا قول أبي بكر الشبلى (ت:334هـــ) فى حد الصوفى وتعريفه : (هو من انقطع عن الخلق واتصل بالحق) [3] ، والمعنى نفسه نجـــده لأبى القاسم المقرئ الرازى (ت:366هـــ) : (التصوف استقامة الأحوال مع الحق) [4] .

وهذه العبارات وأمثالها ، تدل جميعها على معنى جامع يعبر عن قرب العبد من ربه ، من خلال حفظه لعبوديته ، وتوكله عليه واستعانته به ، حتى يصـــل إلى مرضاته ومحبته ، وعندها يتولاه بحفظه ورعايته ، فيحفظ عليـــه بدنـــه فى حركته وسكنته ، فيسمع بسمع الله ، ويرى بنور الله ، ويمشى فى طاعة الله

فيحي بالله ولله ، ميتا عن كل ما سواه ، فهذه التعريفات فى الحقيقة معان

1. الرسالة 555/2 .
2. السابق 551/2 .
3. السابق 554/2 .
4. طبقات الصوفية ص511 .

جامعة للتعبير عن الطريق الموصل إلى الصدق فى الإيمان ، وأداء العبوديه على وجه الإحسان ، فلا فرق بين هذه العبارات وما ورد فى حديث أبى هريرة τ عن النبى ε ، عن رب العزة قال : " وما تقرب إلي عبدي بشيء ، أحب إلي مما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه " (1) .

[2- **ومن الثانى** : عبارات كثيرة ومتكررة ، تدل فى مجملها على الأخلاق الفاضلة التى اتصف بها النبى ε ، فالخلق العظيم يمثل فى مجموعه الصورة المثلى التى أرادها الله من عباده ، حيث اختار لهم الحسن من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنه ، وقبح ما يقابلها من الأضاد ، فقال سبحانه تعالى فى وصف نبيه ε : { وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ } [القلم/4] ، وقال أَنس بن مالك τ : " كان النبي ε أحسن الناس خلقا " (2) ، ومن حديث عبد الله بن عمرو τ قال رسول اللَّه ε : " إن من أخيركم أحسنكم خلقا " (3) ، وسأل حكيم بن أفلح عائشة رضى الله عنها : " يا أم المؤمنين ، أنبئيني عن خلق رسول الله ε ؟ ، قالت : ألست تقرأ القرآن ؟ ، قلت : بلى ، قالت : فإن خلق نبي الله

1. أخرجه البخارى فى كتاب الرقاق (6502) 348/11 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب الأدب برقم (6203)598/10 ، ومسلم فى كتاب الأدب برقم (2150) 1692/3 .
3. أخرجه البخارى فى الموضع السابق برقم (6029)466/10 .

ε كان القرآن ، قال حكيم : فهممت أن أقوم ، ولا أسأل أحدا عن شيء حتى أموت " [1] .

كل هذه المعانى الخلقية الدالة على شمولية التزام المسلم بمنهج الله ، عبر عنها كثير من أوائل الصوفية بمصطلح التصوف ، فجعلوه معبرا عن حسن الخلق ودعوة إلى الأخلاق الفاضلة ، فروى عن أبى الحسين النورى (ت:295هـ) أنه قال : (ليس التصوف رسوما ولا علوما ، ولكنه أخلاق) [2] ، وعن أبى محمد الجريرى (ت:311هـ) ، قال : (التصوف ، هو الدخول فى كل خلق سنى ، والخروج من كل خلق دنى) [3] ، ومثله لأبى بكر محمد بن على الكتانى (ت:322هـ) : (التصوف خلق ، فمن زاد عليك فى الخلق ، فقد زاد عليك فى التصوف) [4] ولأبى محمد المرتعش (ت:328هـ) : (التصوف حسن الخلق) [5] ، رغبة منه أن يكون التصوف معبرا عن جماع البر المشار إليه فى حديث النواس بن سمعان الأنصاري τ قال : " سألت رسول الله ε عن البر والإثم ؟ فقال : " البر حسن الخلق ، والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس " [6] .

---

1. أخرجه مسلم فى كتاب صلاة المسافرين وقصرها (746) 512/1 ، والنسائى فى

كتاب قيام الليل وتطوع النهار (1601) 199/3 ، وأبو داود (1342) 40/2 .
2. كشف المحجوب ص52 ، طبقات الصوفية ص 167. 3. اللمع ص45 .
4. السابق ص52 . 5. الرسالة 495/2 ، كشف المحجوب ص48 .
6. أخرجه مسلم فى كتاب البر والصلة والآداب (2553) 1980/4 .

وسواء عبرت تلك التعريفات الصوفية عن توحيد الله وعبادته فى أبهى صوره المرجوة ، أو دلت على الأخلاق الفاضلة التى اتصف بها النبى ε ، إلا أنها تدل على رغبة أكيدة عند قائليها ، أن يكون التصوف معنى شاملا للالتزام الصحيح بالإسلام ، وفى أعلى درجاته الممكنة ، كما عبر عن ذلك تصريحا أبو القاسم النصرباذى (ت:367هـ) ، فقال : (أصل التصوف ، ملازمة الكتاب والسنة وترك الأهواء والبدع ، وتعظيم حرمات المشايخ ، ورؤية أعذار الخلق وحسن صحبة الرفقاء ، والقيام بخدمتهم ، واستعمال الأخلاق الجميلة ، والمداومة على الأوراد ، وترك ارتكاب الرخص والتأويلات ، وما ضل أحد فى هذا الطريق إلا بفساد الابتداء فإن فساد الابتداء يؤثر فى الانتهاء) [1] ، وهنا بدا اعتراض أو تساؤل يتوجه إلى الصوفية فى محورين :

الأول : أن الإسلام لم يسم تصوفا ومن ثم لا بد من تبرير مقبول لتسميتهم أخلاق الإسلام وأمور الإيمان بالتصوف ، كما أن المعترض لو أنكر التسمية فلن ينكر الواقع ، إذ أصبح التصوف علما علي كم كبير من الصوفية ، لهم كيانهم واصطلاحاتهم رموزهم وألفاظهم ، وأنهم عرفوا عند الناس بصبغة الزهد فى الحياة ، وهيئة ملبسهم الداعية إلى ذلك ، والاهتمام البالغ فى كثير من العبادات ، كالصلاة والزكاة والصوم والحج ، وأغلب الأنواع الأخرى من

الأحكام .

الثاني : أن التصوف إن كان معبرا عن الإسلام وبلوغ العبد حقيقة الإيمان

---

1. طبقات الصوفية ص488 .

فسوف يقف المنهج الإسلامى حائلا للمبالغة فى العبادة ، والمطالبة بالدليل على كل قول أو فعل يستحدثه الصوفية فى تجربتهم الإيمانية ، لا سيما وقد نهى النبى ε عن الغلو والتشدد ، والابتداع فى الدين ، وتبرأ من ذلك على الملأ فمن حديث أنس بن مالك τ قال : " جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ε يسألون عن عبادة النبي ε ؟ ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها ، فقالوا : وأين نحن من النبي ε قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ؟ قال : أحدهم أما أنا فإني أصلي الليل أبدا ، وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا ، فجاء رسول الله ε إليهم فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا ، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني " (1) .

فالنبى ε لو سمح لهؤلاء بفعلهم ، وبارك للناس اجتهادهم ، لظهر التصوف فى عهد النبوة ، بدليل شرعى مقبول ، ومن ثم بات الناس يخوضون فى رد التصوف إلى أصول إسلامية مقبولة ، سواء كانوا من أبناء الصوفية أو من غيرهم ، فالتصوف باعتباره طريقة وتجربة ومذهبا لعدد كبير من المسلمين أصبح علما عليهم وشعارا ، يحتاج إلى فهم اصطلاحاته ، وفك رموزه وألفاظه إضافة إلى أنه قد ظهر لدى الصوفية ، نوع من المخالفات المحدثة فى وقت مبكر

إما بدافع المبالغة فى الزهد والعبادة ، أو تأثير بعض الأفكار الغريبة عن البيئة الإسلامية كقول الحلاج بالحلول والاتحاد ، تلك المخالفات كانت مثارا لإنكار

---

1. البخارى فى النكاح (5063) 5/9 ، ومسلم فى النكاح (1401) 1020/2 .

أهل العلم من الطوائف الأخرى ، لا سيما أهل الفقه والحديث ، كما أنه لا ينبغى فى الأصل مخالفة الكتاب والسنة أو الانحراف عن منهجه تحت أى دعوة وإن بنيت على إخلاص السريرة وحسن النية ، فجميع العلوم الإسلامية قامت على خدمة الكتاب والسنة ، وتعمل فى إطار توجيهه وهدايته ، ومن هنا التفتت الأنظار إلى تحديد موقف واضح للتصوف وتأصيل نسبته ومشروعيته .

. الأصول التى رد إليها الصوفية مصطلح التصوف :

اختلف الناس فى نسبة التصوف اختلافا شديدا ، ولا زالوا بين طرفين يتردد بينهما مؤشر الأراء :

[1- الطرف الأول ينكر أصالة التصوف جملة وتفصيلا ، ويقول ببدعيته محتجا بأن عصر النبوة لا تصوف فيه ، ولم يعرف عن واحد من أصحاب النبى ε أنه كان متصوفا ، كما أن القرآن والسنة فيهما من الحياة الروحية والأخلاق الكريمة ما يغنى عن التصوف وعلومه ، وتارة يرده إلى أصل هندى وأخرى إلى مصدرى فارسى ، وثالثة إلى أصول يونانية أو نصرانية [1] .

[2- الطرف الثانى مؤيد داعى يؤكد أن سيد الصوفية وأسوتهم هو رسول اللَّه ε ويجعله على رأس طبقاتهم ، ثم خيار الصحابة والتابعين لهم ، ويحاول جاهدا أن يرد التصوف إلى نسبة محمودة أو تبرير معقول ، فتارة ينسبه إلى

الصوف ، وأخرى إلى الصفاء ، وثالثة إلى أهل الصفة ، ورابعة إلى الصف الأول .

1. انظر الحياة الروحية فى الإسلام ، للدكتور مصطفى حلمى ص40:79 .

وآخرون يؤكدون أنه علم وهو اسم ظهر بلا اشتقاق أو غيره [1] ، والصوفية أنفسهم مختلفون فى تأصيل نسبة التصوف ، وإيجاد أصل قرآنى أو نبوى يستندون إليه فى بناء مذهبم ، أو ما يباشرونه من تجربة فى سلوك الطريق كما هو ميسور فى العلوم الأخرى .

ففى الوقت الذى يرده إلى الصوف السراج الطوسى [2] ، ويشاركه فى ذلك أبو بكر الكلاباذى [3] ، والسهروردى البغدادى [4] ، يصف غيرهم تلك الردة جهلا بالتصوف ، حتى قال أحدهم معبرا عن ذلك :

تنازع الناس فى الصوفى واختلفوا : جهلا وظنوه مأخوذا من الصوف
ولست أ نحل هذا الإسم غير فتى : صافى فصوفى حتى سمى الصوفى [5]

وفى المقابل لهذين الرأيين نجد أبا القاسم القشيرى [6] ويشاركه الهجويرى [7] يميلان إلى أن الكلمة لا تخضع للاشتقاقات اللغوية المعروفة ، إذ أن الصوفية من الرفعة بحيث لا يكون لها أصل تشتق منه ، يقول الهجويرى : (يؤكد البعض

1. انظر التصوف فى الإسلام وأهم الاعتراضات الواردة عليه ، للدكتور عبد اللطيف محمد العبد طبعة دار الثقافة العربية سنة 1407هـ ، 1986م ص13: 25 .
2. اللمع فى التصوف ص41 . 3. التعرف لمذهب أهل التصوف ص30 .

4. عوارف المعارف 211/1 .
5. الدر الثمين والمورد المعين لمحمد بن محمد المالكى ، طبعة مصطفى البابى الحلبى بمصر سنة 1954م 169/2 ، وانظر التصوف عند العرب لجبور عبد النور ، طبعة بيروت لبنان سنة 1938م ص78 .
6. الرسالة القشيرية 550/2 . 7. كشف المحجوب ص39 .

أن الصوفى لقب بهذا الاسم ، لأنه يرتدى رداء من الصوف ، ويقول البعض الآخر : إنه لقب بالصوفى لأنه فى الصف الأول ، ويقول آخرون : إن السبب هو أنهم ينتمون إلى أهل الصفة ψ ، وهناك من يقول كذلك : إن الإسم مشتق من الصفاء ، ولكن هذه التفسيرات لكلمة صوفى لا توفى متطلبات الاشتقاقات اللغوية) [1] .

والهجويرى يرى أن هذه التسمية اسم علم لا يحتاج إلى شرح ، فمعنى الصوفية عنده بالنسبة للصوفى واضح كضوء الشمس ، ويبرر ذلك بأن الصوفى ممنوع من العبارة عن نفسه أو الإشارة حتى لا يقع فى الرياء أو إظهار الذات ، وبما أن كلمة صوفى تتطلب شرحا ، فإن كل الناس يحاولون تفسيرها سواء عرفوا قدرها أم جهلوه أثناء تعلم معناها ولكن هكذا يلقب الكامل منهم بالصوفى ويسمى المريد والطلاب بالمتصوفة [2] وقيل : إنما سموا صوفية نسبة لبنى صوفة قبيلة من العرب لها صلة وثيقة بالبيت الحرام فلهذه الرابطة التى تتم بين القوم وبين بيوت الله تعالى نسب الصوفية إلى بنى صوفه ، وهذا إن كان موافقا للنسب من جهة اللفظ فإنه ضعيف ، لأن هؤلاء غير مشهورين ولا معروفين عند أكثر النساك ، ولو نسب النساك إلى هؤلاء لكان هذا النسب فى

زمن الصحابة رضى الله عنهم والتابعين وتابيعهم أولى ولأن غالب من تكلم باسم الصوفية لا يعرف هذه القبيلة ولا يرضى أن يكون مضافا إلى قبيلة فى

1. السابق ص 39 .
2. السابق ص 39 بتصرف .

الجاهلية ولا وجود لها فى الإسلام [1] ، ويحاول الكلاباذى جاهدا أن يضع الاحتمالات الممكنة لتبرير هذه النسبة بوجه مقبول ، ليجعلها متفقة فى المعانى وإن اختلفت فى الظاهر اختلاف تنوع لا تنافر أو تضاد ، فهى إن أخذت من الصفاء والصفوة ، كانت صَفَوِيَّة ، وإن أضيفت إلى الصَّف أو الصُّفَة ، كانت صَفِّية أو صُفِّية ، ويجوز عنده أن يكون تقديم الواو على الفاء فى لفظ الصوفية وزيادتها فى لفظ الصَفِّية أو الصُفِّية ، إنما كانت من تداول الألسن ، وإن جعل مأخذه من الصوف ، استقام اللفظ وصحت العبارة من حيث اللغة ، وجميع تلك المعانى عند الكلاباذى ، من التخلى عن الدنيا ، وعزوف النفس عنها وترك الأوطان ، ولزوم الأسفار ، ومنع النفوس وحظوظها ، وصفاء المعاملات وصف التصوف السابق [2] .

والسؤال الذى يطرح نفسه الآن : هل رد التصوف إلى الصوف أو الصفاء أو الصفة أو الصف الأول ، يعتبرا أصلا مقبولا ومقنعا ، له ما يؤيده فى الكتاب والسنة ؟ .

وإذا كانت العلوم الإسلامية قد وجد لها أصل فى الكتاب أو السنة ، من جهة التسمية والنسبة كما سبق ، فما هو الأصل القرآنى أو النبوى الذى يرد

إليه مصطلح التصوف ؟ وما هو موقف الصوفية من هذه التساؤلات ؟

---

1. الصوفية والفقراء لابن تيمية ص 11 .
2. التعرف لمذهب أهل التصوف ص34 بتصرف .

. رد التصوف إلى الصوف ومناقشته على ضوء الأصول القرآنية والنبوية :

لم يتوان الصوفية ، شأنهم شأن الآخرين ، فى وضع الإجابة المقنعة لمثل هذه التساؤلات ، ورد علمهم إلى أصل يشهد له الكتاب والسنة ، فيقول السراج الطوسى وهو من أقدم المؤرخين لدي الصوفية وأعظمهم (1) : (باب الكشف عن اسم الصوفية ، و لم سموا بهذا الإسم ؟ و لم نسبوا إلى هذه النسبة ؟ إن سأل سائل فقال : قد نسبت أهل الحديث إلى الحديث ، ونسبت الفقهاء إلى الفقه فلم قلت : الصوفية ؟ و لم تنسبهم إلى حال ولا إلى علم) (2) .

وبعد مقدمة طويلة نسب التصوف إلى الصوف ، لأنه كما ذكر لباس خشن بعيد عن النعومة والليونة ، وقد كان يلبسه الأنبياء والصالحون ومرتبط بالزهد فى أذهانهم ، فتبعهم الصوفية فى ذلك ، ونسبوا إليه (3) .

ويذكر السهروردى البغدادى ، أن اختيارهم للبس الصوف ، كان لتركهم زينة الدنيا ، وقناعتهم بسد الجوعة ، وستر العورة ، واستغراقهم فى أمر الآخرة وهذا الاختيار ، ملائم ومناسب من حيث الاشتقاق ، ولأن ذلك أبين فى الإشارة إليهم ، وأدعى إلى حصر وصفهم ، إذ لبس الصوف حال المقربين من الأنبياء والصالحين (4) .

1. انظر مقدمة تحقيق اللمع للدكتور عبد الحليم محمود ص 7 .
2. اللمع ص40 .
3. قضية التصوف المنقذ من الضلال للدكتور عبد الحليم محمود ص 31 بتصرف .
4. عوارف المعارف للسهروردى تحقيق ، د/ عبد الحليم محمود 211/1 .

كما أن هذه النسبة نسبة راجحة عند كثير من العلماء ، يقول ابن خلدون فى مقدمته : (والأظهر إن قيل بالاشتقاق أنه من الصوف ، وهم فى الغالب مختصون بلبسه ، لما كانوا عليه من مخالفة الناس فى لبس فاخر الثياب ، إلى لبس الصوف) [1] .

ومن ثم اعتمد أغلب المحققين من الصوفية وغيرهم ، فى تأصيل التصوف الردة إلى الصوف ، ويعتبرونها الأسلم والأصوب نظرا للسلامة اللغوية ، فالتصوف مصدر الفعل الخماسى المصوغ من صوف ، للدلالة على لبس الصوف ، وكما يقال : تقمص إذا لبس القميص ، يقال : تصوف إذا لبس الصوف ، كما أن الصوف يتوافق مع الهدف الصوفى الداعى إلى التقشف والخشونة ، وشظف العيش ، فالنسبة إلي الصوف على حد قول بعضهم :

(موفقة كل التوفيق) [2] ، بل رأى بعض الباحثين ، كالأستاذين لويس ماسينيون ومصطفى عبد الرازق ، ضرورة رفض ما سواها من الأقوال التى قال بها القدماء والمحدثون على السواء فى أصل الكلمة [3] .

والمسألة التى تقتضى البحث المنهجى ، هى معرفة هدى النبى ε فى اللباس

1. مقدمة ابن خلدون ، تحقيق الدكتور على عبد الواحد وافى ، لجنة البيان العربى الطبعة الأولى سنة1960م ، 1062/3 .
2. قضية التصوف المنقذ من الضلال للدكتور عبد الحليم محمود ص36 .
3. الإسلام والتصوف ، تأليف لويس ماسينيون ومصطفى عبد الـرازق ، طبعـة دار الشعب بالقاهرة سنة 1399هـ ، 1979م ، ص14 .

واستقصاء الأدلة فى الكتاب والسنة ، لاستخراج الأصل الذى يدعو إلى لبس الصوف ، أو اعتباره شعارا لسلوك ما أو تفضيله على غيره من أنواع اللبـاس بحيث يمكننا القول : إن مصطلح التصوف له أصل قرآنى أو نبوى يرد إليه إذا نسب إلى الصوف ، وإن اتخاذ الصوف ملبسا وشعارا للصوفية فى زيهـم دون غيره ، أمر لا غبار عليه شرعا ؟!

فإذا طالعنا كتاب اللَّه وجدنا أن الصوف ورد مرة واحدة ، فى سياق آيـة تعدد نعم اللَّه تعالى على الإنسان ، منها أن اللَّه خلق له الأنعام ، ينتفع بها فى عدة أشياء ، ذكر منها الصوف ، لكنه نص على استخدامه فى الأثاث والمتاع فقال تعالى : { وَاللَّه جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْـعَارِهَا أَسَاسًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ } [النحـل/80] ، ولما ذكر اللَّه الملبس بعدها ، عمم و لم يخصص الصوف وحده ، فقال : { وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ } [النحل/81] .

قال الإمام البخارى : (سَرَابِيلَ قُمُصٌ) [1] ، وقال قتادة : سرابيل مـن القطن والكتان والصوف [2] .

1. فتح البارى 235/8 .

2. فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير ، لمحمد بن على الشوكانى طبعة مصطفى البابى الحلبى ، الطبعة الثانية ، سنة 1383هـ 1964 م 186/3 .

وقال ابن عباس τ : { سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ } يعنى الثياب [1] ، فالصوف ذكر على سبيل النعمة المستخدمة غالبا فى الأثاث والمتاع ، لقوة تحمله كالخيام والغطاء والوطاء ، وما يفرش فى المنازل ويتزين به [2] ، كما يستخدم هو وغيره من أنواع الثياب ، فى الملبس بحكم الواقع البدائى .

وقد دلت السنة النبوية ، على أن لبس الصوف لم يكن مرغوبا بين الصحابة ψ ، وإنما فرض عليهم لأنهم لم يجدوا غيره ، وإذا تيسر استبدلوه ، فعن عكرمة مولى ابن عباس τ أَنَّ أُنَاسًا مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ ، جَاءُوا فَقَالُوا : يَا ابْنَ عَبَّاسٍ ، أَتَرَى الْغُسْلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَاجِبًا ؟ قَالَ : لا ، وَلَكِنَّهُ أَطْهَرُ وَخَيْرٌ لِمَنِ اغْتَسَلَ ، وَمَنْ لَمْ يَغْتَسِلْ فَلَيْسَ عَلَيْهِ بِوَاجِبٍ ، وَسَأُخْبِرُكُمْ كَيْفَ بَدْءُ الْغُسْلِ ؟ كَانَ النَّاسُ مَجْهُودِينَ يَلْبَسُونَ الصُّوفَ ، وَيَعْمَلُونَ عَلَى ظُهُورِهِمْ ، وَكَانَ مَسْجِدُهُمْ ضَيِّقًا مُقَارِبَ السَّقْفِ ، إِنَّمَا هُوَ عَرِيشٌ ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّه ε فِي يَوْمٍ حَارٍّ ، وَعَرِقَ النَّاسُ فِي ذَلِكَ الصُّوفِ ، حَتَّى ثَارَتْ مِنْهُمْ رِيَاحٌ ، آذَى بِذَلِكَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، فَلَمَّا وَجَدَ رَسُولُ اللَّه ε تِلْكَ الرِّيحَ ، قَالَ : " أَيُّهَا النَّاسُ إِذَا كَانَ هَذَا الْيَوْمَ فَاغْتَسِلُوا ، وَلْيَمَسَّ أَحَدُكُمْ أَفْضَلَ مَا يَجِدُ مِنْ دُهْنِهِ وَطِيبِهِ " ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ τ : " ثُمَّ جَاءَ اللَّه بِالْخَيْرِ ، وَلَبِسُوا غَيْرَ الصُّوفِ وَكُفُوا الْعَمَلَ ، وَوُسِّعَ مَسْجِدُهُمْ ، وَذَهَبَ بَعْضُ الَّذِي كَانَ يُؤْذِي بَعْضُهُمْ

بَعْضًا مِنَ الْعَرَقِ " (3) .

---

1. السابق 186/3 . 3. السابق 186/3 .

3. أخرجه أبو داود فى كتاب الطهارة برقم (353) وحسنه الألبانى 97/1 .

فدلالة الحديث واضحة فى رفضهتم البقاء على الصوف بعد مجئ الخير ، ولولا أنهم لم يجدوا غيره ما لبسوه ، ومعلوم أن انتقالهم عنه إلى غيره ، لم ينقص من فضلهم شيئا ، أو يؤثر فى عبوديتهم للَّه أو قوة إيمانهم به ، فدعوى تفضيله على غيره أو مواظبة الفضلاء السابقين من الصحابة والتابعين على استعماله كملبس دال على إظهار الزهد والخشونة فى العيش ، بغية التقرب إلى اللَّه ، دعــوة مرفوضة بالأصول النبوية ، وعَن أَبِي بُرْدَةَ قَالَ : " قَالَ لِي أَبُو مُوسَى τ : يَــا بُنَيَّ ، لَوْ رَأَيْتَنَا وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّه ε ، وَأَصَابَنَا الْمَطَرُ ، وَجَدْتَ مِنَّا رِيــحَ الضَّأْنِ ، إِنَّمَا لِبَاسُنَا الصُّوفُ " (1) ، فهو يحكى واقعا مضى استبدل فى حاضره بغير الصوف من أنواع اللباس الأفضل ، عند ظهور النعمة وتوفر البديل ، ولو كان فى بقائه فضل لما غيروه ، وورد أيضا كثير من الروايــات الدالــة علــى إشفاق النبى ε ، على مجموعة من فقراء العرب ، لأنهم لم يجدوا غير الصــوف ملبسا ، من شدة الحاجة والفاقة ، فحث الناس على الصدقة ، ورغب فيها أشد ما يرغب ، فدعا إلى الصدقة ، ولو بشئ يسير ، يساعد على تغيير تلــك الصورة البائسة ، فعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّه τ قَالَ :

" جَاءَ نَاسٌ مِنَ الأَعْرَاب إِلَى رَسُولِ اللَّه ε ، عَلَيْهِمُ الصُّوفُ ، فَــرَأَى سُوءَ حَالِهِمْ قَدْ أَصَابَتْهُمْ حَاجَةٌ " (2) وفى رواية أخرى يصفهم جرير بْنِ عَبْــدِ

1. أخرجه أحمد فى مسند الكوفيين (19259) ، والترمذى برقم (2479) وصححه الألبانى 560/4 .

2. أخرجه مسلم فى كتاب العلم (1017) 704/2.

اللَّه τ بقوله : " كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّه ε فِي صَدْرِ النَّهَارِ ، فَجَاءَهُ قَوْمٌ حُفَاةٌ عُرَاةٌ مُجْتَابِي النِّمَارِ أَوِ الْعَبَاءِ ، مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ ، عَامَّتُهُمْ مِنْ مُضَرَ بَلْ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرَ ، فَتَمَعَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّه ε لِمَا رَأَى بِهِمْ مِنَ الْفَاقَةِ ، فَدَخَلَ أى إلى مترله ثُمَّ خَرَجَ فَأَمَرَ بِلالا فَأَذَّنَ وَأَقَامَ ، فَصَلَّى ثُمَّ خَطَبَ فَقَالَ : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمِ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ .. إِلَى آخِرِ الآيَةِ .. إِنَّ اللَّه كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا } [النساء/1] وَالآيَةَ الَّتِي فِي الْحَشْرِ : { اتَّقُوا اللَّه وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّه } [الحشر/18] ، تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ ، مِنْ دِرْهَمِهِ مِنْ ثَوْبِهِ ، مِنْ صَاعِ بُرِّهِ ، مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ ، حَتَّى قَالَ : وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ " (1) .

وأما العادة فى ملبسه ε وهو الأسوة والقدوة لكل مسلم ، فكان المحبوب لديه دائما القطن وغيره ، دون الصوف ، لما روى عن قَتَادَةَ τ قال : " قُلْتُ لأَنَس بن مالك τ : أَيُّ الثِّيَابِ كَانَ أَحَبَّ إِلَى النَّبِيِّ ε أَنْ يَلْبَسَهَا ؟ قَالَ : الْحِبَرَةُ " (2) ، والحبرة ثياب مزينة من القطن أو الكتان ، قال ابن بطال : الحبرة من برود اليمن تصنع من القطن ، وكانت أشرف الثياب عندهم (3) ولا يعنى ذلك أنه ε نهى عن استعمال الصوف أو تركه مطلقا ولكن كان يستعمله ضمن اللباس لا يفضله على غيره ، لما ثبت عن الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ τ

1. الحديث السابق ، وأخرجه النسائى فى كتاب الزكاة (2554) 75/5 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب اللباس (5812) 10/ 287 ، ومسلم فى كتاب اللباس والزينة (2079) 1648/3 .
3. فتح البارى 281/10 .

قَالَ :" كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّه ε ، فِي رَكْبِهِ وَمَعِي إِدَاوَةٌ ، فَخَرَجَ لِحَاجَتِهِ ثُمَّ أَقْبَلَ ، فَتَلَقَّيْتُهُ بالإِدَاوَةِ ، فَأَفْرَغْتُ عَلَيْهِ فَغَسَلَ كَفَّيْهِ وَوَجْهَهُ ، ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ ذِرَاعَيْهِ ، وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ مِنْ صُوفٍ مِنْ جِبَابِ الرُّومِ ضَيِّقَةُ الْكُمَّيْنِ ، فَضَاقَتْ فَادَّرَعَهُمَا ادِّرَاعًا " [1] .

وقد أُهْدِيَ لِرَسُولِ اللَّه ε جُبَّةٌ مِنْ سُنْدُسٍ ، وَكَانَ يَنْهَى عَنِ الْحَرِيرِ فَعَجِبَ النَّاسُ مِنْهَا ، وفى رواية أخرى : بُعِثَ إِلَى النَّبِيِّ ε جُبَّةٌ مِنْ دِيبَاجٍ مَنْسُوجٌ فِيهَا الذَّهَبُ ، وثالثة : أَهْدَى إِلَى النَّبِيِّ ε مُسْتُقَةً مِنْ سُنْدُسٍ ، ورابعة أُتِيَ بِثَوْبٍ حَرِيرٍ ، أهداه إليه ملك الروم أكيدر صاحب دومة ، يقول أنس بن مالك τ راوى الحديث بالألفاظ السابقة : (فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى يَدَيْهَا تَذَبْذَبَانِ منْ طُولِهِمَا ، فَجَعَلَ الْقَوْمُ يَلْتَمِسُونَهَا ، وَيَقُولُونَ : أُنْزِلَتْ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّه هَذِهِ مِنَ السَّمَاءِ " فَجَعَلُوا يَمَسُّونَهُ وَيَنْظُرُونَ " " فَقَالُوا : مَا رَأَيْنَا كَالْيَوْمِ ثَوْبًا قَطُّ ، قَالَ : وَمَا يُعْجِبُكُمْ مِنْهَا ؟ " وفى رواية أخرى :

" فَقَالَ أَتَعْجَبُونَ مِنْ هَذِهِ ؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَمَنْدِيلٌ منْ مَنَادِيلِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنْ هَذِهِ ، ثُمَّ بَعَثَ بِهَا إِلَى جَعْفَرٍ ، قَالَ : فَلَبِسَهَا جَعْفَرٌ ثُمَّ جَاءَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ε : " إِنِّي لَمْ أَبْعَثْ بِهَا إِلَيْكَ لِتَلْبَسَهَا ، قَالَ : فَمَا أَصْنَعُ بِهَا ؟ قَالَ : ابْعَثْ بِهَا إِلَى أَخِيكَ النَّجَاشِيِّ " [2] .

1. أخرجه البخارى فى كتاب الوضوء (182) 342/1 ، ومسلم فى الطهارة (274) 228/1 ، ومعنى وادرعهما أى نزع الزراعين عن الكمين .
2. جميع الروايات عن أنس بن مالك τ ، ولفظ : جبة سندس عند مسلم (2469)=

وهذا وإن دل على أن النبى ε لبسها مرة واحدة ، إلا أنه لم يمنع أن يرتدى المسلم أجود الثياب وأثمنها ، بدليل أنه أهداها إلى النجاشى ، كما أن المقارنة أو المفاضلة بين هذا الثوب وثياب سعد فى الجنة ، يدل على ذلك أيضا ، فمن المعلوم أن أجود الأشياء فى الدنيا ، كأفضل الثياب وأجملها ، أو غير ذلك من أصناف النعيم ، هو الذى يقارن مع نعيم الجنة بقياس الأولى ، وقال عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ τ : لَمَّا خَرَجَتِ الْحَرُورِيَّةُ أَتَيْتُ عَلِيًّا τ فَقَالَ : ائْتِ هَؤُلاءِ الْقَوْمَ فَلَبِسْتُ أَحْسَنَ مَا يَكُونُ مِنْ حُلَلِ الْيَمَنِ ، قَالَ أَبُو زُمَيْلٍ سِمَاكُ بْنُ الْوَلِيدِ الْحَنَفِيُّ : وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَجُلا جَمِيلا جَهِيرًا ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ τ : فَأَتَيْتُهُمْ فَقَالُوا : مَرْحَبًا بِكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ ، مَا هَذِهِ الْحُلَّةُ ؟ قَالَ : مَا تَعِيبُونَ عَلَيَّ ؟ لَقَدْ رَأَيْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّه ε أَحْسَنَ مَا يَكُونُ مِنَ الْحُلَلِ [1] .

وأنكرت أَسْمَاء بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ τ على عَبْدِ اللَّه بْنِ عُمَرَ τ ، ما بلغها أنه

= 1916/4 ، والجبة رداء يلبس فوق الثياب ، والسندس ما رق من الحرير ، ولفظ : جبة من ديباج منسوج فيها الذهب عند الترمذى (1723) 218/4 ، والديباج نوع نفيس من الحرير ، ولفظ : مستقة من سندس عند أحمد فى المسند (13214) ، والمستقة فرو طويل الأكمام ، وقيل : كلمة أصلها فارسى ، ولفظ : أتى بثوب حرير

عند أحمد فى المسند (13526) ، والحديث أخرجه البخارى فى كتاب الهبة (2616) 272/5 ومسلم (2469) 1916/4 .

1. حسن الإسناد ، أخرجه أبو داود فىكتاب اللباس (4037) 45/4 ، والحاكم فى المستدرك (2656) وقال : صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه 164/2.

يحرم العلم فى الثوب وميثرة الأرجوان ، فبعثت إليه رسولها عبد اللَّه بن كيسان τ قَالَ : أَرْسَلَتْنِي أَسْمَاءُ إِلَى عَبْدِ اللَّه بْنِ عُمَرَ فَقَالَتْ : (بَلَغَنِي أَنَّــكَ تُحَــرِّمُ الْعَلَمَ فِي الثَّوْبِ ، وَمِيثَرَةَ الأُرْجُوَانِ ، فَقَالَ لِي عَبْدُ اللَّه τ : أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنَ الْعَلَمِ فِي الثَّوْبِ ، فَإِنِّي سَمِعتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّاب τ يَقُولُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه ε يَقُولُ : إِنَّمَا يَلْبَسُ الْحَرِيرَ مَنْ لا خَلاقَ لَهُ ، فَخِفْتُ أَنْ يَكُونَ الْعَلَمُ مِنْهُ ، وَأَمَّا مِيثَرَةُ الأُرْجُوَانِ ، فَهَذِهِ مِيثَرَةُ عَبْدِ اللَّه ، فَإِذَا هِيَ أُرْجُوَانٌ فَرَجَعْتُ إِلَى أَسْمَاءَ فَخَبَّرْتُهَا ، فَقَالَتْ :

هَذِهِ جُبَّةُ رَسُولِ اللَّه ε ، فَأَخْرَجَتْ إِلَيَّ جُبَّة طَيَالِسَةٍ كِسْرَوَانِيَّةٍ ، لَهَا لِبْنَــةُ دِيبَاجٍ ، وَفَرْجَيْهَا مَكْفُوفَيْنِ بِالدِّيبَاجِ ، فَقَالَتْ : هَذِهِ كَانَتْ عِنْدَ عَائِشَةَ حَتَّــى قُبِضَتْ ، فَلَمَّا قُبِضَتْ قَبَضْتُهَا ، وَكَانَ النَّبِيُّ ε يَلْبَسُهَا " [1] .

ومعنى العلم : جزء من الحرير فى الثوب ، ومثيرة الأرجوان : المياثر أغشية للسروج تتخذ من الحرير ، والأرجوان هو الصبغ الأحمر شديد الحمرة والطيلسان : كساء غليظ مخطط ، والكسروانية : نسبة إلى كسرى ملك الفرس ، ومعنى لبنة ديباج وفرجيها مكفوفين بالديباج ، اللبنة : رقعــة فى جيب القميص أو الجبة ، والديباج نوع نفيس من الحرير ، وفرجيها مكفوفين أى كسيت جوانبها ، الذيل والشقين والكمين بالحرير [2] .

1. أخرجه مسلم فى كتاب اللباس والزينة برقم (2069) 1641/3 ، والنهى عن الحرير للرجال ، إذا استخدم كله ملبسا لا بعضه .
2. انظر صحيح مسلم بشرح النووى 4/1 ص43 ، 44 .

فمن مجموع ما تقدم من الأصول النبوية ، يمكن القول أن الصوف لم يكن ملبسا دأب النبى ε أو أحد أصحابه على تفضيله أو استعماله ، فدعوى السراج الطوسى : (إن لبس الصوف ، دأب الأنبياء عليهم السلام والصدقين وشعار المساكين) [1] تفتقر إلى الدليل .

وقد تتبعت الأدلة النبوية ، جاهدا أن أصل إلى حديث ثابت ، يدل على أن الأنبياء بصفة عامة داوموا على تفضيل الصوف ، أو الالتزام به أو اقترانه لديهم بعلم ما أو سلوك ما ، فلم أجد إلا ما اشتهر عند الصوفية من حديث الترمذى الذى تنفرد به عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ τ عَنِ النَّبِيِّ ε قَالَ : " كَانَ عَلَى مُوسَى يَوْمَ كَلَّمَهُ رَبُّهُ ، كِسَاءُ صُوفٍ ، وَجُبَّةُ صُوفٍ ، وَكُمَّةُ صُوفٍ ، وَسَرَاوِيلُ صُوفٍ وَكَانَتْ نَعْلاهُ مِنْ جِلْدِ حِمَارٍ مَيِّتٍ " [2] وهو حديث ضعيف جدا [3] .

وأما ما ورد عند ابن ماجة ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ τ قَالَ : " لَبِسَ رَسُولُ اللَّهِ ε الصّوفَ ، وَاحْتَذَى الْمَخْصُوفَ " [4] فعلى فرض ثبوته لا يدل على تفضيله أو المداومة عليه ، لما سبق من الأحاديث الأخرى .

1. اللمع للسراج الطوسى ص40 .
2. أخرجه الترمذى فى كتاب اللباس ، باب ما جاء فى لبس الصوف (1734) وقال الشيخ الألبانى : ضعيف جدا 4/

.224

3. علته حُمَيْدٌ بْنُ عَطّاءِ بْنُ عَلِيٍّ الأَعْرَجِ الْكُوفِيِّ ، فهو منكر الحديث ، انظر الجرح والتعديل (996) 226/3 ، والمجروحين من المحدثين والضعفاء رقم (263) 262/1 .

4. ضعيف ، أخرجه ابن ماجة فى كتاب الأطعمة (3348) وقال عنه الشيخ الألبانى : ضعيف 1111/2 .

وتفضيله لما تقدم ، ولكن تفرد به ابن ماجة وهو ضعيف [1] ، وعلى ذلك فنسبة التصوف إلى الصوف ، وإن كانت سليمة من ناحية الاشتقاق ، إلا أنها تتطلب أصلا قرآنيا أو نبويا واضحا بينا ، نبنى عليه مشروعية الدعوة إلى تفضيل الصوف ، واتخاذ شعارا لعلم ما أو مذهب أو طريقة معينة .

. كيف ظهرت نسبة التصوف إلى الصوف ؟

لما ظهر اتجاه الزهد الذى تبناه أوائل الصوفية ، وقوى بعد عصر التابعين ، آثر أصحابة العزلة ، إما بدافع الخلوة المؤدية إلى زيادة الإيمان وبلوغ الحقيقة ، أو الابتعاد عن الفتن والمنازعات التى حدثت بين المسلمين فى أعقاب الخلافة الرشيدة فآثروا وقتها العزلة عن الناس والزهد فى الدنيا ، أو رد الفعل الطبيعى لحياة الترف التى مرت بالمسلمين إبان الفتوحات الإسلامية ، أيا كان الدافع لهذا المسلك[2] ، فإن أصحابه اتخذوا ما تيسر من اللباس المناسب وقتها لاتجاه

---

1. علته نوح بن ذكوان ، وهو منكر الحديث جدا ، و يحدث بأحاديث أباطيل ، انظر الكاشف فى معرفة من له رواية فى الكتب الستة ، للذهبى ترجمة رقم (5890) 327/2 والكامل فى ضعفاء الرجال (1976) 44/7 ، وكتاب الضعفاء (250) ص152 ، تهذيب

التهذيب رقم (874)431/10 ، وتهذيب الكمال رقم (6491) 48/30 ، والمجروحين رقم (1102) 47/3 ، وفى الحديث أيضا : يوسف بن أبى كثير وهو مجهول ، انظر الكاشف فى معرفة من له رواية فى الكتب الستة ، ترجمة رقم (6444) 400/2 ، ولسان الميزان (5344) 448/7 ، وتقريب التهذيب رقم (7877)611/1 .
2. من قضايا التصوف فى ضوء الكتاب ، د/ محمد السيد الجليند ص 19 : ص24 .

الزهد ، فلجأ أغلبهم بالضرورة إلى نوعية الصوف ، الملائم للخشونة وشظف العيش ، متقيدين آنذاك بحكم طبيعة البيئة العربية ، أو غير العربية فى المجتمع الأوَّلى البسيط ، وذلك ليتوافق مع تأديب النفس ، وإلزامها بتحمله فترة طويلة فكان أحدهم يرتدى ملبسا خشنا من الصوف مدة عشرين سنة [1] ، ولا يخفى أن ذلك يبعث على تكوين صورة الزهد فى أذهان العامة والخاصة مقترنة بلبس الصوف على الدوام ، ويحكى الهجويرى عن شيخه ، أنه ارتدى جبة واحدة من الصوف مدة إحدى وخمسين سنة ، وكان يضع الرقع عليها دون كبير اهتمام [2] .

ويتكرر الأمر ملحوظا عند الغالبية من أبناء التصوف ، حتى أصبح لفظ الخرقة والمرقعة ، من المصطلحات التى لها مدلول مشترك ، وفق أصول وقواعد تعارفوا عليها فى وقت مبكر ، كما وضعت لها كتب وفصول ، يقول الهجويرى : (كتبت كتابا مفصلا فى هذا الموضوع عنوانه أسرار الخرق والمرقعات وعلى المريد أن يحتفظ لنفسه بنسخة منه) [3] .

كل ذلك أدى إلى ظهور رأى عام بين الصوفية وغيرهم ، يربط الزهد برؤية خشونة الصوف على بدن الزاهد ، حتى أشبه الأمر الإجماع السكوتى الصامت

دل على ذلك ما ذكره ابن بطال ، حيث قال : (كره مالك لبس الصوف لمن

1. هو عبد اللَّه بن خفيف الشيرازى ، انظر كشف المحجوب ص62 .
2. السابق ص62 .
3. السابق ص69 .

يجد غيره ، لما فيه من الشهرة بالزهد ، لإن إخفاء العمل أولى ، فلم ينحصر التواضع فى لبسه ، بل فى القطن وغيره ، مما هو دون ثمنه) [1] ، ومثله أيضا يلحظه الباحث ، فيما روى أبو الشيخ الأصفهانى ، بإسناده عن محمد بن سيرين ، أنه بلغه أن قوما يفضلون لباس الصوف ، فقال : إن قوما يتخيرون الصوف ، يقولون إنهم متشبهون بالمسيح بن مريم ، وهدى نبينا أحب إلينا وكان النبى ε يلبس القطن وغيره [2] .

وإذا أضفنا إلى ما تقدم ، سلامة اشتقاق مصطلح التصوف من مادة الصوف وجدنا تبريرا قويا يدعو إلى تبنى القول برد التصوف إلى الصوف ، فلما ظهرت حركة التأليف والتدوين فى مختلف العلوم سرى ذلك إلى ناحية التصوف ، فبدأ رجال من القوم يكتبون مناهجهم ، وما يدافعون به عن صحة اعتقادهم وسلوكهم ، فحاولوا فى طى ذلك البحث عن أصول قرآنية أو نبوية ينسبون علمهم إليها ، وكان أول من قام بذلك فيما أثر عن الصوفية من تراث هو أبو نصر السراج الطوسى (ت:378هـ) ، فهو – كما ذكر الدكتور عبد الحليم محمود – أعظم مؤرخ صوفى فى التاريخ قديما وحديثا [3] بل إن كتابه اللمع فى التصوف له مكانة عند الصوفية لا ينالها كتاب آخر ، حتى قيل عنه : (

كتاب ــــــــــــــــــــــــ

1. فتح البارى شرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى 280/10 .
2. الصوفية والفقراء لابن تيمية ، تقديم الدكتور محمد جميل غازى ، طبعة مكتبة المدنى بالسعودية ص12، 13 وانظر كشف المحجوب ص61 وقارن .
3. اللمع ص7 .

اللمع هو الكتاب الأم فى تاريخ التصوف الإسلامى ، وقد اجتمعت لــه خصائص ما توافرت لغيره من كتب الحياة الروحية الإسلامية ، فهو أقدم مرجع صوفى إسلامى ، وهو فوق هذا أكبر هذه المراجع ، وأوثقها وأغزرها مادة ، وأنقاها جوهرا ولفظا ، ومن مادته الخصبة اقتبس كافــة مــن أرخ للتصوف وعلىضوء مناهجه وأبوابه وقواعده ، جرت الأقلام التى قدمت لنــا عبر التاريخ ، علوم الطريق ورجاله) [1] .

فلم أجد فى حقيقة الأمر ، من سبق السراج الطوسى فى رد التصــوف إلى الصوف ، أو محاولته تبرير ذلك بأنه دأب الأنبياء والصديقين وشعار المساكين المتنسكين ، ولذلك جزم بالأمر مرة واحدة إذ يقول : (باب الكشــف عــن اسم الصوفية و لم سموا بهذا الإسم ؟ و لم نسبوا إلى هذه النسبة ؟ إن سأل سائل فقال : قد نسبت أهل الحديث إلى الحديث ، ونسبت الفقهاء إلى الفقه ، فلم قلت : الصوفية ، و لم تنسبهم إلى حال ولا إلى علم ؟) [2] .

فسياق النص فى كتاب لأقدم المؤرخين ، كاللمع فى التصوف ، يشعر بــأن السراج الطوسى صاحب القدم الأولى واليد الطولى فى تبرير هذه النسبة ، وقد بين فيما طرح من تساؤل ، أن الصوفية لم ينفردوا بنوع من العلم دون نــوع

و لم يرتسموا برسم من الأحوال دون رسم ، فليس لديه خيار إلا ظاهر اللبسة فنسبهم إليها ، ثم وجد أن ملبس الأنبياء والأولياء الأصفياء على أغلب الظن يتوافق مع ملبس الفقراء فجزم بالأمر فى رد التصوف إلى الصوف ، يقول

1. السابق ص10 . 2. السابق ص40 .

السراج : (فكذلك الصوفية عندى والله أعلم ، نسبوا إلى ظاهر اللباس و لم ينسبوا إلى نوع من أنواع العلوم والأحوال التى هم بها مترسمون لأن لبس الصوف كان دأب الأنبياء وشعار الأولياء والأصفياء ، ويكثر فى ذلك الروايات والأخبار ، فلما أضفتهم إلى ظاهر اللبسة كان ذلك إسما مجملا عاما مخبرا عن جميع العلوم والأعمال والأخلاق والأحوال الشريفة المحمودة) [1] .

ومعلوم مما تقدم أن جميع الروايات والأخبار ، لا تثبت أن نبيا من الأنبياء تخير الصوف ولازمه دون سائر اللباس ، فضلا عن رسول الله ε وأصحابه ψ ، ولكنه وهو يتعقب الأدلة ، ليقوى رأيه فى نسبة التصوف إلى الصوف والبحث عن دليل قرآنى أو نبوى ، يصحح النسبة إلى ظاهر اللباس ، نظر إلى حال الحواريين [2] ، اتباع عيسى υ ، إذ لبسوا البياض وجمعوا أوصاف الإيمان ، وصدق المتابعة فى كل النواحى ، فسموا حواريين نسبة إلى ظاهر اللبسة ، يقول السراج : (ألا ترى أن الله تعالى ذكر طائفة من خواص أصحاب عيسى υ ، فنسبهم إلى ظاهر اللبسة ، فقال عز وجل : { وإِذْ قَالَ

1. السابق ص40 .

2. الحواريون جمع حوارى وهو مأخوذ من الحور وهو البياض عند أهل اللغة ، ويقال لنساء الجنة : الحور العين لشدة بياضهن يقال : حورت الثياب إذا بيضتها ، وقال عبد الله بن عباس τ :" إنما سموا الحواريين لبياض ثيابهم كانوا صيادين ، انظر فتح القـــدير 344/1 وقال البخارى : (بَاب مَنَاقِبِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ τ : " هُوَ حَوَارِيُّ النَّبِيِّ ε وَسُمِّيَ الْحَوَارِيُّونَ لِبَيَاضِ ثِيَابِهِمْ " انظر فتح البارى 99/7 .

الْحَوَارِيُّونَ } [المائدة/112] ، وكانوا قوما يلبسون البياض ، فنسبهم اللَّه تعـــالى إلى ذلك ، ولم ينسبهم إلى نوع من العلوم والأعمال والأحوال التى كانوا بهـــا مترسمين ، فكذلك الصوفية عندى واللَّه أعلم) [1] ، فشبه حال الصـــوفية فى إيمانهم وعدم اختصاصهم بعلم أو رسم ينسبون إليه ، بحال الحواريين الذين لم ينسبوا إلى علم أو حال ، فالعلة المشتركة بينهم ، هى النسبة إلى ظاهر اللبسة فصحت عنده نسبة التصوف إلى الصوف .

ولما أصل السراج الطوسى هذه النسبة ، وأظهر رأيه فيها بجـــرأة ، تتـــابع المؤلفون من معاصريه ولا حقية ، يوافقون رأيه أو يخالفون ، يدققون ويبحثون عن الوازم المترتبة على رد التصوف إلى الصوف ، إما بإظهار نسبة أخـــرى تتآزر مع السابقة أو تنفرد دونها ، فالقول بأن التصوف إلى الصوف فقـــط تركيز على المظهر دون الجوهر ، والظاهر دون الباطن ، ودعوتهم فى حقيقتها تنصب على الباطن ، وتدعوا إلى النظر فى أعماق الأمور وبلوغ الحقيقة ، ومن ثم حاول الكلاباذى أن يستقصى كل الوجوه الممكنة ، ثم تابعـــه الهجـــويرى والقشيرى ، ثم الغزالى والسهروردى وغيرهم من مؤرخى التصوف ، فكانت أبرز الوجوه التى يرد إليها التصوف غير الصوف القول بأنه من الصفاء .

. رد التصوف إلى الصفاء ومناقشته :

لا يصح من جهة الاشتقاق اللغوى رد التصوف إلى الصفا ء أو الصفوة لأنه لو صح لقيل : صَفَوِىٌّ لا صوفى ، قال الراغب الأصفهانى : أصل الصفاء

---

1. اللمع ص41 .

خلوص الشئ من الشوب ومنه الصفا للحجارة الصافية قال تعالى : { إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِاللَّه } [البقرة/158] [1] .

وقال عمر بن الخطاب τ يصف رسول اللَّه ε : " قُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللَّه وَمَا لِي لا َبْكِي ، وَهَذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِكَ ، وَهَذِهِ خِزَانَتُكَ لا أَرَى فِيهَا إِلا مَا أَرَى ، وَذَاكَ قَيْصَرُ وَكِسْرَى فِي الثِّمَارِ وَالأَنْهَارِ ، وَأَنْتَ رَسُولُ اللَّه ε وَصَفْوَتُهُ وَهَذِهِ خِزَانَتُكَ " [2] ، فالمصطفى هو المختار المنتقى من سائر الناس .

والصوفية فى ردهم التصوف إلى الصفاء ، أرادوا أن يبينوا أن طريقتهم ليست فى التزام الصوف والزهد الظاهرى فقط ، وإنما هى جوهر يجعلها أسمى الطرق وأعلاها كمالا وتحققا ، فلهم من الفهم العميق ، والاستنباط الدقيق ، فى بعض النواحى ما ليس لغيرهم ، يقول السراج الطوسى : (وللصوفية مستنبطات فى علوم مشكلة على فهوم الفقهاء والعلماء ، لأن ذلك لطائف مودعة فى إشارات لهم ، تخفى فى العبارة من دقتها ولطافتها ، وذلك فى معنى العوارض والعوائق ، والعلائق والحجب ، وخبايا السر ، ومقامات الإخلاص ، وأحوال المعارف ، وحقائق العبودية ، ومحو الكون بالأزل .. إلخ) [3] .

ولما كان مسلك الصوفية ، هو التخلص من الشوائب الحاجبة فى البـــاطن

---

1. المفردات ص283 .
2. أخرجه مسلم فى كتاب الطلاق (1479) 1105/2 .
3. اللمع ص32 .

والتحرر مما سوى اللَّه ، وكانت النسبة إلى الصوف وحدها ، لا تكفى تبريرا لأصل التصوف ، لأنها مظهر دون جوهر ، نقب بعضهم عن شخصية مرموقة يرجعون إليها الصفاء كأصل للتصوف ، فتخيروا أبا بكر الصديق τ مثلا أعلى ، وقدوة يحتذى بها الصوفى فى صفائه ، فقال الهجويرى :

إن الصفا صفة الصديق : إذا أردت صوفيا على التحقيق [1] .

ويتابع قائلا : (ذلك أن للصفاء أصل وفرع ، فأصله انتزاع القلب مـــن الأغيار ، وفرعه نفض اليد من هذه الدنيا الخادعة ، وكانت هاتان الصـــفتان تميزان الصديق ، أبا بكر عبد اللَّه بن أبى قحافة τ ، فهو إمام أهـــل هـــذه الطريقة) [2] ، ثم يورد دليلين على صفاء أبى بكر الذى انتسب إليه الصـــوفية أحدهما له أصول قرآنية ، والآخر له أصول نبوية .

[1]– أما الأول : فهو قوله تعالى : { وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِين } [آل عمران/144] ، ووجه استدلاله أن الصحابة كلهم انكسرت قلوبهم لموت رسول اللَّه ε ، حيث تعلقت قلـــوبهم بالفانى ، فسل عمر سيفه ، وقال : من قال إن النبى قد مات ، جزرت رأســـه

فقال أبو بكر τ عندها بصوت عال : " من كان يعبد محمدا ، فإن محمدا قد

1. كشف المحجوب ص40 وانظر اللمع للسراج الطوسى ص 210 ، 346 ، 483 ، 513 ، والرسالة القشيرية 563/2 ، 585 .
2. السابق ص40 .

مات ، ومن كان يعبد اللَّه فإن اللَّه حى لا يموت ، وتلا الآية الكريمة " [1] .

يقول الهجويرى : (فكل من يربط قلبه بالفانى ، فإنه يفنى ويضيع سعى قلبه هباء ، والذى يمد روحه إلى اللَّه الباقى ، يكون قائما بالبقاء ، حين تفنى النفس ، فأبو بكر لم ينظر إلى ما حدث من تبديل الحياة بالموت ، ولكنه نظر إلى اللَّه الذى بدل كل شئ ، ومن ثم تحقق فيه أصل الصفاء ، وهو انتزاع القلب من الأغيار) [2] .

[2] – وأما الثانى فهو فرع الصفاء وهو نفض اليد من هذه الدنيا الخادعة حيث تبرع أبو بكر بماله كله ومواليه وارتدى رداء الصوف – على حد قول الهجويرى – ثم جاء إلى النبى ε فسأله : وما خلفت لعيالك ؟ فأجابه أبو بكر τ تركت لهم اللَّه ورسوله [3] ، ثم يقول معقبا على هذين الدليلين : (إن الصفا عكس للكدر ، والكدر من صفات الإنسان ، ولهذا فإن الصوفى الحقيقى هو من يترك الكدر وراء ظهره) [4] .

وهذا الكلام لا يعبر عن واقع الأدلة ، لأن فيه تنقيص للصحابة دون أبى بكر τ ، فهل انكسرت قلوبهم لأنهم تعلقوا بالفانى على حد قول الهجويرى ؟ أو هل فى صفائهم كدر ، وما تركوه وراء ظهورهم كأبى بكر ؟ أو أن أبا بكر

يصلح أن يكون فى صفائه قدوة للصوفية وعمر بن الخطاب τ صفاؤه مشوب ولا يصلح لذلك ؟

---

1. السابق ص40 . 2. السابق ص40 .
3. السابق ص40 . 4. السابق ص41 .

إن الأمر فى حقيقته ، لا علاقة له بصفاء أبى بكر τ أو غيره ، ولكن الثابت الصحيح أن عمر بن الخطاب τ ، ظن أن رسول اللَّه مغشى عليه ، وكان فى اعتقاده أن تمام الدين يلزمه القضاء على المنافقين ، ومن ثم سوف يبقى النبى ε حتى يقضى عليهم ، دل على ذلك ما قالته أم المؤمنين عائشة رضى اللَّه عنها وقد مات النبى بين يدها ، وهى تظن أنه مغشى عليه : " فَسَجَّيْتُهُ ثَوْبًا فَجَاءَ عُمَرُ وَالْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ ، فَاسْتَأْذَنَا فَأَذِنْتُ لَهُمَا ، وَجَذَبْتُ إِلَيَّ الْحِجَابَ ، فَنَظَرَ عُمَرُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : وَاغَشْيَاهْ ، مَا أَشَدُّ غَشْيَ رَسُولِ اللَّه ε ثُمَّ قَامَا ، فَلَمَّا دَنَوَا مِنَ الْبَابِ ، قَالَ الْمُغِيرَةُ : يَا عُمَرُ مَاتَ رَسُولُ اللَّه ε ، قَالَ : كَذَبْتَ ، بَلْ أَنْتَ رَجُلٌ تَحُوسُكَ فِتْنَةٌ ، إِنَّ رَسولَ اللَّه ε لا يَمُوتُ ، حَتّى يُفْنِيَ اللَّـه عَزَّ وَجَلَّ الْمُنَافِقِينَ " [1] وفى رواية أخرى : " وَعُمَرُ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجدِ يَقُولُ : وَاللَّه مَا مَاتَ رَسُولُ اللَّه ε ، وَلا يَمُوتُ ، حَتَّى يَقْطَعَ أَيْدِيَ أُنَاسٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ كَثِيرٍ وَأَرْجُلَهُمْ " [2] .

وفى هذا دليل قوى على رغبة عمر فى تصفية التوحيد من النفاق ، وأما بقية الصحابة كانوا ذهولا من أثر الواقعة ، وذلك من شدة صفائهم للَّه وحبهم لرسوله ε ، وليس الأمر على ما يفسره الهجويرى ، أنهم جميعا ربطوا

قلوبهم بالفانى ، وأبو بكر τ هو الذى مد روحه إلى اللّه الباقى ، كما أن أبـــا

1.أخرجه البخارى فى كتاب الجنائز (1242) 136./3
2. جزء من حديث ، أخرجه ابن ماجة فى كتاب الجنائز برقم (1627) ، وصححه الشيخ الألبانى 520/1 .

بكر τ ، كان من أشد المنكسرين قلبا على فراق خليله ، فورد فيما ذكرته أم المؤمنين عائشة : " ثُمَّ جَاءَ أَبُو بَكْرٍ τ فَرَفَعْتُ الْحِجَابَ ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَقَالَ : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، مَاتَ رَسُولُ اللَّه ε ، ثُمَّ أَتَاهُ مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ فَحَدَرَ فَـــاهُ وَقَبَّلَ جَبْهَتَهُ ، ثُمَّ قَالَ : وَا نَبِيَّاهْ ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ ثُمَّ حَدَرَ فَاهُ وَقَبَّلَ جَبْهَتَهُ ، ثُمَّ قَالَ : وَا صَفِيَّاهْ ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَحَدَرَ فَاهُ وَقَبَّلَ جَبْهَتَهُ وَقَالَ : وَا خَلِيلاهْ مَاتَ رَسُولُ اللَّه ε " [1] ، وليس أدل على انكسار قلبه من ذلك .

وكذلك يقال فى استدلال الهجويرى على نفض الدنيا الخادعة ، بما فعله أبو بكر τ ، عندما قدم كل ما يملك صدقة للّه ورسوله ε ، فقد ساق الحـــديث يبرر به ضرورة التلازم بين الصفاء وتخلى المرء عما يملك ، وانتقالـــه إلى رداء الصوف ولبس المرقعات أسوة بأبى بكر الصديق τ ، ولا يخفـــى أن الحـــديث مسوق لتبرير نسبة التصوف إلى الصفاء ، بل وصل الأمر أن يبرروا به ما فعله أبو الحسين النورى وأبو بكر الشبلى وأمثالهما ، فالنورى من صفائه كما سبق أنه حمل إليه ثلاثمائة دينار ، ثمن عقار بيع له ، فصعد قنطرة وظل يرمى واحدا واحدا منها إلى الماء ، ويقول : حبيبى تريد أن تخدعنى منك بمثل هذا ؟ [2] .

والشبلى ربما يخلع ثيابه المثمنة ثم يحرقها بالنار [3] ، وهو الذى أوجب علـــى

الصوفية كما سبق ، أن تكون زكاة خمس من الإبل ، خمسا من الإبل ، بـــدلا من شاة كما هو الحكم ، ولما سئل السراج الطوسى عن إمامهم فى ذلك

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب الجنائز (1242) وأحمد 319/6 واللفظ له .
2. اللمع ص493 .   3. السابق ص483 .

قال : إمامهم أبو بكر الصديق τ ، حيث خرج من ماله كله ، فقال له النبى ε : ما خلفت لعيالك ؟ قال : اللَّه ورسوله ، فلم ينكر عليه ذلك [1] .

ومعلوم أن الاستدلال بفعل أبى بكر τعلى هذه الأمثلة ، قياس مع الفـــارق لاختلاف العلة فى الفعلين ، فأفعالهم لا يقبلها عقل صريح ، ولا يقرها نقـــل صحيح ، وفعل أبى بكر τ خدمة للأمة فى وقت يجب مثله ، فـــلا شـــك أن الضرورة قد تدعو الإنسان إلى التضحية بكل ما يملك فى بعض الأوقـــات والأزمات لا سيما المسلم ، وهذه علة فعل أبى بكر الصديق τ ، إضافة إلى أن الرسول ε هو الذى أمرهم بالصدقة ما استطاعوا ، لسد حاجـــة المســـلمين ونصرة الدين ، وأمر الرسول ε مطاع عند المؤمنين على قدر المستطاع ، فقد قال عمر بن الخطاب τ فى نص الحديث المذكور : " أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّـــه ε أَنْ نَتَصَدَّقَ فَوَافَقَ ذَلِكَ عِنْدِي مَالا ، فَقُلْتُ : الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًـــا قَالَ : فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي فَقَالَ ε : ما أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ ؟ قُلْتُ : مِثْلَهُ ، وَأَتَـــى أَبُو بَكْرٍ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ فَقَالَ : يَا أَبَا بَكْرٍ مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ ؟ قَالَ : أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّه وَرَسُولَهُ ، قُلْتُ : وَاللَّه لا أَسْبِقُهُ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا " [2] ، وهو ε مـــع هـــذا يسأل أبا بكر وعمر ما خلفت لأهلك ؟ ، حرصا منه ε على الاكتفاء الذاتى

للأسرة ، فليس من المعقول أو المنقول ، أن يخرج المرء كل ما عنده بغية الصفاء ، ثم يدور يسأل الناس أعطوه أو منعوه .

---

1. السابق ص493 .
2. حسن ، أخرجه الترمذى فى كتاب المناقب (3675) وقَالَ الألبانى : حَسَنٌ .

إن تبرير الهجويرى فى رده التصوف إلى صفاء أبى بكر الصديق τ ، فيه تحميل الأدلة ما لا يطاق ، وتوجيه لها فى غير موضعها ، حيث بدت للناظر وكأنها مسوقة إلى غير مأتاها ، لتتوافق مع الدعوة إلى الصفاء الصوفى ، وليس من شك أن السعى إلى الصفاء والتحرر من قيود المعصية ، هو دين اللَّه عز وجل وهو عام فى كل قول وفعل ، بل يمكن القول إنه شرط الإسلام لقبول العمل ، ولكن بضوابط العبودية الممثلة فى ركنيها الأساسيين :

[1] – الإخلاص الذى هو معنى الركن الأول من الشهادة : لا إله إلا اللَّه والذى بينه رسول اللَّه ε فى الحديث القدسى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ τ ، قَالَ اللَّه تَعَالَى :

" أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ ، مَنْ عَمِلَ عَمَلا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ " (1) ، وفى رواية أخرى : " فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ وَهُوَ لِلَّذِي أَشْرَكَ " (2) .

[2] – المتابعة لرسوله ε التى هى معنى الركن الثانى من الشهادة : محمد رسول اللَّه ، وقد بينه النبى ε فى حديث عَائِشَةَ رضى الله عنها حيث قال :

" مَنْ عَمِلَ عَمَلا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ " (3) ، وفى رواية أخرى : " مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ " (4) وثالثة : " مَنْ صَنَعَ أَمْرًا مِنْ غَيْرِ

1. أخرجه مسلم فى كتاب الزهد والرقاق (2985) 2289./4.
2. ابن ماجة فى كتاب الزهد (4202) وصححه الألبانى 1405./2.
3. البخارى فى الصلح (2697) 354/5 ومسلم فى الأقضية (1718) 1343/3 .
4. أخرجه ابن ماجة فى المقدمة (14) .

أَمْرِنَا فَهُوَ مَرْدُودٌ " (1) ، ومن ثم علمنا أن دعوة النبى ε للصدقة ، تكون على سبيل الاستحباب ، إذا أدى المسلم فرض الزكاة ، إلا فى حال يلزم فيها التضحية ، إما لجهاد ، أو بناء لازم من اللوازم الضرورية لقيام المجتمع الإسلامى ، فإذا تغير الحال ، وزادت الأموال ، وزال لازم التضحية ، فلا معنى للمداومة على نفض اليد أولا بأول ، على حد قول الهجويرى ، ولا معنى لخروج المسلم من كل ما يملك كلازم للصفاء ، إذ أن الصفاء صفاء القلب بالزهد فى الحياة ، وإدراك المسلم أنه فيها مبتلى من الله ، وأنه مطالب بتنفيد أمر الله فيما خوله واسترعاه ، وهذا متحقق فى كثير من أنبياء الله كإبراهيم وداود وسليمان عليهم السلام ، كما أن النبى ε نهى أن يفارق المسلم ماله كله فى الحياه ، وإذا مات أبقاه لورثته ، إلا الثلث فله أن يوصى به لمن شاء فمن عمل عملا على غير ذلك ، وإن حسنت نيتة ، ففعله لا أصل له ، وهو مخالف للسنة ، وصفاؤه مردود عليه ، فقد ثبت عنه ε ، أن سعد بن أبى وقاص τ ، قَالَ له : " يَا رَسُولَ اللَّه بَلَغَنِي مَا تَرَى مِنَ الْوَجَعِ ، وَأَنَا ذُو مَالٍ وَلا يَرِثُنِي إِلا ابْنَةٌ لِي وَاحِدَةٌ ، أَفَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثَيْ مَالِي ؟ ، قَالَ : لا ، قُلْتُ : أَفَأَتَصَدَّقُ بِشَطْرِهِ ؟ قَالَ : لا ، الثُّلُثُ ، وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ ، إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ

أَغْنِيَاءَ ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ ، وَلَسْتَ تُنْفِقُ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّه إِلا أُجِرْتَ بِهَا ، حَتَّى اللُّقْمَةُ تَجْعَلُهَا فِي فِي امْرَأَتِكَ " [2] .

1. أخرجه أحمد فى المسند (23929) .
2. أخرجه البخارى فى كتاب الوصايا (2742) 427/5 .

ولو كان خروجه τ من جميع المال فيه صلاح له ، لأمره النبى ε بذلك فهذا أمر النبى ε ، ليضبط مسألة الصفاء فى الفرع ، وكيف يتعامل المسلم مع المال ، والمقياس الذى ينفض به يده منه ، ومعلوم أن سعد τ من العشرة المبشرين بالجنة ، وامتثاله لأمر الرسول ε ، يعد أنموذجا للصفاء المطلوب وهو بذاته يشاكل صفاء أبى بكر τ ، لأنه ولى الخلافة بعد رسول اللَّه ε وكان بيت مال المسلمين بين يديه ، يقوم بعده وإحصائه والانشغال بتقسيمه على مستحقيه ، و لم يقلل ذلك من صفائه ، أو يؤثر فى كمال إيمانه ، ومعلوم أيضا أن أبا بكر τ من العشرة المبشرين بالجنة ، ومن ثم لا يكون الصفاء الذى يدعوا إليه الهجويرى وغيره ، مقصورا على أبى بكر τ وحده ، بل ذلك عام فى جميع الصحابة رضوان الله عليهم ، فدعوى تخصيص أبى بكر بأن يكون أسوة للصوفية فى صفائهم وتخليهم عن الدنيا تفتقر إلى الدليل الواضح .

ومن ثم حاول بعض الصوفية أن يبحث عن نسبة أخرى ، تجمع معنى الصدق فى أوصاف الظاهر والباطن ، لأن النسبة إلى الصوف نسبة إلى الظاهر والنسبة إلى الصفاء نسبة إلى الباطن ، فرأى بعضهم فقر أهل الصفة ، وصدق حالهم وانقطاعهم إلى الله ، فنسب التصوف إليهم ، كتبرير معقول ، يجمع

معانى الإيمان الظاهرة والباطنة ، فهل نسبة التصوف إلى أهل الصفة يعتبر أصلا مقبولا ؟!

. **هل نسبة التصوف إلى أهل الصفة يعتبر أصلا مقبولا ؟!**

من ناحية اللغة لا يصح ، فلو رد التصوف إلى أهل الصفة لقيل صُفِّى ، أما من ناحية التشبه بأفعال أهل الصفة ، والنظر والمقارنة بين طريقة الصوفية ومذهبهم وتجارهم بحال أهل الصفة ، فالأمر يتطلب الكشف عن حال أهل الصفة أولا ، من خلال استقصاء شامل الأصول القرآنية والنبوية .

فالصفة التى ينسب إليها أهل الصفة من الصحابة رضوان اللَّه عليهم ، كانت فى مؤخرة مسجد النبى ε ، فى شمال المسجد النبوى بالمدينة المنورة ، وقد ورد ذكرها فى حديث أنس بن مالك τ وفيه :

" .. ثُمَّ قَالَ ε : اذْهَبْ فَادْعُ لِي فُلانًا وَفُلانًا وَفُلانًا وَمَنْ لَقِيتَ ، وَسَمَّى رِجَالا ، قَالَ : فَدَعَوْتُ مَنْ سَمَّى وَمَنْ لَقِيتُ ، قَالَ جعد بن دينار راوى الحديث عن أنس : قُلْتُ لأَنَسٍ : عَدَدَ كَمْ كَانُوا ؟ قَالَ : زُهَاءَ ثَلاثِ مِائَةٍ وَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ε : يَا أَنَسُ هَاتِ التَّوْرَ ، قَالَ : فَدَخَلُوا حَتَّى امْتَلأَتِ الصُّفَّةُ وَالْحُجْرَةُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ε : لِيَتَحَلَّقْ عَشَرَةٌ عَشَرَةٌ ، وَلْيَأْكُلْ كُلُّ إِنْسَانٍ مِمَّا يَلِيهِ ، قَالَ : فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ، فَخَرَجَتْ طَائِفَةٌ ، وَدَخَلَتْ طَائِفَةٌ حَتَّى أَكَلُوا كُلُّهُمْ ، فَقَالَ لِي يَا أَنَسُ : ارْفَعْ فَرَفَعْتُ ، فَمَا أَدْرِي حِينَ وَضَعْتُ

كَانَ أَكْثَرَ ، أَمْ حِينَ رَفَعْتُ ؟ " [1] .

وكانت الصفة متسعا لمن يأوى إليها من المهاجرين الجدد ، المتتابعين على البيئة الجديدة فى دار الهجرة ، فهى تشبه دار الضيافة ، حيث يقيم النازل حتى

1. أخرجه مسلم فى كتاب النكاح (1428) 1056/2 .

يدبر أمره ويتأهل للاستقلال بحياته الشخصية أو الأسرية ، ولما انتشر الإسلام فى العهد المدنى ، كثر عدد المهاجرين ، وتوالى تزاحمهم على المدينة شيئا فشيئا سواء كانوا فقراء أو أغنياء متأهلين أو عزاب ، فكان من لم يتيسر له مكان يأوى إليه ، يأوى إلى تلك الصفة التى فى المسجد ، ولذلك لم يكن جميع أهل الصفة يجتمعون فى وقت واحد ، بل منهم من يتأهل أو ينتقل إلى مكان آخر يتيسر له ، ثم يجئ أناس بعد أناس فكانوا تارة يكثرون وتارة يقلون [1] .

فإذا طال مكث أحدهم ، فهو والوافدون عليه ضيوف على الإسلام والمسلمين ، يأكلون من الصدقة أو يلبسون ، يشاركون النبى ε فى أغلب الأحيان فى الهدايا التى تبعث إليه ، وقد ورد ذلك منصوصا عليه فى الأصول القرآنية والنبوية فمن ذلك :

1- ما ثبت عن أبى هريرة τ أنه قال : " وأهل الصفة أضياف الإسلام ، لا يأوون إلى أهل ولا مال ، ولا على أحد " [2] .

2- أنهم عاصروا فترة زمنية فى المدينة توالت الوفود فيها على رسول الله ε فازدحمت بأهلها ، وأثر العجز الاقتصادى فى المدينة على الجميع ، ومن البديهى أن أهل الصفة هم الأكثر من غيرهم معاناة فهم أضياف الإسلام ، لا

يأوون إلى أهل ولا مال ولا على أحد ، قال أبو هريرة τ وهو واحد منهم : " أالله الذي لا إله إلا هو ، إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع

---

1. مجموع فتاوى ابن تيمية 40/11 ، بتصرف .
2. جزء من حديث أخرجه الإمام لبخارى فى كتاب الرقاق (6452)286/11 .

وإن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع " [1] .

4- أنهم على الرغم من مرارة ما يعانون من شظف العيش إلا أنهم ، كانوا يتعففون السؤال ، فمن حديث أبى هريرة τ قال : " ولقد قعدت يوما على طريقهم الذي يخرجون منه ، فمر أبو بكر ، فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلا ليشبعني ، فمر ولم يفعل ثم مر بي عمر ، فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلا ليشبعني ، فمر فلم يفعل ، ثم مر بي أبو القاسم ε ، فتبسم حين رآني ، وعرف ما في نفسي وما في وجهي " [2] .

5- أن النبى كان يشركهم الطعام ، على الرغم من كثرتهم ، وعلى نحو ما ذكره أبو هريرة τ : " إذا أتته صدقة ، بعث بها إليهم ، ولم يتناول منها شيئا وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها " [3] .

6- أنهم سبب فى إكرام الله للنبي ε وبعض أصحابة ، بخوارق العادات وإظهار المعجزات والكرامات ، فى تكثير القليل من المشروبات والمطعومات فمن حديث أبى هريرة τ أيضا ، أن النبى ε أمره بدعوتهم على شراب قليل من اللبن ، ربما يكفى اثنين ، فقال له : " أبا هر ، قلت : لبيك يا رسول الله قال : الحق إلى أهل الصفة فادعهم لي ، فساءني ذلك ، فقلت : وما هذا اللبن في

أهل الصفة ؟ كنت أحق أنا أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها ، فـــإذا

---

1. جزء من الحديث السابق 1/1ص286 .
2. جزء من الحديث السابق .
3. جزء من الحديث السابق .

جاء أمرني ، فكنت أنا أعطيهم ، وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن ، و لم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله ε بد ، فأتيتهم فدعوتهم ، فأقبلوا ، فاســتأذنوا فأذن لهم وأخذوا مجالسهم من البيت ، قال : يا أبا هر ، قلت : لبيك يا رسول الله ، قال : خذ فأعطهم ، قال : فأخذت القدح ، فجعلت أعطيه الرجـــل فيشرب حتى يروى ، ثم يرد علي القدح ، فأعطيه الرجل ، فيشرب حتى يروى ثم يرد علي القدح ، فيشرب حتى يروى ، ثم يرد علي القدح ، حتى انتـــهيت إلى النبي ε ، وقد روي القوم كلهم ، فأخذ القدح ، فوضعه على يده ، فنظر إلي فتبسم ، فقال : أبا هر ، قلت : لبيك يا رسول الله ، قال : بقيت أنا وأنت قلت : صدقت يا رسول الله ، قال : اقعد فاشرب فقعدت فشربت ، فقـــال : اشرب فشربت ، فما زال يقول اشرب حتى قلت : لا والذي بعثك بالحق ما أجد له مسلكا ، قال : فأرني ، فأعطيته القدح ، فحمد الله وسمى وشرب الفضلة " [1] .

ومن حديث عبد الرحمن بن أبي بكر τ قال : " إن أصحاب الصفة كانوا أناسا فقراء ، وإن النبي ε قال : من كان عنده طعام اثنين ، فليذهب بثالـــث وإن أربع فخامس أو سادس ، وأن أبا بكر τ جاء بثلاثة ، وإنه تعشى عنـــد

النبي ε ، ثم لبث حيث صُلِّيَتِ العشاء ، فجاء بعد ما مضى من الليل ما شـــاء الله ، قالت له امرأته : وما حبسك عن أضيافك قال : أوما عشيتيهم ، قالت : أبوا حتى تجيء ، قد عرضوا فأبوا ، قال عبد الرحمن : فذهبت أنا فاختبـــأت

1. جزء من الحديث السابق .

فقال : يا غنثر فجدع وسب ، وقال : كلوا لا هنيئا ، فقال : والله لا أطعمـــه أبدا ، وايم الله ما كنا نأخذ من لقمة إلا ربا من أسفلها أكثر منها ، حـــتى شبعوا ، وصارت أكثر مما كانت قبل ذلك ، فنظر إليها أبو بكر ، فإذا هـــي كما هي أو أكثر منها ، فقال لامرأته : يا أخت بني فراس ما هذا ؟ قالت : لا وقرة عيني لهي الآن أكثر منها قبل ذلك بثلاث مرات ، فأكل منها أبو بكر τ وقال : " إنما كان ذلك من الشيطان يعني يمينه ، ثم أكل منها لقمة ، ثم حملها إلى النبي ε ، فأصبحت عنده ، وكان بيننا وبين قوم عقد ، فمضى الأجـــل ففرقنا اثنا عشر رجلا ، مع كل رجل منهم أناس الله أعلم كم مع كل رجـــل فأكلوا منها أجمعون " [1] .

7- أن الفقر الذى لزم أهل الصفة ، كان فقرا اضطراريا من أمور القدر على سبيل الابتلاء ، لمن هاجر إلى رسول الله ε ، وآثره على أهله وعشيرته ، و لم يكن باختيارهم أو رغبتهم فى أن يكونوا على تلك الحالة ، فهـــم كـــانوا يكتسبون عند إمكان الاكتساب ، ولذلك كان ε يراعى ضعف قوتهم وقلـــة حالهتم ، فيجيز من يقف أثناء صلاة الجماعة ، لينادى على النساء وهن خلف الرجال فى الصفوف ، ألا يرفعن رؤوسهن حتى يستوى الرجال جلوسا ، فربما

تنكشف عورة أحدهم لقصر ملبسه ، فمن حديث أبي هريرة τ قال : " لَقَدْ رَأَيْتُ سَبْعِينَ مِنْ أَصْحَابِ الصُّفَّةِ ، مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ عَلَيْهِ رِدَاءٌ ، إِمَّا إِزَارٌ ، وَإِمَّا كِساءٌ ، قَدْ رَبَطوا فِي أَعْنَاقِهِمْ ، فَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ نِصْفَ السَّاقَيْنِ ، وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ

1. أخرجه البخارى فى كتاب مواقيت الصلاة (602) 90/2 .

الْكَعْبَيْنِ فَيَجْمَعُهُ بِيَدِهِ كَرَاهِيَةَ أَنْ ترَى عَوْرَتُهُ " [1] .

وقال سهل بن سعد الساعدى τ فى وصفه أهل الصفة : " كان رجال يصلون مع النبي ε عاقدي أزرهم على أعناقهم كهيئة الصبيان ، ويقال : للنساء لا ترفعن رءوسكن ، حتى يستوي الرجال جلوسا " [2] .

هذا وصف أهل الصفة كما ورد فى صحيح السنة ، قوم ألجأهم الإيمان بالله ورسوله إلى أن يتركوا رغد العيش فى أوطانهم ، ويهاجروا إلى المدينة ويصبروا على الفقر فيها ، بغية مرافقة النبى فى الدنيا والآخرة ، ولم تكن لهم رغبة فى أن يكونوا عالة على أحد ، أو يتواكلوا فيتفرغوا للعبادة تاركين للكسب والعمل مع تيسره ، وهذه الصورة لا تتفق مع وصفهم عند مؤرخى الصوفية ، فقد ذكر الهجويرى أن أهل الصفة ، قوم صرفوا وجوههم إلى ربهم ، متعبدين ومهتمين بأمر آخرتهم ، عكفوا على العبادة ورياضة النفس ، والتجرد عن أعراض الدنيا ، فانقطعوا فى المسجد يأكلون من مال المسلمين ، ويكرمون من أجل صلاحهم وتقواهم [3] .

بل إنه حكى الإجماع على ذلك ، فقال فى باب الكشف عن أهل الصفة : (اعلم أن المسلمين جميعا ، قد اتفقوا على أن عددا من الصحابة ، لجأوا إلى

1. أخرجه البخارى فىكتاب الصلاة (442) 1/638 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب الصلاة (362) 1/563 ، ومسلم (441) 1/326 .
3. كشف المحجوب ص101 ، وانظر التصوف عند العرب لجبور عبد النور ، طبعة بيروت سنة 1938م ، ص75 .

مسجد الرسول ، واشتغلوا بالعبادة تاركين الدنيا ، زاهدين فى البحث عن وسائل العيش) [1] ، واحتج لهم بأصل قرآنى ، يوحى باللوم على النبى ε لإنكاره عليهم الانقطاع للعبادة ، فقال : " ولقد عاتب اللَّه رسوله من أجلهم حين قال فى سورة الأنعام : { وَلا تَطرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ } [الأنعام/52]) [2] .

ويقول غيره τ : " وهم الذين نزلت فيهم الآية الثامنة والعشرون من سورة الكهف : { وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا } [الكهف/28] " [3] .

وهذا الكلام لا يطابق حقيقة الأصول القرآنية والنبوية ، ولا يشهد للصوفية فى ردهم التصوف لأهل الصفة ، وبرهان ذلك هو أن آيتى الأنعام والكهف نزلتا بمكة ، فالسورتان مكيتان ، ومعلوم مما أورده الهجويرى وغيره أن أهل الصفة لم يظهروا إلا فى المدينة المنورة ، بعد وجود الصفة ، وبناء المسجد النبوى ، فكيف عاتب اللَّه نبيه فى مكة على قوم لم يظهروا إلا فى المدينة ؟

أما الأصل الذى يمكن أن يرد إليه وصف أهل الصفة من القرآن ، هو قولـــه

---

1. السابق ص101 .
2. السابق ص.101
3. مدخل إلى التصوف الإسلامى للدكتور أبو الوفا التفتازانى ، ص54 .

تعالى : { لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّه لا يَسْتَطِيعُونَ ضَـــرْبًا فِـــي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّه بِهِ عَلِيمٌ } [آل عمران/273] ، قال عبد اللَّه بـــن عبـــاس τ وشاركه مجاهد ، ومحمد بن كعب القرطبى : " هم أصحاب الصفة الفقراء " [1] .

والآية واضحة الدلالة فى كونهم يعجزون عن الكســـب ، لا يســـتطيعون ضربا فى الأرض ، ومعلوم أن العجز إما لعلة فيهم ، من مرض أو غـــيره أو لانعدام أسباب العمل التى يتكسبون منها ، بسبب ازدحام المدينة بالمهـــاجرين على أهلها ، وعجز الموارد فى الدولة الإسلامية وقتها ، وقد وصفهم اللَّـــه بالتعفف وعدم السؤال البتة ، لا سؤال إلحاح ، ولا غير إلحاح ، كما ذهـــب لذلك جمهور المفسرين [2] .

وقد سبق من حديث أبى هريرة τ ، فى تعففه عن السؤال مع شدة الجوع الذى كابده ، والحجر الذى ربطه على بطنه ، وإظهار نفسه لأبى بكر وعمـــر بمظهر السائل عن الفقه فى الدين ، وكذلك من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر τ عندما أبى ضيوف أبى بكر من أهل الصفة أن يأكلوا إلا بحضور صـــاحب الدار من شدة تعففهم ، كل ذلك يتفق مع ما ورد فى آية البقرة ، ويشهد لها

كما أن أهل الصفة ، لم يمكثوا على حالهم بعد وجود الخير ، وانفتاح أبوابه فأغلبهم جاهد وقاتل ، وتولى الإمرة ، وتفاعل مع الحياة على أنها وسيلته إلى الآخرة وعلى النحو المرضى للّه عز وجل ، ولو كان فى مكثهم على حالهم

1. فتح القدير 292/1 ، 293 .   2. السابق 293/1 .

خير ما بدلوه ، وللزموا المسجد النبوى لا يفارقونه إلا بالموت .

وكما استدل السراج الطوسى بتعسف ، لنسبة التصوف إلى الصوف على أنه ملبس الأنبياء ودأب الأولياء ، ليظهر التوافق بين الصوفية وسلوك الأنبياء فى التزام الصوف دون غيره ، سلك الهجويرى مسلكه ، فروى فى أهل الصفة حديثا لا أصل له ، عن ابن عباس τ ، فيه دعوة إلى تفضيل البقاء على حال أهل الصفة ، وألا يرضى الصوفى عنه بديلا ، لأن ذلك أصل التصوف فقال :

" روى عن ابن عباس τ ، أن النبى ε وقف على أهل الصفة ، فرأى فقرهم وجهدهم ، وطيب قلوبهم ، فقال : أبشروا يا أصحاب الصفة ، فمن بقى من أمتى على النعت الذى أنتم عليه ، راضيا بما هو فيه ، فإنه من رفقائى فى الجنة " (1) .

فقول الهجويرى : فمن بقى من أمتى على النعت الذى أنتم عليه ، راضيا بما هو فيه ، إنما يعبر عن الرغبة فى إيجاد أصل مقبول للتصوف برده إلى أهل الصفة ، وقد سبق فى وصف أبى هريرة τ لأهل الصفة ، أنهم إنما كانوا أضياف الإسلام ، والضيف له إكرام لا يتعدى وقتا معلوما ، فإن تخطاه أصبح عالة على غيره ، وعبئا ثقيلا على المجتمع ، وكيف يرضى رسول الله أن يكون

أهل الصفة ، عالة على غيرهم ، ويقرهم على ذلك ، وهـــو القائـــل : " لأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ ، ثُمَّ يَغْدُوَ إِلَى الْجَبَلِ ، فَيَحْتَطِبَ فَيَبِيعَ ، فَيَأْكُلَ وَيَتَصَدَّقَ

1. كشف المحجوب ص101 ، وقد بذلت جهدا كبيرا فى تتبع هذا الحديث فى كتـــب السنة فلم أجده سواء فى الأحاديث المتصلة أو المنقطعة عن ابن عباس أو غيره .

خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ " [1] .

وقد ورد فى الحض على الكسب وتحريم المسألة لغير حاجة ، أحاديث كثيرة يضيق الكلام عن ذكرها ، تدل فى جملتها على منافاة هذا الحديث ومعارضته ومن ثم فإن أهل الصفة لو وجدوا من أسباب الحياة ما يغنيهم كسائر الصحابة ما كانوا أهل الصفة ، فهم لم يخيروا فاختاروا ، ولكـــن اضـــطروا فســـلموا وصاروا مؤمنين بالقدر ، وعلى ذلك فإن قياس حال الصوفية على حال أهـــل الصفة قياس مع الفارق ، ولذا لجأ بعضهم إلى نسبة أخرى فنسب التصوف إلى الصف الأول .

. رد التصوف إلى الصف الأول ومناقشته :

يقول أبو بكر الكلاباذى : (وقال قوم إنما سموا صوفية ، لأنهم فى الصف الأول بين يدى اللَّه عز وجل ، بارتفاع هممهم إليه ، وإقبالهم عليه ، ووقوفهم بسرائرهم بين يديه) [2] .

من جهة اللغة لا يصح نسبة التصوف إلى الصف الأول ، لأنه لو صح لقيل : صَفِّى كما لا يصح من جهة الوصف ، فالصوفية ليس كما ذكر الكلابـــاذى أنهم بين يدى اللَّه عز وجل فى الصف الأول هممهم مرتفعة إليـــه ، وإقبـــالهم

متزايد عليه واقفون بسرائرهم بين يديه ، بل الواقع يخالف ذلك ، وأدلة البحث تفنده ، فالسراج الطوسى صاحب أقدم المراجع الصوفية ، وأكبرها وأوثقها

1. أخرجه البخارى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ فى كتاب الزكاة (1386) 295/3.
2. التعرف ص 29 .

وأغزرها مادة ، وأنقاها جوهرا ولفظا ، ومن مادته الخصبة اقتبس كافة من أرخ للتصوف [1] ، نجد أنه يصرح بلا لبس أو غموض ، أن الصوفية ليس من آدابهم المحافظة على الصف الأول ، كما هو مذكور عند الكلاباذى ، فيقول السراج الطوسى فى وصف آدابهم فى الصلاة :

(ومن آدابهم أيضا أنهم يكرهون الإمامة ، والصلاة فى الصف الأول ، بمكة وغيرها ويكرهون التطويل ، أما الإمامة فلو أن أحدهم يحفظ القرآن ، فإنهم يختارون الصلاة خلف من يحسن أن يقرأ الحمد وسورة أخرى ، وأما ترك الصلاة فى الصف الأول ، فإنهم يريدون بذلك ألا يزاحموا الناس ويضيقوا عليهم ، لأن الناس يزدحمون ويطلبون الصف الأول) [2] .

والعلة فى ذلك – والتى لم يصرح بها – أن الناس إنما يزدحمون على الصف الأول ، بدافع الرغبة فى تحصيل الأجر الذى أعده اللَّه للمصلين ، عملا بقوله ع: " لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الأَوَّلِ ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلا أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لاسْتَهَمُوا ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ لاسْتَبَقُوا إِلَيْهِ وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْعَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا " [3] وقد تقدم أن أغلب الصوفية فى عبادتهم أحرار من التجارة وانتظار العوض والبديل ، وقد سبق قول أبى يزيد

البسطامى (ت:261 هـ) : (الجنة لا خطر لها عند أهل المحبة وأهل المحبة محجوبون

1. انظر مقدمة اللمع للدكتور عبد الحليم محمود ص10 .
2. اللمع ص 208 .
3. أخرجه البخارى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ فى كتاب الأذان (580) 68/2.

بمحبتهم) [1] ، وهذا الكلام شاع بين الصوفية قبل أبى نصر السراج الطوسى (ت:378هـ) بقرنين تقريبا ، عندما اشتهر بينهم قول رابعة العدوية ، من نساء الصوفية (ت:185هـ) : (ما عبدتك خوفا من نارك ، ولا طمعا فى جنتك ، ولكن حبا لذاتك) [2] .

وقد ثبت فى السنة ، أن رسول اللَّه ε بين الغايه من محصول أفعاله ، وأنها تدور حول طلب الجنة ، والنجاة من عذاب النار ، دل على ذلك ما ذكره مُعَاذ بن رِفَاعَة الأَنْصَارِي τ ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ ، يُقَالُ لَهُ : سُلَيْمٌ أَتَى رَسُولَ اللَّه ε ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّه ، إِنَّ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ يَأْتِينَا بَعْدَمَا نَنَامُ وَنَكُونُ فِي أَعْمَالِنَا بِالنَّهَارِ ، فَيُنَادِي بِالصَّلاةِ ، فَنَخْرُجُ إِلَيْهِ فَيُطَوِّلُ عَلَيْنَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ε : يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ ، لا تَكُنْ فَتَّانًا ، إِمَّا أَنْ تُصَلِّيَ مَعِي ، وَإِمَّا أَنْ تُخَفِّفَ عَلَى قَوْمِكَ ، ثُمَّ قَالَ : يَا سُلَيْمُ ، مَاذَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ ؟ قَالَ : إِنِّي أَسْأَلُ اللَّه الْجَنَّةَ وَأَعُوذُ بِهِ مِنَ النَّارِ ، وَاللَّه مَا أُحْسِنُ دَنْدَنَتَكَ ، وَلا دَنْدَنَةَ مُعَاذٍ فَقَالَ رَسُولُ اللَّه : ε وَهَلْ تَصِيرُ دَنْدَنَتِي وَدَنْدَنَةُ مُعَاذٍ ، إِلا أَنْ نَسْأَلَ اللَّه الْجَنَّةَ وَنَعُوذَ بِهِ مِنَ النَّارِ " [3] .

وإذا كان هذا حال الصوفية أنهم لا يطمعون فى ثواب الصف الأول ، فكيف

1. طبقات الصوفية ص489 ، والتعرف لمذهب أهل التصوف ص161، 184 .
2. صفة الصفوة ، 2/ 249 .
3. أخرجه ابن ماجه فى كتاب الإقامة (910) ، وقال الشيخ الألبانى : صحيح 295/1 وأحمد فى المسند (20176) واللفظ له .

يقال : إنهم سموا صوفية ، لأنهم فى الصف الأول بين يدى اللَّه عز وجل ، إن هذه النسبة يمكن أن تصح إذا بلغ من حرص الصوفى مثلا ، أن يهادى به بين الرجلين حتى يقام فى الصف ، كما هو شأن الصحابة ψ ، أوكما ذكر عَبْدِ اللَّه بن مسعود τ : " وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يُهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ " [1] ، وقد كان رسول اللَّه ε يسأل عن المتخلفين عن الصلاة فى جماعة ، وكيف تركوا الصف الأول دون شهوده ، فقال أُبَي بن كَعْبٍ τ :" صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّه ε يَوْمًا الصُّبْحَ ، فَقَالَ : أَشَاهِدٌ فُلانٌ ؟ قَالُوا : لا ، قَالَ : أَشَاهِدٌ فُلانٌ ؟ قَالُوا : لا ، قَالَ : إِنَّ هَاتَيْنِ الصَّلاتَيْنِ أَثْقَلُ الصَّلَوَاتِ عَلَى الْمُنَافِقِينَ ، وَلَوْ تَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لأَتَيْتُمُوهُمَا وَلَوْ حَبْوًا عَلَى الرُّكَبِ ، وَإِنَّ الصَّفَّ الأَوَّلَ عَلَى مِثْلِ صَفِّ الْمَلائِكَةِ ، وَلَوْ عَلِمْتُمْ مَا فَضِيلَتُهُ لابْتَدَرْتُمُوهُ " [2] .

فكيف يتفق هذا مع قول السراج الطوسى : (ومن آدابهم ، أنهم يكرهون الصلاة فى الصف الأول بمكة وغيرها) ؟ ، أو يصح قول أبى بكر الكلاباذى فى تبرير بعضهم لنسبة التصوف : (إنما سموا صوفية لأنهم فى الصف الأول بين يدى اللّه عز وجل) .

فالمسألة فى رد التصوف إلى الصوف أو الصفاء والصفوة أو أهل الصــفة أو الصف الأول ، تفتقر إلى وجه صريح ، وتبرير صحيح يعتمد على الأصول

1. أخرجه مسلم فى كتاب المساجد ومواضع الصلاة (654) 453/1 .
2. أخرجه النسائى فى كتاب الإمامة (843) وحسنه الألبانى 104/2 .

القرآنية والنبوية ، ومن ثم لجأ كثير من المحققين إلى جعل النسبة عَلَما بــلا اشتقاق معروف ، واعتبروه اسما بلا وصف أو علما على ذات التصوف ، دون البحث عن مضمون الإسم أو محتواه ، وهؤلاء عندى أقــرب إلى الصــواب فالتصوف لا أصل له فى الأصول القرآنية والنبوية ، يمكن أن يدعو إليه أو يرد عليه ، يقول القشيرى (ت:465هــ) : (ثم هذه التسمية غلبت على هذه الطائفة ، فيقال : رجل صوفى وللجماعة صوفية ، ومن يتوصل إلى ذلك يقال له متصوف ، وللجماعة متصوفة) [1] ، ثم علل ذلك بأنه لا يشهد للتســمية من حيث العربية ، قياس ولا اشتقاق فالأظهر أنه كاللقب ، فالذين قالوا : إنه من الصوف ولبسه فذلك وجه ، ولكنهم لا يختصون بلبس الصوف ، والذين قالوا : يرد إلى الصفة التى فى مسجد رسول اللَّه ε ، فالنسبة إلى الصفة لا تجئ على نحو الصوفى ، ومن قال : إنه من الصف الأول بعيد أيضا فى مقتضى اللغة [2] .

وقد أفرد السراج الطوسى بابا سماه : (الرد على من زعم أن الصوفية قوم جهلة ، وليس لعلم التصوف دلالة من الكتاب والأثر) [3] .

ولكنه لم يورد دليلا واحدا فى مستوى أدلة أصحاب الحديث والفقه وعلوم

القرآن والتوحيد ، فى استدلالهم على نسبة علمهم بالأصول القرآنية أو النبوية

---

1. الرسالة القشيرية 550/2 .
2. السابق 550/2 ، 551 .
3. اللمع ص34 .

بل ما ذكره لا يميز الصوفية بشئ ينفردون به عن أصحاب الطوائف الأخرى صحيح ، كما ذكر السراج الطوسى ، أنه لا خلاف بين أئمة المسلمين أن اللَّه تبارك وتعالى ، ذكر فى كتابه الصادقين والصادقات ، والقانتين والقانتات والخاشعين والخاشعات ، والموقنين والمخلصين والخائفين ، والراجين والوجلين والعابدين والصابرين والراضين ، والمتوكلين والمخبتين ، والأولياء والمتقين والمصطفين والأبرار والمقربين (1) .

ولكن ذلك عام فى المسلمين أصحاب الدرجات العليا من التقوى ، والقول بأن الصوفية ينفردون بهذه الأوصاف دون غيرهم ، تنقيص لشأن الآخرين فهذه الأوصاف أولى بها الخلص من المحدثين والفقهاء ، وأهل التوحيد والتفسير وعلوم اللغة والقرآن ، وغير ذلك من أصناف المسلمين القائمين على خدمة دينهم الداعين إلى اللَّه عز وجل ، أو على الأقل يشاركون الصوفية فى هذه الصفات والخلاق الكريمة .

1. السابق ص34 .

****

1ـ الأبـــــــــد

****

- **الأبد** : عبارة عن مدة الزمان الممتد الذى لا يتجزأ كما يتجزأ الزمان وذلك أنه يقال : زمان كذا ، ولا يقال : أبد كذا [1] ، قال تعالى : { وَلا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ } [التوبة/84] ، وقال سبحانه : { وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْفَاسِقُونَ } [النـــور/4] ، وعن عبد اللَّه بن عمرو رضي اللَّه عنهما ، أن النبي ε قال فى صيام الأبد : " لا صام من صـــام الأبد مرتين " [2] ، وقال ابن عباس رضي اللَّه عنهما ، سمعـــت رســـول اللّـــه εيقول : " من صور صورة ، فإن اللّه معذبه حتى ينفخ فيها الـــروح ، ولـــيس بنافخ فيها أبدا " [3] .

وجميع ما ورد فى القرآن والسنة من لفظ الأبد ، فإنه يعنى الزمان الممتد ، أو الدائم الذى لا ينقطع ، سواء فى الدنيا كما سبق ، أو فى الآخرة ، كقوله تعالى : { خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا } [البينة/8] .

---

1. انظر فى بيان المعانى اللغوية ، المفردات فى غريب القرآن ، للراغب الأصـــفهانى ص8 ولسان العرب لابن منظور 68/3 ، والقاموس المحيط لمحمد بن يعقوب الفيروز أبادى 337/1 ، والتوقيف على مهمات التعاريف لعبد الرؤوف المناوى 91./1
2. أخرجه البخارى فى كتاب الصوم 260/4 (1977) .
3. أخرجه البخارى فى كتاب البيوع 85/4 (2225) .

الأبد فى الاصطلاح الصوفى :

الأبد فى اصطلاح الصوفية ، هو ما لا نهاية له ، أو ما ليس له آخر [1] ، وهو اصطلاح قرآنى فى لفظه ومعناه ، ومن ألفظ الصوفية الدالة على ذلك ، ما روى عن أبى بكر الواسطى (ت:بعد320هـ) أنه سئل عن الأبد فقال : (إشارة إلى ترك انقطاع فى العدد ، ومحو الأوقات فى السرمد) [2] ، والأبدية ثابتة عندهم على معنيين :

1- نعت من نعوت اللَّه تعالى : كما ذكر السراج الطوسى (ت:387هـ) والفرق بين الأزلية والأبدية ، أن الأزلية لا بداية لها ولا أولية ، والأبدية لا نهاية لها ولا آخرية [3] ، وعن عمرو بن عثمان المكى (ت:291هـ) ، قال : (سبحان الصمد ، القديم فى أزل ، لم يزل فى سرمد الأبد) [4] .

2- أبدية أهل الخلدين : قال عبد اللَّه بن خفيف (ت:371هـ) : (ويعتقدون أن نعيم أهل الجنة ، باق مع بقاء اللَّه تعالى ، وعذاب أهل الكفر باق ، مع بقاء اللَّه تعالى) [5] ، فإذا كانت الأبدية من نعوت اللَّه التى ينفرد بها ، فإن ذلك

---

1. انظر كشف المحجوب ص468 وانظر كشاف اصطلاحات الفنون 152/3 .
2. اللمع ص441 .
3. السابق ص441 .
4. السابق ص441 .
5. سيرة الشيخ الكبير عبد اللَّه بن خفيف ص356 .

لا يمنع اتصاف أهل الخلدين بالأبدية ، لأن أبديتهم باقية بإبقاء اللَّه لها فهى متعلقة بمشيئته ، أما أبديته سبحانه فهى باقية ببقاء اللَّه ، ويروى عن أبى القاسم النصرباذى (ت:367هـ) أنه قال :

(الجنة باقية بإبقائه ، وذكره ورحمته ومحبته لك باق ببقائه ، فشتان بين ما هو باق ببقائه ، وبين ما هو باق بإبقائه) [1] ، ويعقب القشيرى (ت:465هـ) على قوله ، بأن هذا المعتقد ، هو غاية التحقيق عند الصوفية ، فإن أهل الحق قالوا : صفات ذات القديم سبحانه وتعالى باقيات ببقائه تعالى [2] .

---

1. الرسالة القشيرية لعبد الكريم القشيرى 42/1 ، وجدير بالذكر ، أن مفهوم الأبدية أثار جدلا كبيرا بين فرق الإسلام وطائفة المعتزلة على وجه الخصوص ، حتى فهمها البعض بطول الأمد ، وليس البقاء اللانهائى ، كما هو اعتقاد الصوفية فى هذه الجزئية حيت يتفقون مع السلف الصالح ، وكلام النصرباذى ، من أجود ما قيل فى تقديم الحل المقنع ، والنابع من الأصول القرآنية لهذه المسألة ، إذ أنه فرق بوضوح بين بقاء صفات الذات وبقاء ما وجد بصفات الفعل ، كالجنة والنار ، ومن ثم ينفرد الله بوصف الأبدية ودوام البقاء ، انظر مقالات الإسلاميين 53/2 ، وما ذكره الشيخ عبد الله بن خفيف فى سيرته عن اعتقاد الصوفية فى هذه المسألة ص356 ، وانظر أيضا ، الاعتبار ببقاء الجنة والنار فى الرد على ابن تيمية وابن القيم القائلين بفناء النار تحقيق الدكتور طه الدسوقى حبيشى ، ص32 وما بعدها وقارن .
2. السابق 42/1 .

****

2ـ الاتصـــــــال

****

- **الاتصال** : ارتباط الأشياء بعضها ببعض ، كاتحاد طرفى الدائرة ، ويضـــاده الانفصال ، ويستعمل الوصل على نوعين [1] :

(1- الاتصال فى الأعيان ، كقوله تعالى : { فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ } [هود/70] ، ونحو حديث أسماء رضى اللَّه عنها ، قالت : " ســألت امرأة النبي ε فقالت : يا رسول اللَّه ، إن ابنتي أصابتها الحصبة فامرق شــعرها وإني زوجتها ، أفأصل فيه ؟ فقال : لعن اللَّه الواصلة والموصولة " [2] .

(2- الاتصال فى المعانى ، وهو الشاهد لمصطلح الاتصال ، كقوله عز وجل : { وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمْ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ } [القصـص/51] أى أكثرنا لهم القول موصولا بعضه ببعض ، وقالت خديجة رضي اللَّه عنها لرسول اللَّه ε : " واللَّــه ما يخزيك اللَّه أبدا ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكســب المعــدوم وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق " [3] ، وعن عبد اللَّه بن عمر رضي اللَّه عنه ، أن النبي ε واصل ، فواصل الناس فشق عليهم ، فنهاهم ، قــالوا :

---

1. المفردات ص525 ، لسان العرب مادة (وصل) 726/11 بتصرف .
2. أخرجه البخارى فى كتاب اللباس 391/10 (5941) .

3. أخرجه البخارى فى كتاب بدء الوحى 37/1 (4) .

إنك تواصل ؟ قال : " لست كهيئتكم إني أظل أطعم وأسقى " [1] .

والوصيلة أطلقت على ما تعارف عليه أهل الجاهلية ، أن أحدهم كان إذا ولدت له شاته ذكرا أو أنثى ، قالوا : وصلت أخاها ، فلا يذبحون أخاها من أجلها ، وهو ما عناه الحق فى قوله تعالى : { مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلا سَائِبَةٍ وَلا وَصِيلَةٍ وَلا حَامٍ } [المائدة/103] [2] ، وقال أبو هريرة τ : " الوصيلة الناقة البكر ، تبكر في أول نتاج الإبل ، ثم تثني بعد بأنثى ، وكانوا يسيبونها لطواغيتهم ، إن وصلت إحداهما بالأخرى ليس بينهما ذكر " [3] .

- **الاتصال فى الاصطلاح الصوفى :**

ومصطلح الاتصال فى عرف الصوفية أو الواصل ، موضوع على معنى تجيزه الأصول القرآنية والنبوية ، وإن لم يرد اللفظ فى القرآن والسنة على المعنى الصوفى ، فالواصل عندهم ، هو من كان على صلة بربه ، فلا يرى بسره معنى التعظيم غيره ، ولا يسمع الأمر إلا منه [4] ، وهذا معنى شرعى محمود ، ثابت بمجمل الأصول الداعية إلى صلة العبد بربه .

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب الصوم (1922) 211/4 .
2. فتح البارى شرح صحيح البخارى 134/8 .
3. البخارى فى كتاب تفسير القرآن (4623) 132/8.

4. التعرف ص108 ، وقارن مع ما ذكره عبد الله الأنصارى الهروى فى كتابه منازل السائرين ، وتقسيمه الاتصال إلى ثلاث درجات ، انظر منازل السائرين ، طبعة دار الكتب العلمية سنة 1988م ص122 وما بعدها .

وروى عن يحى بن معاذ الرازى (ت:258هـ) أنه قال عن الواصل : (من لم يعم عينه عن النظر إلى ما تحت العرش ، لم يصل إلى ما فوق العرش) [1] .

يعنى لم يلحق ما فاته من مراقبة الذى خلق العرش ، وكلامه يدل على الدعوة إلى التعلق بالله ، وترك ما سواه ومثله وعن أبى يزيد البسطامى (ت:261هـ) قال : (الواصلون فى ثلاثة أحرف ، همهم فى اللَّه وشغلهم فى اللَّه ، ورجوعهم إلى اللَّه) [2] ، وينسب إلى أبى بكر الشبلى (ت:334هـ) أنه قال فى إظهار معنى التواضع لمن جاهد فى الوصول إلى الإيمان بربه ، من خلال المراقبة والصدق مع الله : (من زعم أنه واصل ، فليس له حاصل ، وسبب الحرمان من الوصول والاتصال، انعدام المراقبة) [3] ، وروى أيضا عن عبد الله بن خفيف الشيرازى (ت:371هـ) أنه قال : (الواصل ، من اتصل بمحبوبه دون كل شئ سواه وغاب عن كل شئ سواه) [4] ، ويذكر الكلاباذى (ت:380هـ) فى معنى الاتصال عند الصوفية ، أن ينفصل العبد بسره عما سوى اللَّه [5] .

ويرون كما سبق أن الاتصال يوجب الافتقار فيه ، فلا يظن العبد أنه قد وصل وإلا فليتقين أنه انفصل [6] .

والاتصال بالمعنى الصوفي ، وإن كان قائما فى بدايته على أصول القرآن والسنة التى دعت إلى دوام مراقبة اللَّه عز وجل ، ومتانة الصلة بين العبد وربه ، وأداء

1. اللمع للسراج الطوسى ص433 . 2. عوارف المعارف للسهروردى ص 516 .
3. اللمع ص433 . 4. طبقات الصوفية للسلمى ص466 .
5. التعرف ص108 . 6. اللمع ص433 .

العبودية لله على وجه الكمال ، إلا أنه أخذ بمعنى آخر ، فعند الحلاج ، الاتصال يؤدى إلى مفارقة الشريعه ، واعتقادها هوسا كما قال : (اعلم أن العبد قائم على بساط الشريعة ما لم يصل إلى التوحيد ، فإذا وصل إليه سقطت من عينه وصارت عنده هوسا) [1] ، والاتصال عند ابن عربى وتلاميذ مدرسته أخذ على معنى ملاحظة العبد عينه ، متصلا بالوجود الأحدى ، بقطع النظر عن تقيد وجوده بعينه وإسقاط إضافته إليه ، فيرى اتصال مدد الوجود ونفس الرحمن إليه على الدوام بلا انقطاع ، حتى يبقى موجودا به [2] ، ويرى عبد الكريم الجيلى أن الاتصال فى دوام الوصلة بلا انقطاع ، ولا فتور حيث تتواتر تجليات الحق تعالى على العبد فى هذا المشهد ، من غير رجوع إلى النفس فالوصال هو لحوق العبد بالله تعالى [3] .

---

1. أخبار الحلاج نشرة لويس ماسينيون وبول كراوس ص55 .
2. معجم اصطلاحات الصوفية للكاشانى ص50 ، وانظر لطائف الأعلام فى الكشف عن مصطلح اتصال الوجود ، واتصال الانفصال 165/1، وقارن أيضا بين مصطلح اتصال الشهود فى اللطائف الموضع السابق ، وما ذكره عبد الكريم الجيلى فى كتابه المناظر الإلهية عن مصطلح التمكين ص119 ، وانظر جامع الأصول للكمشخانوى

أحمد ضياء الدين طبعة دار الكتب العربية سنة1331هـ ص59 ، ص66 فى المقارنة بمصطلح القرب والخلة .

3. المناظر الإلهية ص 160 ، لاحظ معنى وحدة الوجود ، الذى يتبدى فى ثنايا كلام الجيلى إذ يعتبر الوصال ، آفة مشعرة بالغرية والاثنينية ، والأمر متره عنده عن ذلك فالواصل محجوب عن الوحدة ، إذ لا وصول لأنه لا فراق ولذا يقول : (واعلم أن =

****

3ـ الإحسان

****

الإحسان : ضد الإساءة ، والحسن كل مبهج مرغوب فيه ، والإحسان يقال على وجهين [1] :

أحدهما : الإنعام على الغير ، كقوله تعالى : { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ } [النحل/90] ، وقوله سبحانه : { وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ } [القصص/77] ، وكقوله ε من حديث بن عباس τ : " أريت النار ، فإذا أكثر أهلها النساء ، يكفرن ، قيل : أيكفرن باللَّه ؟ قال : يكفرن العشير ، ويكفرن الإحسان ، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ، ثم رأت منك شيئا ، قالت ما رأيت منك خيرا قط) [2] .

الثانى : الإحسان فى الفعل ، وذلك إذا علم علما حسنا ، أو عمل عملا حسنا كقوله تعالى : { وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ } [القصص/77] ، وقوله : { الَّذِي

= الوصال المعبر عنه بتواتر التجليات الحقية ، لا يكون إلا فى حق الضعفاء المحجوبين وأما الكامل ، فإن زاته مترهة عن تجلى صفات الغير عليها ، بل هو المتجلى فى ذاته بصفاته

فالفصال أعلى من الوصال ، لأن الحق إذا فصلك عن تجلياته أبقاك بذاته) ، انظر المناظر الإلهية ص161 .

1. المفردات ص119 .

2. أخرجه البخارى فى كتاب الإيمان (29) 104/1 .

أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِنْ طِينٍ } [السجدة/7] ، ومنه قوله ε من حديث شداد بن أوس τ : " إن اللَّه كتب الإحسان على كل شيء ، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح ، وليحد أحدكم شفرته فليرح ذبيحته "[1] .

وللإحسان معنى اصطلاحى شرعى ، وضع على درجة يبلغها العبد أعلى من درجة الإيمان ، كما نص على ذلك القرآن فى قوله تعالى :

{ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ } [المائدة/93] ، ففرق اللَّه بين التقوى المبنية على درجة الإيمان والتقوى المبنية على درجة الإحسان ، وقد حدد النبى ε للإحسان معنى دوام المراقبة لله ، فى الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة ، فقال أبو هريرة τ : " كان النبي ε بارزا يوما للناس ، فأتاه جبريل فقال : ما الإحسان ؟ ، قال : أن تعبد اللَّه كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك "[2] .

- **الإحسان فى الاصطلاح الصوفى :**

والإحسان فى اصطلاح الصوفية ، هو تهذيب القصد بعلم الشريعة والطريقة فيكون قصده مطابقا للأمر ، مبرأ عن شوب الرياء والغرض ، وإحكامه بالجزم

---

1. أخرجه مسلم فى كتاب الصيد والذبائح (1955) 1548/3 .

2. أخرجه البخارى فى كتاب الإيمان (50) 140/1 .

وتوطين النفس على ثبات العزم ، وعدم الفتور فيه ، وتصفيته عن النظر إلى غير المقصود بشهود المعبود ، وعدم الالتفات إلى الغير ولو نفسه ، فيعبد اللَّه معتقدا أنه بمرأى من اللَّه متوجها إليه كأنه يراه بقلبه [1] ، وهذا المعنى إلى هـذا الحـد قرآنى خالص يدل عليه الأصل النبوى ، الوارد فى حديث جبريل السـابق ، إذ جعله الرسول ε أعلى درجات الدين بعد الإسلام الإيمان ، ويؤكـد السـراج الطوسى (ت:387هـ) ، أن معنى الإحسان الوارد فى الحديث ، هو المعنى عند الصوفية وأن معنى قوله : أن تعبد اللَّه كأنك تراه ، يكون بدوام المراقبـة والمشاهدة بالإيمان واليقين ، وينكر على من قال بخلاف ذلك ، يقول : (بلغنى عن جماعة من أهل الشام ، أنهم يدعون الرؤية بالقلوب فى دار الدنيا ، كالرؤية بالعيان فى دار الآخرة ، و لم أر أحدا منهم ، ولا بلغنى عن إنسـان ، أنـه رأى منهم رجلا له محصول) [2] ، ثم يبين أن الصوفية أشاروا برؤية القلوب ، إلى التصديق والمشاهدة بالإيمان وحقيقة اليقين ، وأنه ينبغى أن يعلم العبد أن كـل شئ رأته العيون فى الدنيا من الأنوار ، أن ذلك مخلوق ، ليس بينه وبين اللَّـه تعالى شبه ، وليس ذلك صفة من صفات اللَّه ، بل جميع ذلك مخلوق [3] .

ويذكر الكاشانى (ت:735هـ) للإحسان فى عرف الصوفية ، معنى مغايرا للمعنى السابق البسيط ، ينبثق من مدرسة وحدة الوجود ، فالإحسان عندهم

---

1. معجم اصطلاحات الكاشانى ص286 .
2. اللمع 544 .
3. السابق 545 .

يدل على رؤية الرب نفسه فى عبده ، ورؤية العبد نفسه فى ربه ، كالمرآة يرى الناظر فيها نفسه ، والمحسن هو الذى يرى الحق موصوفا بصفات العبد ، فيراه العبد وراء حجب صفاته بعين صفاته ، لأنه فى عين اليقين ، فلا يرى الحقيقة بالحقيقة ، لأنه تعالى هو الرائى وصفه بوصفه [1] .

يقول الكاشانى : إنما يكون الرائى هو الحق ، ولا يكون للعبد أثر حيث يسلبه أثار أوصافه عنه بأوصافه ، بأنه الفاعل فيه منه لا هو ، وإذا استحال أن ترى شيئا سواه غير قائم به ، فالكل تعيناته ، فلا شئ يوصف مما سواه ، بأنه عينه أو أنه غيره [2] ، فنقلوا المعنى من رؤية المراقبة ، إلى رؤية الله متعينا فى جميع الأشياء [3] .

---

1. معجم اصطلاحات الصوفية للكاشانى ص53 ، وكلام الكاشانى فيه إجحاف وتنقيص لحق أوائل الصوفية ، حيث عمم الاصطلاح على الكل ، لأن معنى الإحسان عندهم يتوافق مع الأصول القرآنية والنيوية ، بل انكروا على من قال بخلافه كما حكى ذلك السراج الطوسى فيما تقدم .

2. مثل المرآة من الأمثلة المتكررة للتعبير عن فلسفة وحدة الوجود ، وفكرته أن الله خلق العالم كمرآة يرى فيها نفسه حتى يعرف ، لأن من ير نفسه بمرآه ، أكمل ممن يراهـا بغيرها فالإنسان والعالم عند أصحاب الوحدة ، صورة للحق حقيقة لا خيال ، كما أن صورة المرآة حقيقة معبرة عن ذات المرئ ، وعلى ذلك فإن الله يرى نفسه فى الكـافر والمؤمن وصاحب الوحدة يرى الكافر ربا والمؤمن كذلك ، ويرى الصوفى نفسه ربـا باعتبار ظهر الحق فيه وهكذا تبدو هذه الزندقة ، قارن فصوص الحكم ص15:11 .

3. لطائف الإعلام 178/1 ، وانظر السابق ص53 .

****

4ـ الإخبـــــات

****

الإخبات : الخبت المتسع المطمئن من بطن الأرض ، وأخبت الرجل ، قصـد الخبت أو نزله ، ثم استعمل الإخبات استعمال اللين والتواضع ، قال تعالى : { فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرْ الْمُخْبِتِينَ } [الحج/34] أى المتواضعين وقال أيضا : { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } [هود/23] (1) .

والإخبات فى قوله تعالى : { وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ } [الحج/54] ، معناه أن القلوب تلين وتخضع ونرى معنى آخر يتسم بالتعقيد الذى لا يوجد عند الأوائل ، ويخرج من المدرسة السابقة ، يذكره الجيلى (ت:829هـ) ، فيقول : (الإحسـان أن يتحـد البصر بالبصيرة ، فيشهدك الحق تعالى أنوار عظمته ساطعة على الوجـود ،

فيأخذك الصعق ، فحينئذ تبدو عليك شموس الجلال .. فتشـــهدها ببصـــيرتك كأنك ، ناظر إليها بالبصر لاتحادها بقوة أحدية نور اليقين) [2] .

1. المناظر الإلهية ص181 ، ويرى الجيلى أن الإحسان على المعنى الذى ذكره هو ، فيه آفة معيبة ، وهو معنى اتحاد البصر بالبصيرة ، لأن ذلك حجاب ، والشيئان لا يصـــيرا شيئا واحدا إلا فى المجاز ، المرجع نفسه ص181 .
2. لسان العرب 27/2 ، القاموس المحيط 54/1 .

وتخشع وهو قريب من الهبوط فى قوله : { وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ } [البقرة/74] [1] ، ومن دعاء النبي ε عن ابن عباس : " رب اجعلني لك ، شكارا لك ، ذكارا لك ، رهابا لك ، مطواعا لك ، مخبتا إليك ، أواها منيبا " [2] .

الإخبات فى العرف الصوفى :

الإخبات فى العرف الصوفى يعنى السكون إلى اللَّه تعالى ، كما ورد فى قوله : { وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ } ، أى سكنوا إليه واطمئنوا [3] ، وممـــا ذكـــر لهـــم فى الإخبات قول الحكيم الترمذى (ت:320هـــ) وهو يعدد أوصاف القلـــب ، وأعمال القلوب ، ويجعل الإخبات محله القلب :

(القلب هو معدن التقوى ، والسكينة والوجل ، والإخبات واللين والاطمأنينة والخشوع ، والتمحيص والطهارة) [4] ، واستدل لذلك بالآية : { وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ } [الحج/54] [5] .

1. انظر المفردات ص.141
2. أخرجه الإمام الترمذى فى كتاب الدعوات 554/5 (3551) وقال : حديث حسن وأبو داود 83/2 (1510) وأحمد فى المسند 227/1 (1997) .
3. لطائف الإعلام 180٢181/1 .
4. بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب ص54 ، وانظر فى التعرف على موقع القلب وأعمال القلوب ، موقف الصوفية من العقل حتى نهاية القرن الرابع الهجرى رسالة ماجستير ، د/محمد عبد الله الشرقاوى ، دار العلوم جامعة القاهرة 268سنة 1978م .
5. السابق ص54 .

ويذكر القشيرى (ت:465هـ) الإخبات ، على المعنى الوارد فى الأصول القرآنية ، ويفسره باستدامة الطاعة بشرط الاستقامة وبقدر الاستطاعة ، ومن أمارات الإخبات ، كمال الخضوع بشرط دوام الخشوع ، وذلك يكون بإطراق السريرة ، ويستشهد لذلك بقوله تعالى : { فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرْ الْمُخْبِتِينَ } [الحج/34] [1] ، ويعرفه مرة أخرى بأنه التخشع لله بالقلب بدوام الانكسار ، ومن علامته الذبول تحت جريان المقادير بدوام الاستغاثة بالسر لقوله تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } [هود/23] [2] .

وينصف الكاشانى (ت:735هـ) ، عنما يجعل الإخبات عند الصوفية على أنواع [3] ، وإن كان ذلك معبرا عن تطور المعنى الدلالى للمصطلح عبر مراحل التصوف المختلفة ، وهى فى أغلبها متوافقة مع الأصول القرآنية ، فذكر منها :

1- إخبات العوام : وهو سكون النفس إلى الرجوع عن المخالفات ، وهـــو سكون البدايات .

2- إخبات المتوسطين : وهو الخلاص من تردد الخواطر ، بين الإقبال إلى اللَّـــه والإدبار عنه ، والدوام على الحضور والخدمة .

---

1. لطائف الإشارات 542/2 ، وانظر حقائق التفسير للسلمى 360/1 وقارن .

2. السابق 130/2 .

3. معجم الكاشانى ص214 .

3- إخبات الخواص : وهو أن يكون الإنسان ممن يستوى عنده المدح والذم مع لائمته لنفسه ، وعماه عن نقصان الخلق عن درجته ، لإقامته علـــى دوام العذل لنفسه والعذر لغيره .

4- إخبات البالغين : وهو إخبات من انقطع عن نفسه ، فضلا عن باقى الخلق لاستغراقه فى حضرة الحق [1] .

وهذا التقسيم فضلا عن كونه يفتقر إلى الدليل ، إلا أن إخبـــات البـــالغين مخالف للأصول القرآنية ، لكونه يخرج من مشكاة الفناء الحلولى .

****

5ـ الاختيـــــار

****

- **الاختيار** : طلب ما هو خير وفعله ، قال تعالى : { وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا } [المزمل/20] [2] .

والاختيار يقال لكل فعل يفعله الإنسان لا على سبيل الإكراه ، كقوله تعالى : { وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ } [الواقعة/20] ، وكما روى عن عبد اللَّه بن عمر رضي

1. السابق ص214 .

2. المفردات ص161 ، وانظر الألفاظ المختلفة في المعاني المؤتلفة ، لأبي عبد الله محمد بن عبد الملك بن مالك الطائي الجياني ، تحقيق دكتور محمد حسن عواد ، دار الجيل ، بيروت سنة 1411هـ ، ص255 .

اللَّه عنهما ، قال : " قسم عمر خيبر ، فخير أزواج النبي ε ، أن يقطع لهن من الماء والأرض ، أو يمضي لهن ، فمنهن من اختار الأرض ، ومنهن من اختار الوسق ، وكانت عائشة اختارت الأرض " [1] .

والاختيار قد يقال لما يراه الإنسان خيرا وإن لم يكن خيرا ، كقول اللَّه تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ } [الجمعة/9] ، وعن ابن عمر رضي اللَّه عنهما ، أن عبد اللَّه بن أبي بن سلول لما توفي ، جاء ابنه إلى رسول الله ε فقال : " يا رسول اللَّه ، أعطني قميصك أكفنه فيه ، وصل عليه واستغفر له فأعطاه النبي ε قميصه ، فقال : آذني أصلي عليه فآذنه ، فلما أراد أن يصلي عليه جذبه عمر τ ، فقال : أليس اللَّه نهاك أن تصلي على المنافقين ، فقال : أنا بين خيرتين ، قال : { اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ

مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ } [التوبة/80] ، فصلى عليه فترلت : { وَلا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ } [التوبة/84] (2) .

والخيرة : الحالة التي تحصل للمستخير والمختار ، كقوله تعالى : { وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمْ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ } [الأحزاب/36] ، وكقوله سبحانه : { وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمْ الْخِيَرَةُ } [القصص/68] ، وعن أبي سعيد الخدري τ ، قال : " خطب النبي ε

1. البخارى فى كتاب المزارعة (2328) 14/5 .

2. البخارى فى كتاب الجنائز (1269) 165/4 .

فقال : إن اللَّه خير عبدا بين الدنيا ، وبين ما عنده ، فاختار ما عند اللَّه ، فبكى أبو بكر الصديق τ ، فقلت في نفسي : ما يبكي هذا الشيخ ، إن يكن اللَّه خير عبدا بين الدنيا ، وبين ما عنده ، فاختار ما عند اللَّه ؟ فكان رسول اللَّه ε هو العبد ، وكان أبو بكر أعلمنا " (1) .

والاستخارة : طلب الخير والتوجيه إليه ، وقد روى عن جابر بن عبد اللَّه τ قال : " كان رسول اللَّه ε يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها ، كما يعلمنا السورة من القرآن ، يقول : إذا هم أحدكم بالأمر ، فليركع ركعتين من غير الفريضة ، ثم ليقل : اللَّهم إني أستخيرك بعلمك ، وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم ، فإنك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب ، اللَّهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي ، في ديني ومعاشي

وعاقبة أمري ، فاقدره لي ويسره لي ، ثم بارك لي فيه ، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي ، في ديني ومعاشي وعاقبة أمري ، فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ، ثم أرضني ، قال : ويسمي حاجته " [2] .

الاختيار فى الاصطلاح الصوفى :

والاختيار فى الاصطلاح الصوفى يرد على معنيين ، أحدهما له أصول قرآنية ونبوية ، والثانى لا أصل له :

1. أخرجه البخارى فى كتاب الصلاة (466) 7/.665
2. أخرجه البخارى فى كتاب الجمعة (1166) 58/4 .

الأول : الاختيار الذى يعنى اختيار العبد لما أراده اللَّه شرعا ، فليس للعبد إرادة مخالفة لإرادة اللَّه الشرعية ، وللصوفية فى هذا المعنى ، ما روى عن يحى بن معاذ (ت:258هـ) أنه قال : (ما دام العبد يتعرف يقال له لا تختر ، فإنك لست بأمين فى اختيارك حتى تعرف ، فإذا عرفت ، يقال له : إن شئت فاختر وإن شئت فلا تختر ، فإنك إن اخترت فبنا ، فيما تختار وفيما لا تختار) [1] .

والمعنى : ما دام العبد فى طريق المعرفة باللَّه ، فهو مأمور أن يختار اختيار اللَّه له بالمجاهدة فى اتباع الشرع ، ومن ثم إذا داوم على ذلك سوف تتكيف إرادته على مراد اللَّه واختياره ، وعند ذلك يسمع بسمع اللَّه ، ويرى بنور اللَّه ، فأى شئ يختاره وقتها ، سيكون اختيارا من اللَّه ، لأنه صديق يدور فى دائرة المجال الشرعى والكونى معا ، أو بمعنى آخر تتفق إرادة العبد ، مع الإرادة الشرعية

والكونية معا ، وهذا المعنى يشهد له أيضا ، ما روى عن أبي يزيد البسطامى (ت:261هــ) لما سئل من هو الأمير ؟ ، فقال : (من لم يبق له اختيار وصار اختيار الحق له اختيارا) [2] ، وقوله أيضا لما سئل ماذا تريد ؟ ، قال : (أريد ألا أريد) [3] ، فالاختيار فى اصطلاح الأوائل منهم ، إشارة إلى ما يختاره اللّــه

---

1. اللمع ص429 وانظر نوادر الأصول للترمذى ص89 وما بعدها حيث يبين أن اختيار العبد الذى يعود عليه بالخير يكون فى اختيار الله له وانظر ختم الأولياء ص279 .
2. كشف المحجوب ص470 ، وانظر فى تفصيل كلام أبى يزيد مفهوم الحريــة عنــد صــوفية القرنين الثالث والرابع ، رسالة ماجستير للمؤلف ، كليــة دار العلــوم (824) 1995م ص 240 .
3. الرسالة 473/2 ، وانظر قوت القلوب للمقارنة بكلام المكى 128/1 .

للعبد فى دنياة من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة ، والعبد يختار ذلك بعنايــة اللَّه له ، حتى يختار باختار اللَّه له ، لا باختيار نفسه [1] ، وهذا العبد الذى يختار اختيار اللَّه الشرعى على الدوام ، يجتمع فيه نوعان من اختيار اللَّه ، الأول هــو الاختيار الشرعى ، والثانى هو الاختيار الكونى .

الثانى : وهو المعنى المخالف للأصول القرآنية والنبوية ويرد على وجهين :

1- اختيار اللَّه للعبد الاختيار الكونى مع تجاهل العبد العمل بالأسباب ، وهــو باب التواكل والاحتجاج بالقدر على نفى الأسباب ، ومن ذلك ما روى عــن الجنيد بن محمد (ت:297هــ) أنه أصابته الحمى فقال : يا إلهى عافنى ، فسمع

من قال له فى قلبه : من أنت حتى تتدخل فى ملكى ، وتجعل لك خيرة ، إنـــى أدبر ملكى خيرا منك ، فاختر ما اخترت بدلا من أن تتقدم إلى باختيارك [2] .

وقد استدل الهجويرى (ت:465هــ) بذلك ، على أن الاختيار عند الصوفية يعنى أنهم يختاروا اختيار الحق على اختيارهم ، أى أنهم فى سلبية تامة تجـــاه مـــا يبتليهم به الحق من الخير والشر من صحة ومرض وغنى وفقر [3] ، ومعلـــوم أن ذلك مخالف للأصول القرآنية والنبوية ، فالدعاء من الأسباب العظيمة فى جلب

1. اللمع ص429 ، وانظر الزيد عن هذه العلاقة فى طريق الهجرتين لابن القيم ص216 .

2. كشف المحجوب ص470 وانظر فى معرفة الاختيار على مستوى الفعـــل الإنســـانى سلبا أو إيجابا ، دراسات فى الفكر العربى لماجد فخرى ص78 وما بعدها .

3. لعل الهجويرى يعنى أن هذه المرحلة من الاختيار يسبقها إيجابية العبد فى التزام المجاهد والاتباع وإن كان كلام الجنيد لا يسعفه ، انظر السابق ص470 .

الخير ودفع الشر ، وقد أمرنا اللَّه به ، فقال تعالى : { وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ } [غافر/60] ، وفى حديث أبى مالك الأشجعي τ ، كان الرجـــل إذا أسلم علمه النبي ε الصلاة ، ثم أمره أن يدعو بهؤلاء الكلمات : " اللَّهم اغفر لي وارحمني ، واهدني وعافني وارزقني " [1] ، ومن حديث عبد اللَّه بن أبي أوفى τ ، قال ε : " أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو ، وسلوا اللَّـــه العافيـــة ، فـــإذا لقيتموهم فاصبروا ، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف ، ثم قـــال : اللَّهـــم منزل الكتاب ومجري السحاب ، وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم " [2]

وعن عبد اللَّه بن عمر τ ، أن رسول اللَّه ε أمر إذا أخذ الرجل مضجعه أن يقول : " اللَّهم خلقت نفسي وأنت توفاها لك مماتها ومحياها إن أحييتها فاحفظها وإن أمتها فاغفر لها اللَّهم إني أسألك العافية " [3] .

2- المعنى الثانى للاختيار المخالف للأصول القرآنية والنبوية ، هو كون اختيار العبد ، عين اختيار الرب ، كما ذكره ابن عربى فى الفصوص عند قوله تعالى : { مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } [هود/56] .

قال : (فكل ماش ، فعلى صراط الرب المستقيم ، فهو غير المغضوب عليهم من هذا الوجه ولا الضالين .. ، وقال تعالى : كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به .. فذكر أن هويته ، هى عين الجوارح التى هى عين العبد

---

1. أخرجه مسلم فى كتاب الذكر والدعاء (2697) 2073/4 .
2. أخرجه البخارى فى الجهاد (2966) 140/6 .
3. أخرجه مسلم فى كتاب الذكر والدعاء (2712) 2083/4 .

فالهوية واحدة ، والجوارح مختلفة) [1] ، وقد ذكر الجيلى (ت:829هـ) أيضا أن اختيار العبد المخلوق فينا بالإرادة ، هو عين اختيار الحق وإرادته ، فإرادة العبد واختياره ، هو عين الإرادة القديمة [2] .

ومن ثم سواء كان العبد مؤمنا أو كافرا ، على شاكلة موسى υ أو فرعون فالجميع عند هؤلاء الصوفية على صراط مستقيم ، واختيار الجميع هو بعينه

اختيار الله ، ولا شك ان ذلك هدم لدين الله ، وضياع لمعانى التكليف ، وتبديد للعلة التى خلق الله من أجلها الدنيا والآخرة .

---

1. فصوص الحكم ص149 وما بعدها ، وانظر أيضا لابن عربى شجرة الكون ، تحقيق رياض العبد الله ص49 وما بعدها ، ورأى ابن عربى واضح فى أنه لا يفرق فى الاختيار بين الخير والشر ، لا بالمعنى الشرعى ولا بالمعنى الكونى ، ويشاكله أيضا ابن سبعين حيث يرى أن الخير والشر ، لا فرق بينهما عند المحقق من حيث الحقيقة الوجودية لأن الوجود قضية واحدة ، وهو الخير المطلق ، وإننا بمحض الوهم نفرق فى عالم الظواهر بين الخير والشر ، انظر ابن سبعين وفلسفته الصوفية للدكتور أبى الوفا التفتازانى ص193 ، وقارن أيضا مع رأى فريد الدين العطار فى الاختيار ، انظر كتابه منطق الطير وادى العشق ص185 .
2. الإنسان الكامل 48/1 ، وانظر فى مقارنة رأى ابن عربى مع الجيلى ، ومدى اختلافهما ، معجم المصطلحات الصوفية للدكتورة سعاد حكيم ص441 ، وللمقارنة بين الاختيار من الوجة الكلامية والوجهة الفلسفية الصوفية ، انظر مشكلة الخير والشر بين المعتزلة والأشاعرة ، رسالة دكتوراة ، مخطوط بكلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، رقم (712) سنة 1975م .

****

6ـ الإخـــــلاص

****

الإخلاص : الخالص كالصافى ، إلا أن الخالص هو ما زال عنه شوبه بعد أن كان فيه ، كقول اللَّه تعالى : { نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ } [النحل/66] ، والصافى قد يقال لما لا شوب فيه [1] ، وفى حديث عبد اللَّه بن عمرو τ ، أن النبي ε قال : " أربع من كن فيه ، كان منافقا خالصا ، ومن كانت فيه خصلة منهن ، كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها .. " [2] .

وخلصوا فى قوله تعالى : { فَلَمَّا اسْتَيْئَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا } [يوسف/80] ، أى انفردوا خالصين عن غيرهم ، وإخلاص المسلمين أنهم أفردوا اللَّه بعبادتهم ، لا يشركون به ، وتبرأوا مما يدعيه اليهود من التشبيه ، والنصارى من التثليث ، قال تعالى : { وَمَا أُمِرُوا إلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ } [البينة/5] ، وعن أبي هريرة τ ، أن رسول اللَّه ε قال : " أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا اللَّه ، خالصا من قبل نفسه " [3] ، فحقيقة الإخلاص التبرى عن

1. المفردات ص154 ، ولسان العرب 26/7 ، والقاموس المحيط 796/1 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب الإيمان (34) 111/1 .
3. أخرجه البخارى فى كتاب الرقاق (6570) 426/11 .

كل ما دون اللَّه تعالى ، ومن دعائه ε ، من حديث عمار بن ياسر رضى اللَّه عنه : " وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة ، وكلمة الإخلاص في الرضا والغضب " [1] ، وركب عكرمة بن أبي جهل τ البحر ، فأصابتهم عاصف

فقال أصحاب السفينة : أخلصوا ، فإن آلهتكم لا تغني عنكم شيئا هاهنا ، فقال عكرمة : واللَّه لئن لم ينجني من البحر إلا الإخلاص لا ينجيني في البر غيره [2] .

الإخلاص فى الاصطلاح الصوفى :

والإخلاص فى اصطلاح الصوفية ، باق فى معظم أقوالهم على المعنى الوارد فى الأصوله القرآنية والنبوية ، وكل يجتهد فى شرح معناه ، فمن ذلك ما روى عن حاتم الأصم (ت:237هـ) أنه قال : (الإخلاص يعرف بالاستقامة) [3] وكأنه يعنى ، أن دوام الاستقامة باعثها الإخلاص ، ولكن ذلك لا يحترز من النفاق ، فالمنافق قد يدعى الاستقامة فى الظاهر ، وقلبه خلو من الإخلاص [4] .

---

1. أخرجه النسائى فى كتاب السهو (1306) ، وقال الشيخ الألبانى : صحيح 55/3 وأحمد فى المسند (18351) 264/4 ، وابن حبان فى صحيحه (1971) 304/5 .
2. أخرجه النسائى فى كتاب تحريم الدم (4067) وقال الألبانى : صحيح 105/7 .
3. طبقات الصوفية ص183 ، وقد صرح الشعرانى ، أيضا أن المريد لا يكون صادقا مخلصا إلا إذا كان صادقا فى الاستقامة على حدود الشرع ، انظر كشف الغمة عن جميع الأمة لعبد الوهاب الشعرانى ، طبعة الكستيلية سنة 1281هـ 10/1 ، وانظر أيضا فى هذا المعنى ، شذرات الذهب لابن العماد 374/8 .
4. ولذا كان تعبيره ε بقوله : (ألا إن فى الجسد مضغة ، إذا صلحت صلح الجسد كله =

وقد بين الحارث بن أسد المحاسبى (ت:243هـ) دقائق الإخلاص فى القول والعمل ، فى مقابل الرياء ، وأفاض فى ضرب الأمثلة التى تكشف المعانى القرآنية والنبوية وتوضحها ، يقول : (إن الإخلاص منزلة الأقوياء ، والخاصة من

العابدين .. ووصف اللَّه عز وجل قلوب المخلصين ، وأن الرياء إرادة لغير اللَّـه عز وجل فرفضوه لله ، فقال : { إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَـزَاءً وَلا شُكُورًا } [الإنسان/9]) [1] .

وروى عن أبى حفص النيسابورى (ت:270هـ) ، أنه سئل عن العاقل ؟ فقال : (المطالب نفسه بالإخلاص) [2] ، وينسب إلى الجنيد (ت:297هـ) :

= وإذا فسدت فسد الجسد كله) تعبيرا صادقا صحيحا ، فى حديث حيح ، رواه البخارى (52) 153/1 ، ولكن لم يصح ما نسب إليه مما اشتهر على ألسنة النـاس : (إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد ، فاشهدوا له بالإيمان) أخرجه الترمذى (3093) وضعفه الشيخ الألبانى 277/5.

1. الرعاية لحقوق الله ص129، 132 ، ويعتبر كتاب الرعاية للمحاسبى من أدق مـا كتب فى معرفة دقائق الإخلاص ، والوقوف على خطرات الـنفس ، وانظـر أيضـا للمحاسبى رسالة المسترشدين ، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة ، طبعة مكتبة دار السـلام الطبعة الرابعة ، القاهرة سنة1982م ص113 .
2. طبقات الصوفية ص121 ، وانظر الأخلاق بين العقل والنقل ، للدكتور أبى اليزيـد العجمى ، فى بيان علاقة الأخلاق بالعقل ، وأثرها فى النمو الحضارى ، ص164 وما بعدها .

(الإخلاص ما أريد به اللَّه ، من أى عمل كان) [1] ، وعن رويم بـن أحمـد البغدادى (ت:303هـ) قال : (الإخلاص ، ارتفاع رؤيتك من الفعـل) [2] وقد تكلم القشيرى (ت:465هـ) فى وصف الإخلاص ، شارحا مـا ورد

فى الأصول القرآنية والنبوية ، فقال : (الإخلاص ، ألا يكون شئ من حركاتك وسكناتك إلا لله) [3] ، واستدل له بقوله تعالى : { إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدْ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ } [الزمر/3:2] ، وقوله تعالى : { وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ } [البينة/9] ويفسر الدين الخلص ، بأنه ما تكون جملته لله ، فما للعبد فيه نصيب ، فهو من الإخلاص بعيد ، اللَّهم إلا أن يكون بأمره تعالى ، فإنه إذا أمر العبد أن يحتسب الأجر على طاعته ، فإطاعته لا تخرجه عن الإخلاص باحتسابه ما أمره به ولولا هذا لما صح أن يكون فى العالم مخلص ، ومعنى مخلصين له الدين ، أى موحدين لا يشركون باللَّه شيئا ، ومن السنة يستدل للإخلاص بقوله ε : " ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم ، إخلاص العمل لله ، ومناصحة ولاة الأمر ، ولزوم الجماعة " [4] .

---

1. التعرف ص118 . 2. السابق ص118 .
3. الرسالة القشيرية 443/2 .
4. انظر السابق 443/2 ، والحديث صحيح ، أخرجه الترمذى فى كتاب العلم (2658) 34/5 ، وابن ماجة فى المقدمة (230) 84/1 وقال الشيخ الألبانى : صحيح ، وأحمد فى المسند (13374) 225/3 ، والدارمى فى المقدمة (227) 86/1 ، وغيرهم .

****

7 ـ الإرادة

****

الإرادة : فى الأصل من راد يرود ، إذا سعى فى طلب الشىء ، والإرادة فى الأصل ، قوة مركبة فى قلب الإنسان ، جعلت أسما لشروع النفس إلى الشئ مع الحكم فيه ، بأنه ينبغى أن يفعل أولا يفعل [1] ، وإرادة اللَّه صفة له ، تـرد فى القرآن على معنيين :

الأول : بمعنى الحكم المنتهى والقضاء المبرم بأن يفعل أو لا يفعل فمتى قيل : أراد اللَّه كذا ، فمعناه حكم فيه أنه كذا وليس بكذا ، وتسمى الإرادة الكونية وهـى بمعنى المشيئة ، كقوله تعالى : { فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ } [البروج/16] ، وكقولـه : { قُـلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَـنْ فِـي الأَرْضِ جَمِيعًا } [المائدة/17] .

الثانى : إرادة بمعنى الأمر الموجه إلى المكلفين ، كقوله تعالى : { يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ } [البقرة/185] ، وكقوله سبحانه : { مَا يُرِيدُ اللَّـهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ } [المائـدة/6] وهذه الإرادة قد تتخلف ، وقد يعصيها الإنسان .

وقد تذكر الإرادة فى حق المخلوق ، ويراد به القصد والنية والعزم على الفعل

---

1. المفردات ص206 ، 207 ، ولسان العرب 362/1 .

كقوله تعالى : { مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيـدُ ثُـمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَـا سَـعْيَهَا

وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا } [الإسراء/18] ، ومن حديث عبد الله بن عمر τ قال : " كنا عند النبي ε ، فأتي بجمار ، فقال : إن من الشجر شجرة ، مثلها كمثل المسلم ، فأردت أن أقول هي النخلة ، فإذا أنا أصغر القوم فسكت ، قال النبي ε : هي النخلة " [1] .

الإرادة فى الاصطلاح الصوفى :

والإرادة فى اصطلاح الصوفية تطلق ويراد بها عدة معان :

(1- إرادة العبد ، وهى وصف ذاتى للإنسان ، ومصدر أول وأصيل لكل الحركات والسكنات ، والرغبات والقصود ، وجميع الاختيارات فى أعمال القلوب والجوارح ، قال أبو بكر الكلاباذى (ت:380هـ) : (وأجمعوا أن اللَّه خلق لهم الاختيار والاستحسان ، والإرادة للإيمان ، والبغض والكراهية والاستقباح للكفر) [2] ، وهذا المعنى للإرادة معني قرآني .

(2- إرادة اللَّه وهى على نوعين ، كما سبق فى الأصول القرآنية ، ذكرهما سهل بن عبد اللَّه (ت:293هـ) ، فيما روى عنه ، أنه سئل عن قوله تعالى :

1. أخرجه البخارى فى كتاب العلم (72) 198/1 .
2. التعريف لمذهب أهل التصوف ص62 ، وانظر أيضا للمقارنة برأى بقية أعلام الصوفية آداب المريدين للحكيم الترمذى ص33 ، وقوت القلوب لأبى طالب المكى175/1.

{ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ } [البقـرة/34] ،لما أمر إبليس بالسجود ، أراد منه ذلك أم لا ؟ فقال : أراده و لم يرده [1] ، ويشرح أبو طالب المكى (ت:386هـ) كيف فرق سهل بن عبد اللّه ، بين الوجهين من خلال نوعى الإرادة :

أ – أراده شرعا ، وإظهارا عليه إيجابا وتكليفا ، وهى إرادة اللّه الشرعية .

ب – ولم يرده منه وقوعا وكونا ، إذ لا يكون فى ملكه إلا ما أراد اللّه تعالى وهى الإرادة الكونية ، فلو أراد كونه لكان ، ولو أراده فعلا لوقع ، لقوله تعالى : { إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } [يـس/82] فلما لم يكن ، علم أنه لم يرده ، فقد كان الأمران معا ، إرادته بالتكليف والتعبد ، وإرادته بأن لا يسجد ، فلم يقدر أن يمتنع من ألا يسجد ، كما لم يقدر من أن يمتنع أن يؤمن [2] ، وهذا المعنى قرآنى أيضا .

(3– الإرادة ، بمعنى الجانب الإيجابى فى مجاهدة الصوفى نفسه ، للتخلص من رعونات النفس وعيوبها ، وعزمه على الترقى فى سلم المقامات والأحوال ، وهى

---

1. قوت القلوب 128/1 .

2. السابق 218/1 ، وكلام سهل بن عبد الله فى هذا الموضوع ، معبر بتمامه عن عقيدة الإسلام فى العلاقة بين الإرادة الإلهية والإرادة الإنسانية ، وحل مقنع لإفراد الله بالفاعلية وعلاقته بحرية العباد فى أكسابهم ، انظر فى المقارنة : القضاء والقدر فى الإسلام للدكتور فاروق الدسوقى 359/1 وما بعدها ، وانظر له أيضا : مشكلة الحرية عند الفلاسفة والصوفية فى الإسلام ، دكتوراه بمكتبة دار العلوم (762) سنة 1978م .

عندهم بدء طريق السالكين إلى اللّه ، واسم لأول مترلة القاصدين إليه ، وتعنى حبس النفس عن مراداها ، والإقبال على أوامر اللّه ، والرضا بموارد القضاء عليه [1] ، وقال عبد الله بن خفيف (ت:371هـ) : (حقيقة الإرادة ، استدامة الكد وترك الراحة) [2] ، وقد استدل أبو القاسم القشيرى (ت:465هـ) لمعناها عند الصوفية ، بقوله تعالى : { وَلا تَطْرُدْ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ } [الأنعام/52] ، وبقوله ε من حديث أنس بن مالك τ : " إذا أراد اللّه بعبد خيرا استعمله ، فقيل : كيف يستعمله يا رسول اللّه ؟ قال : يوفقه لعمل صالح قبل الموت " [3] ، ويرى أبو القاسم القشيرى ، أن الإرادة وصف للمريد ، لأها مقدمة كل أمر ، فما لم يريد العبد شيئا ، لم يفعله فلما كان هذا أول الأمر ، لمن سلك طريق اللّه عز وجل ، سمى مريدا تشبيها بالقصد فى الأمور الذى هو مقدمتها [4] ، وقد عبر الدقاق (ت:410هـ) عن الإرادة ، بقوله : (لا يكون المريد مريدا ، حتى لا يكتب عليه صاحب الشمال عشرين سنة) [5] ، وهذا دليل على قوة الإرادة ، وصدق العزم على الطاعة

1. الرسالة 433/2 ، وانظر طبقات الصوفية ص465 ، والتعريفات ص15 .
2. طبقات الصوفية ص465 .
3. الرسالة 433/2 ، والحديث صحيح ، أخرجه الترمذى فى كتاب القدر (2142) وقال : حديث حسن صحيح ، وقال الشيخ الألبانى : صحيح 450/4 .
4. السابق 433/2 وانظر فى ثناء ابن تيمية على هذا المعنى ، كتاب السلوك ص494 وما بعدها ، والإيمان لابن تيمية ص268 ، و الاستقامة 106/1 .
5. السابق 433/2 .

وإن كان تحديد العشرين سنة تحكم ظاهر لا دليل عليه ، وجميع المعانى السابقة لمصطلح الإرادة عند الصوفية ، لها شواهد فى الكتاب والسنة إلا ما يأتى :

(4- الإرادة ، إرادة القدر فقط ، ولا إرادة لغير الله ، وهذا المعنى ذكره السراج الطوسى (ت:387هـ) عن جماعة من الصوفية ، خالفوا الشرع والاتباع حيث لم يضيفوا إلى الخلق ما أضاف اللّه تعالى إليهم ، ولم يصفوا أنفسهم بالحركة فيما تحركوا فيه ، بل نسبوها إلى اللّه ، ومن ثم أسقطوا اللائمة عن أنفسهم وادعوا الجبر فى حركاتهم وسكناتهم ، وخالفوا الشرع والاتباع [1] .

(5- الإرادة المخلوقة فينا عين إرادة الحق سبحانه وتعالى ، ولكن لما نسبت إلينا ، وكان الحدوث لازما لوصفنا ، قيل بأن الإرادة مخلوقة ، يعنى إرادتنا وإلا فهى بنسبتها إلى اللّه تعالى قديمة [2] ، وهذا لعبد الكريم الجيلى (ت:829هـ) وعلى شاكلته أيضا ، ما ذكره الكاشانى (ت:735هـ) ، أن الإرادة هى التخلص عن البقية ، بطمس الاثنينية ، والتحقق بمشيئة اللّه حال التحقق ببقاء اللّه ، كما قال : { وَمَا تَشَاءُونَ إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ } [التكوير/29] ويعنى بذلك تساوى المشيئتين [3] .

---

1. اللمع ص549 ، وهؤلاء يعبرون عن مذهب الجبرية الخالصة قال ابن تيمية : (وقد أفضى بغلاة الصوفية والمنحرفين منهم ، إلى عدم التمييز بين الأمر الشرعى وبين ما يكون من الأحوال التى تجرى على أيدى الكفار والفجار ، فيشهدون وجه الجمع بقضاء الله وقدره وإرادته العامة ، وأنه داخل فى ملكة ولا يشهدون وجه الفرق بين أوليائه وأعدائه) انظر التحفة العراقية فى الأعمال القلبية ، المطبعة السلفية سنة 1386هـ . ص51 .
2. الإنسان الكامل 48/1 .
3. معجم الكاشانى ص270Υ271 .

****

8ـ الاستقـــــامة

****

الاستقامة : تطلق على الاعتدال ، وعلى الطريق الذى يكون علـــى خـــط مستوية ، والطاعة فى طريق الحق [1] ، كقوله سبحانه وتعالى : { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } [الفاتحة/6] ، وعن عبد اللَّه بن مسعود τ قال :

" خط لنا رسول اللَّه ε خطا ، ثم قال : هذا سبيل اللَّه ، ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله ، ثم قال : هذه سبل متفرقة ، على كل سبيل منها ، شـــيطان يدعو إليه ، ثم قرأ : { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُـــوا السُّـــبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ } [الأنعام/153] " [2] .

واستقامة الإنسان لزومه المنهج المستقيم ، كقوله تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ قَـــالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ } [الأحقـــاف/13] ، ومن سفيان الثقفي τ أن رجلا قال : " يا رسول اللَّه ، مرني في الإسلام بـــأمر ، لا أسأل عنه أحدا بعدك قال : قل آمنت باللَّه ثم استقم " [3] .

---

1. المفردات ص418 ، والقاموس المحيط 1487/1 ، ولسان العرب 496/12 .
2. أخرجه أحمد فى المسند (4131) ، وابن حبان فى صحيحه (6) وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط : إسناده صحيح 180/1 .
3. أخرجه أحمد برقم (18938) ومسلم (38) بلفظ : قل آمنت بالله فاستقم65/1 .

وقال معاوية بن أبي سفيان τ : سمعت النبي ε يقول : " من يرد اللَّه به خيرا يفقهه في الدين ، وإنما أنا قاسم ويعطي اللَّه ، ولن يزال أمر هذه الأمة مستقيما ، حتى تقوم الساعة ، أو حتى يأتي أمر اللَّه " (1) .

الاستقامة فى عرف الصوفية :

والاستقامة فى عرف الصوفية تعنى عند أغلبهم ، الجمع بين أداء الطاعات واجتناب المعاصى ، والخروج من المعهودات ومفارقة الرسوم والعادات ، والقيام بأمر اللَّه بالنوافل والمكتوبات (2) ومما ورد عنهم فيها :

ما روى عن حاتم الأصم (ت:237هـ) أنه قال : (السمة التى يعرف بها الإخلاص ، الاستقامة) ، كما استدل عليها بالرجاء فقال : (يعرف الإخلاص بالاستقامة ، وتعرف الاستقامة بالرجاء) (3) ، والاستقامة لا تعرف بالرجاء وحده ، إنما تعرف بالصدق فى جميع أعمال القلوب ، وأقوال اللسان ، وأعمال الجوارح ، والأجود من كلام حاتم الأصم ، ما ينسب ليحى بن معاذ الرازى (ت:258هـ) قال : (الاستقامة على ثلاثة أضرب ، استقامة اللسان على كلمة الشهادة ، واستقامة الجنان على صدق الإرادة ، واستقامة الأركان على الجهد فى العبادة) (4) ، ومثله ما روى عن أبى بكر الواسطى (ت:بعد320هـ)

1. أخرجه البخارى فى كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة (7312) 13/ 306.
2. كشاف التهانوى ص1227 .
3. طبقات الصوفية ص94 .
4. كشاف التهانوى ص1227 .

أنه قال : (الخصلة التى بها كملت المحاسن ، وبفقدها قبحت المحاسن الاستقامة) [1] ، ويذكر لأبى على الدقاق (ت:410هـ) أن الاستقامة توجب دوام الكرامات ، لقوله تعالى : { وَأَلَّوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا } [الجن/16] و لم يقل سقيناهم ، بل قال : أسقيناهم ، يقال : أسقيته إذا جعلت له سقيا فهو يشير إلى الدوام [2] .

وقد بين القشيرى (ت:465هـ) حد الاستقامة عند الصوفية ، مهتديا فى تعريفها بالأصول القرآنية والنبوية ، فعرفها بأنها درجة بها كمال الأمور وتمامها وبوجودها حصول الخيرات ونظامها ، ومن لم يكن مستقيما فى حالته ، ضاع سعيه وخاب جهده ، ثم استدل لذلك بقوله تعالى : { وَلا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا } [النحل/92] ، وقوله : { إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا } [الأحقاف/13] ، وقد استدل على معنى الاستقامة بحديث سفيان بن عبد اللَّه الثقفى τ : " قل آمنت باللَّه ثم استقم " [3] .

والاستقامة تأخذ عند ابن عربى وأتباعه ، مفهوما مخالفا لما سبق ، إذ يجعلها

---

1. الرسالة القشيرية 442/2 .
2. السابق 441/2 .
3. السابق 441/2 ، وانظر أيضا فى تعريف القشيرى للاستقامة كتابه منثور الخطاب فى مشهور الأبواب ، نشر الدكتور قاسم السامرائى فى مجلة المجتمع العربى سنة 1969م 276/18 والحديث تقدم تخريجه .

عامة فى الوجود ، فالكل عنده على صراط مستقيم ، لقوله تعالى : { مَا مِـــنْ دَابَّةٍ إِلا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } [هــود/56] ، يقول ابن عربى (ت:638هــ) : (فما من أحد من العالم إلا على صراط مستقيم ، وهو صراط الرب تبارك وتعالى) [1] .

ويقول عبد الكريم الجيلى (ت:829هــ) : (الصراط المستقيم ، هو صراط اللَّه الذى هو تنوعات تجليه فى ذاته لذاته ، فمن حصل فى هذا الصراط واستقام على علم كيفية الاتصاف بأسماء اللَّه تعالى وصفاته ، فإنه يتنوع بتجلياتها فى العالم على حسب مقتضى الشأن) [2] ، وعلى الرغم من كون الشعرانى ينـــهل من ينابيع ابن عربى فى فلسفته الداعية إلى وحدة الوجود ، إلا أن له كلاما طيبا فى الاستقامة على الشرع ، ربما يخاطب به لسان أهل الظاهر ، فمن الجدير ألا يترك ، يقول : (كل طريق لم يمش فيه الشارع ε فهو ظلام ، ولا يكون أحد ممن يمشى فيه على يقين من السلامة وعدم العطب .. دوروا مع الشرع كيـــف كان ، لا مع الكشف فإنه يخطئ ، وينبغى إكثار مطالعة كتب الفقه ، عكس ما عليه المتصوفة الذين لاحت لهم بارقة من الطريق ، فمنعوا مطالعة الفقه ، وقالوا إنه حجاب جهلا منهم) [3] .

---

1. فصوص الحكم ص241 ، وانظر مصطلح الاستقامة عند الكاشانى ، وكيف قســـمه إلى استقامة العامة ، واستقامة الخاصة ، واستقامة خاصة الخاصة ، اللطائف 200/1 .
2. المناظر الإلهية ص214 .
3. كشف الغمة عن جميع الأمة للشعرانى 10/1 .

****

9ـ الاصطفـــــاء

****

الاصطفاء : تناول صفو الشئ ، كما أن الاختيار تناول خيره ، والاصــطفاء الاختيار والاجتباء [1] ، قال تعالى : { إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ } [آل عمران/33] وقال : { وَإِذْ قَالَتْ الْمَلائِكَةُ يَامَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِين } [آل عمران/42] وعــن أبي هريرة τ أن رسول اللَّه ε قال : " نِعْمَ الْمَنِيحَةُ اللِّقْحَةُ الصَّــفِيُّ ، مِنْحَــةً وَالشَّاةُ الصَّفِيُّ ، تَغْدُو بِإِنَاءٍ وَتَرُوحُ بِإِنَاءٍ " [2] ، وعنه أيضا قــال : " اســتب رجلان رجل من المسلمين ورجل من اليهود ، قال المسلم : والذي اصــطفى محمدا على العالمين ، فقال اليهودي : والذي اصطفى موسى على العالمين " [3] ، وقال رسول اللَّه ε : " احتج آدم وموسى ، فقال له موسى : أنــت آدم الذي أخرجتك خطيئتك من الجنة ؟ فقال له آدم : أنت موســى الــذي اصطفاك اللَّه برسالاته وبكلامه ، ثم تلومني على أمر قدر علي قبل أن أخلــق " [4] ، واصطفاء

---

1. المفردات ص283 ، ولسان العرب 462./14
2. أخرجه البخارى فى كتاب الهبة (2629) 287/5 .
3. البخارى فى كتاب الخصومات (2411) 815/5 .
4. البخارى فى كتاب أحاديث الأنبياء (3409) 508/6.

اللَّه بعض عباده ، قد يكون بإيجاده تعالى إياه ، صافيا عن الشوب الموجـــود فى غيره ، وقد يكون باختياره وبحكمه وإن لم يتعر ذلك من الأول كقوله تعالى : { اللَّهُ يَصْطَفِي مِنْ الْمَلائِكَةِ رُسُلا وَمِنْ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ } [الحج/75] وقوله : { ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا } [فـاطر/32] ، وقولـه سبحانه : { وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنْ الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيَار } [ص/47] ، ومن حديث واثلة بن الأسقع τ قال : " سمعت رسول اللَّه ε يقول : إن اللَّه اصطفى كنانـة من ولد إسمعيل ، واصطفى قريشا من كنانة ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم " [1] .

الاصطفاء عند الصوفية :

والاصطفاء عند الصوفية ، ورد على معنى الاجتباء فى سابق العلم ، كقـول الحكيم الترمذى (ت:320هـ) : (الاصطفاء هو الاجتباء ، فالعبد المجتبى منذ بداية أمره رهن الفيضة الإلهية) [2] ، وذكره السراج الطوسى (ت:387هـ)

---

1. أخرجه مسلم فى كتاب الفضائل (2276) 1782/4.
2. الحكيم الترمذى ونظريته فى الولاية ص118 ، ويقول أيضا فىكيفية اصـطفاء الله للأولياء : (فكذلك شأن هؤلاء المجذوبين ، يجذبهم الله إليـه علـى طريقـه فيتـولى اصطفاءهم وتربيتهم ، حتى يصفى نفوسهم الترابية بأنواره ، كما يصفى جوهر المعدن بالنار ، حتى تزول ترابيته ، وتبقى النفس صافية ، وتمتد تلك التصفية حتى إذا بلغـوا الغاية من الصفاء أوصلهم إلى أعلى المنازل ، وكشف لهم الغطاء عن المحل ، وأهـدى إليهم عجائب من كلماته وعلومه ، وإنما يمتد ذلك ، لأن القلوب والنفوس لا تحتمل =

أن الاصطفاء فى اصطلاح الصوفية هو الاجتباء فى سابق العلم ، لقوله تعالى : { وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } [الأنعام/87] ، ولقوله : { اللَّهُ يَصْطَفِي مِنْ الْمَلائِكَةِ رُسُلا وَمِنْ النَّاسِ } [الحج/75] ، ويدلل على اصطلاحهم بما ينسبه لأبى بكر الواسطى (ت:بعد320هـ) ، أنه قال : (ابتداك بنفسه واصطفاك لنفسه ، فمن استعظم ذلك ، حسنت إخطار نفسه فيما بذلت ، فإن قابلته بنفس العناية ، تضمنك ما منه الهداية) [1] .

ويرى الهجويرى (ت:465هـ) أن الاصطفاء ، هو أن يفرغ الحق قلب المؤمن لمعرفته ، حتى تنشر معرفته صفاءها فيه ، واستدل لذلك ، بقوله تعالى : { ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ } [فاطر/32] [2] ، وكل هذه المعانى تتوافق إلى حد ما مع الأصوله القرآنية ، وليس فيها ما يناقضها ، غير أن ابن عربى (ت:638هـ) يذكر معنى آخر ، من منظور نظريته فى وحدة الوجود ، فالاصطفاء عنده يعنى اصطفاء الكل لإظهار الوحدة ، فالكل مصطفى ، سواء كان ظالما أو مقتصدا أو سابقا بالخيرات ، ففى قوله تعالى عن قوم نوح υ : { وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا } [نوح/24] قال : (أى حيروهم فى تعداد الواحد ، بالوجوه والنسب { وَلا تَزِدْ

= مرة واحدة كل ذلك ، فلا يزال يلطف بهم ، حتى يعودهم احتمال تلك الأهوال التى تستقبلهم من ملكه) ، انظر ختم الأولياء ص409 .

1. اللمع ص447 .

2. كشف المحجوب ص635 .

الظَّالِمِينَ } لأنفسهم من جملة المصطفين ، الذين أورثوا الكتــاب ، فهــم أول الثلاثة ، فقدمه على المقتصد ، والسابق بالخيرات) [1] ، فالظالم لنفسه عند ابن عربى من المصطفين ، شأنه شأن المقتصد والسابق بالخيرات ، ويختلفون من حيث النظر إلى الوحدة والكثرة ، ويقول الكاشانى (ت:735هــ) فى شــرحه لقول ابن عربى : (إنما فضل الظالم على الباقين ، لأن المقتصد هــو الشــاهد للكثرة فى الواحد ، والواحد فى الكثرة ، جامعا فى شهوده بين الحــق والخلــق والسابق بالخيرات ، هو الذى شهد الكثير واحدا ، فوحد الكثير ، وسار مــن كثير إلى الواحد ، فهما ليسا فى الحيرة لكونهما معتبرين للخلق مع الحق ، وأمــا هذا الظالم فلا يرى إلا الواحد ، الحقيقى كثيرا بالاعتبار ، فله الضلال أى الحيرة ولذلك قال بعدها : إلا ضلالا ، إلا حيرة المحمدى ، حين قال فى ربــه : زدنى فيك تحيرا) [2] .

****

10ـ الاصطنـاع

****

– **الاصطناع** : الاصطناع المبالغة فى إخراج الشئ وإصــلاحه [3] ، وعــن أبي

---

1. فصوص الحكم ص68 ، وانظر تحذير العباد من أهل العناد لبرهــان الــدين للبقــاعى ص218 ، فى مناقشة معنى الاصفاء عند ابن عربى وموقف علماء الإســلام مــن تلاميــذ مدرسته .

2. السابق ص68٢69 .

3. المفردات ص287 .

سعيد الخدري τ ، أن النبي ε لما كان يوم الحديبية ، قال : " لا توقدوا نارا بليل ، فلما كان بعد ذاك قال : أوقدوا واصطنعوا ، فإنه لا يدرك قوم بعدكم صاعكم ولا مدكم " [1] ، ومن حديث عبد اللَّه بن عمر τ : " أن النبي ε اصطنع خاتما من ذهب ، وجعل فصه في بطن كفه إذا لبسه ، فاصطنع الناس خواتيم من ذهب ، فرقي المنبر ، فحمد اللَّه وأثنى عليه ، فقال : "إني كنت اصطنعته وإني لا ألبسه ، فنبذه فنبذ الناس " [2] .

والتصنع تكلف حسن السمت ، فمن حديث أنس بن مالك τ قال : " مات ابن لأبي طلحة من أم سليم ، فقالت لأهلها : لا تحدثوا أبا طلحة بابنه حتى أكون أنا أحدثه ، قال : فجاء ، فقربت إليه عشاء ، فأكل وشرب ، فقال : ثم تصنعت له ، أحسن ما كان تصنع قبل ذلك ، فوقع بها ، فلما رأت أنه قد شبع وأصاب منها ، قالت : يا أبا طلحة ، أرأيت لو أن قوما أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم ألهم أن يمنعوهم ، قال : لا ، قالت : فاحتسب ابنك " [3]

ويفسر الشوكانى معنى قوله تعالى : { وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي } [طه/41] ، وقوله : { وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي } [طه/39] ، أى لتربى وتغذى بمرأى منى ، يقال : صنع الرجل جاريته إذا رباها ، وصنع فرسه إذا داوم على علفه والقيام عليه ، وذلك

---

1. أخرجه أحمد فى المسند (10824) والحاكم فى المستدرك (4336) وقال صحيح الإسناد و لم يخرجاه 38/3 والطبرانى فى الكبير (8855) 268/5 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب اللباس (5876) 338/10 .

3. أخرجه مسلم فى كتاب فضائل الصحابة (2144) 1689/3 وأحمد (12818) .

معروف فى اللغة ، ولكن لا يكون فى هذا تخصيص لموسى ، فإن جميع الأشياء بمرأى من اللَّه ، وخص موسى بما بين اللَّه ، من تكليفه الرسالة فى قوله : { وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي } ، ولأن الاصطناع لفظ يحمل معنى دوام الرعاية والموالاة التى تؤدى إلى نتيجة مأمولة [1] .

الاصطناع فى الاصطلاح الصوفى :

ومصطلح الاصطناع باق عند الصوفية على أصوله القرآنية ، وهو قريب فى المعنى من مصطلح الاصطفاء ، غير أنهم لم يخصوا موسى ، كما ورد فى القرآن ولكن جعلوه لجميع الأنبياء والصديقين ، كما ورد روى عن أبى سعيد الخراز (ت:279هـ) قال : (أول باد من الحق ، قد أخفاهم فى أنفسهم ، وأمات أنفسهم فى أنفسهم ، واصطنعه لنفسه ، وهذا أول دخول فى التوحيد من حيث ظهور التوحيد بالديمومية) [2] .

وقال السراج الطوسى (ت:387هـ) : (الاصطناع مرتبة بها الأنبياء صلوات اللَّه وسلامه عليهم أجمعين والصديقين ، وقال قوم : الاصطناع خص به موسى من جميع الأنبياء عليهم السلام لقوله تعالى : { وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي } [طه/41] وقال قوم : هى مرتبة الأنبياء عليهم السلام دون غيرهم ، وسئل بعضهم عن قوله تعالى : { وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي } [طه/41] ، وقوله : { وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي } [طه/39]

---

1. فتح القدير 365/3 .

2. اللمع ص447 .

فقال : ما نجا نبى ولا ولى من محنته ، ولا سلم أحد فى منته من فتنته)[1] .

ويذكر الهجويرى (ت:465هـ) أن الاصطناع ، أن يهذب اللّه تعالى العبد بفناء جميع الأنصبة عنه ، وزوال جميع الحظوظ ، ويبدل فيه أوصافه النفسانية حتى يفنى عن نفسه ، بزوال النعت وتبديل الأوصاف ، والمخصوصون بهذه الدرجة هم الأنبياء عليهم السلام دون الأولياء ، وجماعة من المشايخ غيرهم يجيزون هذه الصفة على الأولياء أيضا[2] .

وتكاد تكون الآيات القرآنية ، كقوله جل ذكره : { وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي } هى محل اهتمام الصوفية بمعنى الاصطناع كقول القشيرى (ت:465هـ) فيها : (أى بمرأى منى ، ويقال : لا أمكن غيرى بأن يستبعدك عنى ، أو كما يقال أيضا : أحفظك من كل غير ، ومن كل حديث سوى حديثنا ، ويقال : ما وكلنا حفظك إلى أحد)[3] .

وقال فى قوله تعالى : { وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي } : (استخلصتك لى حتى لا تصلح لأحد غيرى ، ولا يتأتى شئ منك غير تبليغ رسالتى ، وما هو مرادى منك ، ويقال : أفردت سرك لى ، وجعلت إقبالك على دون غيرى ، وحلت بينك وبين كل أحد ممن هو دونى)[4] .

---

1. السابق ص447 .
2. كشف المحجوب ص634 .

3. لطائف الإشارات 456/2 .   4. السابق 458/2 .

وللكاشانى (ت:735هـ) فى كيفية اصطناع اللَّه لموسى υ تأويل باطنى بعيد ، حيث يذكر أن اللَّه أوحى إلى النفس الحيوانية ، أن اقذفى موسى فى تابوت البدن ، أو الطبيعة الجسمانية ، فاقذفيه فى يم الطبيعة الهيولانية ، فليلقه اليم عند ظهور نور التمييز والرشد بساحل النجاة ، يأخذه عدوى ، النفس الأمارة بالسوء الجبارة الفرعونية ، فيلقى عليه اللَّه حبه ، ويجعله محبوبا إلى القلوب وإلى كل شئ حتى النفس الأمارة والقوى المنعطفة عليه ، ولتصنع على كلاءتى وحفظى لك بهذا التدبير .. واستخلصتك لنفسى ، وجعلتك من جملة خواصى ، من بين أهل مدينة البدن ، لما فيك من الخصال الشريفة والأهلية لخلافتى [1] .

****

11ـ الاعتصام

****

الاعتصام : العصم الإمساك والمنع ، والاعتصام الاستمساك قال : { قَالَ لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلا مَنْ رَحِمَ } [هود/43] ، أى لا شئ يعصم منه ، ومن قال معناه لا معصوم ، فليس يعنى أن العاصم بمعنى المعصوم ، وإنما ذلك تنبيه منه على المعنى المقصود بذلك ، وذلك أن العاصم والمعصوم يتلازمان ، فأيهما حصل حصل معه الآخر ، قال : { مَا لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ } [يونس/27] [2] .

---

1. تفسيرالقرآن الكريم ، منسوب إليابن عربى ، ولكنه للكاشانى 41/2، 43 .

2. انظر لسان العرب 403/12 ، والمفردات ص336، 337 .

والاعتصام التمسك بالشئ ، قال تعالى : { وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا } [آل عمران/103] ، وقال : { وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } [آل عمران/101] وعن سفيان بن عبد اللَّه الثقفي τ قال : " قلت يا رسول اللَّه حدثني بأمر أعتصم به ؟ قال : قل ربي اللَّه ثم استقم " (1) ، ومن حديث أبي هريرة τ ، أن رسول اللَّه ε قال : " إن اللَّه يرضى لكم ثلاثا ويكره لكم ثلاثا ، فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، وأن تعتصموا بحبل اللَّه جميعا ولا تفرقوا ، ويكره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال " (2) .

الاعتصام فى الاصطلاح الصوفى :

الاعتصام فى الاصطلاح الصوفى يعنى التمسك بحبل اللَّه ، والطاعة على وفق الكتاب والسنة ، وهذا المعنى هو السائد عند أغلبهم ، ويوافق ما عليه جمهور العلماء من غير الصوفية ، لدلالة الأصول القرآنية والنبوية عليه (3) ، ومن أهم ما ذكره الصوفية فى مصطلح الاعتصام :

---

1. أخرجه الترمذى فى كتاب الزهد (2410) وقال : حديث حسن ، وصححه الشيخ الألبانى 607/4 ، وانظر جزء أشيب ، لأبى على الحسن بن موسى الأشيب البغدادى طبعة دار علوم الحديث ، مراجعه خالد بن قاسم الفجيرة ، سنة1990م ،1410هـ حديث رقم (33) ص60 .
2. أخرجه مسلم فى كتاب الأقضية (1715) 1340/3.

3. معجم اصطلاحات الصوفية الكاشانى ص199 .

(1- قال الحكيم الترمذى (ت:320هـ) : (وسألت عن الاعتصام بحبل الله وعن الاعتصام بالله ، فإن الله تعالى خلق العباد ، وهو أعلم بما يفسدهم وما يصلحهم ، فحرم وأحل .. فلولا القرآن ، ما اهتدى العباد لما يصلحهم مما يفسدهم ، فمن تأدب بأدب القرآن ، فقد اعتصم بحبل الله ، أى امتنع بحبل الله عما يفسده ، وثم للنفس بعد علمه بما فى هذا القرآن تنازع وخصومة ، وتوثب فى هذه المحارم ، ويحتاج العبد إلى أن يعتصم بالله ويجاهد نفسه بقوة ، ما أعطى من العلم والعقل ، والفهم والحفظ ، والذهن والمواعظ ، ويعلم مع ذلك أنه لا ينجيه من ذلك إلا فضل الله ورحمته ، فإذا كان قلبه مع الله فى ذلك ، ولا يلجأ إلى أحد سواه فى الامتناع من ذلك السوء ، كان قد اعتصم بالله عز وجل قال الله تعالى :

{ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } [آل عمران/101]) [1].

---

1. آداب المريدين وبيان الكسب ص107 ، وقارن كلامه بما ذكره الإمام الفقيه الأصولى المحدث ، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبى فى كتابيه الاعتصام والموافقات ، وما ذكره أيضا فى رسالته التى أرسلها إلى شيخ الصوفية فى عصره ، أبى عبد الله محمد بن عباد النفرى ، يسأله عن مسألة وقعت فى غرناطة ، واختلف فيها أنظار العلماء وكثر فيها القيل والقال ، وهى هل على السالك إلى الله تعالى ، أن يتخذ لزاما شيخ طريقة وتربية ، يسلك على يديه ؟ أم يسوغ له ، أن يكون سلوكه إلى الله تعالى من طريق التعلم والتلقى من أهل العلم ، دون أن يكون له شيخ طريقة ؟ ، فكتب إليه الشيخ ابن

عباد رحمه الله ، كلاما نفيسا فى كيفية الاعتصام بالأصول القرآنية والنبوية ، انظر الرسائل الصغرى لابن عباد المطبعة الكاثولكية ، بيروت 1957م ص125:106.

وقريبا من هذا المعنى ، ما ذكره أبو القاسم القشيرى (ت:465هـ) أن حقيقة الاعتصام تظهر فى صدق اللجوء إلي اللّه ، ودوام الفرار إليه واستصحاب الاستغاثة إليه ، والاعتصام بحبله فى التمسك بآثار الواسطة العزيز ، صلوات اللّه عليه ، وذلك بالتحقق والتعلق بالكتاب والسنة ، قال تعالى : { وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا } [آل عمران/103] [1] .

(2- ويدلل أبو إسماعيل الأنصارى الهروى (ت:481هـ) على الاعتصام بقوله تعالى : { وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا } [آل عمران/103] وقوله سبحانه : { وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاكُمْ } [الحج/78] ، ويقول : (الاعتصام بحبل الله ، هو المحافظة على طاعته ، مراقبا لأمره ، والاعتصام بالله هو الترقى عن كل موهوم ، والتخلص من كل تردد ، والاعتصام على ثلاث درجات :

1- اعتصام العامة بالخير استسلاما وإذعانا ، بتصديق الوعد والوعيد ، وتعظيم الأمر والنهى ، وتأسيس المعاملة على اليقين والإنصاف وهو الاعتصام بحبل الله .

2- اعتصام الخاصة بالانقطاع ، وهو صون الإرادة قبضا ، وإسبال الخلق على الخلق بسطا ، ورفض العلائق عزما ، وهو التمسك بالعروة الوثقى .

---

1. لطائف الإشارات 265/1، 267 ، وانظر التوافق بين كلام القشيرى فى الاعتصام وما جاء فى كتاب اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ، تحقيق الدكتور ناصر عبد الكريم العقل 60/1 وما بعدها .

3- اعتصام خاصة الخاصة بالاتصال ، وهو شهود الحق تفريدا بعد الاستخزاء له تعظيما ، والاشتغال به قربا وهو الاعتصام بالله [1] .

(3- ولابن عطاء الله السكندرى ، كلام نفيس فى مصطلح الاعتصام ، من قبيل التفسير الإشارى أو التذكير بالمثل المقبول ، فيقول : (اعلم أن هلاك ابن نوح υ ، إنما كان لأجل رجوعه إلى تدبير نفسه ، وعدم رضاه بتدبير الله الذى اختاره لنوح υ ، ومن كان معه فى السفينة ، فقال له نوح υ : { يَـابُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنْ الْمَاءِ قَالَ لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلا مَنْ رَحِمَ } [هود/42Ƴ43] فآوى فى المعنى إلى جبل عقله ، ثم كان الجبل الذى اعتصم به ، صورة ذلك المعنى القائم به ، فكان كما قال الله : { وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنْ الْمُغْرَقِينَ } [هود/43] ، فى الظاهر بالطوفان وفى الباطن بالحرمان) [2] ، ثم ينبه الصوفى إلى الاعتبار ، إذا تلاطمت عليه أمواج الأقدار ، فلا يرجع إلى جبل عقله الباطل ، لئلا يكون من المغرقين فى بحر القطيعة ، ولكن يرجع إلى سفينة الاعتصام بالله والتوكل عليه { وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } [آل عمران/101] { وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ } [الطلاق/3] [3] .

---

1. التنوير فى إسقاط التدبير لابن عطاء الله السكندرى ، تحقيق موسى محمد على وعبد العال أحمد العرابى ، طبعة مجمع البحوث الإسلامية ص119 .

2. السابق ص121

3. منازل السائرين ص256 .

(3- ويعرف الكاشانى (ت:735هـ) الاعتصام بأنه الاحتماء لقوله : { وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا } [آل عمران/103] ، أى التجئوا إلى اللَّه بسبب النجاة الذى هو حبل اللَّه ، وهو القرآن المجيد ، ليحميكم اللَّه من وقوع العذاب بكم ، قال تعالى : { وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } [آل عمران/101] أى يحتمى به ، وهذا الاعتصام يذكره الكاشانى على عدة أنواع :

1- اعتصام العامة : ويكون بالمحافظة على الطاعة ، مراقبة لأمر اللَّه ، بحيث يكون العبد ، إنما يعبد اللَّه لأمره له بالعبادة ، لا لما يرجوه من خير أخروى أو يخافه من شر كذلك ، بل امتثالا لأمره له لا غير ، وهذا هو الاعتصام بحبل اللَّه الذى هو سبب الوصول إليه .

2- اعتصام الخاصة : وهو احتماؤهم بإرادته تعالى عن إرادهم ، بانقطاع أنفسهم عن غرض الإرادات ، فلا يبقى لهم إرادة ، ويسمى بصون الإرادة المشار إليه فى قول أبى يزيد (ت:261هـ) : (أريد ألا أريد) .

3- اعتصام خاصة الخاصة : وهو احتماء العبد بهوية الحق ، عن رؤية إنية يضيفها إلى نفسه ، أو إلى غيره من الخلق .

4- اعتصام خلاصة خاصة الخاصة : وهو أن يستهلك العبد تحت قهر سلطان التجليات الإلهية [1] ، ويراعى فى تقسيم الهروى والكاشانى للاعتصام ، أنه تقسيم اجتهادى ذوقى ، يفتقر إلى الدليل النقلى المقنع ، وخصوصا تقسيم الكاشانى لأن فيه معان كثيرة ، مغايرة للأصول القرآنية والنبوية .

---

1. لطائف الإعلام 220/1

****

12ـ الامتحان

****

الامتحان : ورد فى القرآن والسنة على معنى الاختبار والابتلاء ، كقـــول الله تعالى : { أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى } [الحجرات/3] ، وهم الـــذين يغضون أصواتهم عند رسول اللَّه ε ، قال قتادة فى معنى الآية : " أخلص قلوبهم للتقوى كما يمتحن الذهب بالنار فيخرج جيده من رديئه ويسقط خبثه " [1] .

ومن حديث علي بن أبي طالب τ ، أن النبي ε قال : " يا معشر قريش لتنتهن ، أو ليبعثن اللَّه عليكم ، من يضرب رقابكم بالسيف على الدين ، قد امـــتحن اللَّه قلبه على الإيمان " [2] .

وورد الامتحان بمعنى التثبت من صدق النية واستقرار الإيمان ، كقوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ } [الممتحنة/10] وذلك أن رسول اللَّه ε ، لما صالح قريشا يوم الحديبية ، على أن يرد عليهم من جاءهم من المسلمين ، هاجر إليه النساء فأبى اللَّه أن يـــرددن إلى المشـــركين ، وأمـــر

---

1. فتح القدير 59/5 ، ولسان العرب 401/13 .
2. أخرجه الترمذى فى كتاب المناقب (3715) وقال : حسن صحيح غريب ، وقـــال الشيخ الألبانى : ضعيف الإسناد ، لكن الجملة الأخيرة منه صحيحة متواترة 634/5 .

بامتحانهن ، فكان يستحلفن باللَّه ، ما خرجن من بغض زوج ، ولا رغبة من أرض إلى أرض ، ولا لالتماس دنيا ، بل حبا لله ولرسوله ε ورغبة فى دينه فإذا حلفت كذلك ، أعطى النبى ε زوجها مهرها ، وما أنفق عليها ، و لم يردها إليه [1] .

وعن المسور بن مخرمة τ قال : " جاءت المؤمنات مهاجرات ، وكانت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ، ممن خرج إلى رسول اللَّه ε يومئذ وهي عاتق فجاء أهلها يسألون النبي ε أن يرجعها إليهم ؟ فلم يرجعها إليهم لما أنزل اللَّه فيهن : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنّ } ، فمن أقر بهذا الشرط منهن ، قال لها رسول اللَّه ε : " قد بايعتك كلاما " [2] .

الامتحان فى عرف الصوفية :

والامتحان فى عرف الصوفية ، اختبار القلوب فى مدى صدقها وثباتها على الإيمان ، وذلك برؤية مواقفها فى ابتلاءات الحق ، روى عن خير النساج (ت:بعد300هـ) أنه دخل بعض المساجد فتعلق به شاب من أصحابه ، فقال له : يا شيخ ، تعطف على فإن محنتى عظيمة ، فقال خير النساج : وما محنتك ؟ فقال : افتقدت البلاء وقورنت بالعافية ، وأنت تعلم أن هذه محنة عظيمة [3] .

---

1. السابق 215/5 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب الشروط (2713) 368/5 . 3. اللمع ص448 .

يشير بذلك إلي الأصل القرآنى الوارد فى قوله تعالى : { الم أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ } [العنكبوت/3:1] (1) ويقول السراج الطوسى (ت:387هـ) : الامتحان ابتلاء من الحق ، يحل بالقلوب المقبلة على اللَّه تعالى ومحنتها انقسامها وتشتتها ، ثم يقسم الامتحان إلى ثلاثة أنواع :

1- امتحان لقوم منهم عقوبة .

2 – امتحان لقوم منهم تمحيص وكفارة .

3 – امتحان لقوم منهم استدعاء الزيادة وارتفاع الدرجة (2) .

وكلام السراج الطوسى ، معبر عن المعنى القرآنى بدرجة دقيقة ، ويماثله قول الهجويرى (ت:465هـ) : (الامتحان فى عرف الصوفية ، يعنى امتحان قلوب الأولياء بأنواع البلايا التى تأتى من الحق تعالى ، من خوف وحزن ، وقبض وهيبة ، وأمثال ذلك لقوله تعالى : { أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ } [الحجرات/3] ، وفى هذا درجة عظيمة) (3) ، ولعلهم استقوا هذه المعانى ، من حديث أنس بن مالك τ قال : " كان رسول الله ε

---

1. اللمع ص448 . 2. كشف المحجوب ص632 ، وانظر الفتح الربانى والفيض الرحمانى ، لعبد القادر الجيلانى ، عناية رجب أحمد علام ، طبعة مصطفى البابى الحلبى 1400هـ ، 1979م المجلس التاسع فى ابتلاء المؤمن ص33 .
3. السابق ص449 ، كتب الدكتور فاروق الدسوقى بحثا عن حقيقة الابتلاء وكيف دار =

يكثر أن يقول : يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ، فقلت : يا رسول الله آمنا بك وبما جئت به ، فهل تخاف علينا ، قال : نعم ، إن القلوب بين إصبعين من أصابع الله ، يقلبها كيف يشاء " [1] .

وقول أنس τ : هل تخاف علينا ؟ دليل على أن النبى يتوقع الامتحان من الله ، بتقليب القلب فى أى لحظة ، وأنه على المسلم أن يدعوا الله الإعانة ، قال أبو القاسم القشيرى (ت:465هـ) فى قوله تعالى : { أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى } ، هم الذين تقع السكينة عليهم من هيبة حضرته ، أولئك هم الذين امتحن اللَّه قلوبهم للتقوى ، بانتزاع حب الشهوات منها ، فاتقوا سوء الأخلاق وراعوا الأدب ، ويقال هم الذين انسلخوا من عادات البشرية) [2] .

ويقول فى قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ } : (كان النبى ε يمتحنهن باليمين ، فيحلفن إنهن لم يخرجن إلا لله ولم يخرجن مغايظة لأزواجهن ولم يخرجن طمعا فى مال ، وفى الجملة الامتحان طريق إلى المعرفة ، وجواهر الناس تتبين بالتجربة ، ومن أقدم على شئ من غير تجربة تحسى كأس الندم) [3] .

= عليها موضوع القضاء والقدر فى الإسلام وكيف يفسر من خلالها علاقة الإنسان بربه ؟ من خلال استقصاء شامل للأصول القرآنية والنبوية ، وهو بحث قيم نفيس ، انظر القضاء والقدر فى الإسلام ، طبعة دار الدعوة ، الإسكندرية 1982م ، 166/1 وما بعدها .

1. أخرجه الترمذى فى سننه (2140) ، وقال الألبانى : صحيح 448/4 .

2. لطائف الإشارات 438/3 . 3. السابق 573/3 ، وانظر فى تفصيل الامتحان =

****

13ـ الإنـــابة

****

الإنابة : الرجوع إلى اللَّه بالتوبة ، وفى الذكر الحكيم : { مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَلا تَكُونُوا مِنْ الْمُشْرِكِينَ } [الروم /31] ، أى راجعين إلى ما أمر به ، غير خارجين عن شئ من أمره (1) ، والإنابة وردت فى الكتاب والسنة على معنى الرجوع إلى اللَّه تعالى ، بالتوبة وإخلاص العمل ، كقوله تعالى :

{ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ } [الزمر/54] ، وقوله سبحانه : { فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ } [ص/24] وفى السنة من حديث بريدة τ : " أتقوله مُـــرَاءٍ يا رسول اللَّه ، فقال : لا ، بل مؤمن منيب ، بل مؤمن منيب " (2) ، ومن دعاء النبي ε الذى رواه عبد الله بن عباس τ : " اللَّهم لك أسلمت ، وبك آمنـــت وعليك توكلت ، وإليك أنبت ، وبك خاصمت ، وإليك حاكمت ، فاغفر لي

= وعلاقته بالقلوب ، وما جاء فى كيفية تقليب الله للخواطر فى قلب وانبعاثها من نازع الخير أو نازع الشر ، ومن هاتف الخير أو هاتف الشر ، وكيف تحدث العصمة بالهدية من الله ، والخذلان بالعدل والامتحان ، من التراث الصوفى لســـهل بـــن عبـــد الله ص174 وما بعدها ، وقوت القلوب 123/1 .

1. لسان العرب 775/1 ، وانظر المفردات ص508 ، والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، تأليف أحمد بن محمد المقري الفيومي ، نشر المكتبة العلمية بيروت 629/2 .

2. أخرجه أحمد فى المسند (23002) 349/5 ، وهو حديث صحيح .

ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت " [1] ، ومن حديث عبد الله بن عباس τ أيضا ، يرفعه : " رب اجعلني لك ، شكارا لك ، ذكارا لك رهابا لك ، مطواعا لك ، مخبتا إليك ، أواها منيبا ، رب تقبل توبتي ، واغسل حوبتي ، وأجب دعوتي وثبت حجتي " [2] .

الإنابة فى الاصطلاح الصوفى :

والإنابة فى اصطلاح الصوفية ، وردت على معنى الرجوع من مخالفة الأمر إلى موافقته ، فلا يجدك حيث نهاك ، ولا يفتقدك حيث أمرك [3] ، وقد أورد الكلاباذى (ت:380هـ) فى حدها ، بعض الأقوال التى تتوافق مع المعنى العام للأصول القرآنية أهمها [4] :

1- الإنابة إخراج القلب من ظلمات الشبهات .

2- الإنابة الرجوع من الكل إلى من له الكل .

3- الإنابة الرجوع من الغفلة إلى الذكر ، ومن الوحشة إلى الأنس .

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب الجمعة (1120) 5/3 .

2. أخرجه الترمذى فى كتاب الدعوات (3551) قال أبو عيسى الترمذى : هذا حديث حسن ، وقال الشيخ الألبانى :صحيح 554/5 ، وأخرجه أبو داود (1510) 83/2 والنسائى فى السنن الكبرى (10443) ، 155/6 .
3. لطائف الإعلام 248/1 .
4. التعريفات ص39 .

وقد ذكر الشيخ أبو اسماعيل الأنصارى الهروى (ت:481هـــ) تفصيلا قريبا من هذه المعانى ، اجتهد فى تقسيمها بنوع من الدقة ، يمكن اعتبارها من قبيـــل التفسير ، فقال : الإنابة فى قوله تعالى : { وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ } ثلاثة أشياء [1] :

أولا : الرجوع إلى الحق اصلاحا ، كما رجع إليه اعتذارا ، وذلك يكون بالخروج من التبعات ، والتوجع للعثرات ، واستدراك الفائتات .

ثانيا : الرجوع إليه وفاء ، كما رجع إليه إجابة ، وذلك يكون بالخلاص من لذة الذنب ، وبترك استهانة أهل الغفلة ، تخوفا عليهم مع الرجاء ، لنفســك بالاستقصاء فى رؤية علل الخدمة .

ثالثا : الرجوع إليه حالا ، كما رجع إليه إجابة ، وذلك بالإياس من عملــك ومعاينة اضطرارك ، وشيم برق لطفك .

والإنابة بالمعنى القرآنى السابق عند بعض الصوفية إنابة العوام ، أما ما يتلوها من مراتب الإنابة ، فهى للخواص على اختلاف درجاتهم ، فإنابة الخاصــة : هــى الرجوع من مخالفة الإرادة الإلهية إلى موافقتها ، بحيث لا يختلج فى القلب إرادة شئ من الأشياء ، لعلمه أنه لا يقع إلا ما أراد اللّه وقوعه [2] ، يقول الكاشانى : (وهذا أحد الوجوه التى يحمل عليها قول أبى يزيد : أنا المراد وأنت المريد ، إذ

لا مريد سواه ، فالكل مراد له تعالى ، فإنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن [3]
.

1. منازل السائرين للهروى ص178 .
2. لطائف الإعلام 248/1، 249 . 3. السابق 249/1 .

ثم إنابة خاصة الخاصة : وهى ألا يرى مع اللّه سواه [1] ، ثم إنابة خلاصة خاصة الخاصة : وهى ألا يرى فيما يقال إنه سواه ، أنه شئ سوى مراتب تجلياتـــه [2] ثم إنابة صفاء خلاصة خاصة الخاصة : ويعرف الكاشانى حدها عندهم بقوله : (تمكنك عند إنابتك إليه ، بحيث لا تنقهر تحت سلطنة التجلى ، عن رؤية المجلى باستهلاكك فى نور المتجلى ، لئلا يستهلك أحكام المراتب ، فيفوتـــك الخـــير الكثير ، الذى هو معرفة الحكمة فى أحكام مواقع تلك التجليـــات ، والقيـــام بحقوقها) [3] .

ولا شك أن هذا التقسيم في مثل هذه المتواليات الصوفية ، جـــرأة عجيبـــة ومبالغة غريبة فى التصنيف الذى يعوزه الدليل ، لا سيما بمثل هذا الكلام الذى يخرج من دلو الوحدة ، كما أن الإنابة من أعمال القلوب وهى غيـــب ، فـــإن قسمها الكاشانى بناء على إحساسه الإيمان ، فما الدليل على تعميمه عنـــد الصوفية ؟ ، ويمكن أن نلحظ فى مثل هذه التقسيمات ،مدى الـــتغير الـــدلالى للمصطلح الصوفى ، عبر مراحل التطور فى حركة التصوف ، من معان قريبـــة

للأصول القرآنية والنبوية فى مراحله الأولى ، إلى معان مركبة معقدة تفتقـــر إلى الدليل النقلى أو العقلى .

---

1. السابق 249/1 .
2. السابق 249/1 وهذا المعنى والذى يليه نابع من معين وحدة الوجود .
3. السابق 249/1 ، انظر فى معانى النيابة عند ابن عربى ، المعجم الصوفى للـــدكتورة سعاد حكيم ص1077 .

****

14ـ الإيثـــار

****

الإيثار : تفضل الغير على النفس ، قال تعالى : { وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ } [الحشر/9] ، أى يفضلون غيرهم عليهم ، وقوله تعالى عـــن إخوة يوسف : { قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا } [يوسف/91] ، أى فضلك .

وقوله ε : " ستكون بعدي أثرة ، وأمور تنكروها ، قالوا يا رســول اللَّـــه : كيف تأمر من أدرك منا ذلك ؟ قال : تؤدون الحق الذي عليكم ، وتسألون اللَّه الذي لكم " [1] ، أى يستأثر بعضكم على بعض ، والاستئثار التفرد بالشئ من دون غيره [2] .

وقال رسول اللَّه ε ، لأبي هريرة τ : " عليك السمع والطاعة ، في عســرك ويسرك ، ومنشطك ومكرهك ، وأثرة عليك " [3] ، وعنـــه τ أيضـــا : " أن

رجلا أتى النبي ε ، فبعث إلى نسائه ، فقلن : ما معنا إلا الماء ، فقال رسول اللَّه ε : من يضم أو يضيف هذا ؟ ، فقال رجل من الأنصار أنا : فانطلق به إلى امرأته فقال : أكرمي ضيف رسول اللَّه ε ، فقالت : ما عندنا إلا قوت

1. أخرجه مسلم فى كتاب الإمارة (1843) 1467/3 .
2. لسان العرب 7/4 ، والمفردات ص 9 ، 10 ، ومختار الصحاح ص2 .
3. أخرجه مسلم فى كتاب الإمارة (1836) 1462/3 .

صبياني ، فقال : هيئي طعامك ، وأصبحي سراجك ، ونومي صبيانك إذا أرادوا عشاء ، فهيأت طعامها ، وأصبحت سراجها ، ونومت صبيانها ، ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته ، فجعلا يريانه أنهما يأكلان ، فباتا طاويين ، فلما أصبح غدا إلى رسول اللَّه ε ، فقال : ضحك اللَّه الليلة ، أو عجب من فعالكما فأنزل اللَّه : { وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ } " [1] .

الإيثار فى الاصطلاح الصوفى :

والإيثار فى الاصطلاح الصوفى يرد على المعنى القرآنى ويرد على غيره :

فمن المعنى القرآنى : الإيثار هو تخصيص الغير على النفس [2] ، كما روى عن أبى حفص النيسابورى (ت:270هـ) أنه قال : (الإيثار ، أن تقدم حظوظ الإخوان على حظك ، فى أمر آخرتك ودنياك) [3] وقولة فى حظ آخرتك ودنياك فيه نظر ، لأن إثار الدنيا ، مبتغاه ما عند الله فى الآخرة ، والزهد فى

الدنيا ، مقترن بالرغبة فى الآخرة ، أما الزهد فى الآخرة ، وإيثار الغير فهو مخالف لما رواه أبو هريرة τ ، أن رسول الله ε قال فى الصف الأول : " ولو يعلمون ما فى الصف المقدم ، لاستهموا " [4] ، والأقرب من كلام الصوفية إلى الأصـــول

1. أخرجه البخارى فى كتاب المناقب (3798) 149/7 .
2. لطائف الإعلام 257/1 وانظر مواقع النجوم لابن عربى ص97 وقارن .
3. طبقات الصوفية ص122 .
4. أخرجه البخارى عَنْ أَبِي هُرَيْـرَةَ فى كتـاب الأذان (580) 68/2 ، و مسلم فى كتاب المساجد ومواضع الصلاة (654) واللفظ له .

القرآنية والنبوية فى الإيثار ، ما ينسب لعبد اللَّه بن خفيف (ت:371هـ) أنه قال : (إن استطعت ألا يسبقك أحد إلى مولاك فافعل ، ولا تؤثر على مولاك شيئا) [1] .

وهذا الإيثار يسميه عبد الرزاق الكاشانى (ت:735هـ) إيثار الشريعة فيقول : (إيثار الشريعة ، هو الإيثار الذى تدعوا إليه الشريعة ، وهو أن يكون العبد مؤثر اللَّه ورسوله ، على هوى نفسه ، بحيث لا يعصى اللَّه فى شئ مما أمر ونهى ، قال ε : " والذى نفسى بيده ، لا يؤمن أحدكم ، حتى يكون هواه تبعا لما جئت به " [2] .

أما الإيثار الحقيقى عند الكاشانى ، فهو الإيثار من منظور أصحاب الوحـدة حيث يسميه إيثار المتقين ، وهو إيثار هؤلاء القوم الذين جعلوا أنفسهم وقايـة

للحق ، وهذا باطن التقوى ، فيؤثرون نسبة المذام والنقائص إليهم ، وقاية للحق

---

1. السابق ص144 وانظر أيضا فى الإيثار على هذا المعنى : الفتح الربانى والفيض الرحمانى لعبد القادر الجيلانى ، المجلس الخامس عشر فى إيثار المؤمن على نفسه ص55 وما بعدها ، والتمكين فى شرح منازل السائرين ، تأليف محمود المنوفى ، طبعة دار النهضة العربية القاهرة ص137 وما بعدها ، وشفاء السائل فى تهذيب المسائل ، لابن خلدون نشر عبده خليفة ص44 .
2. لطائف الإعلام 257/1 ، والحديث أخرجه ابن رجب فى جامع العلوم والحكم عن عمرو بن العاص برقم (41) 376/1 وقال : حديث حسن صحيح ، رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح ، وانظر أيضا نوادر الأصول فى أحاديث الرسول 164/4 .

وتنزيها له عن ذلك ، وكذا لا ينسب القيام والاتصاف بشئ من الفضائل والكمالات ، لأن له كل ذلك بلا مشارك ، فمن راعى جمال الحق فيما يضاف إليه من أوصاف الخلق على هذا الحد من التأدب ، معه فهو المتصف بحقيقة التقوى وباطنها ، لأنه قد جعل نفسه وقاية للحق ، أن ينسب إليه شيئا من المذام بل إليها ، واتقاه أيضا عن أن يتهجم عليه ، باعتقاد مشاركته فى شئ ينسب إلى نفسه شيئا من المحامد التى إنما ينسبها إلى ربه فقط ، مع علمه بما أخبر به تعالى عن نفسه ، بقوله : { وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ } [هود/123] لأن الكل خلق اللّه وإيجاده [1] .

وهناك معان أخرى ذكرت فى الإيثار ، بعيدة عن المعنى الشرعى ، ومخالفة للأصول القرآنية والنبوية [2] .

---

1. لطائف الإعلام 260/1 ، وانظر المزيد فى فصوص الحكم لابن عربى 183/1 وبلغة الخواص لابن عربى ص35 .
2. السابق 261:258/1 حيث ذكر نوعا من الإيثار سماه إيثار الحقيقة ، ونوعا آخر سماه إيثار الإيثار ثم إيثار الملامتية ، وإيثار المستأثر ، وإيثار المستفيد ، وإيثار الخلة ، وإيثار الخليل ، وإيثار الأديب ، وإيثار حق الإيثار ، والعجيب أن الكاشانى اعتبر كل هذه مصطلحات صوفية لمجرد أن ابن عربى ذكر لفظا لا يعنى به الاصطلاح ، ولكنه ورد فى سياق المعنى العام للألفاظ ، انظر مثلا كلام ابن عربى فى الإثار فى كتابه ، مواقع النجوم ص97 ،98 ، وإذا ما كان من الممكن اعتبار ما تقدم من الألفاظ التى ذكرها الكاشانى مصطلحات منسوبه إلى الصوفية .

****

15 ـ البخل

****

البخل : البخل إمساك المقتنيات عما لا يحق حبسها عنه ، ويقابله الجود والبخل يرد فى الأصول القرآنية والنبوية على ضربين [1] :

1- بخل بمقتنيات النفس كقوله : { الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ } [الحديد/24] ، وقوله : { وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ

خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ } [آل عمران/180]
وقال سبحانه : { وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى } [الليل/6] .

وعن أبي هريرة τ ، أن النبي ε قال : " مثل البخيل والمتصدق ، مثل رجلين عليهما جبتان من حديد ، قد اضطرت أيديهما إلى تراقيهما ، فكلما هم المتصدق بصدقته اتسعت عليه ، حتى تعفي أثره ، وكلما هم البخيل بالصدقة انقبضت كل حلقة إلى صاحبتها وتقلصت عليه وانضمت يداه إلى تراقيه " [2] .

وعن بكر بن عبد اللَّه المزني ، قال : كنت جالسا مع عبد الله بن عباس τ عند الكعبة فأتاه أعرابي ، فقال : ما لي أرى بني عمكم يسقون العسل واللبن وأنتم تسقون النبيذ ، أمن حاجة بكم أم من بخل ؟ فقال ابن عباس τ :

---

1. المفردات ص38 ، ولسان العرب 47/11 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب الجهاد والسير (2917) 117/6 .

الحمد لله ما بنا من حاجة ولا بخل ، قدم النبي ε على راحلته ، وخلفه أسامة فاستسقى ، فأتيناه بإناء من نبيذ ، فشرب وسقى فضله أسامة ، وقال : أحسنتم وأجملتم كذا فاصنعوا ، فلا نريد تغيير ما أمر به رسول اللَّه ε [1] .

2- بخل بمقتنيات الغير ، وهو الأكثر مذمة ، قال تعالى : { الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ } [الحديد/24] .

وعن عبد اللَّه بن عمرو τ أن رسول اللَّه ε خطب ، فقال : " إياكم والشح ، فإنما هلك من كان قبلكم بالشح ، أمرهم بالبخل فبخلوا ، وأمرهم بالقطيعة

فقطعوا ، وأمرهم بالفجور ففجروا " [2] ، وعن جبير بن مطعم τ أن النبي ε قال : " لو كان لي عدد هذه العضاه نعما ، لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ، ولا كذوبا ، ولا جبانا " [3] ، وقال عمر بن الخطاب τ قسم رسول اللَّه ε قسمة ، فقلت : يا رسول اللَّه ، لغير هؤلاء أحق منهم ، أهل الصفة ، فقال رسول اللَّه ε : إنكم تخيروني ، بين أن تسألوني بالفحش ، وبين أن تبخلوني ، ولست بباخل) [4] .

---

1. أخرجه مسلم فى كتاب الحج (1316) 2/.953
2. أخرجه أبو داود فى كتاب الزكاة (1698) وصححه الشيخ الألبانى : 33/2 والبخارى فى الأدب المفرد (470) ص166، والبيهقى فى السنن الكبرى (7607) 187/4 .
3. أخرجه البخارى فى كتاب الجهاد والسير (2821) 42/6 .
4. أخرجه مسلم فى الزكاة (1056) 730/2 ، وأحمد فى المسند (128) واللفظ له .

وقد يستخدم البخل على معنى اصطلاحى ، وإن احتفظ بمدلوله اللغوى كما روى عن علي بن أبي طالب τ ، أن رسول اللَّه ε قال : " البخيل الذي من ذكرت عنده ، فلم يصل علي " [1] ، وقد تعددت الروايات فى تعوذه ε من البخل عامة ، ففى حديث أنس بن مالك τ ، أن رسول اللَّه ε كان يدعو :
" أعوذ بك من البخل والكسل ، وأرذل العمر ، وعذاب القبر ، وفتنة الدجال وفتنة المحيا والممات " [2] .

البخل فى الاصطلاح الصوفى :

والبخل ورد فى اصطلاح الصوفية ، على المعانى السابقة المذكورة فى الأصول القرآنية ، ومن كلامهم الذى يعد شرحا وتفسيرا لما سبق ، ما روى عن أبى حفص النيسابورى (ت:270هـ) أنه سئل عن البخل ؟ فقال : (ترك الإيثار عند الحاجة إليه) [3] ، وعن أبى على الجوزجانى (ت:بعد300هـ) أنه قال فى البخل : (هو ثلاثة أحرف : الباء وهو البلاء ، والخاء وهو الخسران ، واللام وهو اللوم ، فالبخيل بلاء فى نفسه ، وخاسر فى سعيه ، وملوم فى بخله) [4] .

---

1. أخرجه الترمذى فى كتاب الدعوات برقم (3546) 551/5 ، وقال : حديث حسن وأحمد فى المسند (1738) واللفظ له .
2. أخرجه البخارى فى كتاب تفسير القرآن (4707) 239/8 .
3. طبقات الصوفية ص120 ، تجدر الإشارة إلى أن معاجم المصطلح الصوفى خلت من مصطلح البخل مع كونه من عيوب النفس التى تكلم فيها كثير من الصوفية كما نرى .
4. السابق ص246 .

وكلام الجوزجانى من قبيل مذمة البخل ، لكن اجتهاده فى تفسير الحروف لا يعتد به ، لافتقاره إلى الدليل .

ولأبى القاسم القشيرى (ت:465هـ) فى مصطلح البخل ، كلام قريب إلى حد ما من الأصول القرآنية ، فيذكر أن البخل على لسان أهل العلم ، منع الواجب ، وعلى بيان الإشارة ، ترك الإيثار فى زمان الاضطرار ، والبخل فى

قوله تعالى : { الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ } [الحديد/24] معناه منعهم عن مطالبات الحقائق ، فى معرض الشفقة عليهم بموجب الشرع ، وبيان هذا أن يقع بلسانك الانسلاخ عن العلائق وحذف فضولات الحالة [1] .

و فى قوله تعالى : { وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ } [آل عمران/180] .

يقول القشيرى : (من آثر شيئا على اللّه ، لم يبارك له فيه ، فلا يدوم له فى الدنيا بذلك استمتاع ، ولا للعقوبة عليه فى الآخرة عنه دفاع ، والبخل على لسان العلماء منع الواجب ، وعلى مقتضى الإشارة إبقاء شئ ، ولو ذرة من المال أو نفسا من الأحوال) [2] .

---

1. لطائف الإشارات 332/1 ، 333 .
2. السابق 300/1 .

****

16ـ البسـط

****

البسط : بسط الشئ نشره وتوسعه ، وهو ضد القبض ، ويستخدم فى المحسوسات وغيرها ، فمن الأول ، قوله عز وجل : { وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ } [الكهف/18] ، وعن أبي هريرة τ قال : " قلت يا رسول اللَّه : إني أسمع منك حديثا كثيرا أنساه ، قال : ابسط رداءك ، فبسطته ، قال : فغرف بيديه ، ثم قال : ضمه ، فضممته ، فما نسيت شيئا بعده " (1) ، وعن عائشة رضى الله عنها ، أنها قالت : " كنت أنام بين يدي رسول اللَّه ε ، ورجلاي في قبلته ، فإذا سجد غمزني ، فقبضت رجلي ، فإذا قام بسطتهما " (2) ، وعنها أيضا : " أن النبي ε كان له حصير ، يبسطه بالنهار ، ويحتجره بالليل " (3) .

ومن الثانى البسط فى المعانى ، وهو الشاهد للمعنى الصوفى ، كقوله عز وجل : { وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ } [الشورى/27] ، أى لو وسعه ، وقوله : { إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ } [البقرة/247] أى سعة فبسطته فى العلم ، هو انتفاعه به ونفع غيره ، فصار له به بسطة أى جود (4) .

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب العلم (119) 259/1 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب الصلاة (513) 700/1 .
3. أخرجه البخارى فى كتاب الأذان (730) 353/4 .
4. المفردات ص46 .

وعن أنس بن مالك τ ، قال : سمعت رسول اللَّه ε يقول : " من سره أن يبسط له في رزقه ، أو ينسأ له في أثره ، فليصل رحمه " (1) ، ومن حديث عروة بن الزبير τ ، قال رسول اللَّه ε : " فواللَّه ، ما الفقر أخشى عليكم ، ولكني

أخشى أن تبسط عليكم الدنيا ، كما بسطت على من كان قبلكم ، فتنافسوها كما تنافسوها ، وتهلككم كما أهلكتهم " [2] .

وبسط اليد مدها ، وبسط الكف يستعمل على أنواع ، تارة للطلب نحو قوله تعالى : { إِلا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ } [الرعد/14] وتارة الأخذ نحو : { وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمْ } [الأنعام/93] وتارة للصولة والضرب ، قال تعالى : { وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ } [الممتحنة/2] وتارة للبذل والإعطاء نحو : { بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ } [المائدة/64] [3].

البسط فى الاصطلاح الصوفى :

البسط فى الاصطلاح الصوفى ، بسط إيمانى ، ويعنى الفرح بالتوفيق ، والثقة بالوعد فى الآيات ، واتساع الرحمة على جميع الكائنات ، وهذا بسط البدايات عندهم [4] ، وهو الذى يتوافق مع الأصول القرآنية من جهتين :

1. أخرجه البخارى فى كتاب البيوع (2067) 4/353.
2. أخرجه البخارى فى كتاب المغازى (4015) 7/371.
3. لسان العرب 7/259 ، والقاموس المحيط 1/850 .
4. معجم الكاشانى ص354 .

1- مبادرة العبد إلى الزيادة الإيمانية المستمرة ، بإقباله على اللّه ، وهو أحد الوجوه التى ذكرها أبو القاسم القشيرى فى قوله تعالى : { وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ } [البقرة/245] ، فقبض القلوب بإعراضها ، وبسطها بإقبالها [1] .

والبسط قد يطلق عندهم علي غلبة الرجاء فى القلب ، كما ذكر عن الجنيد بن محمد (ت:297هـ) أنه قال : (الخوف من اللَّه يقبضنى ، والرجاء منه يبسطنى) [2] .

ووروى عن أحمد بن عطاء الروذبارى : (ت:369هـ) أنه سئل عن القبض والبسط ؟ فقال : (إن القبض أول أسباب الفناء ، والبسط أول أسباب البقاء ، فحال من قبض الغيبة وحال من بسط الحضور ، ونعت من قبض الحزن ، ونعت من بسط السرور) [3] .

2- البسط من جهة التوفيق الإلهى للعبد فى بلوغه درجة الإيمان ، فالبسط على هذا ، نور ينبسط على القلب يخلقه اللَّه فيه [4] ، وهذا الوجه يدل عليه قوله تعالى : { فَمَنْ يُرِدْ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ } [الأنعام/125] ، وقوله : { وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ } [التغابن/11] .

وقد ورد للبسط عندهم معان أخرى مبنية على التقسيم الذوقى والاجتهاد الشخصى الذى يفتقر إلى الدليل النقلى ، منها :

1. لطائف الإشارات 190/1 .
2. الرسالة 212/1 .
3. الرسالة 212/1 .
4. طبقات الصوفية ص499 .

1- البسط فى مقام القلب ، بمثابة الرجاء فى مقام النفس ، وهو فى مقام القلب وارد بإشارة إلى قبول ولطف ، ورحمة وأنس ، والبسط فى مقام النفس ، هو

أن يبسط اللّه العبد مع الخلق ظاهرا ، ويقبضه إليه باطنا ، رحمة للخلق ، فهو يسع الأشياء ، ويؤثر فى كل شئ ، ولا يؤثر فيه شئ [1] .

2- البسط عبارة عن تجل رحمانى ، به انتشر فى الوجود ، وما كان منطويا فى العلم الإلهى ، وكل بسط فى الوجود من هذا التجلى الرحمانى [2] .

3- البسط لمحمد ε ، فإنه كان متصفا بالقبض والبسط [3] ، ثم استدلوا لذلك برواية عن أسماء بنت عميس ، أنه ε قبض على الشمس ، فوقفت حتى صلى على τ [4] ، يقول الجيلى : (فهذا دليل عظيم ، على اتصافه بالقبض والبسط ، فإنه قبض على الشمس أن تغيب وبسط فى النهار حتى زاد ووقفت الشمس على الجبال والأرض) [5] .

---

1. أبو الحسن الشاذلى ص129 للدكتور عبد الحليم محمود .
2. انظر التحبير فى التذكير للقشيرى ص45 وقارن الإملاء للغزالى ص66 واصطلاحات الصوفية لابن عربى ص5 ، لطائف الإعلام 283/1 .
3. الكمالات الإلهية فى الصفات المحمدية للجيلى ص105 .
4. موضوع ، قال الإمام أحمد : لا أصل له ، وأورده ابن الجوزى فى الموضوعات ، انظر كشف الخفا ومزيل الإلباس 428/1 .
5. الكمالات الإلهية فى الصفات المحمدية ص278 .

****

17ـ البصيرة

****

- **البصيرة** : تقال لقوة القلب المدركة ، قال تعالى : { قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي } [يوسف/108] ، أى على معرفة وتحقق وتقال أيضا للحجة والاستبصار فى الشئ ، كقوله تعالى : { بَلْ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ } [القيامة/14] [1] ، ومن حدث أبي سعيد الخدري τ ، قال رسول اللَّه ε عن الدجال : " يقول له الدجال : أتؤمن بي ؟ فيقول : ما ازددت فيك إلا بصيرة " [2] .

- **البصيرة فى الاصطلاح الصوفى :**

والبصيرة فى الاصطلاح الصوفى ، قوة باطنة هى للقلب كعين الرأس ، ويقال هى عين القلب عندما ينكشف حجابه ، فيشاهد بها بواطن الأمور ، كما يشاهد عين الرأس ظواهرها ، ولهذا قالوا : البصيرة ما يخلص من الحيرة [3] .

ووردت عندهم أيضا على معنى التحقق من الشئ ، وزيادة اليقين وتوكيده كالتحقق من الدعوة إلى المتابع للكتاب والسنة واتباع الوحى ، يقول الجنيد بن

1. المفردات ص49 .
2. أخرجه مسلم فى كتاب الفتن (2938) 2256./4
3. لطائف الإعلام 284/1 ، ومعجم الكاشانى ص64 .

محمد (ت:297هـــ) : (الطرق كلها مسدودة ، إلا على المقتفين آثار الـــنبى صلى الله عليه وسلم ، لقوله تعالى : { قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّـــهِ عَلَـــى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي } [يوسف/108]) [1] .

ويعرف السراج الطوسى (ت:387هـــ) البصيرة ، بألا يشهد الصوفى لنفسه ولا يرى نفسه ، فيستقطعه بشواهده ، ويوقن أنه ليس إلى نفسه شئ من الهداية وأنه لا يملك ضرا ولا نفعا ، إلا أن يتولى اللَّه تعالى ذلك [2] ، ويقاربه أيضـــا قول القشيرى (ت:465هـــ) : (البصيرة اليقين الذى لا مرية فيه ، والبيـــان الذى لا شك فيه ، والبصيرة يكون صـــاحبها ملاحظـــا بـــالتوفيق جهـــدا ومكاشفا ، بالتحقق سرا) [3] ، وله أيضا : (البصيرة ، أن تطلع شموس الفرقان فتندرج فيها أنوار نجوم العقل ، لقوله تعالى : { قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّـــهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي } [4] .

ولئن كان معنى البصيرة فيما سبق ، قريب من الأصول القرآنية ، إلا أنه أخذ عند بعض الصوفية بمعنى آخرى مفارق ، فيعنون بها الدعو إلى أحدية الـــذات

---

1. انظر حلية الأولياء 257/1 ، والأمر بالإتباع والنهى عن الابتداع للسيوطى ص53 .
2. اللمع ص153، والبصيرة التى يذكرها السراج الطوسى تعد من كمالات التوحيـــد ونسبة الفضل ، وأفعال الخير ، والطاعة التى يقوم بها الإنسان إلى الله ، وإن كان العبد له جهد ومبادرة .
3. لطائف الإشارات 213/2 .
4. السابق 213/2 .

الموصوفة بكل الصفات فى عين الجمع ، بحيث يرى الوحدة فى عين الكثرة والمجمل فى عين المفصل ، وعند العبور من الباطن إلى الظاهر ، وبالعكس ، أى يرى الكثرة فى الوحدة ، والمفصل فى المجمل مع وحدة المجلى والمتجلى فيه بالعين وإن وقع الاختلاف بالتعين [1] .

****

18 ـ البعد

****

البعد : ضد القرب وليس لهما حد ممدود ، وإنما ذلك بحسب اعتبار المكان بغيره ويستعمل البعد على نوعين [2] :

1- البعد فى المحسوس وهو الأكثر ، كقوله تعالى : { أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيد } [فصلت/44] ، وقوله سبحانه : { حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَالَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ } [الزخرف/38] ، ومن دعاء النبى ε في السفر : " اللَّهم هون علينا سفرنا هذا ، واطو عنا بعده " [3] .

1. انظر لطائف الإعلام 285/1 وقارن بتفسير القرآن الكريم للكاشانى ، منسوب لابن عربى 624/1 وانظر الكمالات الإلهية فى الصفات المحمدية ص281 فى معنى البصيرة فى مفهوم الجيلى عند وصفه الرسول ε بالأسماء والصفات الإلهية ، واحتجاجه على بصيرة النبى ε برؤيته للجنة والنار وعجائب الملكوت الأعلى ، وانظر الشفا ، للقاضى عياض تحقيق سعيد عبد الفتاح 283/1 .

2. المفردات ص53 .   3. أخرجه مسلم فى كتاب الحج (1342) 978/2 .

2- البعد فى المعنويات ، كقوله تعالى : { بَلْ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلالِ الْبَعِيدِ } [سبأ/8] ، أى الضلال الذى يصعب الرجوع منه إلى الهدى، تشبيها بمن ضل عن محجة الطريق بعدا متناهيا ، فلا يكاد يرجى له العود إليها ، وقوله : { وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ } [هود/89] ، أى تقاربونهم فى الضلال ، فلا يبعد أن يأتيكم ما آتاهم من العذاب [1] ، ويحتمل البعد الزمنى والمكانى ، وعن أبي سعيد الخدري τ ، قال النبي ε : " إني فرطكم على الحوض ، من مر علي شرب ، ومن شرب لم يظمأ أبدا ، ليردن علي أقوام أعرفهم ويعرفوني ، ثم يحال بيني وبينهم ، فأقول : إنهم مني ؟ ، فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، فأقول سحقا سحقا لمن غير بعدي " ، وقال عبد الله بن عباس τ :

" سحقا بعدا ، يقال : سحيق بعيد ، سحقه وأسحقه أبعده " [2] .

البعد فى الاصطلاح الصوفى :

والبعد فى الاصطلاح الصوفى ، يذكر على معنى البعد عن اللّه ، ويضاده القرب ، كما روى عن أبي حفص النيسابورى (ت:270هـ) ، أنه قال :

(التصوف كله آداب ، لكل وقت أدب ، ولكل مقام أدب ، فمن لزم آداب الأوقات ، بلغ مبلغ الرجال ، ومن ضيع الآداب ، فهو بعيد من حيث يظن

---

1. المفردات ص53 .

2. أخرجه البخارى فى كتاب الرقاق (6585) 472/11 .

القرب ، ومردود من حيث يرجو القبول) [1] .

ويرى الصوفية الرياء بعدا وتجريد التوحيد الإخلاص قربا ، ويروى أن أبا الحسين النورى (ت:295هـ) رأى بعض أصحاب أبى حمزة ، فقال : أنت من أصحاب أبى حمزة الذى يشير إلى القرب ؟ ، إذا لقيته فقل له : (إن أبا الحسين النورى يقرئك السلام ويقول لك : قرب القرب فيما نحن فيه بعد البعد) [2] .

ومثل هذه المعانى لها أصولها القرآنية ، وربما كان اعتمادهم فى شرح المعنى على الشاهد النبوى ، كقول أبي القاسم القشيرى (ت:465هـ) : (البعد هو التدنس بمخالفته تعالى ، والتجافى عن طاعته ، فأول البعد بعد عن التوفيق ، ثم بعد عن التحقيق ، بل البعد عن التوفيق فى الحقيقة هو بعد عن التحقيق ، قال ε : " وما تقرب إلى المتقربون بمثل آداء ما فترضتهم عليهم ، ولا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى يحبنى وأحبه ، فإذا أحببته كنت له سمعا وبصرا ، فبى يبصر وبى يسمع " [3] ، والمعنى المشار إليه فى الحديث وإن كان فى القرب ، إلا

---

1. طبقات الصوفية ص119 .

2. الرسالة القشيرية 260/1 .

3. السابق 257/1 ، والحديث أخرجه البخارى فى الرقاق برقم (6502) عن أبي هريرة ولفظه : (وما تقرب إلي عبدي بشيء ، أحب إلي مما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به

ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها) وانظر للمقارنة روضة الطالبين لأبىحامد الغزالى ص59 ، وميزان العمل للمؤلف السابق ص 169 ، والمواقف لابن عباد النفرى ص2 .

أن أنه صحيح فى مصطلح البعد بمفهوم المخالفة ، ويتوافق أيضا مع الأصول القرآنية .

ومن الإنصاف أن يذكر لابن عربى بلسان الظاهر ، قوله : (البعد الإقامة على المخالفات ، وقد يكون البعد منك ، ويختلف باخلاف الأحوال ، فيدل على ما يراد به قرائن الأحوال) [1] .

ويذكر الكاشانى فى تفسيره ، معنى الإقامة على المخالفات ، أن المخالفة من أحكام ما به الافتراق ، والطاعة من أحكام ما به الاجتماع ، والبعد افتراق والقرب اجتماع ، وعلى ذلك يتنوع معنى البعد ، فقد يكون البعد باعتبار النعوت الذاتية ، كافتراق الأشياء وتحيزها بالحدود الذاتية ، وهذا هو البعد الأبعد ، ومن ذلك قوله تعالى : { إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنْ الْعَالَمِينَ } [العنكبوت/6] ، إذ لا جامع بين ذات الغنى بالذات ، وبين الذوات المفتقرة بالذات ، وقد يكون بالنعوت العرضية ، كالمكان والزمان ، والمقدار والألوان ، وقد يكون البعد منك فلا يزول هذا البعد ، إلا من باب دع نفسك وتعالى ، فإن من ترك نفسه بعد عنها ، وتركها إنما هو بترك أوصافها وأخلاقها المبعدة إياها عن مقصدها ، ولا يترك أوصافها وأخلاقها إلا عند اتصافها وتخلقها بالأخلاق الإلهية وصفاقما [2] .

---

1. اصطلاحات الصوفية لابن عربى ص7 ، ولطائف الإعلام 287/1 ، وانظر فى القرب أيضا الفتوحات المكية 173/2 ، 14/3 ، 22/4 وانظر بلغة الخواص ص 18 .

2. رشح الزلال ص88 ، 89 .

****

19ـ البقـــــاء

****

البقاء : ثبات الشئ على حاله الأولى ، وهو يضاد الفناء ، والباقى ضربان :

1- باق بنفسه لا إلى مدة ، وهو البارى تعالى ، ولا يصح عليه الفناء ، فهـــو الآخر الذى ليس بعده شئ ، قال تعالى : { كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ } [الرحمن/27:26] [1] .

2- باق بغيره : وهو ما عداه ويصح عليه الفناء ، والباقى باللَّه ضربان [2] :

أ- باق بشخصه إلى أن يشاء اللَّه أن يفنيه ، كبقاء الأجرام السماوية فى الدنيا وكبقاء أهل الجنة أبدا ، فإنهم يبقون على التأبيد بمشيئة اللَّه لا إلى مدة كما قال سبحانه وتعالى : { خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدا } [البينة/8] .

ب- وباق بنوعه وجنسه دون شخصه وجزئه ، كالإنسان والحيوان فى الـــدنيا وكبقاء نعيم الجنة فى الآخرة ، بنوعه وجنسه متجددا .

ولكون ما فى الآخرة يتصف بالدوام قال عز وجل : { وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْـــرٌ وَأَبْقَى } [القصص/60] ، وعن أبي سعيد الخدري τ ، قال : " قرأ رسول اللَّه ε : { وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ } [مريم/39] ، قال : يؤتى بالموت كأنه كـــبش أملـــح

---

1. المفردات ص57 ، ولسان العرب 79/14 ، ومعجم مقاييس اللغة مادة (بقى) .

2. السابق ص57 .

حتى يوقف على السور بين الجنة والنار ، فيقال : يا أهل الجنة ، فيشرئبون ويقال : يا أهل النار ، فيشرئبون ، فيقال : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم هذا الموت ، فيضجع فيذبح ، فلولا أن اللَّه قضى لأهل الجنة الحياة فيها والبقاء لماتوا فرحا ، ولولا أن اللَّه قضى لأهل النار الحياة فيها والبقاء لماتوا ترحا " [1] .

البقاء فى الاصطلاح الصوفى :

والبقاء فى الاصطلاح الصوفى ، يعنى دوام اتصاف العبد بالأوصاف الحميدة ومجانبته اللائمة لكل ما هو مذموم فى الكتاب والسنة ، وهذا المعنى نجده عند إبراهيم بن شيبان (ت:330هـ) حيث روى عن أنه قال : (علم الفناء والبقاء يدور على إخلاص الوحدانية ، وصحة العبودية ، وما كان غير هذا فهو من المغاليط والزندقة) [2] ، وقال الكلاباذى (ت:380هـ) : (الباقى هو أن

---

1. أخرجه الترمذى فى كتاب تفسير القرآن (3156) وقال : حديث حسن ، وقال الشيخ الألبانى : صحيح دون قوله : فلولا أن الله قضى .. 315/5 ، وأخرجه مسلم 2188/4 (2849) ، والنسائى فى السنن الكبرى (11316) 393/6 .
2. طبقات الصوفية ص404 ، ومن الجدير بالذكر أن علم البقاء والفناء ، لم يعرف فى مرحلة التصوف الأولى البسيط ، وإنما ظهر فى بداية مرحلة التصوف الأولى المركب فحمله المعتدلون من الصوفية على المعنى البسيط ، الموافق للأصول القرآنية ، كما هى عبارة إبراهيم ابن شيبان ، لكنه حمل على معنى بدعى معقد ظهر فى المراحل التالية وانظر نشأة التصوف الإسلامى ، للدكتور إبراهيم بسيونى ، طبعة دار المعارف بمصر

ص228 ، والتصوف الإسلامى الخالص ، محمود أبو الفيض المنوفى ، طبعة دار نهضة مصر ص158 .

تصير الأشياء كلها له شيئا واحدا ، فتكون كل حركاته فى موافقات الحق دون مخالفته ، فيكون فانيا عن المخالفات ، باقيا فى الموافقات ، وليس معنى أن تصير الأشياء كلها له شيئا واحدا، أن تصير المخالفات له موافقات ، فيكون ما نهى عنه كما أمر به ، ولكن على معنى أن لا يجرى عليه ، إلا ما أمر به وما يرضاه اللَّه تعالى ، دون ما يكرهه) [1] ، وهذا المعنى تؤيده الأصول القرآنية والنبوية كما ورد فى قوله تعالى :

{ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا } [مريم/76] ، وقوله : { وجعلها كلمة باقية فى عقبه لعلهم يرجعون } [82/43] ، وقوله : { بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ } [هود/86] ، فهذه الآيات تدل فى المعنى العام ، على ضرورة بقاء العبد على الأوصاف المحمودة شرعا ، من خلال التزامه بأحكام العبودية والعمل فى توحيد اللَّه ، وعن أبي سعيد الخدري τ ، أن رسول اللَّه ε قال : " استكثروا من الباقيات الصالحات ، قيل : وما هي يا رسول اللَّه ؟ قال : الملة ، قيل : وما هي يا رسول اللَّه ؟ قال : الملة ، قيل : وما هي يا رسول اللَّه ؟ قال : الملة ، قيل : وما هي يا رسول اللَّه ؟ قال : التكبير والتهليل والتسبيح والتحميد ، ولا حول ولا قوة إلا باللَّه " [2] .

1. التعرف ص148 ، وقارن ذلك بما ورد عند السهروردى فى عوارف المعارف ص524 ، وانظر رأى المستشرق نيكلسون فى البقاء والفناء ، فى كتابه فى التصوف الإسلامى ترجمة أبى العلا عفيفى .
2. أخرجه أحمد فى المسند (11731) 75/3 والبيهقى فى شعب الإيمان (605) 425/1 وهو صحيح الإسناد ، انظر الترغيب والترهيب 280/2 .

ويحاول أبو القاسم القشيرى (ت:465هـ) أن يجعل البقاء عند الصوفية إشارة إلى قيام الأوصاف المحمودة ، فمن ترك مذموم أفعاله بلسان الشريعة ، يقال فى العرف الصوفى : إنه فنى عن شهواته ، فإذا فنى عن شهواته ، بقى بنيته وإخلاصه فى عبوديته ، ومن زهد فى دنياه بقلبه ، فنى عن رغبته ، فإذا فنى عن رغبته فيها ، بقى بصدق إنابته ، ومن عالج أخلاقه ، فنفى عن قلبه الحسد والحقد ، والبخل والشح ، والغضب والكبر ، وأمثال هذا من رعونات النفس يقال فى عرفهم ، فنى عن سوء الخلق ، فإذا فنى عن سوء الخلق ، بقى بالصدق فى ضدها) [1] .

وقد تجاوز المعنى الصوفى للبقاء هذا الحد عند بعضهم ، وأخذ بمعان لا دليل عليها ، وفيها تجاوز شديد لا يتسع البحث لعرضها [2] .

---

1. انظر الرسالة القشيرية لعبد الكريم القشيرى 228/1 ، والإملاء فى اشكالات الإحياء ص66 ، وشرح الرسالة القشيرية للأنصارى 60/2 .

2. انظر فى تفصيل ذلك : الحب الإلهى عند محى الدين بن عربى ، إعداد منشاوى عبد الرحمن إسماعيل ، رسالة ماجستير ، مخطوط كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، رقم (373) سنة 1983م ، وانظر لابن عربى فى مصطلح البقاء فصوص الحكم ، 14/2 ص72 ، وكتاب التراجم ص7 ، و الديوان ص50 ، وسائل السائل ص44 ، ومواقع النجوم ص15 ، والفتوحات المكية 107/2 ، وانظر الفصل الرابع من القسم الأول مرحلة التصوف الأولى المركب والتصوف الحلولى .

****

20ـ البلاء

****

البلاء : الاختبار ، وسمى التكليف بلاء من أوجه [1] :

1- أن التكاليف كلها مشاق على الأبدان ، فصارت من هذا الوجه بلاء .

2- أنها اختبارات ، ولهذا قال اللَّه تعالى : { وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ } [محمد/31] ، وقال : { وَإِذْ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ } [البقرة/124] .

3- أن اختبار اللَّه تعالى للعباد ، يكون تارة بالمسار ليشكروا ، وتارة بالمضار ليصبروا ، فصارت المحنة والمنحة جميعا بلاء ، فالمحنة مقتضية للصبر ، والمنحة مقتضية للشكر ، والقيام بحقوق الصبر ، أيسر من القيام بحقوق الشكر فصارت المنحة أعظم البلاءين ، قال تعالى : { وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً } [الأنبياء/35] وقوله تعالى : { وَفِي ذَلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ } [البقرة/49] راجع إلى أمرين :

أ- المحنة فى قوله تعالى : { يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ } [البقرة/49] .

ب- المنحة التى أنجاهم : { وَآتَيْنَاهُمْ مِنْ الآيَاتِ مَا فِيهِ بَلاءٌ مُبِينٌ } [الدخان/33] .

---

1. المفردات فى غريب القرآن ص61 ، 62 .

البلاء فى الاصطلاح الصوفى :

البلاء فى الاصطلاح الصوفى ، يرد على معنى الاختبار والامتحان ، كما سبق فى الأصول القرآنية :

يقول المحاسبى (ت:243هـ) : (إن الدنيا فتنة بلوى واختبار ، وإنها ليست بدليل على رضا الله عز وجل عن العباد ، ألم تسمع قوله تبارك وتعالى : { فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِي وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِي } [الفجر/16:15] ، قال الله عز وجل : { كَلا } ، كذبهما جميعا ، فليس هذا بكرامتى ، ولا هذا بهوانى ، ولكن الكريم من أكرمته بطاعتى ، على أى حال كان ، فقيرا كان أو غنيا ، والمهان من أهنته بمعصيتى على أى حال كان ، فقيرا كان أو غنيا ، فاغتر الكافرون بظاهر نعم الله عز وجل ، وظنوا أن ذلك من كراماتهم على الله عز وجل) [1] .

وروى عن سهل بن عبد الله التسترى (ت:293هـ) ، أنه قال : (البلوى من الله على وجهين : بلوى رحمة ، وبلوى عقوبة ، فبلوى الرحمة

يبعث صاحبه على إظهار فقره إلى اللَّه وترك التدبير ، وبلوى العقوبة يبعث صاحبه على اختياره وتدبيره) [2] .

وعلى الوتيرة نفسها ، يبين السراج الطوسى (ت:387هـ) معنى البلاء من

1- الرعاية ص346 .

2- طبقات الصوفية ص210 ،211 .

مفهوم قرآنى محض ، ويدلل عليه بشاهد نبوى ، فيقول : (البلاء ظهور امتحان الحق لعبده فى حقيقة حاله بالابتلاء ، وهو ما يترل به من التعذيب ، وروى عن النبى ε أنه قال : " نحن معشر الأنبياء أشد الناس بلاء " [1] .

وقال على بن عثمان الهجويرى (ت:465هـ) : (البلاء امتحان أجساد الأحبة بأنواع المشقات والأمراض والآلام ، لأنه كلما كان البلاء أكثر قوة على العبد ، فإنه يكون أكثر قربا للحق ، لأن البلاء لباس الأولياء ، ومهد الأصفياء وغذاء الأنبياء صلوات اللَّه عليهم ، ألم تر أن الرسول ε قال : " أشد البلاء للأنبياء ، ثم الأولياء ، ثم الأمثل فالأمثل " وجملة القول ، فإن البلاء اسم للألم الذى يظهر على قلب المؤمن وجسده ، وتكون حقيقية لنعمه ، وبحكم أن سره يكون خافيا على العبد ، فإنه يثاب عليه باحتماله آلامه) [2] .

---

1. اللمع ص429 والحديث أخرجه الترمذى فى الزهد (2398) عن مصعب بن سعد τ عن أبيه ، قال : " قلت يا رسول اللَّه أي الناس أشد بلاء ؟ قال : الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل فيبتلى الرجل على حسب دينه ، فإن كان دينه صلبا اشتد بلاؤه ، وإن كان في دينه رقة

ابتلي على حسب دينه ، فما يبرح البلاء بالعبد ، حتى يتركه يمشي على الأرض مـــا عليـــه خطيئة) وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح 601/4 ، ورواه الحاكم فى المستدرك وقال : صحيح على شرط الشيخين انظر حديث رقم (120) 99/1 .

2. كشف المحجوب ص633 ، والحديث الذى أورده الهجويرى وإن كان معناه صحيحا إلا أنه لا أصل له بهذه اللفاظ ، وتجدر الإشارة إلى أن الهجويرى ينقل ما وصل إلى سمعه مما صح أو لم يصح ، وما صح ، فإنه ينقله بالمعنى وبغير ألفاظه ، وذلك لتساهله الشديد فى النقل عن رسول الله ε ، وانظر المزيد فى الفتح الربانى ص33 ، وقوت القلوب 10/2 وما بعدها .

****

21ـ التـبـتـل

****

- **التبتل** : هو الانقطاع عن الدنيا إلى اللَّه ، قال تعالى : { وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلا } [المزمل/8] ، ومعناه انقطع فى العبادة وإخلاص النية ، انقطاعا يختص به [1] وليس هذا منافيا ، لما ثبت عن سعد بن أبي وقاص τ ، أن رسول اللَّه ε رد على عثمان بن مظعون التبتل ، ولو أذن له لاختصينا [2] ، فإن التبتل فى الحديث هو الانقطاع عن النكاح والعزوف عنه ، ومنه قيل لمريم العذراء البتول أى المنقطعة عن الرجال [3].

- **التبتل فى الاصطلاح الصوفى** :

والتبتل ورد فى الاصطلاح عند أغلب الصوفية يرد على المعنى القرآنى ، يقول القشيرى فى معنى التبتل الوارد فى قوله تعالى : { وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ

تَبْتِيلا } [المزمل/8] أى انقطع إليه انقطاعا تاما [4] ، وقال الكاشانى : التبتل هـــو

1. لسان العرب 42/11 ، والمفردات ص37ـ36 ، مختار الصحاح ص40 .
2. أخرجه البخارى فى النكاح (5074) 19/9 ومسلم فى النكاح (1402) 1020/2.
3. غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي ، تحقيق محمد عبد المعيد خان ، نشر دار الكتاب العربي ، بيروت ، سنة 1396 ، 19/4 .
4. لطائف الإشارات 643/3 .

الانقطاع إلى اللَّه بالكلية ، والإشارة إليه بقوله : { وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلا } ، فقولـــه وتبتل إليه دعوة إلى التجريد المحض [1] ولكنهم قسموا التبتل على ثلاثة أنواع :

1- تبتل العامة هو التجريد عن اللواحظ للناس .

2- تبتل المريد وهو التجريد عن اللواحظ ، إلى ما تدعوا إليه النفس [2] .

3- تبتل الواصل : وهو انقطاعه عما سوى الحق انقطاعا تاما ، وذلك مـــن وجهين مخالفين للأصول القرآنية :

أ- الانقطاع الذى لا يلحظ فيه شيئا من المخلوقات فى عبادتـــه ، لا مـــن أعراض الدنيا ، ولا من أعراض الآخرة يعبده فردا لفرد ، كمـــا روى أبى يزيد البسطامى : (الجنة لا خطر لها عند أهل المحبة ، وأهل المحبة محجوبون بمحبتهم [3] ، وقال : (إن اللَّه قد أمر العباد ونهاهم ، فأطاعوه ، فخلـــع عليهم خلعه ، فاشتغلوا بالخلع عنه ، وإنى لا أريد من اللَّه إلا اللَّه) [4] .

ب- أن ينقطع عما سواه بذكره لنفسه على أنه هو ، وهذا تبتل أهل الوحدة يقول الكاشاني : (واذكر اسم ربك الذى هو أنت ، أى اعرف نفسك واذكرها ولا تنساها ، فينساك اللّه ، واجتهد لتحصيل كمالها بعد معرفة حقيقتها ، وتبتل وانقطع إلى اللّه بالإعراض عما سواه انقطاعا تاما معتدا بالذى ظهر عليك نوره ، فطلع من أفق وجودك بإيجادك) [1] .

****

22 – التجــلى

****

التجلى : الظهور ، يقال : أجليت الأمر بينته وأظهرته ، ومن حديث عبد الله بن عباس τ قال : " خسفت الشمس على عهد رسول الله ε ، فصلى رسول الله ε والناس معه .. ثم انصرف ، وقد تجلت الشمس " [2] ، أى ظهرت ، وعن أبي هريرة τ ، قال ε : " تخرج الدابة ، معها خاتم سليمان وعصا موسى ، فتجلو وجه المؤمن ، وتختم أنف الكافر بالخاتم " [3] ، أى تظهره للناس ، وقد يكون التجلى بالذت أو الأمر [4] :

1. لطائف الإعلام 300/1 .
2. السابق 300/1 .
3. الرسالة 461/2 .
4. طبقات الصوفية ص70 ، ص72 .

1. تفسير القرآن الكريم منسوب لابن عربي وهو للكاشاني 720/2 .

2. أخرجه البخارى فى كتاب النكاح (5197) 209/9 .

3. أخرجه الترمذى فى كتاب تفسير القرآن (3187) وقال : حسن غريب ، وقال الشيخ الألباني : ضعيف 340/5 ، وابن ماجة فى كتاب الفتن (4066) 1351/2 وأحمد فى المسند (7924) .

4. المفردات ص96 ، ومعجم مقاييس اللغة مادة : (جلو) .

1- فمن الأول : قوله تعالى : { وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى } [الليل/2:1] وقوله : { وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ } [الأعراف/143] ، وعن أنس τ ، أن النبي ε قرأ هذه الآية : { فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا } ، قال حماد : هكذا ، وأمسك سليمان بطرف إبهامه على أنملة إصبعه اليمنى ، قال : فساخ الجبل ، { وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا } [1] ، وفى رواية أخرى ، قال أنس τ: " قال هكذا ، يعني أنه أخرج طرف الخنصر " [2] ، وثالثة قال : " فأومأ بخنصره ، قال : فساخ " [3] .

وكرؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة ، كما فى حديث جابر بن عبد الله τ قال ε : " ثم يأتينا ربنا بعد ذلك ، فيقول : من تنظرون ؟ فيقولون : ننظر ربنا فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : حتى ننظر إليك ، فيتجلى لهم يضحك " [4] .

وعن صهيب عن النبي ε قال : " إذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، نودوا يا أهل الجنة ، إن لكم عند الله موعدا ، فقالوا : ألم يثقل موازيننا

---

1. أخرجه الترمذى فى كتاب تفسير القرآن (3074) 265/5 وأحمد (12282) .
2. أخرجه أحمد فى المسند (11851) ، وهذه الراواية والتى قبلها فيها ضعف .
3. أخرجه الترمذى فى كتاب تفسير القرآن (1392) وصححه الألبانى 14/4 ، وأحمد فى المسند (12766) واللفظ له .
4. أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان (191) 177/1 وأحمد (15155) .

ويعطينا كتبنا بأيماننا ، ويدخلنا الجنة وينجينا من النار ؟ فيكشف الحجاب قال : فيتجلى الله عز وجل لهم ، قال : فما أعطاهم الله شيئا أحب إليهم ، من النظر إليه " [1] .

2- ومن الثانى : ما روى عن قبيصة الهلالي τ : " أن الشمس انخسفت فصلى نبي الله ε ركعتين ركعتين حتى انجلت ، ثم قال : إن الشمس والقمر لا ينخسفان لموت أحد ، ولكنهما خلقان من خلقه ، وإن الله عز وجل يحدث في خلقه ما شاء وإن الله عز وجل إذا تجلى لشيء من خلقه يخشع له ، فأيهما حدث فصلوا حتى ينجلي ، أو يحدث الله أمرا " [2] ، فظاهر من الحديث أن التجلى تجلى الأمر .

التجلى فى الاصطلاح الصوفى :

التجلى فى الاصطلاح الصوفى ، يدور فى الأغلب عند المعتدلين من الصوفية حول ظهور نور الإيمان فى قلب المؤمن ، من خلال المراقبة ومشاهدة أفعال

الربوبية ، وهذا المعنى لا يعارض الأصول القرآنية والنبوية ، ومن أقوالهم الدالـــة عليه :

ما روى عن سهل بن عبد اللَّه التسترى (ت:293هـــ) ، أن التجلى على ثلاثة أحوال تجلى الذات : وهى المكاشفة أى كشوف القلب فى الدنيا ، كقول

---

1. أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان (181) 163/1وأحمد (18457) واللفظ له .
2.ضعيف من رواية قبيصة الهلالي ، أخرجه ابن ماجة فى كتاب إقامة الصلاة (1262) وضعفه الألبانى 401/1 ، والنسائى فى كتاب الكسوف (1485) 141/3 .

ابن عمر τ : " كنا نتراءى الله فى ذلك المكان " ، يعنى فى الطواف ، وقال ε: " اعبد الله كأنك تراه " [1] ، وتجلى صفات الذات : ومعناه ، أن تتجلى له قدرته عليه ، فلا يخاف غيره ، وكفايته له ، فلا يرجو سواه ، وتجلـــى حكـــم الذات : وهى الآخرة وما فيها ، وكشوف العيان فى الآخرة ، إذ يكون فريق فى الجنة وفريق فى السعير [2] ، وينسب لأبى الحسين النورى (ت:295هـــ) كلام نفيس دقيق فى مصطلح التجلى حيث قال :

(تجلى لخلقه بخلقه ، واستتر عن خلقه بخلقه ، فبتجليـــه حســـنت المحاســـن وجملت ، وباستتاره قبحت وسمجت) [3] ، وروى عن الجنيد (ت:297هـــ) أنه قال : (التجلى قد يكون بطريق الأفعال ، وقد يكون بطريق الصفات ، وقد يكون بطريق الذات) [4] .

1. التعرف للكلاباذى ص.121
2. أخرجه البخارى فى كتاب الرقاق (6416) وأحمد فى المسند (6121) عن عبد الله بن عمر τ بلفظ قال : أخذ رسول الله ε ببعض جسدي ، فقال : " اعبد الله كأنك تراه ، وكن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل " .
3. اللمع ص439 وانظر فى المقارنه بكلام الجنيد ، المعارضة والرد لسهل بن عبد الله التسترى ص80 ، وللمقارنة من الناحية الكلامية ، الاقتصاد فى الاعتقاد لأبى حامد الغزالى ص158، ومن الناحية الفلسفية الرسالة العرشية لابن سينا ص10 وتهافت الفلاسفة لأبى حامد الغزالى 37 ، وسالة التعليقات للفاربى ص20 .
4. عوارف المعارف للسهروردى ص526 .

وقد نقل كتاب المصطلحات القدامى هذا المعنى عن الصوفية ، فقال أبو نصر السراج الطوسى (ت:387هـ) : (التجلى إشراق أنوار إقبال الحق ، على قلوب المقبلين عليه) [1] ، ويذكر الهجويرى (ت:465هـ) أن التجلى هو ما يسطع من الأنوار الربانية على قلوب المقبلين ، التى بها يتمكنون من رؤية الله تعالى بقلوبهم) [2] .

ويقسم الكاشانى التجلى إلى قسمين ، ولكن قسيمه بعيد عن الأصول القرآنية والنبوية حيث يعبر بهما عن فكر أصحاب وحدة الوجود [3] :

التجلى الأول : وهو ظهور الذات نفسها لنفسها ، فى عين التعين والقابلية الأولى الذى هو الوحدة ، وحقيقة التجلى الأول ، إنما هو عبارة عن شهود الذات نفسها ، وإدراكها من حيث وحدتها ، بجميع اعتباراتها وشؤونها ، فظهرت الذات نفسها لنفسها فى نفسها ، بهذا التجلى والظهور وبحسبه ، وحضرت معها

بلا توهم تقدم أستار ، وغيبة وفقدان ، وأحيانا يسمى هذا النوع بتجلى الذات أو التجلى الأحدى الجمعى ، أو تجلى الغيب المغيب ، أو تجلى الغيب الأول أو

1. اللمع ص439 ، وانظر كتاب الرياضة وأدب النفس للحكيم الترمذى ص71 .
2. كشف المحجوب ص472 ، وانظر لطائف الإشارات 259/2 فى شرح أبى القاسم القشيرى لموقف موسى عند التجلى ، حيث أفاض فيه بتوسع .
3. لطائف الإعلام 300/1، 301 ، وانظر فى معانى التجلى عند ابن عربى ، الفتوحات المكية 166/1 ، وفصوص الحكم 133/1،ص170 ، إنشـــاء الـــدوائر ص35 ، ومواقع النجوم ص158 ، وعقلة المستوفز ص52 .

تجلى الهوية ، أو التجلى المعطى للاستعداد ، وجميعها اصطلاحات صوفية تدل على معنى واحد .

التجلى الثانى : هو ظهور الذات لنفسها فى ثانى رتبها ، المعبر عنها بالتعين الثانى ، الذى تظهر فيه الأسماء ، وتتميز ظهورا وتميزا علميا ، ولهذا سمى التعين الثانى بالحضرة العلمية ، وحضرة المعانى ، وعالم المعانى .

****

23 – التسلــــــيم

****

التسليم : السلم والسلامة ، التعرى من الآفات الظاهرة والباطنة [1] : فمـــن السلامة فى الباطن ، قوله تعالى : { يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ إِلا مَنْ أَتَى اللَّـــهَ

بِقَلْبٍ سَلِيمٍ } [الشعراء/89] أى متعر من الآفات ، ومن السلامة فى الظاهر ، قوله تعالى : { وَلا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لا شِيَةَ فِيهَا } [البقرة/71] .

والتسليم يطلق على عدة معان :

(1- التسليم بمعنى الاستسلام والانقياد والقبول ، كقول الله تعالى : { فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا } [النساء/65] .

(2- التسليم بمعنى التحية وإلقاء السلام ، كقوله تعالى : { إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ

1. المفردات ص239 ،241 ، ولسان العرب 292/12 ، والمصباح المنير 287/1 .

يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا } [الأحزاب/56] وعن أبي سعيد الخدري قال : " قلنا يا رسول اللَّه ، هذا التسليم ، فكيف نصلي عليك ؟ ، قال : قولوا اللَّهم صل على محمد ، عبدك ورسولك ، كما صليت على آل إبراهيم .." [(1)] .

(3- التسليم الذى ينهى الصلاة ، فعن علي بن أبي طالب τ ، عن النبي ε قال : " مفتاح الصلاة الطهور ، وتحريمها التكبير ، وتحليلها التسليم " [(2)] ، وعنه أن رسول اللَّه ε ، كان آخر ما يقول بين التشهد والتسليم ، اللَّهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت .. " [(3)] .

والتسليم من العبد لله على ضربين :

1- تسليم للأمر الإلهى الكونى ، ومسلك العبد فيه الرضا بالقضاء والقدر ، فإنه واقع لا محالة ، لقوله سبحانه وتعالى : { إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُون } [مريم/35] ، ولقوله : { أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ } [آل عمران/83] .

---

1. أخرجه البخارى فى التفسير (4798) 392./8
2. حسن أخرجه الترمذى فى كتاب الطهارة (3) وقال الألبانى : حسن صحيح 8/1 وأبو داود (61) 16/1 ، والدارقطنى فى سننه (1) 359/1 ، وانظر بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث (169) 283/1 .
3. أخرجه مسلم فى كتاب صلاة المسافرين (771) 534/1 .

2- تسليم للأمر الشرعى والتدبير النبوى ، ومنه قوله تعالى : { فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا } [النساء/65] ، وكلا الوجهين يدل عليهما قوله تعالى : { وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلا } [النساء/125] .

فالإسلام يحمل الأمرين جميعا ، وهو الاعتراف باللسان ، والاستسلام لله فى أمره الشرعى ، ثم اعتقاد بالقلب ، ووفاء بالفعل ، واستسلام لله فى جميع ما قضى وقدر ، فالمسلمون منقادون للحق مذعنون له راضون بقضائه وقدره [1] .

التسليم فى الاصطلاح الصوفى :

والتسليم فى الاصطلاح الصوفى ، ورد على معني الرضا بالقضاء والقدر ، كما نسب إلى الحارث بن أسد المحاسبى ، أنه قال (ت:243هـ) : (التسليم هو الثبوت عند نزول البلاء ، من غير تغير منه فى الظاهر والباطن) [2] ، ويذكر أيضا أن التسليم ، هو استقبال القضاء بالرضا ، والانقياد لأمر اللّه ، وترك الاعتراض [3] ، وكلامة يوافق الأصول القرآنية والنبوية وتحتمله الأدلة ، وقد قسم أبو اسماعيل الأنصارى الهروى (ت:481هـ) التسليم ، الذى ورد فى قوله

1. المفردات ص241 .
2. طبقات الصوفية ص59 .
3. التعريفات للجرجانى ص59 .

تعالى : { فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا } [النساء/65] ، إلى ثلاث درجات :

الدرجة الأولى : تسليم ما يزاحم العقول ، مما يشق على الأوهام من الغيب والإذعان لما يغالب القياس من سير الدول ، والقسم التى قسمها على خلقه ، والإجابة لما يفزع المريد من ركوب الأحوال .

الدرجة الثانية : تسليم العلم إلى الحال ، والقصد إلى الكشف ، والرسم إلى الحقيقة .

الدرجة الثالثة : تسليم ما دون الحق إلى الحق ، مع السلامة من رؤية التسليم بمعاينة تسليم الحق إياك إليه [1] .

ولكنه تقسيم غامض يفتقر إلى الدليل ، ولاتحتمله الآية التى استشهد بها فالشاهد من الآية فى التسليم ، هو تنفيذ أمر النبى ε عن محبة ورضا ، بلا اعتراض منهم ، وتصديق ما أخبرهم به تصديقا جازما ، ويشابه الكاشانى الهروى فى تقسيمه للتسليم ، إذ جعله على نوعين :

النوع الأول : تسليم المبتدئين وهو الانقياد للأمر الشرعى بلا طلب للعوض فيقول : (التسليم صورته فى البدايات ، تسليم للأحكام الشرعية بلا اعتراض عليها ولا طلب لعقلها) [2] ، وقوله : ولا طلب لعقلها ، يخالف السنة من جهة

1. منازل السائرين ص265. 2. معجم الكاشانى ص243 ولطائف الإعلام 319/1 .

أن طلب العوض هو نهج النبى ε وأصحابه ، وهم الكمل فى إسلامهم لله وتسليمهم له ، فهذ المعني له أصول قرآنية إلا فى الدعوة إلى ترك العوض .

النوع الثانى : تسليم النهايات ، ويدور فى إطار القول بوحدة الوجود كتفسيرهم لقوله تعالى : { فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا } [النساء/65] فلا وربك لا يؤمنون الإيمان الحقيقى التوحيدى ، حتى يحكموك لكون حكمك حكم اللّه ، وإنما حجبت الذات بالصفات ، والصفات بالأفعال ، فإذا تشاجروا

وقفوا مع صفاهم ، محجوبين عن أفعال الحق فلم يؤمنوا حقيقة ، فإذا حكموك انسلخوا عن أفعالهم ، وإذا لم يجدوا فى أنفسهم حرجا من قضائك ، انسلخوا عن إرادهم فصاروا إلى مقام الرضا ، وعن علمهم وقدرهم فصاروا إلى مقام التسليم ، فلم يبق لهم حجاب من صفاهم واتصفوا بصفات الحق ، فانكشف لهم فى صورة الصفات ، فعلموا أنك هو ، قائم به لا بنفسك ، عادل بالحقيقة بعدله فتحقق إيماهم باللَّه [1] .

ويقول عبد الرزاق الكاشانى فى معنى التسليم : (التسليم الحق ، هو أن تجد نفسك مسلمة إلى الحق ، وأنه ما سلمها إلى الحق إلا الحق ، وقد تسلم من دعوى التسليم له ، فيما شرع من الحكم ، وقضى من الأحكام ، بمعاينتك تسليم الحق إياك إليه) [2] .

---

1. تفسير القرآن الكريم منسوب لابن عربى 269/1، ص270 .
2. لطائف الإعلام 319/1 ، وانظر أيضا الفتوحات المكية 381/2 .

****

24ـ التفـــريد

****

ـ **التفريد** : الفرد الذى لا يختلط به غيره ، قال تعالى : { قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ } [سبأ/46] .

وعن أبي سعيد الخدري τ قال : " نهانا رسول اللَّه ε ، أن نخلط بسرا بتمر ، أو زبيبا بتمر ، أو زبيبا ببسر ، وقال : من شرب النبيذ منكم ، فليشربه زبيبا فردا ، أو تمرا فردا ، أو بسرا فردا " [1] ، ومن حديث عائشة رضي اللَّه عنها ، أن رسول اللَّه ε أفرد الحج [2] ، وعن أنس بن مالك τ أن رسول اللَّه ε أفرد يوم أحد ، في سبعة من الأنصار ، ورجلين من قريش ، فلما رهقوه قال : مـــن يردهم عنا وله الجنة [3] .

ويقال فى اللَّه فرد ، تنبيها أنه بخلاف الأشياء كلها فى الازدواج ، المنبه عليه بقوله تعالى : { وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ } [الذاريات/49] ، ومستغن عمـــا عداه ، كما نبه عليه بقوله : { فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْ الْعَالَمِينَ } [آل عمران/97] ، وإذا

1. أخرجه مسلم فى كتاب الأشربة (1987) 157/3 .
2. أخرجه مسلم فى كتاب الحج (1211) 875/2 .
3. أخرجه مسلم فى كتاب الجهاد والسير (1789) 1415/3 .

قيل : هو منفرد بوحدانيته ، فمعناه هو مستغن عن كل ما سواه ، لأنه مخـــالف للموجودات كلها [1] .

والتفرد فى قوله تعالى : { وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا } [مريم/80] ، يعنى انقطاعه عن كل ما له ، فعن خباب بن الأرت τ قال : " كنت رجلا قينا [2] ، وكـــان لي على العاص بن وائل دين ، فأتيته أتقاضاه ، فقال لي : لا أقضيك حتى تكفر بمحمد ، قال : قلت : لن أكفر به حتى تموت ثم تبعث ، قال : وإني لمبعوث من بعد الموت ، فسوف أقضيك إذا رجعت إلى مال وولد ، قال : فنزلت :

{ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لأُوتَيَنَّ مَالا وَوَلَدًا أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَانِ عَهْدًا كَلا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنْ الْعَذَابِ مَدًّا وَنَرِثُهُ مَا يَقُـــولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا } [مريم/77:80] [3] .

والتفريد ذكر فى السنة على معنى كثرة الذكر ، إلى حد لا يسبق فيه الذاكر فيكون منفردا بثواب ذكره ، فمن حديث أبي هريرة τ ، قال رسول اللَّه ε : " سبق المفردون قالوا : وما المفردون يا رسول اللَّه ؟ قال : الذاكرون اللَّه كـــثيرا والذاكرات " [4] .

---

1. المفردات ص375 .
2. أى يعمل حدادا ، قال ابن منظور : (القين الحداد ، والقيون جمع قين وهو الحـــداد والصانع) ، انظر لسان العرب 350/13 .
3. أخرجه البخارى فى كتاب تفسير القرآن (4735) 284/7 .
4. أخرجه مسلم فى كتاب الذكر (2676) 2062/4 .

التفريد فى الاصطلاح الصوفى :

والتفريد فى الاصطلاح الصوفى ، يعنى مترلة عليا فى توحيد الله ، يظهر أثرها على حركات الصوفى وسكناته ، كما روى فى ذلك عن عمرو بن عثمان المكى (ت:291هـــ) [1] :

تفرد باللَّه الفريد فريد … فظل وحيدا والمشوق وحيد

وذاك لأن المفرَدين رأيتهم … على طبقات والدنو بعيد

فمن مفرد يسمو بهمة قلبه عن الملك جميعا فهو عنه يحيد

وأدمن سيرا فى السمو توحدا وكل وحيد بالبلاء فريد

وآخر يسمو فى العلو تفردا عن النفس وجدا فهى منه تبيد

ويذكر الكلاباذى (ت:380هـ) أن التفريد ، أن يتفرد عن الأشكال وينفرد فى الأحوال ويتوحد فى الأفعال ، وهو أن تكون أفعاله لله وحده ، فلا يكون فيها رؤية نفس ، ولا مراعاة خلق ، ولا مطالبة عوض ، ويتفرد فى الأحوال عن الأحوال ، فلا يرى لنفسه حالا ، بل يغيب برؤية محولها عنها ، ويتفرد عن الأشكال ، فلا يأنس بها ، ولا يستوحش منها [2] .

وللسراج الطوسى (ت:387هـ) فى التفريد عبارة يغلب عليها الطابع الكلامى الذوقى قال : (التفريد هو إفراد المفرد ، برفع الحدث وإفراد القدم

1. التعرف لمذهب أهل التصوف ص133 .
2. السابق ص133.

بوجود حقائق الفردانية ، الموحدون لله من المؤمنين كثير ، والمفردون من الموحدين قليل) [1] .

ويذكر السهروردى (ت:632هـ) : أن التفريد أن لا يرى نفسه فيما يأتى به ، بل يرى منة اللّه عليه ، فالتجريد ينفى الأغيار ، والتفريد ينفى نفسه واستغراقه عن رؤية نعمة اللّه عليه وغيبته وكسبه [2] ، وجميع ما ذكر من المعانى السابقة له أصل قرآنى ، على اعتبار أن التفريد درجة عليا فى التوحيد ، لا يبلغها

إلا من تعلق قلبه باللَّه فى جميع حركاته وسكناته ، وهو الموصوف بدوام الذكر كما سبق فى حديث : (سبق المفردون) ، أما ما سوى ذلك من المعانى المرافقة لمصطلح التفرد عند الصوفية ، والتى تشعر القارئ بفناء المتفرد عن شهود السوى ، وغيبوبته المطلقة ، وانقطاعه عن مطالبة العوض فى الطاعة ، وغير ذلك فلا أصل له ، وكذلك ما ذكره محى الدين بن عربى ، أن التفريد هو وقوفك بالحق معك [3] ، ويعنى شهود الحق ولا شئ معه ، فيشهده منفردا ، كحق بلا خلق ، على أن الكل تعيناته ، وليس ثم إلا هو [4] .

1. اللمع فى التصوف ص.425
2. عوارف المعارف للسهروردى ص526 وقارن بين التفريد عند السهروردى صاحب العوارف ويحى السهروردى المقتول من خلال الرجوع إلى كتابه حكمة الإشراق نشرة هنرى كوربان سنة 1952م ص16 وما بعدها .
3. اصطلاحات الصوفية ابن عربى ص8 .
4. لطائف الإعلام 337Ƴ338/1، وانظر رشح الزلال ص97 ، ومعجم اصطلاحات الصوفية للكاشانى ص375 والمناظر الإلهية ص162 .

****

25ـ التفكـــــر

****

التفكر : الفكرة قوة مطرقة للعلم إلى المعلوم ، والتفكر جولان تلك القـــوة بحسب نظر العقل ، وذلك للإنسان دون الحيوان ، ولا يقال إلا فيما يمكـــن أن

يحصل له صورة فى القلب ، والتفكر أثر إعمال العقل فى وزن الأسباب ومعرفة العلل ، فيستدل من خلالها على عظمة ربه وافتقاره إليه ، وصدق ما جاء بـــه النبى ε [1] .

وقد دعا القرآن الكريم إلى التفكر فى كثير من الآيات ، كقوله تعالى : { قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِـــنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ } [سبأ/46] .

وقال : { وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّـــالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ } [آل عمران/191:192] ، وقال تعالى : { لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُـــمْ يَتَفَكَّرُونَ } [الحشر/21] .

وفى السنة عن أبي هريرة τ ، أن رسول اللَّه ε قال عن المنافق : " ثم يقـــال له : الآن نبعث شاهدنا عليك ، ويتفكر في نفسه ، من ذا الذي يشهد علي فيختم على فيه ، ويقال لفخذه ولحمه وعظامه : انطقي ، فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله ، وذلك ليعذر من نفسه ، وذلك المنافق ، وذلك الذي يسخط اللَّه عليه " [1] .

1. المفردات ص384 .

التفكر فى الاصطلاح الصوفى :

التفكر فى الاصطلاح الصوفى ، ما يتوصل به إلى الحق ، إذا كان مصحوبا بنور التوفيق الإلهى ، والخطاب الشرعى ، لقوله تعالى : { أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلا نَذِيرٌ مُبِينٌ } [الأعراف/184] ، وقال : { وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } [النحل/44] ، ولو انفرد الفكر العقلى عن مصاحبة الشرع زل وضل [2] .

والتفكر الصحيح عند الصوفية ، هو غاية علم اليقين ، كما أن رعاية الإيمان عين اليقين ، وحد التفكر تلمس البصيرة لإدراك البغية وهو ثلاثة أنواع [3] :

الأول : فكرة فى عين التوحيد وفى صفات الكمال ، ونعوت العظمة والجلال وذلك بحر لا ساحل له ، ولا ينجى من الغرق فى هذا البحر إلا الاعتصام بحبل اللّه تعالى ، والتمسك بالعلم الظاهر .

---

1. أخرجه مسلم فى كتاب الزهد (2968) 4/2269.
2. حياة القلوب على هامش قوت القلوب 105/2، ص106 .
3. السابق 106/2 ، وانظر التعريفات ص66 .

الثانى : الفكرة فى لطائف الصنعة ، وفى أسرار الحكمة ، وعجائب الإبداع .

الثالث : الفكرة فى معانى الأعمال والأحوال فخالص الفكر يوصل إلى استقامة القلوب ، واستقامة القلوب توصل إلى الصدق والإخلاص .

وقسم أبو على الروذبارى (ت:322هـ) التفكر إلى خمسة أقسام :

1- تفكر فى آيات اللّه ، يتولد منه المعرفة .

2- تفكر فى آلاء اللَّه تعالى ونعمائه ، يتولد منه الشكر والرضا .

3- تفكر فى وعد اللَّه وثوابه ، يتولد منه الرجاء والرغبة .

4- تفكر فى وعيده وعذابه ، يتولد منه الخوف والرهبة .

5- تفكر فى جفاة النفس مع إحسان اللَّه إليها يتولد منه الحياء من اللَّه تعالى (1) .

ويذكر القشيرى فى مدلول قوله تعالى : { وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ } أن التفكر نعمة كل طالب ، وثمرته الوصال بشرط العلم ، ثم يقسم التفكر أيضا إلى ثلاثة أنواع : تفكر الزاهدين فى فناء الدنيا ، وقلة وفائها لطلابها فيزدادون بالفكرة زاهدا فيها ، تفكر العابدين فى جميل الثواب فيزدادون نشاطا عليه ورغبة فيه ، تفكر العارفين فى الآلاء والنعم فيزدادون محبة للحق سبحانه (2).

---

1. السابق 106/2 .

2. لطائف الإشارات 305/3 ، وانظر للمقارنة ، طبقات الصوفية ص135 ، و الفتح الربانى ص184 ، وكتاب التوهم للمحاسبى ص2وما بعدها ، والرزق الحلال وحقيقة التوكل على الله ص19 وما بعدها .

ويبين الكاشانى ، أن التفكر فى اصطلاح الطائفة ، عبارة عن التماس العقل وتفتيشه عما يحصل به مطلوبه وما يبتغيه ، وهو القرب من اللَّه تعالى ، ثم قسم التفكر عند الصوفية إلى ثلاثة أقسام تعبر فى حقيقتها عن التغير الدلالى للمصطلح الصوفى عبر مراحله الزمنية :

1- تفكر العامة : لتحصيل ما به يسهل عليهم الخلاص من إتيان الشهوات التى زينت للناس حتى ملكت رقهم ، فإذا أمكن العبد التحرر من رقها ، بالتحرر من إتيانها ، حتى خرج من ظلمة الشهوات إلى أنوار المشاهدات ، صار من أهل القربات لا محالة .

2- تفكر الخاصة : فى تحصيل ما يسهل عليهم سلوك طريق الحقيقة ، مثل أنهم لما رأوا أن مالهم من وجود ، وحياة وعلم وقدرة ، وغير ذلك من صفات الكمال ، إنما هى حادثة لهم ثم زائلة عنهم ، وأنها لهم فى بعض الأوقات أكمل وأشد ، وفى بعضها أنقص وأضعف ، علموا لا محالة أن لها مبدأ فياضا ، هو منبع تلك الكمالات ، التى لا تصح لغيره ، فيترقى صاحب هذا التفكر بمعرفته بنفسه ، من حيث احتياجها إلى مبدئ يفيض عليها وجودها وكمالاتها إلى معرفته بربه ، إنه هو ذلك المبدئ ، فعلموا أن الأمر كما ذكر اللَّه تعالى ، فى قوله : { وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْ اللَّهِ } [النحل/53] ، فلهذا كان هذا النوع من الفكر هو تفكر الخاصة [1] .

---

1. معجم الكاشانى ص196 ولطائف الإعلام 336٢337/1 .

3- تفكر خاصة الخاصة : وأما خاصة الخاصة ، فقد ارتفعوا عن حضيض التفكر ، الذى هو طلب أمر مفقود ، إلى أوج التذكر ، الذى هو مشاهدة الحق الموجود [1] .

وجميع المعانى السابقة لا غبار عليها ، إذ تشهد لها الأصول القرآنية والنبوية إما بنصها أو معناها ، ما عدا المعنى الأخير ، لأنه مبنى على فكر أصحاب وحـدة الوجود الداعى إلى أنه لا تفكر ، إذ لا غير ولا موجود ليفكر ، فجميع عـالم الأرواح والأجساد ، مظهر الحق وأسماؤه وأوصافه ، وعلى ذلك تنزه اللّـه أن يوجد غيره [2] .

---

1. لطائف الإعلام 336Y337/1 .

2. تفسير القرآن الكريم منسوب لابن عربى 242/1 ، وتجدر الإشارة إلى أن أغلـب الصوفية مولع بتقسيم الذوقيات والروحانيات إلى أفكار وعناصر محـددة ، مـع أن المفترض أن يكون هذا التقسيم فى المحسوس المنضبط ، فالأحاسيس الإيمانية يصـعب حصر معالمها وحدودها ، كما يلاحظ ما عند الصوفية من افتعال تقسيمات عجيبة تحمل الآيات فى كثير من المواضع ما لا تحتمل ، حتى يظهروا للناس بالتحقيق والتدقيق الذى لا يفهمه إلا هم ، ولو عرضنا هذا الكلام على شيخ من شيوخ الطرق ، ليفهمه ويعبر عنه للآخرين أو يشرحه للمريدن لربما عجز عن ذلك .

****

26ـ التقـــديس

****

التقديس : يطلق على معنيين :

1- التطهير ، كقوله تعالى : { قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ } [البقرة/30] ، أى نطهر الأشياء بالتوحيد ارتساما لك ، ومن حديث أبي سعيد الخدري τ ، أن النبي ε قال : " إنه لا قدست أمة ، لا يأخذ الضعيف فيها حقه غير متعتع " [1] ، وعن عائشة رضى الله عنها ، أن رسول اللَّه ε كان يقول في ركوعه وسجوده : " سبوح قدوس رب الملائكة والروح " [2] ، وكتب أبو الدرداء إلى سلمان الفارسي أن هلم إلى الأرض المقدسة ، فكتب إليه سلمان ، إن الأرض لا تقدس أحدا ، وإنما يقدس الإنسان عمله ، وقد بلغني أنك جُعلتَ طبيبا تداوي ، فإن كنت تبرئ فنعما لك وإن كنت متطببا ، فاحذر أن تقتل إنسانا ، فتدخل النار) [3] .

1. أخرجه ابن ماجة فى الأحكام (2426) وقال الشيخ الألبانى : صحيح 810/2 .
2. أخرجه مسلم فى الصلاة (487) 353/1 ، أحمد (24109) 34/6 .
3. أخرجه مالك فى الموطا ،كتاب الأقضية (1459) 769/2 ، وهو حديث منقطع لأن يحى بن سعيد لم يسمع من أبى الدرداء .

2-التقديس بمعنى المباركة ، قال عبد الله بن عباس τ فى قوله تعالى : { إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى } [طه/12] ، المقدس المبارك [1] ، وقوله تعالى : { قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ } [النحل/102] يعنى به جبريل من حيث ، إنه يترل بالقدس من

اللّه ، أى بما يبارك النفوس ويطهرها ، من القرآن والحكمة ، والبيت المقدس هو المطهر من نجاسة الشرك [2] .

التقديس فى الاصطلاح الصوفى :

التقديس عند الصوفية ، يرد على معنى التطهير والمباركة ، وتنزيه الحق عن كل ما لا يليق بجنابه ، وعن النقائص الكونية مطلقا ، كما ورد فى الأصول القرآنية السابقة ، وهو أخص من التسبيح [3] ، ومنهم من يفسره بالإخلاص فى النية وتطهيرها من الشوائب كما روى عن أبى عبد اللّه السَّجَزِى (ت:بعد280هـ) أنه قال : (من لم يقدس علمه ، لم يقدس فعله ، ومن لم يقدس فعله لم يقدس بدنه ، ومن لم يقدس بدنه لم يقدس قلبه، ومن لم يقدس قلبه لم يقدس نيته والأمور كلها مبنية على النية) [4] .

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب التفسير ، تفسير سورة طه 285./8
2. لسان العرب 168/6 ، والمفردات فى غريب القرآن ص396 ، وانظر معجم ما استعجم لأبى عبيد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي 270/1 ، والتوقيف على مهمات التعاريف ، لمحمد عبد الرؤوف المناوي 198/1 .
3. التعريفات للجرجانى ص67 .
4. طبقات الصوفية ص254 .

وقال سهل بن عبد اللّه التسترى (ت:293هـ) : (القدوس هو الحق الذى طهر من الأولاد والشركاء والصاحبة) [1] ، ويرى القشيرى (ت:465هـ)

أن التقديس هو تتريه الله عن كل آفة ونقص ، والقدوس هو المتره عن الـدرك والوصول إلى كنه ذاته ، فليس بيد الخلق إلا عرفان الحقائق ، بنعـت التعـالى والتأمل فى شهود أفعاله ، فأما الوقوف على حقيقة أنيته ، فقد جلت الصمدية عن إشراف عليه ، أو طمع إدراك فى حال رؤيته ، أو جواز إحاطة فى العلم به فليس إلا ما قالة بلسان مستنطق ، وحالة بشهود حق مستغرق [2] .

والتقديس يرد أيضا عند الصوفية ، على معنى مناف للأصول القرآنية والنبوية حيث جعلوا التقديس هو نفى علو الله على خلقه ، سواء كان العلو علو فوقية أو علو قهر أو علو شأن ، فمعنى التقديس عند أصحاب الوحدة تتريه اللَّه عـن علو المكان والمكانة ، يقول الكاشانى : (أما تقديسه عن العلو المكانى فظـاهر لاستحالة تحيزه تعالى ، وأما تقديسه عن علو المكانة ، فالسر فيه أن الحق تعالى فى كل متعين غير متعين به ، ومع كل شئ غير مشارك له فى مرتبتـه ، ولمـا كانت الإشارة الحسية منفية عنه ، فكذا الإشارة العقلية لاستحالة تقيده بمكانة مخصوصة) [3] ، وهو يشير إلى قول ابن عربى : (ومن أسمائه الحسـنى العلـى على من ؟ وما ثم إلا هو ، فهو العلى لذاته أو عن ماذا ؟ وما هو إلا هو ؟ فعلوه

---

1. تفسير سهل بن عبد الله ص14 .
2. لطائف الإشارات 582:581/3 .
3. لطائف الإعلام 341/1 .

لنفسه ، وهو من حيث الوجود عين الموجودات فالمسمى محدثات هى العلية لذاها وليست إلا هو) [1] .

---

1. فصوص الحكم ص77 ، التقديس على هذا المعنى باطل لا أصل له فى الكتاب والسنة فالأدلة تواترت على إثبات علو الذات ، وأن اللَّه فوق العرش مستو عليه لا مستول عليه ، استواء بكيفية حقيقية يعلها اللَّه ويجهلها البشر ، وليس كمثله شئ فيها ، ولا يلزم من إثباها التمثيل والتشبيه لأن النبى أشار إلى ربه إشارة حسية مثبتا بذلك علو الفوقية ، ولا شك أن النبى ε أولى بالحق من غيره فى ذلك ، ولا حجة فى قول القائل إن إثبات العلو يدل على التحيز ، لأن المكان المحسوس أحكامه تختلف عن المكان الغيبى ، والمكان المثبت فى الأدله هو الذى لا يخضع للمقاييس المرئية بالحسابات المعروفة ، كما أن اللَّه له علو المكانة ، وهو علو الشأن ، فليس كمثله شئ فى ذاته أو صفاته أو أفعاله ، وله علو القهر ، لقوله : { وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ } [الأنعام/61] وقال الإمام مالك لما سئل عن قوله تعالى : { الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى } [طه/5] كيف استوى ؟! فقال : الكيف غير معقول ، والاستواء منه غير مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة فإنى أخاف أن تكون ضالا وأمر به فأخرج ، انظر العلو للذهبى ص 141 ، ص142 وحلية الأولياء لأبى نعيم 6 / 325 ، 326 ، وانظر الدارمى فى الرد على الجهمية ص 55 ، واللالكائى فى شرح أصول اعتقاد أهل السنة ص 664 وأبو عثمان الصابونى فى عقيدة السلف ص 24، 26 ، والبيهقى فى الأسماء والصفات ص 408 وسئل الإمام أبو حنيفة عمن قال : لا أعرف ربى فى السماء أم فى الأرض ؟ قال : قد كفر لأن الله تعالى يقول : { الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى } وعرشه فوق سبع سماوات ، قيل له : فإن قال : هو على العرش استوى

ولكن لا أدرى العرش فى الأرض أم فى السماء ؟ قال : إذا أنكر أنه فى السماء ، فقد كفر =

****

27ـ التقـــوى

****

التقوى : جعل النفس فى وقاية مما يخاف ، ويقال اتقى فلان بكذا إذا جعلـــه وقاية لنفسه ، وفى حديث عدى بن حاتم τ ، قال ε : " اتقوا النار ولو بشـــقة

= انظر الفتوى الحموية ص 28 ، وقال الإمام الشافعىرحمه الله : (القول فى السنة التى أنا عليها ورأيت عليها الذين رأيتهم مثل سفيان ومالك وغيرهما : إقرار بشهادة ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه ، تعالى على عرشه فى سمائـــه يقرب من خلقه كيف شاء ويترل إلى السماء الدنيا كيف شاء) انظر مختصـــرالعلو للعلى الغفار ص 176 ، وقيل للإمام أحمد بن حنبل رحمه الله : (الله فوق الســـماء السابعة على العرش بائن من خلقه وقدرته وعلمه بكل مكان ؟ قال : نعم وهو على عرشه لايخلو شئ من علمه) انظر شرح أصول اعتقاد أهل الســـنة والجماعـــة لأبى القاسم اللالكائى 156/1 ، وقال الإمام على بن المدينى : قول أهل السنة والجماعة أن الله فوق السموات على العرش استوى ، وسئل عن قوله تعالى : { مَا يَكُونُ مِـــنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلا هُوَ رَابِعُهُمْ } [المجادلة/7] فقال : اقرأ ما قبلها { أَلَمْ تَرَى أَنَّ اللَّـــهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ } ، انظر السابق 165/1 ، وانظر الفتـــوى الحموية ص29 ، قال أبو زرعة الرازى : " إن الله عز وجل على عرشه بـــائن مـــن خلقه كما وصف نفسه فى كتابه وعلى لسان رسول الله صلى الله عليه وســـلم بـــلا

كيف أحاط بكل شئ علما " انظر شرح أصول الاعتقاد وأهــل الســنة والجماعــة 177/1 ، وقال أبو نعيم الأصبهانى : طريقتنا طريقة المتبعين للكتاب والسنة وإجماع الأمة فما اعتقدوه =

تمرة فمن لم يجد شقة تمرة فبكلمة طيبة " [1] .

وصارت التقوى فى تعارف الشرع ، حفظ النفس عما يؤثم ، وذلك بتــرك المحظور ، والمتقى هو الذى يجعل طاعته لله ، وامتثاله لأوامره ، وقاية له من عذابه ، ويتم ذلك بترك بعض المباحات المشتبهات حتى لا يقع فى الحرام ، لمــا روى عن النعمان بن بشير τ أن رسول اللَّه ε قال : " الحلال بين والحرام بين ، وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس ، فمن اتقى المشبهات ، استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات ، كراع يرعى حول الحمى ، يوشك أن يواقعه ، ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا إن حمى اللَّه في أرضه محارمه " [2] ، وقال ابــن عمر : " لا يبلغ العبد حقيقة التقوى حتى يدع ما حاك في الصدر " [3] .

= أن الأحاديث التى ثبتت عن النبى صلى الله عليه وسلم فى العرش واستواء الله يقولــون بها ويثبتونها من غيرتمثيل ولاتشبيه ولاتكييف وأن الله بائن من خلقه والخلق بائنون منه ولايحل فيهم ولايمتزج بهم ، وهو مستو على عرشه فى سمائه دون أرضه وخلقه ، وقال أيضا : وأجمعوا أن الله فوق سماواته عال على عرشه ، مستو عليه لا مستول عليه كما تقول الجهمية أنه بكل مكان خلافا لما نزل فى كتابه ، انظر الفتوى الحموية ص 35 .

1. المفردات ص530، 531 ، ولسان العرب 403/15 ، والحديث أخرجه البخارى فى كتاب المناقب (3595) 706/6 .

2. أخرجه البخارى فى الإيمان (52) 153/1 ، ومسلم فى الإيمان (1599) 1219./3

3. أخرجه البخارى فى كتاب الإيمان ، باب قول النبي ε بني الإسلام على خمس ، وهو قول وفعل ويزيد وينقص 11/1 .

وعن رفاعة بن رافع τ ، أنه خرج مع النبي ε إلى المصلى ، فرأى الناس يتبايعون ، فقال : يا معشر التجار ، فاستجابوا لرسول اللَّه ε ، ورفعوا أعناقهم وأبصارهم إليه ، فقال : إن التجار يبعثون يوم القيامة فجارا ، إلا من اتقى اللَّه وبر وصدق [1] .

والتقوى منازل ودرجات ، لقوله تعالى : { وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا } [الزمر/73] ، فهناك التقوى المنبعثة عن الإسلام ، والتقوى المنبعثة عن الإيمان ، والتقوى الناتجة عن الإحسان ، قال تعالى فى بيان هذا التنوع :

{ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنين } [المائدة/93] ، وقال تعالى : { وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْواهُمْ } [محمد/17] ، وعن تميم بن طرفة قال : " جاء سائل إلى عدي بن حاتم فسأله نفقة في ثمن خادم ، أو في بعض ثمن خادم ، فقال : ليس عندي ما أعطيك إلا درعي ومغفري ، فأكتب إلى أهلي أن يعطوكها ، قال : فلم يرض فغضب عدي ، فقال : أما واللَّه لا أعطيك شيئا ، ثم إن الرجل رضي ، فقال : أما واللَّه لولا أني سمعت رسول اللَّه ε يقول : " من حلف على يمين ، ثُمَّ رَأَى أَتْقَى لِلَّهِ مِنْهَا ، فَلْيَأْتِ التَّقْوَى مَا حَنَّثْتُ يَمِينِي " [2] .

1. أخرجه الترمذى فى كتاب البيوع (1210) وقال : هذا حديث حسن ، وقال الشيخ الألبانى : ضعيف 515/3 وسنن البيهقى الكبرى (10194) 266/5 .

2. أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان (1651) 1272/3 .

التقوى فى الاصطلاح الصوفى :

التقوى عند أوائل الصوفية ، من أعلى المقامات وأجلها ، لأنها تــوقى مــن المكروهات والمرهوبات ، الحائلة بين المرء وبين المحبوبات والمطلوبات ، فيتقــى الكفر بالإيمان ، والشرك بالتوحيد ، والرياء بالإخلاص ، والكــذب بالصــدق والغش بالنصيحة ، والمعصية بالطاعة ، والابتداع بالاتباع ، والشبهة بــالورع والدنيا بالزهد ، والغفلة بالذكر ، والشيطان بالاســتعواذ ، والنــار باجتنــاب الأعمال الرديئة إليها ، والشرور كلها بالخيرات المنقذة منها ، فالتقوى شــاملة لجميع المقامات ، ومحتويه على سائر معاملات المقربين والأبرار ، والمتقى عنــد أوائل الصوفية له أربع علامات يعرف بها [1] :

1- كثرة الخوف من الذنوب الماضية التى ذهبت لذتها وبقيت عقوبتها .

2- أن يكون كثير الحذر والخوف لما يقع فيه من الذنوب فيما يستقبل من عمره .

3- أن يفزع ويخاف من سوء الخاتمة ، فإنها الطامة الكبرى ، والداهية العظمى وما جاهد الرجال أنفسهم إلا لأجلها .

4-كثرة المحاسبة لنفسه لا يفتر عن حسابها طرفة عين ، لما روى أن النبى ε قــال : " حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوها قبل أن توزنوا " [2] .

1. حياة القلوب على هامش قوت القلوب 250/2 .

2. أخرجه الترمذى فى صفة القيامة (2459) وقال الشيخ الألبانى : ضعيف 638/4 وهو أثر عن عمر بن الخطاب وليس حديثا ولفظه كما ورد عند الترمذى : " حاسبوا =

وتتنوع عبارات الصوفية المختلفة فى حد التقوى ، وتدور حول المعنى القرآنى والنبوى ، كما روى عن سهل التسترى (ت:293هـ) قال : (التقوى مشاهدة الأحوال على قدم الانفراد ، قال تعالى : { لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ } [الحج/37] ، أى التبرى ، وهو الإخلاص فالتقوى ، ترك ما دون اللَّه) [1] .

وعن أبى العباس الطوسى البغدادى (ت:299هـ) : (التقوى ألا تمد عينيك إلى زهرة الدنيا ولا تتفكر بقلبك فيها) [2] ، وينسب إلى أحمد بن عطاء الآدمى (ت:311هـ) : (للتقوى ظاهر وباطن ، فظاهرها محافظة الحدود ، وباطنها النية والإخلاص) [3] .

= أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وتزينوا للعرض الأكبر ، وإنما يخف الحساب يوم القيامة على من حاسب نفسه في الدنيا " ، وروى أيضا عن ميمون بن مهران قال : (لا يكون العبد تقيا ، حتى يحاسب نفسه كما يحاسب شريكه ، من أين مطعمه وملبسه) ، وقد أورد الترمذى فى هذا المعنى حديثا عن شداد بن أوس τ عن النبي ε قال : " الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على اللَّه " وقال هذا حديث حسن انظر حديث رقم (2459) 738/4 .

1. التعرف ص117 مكتبة الكتاب الأزهرية .
2. طبقات الصوفية ص241 ، وانظر أيضا فى هذا المعنى سيرة الشيخ الكبير عبد الله بن خفيف الشيرزى ص325 .
3. الرسالة القشيرية 308/1 ، وحلية الأولياء 0/1ص386 .

وروى أيضا عن أبى الحسن الوراق النيسابورى (ت:320هـ) أنه قال : (أجل شئ يفتح اللَّه تعالى به على عبده التقوى ، فإن منها تتشعب جميع الخيرات ، وأسباب القرب والتقرب ، وأصل التقوى الإخلاص ، وحقيقتها التخلى عن كل شئ ، إلا ممن إليه تقواك) [1] ، وكلامهم يعد من قببيل تفسير الشواهد القرآنية إما بالاستنباط كقول أبى القاسم النصرباذى (ت:367هـ) : (من لزم التقوى اشتاق إلى مفارقة الدنيا ، لأن اللَّه سبحانه يقول :

{ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلا تَعْقِلُونَ } [الأنعام/32]) [2] .

أو توضيح المعنى ، كقول السراج الطوسى (ت:387هـ) : (معنى قوله تعالى : { يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ } [آل عمران/102] ، راجع إلى قوله : { فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ } [التغابن/16]) [3] ، ويقول أبو القاسم القشيرى (ت:465هـ) : (أصل التقوى ، اتقاء الشرك ، ثم بعده اتقاء المعاصى والسيئات ، ثم بعده إتقاء الشبهات ، ثم يدع بعده الفضلات) [4] .

---

1. طبقات الصوفية لأبى عبد الرحمن السلمى ص300 ، وانظر الفتح الربانى والفيض الرحمانى لعبد القادر الجيلانى ص134 .

2. الرسالة القشيرية 307/1 .

3. اللمع ص122 .

4. الرسالة القشيرية 306/1 .

وإذا كانت المعانى الصوفية السابقة للتقوى تتفق مع الأصول القرآنية والنبوية أو تعبر عنها ، فإن الكاشانى يذكر لها تفصيلات أخرى بعضها يتوافق مع ما سبق والبعض الآخر فيه نظر ، لكنها معبرة عن التغير الدلالى لمصطلح التقوى عبر مراحل التصوف المختلفة ، فيقول : التقوى المحافظة على الحدود ، وهى على أنواع [1] :

1- تقوى العوام : وهى طاعة العبد لربه فيما أمر ونهى .

2- تقوى الخواص : وهى موافقة العبد لربه فيما قدر وقضى .

3- تقوى خاصة الخاصة : أن تعرف ما لك وما له ، فلا تصف ما بك من نعمة إليه ، وإن وجدت غير ذلك فلا تلومن إلا نفسك .

4- التقوى من التقوى : هو أن تنخلع من إضافة التقوى إليك ، لمشاهدتك قيومية الحق تعالى للأشياء .

5- تقوى المنتهين : هو طهارة قلوبهم عن أن يلم بها شئ غير الحق ، وهذا القلب هو البيت المحرم .

6- تقوى المحققين : هو التقوى منه به ، أى تقواك من مقتضيات اسم المنتقم والضار ، بالالتجاء إلى اسمه النافع والغفار ، قال النبى ε : " اللَّهم إنى أعوذ بك منك " [2] .

1. لطائف الإعلام 341:339/1 .

2. جزء من حديث أخرجه مسلم فى كتاب الصلاة (486) 352/1 عن عائشة =

7- تقوى الحقيقة : هو أن يتقى اللَّه من أن يضيف إليه مالا ينبغى لقدسه من الحدث وتوابعه أو أن يضيف إلى خلقه مالا ينبغى إلا له ، مما استأثر به لنفسه وهذا إيثار المتقين [1] .

****

28ـ التواضـــع

****

التواضع : التواضع التذلل ، و لم يرد لفظه فى القرآن ، وإن ورد بالمعنى فى قوله تعالى : { وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ } [الحجر/88] ، وقوله : { وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمْ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا } [الفرقان/63] ، أى بالتواضع ، وقال ابن منظور : تواضع الرجل ذل وتواضعت الأرض انخفضت عما يليها [2] .

وقد ورد التواضع بلفظه فى السنة فى غير حديث مع بقائه على معناه اللغوى

= رضى اللَّه عنها أنها قالت : فقدت رسول اللَّه ε ليلة من الفراش ، فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدميه ، وهو في المسجد وهما منصوبتان ، وهو يقول : اللَّهم أعوذ

برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك .

1. انظر مصطلح الإيثار ، إيثار المتقين .

2. لسان العرب 397/8، والمفردات ص530 ، ص531 .

فمن ذلك ما رواه أبو هريرة τ ، عن رسول اللَّه ε قال : " ما نقصت صدقة من مال ، وما زاد اللَّه عبدا بعفو إلا عزا ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه اللَّه "[1] ، وعن عياض بن حمار τ ، قال : قام فينا رسول اللَّه ε ذات يوم خطيبا ، فقال : " .. وإن اللَّه أوحى إلي أن تواضعوا ، حتى لا يفخر أحد على أحد ، ولا يبغ أحد على أحد "[2] ، وفى ترك الزينة والتباهى بها ، روى معاذ بن أنس الجهني τ ، أن رسول اللَّه ε قال : " من ترك اللباس تواضعا لله وهو يقدر عليه ، دعاه اللَّه يوم القيامة على رؤوس الخلائق ، حتى يخيره من أي حلل الإيمان شاء يلبسها "[3] ، وجاء رجل إلى ابن عباس τ فقال : " إن مولاك إذا سجد وضع جبهته ، وذراعيه وصدره بالأرض فقال له ابن عباس : ما يحملك على ما تصنع ؟ قال : التواضع ، قال : هكذا ربضة الكلب ، رأيت النبي ε إذا سجد رئي بياض إبطيه "[4] .

---

1. أخرجه مسلم فى كتاب البر والصلة (2588) 4/.201.
2. أخرجه مسلم فى كتاب الجنة ونعيمها (2865) 4/.2198.
3. أخرجه الترمذى فى كتاب صفة الجنة (2481) وقال : هذا حديث حسن ، وقال الشيخ الألبانى : حسن 650/4 ، ومعنى قوله : من ترك اللباس ، أى فاخر الثياب التى

يتباهى بها بين الناس والتي تقلل من تواضعه لله ، ومعنى قوله : حلل الإيمان يعني ما يعطى أهل الإيمان من حلل الجنة .

4. أخرجه أبو داود فى كتاب الصلاة (899) وصححه الألبانى 237/1 ، وأخرجه أحمد فى المسند (2928) واللفظ له .

التواضع فى الاصطلاح الصوفى :

التواضع فى الاصطلاح الصوفى ، ورد على المعنى اللغوى السابق ، متوافقا مع الأصول القرآنية والنبوية ، وجل عباراتهم ، يدور حول الخضوع ، والانقياد ونفى الكبر ، وخشوع القلب ، وأثر ذلك فى الحياة ، روى عن الفضيل بن عياض (ت:187هـ) لما سأل عن التواضع : (أن تخضع للحق وتنقاد له وتقبل الحق من كل من تسمعه منه) [1] ، وقريب منه ما روى عن أحمد بن عاصم الأنطاكى (ت:بعد250هـ) : (أنفع التواضع ما نفى عنك الكبر ، وأمات عنك الغضب) [2] .

وينسب لرويم بن أحمد البغدادى (ت:303هـ) أنه قال : (التواضع تذلل القلوب لعلام الغيوب) [3] ، وربما جعل بعضهم التواضع أساس الخير كله فيروى عن يوسف بن حسين الرازى (ت:304هـ) قال : (الخير كله فى بيت ومفتاحه التواضع) [4] ، وتكلم عنه أبو طالب المكى (ت:386هـ) من جهة ظهور أثر التواضع على العبد ، فقال : (اعلم أن التواضع يظهر بمعان خمسة بالقول والفعل والزى والأساس والمترل ، يكون فى المؤمن بعضها ، فمن كملت فيه فهو متواضع) [5] ، والقشيرى (ت:465هـ) يجعل كلامه عن التواضع

1. طبقات الصوفية ص12 .
2. السابق ص138 .
3. التعرف ص115 .
4. طبقات الصوفية ص189 .
5. قوت القلوب 138/2 .

شرحا لشاهد نبوى ، أو توضيح للقدوة من فعل النبى ε ، فالتواضع عنده هو الاستسلام للحق ، وترك الاعتراض على الحكم ، ويعلل ذلك بما روى عن ابن مسعود τ ، عن النبى ε قال : " لا يدخل الجنة من كان فى قلبه ، مثقال ذرة من كبر " [1] وحديث أنس τ ، قال : " كان رسول اللَّه ε ، يعود المريض ويشيع الجنائز ، ويركب الحمار ، ويجيب دعوة العبد " [2] ، وربما قسم بعضهم التواضع على درجات متعدة عند الصوفية منها [3] :

الدرجة الأولى : التواضع للدين وهو ألا يعارض معقوله منقولا .

الدرجة الثانية : أن ترضى نفسك بأخوة المؤمن ، الذى رضيه اللَّه تعالى لنفسه عبدا ، وأن لا ترد على عدل حقا ، وتقبل من المعتذر معاذيره .

---

1. جزء من حديث عبد اللَّه بن مسعود ، أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان (91) 93/1 ولفظه عن النبي ε قال : " لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر قال : رجل إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة ، قال : إن اللَّه جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس " .

2. الرسالة 380Ύ381/1 ، والحديث أخرجه الترمذى عن أنس بن مالك فى كتاب الجنائز (1017) ، وقال الألبان : ضعيف 337/3 ، ولفظه : (كان رسول اللَّه ε يعود المريض ويشهد الجنازة ويركب الحمار ويجيب دعوة العبد ، وكان يوم بني قريظة على حمار مخطوم بحبل من ليف عليه إكاف من ليف) وقال الترمذى : هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث مسلم الأعور عن أنس وهو ضعيف .

3. حياة القلوب على هامش قوت القلوب 227/2، ص228.

الدرجة الثالثة : أن تتواضع للحق ، فتترل عن رأيك وعوائدك فى الخدمة .

وللكاشانى تقسيم آخر للتواضع ، يعبر به عن المفهوم الصوفى على اختلاف مسالكه ، وإن كان قريبا فى هذه المرة من الأصول القرآنية والنبوية :

1- التواضع للمريد : وهو ألا يعارض بمعقول منقولا ، أى لا تعارض بين المنقول من الكتاب والسنة بالمعقول لك ، بحيث تطلب صحة بالاستدلال على ذلك ببحثك ونظرك ، بل تكون مطيعا للأمر تقليدا ، والخبر إيمانا من غير طلب تعقل أمر وراء المفهوم مما أخبرت به ، أو وراء المعرفة لكيفية التعبد بما أمرت به وهذا المعنى نفيس يؤدى إلى نفى البدعة واتباع السنة .

2- التواضع للإرادة : هو أن يترك العبد جميع المرادات والمطالب ، بحيث لا يريد من الحق إلا ما أراده ، فيترل عن مراد نفسه ، ويترك الحق يتصرف فيها على مراده تعالى ، وهذا المعنى يتوافق مع الأصول القرآنية إذا كان يقصد به الرضا بالقدر ، أما ما يأتى من المعانى ، فتتمشى مع المنهج العام للمتحققين فى الإيمان ، وإن كانت التقسيمات التى ذكرها للتواضع وتسمية كل نوع باسم مستقل يفتقر إلى الإقناع .

3- التواضع للحقيقة : هو أن تنزل عن رسمك الذى هو نفسك لتنفية الحقيقة وهذا النزول ، وإن كان غير مكتسب ، لأن الفناء إنما يكون وقت اضمحلال ظلمة الرسوم فى نور التجلى ، لكن مداومة العبد على رياضة نفسه ، بملازمة الذكر ، ومنع العادة وتحمله لمشاق المجاهدة ، هو الذى يعده لأن يصير من أهل المقامات .

4- التواضع مع الخلق : هو بأن ينتفى عنك الخضوع لأحد من الخلق عند حاجتك إليه ، كما ينتفى عنك الجفاء وقت الغنى عنه ، وذلك لأن الخضوع عند الحاجة ليس من باب التواضع ، إنما هو من باب الصنعة والمسكنة والخديعة ، فالمتواضع بالحقيقة من كان قصده فى قربه من الناس الرحمة بهم واللين لهم ، وفى بعده عنهم الزهد فيما فى أيديهم والنزهة عما لا يحل له منهم عند المخالطة لهم ، فمثل هذا لا يكون قربه ممن قرب منه مكرا وخديعة ، ولا بعده عمن تباعد عنه تكبرا وعظمة ، وهذا هو التحقق بالتواضع مع الخلق لأجل تعظيمه للحق ، وذلك أكمل أوصاف العبد عند ملابسته للخلق [1] .

****

29ـ التوبـــة

****

التوبة : التوبة ترك الذنب على أجمل الوجوه ، وهو أبلغ وجوه الاعتذار فإن الاعتذار على ثلاثة أوجه : إما أن يقول المعتذر : لم أفعل ، أو يقول : فعلت

لأجل كذا ، أو يقول : فعلت وأسأت وقد أقلعت ، ولا رابع لذلك ، وهـذا الأخير هو التوبة [2] .

1. لطائف الإعلام 363/1 ، 364 .
2. المفردات ص76 .

والتوبة فى الشرع : ترك الذنب لقبحه ، والندم على ما فرط منه ، والعـزم على ترك المعاودة ، وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من الأعمال بالإعادة ، فمـتى اجتمعت هذه الأربع ، فقد كمل شرائط التوبة ، قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّـذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا } [التحريم/8] ، وقال سبحانه : { إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا } [التحريم/4] [1] .

والتائب يقال لباذل التوبة ولقابل التوبة ، فالعبد تائب إلى اللَّه ، واللَّه تائـب على عبده ، والتواب العبد الكثير التوبة ، وذلك بتركه كل وقت بعض الذنوب على الترتيب حتى يصير تاركا لجميعه ، وقد يقال لله ذلك ، لكثرة قبوله توبـة العباد حالا بعد حال ، قال الله تعالى : { رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّـكَ أَنْـتَ التَّـوَّابُ الـرَّحِيمُ } [البقرة/128] وقال : { إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ } [البقرة/37] ، وعن أنس τ قال : قال رسول اللَّه ε : " اللَّه أفرح بتوبة عبده ، من أحدكم سقط على بعـيره ، وقد أضله في أرض فلاة " [2] .

وقوله : { وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا } [الفرقان/71] أى التوبة التامة ، وهو الجمع بين ترك القبيح ، وتحرى الجميل [3] ، وجميع الأيات القرآنية والأحاديث النبوية التى وردت فى التوبة على هذا المعنى .

1. السابق ص76 ، وكتاب العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي 138/8 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب الدعوات (6309) 105/11 .
3. لسان العرب 233/1 ، وانظر السابق ص76 .

التوبة فى الاصطلاح الصوفى :

التوبة فى الاصطلاح الصوفى وردت فى أغلب ألفاظهم على المعنى القرآنى البسيط ، مؤيدة فى الغالب بالشواهد القرآنية والنبوية ، كما روى عن عمرو بن عثمان المكى (ت:291هـ) قال : (التوبة فرض على جميع المذنبين والعاصين صغر الذنب أو كبر ، وليس لأحد عذر فى ترك التوبة بعد ارتكاب المعصية لأن المعاصى كلها ، قد توعد اللَّه عليها أهلها ، ولا يسقط عنهم الوعيد إلا بالتوبة وهذا مما يبين أن التوبة فرض) [1] ، وربما كان لبعضهم فيها جتهاد لا يخلو من الإيجابية ، كاختلافهم فى نسيان الذنب مع التوبة ، او عدمه فيروى عن سهل بن عبد اللَّه التسترى (ت:293هـ) أنه قال : (التوبة إلا تنسى ذنبك) ، وعن الجنيد بن محمد (ت:297هـ) : (التوبة نسيان الذنب) [2] ، وبيان ذلك عندهم ، كما ذكر الطوسى ، أن التوبة التى ذكرها سهل ، توبة المبتدئين والتى

1. طبقات الصوفية ص202 وانظر فى التوبة عند الصوفية أيضا تنبيه الغافلين للسمرقندى ص35 ، والرعاية لحقوق الله للمحاسبى ص68 وما بعدها ، وللغزالى روضة الطالبين ص168 ، ومنهاج العابدين ص10 ، وإحياء علوم الدين 2/4 وما بعدها ، وعوارف المعارف للسهروردى ص487 ، وكتاب كشف الغايات لابن عربى ص484 نشر بمجلة الشروق بيروت سنة 1967 م ، وانظر المنهج الصوفى فى الأخلاق ، رسالة دكتوراه محمد يوسف ابن الحاج محمد مخطوط بمكتبة كلية دار العلوم رقم 375 سنة1974 م ص120 وما بعدها .
2. اللمع فى التصوف ص68 .

ذكرها الجنيد توبة المتحققين ، لأنه يخرج حلاوة ذلك الفعل من قلبه خروجا لا يبقى له فى سره أثر ، حتى يكون بمنزلة من لا يعرف ذلك قط [1] .

والتوبة يجعلها أبو يعقوب السوسى (ت:304هـ) بداية طريق الصادقين إلى الله ، فيروى عنه أنه قال : (التوبة أول مقام من مقامات المنقطعين إلى اللَّه ومعناها الرجوع من كل شئ ذمة العلم إلى ما مدحه العلم) [2] ، ويذكر المكى (ت:386هـ) أن فرض التوبة الذى لا بد للتائب منه ، ولا يكون محقا صادقا إلا به ، الإقرار بالذنب ، والاعتراف بالظلم ، ومقت النفس على الهوى ، وحل الإصرار الذى كان عقده على أعمال السيئات ، وإطابة الغذاء بغاية ما يقدر عليه ، لأن الطعمة أساس الصالحين ، ثم الندم على ما فات من الجنايات ، يقول أبو طالب المكى [3] :

(وجملة ما على العبد من التوبة ، وما تعلق بها عشر خصال : فرض عليه ألا يعصى اللَّه تعالى ، وأن ابتلى بمعصية لا يصر عليها ، والتوبة إلى اللَّه تعالى منها

والندم على ما فرط منه ، وعقد الاستقامة على الطاعة إلى المـوت ، وخـوف العقوبة ، ورجاء المغفرة ، والاعتراف بالذنب واعتقاد أن اللَّه تعالى قدر ذلـك عليه ، وأنه عدل منه ، والمتابعة بالعمل الصالح ليعمل فى الكفارات لقول الـنبى

1. التعرف ص111 .
2. اللمع ص68 .
3. قوت القلوب 179/1 .

صلى الله عليه وسلم : " واتبع السيئة الحسنة تمحها " [1] ، ويعتبر كلام المكـى من أنفس ما قيل فيها ، لا سيما عندما قسم التوبة إلى نوعين [2] :

1- توبة العموم ، ويستدل لها بقوله تعالى : { وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } [النور/31] ، ويذكر فى معناها ، ارجعوا إليه من هوى نفوسكم ، ومن وقوفكم مع سهواتكم ، عسى أن تظفروا ببغيـتكم فى المعاد ، وكى تبقوا ببقاء اللَّه فى نعيم لا زوال له ولا نفاد ، ولكى تفوزوا وتسعدوا بدخول الجنة ، وتنجوا من النار ، فهذا هو الفلاح .

2- توبة الخصوص ، ويستدل لها بقوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ } [التحريم/8] ، ويذكر فى معناها ، أن النصوح من النصح على وزن فعول ، للمبالغة فى النصح ، ومعناه خالصة لله تعالى مجردة لا تتعلق بشئ ، ولا يتعلق بها شئ ، وهو الاستقامة على الطاعة ، من غـير

روغان إلى معصية ، كما تروغ الثعالب ، وألا يحدث نفسه بذنب متى قدر عليه ، وأن يترك الذنب لأجل اللَّه تعالى خالصا لوجهه ، كما ارتكبه لأجل

1. أخرجه الترمذى عن أبي ذر فى كتاب البر والصلة (1987) وقال الشيخ الألبانى : حسن 355/4 ، ولفظه قال أبو ذر τ : "قال لي رسول اللَّه ε : اتق اللَّه حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن" وقال أبو عيسى الترمذى : هذا حديث حسن صحيح .
2. السابق 179/1 .

هواه مجمعا عليه بقلبه وشهوته ، فهذه هى التوبة النصوح ، وهذا العبد هو التواب المتطهر الحبيب .

ويذكر القشيرى (ت:465هـ) أن التوبة أول منزل من منازل السالكين وأول مقام من مقامات الطالبين ، وحقيقة التوبة الرجوع عما كان مذموما فى الشرع إلى ما هو محمود فيه ، واستدل لذلك بقوله تعالى : { وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } [النور/31] ، كما استدل بأصول قرآنية ونبوية أخرى [1] .

ويعلق الكاشانى التوبة على معنى الرجوع إلى اللَّه تعالى ، ويجعل ذلك على مراتب بعضها يوافق الأصول القرآنية ، وبعضها يخالف ، فمنها : الرجوع من المخالفة إلى الموافقة ، ومن الطبع إلى الشرع ، ومن الظاهر إلى الباطن ، ومن الخلق إلى الحق ، بحيث يتوب العبد عن كل ما سوى اللَّه ، بحيث لا يبقى فى قلبه ميل إلى غير ربه تعال ى، وهذا هو الذى يعبد اللَّه لله ، لا لرغبة فى مثوبة

أو رهبة فى عقوبة ، ثم يتوب بعد ذلك من علة التوبة ، أى من رؤيته بأن التوبة مما سوى اللّه ، إنما حصلت له من نفسه ، بل إنما هى فضل ربه ، ثم يتوب من رؤية توبته من تلك العلة ، بحيث لا يرى أنه رأى ذلك بنفسه إنما رآه بربه [2] .

---

1. الرسالة القشيرية 275/1 .
2. لطائف الإعلام 352٢353/1 ، وكلام الكاشانى فى نهايته يؤدى إلى الفناء عن شهود السوى ، مما يوقع فى فلسفة الحلول والاتحاد ، للتعرف على التوبة من الوجهة الكلامية يمكن الرجوع إلى غاية المرام فى علم الكلام الآمدى (تحديد معناها وجوبها عقلا =

****

30ـ التوجـــه

****

التوجه : وجهت الشئ أرسلته فى جهة واحدة فتوجه ، ويقال لتوجه القلب والبدن وإن كان توجه البدن تابع لتوجه القلب [1] ، فتوجه القلب بمعنى توجه أعمال القلوب كالنية والقصد والعزم والإخلاص ، قال تعالى : { وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا } [البقـرة/148] ، وقال تعالى عن إبراهيم عليه السلام : { قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَـرَ السَّـمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ } [الأنعام/79:78] ، ومن توجه البدن ، التوجـه إلى

القبلة ، كما روى عن جابر بن عبد اللَّه τ ، قال : "كان رسول اللَّه ε يصـــلي على راحلته حيث توجهت فإذا أراد الفريضة نزل فاستقبل القبلة " [2] .

وعن البراء بن عازب رضي اللَّه عنهما ، قال : " كان رسول اللَّه ε صلى نحو بيت المقدس ، ستة عشر أو سبعة عشر شهرا ، وكان رسول اللَّه ε يحـــب أن

= عند المعتزلة وجوب قبولها على الله عندهم ، كتاب الفصل فى الملل والأهواء والنحل ابن حزم 62:61/4 ، مذاهب الإسلاميين عبد الرحمن بدوى ، دار العلم للملايـــين بيروت 379:376/2 ، الإرشاد الجوينى ص410:403 ، وتأويلات أهل الســـنة لأبى منصور الماتريدى تحقيق إبراهيم عوضين القاهرة1971م 130:128/1 .

1. المفردات ص514 .

2. أخرجه البخارى فى كتاب الصلاة (399) 598/1 .

يوجه إلى الكعبة فأنزل اللَّه : { قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ } [البقـــرة/144] ، فتوجه نحو الكعبة وقال السفهاء من الناس وهم اليهود : { مَا وَلاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } [البقـــرة/142] فصلى مع النبي ε رجل ، ثم خرج بعد ما صلى ، فمر على قوم من الأنصار في صلاة العصر نحو بيت المقدس ، فقال : هو يشهد أنه صلى مع رسول اللَّـــه ε وأنه توجه نحو الكعبة ، فتحرف القوم حتى توجهوا نحو الكعبة " [1] .

وقال تعالى : { وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لا يَقْدِرُ عَلَى شَـــيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهُّ لا يَأْتِ بِخَيْرٍ } [النحل/76] ، وعن عثمان بـــن

حنيف τ ، أن رجلا ضرير البصر ، أتى النبي ε ، فقال : ادع اللَّـه أن يعافيني ، قال : إن شئت دعوت ، وإن شئت صبرت فهو خير لـك ، قـال : فادعه ، قال : فأمره أن يتوضأ ، فيحسن وضوءه ، ويدعو بهذا الدعاء : اللَّهـم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة إني توجهت بـك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي اللَّهم فشفعه في [2] .

3- وقد يطلق التوجه بمعنى الإلزام والأمر المفروض ، كقول عبد اللَّه بن أبي بن سلول ومن معه من المشركين وعبدة الأوثان ، يحت بعضهم بعضا على الإسلام

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب الصلاة (400) 600./1.
2. أخرجه الترمذى فى كتاب الدعوات (3578) وقال الشـيخ الألبـانى : صـحيح 569/5 وابن ماجة فى كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها (1385) 441/1.

نفاقا لما قوى بعد غزوة بدر : " هذا أمر قد توجه ، فبايعوا الرسـول ε علـى الإسلام فأسلموا " [1] .

التوجه فى الاصطلاح الصوفى :

والتوجه فى الاصطلاح الصوفى ، يعنى إخلاص النية ، وإرادة العبودية فى كـل قول وعمل ، ومما ورد فى ذلك ، قول سهل بن عبد اللَّه فى حد التوجه : (هو قصد العبد فى حركاته وسكونه إلى اللَّه ، [2] ، ويذكر القشيرى أن التوجه هو إفراد القصد وتطهير العقد وحفظ العهد وتخليص الوجد ، كما توجه إبراهيم υ فى قوله تعالى : { إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا

أَنَا مِنْ الْمُشْرِكِين } [الأنعام/79] ، يقول القشيرى فى قول إبـــراهيم وجهـــت وجهى : (أفردت قصدى لله ، وطهرت عقدى عن غير الله ، وحفظت عهدى فى الله لله ، وخلصت وجدى بالله ، فإنى لله بالله ، بل محو فى الله بالله لله) [3] .

ويذكر فى قوله تعالى : { وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا } [البقرة/148] إن كل قوم اشتغلوا عنا بشئ حال بينهم وبيننا فكونوا أنتم أيها المؤمنون لنا وبنا :

إذا الأشغال ألهونى عنك بشغلهم : جعلتك أشغالى فأنسيتنى شغلى [4] .

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب تفسير القرآن (4566) 78/8 .
2. تفسير سهل بن عبد اللَّه التسترى ص36 .
3. لطائف الإشارات 135/1 .
4. السابق 485/1 .

ويقسم الكاشانى التوجه عند الصوفية إلى نوعين :

1- توجه الأصاغر : وهو المقصود بما سبق من المعانى عندهم ، ويراد به حضور القلب مع الحق ، ومراقبته له بتفريغه عن كل ما سواه ، من صور الأكـــوان والكائنات [1] .

2- توجه الأكابر الكمل : ويعنى من منظور وحدة الوجود ، ألا يجعل العبد فى عبوديته لربه متعلقا غير الحق ، وأن يكون ذلك تعلقا جمليا كليـــا ، غـــير محصور فيما يعلمه العبد منه تعالى ، أو يسمعه عنه ، بل على نحو ما يعلـــم

سبحانه نفسه فى أكمل مراتب علمه بنفسه وأعلاها ، فمن كان فى العبودية والعمل على هذا النحو من التوجه فإن توجهه أكمل التوجهات [2] .

****

31ـ التوحيـــد

****

التوحيد : التفرد يقال : فلان واحد دهره ، أى لا نظير له [3] ، والتوحيـــد الإيمان باللَّه وحده لا شريك له ، وهو على ثلاثة أنواع :

(1- إفراد اللَّه بالربوبية ، كما جاء فى قوله تعالى : { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُــوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُــولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُــوا ثَلاثَــةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلا } [النساء/171] ، وكقولــه تعــالى : { يَــا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ } [يوسف/39] .

---

1. لطائف الإعلام 365/1 وانظر فى التوجه عند ابن عربى الفتوحات المكية 265/1 .
2. السابق 365/1 .
3. المفردات ص515 وانظر لسان العرب 70/3 ، والقاموس المحيط 414/1 .

(2- إفراد اللَّه بأسمائه وأوصافه : كقوله تعالى : { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ } [الشورى/11] وقوله : { وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ } [الإخلاص/4] وقوله سبحانه : { هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا } [مريم/65] .

(3- إفراد اللَّه بالعبادة : كقوله تعالى : { إِنْ الْحُكْمُ إِلا لِلَّهِ أَمَرَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ } [يوسف/40] ، وقال ابن عباس τ : لما بعث النبي ε معاذ بن جبل τ إلى نحو أهل اليمن ، قال له :

" إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب ، فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا اللَّه تعالى ، فإذا عرفوا ذلك ، فأخبرهم أن اللَّه قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم .." [1] ، وفى رواية : " فليكن أول ما تدعوهم إليه ، عبادة اللَّه عز وجل " [2] ، ومن حديث جابر بن عبد اللَّه τ ، يصف حجة الوداع : " ورسول اللَّه ε بين أظهرنا ، وعليه يترل القرآن ، وهو يعرف تأويله ، وما عمل به من شيء عملنا به ، فأهل بالتوحيد ، لبيك اللَّهم لبيك ، لبيك لا

1. أخرجه البخارى فى كتاب التوحيد (7372) 359/13 .
2. أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان (19) 51/1 .

شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك " [1] وعن أبي هريرة τ ، أن رسول اللَّه ε كان إذا أراد أن يضحي اشترى كبشين عظيمين سمينين أقرنين ، أملحين موجوءين ، فذبح أحدهما عن أمته ، لمن شهد لله بالتوحيد وشهد له بالبلاغ وذبح الآخر عن محمد وعن آل محمد ε) [2] .

والتوحيد فى القرآن ، أغلبه يدور على النوع الثالث ، لكون المشركين نازعوا فيه دون الباقى ، قال تعالى عن إقرارهم بالتوحيد فى النوعين السابقين : { وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ } [الزخرف/9] وقال عن موقفهم من الثالث : { وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُون } [الزمر/45] ، أى إذا انفرد اللَّه بالذكر للعبادة دون آلهتهم ، كقوله تعالى : { فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا } [الحج/34] تعجبوا وأنكروا وقالوا : { أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ } [ص/5] ، وعن عمرو بن العاص τ ، أن والده العاص بن وائل نذر في الجاهلية أن ينحر مائة بدنة ثم مات ، و لم يفعل وأن ولده هشام بن العاصي نحر حصته ، خمسين بدنة ، وأن عمرا τ سأل النبي ε ، عن أن يذبح الباقى فقال : " أما أبوك فلو كان أقر بالتوحيد ، فصمت وتصدقت عنه نفعه ذلك " [3] .

---

1. أخرجه مسلم فى كتاب الحج (1218) 886/2 .

2. أخرجه ابن ماجة فى الأضاحى (3122) ، وقال الشيخ الألبانى : صحيح 1034/2 .

3. أخرجه أحمد فى المسند (6665) .

وفى رواية أخرى ، فقال رسول اللَّه ε : " إنه لو كان مسلما ، فأعتقتم عنه أو تصدقتم عنه ، أو حججتم عنه ، بلغه ذلك " [1] .

التوحيد فى الاصطلاح الصوفى :

والتوحيد عند أغلب الصوفية ورد بالمعنى الشرعى ، فمنهم من تناوله بصبغة كلامية معبرة عن طريقة السلف ، كما روى عن ذى النون (ت:248هـ) أنه سئل عن التوحيد ؟ فقال : (هو أن تعلم أن قدرة اللّه تعالى فى الأشياء بلا مزاج ، وصنعه للأشياء بلا علاج ، وعلة كل شئ صنعه ، ولا علة لصنعه وليس فى السماوات العلى ولا فى الأرضين السفلى مدبر غير اللّه تعالى ، ومهما تصور وهمك فاللّه تعالى بخلاف ذلك) [2] ، ومثله أيضا ما ينسب إلى الجنيد بن محمد (ت:297هـ) أنه قال : (التوحيد إفراد القديم عن الحدث) [3] ، ويعنى إفراد الموحد بتحقيق وحدانيته ، بكمال أحديته ، وأنه الواحد الذى لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفوا أحد ، ينفى الأضداد والأنداد والأشباه بلا تشبيه ولا تكييف

1. أخرجه أبو داود فى كتاب الوصايا (2883) ، وقال الشيخ الألبانى : حسن 118/3 وانظر سنن البيهقى الكبرى (12417) 279/6 .
2. اللمع ص49 .
3. كشف المحجوب للهجويرى ص334 ، كثيرا ما يستشهد ابن تيمة بكلام الصوفية فى التوحيد وإثبات الصفات ، معتبرا المعتدلين منهم من علماء السلف المحققين ، انظر أسس الاتفاق بين السلفية ومشايخ الصوفية فى تراث ابن تيمية ، الطبلاوى محمود حسين سعد رسالة دكتوراه بكلية دار العلوم ، (837) لسنة 1982م .

ولا تصوير ولا تمثيل ، لقوله تعالى : { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ } [الشورى/11] [1] ، ويذكر الهجويرى (ت:465هـ) التوحيد مدللا على معناه بالأصول القرآنية والنبوية ، فمن القرآن قوله تعالى : { وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ

إِلا هُوَ الرَّحْمنُ الرَّحِيمُ } [البقرة/163] وقوله : { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } [الإخلاص/1] وقوله : { لا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ } [النحل/51] ، ومن السنة ما روى عن عبد اللَّه بن مسعود τ يرفعه إلى رسول الله ε :

" أن رجلا لم يعمل من الخير شيئا قط ، إلا التوحيد فلما حضرته الوفاة ، قال لأهله : إذا أنا مت ، فخذوني واحرقوني حتى تدعوني حممة ، ثم اطحنوني ، ثم اذروني في البحر في يوم راح ، قال : ففعلوا به ذلك ، قال : فإذا هو في قبضة اللَّه ، قال : فقال اللَّه عز وجل له : ما حملك على ما صنعت؟ ، قال : مخافتك قال : فغفر اللَّه له " [2] .

ثم يبين أن حقيقة التوحيد مركبة من إثبات توحيد شئ ما ، وفى كمال معرفة توحيده ، وكما أن اللَّه سبحانه وتعالى واحد ، ليس له شريك فى ذاته ولا فى صفاته ، وليس له بديل ولا شريك فى أعماله ، وحيث أن الموحدين يعتقدون بأنه كذلك ، فمعرفتهم بالتوحيد تسمى توحيدا ، ثم قسم التوحيد على ثلاثة أنواع [3] :

---

1. الرسالة القشيرية 583/2 .
2. أخرجه أحمد (3776) والبخارى فى كتاب أحاديث الأنبياء (3481) 594/6 .
3. كشف المحجوب ص331Ύ332 وانظر الرسالة القشيرية 582/2 .

1- توحيد اللَّه لنفسه : ويعنى علمه بتوحيده كقوله تعالى : { شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ } [آل عمران/18] .

2- توحيد اللَّه فى خلقه : ويعنى أمره للإنسان بنطق التوحيد كقوله سبحانه وتعالى : { فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا } [الحج/34] .

3- توحيد الناس لله : وذلك معرفتهم بتوحيده ، كقوله تعالى : { أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُون } [الأنعام/19] .

ويعتبر الكاشانى ما تقدم من أقوال الصوفية فى التوحيد ، توحيد البـــدديات وهو شهادة ألا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له ، الأحد الصمد الذى لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفوا أحد ، على وجهها المطلوب ، وأحيانا يسميه توحيد العامة [1] ، ويجعل درجة التوحيد بعدها على نوعين :

أ- توحيد الخاصة ، وهو أرقى من توحيد العامة إلى حد ما ، وحده أن لا يرى مع الحق سواه .

ب- توحيد خاصة الخاصة ، وهو المعتبر عنده ، وحدُّه ألا ترى سوى ذات واحدة ، وعند ذلك يتعذر التوحيد ، ولا يمكن تحققه إذ سيكون شركا فى عرفهم ، ويستدل الكاشانى لهذا النوع الراقى من التوحيد ، بما قاله عمر بن الفارض فى التائية حيث يقول :

---

1. معجم الكاشانى ص378 .

ولو أننى وحدت ألحدت وانسلخت : عن أى جمعى مشركا بى صنعتى

واستدل أيضا بقول أبى إسماعيل الأنصارى : وقد أجبت فى سالف الزمـــان سائلا سألنى عن توحيد الصوفية بهذه القوافى الثلاث :

ما وحد الوحد من واحد إذ كل من وحده جاحد

توحيد من ينطق عن نعته عارية أبطلها الواحد

توحيده إياه توحيده ونعت من ينعته لأحد

يقول الكاشانى معقبا فقوله : لاحد ، هو معنى قول سيدى عمر ، ولو أننى وحدت ألحدت [1] .

****

32ـ التوفيـــق

****

التوفيق : الوفق المطابقة بين الشيئين ، قال تعالى عن عذاب الكافرين :

---

1. لطائف الإعلام 367/1 ، 368 وانظر أيضا فى التوحيد عند فلاسفة الحلـــول ووحدة الوجود ، وأخبار الحلاج لأبى يوسف القزوينى ، نشرة ماســـينيون ص24 والمنحنى الشخصى لحياة الحلاج لماسينيون ص66 ، وكتاب الطواسين للحلاج ص9 ، وحكمة الإشراق للسهروردى المقتول ص367 ، وله أيضا هياكل الأنوار ص302 ، والفتوحات المكية لابن عربى 288/2 ، وانظـــر فصـــوص الحكـــم 145/2 ولابن سبعين رسالة بدء العارف ص54 ، وخطاب الله بلســـان نوره ص143 والرسالة الفقيرية ص229 .

{ جَزَاءً وِفَاقًا } [النبأ/26] وقال عمر بن الخطاب τ : " وافقت ربي في ثلاث فقلت : يا رسول اللَّه ، لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى ، فنزلت : { وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى } [البقرة/125] ، وآية الحجاب ، قلت : يا رسول اللَّه لو أمرت نساءك أن يحتجبن ، فإنه يكلمهن البر والفاجر ، فنزلت آية الحجاب واجتمع نساء النبي ε في الغيرة عليه ، فقلت لهن : { عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ } [التحريم/5] فنزلت هذه الآية " [1] .

والموافقة تطلق أيضا على المصادفة : يقال وافقت فلانا ، ووافقت الأمر صادفته ، ومن ذلك ما روى عن جابر بن عبد اللَّه τ ، أن النبي ε قال :

" إن في الليل لساعة لا يوافقها ، رجل مسلم يسأل اللَّه خيرا من أمر الدنيا والآخرة ، إلا أعطاه إياه ، وذلك كل ليلة " [2] ، وعن أبي هريرة τ ، أن النبي ε قال : " إذا أمن الإمام فأمنوا ، فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة ، غفر له ما تقدم من ذنبه " [3] .

والاتفاق مطابقة فعل الإنسان للقدر ، ويقال ذلك فى الخير والشر ، يقال : اتفق لفلان خير ، واتفق له شر ، وعن معاوية بن الحكم السلمي τ قال :

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب الصلاة (402) 601/1 وانظر فى معانى اللفظ المفردات للراغب الأصفهانى ص528 .
2. أخرجه مسلم فى كتاب صلاة المسافرين (757) 521/1 .
3. أخرجه البخارى فى كتاب الأذان (780) .

" قلت : يا رسول اللَّه ومنا رجال يخطون ، قال : كان نبي من الأنبيـــاء يخـــط فمن وافق خطه فذاك) [1] والخط أى الخط فى الرمل ، وهو نوع من الكهانـــة يدعى فيه الكاهن معرفة الغيب ، ولكنه فى الحديث وحى لكون الفاعل نبى .

والتوفيق مطابقة فعل الإنسان للقدر ، ولكنه يختص فى التعارف بـــالخير دون الشر ، كقوله تعالى : { وَمَا تَوْفِيقِي إِلا بِاللَّهِ } [هود/88] ، وكقوله عز وجل : { ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا } [النساء/62] ، وعن ابـــن عمر τ ، قال : " كان رسول اللَّه ε إذا رأى الهلال ، قال : اللَّه أكبر اللَّهم أهله علينا بالأمن والإيمان ، والسلامة والإسلام ، والتوفيق لما يحب ربنا ويرضى ربنا وربك اللَّه " [2] .

التوفيق فى الاصطلاح الصوفى :

التوفيق فى الاصطلاح الصوفى ، يتوافق فى الدلالة مع الأصول القرآنية السابقة فقد ذكره الحكيم الترمذى (ت:320هـــ) على معنى إعانة الله للعبد عند بلوغه حقيقة الصدق ، فيقول : (أما معرفة النفس من قبل مخالفتها والالتجاء إلى الله

---

1. أخرجه مسلم فى كتاب المساجد (537) .
2. صحيح بمعناه ، من رواية طلحة بن عبد الله عند الترمـــذى (3451) وصـــححه الألبانى 504/5 ، وابن حبان فى صحيحه (888) 171/3 ، وأخرجه الـــدارمى بلفظه عن ابن عمر فى كتاب الصوم (1687) 7/2 وهو منقطع ، انظـــر الجـــرح والتعديل لابن أبى حاتم رقم (1249) 264/5 ، والإكمال فى ذكر من له رواية فى مسند الإمام أحمد من الرجال لشمس الدين الحسينى رقم (522) ص 265 .

للنجاة منها ، فهذه معرفة فطن كيس ، فإذا علم الله الصدق من عبـــده ، فى هذا كان منه على أحد مترلتين ، فمترلة منه أن يهديه لطريق الجهـــد ، طريقـــا مستقيما لا يلتفت ، ولا يعرج على شئ ، ويوفقه ويعينه ، ويثيبه فيه حـــتى لا تختلف أحواله) [1] ، ويعرفه أبو طالب المكى (ت:386هـــــ) مـــن خـــلال استقصائه للمعانى القرآنية والنبوية ، فيقول : (التوفيق هو الاتفاق ، وهـــو أن يجمع اللَّه بينك وبين الشئ الذى تريده ، ولا بد منه فى كل عمل وإن قل ، قال تعالى : { وَمَا تَوْفِيقِي إِلا بِاللَّهِ } [هود/88] ولذا كان من دعائه ε : " يامقلـــب القلوب ثبت قلبى على دينك " [2] .

ويذكر القشيرى أن حقيقة التوفيق ما ينفق به الشئ ، وفى الشريعة التوفيق ما تنفق به الطاعة ، وهو قدرة الطاعة ، ثم كل ما تقرب العبد به من الطاعة مـــن توفير الدواعى وفنون المنهيات يعد من جملة التوفيق على التوسع ، والتوفيق باللَّه

---

1. العلل للحكيم الترمذى ص210 مخطوطة دار الكتب رقم 125 مجاميع .
2. قوت القلوب 124/1 والحديث أخرجه الترمذى فى كتاب القدر (2140)) وصححه الألبانى448/4 ، عن أنس τ قال : " كان رسول اللَّه ε يكثر أن يقول يا مقلب القلوب ، ثبت قلبي على دينك " وأخرجه اسحاق بن راهويـــه فى مســـنده حديث رقم (1369) 755/3 ، وأبو طالب المكى متميـــز فى أغلـــب أســـلوبه باعتماده على الكتاب والسنة ، وكلامه فى مسائل الاعتقاد من أجود ما يحـــتج بـــه لمذهب السلف ، وعلى الرغم من هذا له مخالفات يجب الحذر منها ، انظر المزيد فى رسالة ماجستير للدكتور عبد الحميد مدكور ، أبو طالب المكى ومنهجه الصـــوفى ، مخطوط بكلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، رقم 806 سنة1872م .

ومن اللَّه ، وهو سبحانه بإعطائه متفضل ، ومدار الأمر فى التوفيق على الأغراض المقتضية حسن القصد بالإصلاح ، فيقرن اللَّه به حسن التيسير ، ومن انطوى على قصد بالسوء ، وكل الحق بشأنه التعويق ، قال تعالى : { إِنْ أُرِيدُ إِلا الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلا بِاللَّهِ } [هود/88] (1) .

****

33ـ التوكل

****

التوكل : التوكيل أن تعتمد على غيرك ، وتجعله نائبا عنك ، قال الله تعالى : { وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلا } [الأحزاب/3] ، أى اكتف به أن يتولى أمرك ويتوكل لك ، وقال تعالى : { الَّذِينَ قَالَ لَهُمْ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ } [آل عمران/173] أى نعم الموكل عنا فى حفظنا منهم ، وقال تعالى : { وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلا تُنْظِرُونِي } [يونس/71] (2) .

---

1. لطائف الإشارات 152Y152/2 وقريب من كلام القشيرى ، قول الجرجانى فى حد التوفيق عند الصوفية : (التوفيق جعل اللَّه فعل عباده ، موافقا لما يحبه ويرضاه) التعريفات للجرجانى ص72 .
2. المفردات ص531 ، ص532 .

والتوكل يقال على وجهين :

1- يقال : توكلت لفلان ، بمعنى توليت له وتعهدته ، وعن سهل بن سعد الساعدي τ ، قال النبي ε : " من توكل لي ما بين رجليه ، وما بين لحييه ، توكلت له بالجنة " [1] ، وعن أبي هريرة τ ، أن رسول اللَّه ε قال : " مثل المجاهد في سبيل اللَّه ، واللَّه أعلم بمن يجاهد في سبيله كمثل الصائم القائم ، وتوكل اللَّه للمجاهد في سبيله بأن يتوفاه ، أن يدخله الجنة ، أو يرجعه سالما مع أجر أو غنيمة " [2] .

2- ويقال : وكلته فتوكل لى وتوكلت عليه ، بمعنى اعتمدته قال الله تعالى : { وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ } [الطلاق/3] ، وربما يفسر الوكيل بالكفيل ، والوكيل أعم ، لأن كل كفيل وكيل ، وليس كل وكيل كفيلا [3] ، وعن عمر بن الخطاب τ ، قال رسول اللَّه ε : " لو أنكم كنتم توكلون على اللَّه حق توكله ، لرزقتم كما يرزق الطير ، تغدو خماصا وتروح بطانا " [4] .

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب الحدود (6807) 115/12 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب الجهاد والسير (2787) 8/6 .
3. المفردات ص532 .
4. أخرجه الترمذى فى كتاب الزهد (2344) وقال : حديث حسن صحيح وقال الألبانى : صحيح 573/4 وأحمد فى المسند (272) .

التوكل فى الاصطلاح الصوفى :

تناول الصوفية التوكل فى الاصطلاح القرآنى بالشرح والتحليل ، واستقصاء الأدلة من الكتاب والسنة ، بحيث يمكن القول ، إن ما سجل عن بعضهم فيه يعد من قبيل البحث الجزئى المتميز ، ومن ثم حاز مصطلح التوكل قدرا كبيرا من الأقوال والآراء التى أدلى بها الصوفية على اختلاف فكرهم وتجاربهم ، والحق يقال إن كثيرا منهم أبدع فى بيانه وكشفه ، وكل له اجتهاده ، قال الحارث بن أسد المحاسبى (ت:243هـ) : (التوكل المفترض على الناس فى جملتهم ،هو التصديق لله عز وجل فيما أخبر من قسم ، حيث قال :

{ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ } [الذاريات/22:23] ، وكفالته من سياقه الأرزاق إليهم ، وإيصال الأقوات التى قسمها فى الأوقات التى وقتها ، بتصديق تقوم الثقة به فى قلوبهم وينفى به الشكوك عنهم والشبه ، ويصفون به اليقين ، ويثبت به حقائق العمل أنه الخالق الرازق المحيى المميت المعطى المانع المنفرد بالأمر كله ، فإذا صح هذا العلم فى القلوب ، وكان ثابتا فى عقود الإيمان ، تنطق به الألسنة إقرارا منها بذلك لسيدها ، ويرجع إلى ذلك العلم عند تذكرها ، دفع الإسم عليها بالتوكل) [1] ، وإذا كان كلام المحاسبى فى التوكل ، معبرا بصدق عن مجموع الأصول القرآنية والنبوية ، فإن أبا تراب النخشبى (ت:245هـ) روى عنه فى

---

1. الرزق الحلال وحقيقة التوكل على اللّه .للحارس بن أسد المحاسبى (ت:243هـ) تحقيق محمد عثمان الخشت طبعة مكتبة القرآن سنة 1984م ص40 .

التوكل كلام نفيس ، يدل على عمق النظر فى فهم الأصول القرآنية ، حيث سأل عن التوكل ؟ فأجاب : (التوكل طرح البدن فى العبودية ، وتعلق القلب بالربوبية ، والطمأنينة إلى الكفاية ، فإن أعطى شكر ، وإن منع صبر راضيا موافقا للقدر) [1] ، ومثله أيضا ما ينسب لسهل بن عبد اللَّه (ت:293هـ) أنه قال : (من طعن فى الحركة ، فقد طعن فى السنة ، ومن طعن فى التوكل فقد طعن فى الإيمان ، والتوكل حال النبى ε ، والكسب سنته ، فمن بقى على حاله فلا يتركن سنته) [2] .

وينفى الحكيم الترمذى (ت:320هـ) عن التوكل ، ما اشتهر عن الصوفية في الماضى والحاضر من التواكل والجبرية ، فقال فيمن ترك الطلب ، والسعى فى الأسباب ، وتواكل بحجة أن الرزق ليطلب العبد كما يطلبه أجله ، وقد ضمن اللَّه الرزق : (إن كانوا قعدوا ينبغى لهم أن يقوموا وأن يطلبوا ، تحرزا من الطمع وفساد القلب ، فلا يضيع حق الزوجة والولد ، برغم أن أرزاقهم على اللَّه ، فهذا تارك للسبيل والسنة ، لقوله تعالى : { وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ } [البقرة/233]) [3] ، وربما عبر عبد اللَّه بن خفيف الشيرازى (ت:371هـ) عن ذلك بقوله : (التوكل الاكتفاء بضمانه وإسقاط التهمة عن قضائه) [4] .

---

1. الرسالة 418/1 .   2. قوت القلوب 16/2 .
3. آداب المريدين وبيان الكسب للحكيم الترمذى ص168 ، 169 .
4. سيرة الشيخ الكبير عبد اللَّه بن خفيف ص326 وانظر طبقات الصوفية ص465 =

ويظهر أبو طالب المكى (ت:386هـ) من خلال استقصائه الشامل للشواهد القرآنية والنبوية التى وردت فى التوكل ، كيف يخطوا الراغبون فى التوكل على الله فى درجات التوكل ، ومراحله على وجه التحديد ، وينصح المريد أن يلتزم بثلاث درجات لا يقلل من شأنها ولا يأخذ بواحدة ويدع الأخرى :

الدرجة الأولى : توجه القلب إلى اللَّه على الدوام ، لعلمه أن اللَّه على كل شئ قدير ، وهو المعطى المانع ، فالقدرة كلها له ، يحكم فى خلقه بأمره ما شاء كيف شاء ، أما الأسباب فهى مثل الآلة بيد الصانع يقول المكى : (ألا ترى أنه لا يقال الشفرة حذت النعل ولا السوط ضرب العبد ، إنما يقال الحذاء حذ النعل ، وفلان ضرب عبده بالسوط ، وإن كانت هذه الأواسط مباشرة للأفعال إلا أنها آلة بيد صانعها ، وكذلك الخليقة يباشرون الأسباب فى ظاهر العيان واللَّه من ورائهم محيط ، القادر الفاعل بلطائف القدرة وخفايا المشيئة) [1] .

الدرجة الثانية : توجه الجوارح إلى الأسباب ، فقد أثبت اللَّه الأسباب كأواسط لمعانى الحكمة فى التصريف والتقليب ، وإيقاع الأحكام على المحكوم وعودة الثواب والعقاب على المرسوم ، من حيث كان المتوكل قائما بأحكام الشريعة ، ملتزما لمتطلبات العلم ، إذ أمرنا بالسعى فيها ، فلا يضر التصرف

= وحلية الأولياء 0/1 ص386 وطبقات السبكى 154/2 ، وقارن بين كلام الصوفية السابق ورأى ابن عربى واتفاقه معهم على هذا المعنى القرآنى للتوكل من خلال الرجوع إلى الفتوحات المكية 199/2وما بعدها .

1. قوت القلوب 13/2 .

والتكسب فى المعايش لمن صح توكله على اللّه ، ولا يقدح فى مقامه ولا ينقص من حاله ، قال اللّه تعالى : { وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا } [النبأ/11] ، وقال تعالى : { وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلا مَا تَشْكُرُونَ } [الأعراف/10] ، وروى عن النبى ε : " أحل ما أكل العبد ، من كسب يده ، وكل بيع مبرور " [1] ، وقد كان الصانع بيده ، أحب إليهم من التاجر ، والتاجر أحب إليهم من البطال ولأن التوكل من شرط الإيمان ووصف الإسلام ، قال اللّه تعالى : { إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ } [يونس/84] ، فاشترط فى الإيمان به والإسلام له ، التوكل عليه ، فإن كان المتوكل حال التصرف فيها قد دخل في الأسباب ، وهو ناظر إلى المسبب فى تصريفه ، معتمد عليه ، واثق فيما يقلبه فيه مولاه ، عالم بأن اللّه تعالى قد أودع الأشياء منافع خلقه ، وجعلها خزائن حكمته ، ومفاتح رزقه ، ويكون أيضا متبعا للسنة تاركا للترفه والتنعم ، فهو فى تكسبه وتصرفه أفضل ممن دخلت عليه العلل فى توكله فساكنها .

الدرجة الثالثة : التسليم والرضا التام بما قضاه اللّه وقدره ، لأن الاستسلام لقضاء اللّه وقدره لا يكون إلا لنتيجة الفعل ، ولا يأتى فى المقدمة ، أى فى مرحلة الأخذ بالأسباب ، فإن هذا القول يكون تعبيرا عن المرحلة الأخيرة

---

1. الحديث صحيح بمعناه ، أخرجه أحمد فى المسند (16814) عن رافع بن خديج ولفظه : قيل : يا رسول اللّه أي الكسب أطيب ؟ قال : عمل الرجل بيده ، وكل بيع مبرور ، وأخرجه ابن ماجة فى سننه (2138) ، وصححه الألبانى 723/2 ، والحاكم فى المستدرك (2160) 13/2 .

من التوكل بعد ظهور نتيجة الفعل ، وعلى ذلك يحمل قولهم : التوكل الاستسلام لجريان القضاء فى الأحكام [1] ، وحال العبد وقتها حسن اليقين وقوة المشاهدة وجميل الصبر وحقيقة الرضا ، فسكنت القلوب واطمأنت النفوس عند النوازل والبؤس ، وثبتوا فى الابتلاء ، لشهود المبلى يدبر الخلائق كيف شاء فحصل لهم مقام اليقين ، وحال من التوكل ، ونصيب من الرضا .

ويحاول السراج الطوسى (ت:387هـ) أن يستند إلى القرآن فى تصنيف بعض آياته على نحو يجعل التوكل درجات للملتزمين به ، توكل العامة مختلف عن الخاصة ، وخاصة الخاصة فقال : (التوكل مقام شريف ، قد أمر اللَّه تعالى به وجعله مقرونا بالإيمان ، لقوله تعالى : { وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلْ الْمُتَوَكِّلُونَ } [إبراهيم/12] وقال فى موضع آخر : { وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلْ الْمُؤْمِنُونَ } [المائدة/11] فخص توكل المتوكلين ، من توكل المؤمنين ، ثم ذكر توكل خصوص الخصوص فقال : { وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ } ، لم يردهم إلى شئ سواه ، كما قال لسيد المرسلين وإمام المتوكلين ε : { وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا } [الفرقان/58]) [2] .

وهذا التقسيم السابق مع شموليته واستفائه المعانى والأصول القرآنية ، إلا أنه يعد مفهوما متواضعا عند بعض الصوفية ، فهو عندهم توكل العامة ، إذ نظروا إلى التوكل نظرة غريبة ،يشع منها الحلول والاتحاد بالله أنعكست بسببه المفاهيم

---

1. الرسالة 421٢423/1 .
2. اللمع ص78 .

فقالوا : (التوكل ترك التوكل ، وهو أن يكون اللَّه لهم حيث كان لهم ، إذ لم يكونوا موجودين) [1] ، حيث يكون العبد في هذه الدرجة مضمحلا لا وجود له ، ومن ثم يسقط التوكل ، يقول الكاشانى : (التوكل أن ملكة الحق للأشياء ملكة عزة ، لا يشاركه فيها مشارك ليكل شركته إليه) [2] .

****

34ـ الثقـــــــــة

****

الثقة : السكون بالشئ والاعتماد عليه والاطمئنان به ، كقول يعلى بن أميـــة رضى الله عنه : " غزوت مع النبي ε جيش العسرة ، فكان من أوثق أعمالي في نفسي " [3] .

والوثاق اسم لما يوثق به ، وأوثقته شددته ، قال تعالى : { حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ } [محمد/4] ، وقال سبحانه : { فَيَوْمَئِذٍ لا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَـــدٌ وَلا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ } [الفجر/ 26:25] ، وعن أبي هريرة τ ، أن رسول اللَّه ε قال : " غفر لامرأة مومسة مرت بكلب على رأس رَكِيٍّ يلهث قال : كـــاد يقتلـــه

1. السابق ص79 ، وانظر التعرف ص121 وعوارف المعارف ص346
2. لطائف الإعلام 362/1 ، وانظر معجم الكاشانى ص238 ، وانظر للتوسع فى معرفة التوكل على الله من المفهوم الصوفى ، رسالة ماجستير بعنوان : مقام التوكل عند صوفية القرنين الثالث والرابع الهجريين ، مكتبة كلية الآداب جامعة القاهرة سنة 1988 .
3. أخرجه البخارى فى كتاب الإجارة برقم (2266) 519/4 .

العطش ، فنزعت خفها ، فأوثقته بخمارها ، فنزعت له من الماء ، فغفر لها بذلك "[1] ، وعنه أيضا أن النبي ε قال : " إن الشيطان عرض لي ، فشد علي ليقطع الصلاة علي ، فأمكنني اللَّه منه فذعته ، ولقد هممت أن أوثقه إلى سارية حتى تصبحوا ، فتنظروا إليه "[2] .

والميثاق عقد مؤكد بيمين وعهد ، قال تعالى : { وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا } [الأحزاب/7] ، والموثق العهد ، قال تعالى : { قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِي مَوْثِقًا مِنْ اللَّهِ لَتَأْتُونَنِي بِهِ إِلا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ } [يوسف/66] .

وقالت عائشة رضي اللَّه عنها ، قال ε : " ما بال أناس يشترطون شروطا ليس في كتاب اللَّه ، من اشترط شرطا ليس في كتاب اللَّه ، فهو باطل وإن اشترط مائة شرط ، شرط اللَّه أحق وأوثق "[3] ، والوثقى تأنيث الأوثق والعروة الوثقى فى قوله تعالى :

{ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انفِصَامَ لَهَا } [البقرة/256] ،حبل اللَّه المحكم الموثوق ، الذى لا ينفك عن عروته والمقصود بها عهد الإسلام ، الذى ينطق به الإنسان عند إعلانه كلمة التوحيد

---

1 . أخرجه البخارى فى كتاب بدء الخلق (3321) 414/6 ، والرَكِيِّ البئر .

2 . أخرجه البخارى فى كتاب الجمعة (1210) 97/3 .

3 . أخرجه البخارى فى كتاب البيوع (2155) 432/4 .

بقوله لا إله إلا اللَّه [1] ، وقال كعب بن مالك τ : " لقد شهدت مع الـــنبى ε ليلة العقبة ، حين تواثقنا على الإسلام ، وما أحب أن لي بها مشهد بـــدر ، وإن كانت بدر أذكر في الناس منها " [2] .

الثقة فى الاصطلاح الصوفى :

واصطلاح الثقة عند الصوفية يرد على المعنى القرآنى ، حيث تعنى ثقة العبد فى ربه وعهده ، وذلك بتصديق الخبر جزما ، والاعتماد على واهب التقوى والقدر والوثوق بقول النبى ε [3] .

روى عن شقيق البلخى (ت:قبل 237هـــ) وقد سئل ؟ ، بأى شئ يعـــرف بأن العبد واثق بربه ؟ ، قال : يعرف بأنه إذا فاته شئ من الدنيا ، يحسبه غنيمة وإذا أبطأ عليه شئ من الدنيا ، يكون أحب إليه من أن يأتيه [4] ، ويذكر لحاتم

---

1 . فتح القدير 276/1 وانظر المفردات ص512 ، والقاموس المحيط 1197/1 .

2 . أخرجه البخارى فى كتاب المناقب (3889) 459/7 .

3 . انظر جامع الأصول فى الأولياء ، لأحمد ضياء الدين مصطفى ، دار الكتب العربيـــة الكبرى ، مصر ، سنة 1331هـــ ص79 ، وقال أبو القاسم القشيرى : (العـــروة الوثقى فى قوله تعالى : { فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِـــالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انفِصَامَ لَهَا } [البقرة/256] هى الوقوف عند الأمر والنهى ، وهو سلوك طريق المصطفى ε ، وطاغوت كل واحد ما يشغله عن ربه ، والإيمان حياة القلب باللَّه ، لطائف الإشارات 198/1 .

4 . طبقات الصوفية ص65 .

الأصم (ت:237هـ) فى تقة العبد فى رزق الله ، أنه قال : (الواثق من رزقه من لا يفرح بالغنى ولا يهتم بالفقر ولا يبالى أصبح فى عسر أو يسر) [1] .

والثقة يجعلها يحى بن معاذ الرازى (ت:258هـ) من صفات الأولياء ، فروى عنه أنه قال : (الثقة باللَّه فى كل شئ ، من خصال الأولياء) [2] .

ويذكر الكاشانى أن الثقة عند الصوفية ، تعنى اعتماد العبد فى كل شئ على اللَّه وحده ، بحيث لا يعتمد فى شئ على شئ سواه ، والعبد المتحقق بالثقة باللَّه ، من حصل له إلامن من الخوف مما سوى اللَّه ، والإعراض عن الاعتراض عما قدره اللَّه وقضاه ، ويستدل بقوله تعالى لأم موسى υ : { وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنْ الْمُرْسَلِينَ } [القصص/7] ، فلولا حسن الثقة باللَّه لما استطاعت الوالدة أن تلقى ولدها فى لجة الماء [3] .

****

35ـ الجنة

****

الجنة : كل بستان ذى شجر يستر بأشجاره الأرض ، قال تعالى : { وَلَوْلا

1 . السابق ص94 .

2 . السابق ص110 .

3 . لطائف الإعلام 378/1 .

إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ } [الكهف/39] [1] ، وقال عمر بن الخطاب τ يوما ، للصحابة رضى الله عنهم : " فيم ترون هذه الآية نزلت ؟ : { أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ } [البقرة/266] ؟ قالوا اللَّه أعلم : فغضب عمر τ ، فقال : قولوا نعلم أو لا نعلم ، فقال ابن عباس τ : في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين ، قال عمر τ يا ابن أخي ، قل ولا تحقر نفسك ، قال ابن عباس τ : ضربت مثلا لعمل قال عمر τ أي عمل ؟ قال ابن عباس τ : لعمل ، قال عمر τ : لرجل غني يعمل بطاعة اللَّه عز وجل ، ثم بعث اللَّه له الشيطان ، فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله [2] .

وسميت الجنة بذلك ، إما تشبيها بالجنة فى الأرض ، وإن كان بينهما فرق كبير وبون شاسع ، وإما لستره سبحانه نعمها عنا ، حيث قال : { فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ } [السجدة/17] ، وعن عبد اللَّه بن قيس τ أن رسول اللَّه ε قال : " جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم ، إلا رداء الكبر على

---

1 . المفردات ص98 ، لسان العرب 92/13 ، ومختار الصحاح 1 /48 ، والمغرب في ترتيب المعرب ، لأبى الفتح ناصر الدين بن عبد السيد بن علي بن المطرز ، تحقيق محمود فاخوري ، و عبدالحميد مختار ، نشر مكتبة أسامة بن زيد ، الطبعة الأولى حلب ، سنة 1979م 165/1 .

2 . أخرجه البخارى فى كتاب تفسير القرآن (4538) 49/8 .

وجهه في جنة عدن "[1] ، وعن أبي سعيد الخدري τ ، عن النبي ε قال :

" ينادي مناد إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا ، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا ، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا ، وإن لكم أن تنعموا ، فلا تبأسوا أبدا ، فذلك قوله تعالى : { وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمْ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ } [الأعراف/43] "[2] .

وربما يطلق على مجالس الذكر وتدارس العلم رياض الجنة كما روى عن عبد اللَّه بن زيد المازني τ ، أن رسول اللَّه ε قال : " ما بين بيتي ومنبري ، روضة من رياض الجنة)[3] .

وعن أنس بن مالك τ عنه ، أن رسول اللَّه ε قال : " إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا ، قالوا : وما رياض الجنة ؟ ، قال حلق الذكر "[4] .

الجنة فى الاصطلاح الصوفى :

الجنة عند الصوفية ، تنوعت مدلولاتها بين ما يوافق الأصول القرآنية أو يخالفها

---

1. أخرجه البخارى فى الموضع السابق (4878) 491/8 .
2. أخرجه مسلم فى كتاب الجنة (2837) 2182/4 .
3. أخرجه البخارى فى كتاب الجمعة (1195) 84/3 .
4. حسن ، أخرجه الترمذى فى كتاب الدعوات (3510) وحسنه الشيخ الألبانى رحمه الله 532/5 ، وأخرجه الطبرانى فى معجمه الكبير (11158) 95/11 ، والحاكم فى المستدرك (1820) 671/1 .

على النحو الآتى :

(1- الجنة عند العوام والمبتدئين من الصوفية : وهى جنة الأعمال التى يجــزى فيها العبد عن مجاهداته وعباداته ، وهى دار النعيم التى أعد اللَّه فيها من فضـله العميم ، ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين ، مما لا يحصى من جوده المقيم [1] .

يقول ابن خفيف : (الجنة دار الخلد ، ينعم فيها أولياء اللَّه ، وهم بـاقون فيها يتنعمون أبدا ، ومن دخلها من المؤمنين دخلها بفضل اللَّـه ورحمتـه ، لا بعمله كما ثبت عن رسول اللَّه ε : " لن يدخل أحدكم الجنة عمله ، قالوا ولا أنت يارسول اللَّه ، قال ولا أنا ، إلا أن يتغمدنى اللَّه برحمة منه " [2] .

وهذه الجنة يطلقون عليها فى الاصطلاح الصوفى : جنة الأعمال ، وربما قالوا الجنة الصورية [3] ، وهذا ما دلت عليه الأصول القرآنية .

(2- الجنة عند الخواص لا خطر لها فى قلوبهم ، وهم أبعد الناس عن طلبـها

---

1. لطائف الإعلام 395/1 ، وانظر تنبيه الغافلين للسمرقندى ، فى صفة الجنة وأهلها ص22 ، وتفسير القرآن لسهل بن عبد الله ص9 ، وسلوة العارفين وبستان الموحدين للحكيم الترمذى ص129 .
2. سيرة الشيخ الكبيرعبد اللَّه بن خفيف ص357؛356 والحديث أخرجه البخارى فى كتاب الرقاق (6464) عن عائشة رضى اللَّه عنها ، أن رسول اللَّه ε قال : "سددوا وقاربوا ، واعلموا أن لن يدخل أحدكم عمله الجنة ، وأن أحب الأعمـال إلى اللَّـه أدومها وإن قل " 300/11 .
3. لطائف الإعلام 395/1 .

ونسب لرابعة العدوية (ت:185هـ) من نساء الصوفية ، فى الكشف عن دافعها للعبودية :

(ما عبدتك خوفا من نارك ولا طمعا فى جنتك ولكن حبا لذاتك) [1] .

ولأبى يزيد البسطامى (ت:261هـ) قال فيما روى عنه : (الجنة لا خطر لها عند أهل المحبة وأهل المحبة محجوبون بمحبتهم) [2] ، وينسب لأبى القاسم النصرباذى (ت:367هـ) : (إذا بدا لك شئ من بوادى الحق ، فلا تلتفت معه إلى جنة ولا إلى نار ، ولا تخطرهما ببالك ، وإذا رجعت عن ذلك الحال فعظم ما عظمه اللَّه تعالى) [3] ، وهذا المعنى محدث لا أصل له ، وإن كان لبعضهم نية حسنة ، كقول النصرباذى : (الجنة باقية بإبقائه ، وذكره ورحمته لك باق ببقائه ، فشتان بين ما هو باق ببقائه ، وبين ما هو باق بإبقائه) [4] .

فهو يفضل رحمة اللَّه لعبده ، كصفة من صفات الذات ، على الجنة التى هى صفة من صفات الأفعال ، والذى ثبت أن الجنة محل الرحمة ، فمن أراد الرحمة فلا مناص من الجنة ، ومن حديث أبي هريرة τ ، قال النبي ε :

" قال اللَّه تبارك وتعالى للجنة : أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي

---

1. صفة الصفوة 249/2 .
2. طبقات الصوفية ص70 .
3. السابق ص485 .
4. الرسالة 41/1 .

وقال للنار : إنما أنت عذابي ، أعذب بك من أشاء من عبادي ، ولكل واحـــدة منهما ملؤها " [1] .

(3- الجنة عند خاصة الخاصة : ويسموها جنة الامتنان ، وهى ما يناله أهل الإيمان من عين الجود موهبة من اللّه تعالى ، وهذا مقام من تحقق بالانخلاع عن أحكام الغيرة والأغيار ، فاستتر بأعيان سبحات نور الأنوار ، وذلك هو التحقيق بحقائق الأسماء الإلهية ، وستر عين الذات بستور صور الصفات [2] .

فالنعيم فى جنة الامتنان هو عين الرحمة التى يظهر بها الحق فى الكل ، فمنـــه نعيم خالص مختص بأهل الجنان ، ومنه نعيم ممتزج بالعذاب ، مختص بأهل جهنم وهذا دائم أبدا لا ينقطع نعيم العذاب مطلقا عن الكفار ، بل إن أهل النار مـــن لذهم بالعذاب واستعذابهم له لو هب عليهم نسيم من الجنة استكرهوه وتعذبوا به ، فالجنة والنار كلاهما فى اصطلاح أصحاب الوحدة نعيم جنان الخلد ، يقول محى الدين بن عربى [3] :

وإن دخلوا دار الشقاء فإنهم — على لذة فيها نعيم مباين
نعيم جنان الخلد والأمر واحد — وبينهما عند التجلى تباين
يسمى عذابا من عذوبة طعمه — وذاك كالقشر والقشر صاين

1. أخرجه البخارى فى كتاب تفسير القرآن (4850) 460/8 .
2. لطائف الإعلام 395/1 .
3. فصوص الحكم ص123؛122 ، وانظر فى معنى الجنة عند ابن عربى أيضا الفتوحات 442/3 ، وبلغة الخواص ص123 .

****

36ـ الجــــــوع

****

الجوع : هو الألم الذى ينال الإنسان عند خلو المعدة من الطعام ، وقــد ورد الفظ القرآنى فى قوله تعالى : { وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْــصٍ مِنْ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرْ الصَّابِرِينَ } [البقرة/155] ، وقوله : { إِنَّ لَكَ أَلا تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَى } [طه/118] وآيات أخرى كثيرة ، وقــال أبــو هريرة τ : " لقد رأيتني وإني لأخر فيما بين منبر رسول اللَّه ε إلى حجرة عائشة مغشيا علي ، فيجيء الجائي ، فيضع رجله على عنقي ، ويرى أني مجنون ، وما بي من جنون ، ما بي إلا الجوع " [1] ، وعن عبد اللَّه بن مسعود τ قال : " إن النبي ε لما رأى من الناس إدبارا ، قال : اللَّهم سبع كسبع يوسف ، فأخــذهم سنة حصت كل شيء ، حتى أكلوا الجلود والميتة والجيف ، وينظر أحــدهم إلى السماء فيرى الدخان من الجوع " [2] .

والجوع أمر نسبى ، ويرتبط بالعلامات التى تظهر على البدن ، كما تقــدم فى حديث أبى هريرة وابن مسعود ، وقد ورد على الوجه التقريبى فى حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ε قال : " لا يجوع أهل بيت عندهم التمر" .

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب الاعتصام (7324) 316/13 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب الجمعة (1007) 572/2 .

وفى رواية أخرى قال : " يا عائشة بيت لا تمر فيه ، جياع أهله ، يا عائشة بيت لا تمر فيه جياع أهله ، أو جاع أهله قالها مرتين أو ثلاثا " [1] .

والمجاعة زمان الجوع وتقال على وجهين ، عموم الجوع على الكل فى وقت ما ، ومنه سمى عام المجاعة فى عهد عمر بن الخطاب τ [2] ، وزمـــان الرضـــاع لكثرة جوع الطفل وتكرار الرضاع ، ومنه ما روى عن عائشة رضي اللّه عنها قالت : " دخل علي النبي ε وعندي رجل ، قال : يا عائشة من هذا ؟ قلـــت : أخي من الرضاعة ، قال : يا عائشة انظرن من إخوانكن ، فإنما الرضاعة مـــن المجاعة " [3] .

الجوع فى الاصطلاح الصوفى :

والجوع فى اصطلاح الصوفية ورد على المعنى القرآنى كأدب من آدابهم يفضلونه على الشبع ، وربما أطلق بعضهم علي الجوع الموت الأبيض [4] فروى عن يحى بن معاذ الرازى (ت:258هـ) أنه قال : (لو علمت أن الجـــوع يبـــاع فى السوق ما كان ينبغى لطلاب الآخرة إذا دخلوا السوق أن يشتروا غيره) [5] .

1. أخرجه مسلم فى الأشربة (2046) 618/3 وأبو داود فى سننه (3831) 362/3 .
2. المفردات ص 103 ، لسان العرب 61/8 ، المصباح المنير .
3. أخرجه البخارى فى كتاب الشهادات (2647) 30/5 .
4. الجوع سماه بذلك حاتم الأصم ، انظر طبقات الصوفية ص93 والتعريفات ص255 .
5. اللمع ص269 وانظر السابق ص111 .

وقال : (الجوع على أربعة أوجه : للمريدين رياضة ، وللتائبين تجربة ، وللزهاد سياسة ، وللصديقين تكرمة) [1] .

ومن طرائف ما يروى عن سهل بن عبد اللّه التسترى (ت:293هـ) أن سائلا سأله فى حد الجوع ، فقال له : الرجل يأكل فى اليوم أكلة ؟ فقال : أكل الصديقين ، قال : فأكلتين ؟ قال : أكل المؤمنين ، قال : فثلاثة ؟ قال : قل لأهلك يبنون لك معلفا [2] ، ولعل سهلا يقصد بذلك أن الطعام إنما يكون لقوام البدن ، لا لتسمينه فمن اشتغل بالتسمين ، سيشتغل بالبحث عن النوعية الجيدة من الطعام ، ومن ثم البحث عن أسباب الوصول إلي النفقات المطلوبة للحصول عليها ، وغير ذلك مما يشغله عن الله فيصير علافا لا عابدا .

ويذكر المكى (ت:386هـ) أقوال الصوفية فى الجوع ، مستندا إلى تفصيل الأدلة فى الكتاب والسنة ، ويبين أنهم قد اختلفوا فى حد الجوع بين معتدل ومبالغ من ذلك :

(1- حد الجوع الأول من الوقت إلى مثله ،كالغد أربعة وعشرون ساعة وحده الآخر اثنان وسبعون ساعة ، فهذا حد الجوع من الأوقات .

(2- حد الجوع ألا تطلب نفسك الأدم فمتى طلبت نفسك الأدم مع الخبز

---

1. الرسالة 372/1 ، وانظر فى مفهوم الجوع عند الصوفية ، آداب الطعام والعادات الغذائية عند متصوفة الإسلام ، إعداد محمد عبد المنعم صالح ، رسالة ماجستير كلية الآداب جامعة القاهرة سنة 1967م .

2. السابق 375/1 .

فلست جائعا .

(3- حد الجوع أن تطلب الخبز ، فلا تميز بينه وبين غيره ، فمـــتى تاقـــت النفس إلى الخبز بعينه ، فليست بجائعة لأن لها شهوة فى التخير .

(4- حد الجوع أن يبزق العبد فإذا لم يقع على بذاقه ذباب ، فقد خلـــت معدته من الطعام ، ومن ثم خلا بذاقه من الدسومة والدهنية ، وصـــار صافيا مثل الماء فلا يسقط عليه الذباب [1] .

وقد استدل القشيرى (ت:465هـــ) على أن الجوع والشهوة ، ابتلاء من اللّه ووجب على المرء أن يصبر فى مواجهته ، بقوله تعالى : { وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ } [البقرة/155] ، ثم قال فى آخر الآية : { وَبَشِّرْ الصَّـــابِرِينَ } فبشرهم بجميل الثواب على الصبر على مقاساة الجوع ، ويقول فى قوله تعالى : { وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ } [الحشـــر/9] ، (ولهذا كان الجوع من صفات القوم ، وهو أحد أركان المجاهدة ، فإن أرباب السلوك تدرجوا إلى اعتياد الجوع ، والإمساك عن الأكل ، ووجدوا ينابيع الحكمـــة فى الجوع) [2] .

---

1. قوت القلوب 165/2 .
2. الرسالة 372/1 ، انظر المزيد عن مصطلح الجوع ، أعذب المسالك المحموديـــة إلى منهج السادة الصوفية ، للشيخ محمود خطاب السبكى ، تحقيق سعيد عبد الفتاح سنة 1996م ص59 .

وينبغى أن نفرق فيما سبق بين الجوع والتجويع ، لأن الأصول القرآنية والنبوية أمرت بالصبر على الجوع ، كابتلاء لا حيلة للإنسان فيه ، و لم تـــأمر بتجويع النفس وتعذيب البدن ، طلبا للحكمة والمعرفة ، فالذى دل عليه القرآن والسنة ، أن المسلم لا يكثر من الأكل المفوت للخير الكثير ، فقد يكون الأكل واجبا بقدر ما تقوم به البنية ، ومندوبا بقدر الشبع الشرعى المقوى له على التنفل ، وجائز وهو ما فوقه بحيث لا يورث فتورا عن العبادة ، ومن ثم فإن مثل ما يروى عن أبى عثمان المغربى (ت:373هـــ) أنه قال : (الربانى لا يأكل فى أربعين يوما ، والصمدانى فى ثمانين يوما) [1] ، فإنه باطل ، ولا يستند إلى الأصول القرآنية والنبوية .

****

37ـ الحـــــــال

****

- **الحال** : يقال لعدة أمور [2] :

1- الحال : من الحول وأصله تغير الشئ وانفصـــاله عـــن غـــيره ، وباعتبـــار الانفصال قيل : حال بينى وبينك كذا ، ومنه قوله تعالى : { وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّـــهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ } [الأنفال/24] ، إشارة إلى ما قيل فى وصفه تعـــالى إنـــه يقلب القلوب

1. السابق 1/ 375 .
2. المفردات ص137 ، 138 .

وهو أن يلقى فى قلب الإنسان ما يصده عن مراده لحكمة تقتضى ذلك ، وقيل على ذلك :

{ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ } [سبأ/54] .

وعن ابن عباس رضي اللّه عنهما قال : " انطلق النبي ε في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب ، فرجعت الشياطين إلى قومهم ، فقالوا : ما لكم ؟ فقالوا : حيل بيننا وبين خبر السماء ، وأرسلت علينا الشهب " [1] .

2- الحال : ما يختص به الإنسان وغيره ، من أموره المتغيرة فى نفسه وجسمه فباعتبار التغير ، قيل : حال الشئ يحول حولا ، واستحال تهيأ لأن يحول ، وفى السنة عن عبد اللّه بن عمر τ أن رسول اللّه ε قال : " رأيت الناس مجتمعين في صعيد ، فقام أبو بكر فنزع ذنوبا أو ذنوبين ، وفي بعض نزعه ضعف ، واللّه يغفر له ، ثم أخذها عمر فاستحالت بيده غربا ، فلم أر عبقريا في الناس ، يفري فريه حتى ضرب الناس بعطن " [2] .

3- الحال : تستعمل فى بقاء الصفة التى عليها الموصوف ، فمن ذلك ما روى عن سهل بن سعد τ أن رجلا من أعظم المسلمين غناء عن المسلمين في غزوة غزاها مع النبي ε ، فنظر النبي ε فقال : " من أحب أن ينظر إلى رجل من

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب الأذان (773) 295/2 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب المناقب (3633) 728/6 .

أهل النار فلينظر إلى هذا ، فاتبعه رجل من القوم ، وهو على تلك الحال من أشد الناس على المشركين حتى جرح ، فاستعجل الموت ، فجعل ذبابة سيفه بين ثدييه حتى خرج من بين كتفيه " [1] .

وقال أبو بكر τ : " إن رسول اللَّه ε قال : لا نورث ما تركنا صدقة إنما يأكل آل محمد ε في هذا المال ، وإني واللَّه لا أغير شيئا من صدقة رسول اللَّه ε عن حالها التي كان عليها في عهد رسول اللَّه ε " [2] ، وعن أنس τ حدثهم أن ناسا من عكل وعرينة ، كفروا بعد إسلامهم ، وقتلوا راعي النبي ε واستاقوا الذود ، فبلغ النبي ε فبعث الطلب في آثارهم ، فأمر بهم فسمروا أعينهم ، وقطعوا أيديهم ، وتركوا في ناحية الحرة حتى ماتوا على حالهم " [3] .

الحال فى الاصطلاح الصوفى :

والحال فى اصطلاح الصوفية باق على المعنى اللغوى السابق ، ويقصدون أن ينبعث من باطن العبد داعية للمراقبة أو المحاسبة أو الإنابة أو غير ذلك ، ثم تزول تلك الداعية لغلبة صفات النفس ثم تعود بعد زوالها ، ثم تعود بعد عودها فما دام العبد فى مراقبته أو فى محاسبته لذلك ، أو فى غير ذلك من الصفات بحيث لا تزال تلك الصفة ، تعود ثم تزول ثم تعود بلا استقرار وثبات ، قيل : بأن حاله

1. أخرجه البخارى فى كتاب القدر (6607) 507/11 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب المغازى (4241) 564/8 .
3. أخرجه البخارى فى كتاب المغازى (4192) 524/8 .

كذا ويعنون تثبيت تلك الصفة عليه بعد أن كانت تحول وتزول عنه لظهـــور صفات النفس وغلبتها عليه (1) .

وقد تنوعت تعبيراتهم فى تعريف الحال ، فروى عن الجنيد (ت:297هـــ) أنه قال : (الحال نازلة تنزل بالعبد فى الحين ،فيحل بالقلب مـــن وجـــود الرضـــا والتفويض وغير ذلك ، فيصفو له فى الوقت فى حاله ووقته ويزول) (2) .

ويروى عن أبى على الدقاق (ت:410هـــ) فى معنى قوله ε : " إن ليغـــان على قلبى حتى استغفر اللَّه تعالى فى اليوم سبعين مرة " (3) ، أنه كان ε أبـــدا فى الترقى من أحواله ، فإذا ارتقى من حالة إلى حالة أعلى مما كان فيها فربما حصل له ملاحظة إلى ما رتقى عنها ، فكان يعدها غنا بالإضافة إلى ما حصـــل فيهـــا فأبدا كانت أحواله فى التزايد (4) .

---

1. لطائف الإعلام لعبد الرزاق المكاشانى ص403 ، وانظر كشاف اصطلاحات الفنون 119/2 ، وانظر فى معنى الحال عند ابن عربى الذى يتوافق مع هذا المعنى ، الفتوحات المكية 132/2 ، 370/4 .
2. اللمع ص411 .
3. أخرجه الإمام الترمذى فى كتاب تفسير القرآن (3259) وقال الشيخ نصر الـــدين الألبانى رحمه الله : صحيح ، 5/ 383 ولفظه عن أبي هريرة τ عن النبي ε قال : " إني لأستغفر اللَّه في اليوم مائة مرة " وانظر بغية الباحث عن زوائد مســـند الحـــارث حديث (1097) 973/2 .
4. الرسالة القشيرية 207/1 .

وقال القشيرى (ت:465هـــ) : (الحال عند القوم معنى يرد على القلب من غير تعمد منهم ولا اجتلاب ولا اكتساب لهم ، من طرب أوحزن أو بســـط أو قبض أو شوق أو انزعاج أو هبة أو احتياج) [1] .

ويذكر الكاشانى عند الصوفية مصطلح : الحال الدائم ، وهو الحال المضـــاف إلى الحضرة العندية ، وهو باطن الزمان المشار إليه بقوله ε : " ليس عند ربكم صباح ولا مساء " [2] .

****

38ـ الحجـــــــاب

****

الحجاب : الحجب والحجاب ، المنع من الوصول ، يقال : حجبه حجبــا

---

1. السابق 206/1 ، وانظر فى معنى الحال عنـــد الصـــوفية كشـــف المحجـــوب ص447 والإملاء ص62 ، وعوارف المعارف للسهروردى ص530 ، وقد شـــرح السهروردى الحال والمقام والفرق بينهما ، كما أشار إلى المقامات والأحوال وأقـــوال المشايخ فيها على الترتيب ، وانظر التعرف لمذهب أهـــل التصـــوف ص86:89 ، وطبقات الأولياء لابن الملقن ص44 ، والأنوار القدسية فى معرفة قواعد الصوفية للشعرانى 88/1 المواقف والمخاطبات للنفرى ، نشر آربرى مادة حـــال ، وتـــاريخ التصوف فى الإسلام للدكتور قاسم غنى ، ترجمة صادق نشأت ص300 : ص495 ، والتصوف الإسلامى الخالص تأليف السيد محمود أبو الفيض المنوفى ص97:100 .
2. لطائف الإعلام 404/1 والحديث لم أعثر عليه فى كتب السنة .

وحجابا [1] ، قال تعالى : { وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُـونَ كُلا بِسِيمَاهُمْ } [الأعراف/46] ، أى فاصل بين أهل الجنة وأهل النار ، وقال :

{ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَـابٍ أَوْ يُرْسِـلَ رَسُولا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ } [الشورى/51] ، أى من حيث لا يراه مكلمه ومبلغه ، وقوله : { حَتَّى تَـوَارَتْ بِالْحِجَـابِ } [ص/32] يعـنى الشمس إذا استقرت بالمغيب [2] ، وقال سلمة بن الأكوع τ : "كنا نصلي مع النبي εالمغرب إذا توارت بالحجاب " [3] .

والحجاب يرد على معنيين :

1- الستر المعنوى : فى قوله تعالى : { وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَـيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا } [الإسراء/45] وهو الختم والطبع يفسره قوله تعالى بعده : { وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِـي آذَانِهِمْ وَقْرًا } [الإسراء/46] .

2- الستر الحسى : كقول عمر بن الخطاب رضى اللَّه عنه : (قلت : يـا رسول اللَّه يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب

---

1. المفردات ص 108 ، ولسان العرب 298/1 .

2. السابق ص 108 .

3. أخرجه البخارى فى كتاب مواقيت الصلاة (561) 49/2 ، وانظر النهاية فى غريب الحديث 340/1 .

فأنزل اللَّه آية الحجاب)[1] ، فاستعمالات الكلمة فى القرآن والسـنة تدور على معنى الستر والمنع ، سواء كان هذا الستر حسيا أو معنويا .

الحجاب فى الاصطلاح الصوفى :

يتنوع مدلول الحجاب فى عرف الصوفية بين عدة معان ، منها ما هوقائم على الأصول القرآنية والنبوية ، ومنها مايخالفها ، فمن ذلك :

(1- الحجاب حجاب الأسباب ، إذ أنها حائل موضوع للابتلاء ، يقول أبو طالب المكى (ت:386هـ) : (احتجب عن العموم بالأسباب فهـم يرونهـا وحجب الأسباب بنفسه عن الخصوص فهم يرونه ، ولا يرونهـا)[2] ، أى أن العامة لضعف توكلهم وإيمانهم ، يعاينون النتائج والأحداث بالأسـباب فقـط بينما لا يخدع الموحدون والمتوكلون بالأسباب ، لقوة إيمانهم باللَّـه ومعرفتـهم بصفاته ، فينظرون إلى من خلفها ، ويعتمدون عليه ويستعينون به .

ويوضح أبو طالب المكى احتجاب صفات الأفعال بقوله : (وكذلك أيضـا تدخل الشبهة على الغافلين ، من ضعف اليقين لشهود المانعين والمنفقين ، أوائل فى الفعل ، من قبل أن اللَّه تعالى أظهر العطاء والمنع بأيديهم ، فشهدوهم معطين مانعين لنقصان توحيدهم ، فأشركوا فى أسماء اللَّه)[3] .

ويذكر لسهل بن عبد اللَّه التسترى ، أنه قال عن صفة الفعل : (إنها الصفة

1. أخرجه البخارى فى كتاب تفسير القرآن (4483) 18/8 .
2. قوت القلوب 126/1 .
3. السابق 11/2 .

التى بها احتجب وبها تسمى اللَّه ، فإذا أبصر الإنسان ، أشعره اللَّه بمباشرة صفاته وخفى ألطافه آثاراها فى خلقه) [1] ، فالأسباب فى حقيقتها ميدان لإظهار فعل اللَّه عز وجل ، يحجب قدرته الفاعلة حتى يبتلى الناس بها ، فأصحاب الغفلة يقعون فى الشرك الخفى ، فيقول العبد أعطانى ومنعنى فلان على أنهم أوائل فى الفعل ، وهذا شرك خفى لأن الأسباب تظهر على أيديهم ، وتجرى بواسطتهم فحجبوا بها عن المسبب ، واستتر عنهم المعطى المانع ، وأهل البصائر يوحدون ولا يحجبون ، فكانت الأسباب حجابا وابتلاء ، ومن هنا تنوع موقف السرى السقطى (ت:251هـ) من الحجاب فى هذين الدعاءين المختلفين فنسب إليه أنه مرة يقول : (اللَّهم مهما عذبتنى بشئ ، فلا تعذبنى بذل الحجاب) [2] ومرة أخرى يقول : (اللَّهم الطف بنا واسترنا بلطف الحجاب) [3] .

أما الأول فيقصد أن ينعم بشهود الربوبية والفاعلية الإلهية ، وأما الآخر فيسأل اللَّه التخفيف ، حتى يستمر في حياته ليرعى شئون نفسه ، لأنه لو ظل مشاهدا له وراء كل شيء يسبح اللَّه حقيقة ، استحال عليه أن يفعل الضروريات أو يفكر فى صلاح معيشته ، ومن ثم فالصوفية الأوائل فهموا علاقة الأسباب بالفاعلية الإلهية ، باعتبارها حجابا لقدرة اللَّه عز وجل ، يسدله الخالق رحمة بالناس من ناحية ، وابتلاء واختبارآ لهم من ناحية أخرى ، وهذا المعنى يمكن أن

---

1. من التراث الصوفى ص215 .
2. طبقات الصوفية ص303 .
3. حلية الأولياء 120/10 ، وانظر ختم الأولياء ص149 .

يستدل له بشاهد نبوى ، حيث قال رسول اللَّه ε للصحابى أبى ربعى حنظلة بن الربيع τ كاتب الوحى : " والذى نفسى بيده لو تدومون على مـــا تكونـــون عندى وفى الذكر ، لصافحتكم الملائكة على فرشكم ، وفى طرقكم ، ولكـــن ياحنطلة ساعة وساعة ثلاث مـــرات " [1] ، إذ ظـــن حنظلـــة أن الانشـــغال بالأسباب في غير مجلس الذكر مدعاة للنفاق ، فقال : " نكون عندك تـــذكرنا بالنار والجنة كأنا رأى العين ،فإذا خرجنا من عندك عافســـنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيرا " [2] ، وهو ما يعتبره نفاقا ، وإرشاد النبى ε لحنظلة τ ، يوحى بأن أهل الحق فى دوام الأحوال ، يباشرون الأسباب فى ظاهر العيـــان ، ويعلمون أن اللَّه من ورائهم محيط ، قادر فاعل بلطائف القدرة وخفايا المشيئة .

(2- الحجاب حجاب المعاصى ، فحجاب الـــنفس الشـــهوات واللـــذات والأهوية وحجاب القلب الملاحظة فى غير الحق ، وجملة الصفات الذميمة بصفة عامة حجاب بين العبد وربه ، ويذكر القشيرى فى قوله تعالى : { كَلا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ } [المطففين/15] ، أن المعاصى التى كـــانوا يكســـبون ، حجبتهم عن ربهم وغطت على قلوبهم ، وكما أنهم اليوم محجوبون عن معرفته ، فهم غدا محجوبون عن رؤيته ، ودليل الخطاب يوجب أن يكون المؤمنون يرونه غدا كما يعرفونه اليوم [3] وهذا المعنى قرآنى أيضا .

(3- الحجاب احتجاب الوحدة بالكثرة ، يقول ابن عربى : (الحجاب هو

---

1. أخرجة مسلم فى كتاب التوبة (2750) 2106/4 وأحمد (17646) 178/4 .
2. الحديث السابق . 3. لطائف الإشارات 701/3 كشاف التهانوى 9/2 .

كل ما ستر مطلوبك عن عينك ، وهو عند أهل الحق انطباع الصور الكونية فى القلب ، المانعة لقبول تجلى الحق) [1] ، ويظهر معنى ذلك على التفصيل من تفسير الكاشانى لقوله تعالى : { وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا } [الإسراء/45:46] ، فيذكر أن اللّه جعل بين نبيه ε وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة لقصور نظرهم عن إدراك الروحانيات وقصر هممهم على الجسمانيات حجابا ، مستورا من الجهل وعمى القلب ، فلا يرون حقيقة القارئ ولا آمنوا بالوحدة ، وإنما لا يبصرونك ، لأنهم لا يحسبونك إلا هذه الصورة البشرية لكونهم بدنيين منغمسين فى بحر الهيولى ، محجوبين بالغواشى الطبيعية ، وملابس الصفات النفسانية عن الحق وصفاته وأفعاله ، إذ لو عرفوا الحق لعرفوك ، ولو عرفوا صفاته لعرفوا كلامه ، ولم يكن على قلوبهم أكنة من الغشاوات الطبيعية والهيئات البدنية أن يفقهوه ، ولو عرفوا أفعاله لعلموا القراءة لمن ، ولم يكن فى آذانهم وقر لرسوخ أوساخ التعلقات ، ولوا على أدبارهم نفورا لتشتت أهوائهم وتفرق هممهم فى عبادة متعبداتهم من أصنام الجسمانيات والشهوات ، فلا يناسب بواطنهم معنى الوحدة ، لتألفها بالكثرة واحتجابها بها) [2] .

---

1. معجم اصطلاحات الصوفية للكاشانى ص16 ، ص18 وانظر اصطلاحات الصوفية لابن عربى ص13 والتعريفات ص86 .
2. تفسير القرآن منسوب لابن عربى 721/1 وانظر أيضا للمقارنة بمعنى الحجاب عند ابن عربى فصوص الحكم 54/1 ، وشرح جواهر النصوص فى حل كل الفصوص لعبد الغنى النابلسى 4/1 .

****

39ـ الحـــــــرص

****

الحرص : ورد فى القرآن والسنة على معنى شدة الرغبة وفرط الشره والإرادة إلى المطلوب ، كما قال تعالى : { إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ } [النحل/37] أى إن تفرط إرادتك فى هدايتهم ، وقال تعالى : { وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ } [يوسف/103] [1] ، ومن السنة ما روى عـــن أبى بكرة τ قال : سمعت رسول اللَّه ε يقول : " إذا التقى المســـلمان بســـيفيهما فالقاتل والمقتول في النار فقلت : يا رسول اللَّه ، هذا القاتل ، فما بال المقتول ؟ قال : إنه كان حريصا على قتل صاحبه " [2] ، وعنه أيضا τ : " أنه انتهى إلى النبي ε وهو راكع ، فركع قبل أن يصل إلى الصف ، فذكر ذلك للنبي ε فقال : زادك اللَّه حرصا ولا تعد " [3] ، والحرص على نوعين :

(1- محمود وهو فرط الإرادة لفعل الخير ، كقوله تعالى فى وصف النبى ε : { لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِـــالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ } [التوبـــة/128] ، وعن أبي هريرة τ : " قـــال رجـــل للـــنبي ε

---

1. لسان العرب 11/7 ، والمفردات ص113 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب الإيمان (31) 106/1 .
3. أخرجه البخارى فى الموضع السابق (783) 312/2 .

يا رسول اللَّه ، أي الصدقة أفضل ؟ قال : أن تصدق وأنت صحيح حـــريص تأمل الغنى وتخشى الفقر ، ولا تمهل ، حتى إذا بلغت الحلقوم ، قلت : لفـــلان كذا ولفلان كذا ، وقد كان لفلان " [1] ، ومن حديث عائشة رضي اللَّه عنها قالت : " رأيت النبي ε يسترني بردائه ، وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبـــون في المسجد ، حتى أكون أنا التي أسأم ، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللَّهو " [2] .

(2- حرص مذموم وهو ما ورد فى قوله تعالى : { وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ } [البقرة/96] ، وروى عن أبي هريرة τ ، عن النبي εقال : " إنكـــم ستحرصون على الإمارة ، وستكون ندامة يوم القيامة ، فنعم المرضعة وبئســـت الفاطمة " [3] ، وعن أنس τ قال رسول اللَّه ε : " يهرم ابن آدم وتشب منـــه اثنتان الحرص على المال ، والحرص على العمر " [4] ، ومن حديث كعب بن مالك الأنصاري τ قال رسول اللَّه ε : " ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه " [5] .

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب الوصايا (2748) 439/5 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب النكاح (5236) 248/9 .
3. أخرجه البخارى فى كتاب الأحكام (7148) 133/13 .
4. أخرجه مسلم فى كتاب الزكاة (1047) 724/2 وأحمد فى المسند (13719) .
5. أخرجه الترمذى فى كتاب الزهد (2376) وقال الألبانى : صحيح 588/4 .

الحرص فى الاصطلاح الصوفى :

الحرص فى ألفاظ الصوفية يدور على المعنى القرآنى السابق ، ويعنى عنـــدهم طلب الشئ باجتهاد فى إصابته [1] ، ويرتبط اللفظ بالمذمة ، لاقترانـــه بطلـــب الدنيا ، وهى عندهم فى موضع العداء ، روى عن حاتم الأصم (ت:237هـــ) أنه قال : (المنافق ما أخذ من الدنيا ، يأخذ بالحرص ويمنع بالشك وينفق بالرياء والمؤمن يأخذ بالخوف ويمسك بالسنة وينفق لله خالصا فى الطاعة) [2] .

ويرى الحارث المحاسبى (ت:243هـــ) أن الغنى ، قد يكون زاهدا فى غنـــاه والفقير قد يكون راغبا حال فقره ، فالغنى الصادق المطيع خازن من خـــزان الله ليس حبسه للأموال ضنا بها وحرصا عليها فهو زاهد وإن كثر عنده المتاع [3] .

ويذكر القشيرى (ت:465هـــ) فى شرحه لقوله جل ذكره : { وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنْ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ } [البقـــرة/96] ، أن حب الحياة فى الدنيا نتيجة الغفلة عن اللّه ، وأشد منه غفلة أحبـــهم للبقـــاء فى الدنيا ، وحال المؤمن من هذا على الضد وأما أهل الغفلة وأصحاب التهتك فإنما حرصهم على الحياة لعلمهم بما فقدوا فيها من طاعتهم ، فالعبد الآبق لا يريـــد رجوعا إلى سيده ، والانقلاب إلى من هو خيره مرجو خير للمؤمنين من البقـــاء

1. التعريفات للجرجانى ص90 .
2. طبقات الصوفية ص95 .

3. الرزق الحلال وحقيقة التوكل على الله ص 101 : 109 .

مع من شره غير مأمون [1] ويذكر أبو حامد الغزالى (ت:505هـ) أن شدة الحرص على فضول الدنيا من الأوصاف الردية والأخلاق المذمومة التى توقع فى الغضب وتؤدى إلى الكذب وطلب الجاه والعجب [2] .

****

40ـ الحرمة

****

- **الحرمة** : الحرام الممنوع منه ، وهو على نوعين فى كتاب اللَّه [3] :

1- تحريم كونى : وهو منع أمر من قبل اللَّه ، لا يمكن للإنسان فعله ، كقوله تعالى : { قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ } [المائدة/26] وقوله : { وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ } [القصص/12] .

2- تحريم شرعى : وهو منع أمر يمكن للإنسان مخالفته ، كقوله تعالى { قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ

---

1. لطائف الإشارات 107/1 .
2. إحياء علوم الدين 178/3 ، خلت معظم المعاجم الصوفية من مصطلح الحرص مع كونه كما هو واضح لفظ دائر بين مشايخ الصوفية ، ولم يذكر إلا الجرجانى فى تعريفاته كما تقدم .

3. المفردات ص115؛114 .

صَاغِرُونَ } [التوبة/29] وقوله تعالى { وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا } [البقرة/275] .

والحرمة تعظيم ما عظم تحريمه ، كقوله تعالى : { ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ } [الحج/30] .

وعن عائشة رضي اللَّه عنها أنها قالت : " وما انتقم رسول اللَّه ε لنفسه إلا أن تنتهك حرمة اللَّه فينتقم لله بها " [1] ، ومن حديث أبي بكرة τقال رسول الله ε : " فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم " [2] ، ومن حديث أبي هريرة τ أن النبي ε قال : " لا يحل لامرأة تؤمن باللَّه واليوم الآخر ، أن تسافر مسيرة يوم وليلة ليس معها حرمة " [3] .

الحرمة فى الاصطلاح الصوفى :

والحرمة عند الصوفية تعظيم حرمات اللَّه ، بتحريم ما حرم الله والامتناع عن معصيته ، قال الحكيم الترمذى (ت:320هـ) : (فالتقوى حسن النية وسلامة الصدر من الآفات ، وذلك أن الله وضع فى الأرض بيتا استخلصه لنفسه وجعله مبوأ ذكره وسماه كعبة وحرما ، وجعله قياما للناس وسماه البيت المحرم وسماه بكة ووضع فى جوف الآدمى قلبا استخلصه لنفسه فلم يكله إلى أحد . . ثم جعل صدره له حرما ، وجعل للقلب عينين يبصران بذلك المصباح ، ما يجرى فى

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب المناقب (3560) 654/6 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب العلم (67) 190/1 .

3. أخرجه البخارى فى كتاب الجمعة (1088) 659/2 .

الصدر ، فمن اتقى على كعبة الله وحرمه ، أن يحدث فيه فسادا أو معصية فههنا أحق أن يتقى على قلبه وصدره ، أن يحدث فيه غلا أو غشا أو سوءا حتى يتأدى ذلك إلى جوارحه ، فيفتضح عند رب العالمين) [1] .

ويذكر القشيرى فى تعليقه على قوله تعالى : { ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ } [الحج/30] مدلولات متنوعة لتعظيم الحرمات كلها فى إطار الأصول القرآنية والنبوية منها : تعظيم الحرمات يكون بتعظيم أمره وتعظيم أمره بترك مخالفته ، تعظيم الحرمات بطلب الرضا من اللّه ، فمن طلب الرضا بغير رضى اللّه لم يبارك له فيما آثره من هواه على رضى مولاه ولا محالة سيلقى سريعا نحبه ، تعظيم حرماته بالغيرة على إيمانه وما فجر صاحب حرمة قط ، تعظيم الحرمات ألا يقع فى الفرقة ، فترك الخدمة يوجب العقوبة وترك الحرمة يوجب الفرقة ، وكل شئ من المخالفات فللعفو فيه مساغ وللأمل إليه طريق ، وتارك الحرمة على خطر ألا يغفر ، وذلك بأن يؤدى ثبوته بصاحبه إلى أن يختل دينه وتوحيده [2] .

وربما كان ما سبق من معانى الحرمة مفهوما متواضعا لها ،عند الكاشانى فتعظيم الحرمات يجعله على مراتب تختلف فى درجاتها بحسب العموم والخصوص فهناك تعظيم الحرمات عند العامة : وذلك يكون بالوقوف عند مراسم اللّه تعالى وحدوده رغبة فيما وعد اللّه ورهبة مما توعد ، وأيضا تعظيم الحرمات عند

---

1. آداب المريدين وبيان الكسب ص 99 ، 100 .

2. لطائف الإشارات 541/2 .

المتوسطين : وذلك يكون بالحياء من اللَّه تعالى ، لا لطلبا للمثوبة ولا رهبا من العقوبة ، لئلا يصير العبد بذلك ، مسترقا لرغبته ورهبته لا لربه ، ثم تعظيم الحرمات عند الخاصة : وذلك بأن يحفظهم الحق فى أوقات المشاهدة عن الخروج عن حد الأدب ، فإذا أشهدهم اللَّه تعالى بأنه ظاهرا فى كل شئ ، أشهدهم مع ذلك نزاهته عن كل شئ [1] .

---

1. لطائف الإعلام 408/1 وتعظيم الحرمات الذى يتوافق مع الأصول القرآنية هو تعظيم الدرجة الأولى دون الثانية والثالثة ، فالتعظيم المبنى على مراعاة الثواب والعقاب فى العبادة هو تعظيم النبى ε وطريقته ، ومعلوم أن ما جاوز ذلك تحت أى دعوى لا يقبل ، كما أن تعظيم الحرمات عند الخاصة ، وهى الدرجة العظمى عند أصحاب الوحدة يشير به الكاشانى إلى ما ذكره بن عربى أن التتريه عند أهل الحقائق فى الجانب الإلهى عين التحديد والتقييد ، وذلك أن للحق فى كل خلق ظهورا فهو الظاهر فى كل مفهوم ، وهو الباطن عن كل فهم إلا عن فهم ، من قال إن العالم صورته وهويته وكذلك من شبهه وما نزهه ، فقد قيده وحدده وما عرفه ، ومن جمع فى معرفته بين التتريه والتشبيه ووصفه بالوصفين على الإجمال فقد عرفه وحفظ حرمته ، ولذلك فإنهم يحتجون بأن النبى ε ربط معرفة الحق بمعرفة النفس ، ففى الحديث الموضوع : (من عرف نفسه فقد عرف ربه) موضوع ، انظر المقاصد الحسنة للسخاوى ص198 والموضوعات الكبرى للإمام على القارى ص83 ، بل يفسرون قوله تعالى : { سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ } [فصلت/53] ، بأنه ما خرج عنك { وَفِي أَنْفُسِهِمْ } ، وهو عينك { حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ } ، أى للناظر { أَنَّهُ الْحَق } ، أى من حيث أنك صورته وهو روحك انظر

لطائف الإعلام 235/1 ، وأبين من ذلك ما صرح به ابن عربى شعرا فى قوله : فإن قلت بالتتريه كنت مقيدا وإن قلت بالتشبيه كنت محددا =

****

41ـ الحـــــــرية

****

- **الحرية** : الحر خلاف العبد ، والحرية ضربان [1] :

الأول : من لم يجر عليه أحكام الرق ، نحو قوله تعالى : { الْحُـــرُّ بِـــالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ } [البقرة/178] ، والتحرير جعل الإنسان حرا ومنه قول الله تعالى : { فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ } [النساء/92] ، وعن أبي هريرة τ ، عن النبي ε قال : " قال اللَّه ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ، رجل أعطى بي ثم غدر ، ورجل بـــاع حرا فأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه و لم يعط أجره " [2] .

الثانى : من لم تتملكه الصفات الذميمة ، من الحرص والشر من المقتنيـــات الدنيوية ، وإلى العبودية التى تضاد ذلك ما روى عن أبي هريرة τ عن الـــنبي ε

= وإن قلت بالأمرين كنت مسددا وكنت إماما فى المعارف سيدا

فمن قال بالإشفاع كان مشركا ومن قال بالإفراد كان موحدا

فإياك والتشبيه إن كنت ثانيا وإياك والتتريه إن كنت مفردا

فما أنت هو بل أنت هو وتراه فى عين الأمور مسرحا مقيدا

انظر فصوص الحكم ص54 ، ص56، ص60 .

1. المفردات ص111 ، ولسان العرب 181/4 ، والمغرب 194/1 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب الجهاد والسير (2887) 95/6 .

قال : " تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة ، إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش " [1] .

وقوله تعالى : { إِذْ قَالَتْ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } [آل عمران/35] ، قيل : هو أنها جعل وليدها بحيث لا ينتفع به الانتفاع الدنيوى ، بل جعلته مخلصا للعبادة ، وقيل : معتقا من أمر الدنيا وكل ذلك إشارة إلى معنى واحد [2] .

الحرية فى الاصطلاح الصوفى :

والحرية ترد عند أوائل الصوفية ، على معنى تجيزه الأصول القرآنية والنبوية فيعنى عندهم إتمام العبودية لله والتحرر مما سواه ، كما روى عن بشر الحافى (ت:227هـ) أنه قال للسرى السقطى : (إن اللّه تعالى خلقك حرا ، فكن كما خلقك ، لا تراء أهلك فى الحضر ، ولا رفقتك فى السفر ، اعمل لله ودع عنك الناس) [3] ، ويقول أيضا : (من أراد أن يذوق طعم الحرية ويستريح من العبودية ، لغير اللّه ، فليطهر السريرة بينه وبين اللّه تعالى) [4] .

وينسب لأحمد بن خضرويه (ت:240هـ) أنه قال : (فى الحرية تمام العبودية

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب البيوع (2227) 487/4 .
2. المفردات ص111 .

3. اللمع للسراج الطوسى ص450 .

4. الرسالة القشيرية 262/2 .

وفى تحقيق العبودية تمام الحرية) [1] ، وربما جعل الجنيد بن محمد (ت:297هـ)

---

1. اللمع للسراج الطوسى ص448 ،طبقات الصوفية ص104 ، يعد الصوفية أو من تكلموا فى الحرية على هذا المعنى فلهم السبق فى إنشاء اصطلاح للحرية يغاير المفاهيم الفلسفية والكلامية ، ويحمل فى طياته تكامل المذهب فى إثبات الحرية بالعبودية لله والتحرر مما سواه ، سواءا كانت الحرية فى القلب أو اللسان أو الجوارح ، فمقدار الحرية فى الإنسان يتحدد بمقدار العبودية لله ، والخروج من عبودية ما سواه ، كما أن أوائل الصوفية رسموا طريقا للحرية من خلال المقامات ، والمجاهدات التى تزيد الإيمان شيئا فشيئا حتى يصل إلى الكمال فيه ، ويبدأ الطريق بمقام التوبة ثم الورع والزهد والصبر والتوكل والرضا وينتهى بالحرية ، فالحرية عندهم آخر مقام للعارف ، وأغلب ذلك ليس نحتا من الأذهان لخدمة قضايا الإيمان ، ولكن تعبيرا عن وجدانهم وتجربتهم التى خاضوها ، فأسفرت عن هذه المعانى والحقائق وعلى ذلك ، فإنهم وفقوا إلى التخلص من المتناقضات واللوازم فى العلاقة التى تربط بين الله وبين الإنسان من ناحية وبين الله والعالم من ناحية أخرى ، بحيث يمكن القول إن مذهب أوائل الصوفية يعبر بصدق عن حقيقة هذه العلاقة ، فهو لا يختلف إلى حد ما عن منهج الكتاب والسنة فى عرض الموضوع ، فالعلاقة بين الله وبين الإنسان هى علاقة عبودية يؤديها الإنسان لربه من خلال معنى الابتلاء فى الأرض والاستخلاف فيها ، والله سبحانه وتعالى كيفه بالصورة التى تمكنه من تحقيق هذه الغاية ، ووهبه كل مقومات الحرية السابقة ليعى

دوره فى الحياة ، ويعقل الأشياء عن الله ويتحمل المسئولية عن أفعاله الخلقية ، فيتحقق معنى العدل والجزاء ، فالكمال الإنسانى يكمن فى ارتقاء الانسان إلى ما فوق سلطان الشيطان والشر والنفس ، ودخول الانسان فى عبودية الله بإرادته هو السبيل الوحيد عند أوائل الصوفية للمحافظة على حريته وتحقيق ذاته ، إذ أنه يضع نفسه فى موقعه =

الحرية آخر ما يصل إليه العارف من المجاهدة ، فيروى عن أنه قال : الحرية آخر مقام للعارف ، وسئل عمن لم يبق عليه من الدنيا إلا مقدار مص نواة ، أيكون حرا ؟ فقال : المكاتب عبد ما بقى عليه درهم ، وقال متمنيا أن يرى حرا بحق :

أتمنى على الزمان محالا : أن ترى مقلتاى طلعة حر [1] .

وينسب لإبرهيم بن شيبان (ت:330هـ) أنه قال : (من أراد أن يكون حرا من الكون ، فليخلص فى عبادة ربه ، فمن تحقق فى عبادة ربه ، صار حرا مما سواه) [2] ، وربما ركز بعضهم على أن التحرر الحقيقى يكمن فى القلب على اعتبار ، أن صلاح القلب يؤدى باللزوم إلى صلاح البدن وسائر الجوارح فروى عن أبى بكر الشبلى (ت:334هـ) أنه قال : (الحرية هى حرية القلب لا غير) [3] ، وربما توهم البعض ولأول وهله ان الحرية تعنى التحلل من قيود العبودية لله ، وهذا ما يرده عبد الله بن خفيف الشيرازى (ت:371هـ) حيث

= الصحيح بين الكائنات ، فينضم إليها ويشاهدها عابدة بحقيقة الربوبية ، فينخرط معها بنفى تدبيره إلى تدبير الله ، وخضوعه وإخضاعه لما منحه الله من نعم وفضل ، مما يجعل الإنسان كائنا على قمة الكائنات ، انظر المزيد فى مفهوم الحرية عند الصوفية فى

القرنين الهجريين الثالث والرابع رسالة ماجستير للمؤلف مخطوط كلية دار العلوم 618 سنة 1995م فصل عن الحرية ومنهج العبودية ص281 وما بعدها .

1. الرسالة 461/2 .
2. طبقات الصوفية ص 404 .
3. السابق ص343 .

يقول : (والحرية من العبودية باطلة ، أى إذا تصور امرؤ أن العبد يجوز له فى حياته ، أن يتحرر من قيد العبودية ، وأن تسقط عنه التكاليف الشرعية ، فهو على باطل [1] ، ولكن التحرر جائز من رق النفوسية ، أى يجوز للعبد أن يتحرر من قيد نفسه وغلها ، والرق والعبودية لا يسقطان من العبد بحال ، ولا يسقط عنه اسم العبودية [2] ، وقال السراج الطوسى (ت:387هـ) : (الحرية إشارة إلى نهاية التحقق بالعبودية لله تعالى ، وهو أن لا يملكك شئ من المكونات وغيرها ، فتكون حرا إذا كنت لله عبدا ، فلا يكون العبد عبدا حقا ، ويكون لما سواه مسترقا) [3] .

ولا شك أن هذا ما أشار إليه ε بقوله : " تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الخميصة ، تعس عبد الخميلة ، إن أعطى رضى ، وإن لم يعط سخط ، تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش ، طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه فى سبيل الله أشعث رأسه مغبرة قدماه إن كان فى الحراسة كان فى الحراسة ، وإن كان فى الساقة كان فى الساقة ، إن استأذن لم يؤذن له ، وإن شفع لم يشفع له " [4] .

1. سيرة الشيخ الكبير عبد اللّه بن خفيف ص361 .   2. السابق ص361 .
3. اللمع ص450 .
4. أخرجه البخارى فى كتاب الجهاد (2886) ، وتعس دعاء عليه بالهلاك أى انكب وعثر والخميصة ثوب خز أو صوف معلم ، والخميلة ثياب لها خمل من أى شئ كان ، وإذا شيك فلا انتقش أى إذا أصابته شوكة فلا أخرجت منه .

ويروى عن أبى على الدقاق (ت:410هـ) أنه قال : (أنت عبد من أنت فى رقه وأسره ، فإن كنت فى أسر نفسك ، فأنت عبد نفسك ، وإن كنت فى أسر دنياك فأنت عبد دنياك) [1] .

ويستند القشيرى (ت:465هـ) إلى الأصول القرآنية فى بيان معنى الحرية عند الصوفية ، فيبين أن المحرر هو الذى ليس فى رق شئ من المخلوقات ، حرره الحق سبحانه فى سابق حكمه عن رق الاشتغال بجميع الوجوه والأحوال ، قال تعالى: { إِذْ قَالَتْ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } [آل عمران/35] [2] .

واستدل على معنى الحرية بقوله تعالى : { وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ } [الحشر/9] ، وذلك أنهم إنما آثروا على أنفسهم لتجردهم عما خرجوا منه وآثروا به ، فالحرية ألا يكون العبد تحت رق المخلوقات ، ولا يجرى عليه سلطان المكونات وعلامة صحة سقوط التميز بين الأشياء ، فيتساوى عنده أخطار الأعراض حتى يستوى حجرها وذهبها [3] .

وكما عودنا الكاشانى فى ذكر معانى المصطلح وتخصيصه على الوجه الدلالية لاعتبارات الصوفية ، جعل الحرية فى الاصطلاح الصوفى على ثلاثة أنواع :

1. الرسالة 430/2 .
2. لطائف الإشارات 237/1
3. الرسالة 460/2 .

1- حرية العامة : وهى التى تقدمت وتعنى الخروج عن رق اتباع الشهوات [1].

2- حرية الخاصة : وهى الخروج عن رق المرادات ، لاقتصارهم على ما يريده الحق بهم ، وهو ما عناه القشيرى ، بقوله : (إن الذى أشار إليه القوم من الحرية ، هو ألا يكون العبد تحت رق شئ من المخلوقات ، لا من أعـــراض الدنيا ولا من أعراض الآخرة فيعبده فرد ا لفرد) [2] .

3- حرية خاصة الخاصة : وهى خروجهم عن رق الرسوم والآثار ، لانمحـــاق ظلمة كونهم فى تجلى نور الأنوار ، ويعنى ما ذكره ابن عربى : (الحرية من ظلمات أهل الغيب المكتنفين خلف الحجب الظلمانية ، لقوله تعالى : { وَلا تَزِدْ الظَّالِمِينَ إِلا تَبَارًا } [نوح/28] أى هلاكا فى الحق ، فلا يعرفون نفوسهم لشهودهم وجه الحق دونهم) [3]

****

42ـ الحـــــــزن

****

الحزن : أصل الحزن خشونة فى الأرض ومنه قوله ε عن أبي موسى الأشعري τ قال : " إن اللَّه تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض

1. لطائف الإعلام 409/1 ، ومعجم الكاشانى ص82 .
2. الرسالة 461/2 .
3. فصوص الحكم ص73:71 .

فجاء بنو آدم على قدر الأرض ، فجاء منهم الأحمر والأبيض والأسود ، وبين ذلك ، والسهل والحزن والخبيث والطيب " [1] ، وعن أبي هريرة τ أن رسول اللَّه ε قال : " تعوذوا باللَّه من جب الحزن ، قالوا : يا رسول اللَّه وما جب الحزن ؟ قال : واد في جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم مائة مرة ، قلنا : يا رسول اللَّه ، ومن يدخله قال القراء المراءون بأعمالهم " [2] .

والحزن خشونة فى النفس لما يحصل فيه من الغم ، ويضاده الفرح قال الله عز وجل : { أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ } [يونس/62] وقوله تعالى : { وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الأَعْلَوْنَ } [آل عمران/139] ، فليس ذلك بنهى عن تحصيل الحزن ، فالحزن ليس يحصل بالاختيار ، ولكن النهى فى الحقيقة إنما هو عن تعاطى ما يورث الحزن واكتسابه [3] .

وعن عائشة رضي اللَّه عنها أنها كانت تأمر بالتلبين للمريض ، وللمحزون على الهالك ، وكانت تقول إني سمعت رسول اللَّه ε يقول : " إن التلبينة تجم فؤاد المريض ، وتذهب ببعض الحزن " [4] .

1. أخرجه الترمذى فى كتاب الزهد (2955) وصححه الألبانى 204/5 ، وأبو داود (4693) 222/4 وابن حبان فى صحيحه (6181) 60/14 .
2. أخرجه الترمذى فى كتاب الزهد (2383) وقال : هذا حديث حسن غريب ، وقال الشيخ الألبانى : ضعيف 593/4 ، وابن ماجة (256) 94/1 .
3. المفردات ص116¡115 .
4. أخرجه البخارى فى الطب (5689)153/10والتلبينة حساء يجعل من دقيق أو نخالة .

وللحزن علامات يعرف بها ، منها ما ورد فى قول الله تعالى : { وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ } [يوسف/84] ، وقوله عز وجل : { تَوَلَّوا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنْ الدَّمْعِ حَزَنًا } [التوبة/92] ، عن أنس τ قال : " قنت رسول اللَّه ε شهرا حين قتل القراء ، فما رأيت رسول اللَّه ε حزن حزنا قط أشد منه " (1) ، وعن عبد اللَّه بن عمر رضي اللَّه عنهما : " أن النبي ε بكى على سعد بن عبادة عند موته ، فلما رأى القوم بكاء النبي ε بكوا فقال : ألا تسمعون إن اللَّه لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ، ولكن يعذب بهذا وأشار إلى لسانه أو يرحم ، وإن الميت يعذب ببكاء أهله عليه " (2) .

وقد ثبت فى السنة أن ما يصيب المسلم من الحزن يكفر عنه الخطايا ، فعن أبي هريرة τ عن النبي ε قال : " ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ، ولا أذى ولا غم ، حتى الشوكة يشاكها ، إلا كفر اللَّه بها من

خطاياه " [3] ، وقد كان النبى ε يكثر أن يتعوز من الحزن ، لما روى عن أنس بن مالك τ قال :

" كنت أسمع النبى ε كثيرا يقول : اللَّهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والبخل والجبن وضلع الدين وغلبة الرجال " [4] .

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب الجنائز (1300) 199/3 .
2. أخرجه البخارى فى الموضع السابق (1304) 209/3 .
3. أخرجه البخارى فى كتاب المرضى (5642) 107/10 .
4. أخرجه البخارى فى كتاب الجهاد والسير (2893) 101/6 .

الحزن فى الاصطلاح الصوفى :

والحزن عند الصوفية ، توجع القلب لفائت ، أو تأسفه على ممتنع ، وهو عندهم تأسف على ما يفوت العبد من الكمالات وأسبابها وماهياتها ، وهو على نوعين [1] :

الأول : الحزن المحرم وهو ما كان من فوات حظة من الدنيا ومتاعها ، لقوله اللَّه تعالى : { لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ } [الحديد/23] ولا يصح مع الحزن على متاع الدنيا إيمان بالقدر .

الثانى : الحزن المندوب ، وهو الحزن على فوات الأعمال الصالحة ، وعلى زمان مضى لم يجتهد فيه .

وقال الحارث بن أسد المحاسبى (ت:243هـ) : (إذا حزن العبد فى الدنيا للأخرة ، فهو المفروح غدا فى جوار الله ، وإذا حزن فى الدنيا للدنيا فهو القاصى

عن قرب الله عز وجل ، ومخرج الحزن علمهم بعلم الله عز وجل فيهم أنه قـــد رآهم فى مواطن يكرهها ، فهم غير آمنين لا تقر لهم أعين ، ولا ينشطون لفرح لما غلب على قلوبهم من الأحزان)[2] ، ويجعل المحاسبى الحزن على وجوه :
حزن على فقد أمر يحب وجوده ، وحزن مخافة أمر مستقبل ، وحزن لما أحـــب من الظفر بأمر فيتأخر عن مراده ، حزن يتذكر من نفسه مخالفات الحق فيحزن

---

1. القصد والرجوع إلى الله ص95 .
2. طبقات الصوفية ص59 .

له ، ثم يذكر المحاسبى أيضا فى استقصاء جيد علامات الحزن ويورد منها[1] :

1- التفكر فى الذنوب السالفة .
2- رهبة القدوم على اللّه تعالى بغير زاد .
3- أخذ القلوب بحقوق اللّه تعالى الواجبة والفرائض اللازمة .
4- الانقباض عند الانبساط ، والانقطاع عن فضول الكلام ، وقلة المـــبلاة بأمور الدنيا .

وقسم الكاشانى الحزن عند الصوفية إلى ثلاثة أنواع تعبر فى الحقيقـــة عـــن وجهة نظره ، إذ يعتبر ما سبق من الحزن حزن العامة ، ويكون لأجل تفريطهم فى القيام بما يجب عليهم من وظائف الخدمة وهو ما تقدم ، ويسمى نوعا آخـــر بحزن المريد ، وهو حزن المتوسطين بين العوام والخواص وحزنهم من جهة ما قد يعرض لقلوبهم ، من التفرقة حرصا على حصول الجمعية على الحق ، أما حـــزن الخاصة فهو حزنهم على غيرهم[2] ، يقول : (وإليه الإشارة بقوله تعالى عـــن

يعقوب عليه السلام : { قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ } [يوسف/13] ، وإنما لم يكن للخاصة حزن على أنفسهم ، لأن الحزن تفرقة وفقدان وهم أهل الجمعية والوجدان ، ولهذا جاء فى الحديث أن كل من سوى المصطفى ε يقول يوم القيامة نفسى نفسى ، وهو ε يقول : أمتى أمتى "[3] ، وكلامة فيه تعسف شديد فى تفسير الأدلة .

---

1. حياة القلوب 199/2 . 2. لطائف الأعلام 410/1 .
3. جزء من حديث متفق عليه ، أخرجه البخارى فى تفسير القرآن (4712) 247/8 =

****

43. الحســــــد

****

– **الحسد** : الحسد على نوعين :

1- حسد محرم وهو تمنى زوال نعمة من مستحق لها وانتقالها إليه ، وربما كان مع ذلك سعى فى إزالتها [1] ،قال تعالى : { وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ } [البقرة/109] ، والحسد محرم لما روى عن أبي هريرة τ عن النبي ε قال : إياكم والظن ،فإن الظن أكذب الحديث ، ولا تحسسوا ، ولا تجسسوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تدابروا ولا تباغضوا ، وكونوا عباد اللَّه إخوانا) [2] ، وعنه أيضا أن رسول اللَّه ε قال :

" .. ولا يجتمعان في قلب عبد الإيمان والحسد " [3] .

= ومسلم فى كتاب الإيمان (194) 184/1 وكلاهما عن أبي هريرة τ ، ولفظه : " ثم يقال : يا محمد ارفع رأسك ، سل تعطه واشفع تشفع ، فأرفع رأسي ، فأقول : أمتي يا رب أمتي يا رب أمتي يا رب " .

1. المفردات ص118 ، ولسان العرب 148/3 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب الأدب (6064) 10/ 496 .
3. أخرجه النسائى فى كتاب الجهاد (3109) ، وقال الألبانى : حسن ، 12/6 ، وابن حبان فى صحيحه (4606) 466/10 .

والحسد دواؤه الاستعاذة بالرقية ، لقوله تعالى فى الحث على الاستعاذة : { وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ } [الفلق/ 5] ، وعن عائشة رضى اللَّه عنها قالت : " كان إذا اشتكى رسول اللَّه ε رقاه جبريل قال : باسم اللَّه يبريك ، ومن كل داء يشفيك ، ومن شر حاسد إذا حسد ، وشر كل ذي عين " [1]

2- حسد مشروع ، وهو ما يطلق ويراد به الغبطة ، وتعنى تمنى المرء أن يكون له من الخير مثل ما عند الغير دون زوالها عنه ، ومن ذلك ما روى عن أبي هريرة τ أن رسول اللَّه ε قال : " لا تحاسد إلا في اثنتين ، رجل آتاه اللَّه القرآن فهو يتلوه آناء الليل والنهار ، يقول : لو أوتيت مثل ما أوتي هذا ، لفعلت كما يفعل ، ورجل آتاه اللَّه مالا ينفقه في حقه ، فيقول لو أوتيت مثل ما أوتي لفعلت كما يفعل " [2] ، وعن عائشة قالت : " ما حسدت أحدا ما حسدت خديجة ، وما

تزوجني رسول اللَّه ε إلا بعد ما ماتت ، وذلك أن رسول اللَّه ε بشرها ببيت في الجنة من قصب ، لا صخب فيه ولا نصب " [3] .

الحسد فى الاصطلاح الصوفى :

والحسد عند الصوفية متوافق مع الأصول القرآنية السابقة ، فهو كراهة حصول النعمة للغير ومحبة زوالها عنه ، وأكثر ما يكون الحسد بين الأقران والأمثال

---

1. أخرجه مسلم فى كتاب السلام (2185) 1718/4 وأحمد فى المسند (11574) .
2. أخرجه البخارى فى كتاب التمنى (7232) 13/ 233 .
3. أخرجه الترمذى فى كتاب المناقب (3876) وقال : حديث حسن ، وقال الألبانى : صحيح 702/5 ، والقصب قصب اللؤلؤ .

والأخوة وبنى العم والأقارب ، وإنما يكون غالبا بين أقوام تجمعهم روابط يجتمعون بسببها فى مجالس المخاطبات ، ويتواردون فى الأغراض ، فإذا خالف واحد صاحبه فى غرض من أغراضه ، نفر طبعه عنه وأبغضه ، وثبت الحقد فى قلبه ، فعند ذلك يريد أن يستحقره ويتكبر عليه ، ويكره تمكنه من النعمة التى توصله إلى أغراضه ، فلا تحاسد بين شخصين فى بلدين لا رابطة بينهما تجمعهما ولا تحاسد أيضا بين شخصين لا تحاد بينهما ، فلا يحسد العطار النجار ، ولا الفلاح البزار ، ولا العالم العابد ، ولا الأمير القاضى ، ولا عكسه وله أسباب منها ، أن يكون عدو له أو مبغوضا له ، وأن يكون قبول الناس عليه أكثر ومحبتهم له أقوى ، أن يكون موصوفا عند الناس بزيادة فى العلم والفضل فيحسده على ذلك ، ومنها كثرة المال والجاه [1] .

ويروى عن حاتم الأصم (ت:237هـ) أنه قال :

(أصل الطاعة ثلاثة أشياء : الخوف والرجاء والحب وأصل المعصية ثلاثة أشياء : الكبر والحرص والحسد) [2] ، وقد بين الحارث المحاسبى (ت:243هـ) تفصيل الحسد ودقائقه وأفرد له أبوابا متعددة ، فيقول : (إن الحسد فى الكتاب والسنة على وجهين وهما موجودان فى اللغة) [3] ، ثم يقسمه إلى وجهين [4] :

1. حياة القلوب على هامش قوت القلوب 33/2 ، 34 .
2. طبقات الصوفية ص95 .
3. الرعاية لحقوق اللَّه ص387 .
4. السابق ص389 ، 390 .

1- أحدهما حسد غير محرم ، وهو كراهة التقصير عن منزلة غيره ، ومحبة المساواة ، واللحوق به ، مع ترك التمنى أن يزول عمن نافسه ، حاله التى هو عليها ، فبعض هذا الحسد فرض ، وبعضه فضل ، وبعضه مباح ، وبعضه يخرج إلى النقص والحرام .

2- وأما الوجه الآخر فمحرم كله ، ولا يخرج إلا إلى ما لا يحل ، وقد ذمه اللَّه عز وجل فى كتابه والرسول ε فى سنته ، واجتمع علماء الأمة عليه ، قال تعالى : { وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ الْحَقُّ } [البقرة/109] وقال سبحانه : { أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ } [النساء/54] .

ثم يبين المحاسبى أن الحسد أنواع [1] :

(1- ما يكون من الحسد على الرياسة وحب المنزلة ، فالرياسة والمنزلة عند الناس بالعلم ، فإنه يورث رد الحق وتركه على علم ، كما تفرق أهل الكتاب حسدا بينهم أن يعلوا بعضهم بعضا فى العلم ، كل واحد منهم يحسد صاحبه الرياسة ، أن تكون له دونه ، وكذلك المنزلة عند الناس ، فرد الحق أن يقبله وابتدع ، فقال بغير الحق ليتبعه الناس على قول ، هو خلاف قول من يحسده وخطأه فيما يقول وإن كان حقا ، وأظهر أن الحق فى غيره ليصد الناس عنه ويطفئ نوره ، حسدا أن ترتفع منزلته أو يخضع له فيكون عليه رئيسا .

---

1. السابق من ص395 : ص398 ملخصا .

(2- ما يكون من الحسد عن الحقد والعداوة والبغضاء ، وهو أشد الحسد وذلك ما وصفه اللَّه عز وجل عن الكفار وعداوتهم ، وبغضهم للمؤمنين فالمبغض لا يحب أن يرى بمن يبغض نعمة عليه من اللَّه ، ويحب أن يراه بأسوأ الحال فى الدين والدنيا ، ولهذا قال تعالى عن المنافقين : { وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنْ الغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ } [آل عمران/119] .

(3- ما يكون من الحسد عن حب ظاهر الدنيا ، أن ينال ما يرى بغيره من حب أو بر من قرابة أو غيره ، كالأخوة يتحاسدون ، أو أخ يحاسد الأخ عند أبيهما أو أمهما أو قرابتهما وكذلك الصاحبان أو الشريكان ، فيحسده على ما

يرى من حب أبيهما أو أمهما أو برهما ، أو من صحبهما أو شاركهما ، ويحب أن يؤثر بذلك دونه ، فيحسده فيقع فيه ويبغضه ليصرف وجه أبيه أو غيره إليه بالبر والحب ، وكذلك المرأتان والضرتان ، وذلك كما وصف عن أخوة يوسف عليه السلام ، حين حسدوه فى حب أبيه له دونهم ، وإيثاره إياه عليهم ، إذ قالوا : { لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ } [يوسف/8] إلى قوله : { اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ } [يوسف/9] .

(4- ما يكون من الحسد عن العجب ، كما أخبرنا اللَّه عن الأمم الماضـــية فقالوا لرسلهم : { مَا أَنْتُمْ إِلا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ } [يس/15] وقولهم : { وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ } [المؤمنون/34] فجزعوا أن يفضل عليهم من هو مثلهم فى الخلقة والنسب ، فقالوا يتعجبون منهم :

{ أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولا } [الإسراء/94] ، وقال اللَّه تعالى عن قول نوح وهود لقومهما : { أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنــذِرَكُمْ } [الأعراف/63] ، فحسدوه فردوه الحق وعاندوا الإيمان .

****

44ـ الحــــــق

****

- **الحق** : أصل الحق المطابقة والموافقة ، والحق يقال على أوجه منها [1] :

1- الحق : اسم من أسماء اللَّه عز وجل ، لقوله تعالى : { ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمْ الْحَقِّ } [الأنعام/62] ، وقوله : { فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلا الضَّلالُ فَأَنَّا تُصْرَفُونَ } [يونس/32] وعن ابن عباس رضي اللَّه عنهما : " كان من دعاء النبي ε فى التهجد : اللَّهم أنت الحق ، ووعدك الحق ، ولقاؤك حق وقولك حق ، والجنة حق ، والنار حق ، والنبيون حق ، ومحمد ε حق والساعة حق لك " [2] .

2- الحق : يقال لفعل اللَّه تعالى ، لأن المفعولات توجد بحسب مقتضى الحكمة وقال تعالى : { هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلا بِالْحَقِّ } [يونس/5] .

---

1. لسان العرب 49/10 ، والمفردات ص125، ص124 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب (1120) 5/3 .

3- الحق : يقال للاعتقاد المطابق للحقيقة ، كقوله تعالى : { فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنْ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } [البقرة/213] ، وعن أم سلمة رضى الله عنها قالت : "جاءت أم سليم إلى رسول اللَّه ε فقالت : يا رسول اللَّه إن اللَّه لا يستحيي من الحق ، فهل على المرأة من غسل إذا احتلمت ؟ قال النبي ε : إذا رأت الماء " [1] .

4- الحق : يطلق على التوحيد والشريعة ، فعن عبد اللَّه بن مسعود τ قال : " دخل النبي ε مكة ، وحول الكعبة ثلاث مائة وستون نصبا فجعل يطعنها بعود

في يده وجعل يقول : { جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ } [الإسراء/81] " [2] وقال تعالى : { هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ } [التوبة/33] ، ويطلق على الشريعة ، لقوله تعالى : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ } [النساء/170] ، وروى عن عبد اللَّه بن مسعود τ أن النبي ε قال : " لا حسد إلا في اثنتين ، رجل آتاه اللَّه مالا فسلط على هلكته في الحق ، ورجل آتاه اللَّه الحكمة ، فهو يقضي بها ويعلمها " [3] .

5- الحق يطلق على صفة النبى ε ، كقول الله تعالى : { الَّذِينَ آتَيْنَاهُمْ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } [البقرة/146] .

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب العلم (130) 276/1 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب المظالم والغصب (2478) 100/5 .
3. أخرجه البخارى فى كتاب العلم (73) 199/1 .

6- الحق يطلق على الدَّيْن كقوله تعالى : { وَلْيُمْلِلْ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ } [البقرة/282] .

الحق فى الاصطلاح الصوفى :

والحق فى عرف الصوفية ، يطلق غالبا فى إطار المعنى القرآنى السابق ، فربما أطلقها بعضهم ويعنى بها اتباع الشرع أو المعرفة أو الإيمان أو التوحيد أو الله تعالى ، كما روى عن أحمد بن خضروية (ت:240هـ) أنه قال : (القلوب

أوعية ، فإذا امتلأت من الحق ، أظهرت زيادة أنوارها علـــى الجـــوارح ، وإذا امتلأت من الباطل ، أظهرت زيادة ظلمتها على الجوارح) [1] ، وعن ذى النون المصرى (ت:248هـــ) قال : (كل مدع ، محجوب بدعواه عن شهود الحـــق لأن الحق شاهد لأهل الحق ، ولأن اللَّه هو الحق ، وقوله الحق ، ولا يحتـــاج أن يدعى ، إذا كان الحق شاهدا له ، فأما إذا كان غائبا فحينئذ يدعى ، وإنما تقع الدعوى للمحجوبين) [2] ، ويذكر لأبى سعيد الخراز (ت:279هـــ) فى بعض كلامه : (عبد موقوف مع الحق بالحق للحق) ، ويعنى بذلك أنه موقوف مـــع اللَّه باللَّه لله [3] ، ويروى أن يوسف بن حسين الرازى (ت:304هـــ) سئل : دلنى على طريق المعرفة ؟ ، فقال : أر اللَّه الصدق منك فى جميع أحوالك ، بعد

1. طبقات الصوفية ص105 .
2. السابق ص22 .
3. اللمع ص413 .

أن تكون موافقا للحق ، ولا ترق إلى حيث لم يرق بك ، فتزل قدمك ، فإنك إذا رقيت سقطت ، وإذا رقى بك لم تسقط ، وإياك أن تترك اليقين لما ترجـــوه ظنا [1] ، ويذكر السراج الطوسى (ت:387هـــ) أن الحق فى عرف الصـــوفية هو اللَّه عز وجل ، لقوله : { وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُـــبِينُ } [النـــور/25] والحقوق معناه الأحوال والمقامات ، والمعارف والإرادات ، والعقود والمعاملات والعبادات) [2] ، وقال أبو الحسن على بن عثمان الهجويرى (ت:465هـــ) :

(مرادهم من الحق اللَّه ، لأن هذا اسم من أسماء اللَّه ، لقوله تعالى : { ذَلِــكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ } [الحج/62] [3] .

والحق فى عرف ابن عربى يطلق على عدة معان ، أولها له أصول نبوية ويعنى به ما وجب على العبد من جانب اللَّه ، وما أوجبه الحق على نفسه [4] ، وهــذا المعنى يشهد له ما ثبت عن معاذ بن جبل τ قال : " كنت ردف النبي ε علــى حمار ، فقال : يا معاذ ، هل تدري حق اللَّه على عباده ، وما حق العباد علــى اللَّه ؟ قلت : اللَّه ورسوله أعلم قال : فإن حق اللَّه على العباد أن يعبــدوه ولا يشركوا به شيئا ، وحق العباد على اللَّه أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا " [5]
أما بقية المعانى فإنها تدور على فلسفته فى وحدة الوجود كقوله :

1. طبقات الصوفية ص188 .
2. اللمع ص413 .
3. كشف المحجوب الهجويرى ص627 .
4. اصطلاحات الصوفية لابن عربى ص15 .
5. أخرجه البخارى فى كتاب الجهاد والسير (2856) 69/6 .

(الحق هو اللَّه الذى له التجلى فى صور الأشياء كلها ، مشهودا فى أعين الخلق فإن الأشياء ما ظهرت إلا به سبحانه وتعالى ، فالعارف يعلم أن كل شئ يــراه ليس إلا الحق) [1] ، وربما اعتبر الحق ، هو الوجود والخير فى مقابل الباطــل الذى هو العدم والشر ، فيقول : (فما أخرج اللَّه العالم من العدم ، الذى هــو الشر إلا للخير الذى أراده به ، ليس إلا الوجود ، فإن الدار الدنيا لها وجــه إلى الحق بما هى موجودة ، ولها وجه لغير الحق بما ينعدم فيها وينتقــل عنــها) [2]

ويقول أيضا : (وليس فى الوجود باطل أصلا ، وإنما الوجود حق كله والباطل إشارة إلى العدم) [3] (الباطل عدم ولا عين له فى الوجود ، ولو كان له وجود لكان حقا) [4] ، وكذلك الحق يعتبره ابن عربى أحد وجهى الحقيقة الوجودية فإنها واحدة بذاتها ثنوية بوجهيها ، فيقال : حق خلق ، على اعتبار أن الحقيقة الوجودية واحدة ، وكذلك رب عبد ، واحد كثير ، قديم حادث ، إلى غير ذلك من الثنائيات التى هى واحد عنده من الوجهين ، فالحق فى أحد الوجهين هو الجامع لكل صفات القدم فى مقابل الخلق الوجه الآخر للحق ، الجامع لكل صفات الحدوث ، فالخلق فى الواقع ليس إلا مظهرا ومجلى وتعينا للحق ، يقول

---

1. الفتوحات المكية 184/4 وانظر التعريفات للجرجانى ص94 وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى 80/2 .
2. السابق 377/3 .
3. مواقع النجوم ص79 .
4. الفتوحات 402/4 .

محى الدين بن عربى : (فالحق مصرف العالم ، والعالم مصرف الحق ، ألا تراه يقول : { أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِي } [البقرة/186] ، أليست الإجابة تصريفا) [1] ، (فالكون كله جسم وروح بهما قامت نشأت الوجود ، فالعالم للحق كالجسم للروح) [2] .

ويقول أيضا : (فإن للحق فى كل خلق ظهور ، فهو الظاهر فى كل مفهوم وهو الباطن عن كل فهم ، إلا عن فهم من قال : إن العالم صورته وهويته وهو

الاسم الظاهر ، كما أنه بالمعنى روح كل ما ظهر ، فهو الباطن) [3] ، وربما أراد بالحق : العدل والإنصاف ، وهو صفة الإنسان الكامل ، يقول ابن عربى : (فأعطى الإنسان الكامل كل ذى حق حقه كما أن اللّٰه : { أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ } [طه/50] ، فالذى انفرد به الحق ، إنما هو الخلق ، والذى انفرد به من العالم الكامل إنما هو الحق ، فيعلم ما يستحقه كل موجود ، فيعطيه حقه وهو المسمى بالإنصاف) [4] .

****

45ـ الحقيقـــــــــة

****

الحقيقة : تستعمل فى مقابل الوهم والشك والظن ، وقد ورد قوله تعالى :

---

1. السابق 545/3 .
2. السابق 315/3 .
3. فصوص 168/1 .
4. الفتوحات 398/3 .

{ حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلا الْحَقَّ } [الأعراف/105] على معنى الصدق فى البلاغ [1] ، وقال ابن عمر τ : " لا يبلغ العبد حقيقة التقوى ، حتى يدع ما حاك في الصدر " [2] ، وعن أبي حفصة τ قال : " قال عبادة بن الصامت τ لابنه : يا بني إنك لن تجد طعم حقيقة الإيمان ، حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك " [3] ، وفى رواية أخرى ، قال : " ولن تبلغ حق حقيقة العلم باللّٰه تبارك وتعالى ، حتى تؤمن بالقدر خيره

وشره "[4] ، وعن أبي الدرداء τ عن النبي ε قال : " لكل شيء حقيقة ، وما بلغ عبد حقيقة الإيمان ، حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه "[5] ، وقال مسروق τ :" كفى بالمرء علما ، أن يخشى اللّه وكفى بالمرء جهلا ، أن يعجب بعلمه ، وحقيق أن يكون له مجالس يخلو فيها فيذكر ذنوبه ، فيستغفر اللّه تعالى منها "[6] .

1. تفسير ابن كثير 235/2 ، والمفردات ص126 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب الإيمان 60/1 .
3. أخرجه أبو داود فى كتاب السنة (4700) وقال الألبانى : صحيح 225/4 ، وأخرجه البيهقى فى سننه (20664) 204/10 .
4. صحيح بمعناه ، أحمد فى المسند (22197) واللفظ له ، ومسلم بمعناه عن جابر بن عبد الله فى كتاب القدر (2648) 2040/4 .
5. صحيح بمعناه ، أحمد فى المسند (26944) واللفظ له ، وأخرجه بمعناه أبو داود فى السنة (4699) وصححه الألبانى 225/4 ، وابن ماجة فى المقدمة (77) 29/1 .
6. أخرجه الدارمى فى المقدمة (314) 104/1 .

الحقيقة فى الاصطلاح الصوفى :

وقد ورد مصطلح الحقيقة فى ألفاظ الصوفية على عدة معان ، تدور أغلبها حول الصدق فى الإيمان ، وبلوغ درجة الإحسان ، وكمال المراقبة ، والمداومة على النظر فى أفعال اللّه .

فروى عن أبى الحسين النورى (ت:295هـ) أنه قال : (أعز الأشياء فى زماننا شيئان : عالم يعمل بعلمه ، وعارف ينطق عن حقيقته)[1] ، ويروى عن

رويم بن أحمد البغدادى (ت:303هـ) : (قعودك مع كل طبقة من الناس أسلم ، من قعودك مع الصوفية ، فإن كل الخلق قعدوا على الرسوم ، وقعدت هذه الطائفة على الحقائق ، وطالب الخلق كلهم أنفسهم بظواهر الشرع وطالبوا هم أنفسهم بحقيقة الورع ومداومة الصدق ، فمن قعد معهم وخالفهم فى شئ مما يتحققون فيه نزع اللَّه نور الإيمان من قلبه) [2] .

وهذا الكلام فيه نظر لأن الله لاينزع نور الإيمان من القلب ، إلا إذا خالف العبد شرعه وعصى أمره ، أما مخالفة أذواق الصوفية فلا توجب ذلك ، ولذا أحسن أبو بكر بن طاهر الأبهرى (ت:330هـ) ، عندما سئل عن الحقيقة ؟ فقال : الحقيقة كلها علم وسئل عن العلم ؟ فقال : العلم كله حقيقة [3] ، فرد الحقيقة إلى اتباع العلم ، ومثله أيضا ما ذكره السراج الطوسى (ت:387هـ)

1. طبقات الصوفية ص169 .
2. السابق ص182 .
3. السابق ص 394 .

حيث قال : (الحقيقة وقوف القلب بدوام الانتصاب بين يدى من آمن به ، فلو داخل القلوب شك أو مخيلة ، فيما آمنت به حتى لا تكون به واقفة وبين يديه منتصبة ، لبطل الإيمان ، وهو قول النبى ε لحارثة : " لكل شئ حقيقة ، فما حقيقة إيمانك ؟ ، فقال : عزفت نفسى عن الدنيا ، فأسهرت ليلى ، وأظمأت نهارى ، وكأنى أنظر إلى عرش ربى بارزا " [1] .

وكأنه يعبر عن مشاهدة قلبه ، ودوام وقوفه وانتصابه بين يدى ربه ، لما آمن به حتى عبده كأنه رأى العين [2] ، ومن أجود ما قيل فى ذلك ، ما روى عن أبى على الدقاق (ت:410هـ) ، قال : (قوله تعالى : { إِيَّاكَ نَعْبُدُ } [الفاتحة/5] حفظ للشريعة ، وقوله : { وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } [الفاتحة/5] إقرار بالحقيقة) [3] .

---

1. حديث ضعيف ، أخرجه الطبرانى فى الكبير عن حارثة أنه " مر برسول الله ε فقال له : كيف أصبحت يا حارث ؟ قال : أصبحت مؤمنا حقا ، فقال : انظر ما تقول فإن لكل شيء حقيقة فما حقيقة إيمانك ؟ فقال : قد عزفت نفسي عن الدنيا وأسهرت لذلك ليلي وأظمأن نهاري ، وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزا ، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها ، وكأني أنظر إلى أهل النار يتضاغون فيها ، فقال : يا حارث عرفت فالزم ثلاثا " انظر معجم الطبرانى الكبير لأبى القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبرانى ، مراجعة حمدى بن عبد المجيد ، نشر مكتبة العلوم والحكم ، الموصل سنة 1983م ، 1404هـ ، (3367) 3/ 266 وانظر المنتخب من مسند عبد بن حميد ، مراجعه صبحى البدرى السامرائى ومحمود محمد خليل الصعيدى ، نشر مكتبة السنة ، القاهرة سنة 1988م 1408هـ (445) ص165 .
2. اللمع ص413 .
3. الرسالة القشيرية 261/1 .

وللهجويرى (ت:465هـ) كلام فى مصطلح الحقيقة يدل على وضع الصوفى حال انجذابه إلى ربه ، وفنائه عمن سواه ، لا بمعنى اضمحلال الإنسان فيقول : (الحقيقة عندهم هى مقام الإنسان فى الجمع مع ربه ، ووقوف القلب فى مقام التتريه) [1] .

ويبين القشيرى (ت:465هـ) أن الحقيقة فى اصطلاح الصوفية ، ما يقابل الشريعة ، فالشريعة أمر بالتزام العبودية ، والحقيقة مشاهدة الربوبية ، وكل شريعة غير مؤبدة بالحقيقة فغير مقبول ، وكل حقيقة غير مقيدة بالشريعة ، فغير مقبول فالشريعة جاءت بتكليف الخلق ، والحقيقة إنباء عن تصريف الحق فالشريعة أن تعبده ، والحقيقة أن تشهده ، والشريعة قيام بما أمر ، والحقيقة شهود لما قضى وقدر ، وأخفى وأظهر ، والشريعة حقيقة من حيث أنها وجبت بأمره ، والحقيقة أيضا شريعة ، من حيث إن المعارف به سبحانه أيضا وجبت بأمره [2] .

وإذا عدنا إلى الحقيقة فى فلسفة محى الدين بن عربى (ت:638هـ) نجد أنها تأخذ معنى آخر عما تقدم ، إذ تعنى ظهور ذات الحق ، من غير حجاب التعينات ، ومحو الكثرات الموهومة فى نور الذات ، وذلك يكون بسلب آثار أوصافك عنك بأوصافه ، بأنه الفاعل بك فيك منك لا أنت ، كما قال تعالى : { مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا } [هود/56] [3] ، وهناك بعض المصطلحات

---

1. كشف المحجوب للهجويرى ص466 .
2. الرسالة القشيرية 261/1 .
3. اصطلاحات الصوفية لابن عربى ص7 ، وكشاف اصطلاحات الفنون 86/2 .

المرتبطة بالحقيقة ومستعملة على فكر أصحاب الوحدة ، وهى بعيدة فى مدلولها عن الكتاب والسنة منها [1] :

1)- حقيقة الحقائق : ويعنون بها باطن الوحدة وهى عبارة عن الذات الأحدية الجامعة لجميع الحقائق ، فهى تجمع فى ذاتها جميع ماهيات الحق والخلق والحضرة الإلهية والكونية ، وتسمى حضرة الجمع وحضرة الوجود [2] .

2)- حقيقة الحق : عبارة عن صورة علمه بنفسه ، من حيث تعينه فى تعلقه نفسه ، باعتبار توحد العلم والعالم والمعلوم .

3)- حقيقة الخلق : عبارة عن صورة علم ربهم بهم ، أو نسبة تعينه فى علم ربه أزلا وأبدا ، فإنه لما كان تعالى عالما بجميع الأشياء على حقائقها حقيقة ، وكان علمه الصفة القائمة المستحيل على ما سواه أن تكون قائمة به ، استحال على ما سواه أن يكشف الأشياء بحقائقها .

4)- الحقائق : هى أسماء الشؤون الذاتية عندما تتصور ، وتتميز فى المرتبة الثانية ، فإن جميع الحقائق الإلهية والكونية ، إنما تكون شؤونا وأحوالا ذاتية ، من اعتبارات الواحدية مندرجة فيها .

5)- الحقيقة الإنسانية الكمالية : هى حضرة الألوهية ، المسماة بحضرة المعانى وبالتعين الثانى ، والمعنى بكونها الحقيقة الإنسانية الكمالية ، هى كون

1.لطائف الإعلام 424/1 : ص427 .

2. انظر أيضا الفتوحات 433/2 وانظر معجم اصطلاحات الصوفية للكاشانى ص37 .

صورة الإنسان الكامل صورة لمعنى ، وحقيقة ذلك المعنى ، وتلك الحقيقة هى حضرة الألوهية المسماة بالتعين الثانى ، فكان الإنسان الكامل ، هـــو مظهر التعين الثانى ، والإنسان الأكمل هو مظهر التعين الأول ، المســـمى بحقيقة الحقائق .

(6- الحقيقة المحمدية : وهى أكمل مجلى خلقى ظهر فيه الحق ، بل هـــى الإنسان الكامل بأخص معانيه ، وإن كان كل موجود ، هو مجلى خاص لاسم إلهى ، فالحقيقة المحمدية ، هى مبدأ خلق العالم وأصله ، وهى الذات مع التعين الأول ، فله الأسماء الحسنى كلها وهو الإسم الأعظم [1] .

****

46- الحكمـــــــــة

****

الحكمة : وضع الشئ فى موضعه ، وتطلق على إصابة الحق بالعلم والعقـــل وقد تنوع معناها ومدلولها على ما يأتى [2] :

---

1. لطائف الإعلام 426/1 وانظر للمقارنة معجم اصطلاحات الصـــوفية للكاشـــانى ص37والتعريفات للجرجانى ص95 ، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى 87/2 وإنشاء الدوائر لابن عربى ص19 ، ومواقع النجوم ص20 ، والتدبيرا الإلهيه ص120 والإنسان الكامل للجيلى 25/1 .
2. المفردات ص127 ، والقاموس المحيط 415/1 .

1- الحكمة صفة اللّه التى تضمنها اسمه الحكيم ، قال تعالى : { وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } [الحشر/1] ، والحكمة من اللّه تعالى معرفة الأشياء ، وإيجادها على غاية الإحكام ، وهى صفة تليق به سبحانه ، وليس كمثله شئ فيها ، كما قال الله تعالى : { أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ } [التين/ 8] .

2- الحكمة وصف الإنسان ، عند معرفته علل الأشياء ومعلولاتها ، والأسباب المؤدية إلى تحصيل الخيرات فى الدنيا والآخرة ، وهو ما وصف الله به لقمان فى قوله : { وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ } [لقمان/12] ، وقال سبحانه وتعالى : { وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا } [البقرة/269] .

3- الحكمة وصف القرآن الحكيم ، وذلك لتضمنه الدلالة على جميع الخيرات فى الدنيا والآخرة ، قال تعالى : { تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ } [يونس/1] وقال أيضا : { وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ الأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ } [القمر/5] .

4- الحكمة وصف السنة ، لأنها توضح مراد اللّه وتفسره كقوله : { وَيُعَلِّمُهُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ } [الجمعة/2] ، وقال تعالى : { وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ } [الأحزاب/34] ، وقال قتادة : الحكمة السنة [1] .

5- الحكمة كل قول بليغ موزون بالنقل ، وقال ابن عباس τ : " ضمني النبي ε إلى صدره وقال : اللّهم علمه الحكمة " [2] ، وفى رواية قال : " اللّهم علمه

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب تفسير القرآن 8/ 376 .

2. البخارى فى المناقب (3756) 7/126 والترمذى فى المناقب (3824) 5/680 .

الحكمة وتأويل الكتاب " [1] .

6- الحكمة : كل قول بليغ موزون بالعقل ، فعن أبي بن كعب τ أن رسول اللَّه ε قال : " إن من الشعر حكمة " [2] وعن أبي خلاد τ ، قال رسول اللَّه ε : " إذا رأيتم الرجل قد أعطي زهدا في الدنيا وقلة منطق ، فاقتربوا منه ، فإنه يلقي الحكمة " [3] ، وعن أبي هريرة τ ، قال رسول اللَّه ε : " الكلمة الحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها ، فهو أحق بها " [4] .

7- الحكمة ، تعلم العلم وتعليمه والعمل به ، لما روى عن ابن مسعود τ أن النبي ε قال : " لا حسد إلا في اثنتين ، رجل آتاه اللَّه مالا فسلط على هلكته في الحق ، ورجل آتاه اللَّه الحكمة ، فهو يقضي بها ويعلمها " [5] .

---

1. أخرجه ابن ماجة فى المقدمة (166) وقال الشيخ الألبانى : 1/ 58 ، وانظر فضائل الصحابة حديث (1923) 976/2 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب الأدب (6145) 553/10 .
3. ضعيف ، أخرجه ابن ماجة فى كتاب الزهد (4101) 1373/2 ، وانظر الآحاد والمثانى (2690) 152/5 وفي السند يزيد بن سنان ، وهو ضعيف ، انظر ضعفاء العقيلى (1995)382/4 ، والإصابة (9276) 661/6 ، والكامل فى ضعفاء اللرجال (2166) 269/7 ، والمجروحين من المحدثين والضعفاء (1187) 106/3 .
4. ضعيف جدا ، أخرجه ابن ماجة فى كتاب الزهد (4169) 1395/2 وفي السند إبراهيم بن الفضل وهو متروك ، انظر ضعفاء العقيلى (56) 60/1 ، والجرح والتعديل (376) 122/2 ، والكشف الحثيث ، لأبى الوفا العجمى (20) ص39 .

5. أخرجه البخارى فى كتاب العلم (73) 199/1 .

الحكمة فى الاصطلاح الصوفى :

الحكمة فى عرف الصوفية ، هى الاطلاع على أسرار الأشياء ومعرفة ارتباط الأسباب بمسبباتها ، ومعرفة ما ينبغى بالشروط التى تنبغى ، فمن عرف الحكمة ويسر للعمل بها ، فذلك الحكيم الذى أتاه اللَّه الحكمة ، فأحكم وضع الأشياء فى مواضعها ، كما قال تعالى :

{ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا } [البقرة/269] [1] .

وقد تنوعت أقوالهم فيها ولكنها فى الأغلب تدور فى إطار هذا المعنى ، فجعلها بعضهم بمعنى السنة كما روى عن الفضيل بن عياض (ت:187هـ) أنه قال : (من جلس مع صاحب بدعة ، لم يعط الحكمة) [2] ، وبعضهم جعل الزهد وترك فضول الكلام وتصغير الشأن سببا فى الحكمة ، فلأبى سليمان الدارانى (ت:215هـ) : (إذا ترك الحكيم الدنيا ، فقد استنار بنور الحكمة) [3] .

وينسب لأبى بكر الوراق (ت:بعد250هـ) أنه قال : (الحكماء خلف الأنبياء ، وليس بعد النبوة إلا الحكمة ، وهى إحكام الأمور ، وأول علامات الحكمة ، طول الصمت ، والكلام على قدر الحاجة) [4] ، وروى عن شاه الكرمانى (ت:قبل300هـ) : (علامة الحكمة معرفة أقدار الناس) [5] ويذكر

---

1. انظر معجم الكاشانى ص77 ، ولطائف الإعلام ص432 .
2. طبقات الصوفية ص10 .
3. السابق ص81 .

4. السابق ص226 . 5. السابق ص261 .

لأبى محمد الجريرى (ت:311هـ) أنه قال : (لكل شئ عند اللَّه حق وإن أعظم الحقوق عند اللَّه حق الحكمة ، فمن جعل الحكمة فى غير أهلها ، طالبه اللَّه بحقها ومن طالبه بحقها خصم) [1] .

وربما عنى بعضهم بالحكمة سماع الحق أو النطق به ، مثل ما يروى عن الحكيم الترمذى (ت:320هـ) أنه قال : (الناس فى استماع الحكمة رجلان : عاقل وعامل ، فالعاقل يتعجب وهو لما يسمعه يشتهى ، والعامل يتقلب كأن قلبه منه حية تلتوى) [2] ، ولعلى بن الكاتب (ت:بعد340هـ) : (إن الرجل إذا سمع الحكمة فلم يقبلها فهو مذنب ، وإذا سمعها و لم يعمل بها فهو منافق) [3] ويذكر لأبى عثمان المغربى (ت:373هـ) : (الحكمة هى النطق بالحق) [4] .

وهناك بعض المصطلحات المرتبطة بالحكمة يتنوع مدلوها حسب اتجاه قائليها ومسلكهم فى التصوف [5] :

1- الحكمة الجامعة : ويقصد بها عندهم ، معرفة الحق ، والعمل به ، ومعرفة الباطل وتجنبه .

2- الحكمة المتصرف بها : وتعنى بها ما ينتفع به كل من سمعه ، وذلك كعلم الشريعة والطريقة .

---

1. السابق ص193 . 2. السابق ص218 .
3. السابق ص387 .
4. السابق ص483 .

5. لطائف الإعلام ص432 ، ص433 .

3- الحكمة المسكوت عنها : وتعني بها ما يدق على أفهام العوام وأصحاب الفطانة البتراء فهمه ، من أسرار علوم الحقيقة ، التي بها هلك من سمعها لسوء فهمه لمعاني أسرارها .

3- الحكمة المجهولة : وهي ما خفي عن العباد وجه الحكمة في إيجاده ، مثل إيلام بعض الحيوانات وخلود أهل النار فيها ، فإنه تعالى أن تصل فائدة شئ من الأشياء ، مع قدرته على إيصال المنافع إلى العبيد ، من غير إيلام لأحد منهم ، فلكونه تعالى لا يفعل إلا المحكم المتقن ، صار ما يعد من هذا القبيل من الحكمة المجهولة .

****

47ـ الحيـــــــاء

****

الحياء : انقباض النفس عن القبائح ، وإبقاؤها على الفضيلة ، واستحيا فهو مستحى [1] ، قال الله تعالى : { فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ } [القصص/25] ، وقال : { إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنْ الْحَقِّ } [الأحزاب/53] ، وأصل الاستحياء ، الاستبقاء على الحياة كقوله تعالى : { يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ } [البقرة/49] ، والحياء شعبة من شعب الإيمان ، لما ورد عن أبي هريرة τ ، عن النبي ε قال :

1. المفردات ص140 ، ولسان العرب 14 /211 ، وكتاب العين 317/3

" الإيمان بضع وستون شعبة ، والحياء شعبة من الإيمان " [1] ، وعن عبد اللَّـه بن مسعود τ ، أن رسول اللَّه ε مر على رجل من الأنصار ، وهو يعظ أخـاه في الحياء ، فقال رسول اللَّه ε : " دعه فإن الحياء من الإيمان " [2] .

وعن أبي سعيد الخدري τ ، قال : " كان النبي ε أشد حياء من العذراء في خدرها " [3] .

وقد ورد الحث علي الحياء ، من رواية عبد اللَّه بن مسعود τ ، أن رسـول اللَّه ε قال : " استحيوا من اللَّه حق الحياء ، قلنا : يا رسول اللَّه إنا نسـتحيي والحمد لله ، قال : ليس ذاك ، ولكن الاستحياء من اللَّه حق الحياء ، أن تحفظ الرأس وما وعى ، والبطن وما حوى ، وتذكر الموت والبلى ، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا ، فمن فعل ذلك ، فقد استحيا من اللَّه حق الحياء " [4] .

وقال أنس بن مالك τ : " جاءت امرأة إلى رسول اللَّه ε ، تعـرض عليـه نفسها ، قالت : يا رسول اللَّه ألك بي حاجة ، فقالت بنت أنس : مـا أقـل حياءها ، وا سوأتاه وا سوأتاه ، قال : هي خير منـك ، رغبـت في الـنبي ε فعرضت عليه نفسها " [5] ، وعن عمران بن حصين τ ، أن الـنبي ε قـال :

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب الإيمان (9) 67/1 .
2. أخرجه البخارى فى الموضع السابق (24) 93/1 .
3. أخرجه البخارى فى كتاب المناقب (3562) 654/6 .
4. أخرجه الترمذى فى كتاب صفة القيامة (2458) وقال الألبانى : حسـن 637/4 وانظر مكارم الأخلاق (90) ص39 .

5. أخرجه البخارى فى كتاب النكاح (5120) 80/9 .

" الحياء لا يأتي إلا بخير " [1] .

الحياء فى الاصطلاح الصوفى :

والحياء فى العرف الصوفى ، من جملة الأخلاق التى تتولد من علم العبد بنظر الحق إليه ، فيجذبه إلى تحمل المجاهدة ، ويحمله على استقباح الخيانة ، ويكفيه عن الشكوى عند البلوى ، ويدعوه إلى المحبة [2] ، وروى عن الحارث المحاسبى (ت:243هـ) أنه قال : (الحياء هو الامتناع عن كل ما لا يرضاه اللَّه تعالى وعلامته فى الظاهر انقباض جوارحه عن الانبساط ، وإن مشى طأطأ رأسه حياء من اللَّه تعالى ، وقيل له : ما لذى يشين الحياء ؟ فقال : إثارة النفوس إلى موضع الأطماع) [3] ، وينسب للجنيد بن محمد (ت:297هـ) : (الحياء من اللَّه عز وجل أزال عن قلوب أوليائه سرور المنة ، وسئل عما يولد الحياء فقال : رؤية العبد آلاء اللَّه عليه ، ورؤية تقصيره فى شكره) [4] ، وللحسين بن منصور الحلاج (ت:309هـ) : (حياء الرب أزال عن قلوب أوليائه ، شهود سرور الطاعة) [5] .

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب الأدب (6117) 537/10 .
2. حياة القلوب ص207 .
3. السابق ص207 .
4. طبقات الصوفية ص162 وانظر السابق ص207 .

5. السابق ص310 .

وروى عن بندار بن الحسين الشيرازى (ت:353هـ) أنه قال : (إن المحبة رغبة وهى مزعجة ، والحياء خجلة ، والمحب طالب غائب ، والمستحى حاضر وبينهما فرقان ، لأن المحبة تصح مع الغيبة ، والحياء يصح مع المشاهدة ، فشتان بين غائب غريب ، وحاضر قريب) [1] .

ولابن عربى (ت:638هـ) فى الحياء كلام نفيس ،يتحدث فيه مكتسيا بثوب أهل الظاهر متكلما بلسانهم ، حيث جعله على فرض وسنة ، أما الفرض فالحياء من اللَّه أن يراك حيث نهاك ، أو يفقدك حيث أمرك ، وأما السنة منه ، فالحياء من اللَّه أن تكشف عورتك فى خلوتك ، فاللَّه أولى أن تستحى منه [2] ، والحياء يعم الأعضاء ، فكما أنه من الحياء غض البصر عن محارم اللَّه ، كذلك يلزمه الحياء من اللَّه أن يسمع ما لا يحل له سماعه من غيبة [3] .

ويقسم عبد الرزاق الكاشانى الحياء عند الصوفية ، إلى درجتين قريبتين من الأصول القرآنية [4] :

1- حياء العامة : وهو ما يحدث لهم عند علمهم بنظر الحق إليهم ، فإن العبد إذا علم أن الحق ناظر إليه استحى منه ، وهذا هو الحياء الذى يجذب العبد إلى كمال تحمل المجاهدة ، واستقباح الجناية ، وصاحب هذا الحياء هو الذى لا يفقده الحق حيث أمره ولا يجده حيث نهاه .

---

1. السابق ص469 .   2. الفتوحات 5/ 203 .

3. السابق 5/ 206 .   4. لطائف الأعلام 436/1 .

2- حياء الخاصة : هو ما يحدث لهم عند مشاهدة كشف جمعية ، لا يمازجه حجاب تفرقة وغيرية ، وهذا الكشف يوجب لصاحبه الحياء من الحق أن يراه ملتجأ فى شئ إلى سواه ، لكونه حياء ناشئا عن شهود محقق بأن الأمر كله لله بخلاف الأول ، فإنه إنما نشأ عن خير موجب للإيمان ، ومعلوم أن الخبر ليس كالعيان فى بلوغه إلى مقام الإيقان .

****

48ـ الحيـــــاة

****

الحياة : وردت فى القرآن فى مقابل الموت وهى على وجوه [1] :

1- الحياة وصف ذاتى لله عز وجل ، قال تعالى : { اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ } [البقرة/255] فإنه إذا قيل فيه تعالى هو حى فمعناه لا يصح عليه الموت وليس ذلك إلا لله عز وجل .

2- الحياة بمعنى القوة النامية الموجودة فى النبات والحيوان ، ومنه قيل : نبات حى ، وقال تعالى : { اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا } [الحديد/17] وقال تعالى : { وَجَعَلْنَا مِنْ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ } [الأنبياء/30] .

3- الحياة بمعنى القوة الحساسة ، وبه سمى الحيوان حيوانا ، قال تعالى : { وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلا الأَمْوَاتُ } [فاطر/22] ، وقوله : { إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي

1. لسان العرب 214/14 ، المفردات ص139؛138 .

الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } [فصلت/39] فقوله : إن الذى أحياها ، إشارة إلى القوة النامية ، وقوله لمحى الموتى ، إشارة إلى القوة الحساسة .

4- الحياة بمعنى القوة العاقلة العالمة ، كقوله تعالى :

{ أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا } [الأنعام/122] .

5- الحياة الدنيا المنقضية ، وهى المدة التى يقضيها البشر على الأرض فى فترة الابتلاء ، قال اللَّه تعالى : { فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا } [النازعات/38] وقال : { وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلا مَتَاعٌ } [الرعد/26] ، أى الأعراض الدنيوية ، وقوله : { وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ } [البقرة/96] .

6- الحياة الأخروية الأبدية ، وذلك يتوصل إليه بالحياة ، التى هى العقل والعلم كقوله : { يَقُولُ يَالَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي } [الفجر/ 24] وقوله : { وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ } [آل عمران/169] وقال : { اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ } [الأنفال/24] ، كل ذلك يعنى الحياة الأخروية الدائمة .

الحياة فى الاصطلاح الصوفى :

الحياة فى الاصطلاح الصوفى ، ترد فى الأغلب على معنى حياة الإيمان ، ويذكر التهانوى أن الحياة عند أهل التصوف ، تجلى النفس وتنورها بالأنوار الإلهية

وقوله تعالى : { وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى } [البقـرة/260] المراد من الموتى عندهم ، القلوب المحجوبة عن أنوار المكاشفات والتجلى

والإحياء عبارة عن حصول ذلك التجلى والأنوار الإلهية ، فمن كان بقاؤه ببقاء نفسه ، فإنه ميت فى وقت حياته ، ومن كانت حياته به ، كانت حقيقة حياته عند وفاته ، لأنه يصل بذلك إلى رتبة الحياة الأصلية قال تعالى : { لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ } [يس/70] [1] .

ويشهد لهذا ما روى عن الجنيد أنه قال : (الحى من كانت حياته بحياة خالقه لا من تكون حياته ببقاء هيكله) [2] ، ويقول عبد الكريم الجيلى : وجود الشئ لنفسه حياته التامة ، ووجود الشئ لغيره حياة إضافية ، ولهذا التحق بها الفناء والموت [3] ، ولعل المعنى إلى هذا الموضع لا يخالف الأصول القرآنية ، ولكن يذكر الكاشانى للحياة فى الاصطلاح الصوفى معنى فلسفيا ، فيعنون بالحياة وصول السائر إلى المقام الذى فوق المعاينة ، التى هى فوق المشاهدة المرتفعة عن المكاشفة ، وذلك بأن تتجلى الحقائق بأعيانها وأوصافها ، وخصوصياتها على وجه لا يحجب الوصف عن العين ، فيسمى ذلك التجلى حياة ، لأن صاحبه يأمن من موت الاعتلال فى شئ من الأحوال ، ومن موت الانفصال عن العين بهذا الاتصال ، ومن موت الغيبة عن أزل الآزال ، وعند ذلك يتحقق بالوصول إلى نهاية الآمال فيحيا بحياة الكبير المتعال ، وإلى التحقق بهذه الحياة أشار عمرو بن الفارض بقوله :

---

1. كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى 100/2 .

2. السابق 100/2 .
3. الإنسان الكامل للجيلى 49/1 .

فلا حى إلا عن حياتى حياته وطوع مرادى كل نفس مريدة

والحياة عند ابن عربى وصف كل شئ فى الأكوان ، سواء كان حيا أو جمادا فى العرف ، وعلته فى ذلك أن جميع المخلوقات مسبحة ، ومن ثم فهى حية لأن التسبيح لا يكون إلا من حى ، وهذه الحقيقة عنده لا يقر بها إلا المؤمن أو صاحب الكشف ، فالمؤمن يقر بها للسند القرآنى ، وصاحب الكشف يقر بها شهودا وعيانا ، فهو يشهد تسبيح كل الموجودات من الجماد وغيره ، وبالتالى يشهد حياتهم ، يقول : (إن الموجودات كلها ، ما منها إلا من هو حى ناطق أو حيوان ناطق ح، تى المسمى جمادا أو نباتا أو ميتا ، لأنه ما من شئ ، من قائم بنفسه وغير قائم بنفسه ، إلا وهو مسبح ربه وبحمده ، وهذا نعت لا يكون إلا لمن هو موصوف بأنه حى) [1] ، ويقول ابن عربى : (وما ثم شئ إلا وهو حى ، فإنه ما من شئ إلا وهو يسبح بحمد اللَّه ، ولكن لا نفقه تسبيحه إلا بكشف إلهى ، ولا يسبح إلا حى ، فكل شئ حى) [2] ويرى ابن عربى أن الحى الحقيقى ، هو الإنسان الكامل ، وهو الذى جعل حياته باللَّه فيقول [3] :

1. ديوان ابن الفارض ص61 ، وانظر لطائف الإعلام 436/1 .
2. فصوص الحكم 170/1 .
3. الفتوحات المكية 3/ 490 وانظر النطق المفهوم من أهل الصمت المعلوم تأليف الشيخ الإمام أحمد بن طغربك طبع المطبعة الميمنية بمصر أحمد البابى الحلبى ،

سنة1308هـــ ص44 وما بعدها ، ويمكن القول إن كلام ابن عربى صحيح من وجه ومخالف للأصول القرآنية من وجه آخر ، فما ورد فى الأصول القرآنية والنبويــة فى مسألة =

لله قوم وجود الحق عينهم هم الأحياء إن عاشوا وإن ماتوا

= إثبات الكلام للمخلوقات على الحقيقة أو على المجاز ، يدل على صدق ابن عربى من جهة أن كل شئ فى الأنام له لغة ونطق وكلام ، وأنه يتخاطب مع بنى جنســه فى انسجام تام ، فكل مخلوق له قول ولغة تخصه ، يتحدث بها مع بنى جنسه ، شأنهم فى ذلك شأن البشر ، واختلافهم فى اللغات والأجناس والصور ، فكما أن الإنســان لا يفهم إلا لغه أخيه الإنسان ، الذى يتكلم بنفس اللسان ، كذلك موقفه من اللغة التى يسمعها من هذه المخلوقات أو ما يراه بينها من إشارات ، فإن لها رمــوزا وشــفرة وكلاما فيه عبرة ، ولهم قانون ونظام ، ومنهج وأحكــام ، يتكــاتفون فى إظهــاره ويتعاملون بينهم من خلاله ، والله يسمع قولهم وكلامهم ، ويعلم تسبيحهم ونظامهم كما قال : { أَلَمْ تَرَى أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ } [النور/41] وقال عن الســماوات والأرض ومن فيهن : { تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُوراً } [الإســراء/44] وقال سبحانه فى تسبيح الجبال بالغدو والآصال مع داود u : { إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَــالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ } [ص/18] فناداها ربها ، وهو عليم بحالها ، وكيفيــة كلامها ، فكلفها وأمرها ، وناداها فقال لها : { يَاجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّــا لَــهُ الْحَدِيدَ } [سبأ/10] فالجبال مسبحات ناطقات ذاكرات ، وقد قال تعالى : { وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ } [فصلت/21] فكل

شئ له كلام ونطق يتخاطب به ، فلو أدركنا كلامهم ورموزهم ولغتهم لأمكـــن أن نسمع تسبيحهم ، ونرى كيف يعبدون اللَّه ؟ والنملة تتكلم بنص القرآن ، ولو أدركنا منطقها كما أدركه سليمان υ ، لعلمنا أنها لا تقل عن الإنسان فى النطق والبيان =

لا يأخذ القوم نوم ولا سنة   ولا يؤودهم حفظ ولو ماتوا

= قال تعالى : { وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنْ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُون حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا } [النمل/17:19] ، وقال سليمان υ : { وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَـــذَا لَهُـــوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ } [النمل/16] .

ومن ثم فاللَّه وحده هو الذى أنطقهم جميعا ، وهو وحده الذى يمكن أن يخاطبـــهم جميعا ، ويسمع تسبيحهم جميعا ، وربما يعترض معترض ، كيف يكـــون للحجـــارة والمعادن قول وكلام ونحن نراها لا تتكلم ؟ وقد قال اللَّه تعالى عن إبراهيم υ : { فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنطِقُونَ فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمْ الظَّالِمُونَ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلاءِ يَنطِقُونَ } [الأنبياء/65:63] ، وقال سبحانه وتعالى منكرا على بنى اسرائيل ، أنهم عبدوا العجل من دون اللَّه : { وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ وَلا يَهْـــدِيهِمْ سَـــبِيلا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ } [الأعراف/148] ، فكيف يكون للحجارة قول ولغة ومنطق ؟ وجواب ذلك أن اللَّه ركب المخلوقات على النسب والاعتبارات والعلل والمعلولات ، فكل نوع من المخلوقات متكلم ناطق باعتبار من يفهم قوله وكلامه ؟ أبكم وأصم باعتبار من لا يفهمه ؟ فالنمل باعتبار جنسه كلُ يَفْهَمُ كَلامَ الآخر والعـــالم بقـــولهم ومفردات الخطاب بينهم ، يمكن أن يسمعهم وهم يتخاطبون أو يتحـــدثون ؟ وقـــد

سمعهم سليمان وهم يقولون : { ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ } [النمل/18] ، وهكذا القول فى كل نوع من المخلوقات ، فإنه متكلم ناطق ، سواء أدركنا قوله أو لم ندركه ، أو اعتبره البعض متكلما أو لم يعتبره =

اللَّه كرمهم اللَّه شرفهم اللَّه يحييهم به إذا ماتوا

= فالحقيقة التى لا شك فيها أن رب العزة والجلال علم منطقهم جميعا ، ويسمع تسبيحهم جميعا ويرى صلاتهم جميعا ، فهو الذى أحاط بكل شئ علما ، وأحصى كل شئ عددا أحاط بكل مخلوق ونظامه ، فى قوله وكلامه وصدق اللَّه فى كتابه ، إذ يقول : { كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ } [النور /41] ، { وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ } [الإسراء/44] ، فالحجاره لها قول باعتبار جنسها صماء باعتبار النظر إلى قول البشر ، والحيوانات لها قول اعتبار جنسها ، خرساء باعتبار النظر إلى قول البشر ، واللَّه تعالى قادر على أن يُنْطق هذه المخلوقات بقول البشر وما هو أفضل من قولهم ، وقد ثبت عن أبى هريرة τ أن رَسُولَ اللَّه ε صَلَّى صَلاةَ الصُّبْحِ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ : بَيْنَا رَجلٌ يَسوقُ بَقَرَةً إِذْ رَكِبَهَا فَضَرَبَهَا ، فالتفتت إليه البقرة ، وقالت لراكبها : إِنَّا لَمْ نُخْلَقْ لِهَذَا إِنَّمَا خُلِقْنَا لِلْحَرْثِ ، فَقَالَ النَّاسُ : سُبْحَانَ اللَّه أَبَقَرَةٌ تَتكَلَّمُ ؟! فقال : فإنى أومن بذلك أنا وأبو بكر وعمر وما هما ثم ، وَبَيْنَمَا رَجُلٌ فِي غَنَمِهِ يرعى إذا جاء ذئب فأخذ منها شاة وكان الراعى قد غفل عنها ، فانتبه الراعى على صياحها فأدركها واسْتَنْقَذَهَا من الذئب ، فقال له الذئب بلغهٍ فصيحةٍ واضحةٍ بليغةٍ : يا هذا اسْتَنْقَذْتَهَا مِنِّي من لها يوم السبع يوم لا راع لها غيرى ، فقال الناس لرسول اللَّه ε : سبحان اللَّه عجيب يا رسول اللَّه أذئب يتكلم ؟! فقال : فإنى أومن بذلك أنا وأبو بكر وعمر ، وما هما ثم) وهذا حديث صحيح أخرجه البخارى فى كتاب المناقب (3471) ، ومسلم فى كتاب فضائل الصحابة (2388) .

كما أن أصحاب العلوم المادية ، يعلمون أن المادة تتكون من مجموعة من الذرات المتنوعة كل ذرة لها نظام معلوم فى تركيبها ، ولجميع الذرات قانون فى مداراتها ، ينظم التكافؤ لكل ذرة فى علاقتها بأختها ، سواء كانت الذرةُ سالبةً أو موجبةً ، ولولا معرفةُ الإنسان=

لقد رأيتهم كشفا وقد بعثوا   من بعد ما قبروا من بعد ما ماتوا [1] .

****

49ـ الحيـــــــــرة

****

الحيرة : وردت فى القرآن والسنة على معنى التردد فى الأمر ، قال تعالى :

= لتركيب الذرة منذ حين ، وبعد جهل به دام آلاف السنين ، ما استطعنا أن نعلم أن المادة فى عناصرها عبارة عن أخوات من الذرات ، تتماسك فى مجموعات يسمونها جزَيْئِيَّات ، ولولا أنها متكاتفات متماسكات ، متفاهمات متخاطبات ، وفق رموز وشفرات ، ما ظهرت لنا المواد فى صورتها التى نراها ، وعالم الفزياء والكمياء يرى أن جزئُ الماء ، لا بد أن يتحد فيه ذرتان من الهيدروجين ، مع ذرة واحدة من الأكسجين !! وعلى ذلك فالحجارة والمعادن يراها الجاهل بحقيقتها صماء ، ويراها عالم الفزياء والكمياء الِكْتُرُونَاتٍ متحركةً سالبةً ، وبُرُوتُونَاتٍ جاذبةً موجبةً ، ونِيُوتْرُونَاتٍ متعادلةً ساكنةً ، لهم دستور ونظام ، وقانون وأحكام ، والذرات لا تعتل ولا تختل ، ولا تنحل إلا إذا شاء اللَّه لها الفناء وتحولت إلى طاقة ذرية هائلة ، فالكل متكلم ناطق بكيفية تليق به ، ربما نجهلها لكن اللَّه يعلمها : { إِنَّ اللَّهَ لا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } [آل عمران/6:5] .

فكلام ابن عربى مقبول من هذا الوجه ، أما الوجه الآخر فإنه استدل بهذا على وحـــدة الوجود ، وجعل ذلك دليلا على حياة الله السارية فى الأكوان ، فجميع الأحياء هى له مجالى وتعينات ، وليست مخلوقات مستقلة خلقت للعبادة وتوحيد الله .

1. السابق 4/ 395 .

{ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ } [الأنعـــام/71] ، والحائر الموضع الذى يتحير به الماء [1] .

وقال مجاهد : { كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ } [الدخان/54] أنكحناهم حورا عينا يحار فيها الطرف [2] ، وفى الحديث القدسى عن ابن عمر τ ، عن النبي ε إن اللَّه تعالى قال : " لقد خلقت خلقا ، ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم أمر من الصبر ، فبي حلفت لأتيحنهم فتنة تدع الحليم منهم حيرانا ، فبي يغترون أم علي يجترئون " [3] ، وروى عن الحسن بن على قال : (إن الجد قـــد مضـــت سنته ، وإن أبا بكر جعل الجد أبا ، ولكن الناس تحيروا) [4] .

الحيرة فى الاصطلاح الصوفى :

والحيرة فى الاصطلاح الصوفى ، يعنون بها التردد بين أداء الطاعـــة ورؤيتـــهم صغارها وحقارتها إلى ما يجب من الشكر فى حق اللَّه ، وهذا يصح على معـــنى أن العبد ينال فضل اللَّه برحمته ، لا فيما يقابل طاعته ، إذ الطاعة سبب فى النعم ولكن لا تزنها ، كما ثبت فى حديث أبى هريرة τ ، قال : سمعت رسول اللَّه ε يقول : " لن يدخل أحدا عمله الجنة قالوا : ولا أنت يا رسول اللَّه قـــال لا ولا أنا إلا أن يتغمدني اللَّه بفضل ورحمة " [5] .

1. المفردات ص135 ، ولسان العرب 223/4 ، وكتاب العين 288/3 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب التفسير سورة الدخان 433/8 .
3. أخرجه الترمذى فى كتاب الزهد (2405) وقال الألبانى : ضعيف 604/4 .
4. أخرجه الدارمى فى كتاب الفرائض (2912) 451/2 .
5. أخرجه البخارى فى كتاب المرضى (5673) 132/10 .

وروى عن أبى بكر الواسطى (ت:بعد320هـ) أنه قال : (حيرة البديهة أجل من سكون التولى عن الحيرة) [1] ، ويقسم الكلاباذى (ت:380هـ) الحيرة إلى نوعين [2] :

أ- الحيرة الأولى : وتكون فى أفعاله به ونعمه عنده ، فلا يرى شكره نعمة يجب عليه شكرها ، ولا يرى أفعاله أهلا أن يقابله بها استحقارا لها ، ويراها واجبة عليه ، لا يجوز له التخلف عنها ، ومثالها أن أبا بكر الشبلى ، قام يوما يصلى فبقى طويلا ثم صلى ، فلما انفتل عن صلاته ، قال : يا ويلاه إن صليت جحدت ، وإن لم أصل كفرت ، أى جحدت عظم النعمة ، وكمال الفضل حيث قابلت ذلك بفعلى شكرا له مع حقارته ، ثم أنشد :

الحمد لله على أننى ... كضفدع يسكن فى اليم
إن هى فاهت ملأت فمها ... أو سكتت ماتت من الغم

ب- الحيرة الأخيرة : أن يتحير فى متاهات التوحيد ، فيضل فهمه ويخنس عقله فى عظم قدرة اللّه تعالى ، وهيبته وجلاله ، كما قيل : دون التوحيد متاهات تضل فيها الأفكار .

وقال أبو نصر السراج الطوسى (ت:387هـ) : (الحيرة بديهة ترد على

1. اللمع ص421 .
2. التعرف لمذهب أهل التصوف ص137 .

قلوب العارفين ، عند تأملهم وحضورهم وتفكرهم ، تحجبهم عن التأمل والفكرة) [1] .

والحيرة عند ابن عربى يعنى بها حيرة النظر فى وحدة الوجود ، والحائر هو الذى يرى عين الحق متجليا فى صورة الممكنات ، ويعلم أن اللَّه قابل لكل معتقد كان ، فمن باب الحيرة عنده ما ورد فى قوله تعالى : { وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ } [الصافات/96] وقوله : { وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ } [الأنفال/17] وكذلك قوله سبحانه : { فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ } [الأنفال/17] والقتل ما شوهد إلا من المخلوق ، وهذا يعنى أن الصوفى حيرتة نبعت من اجتماع الأضداد فيرى الحق خلقا ويرى الخلق حقا ، ويظل حائرا فى وحدة الوجود ، لا يدرك حقا وحده أو خلقا وحدة ، بل حقا فى خلق ، وخلقا فى حق فيتحير ، فالوصول إلى الحيرة فى الحق هو عين الوصول إلى اللَّه ، والحيرة أعظم ما تكون لأهل التجلى لاختلاف الصور عليهم فى العين الواحدة [2] .

وبهذا يفسر قوله تعالى : { وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا } [نوح/24] أى أضل قوم نوح كثيرا من أهل العلم وحيروهم فى تعداد الواحد بالوجوه والنسب { وَلا تَزِدْ الظَّالِمِينَ } [نوح/24] لأنفسهم { إِلا ضَلالا } [نوح/24] إلا حيرة المحمدى الذى قال : زدنى فيك تحيرا [3] .

1. اللمع ص421 .
2. انظر فى معنى الحيرة عند ابن عربى الفتوحات المكية 270/1 ، 490/3 .
3. ليس حديثا ، ولا وجود له فى كتب السنة ، وغنما هو من وضع ابن عربى .

فالحائر له الدور ، والحركة الدورية حول القطب ، فلا يبرح منه { مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا } [نوح/25] فهى التى خطت بهم ، فغرقوا فى بحار العلم باللَّه وهو الحيرة [1] .

****

50ـ الخاصة

****

الخاصة : خصه بالشيء يخصه إذا أفرده به دون غيره ، والخاصة ضد العامة [2] ، قال تعالى : { وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً } [الأنفال/25] أى تعمكم ، ومن حديث جابر بن عبد اللَّه τ ، أن النبي ε قال : " وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى الناس عامة " [3] ، وقال عمر بن الخطاب τ : " إن اللَّه جل وعز كان خص رسوله ε بخاصة ، لم يخصص بها أحدا غيره ، قال تعالى : { مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ } " [4] ، وعن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص τ ، أن رسول اللَّه ε قال : " كيف بكم وبزمان ، يغربل الناس فيه غربلة ، تبقى حثالة من الناس قد مرجت عهودهم وأماناتهم واختلفوا ، فقالوا : وكيف بنا يا رسول اللَّه ؟ قال :

1. الفصوص 72/1 .
2. لسان العرب 24/7 .
3. أخرجه البخارى فى التيمم (335) 519/1 .
4. أخرجه مسلم فى كتاب الحج (1224) 867/2 .

تأخذون ما تعرفون ، وتذرون ما تنكرون ، وتقبلون علـــى أمـــر خاصـــتكم وتذرون أمر عامتكم " [1] .

وقد يعبر عن الفقر الذى لم يسد بالخصاصة ، كما روى عن أبي هريرة τ أن رجلا أتى النبي ε فبعث إلى نسائه فقلن : " ما معنا إلا الماء ، فقال رسول اللَّه ε : من يضم أو يضيف هذا فقال رجل من الأنصار : أنا فانطلق به إلى امرأتـــه ، فقال : أكرمي ضيف رسول اللَّه ε فقالت : ما عندنا إلا قوت صبياني فقـــال : هيئي طعامك وأصبحي سراجك ، ونومي صبيانك إذا أرادوا عشـــاء فهيـــأت طعامها وأصبحت سراجها ونومت صبيانها ، ثم قامت كأنها تصـــلح ســـراجها فأطفأته ، فجعلا يريانه أنهما يأكلان فباتا طاويين ، فلما أصبح غدا إلى رســـول اللَّه ε ، فقال :" ضحك اللَّه الليلة أو عجب من فعالكما ، فـــأنزل اللَّـــه : { وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } [الحشر/9] " [2] .

والخص بيت من قصب أو شجر وذلك لما يرى فيه من الخصاصة وروى عن عبد اللَّه بن عمرو τ قال : " مر علي رسول اللَّه ε ، ونحن نعالج خصا لنا وهى ، فقال : ما هذا ؟ فقلنا : خص لنا وهى ، فنحن نصلحه ، فقال رسول اللَّه ε : ما أرى الأمر إلا أعجل من ذلك " [3] .

1. أخرجه أبو داود فى الفتن والملاحم (4342) وقال الألبانى : صحيح 123/4 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب المناقب (3798) 149/7 .
3. أخرجه أبو داود فى الأدب (5235) وصححه الألبانى 360/4 .

وقد خصه بكذا يخصه ميزه بالأمر دون غيره ، كقوله تعالى : { وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ } [البقرة/105] ، وعن أبي هريرة τ أن النبي ε قال : " لا تختصوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي ، ولا تخصوا يوم الجمعة بصيام من بين الأيام ، إلا أن يكون في صوم يصومه أحدكم " [1] .

وقال سلمة بن الأكوع τ : " ما استغفر رسول اللَّه ε لإنسان يخصه إلا استشهد [2] ، وعن بريدة بن الحصيب τ : " كان رسول اللَّه ε إذا أمر أميرا على جيش أو سرية ، أوصاه في خاصته بتقوى اللَّه ، ومن معه من المسلمين خيرا " [3] .

الخاصة فى الاصطلاح الصوفى :

الخاصة فى الاصطلاح الصوفى ضد العامة ، وهم أعلى فى المقام والمترله وربما تتنوع دلالة الخصوص من مفهوم لآخر على النحو الآتى :

1- الخاصة مترلة يتصف بها أصحاب الدرجة الإيمانية العليا ، المتحققون فى تقواهم وإخلاصهم لله ، بغض النظر عن كونهم من الصوفية أو غيرهم ، كما روى عن أبى بكر الوراق (ت:بعد250هـ) قال: (الخاصة هم الذين فقهت قلوبهم ، وحسنت أخلاقهم ، وكانوا أئمة يدعون الناس إلى الخير والعمل به

وسالموا السلطان على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والعلماء على صدق

1. أخرجه مسلم فى كتاب الصيام (1144) 801/2 .
2. جزء من حديث طويل أخرجه مسلم فى كتاب الجهاد (1807) 1433/3 .
3. جزء من حديث أخرجه مسلم فى الموضع السابق (1731) 1357/3 .

الخبر ، والعامة على ظاهر الأمور ، فإذا خلو من ذلك فهـــم المفتـــرون ، وإذا فسدت الخاصة غلبت الكذبة على الصادقين والكهنة على الموقنين والموسوسون على المخلصين) [1] .

2- الخاصة هم الصوفية دون غيرهم من العامة أو سائر الطوائـــف ، فيـــذكر السراج الطوسى أن الصوفية هم الخاصة ، لأنهم يختصون عن غيرهم بالارتقـــاء إلى الدرجات العالية ، والتعلق بالأحوال الشريفة ، والمنازل الرفيعة من أنـــواع العبادات ، وحقائق الطاعات والأخلاق الجميلة ، ولهم فى معانى ذلك تخصيص لغيرهم من العلماء والفقهاء ، وأصحاب الحديث ثم يبين على حد زعمه بعض الأنواع التى تفردوا بها ، فأول شئ من التخصيصات التى للصوفية وما تفردوا بها عن غيرهم ، ترك ما لا يعنيهم ، وقطع كل علاقة تحول بينهم وبين مطلـــوبهم ومقصودهم ، إذ ليس لهم مطلوب ولا مقصود غير اللَّه تبارك وتعالى ، ويذكر أيضا أن الصوفية لهم تخصيص من طبقات أهل العلم بفهم آيات من كتاب اللَّه تعالى متلوة ، وأخبار عن رسول اللَّه ε مروية ما نسختها آية وما رفع حكمها خبر ولا أثر ، يدعو ذلك إلى مكارم الأخلاق ، ويبحث عن معـــالى الأحـــوال وفضائل الأعمال ، وليس لغير الصوفية من أولى العلم القائمين بالقسط فى ذلك

نصيب غير الإقرار به والإيمان بأنه حق ، ويشير السراج الطوسى إلى أنه من أعظم النعم التى اختصوا بها دوام المراقبة وهى التحقق بمقام الإحسان ، وللصوفية أيضا تخصيص فى معرفة الحرص والأمل ودقائقهما ، ومعرفة النفس وأماراتها

1. طبقات الصوفية ص226 .

وخواطرها ودقائق الرياء والشهوة الخفية والشرك الخفى ، وكيفية الخلاص من ذلك ، وكيفية وجه الإنابة إلى اللَّه عز وجل وصدق الالتجاء ، ودوام الافتقار والتسليم والتفويض والتبرى من الحول والقوة ، ولهم أيضا على حد زعمه مستنبطات فى علوم مشكلة على مفهوم الفقهاء والعلماء ، لأن ذلك لطائف مودعة فى إشارات لهم ، تخفى فى العبارة من دقتها ولطافتها ، فالصوفية عند السراج الطوسى مخصوصون من أولى العلم القائمين بالقسط بحل هذه العقد والوقوف على المشكل من ذلك [1] .

من الممكن كما ذكر الطوسى أن يكون البعض ممن نسب إلى الصوفية متصفا بهذه الأوصاف أو أو كثير منها ، لكن الزعم بأنهم ينفردون بهذا دون غيرهم فالأمر منه بعيد ، وأولى ما يذكر فى تقسيم العامة والخاصة لدرجات المسلمين تقسيم القرآن ، إذ يقول اللَّه تعالى عن أصحاب اليمين : { عُرُبًا أَتْرَابًا لأَصْحَابِ الْيَمِينِ ثُلَّةٌ مِنْ الأَوَّلِينَ وَثُلَّةٌ مِنْ الآخِرِينَ } [الواقعة/37:40] وقال عن السابقين الأعلى فى المنزلة من أصحاب اليمين : { وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ثُلَّةٌ مِنْ الأَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ مِنْ الآخِرِينَ } [الواقعة/10:14] فما الدليل

على أن الصوفية هم السابقون السابقون ، وبقية العلماء مفسرون ومحـــدثون وفقهاء ، يأتون متأخرين عن الصوفية ؟

ومعلوم أن أغلب الأولين فى الآية من السابقين والصحابة والتابعين لا يعرفون الصوفية وربما لم يسمعوا عنها ، وهذا يعنى أن الخاصة من عامة المسلمين هـــم

1. اللمع ص28 : ص33 .

الأعلى فى درجة التقوى ، كما قال تعالى :

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ } [الحجرات/13]

فالقول بأن الصوفية دون غيرهم من عامة الناس أو سائر الطوائف هم الخاصة قول باطل جملة واحدة .

ويماثله ما ذكره السراج الطوسى من تفضيل الصوفية على غيرهم ، وتفضـــيل أصحاب الوحدة على بسطاء الصوفية ، ما ورد عن عبد الرزاق الكاشانى حيث قال : (الخاصة هم علماء الطريقة وخاصة الخاصة هم علماء الحقيقة) [1] .

****

51ـ الخاطـــــــــر

****

– **الخاطر** : لم يرد فى القرآن ، ولكنه ورد فى السنة على عدة معان [2] :

1- القدر والمكانة : ومنه ما روى عن مالك بن ربيعة τ ، أنه سمع رسول اللَّه ε وهو يقول : " اللَّهم اغفر للمحلقين ، اللَّهم اغفر للمحلقين ، فقال رجل من القوم : والمقصرين ؟ فقال رسول اللَّه في الثالثة أو في الرابعة : " والمقصرين

1. لطائف الإعلام 441/1 .
2. لسان العرب لابن منظور 249/4 ، والمصباح المنير للمقرى 173/1 ، والقاموس المحيط للفيروز أبادى 494/1 ، ومعجم مقاييس اللغة مادة (خطر) .

ثم ، قال : وأنا يومئذ محلوق الرأس ، فما يسرني بحلق رأسي حمر النعم ، أو خاطرا عظيما " [1] .

2- الاضطراب والحركة : كقول ابن عباس τ : " قام نبي اللَّه ε يوما يصلي فخطر خطرة ، فقال المنافقون الذين يصلون معه : " ألا ترى أن له قلبين ، قلبا معكم ، وقلبا معهم فأنزل اللَّه عز وجل : { مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ } [الأحزاب/4] " [2] .

3- ما يرد على القلب بسرعة لا لبث فيها ولا بطء ، فعن أبي هريرة τ قال قال النبي ε : " إذا نودي بالصلاة ، أدبر الشيطان وله ضراط ، فإذا قضي أقبل فإذا ثوب بها أدبر ، فإذا قضي أقبل ، حتى يخطر بين الإنسان ، وقلبه فيقول : اذكر كذا وكذا ، حتى لا يدري أثلاثا صلى أم أربعا " [3] ، وعنه أيضا أن رسول اللَّه ε قال : " اللَّه أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، فاقرءوا إن شئتم : { فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ } [السجدة/17] " [4] .

1. أخرجه أحمد فى المسند (17145) واللفظ له ، والبخارى بمعناه (1640) 616/3 .

2.ضعيف الإسناد ، أخرجه فى الترمذى كتاب تفسير القرآن (3199) وقال : حديث حسن ، وقال الألبانى : ضعيف الإسناد 348/5 ، وأحمد فى المسند (2410) .

3. أخرجه البخارى فى كتاب بدء الخلق (3285) 388/6 .

4. أخرجه البخارى فى كتاب بدء الخلق (3244) 6/ 366 ، ومسلم فى كتاب الجنة (2824) 2174/4 .

الخاطر فى الاصطلاح الصوفى :

الخاطر فى الاصطلاح الصوفى ، خطاب يرد على الضمائر ، قد يكون بإلقاء ملك ، وقد يكون بإلقاء شيطان ، ويكون بأحاديث النفس ، أو يكون من قبل الحق سبحانه ، فإذا كان من الملك فهو الإلهام ، وإذا كان من قبل النفس ، قيل له الهواجس ، وإذا كان من قبل الشيطان ، فهو الوسواس ، وإذا كان من قبل اللَّه سبحانه وإلقائه فى القلب فهو خاطر حق ، وجملة ذلك من قبيل الكلام النفسى [1] .

يقول الحارث المحاسبى (ت:243هـ) فى المتيقظين لخواطر السوء : (وكذلك من اشتغل باللَّه عز وجل ، رد الخاطر – يعنى خاطر الشيطان – باشتغال قلبه بربه ، فهذه الفرقة للقرآن والسنة والصالحين أتبع ، وعلى رد الخطرات أقوى وأبعد من الخدع والنقص ، فهم فى الاشتغال بربهم دائبون ، وبالحذر إذا عرض

الخاطر متيقظون ، وبقوة الاشتغال باللَّه ، يسهل عليهم فحـــص الخـــواطر إذا عرضت بفتنة ، فسلموا أو غنموا ، واتبعوا واستقاموا) [2] .

ويذكر لسهل بن عبد اللَّه التسترى (ت:293هـــ) تفصيل دقيق فى التعرف على الخواطر ومصادرها ، وكيف أنها ابتلاء من الله ، فـــيرى أن الخـــواطر إذا كانت عن أواسط الهداية ، وهى الملك والروح ، قدحت فى قلب العبد نـــورا

1. اللمع ص263 .
2. الرعاية لحقوق اللَّه ص162 ، 163 .

أدركه الحفظة ، وهم أملاك اليمين فأثبتوها حسنات ، وكانت تقوى وهـــدى ورشدا من خزائن الخير ومفتاح الرحمة ، وإن كانت الخواطر عن أواسط الغواة وهم العدو والنفس ، قدحت فى القلب ظلمة ونتنا ، أدرك ذلك الحفظـــة مـــن أملاك الشمال ، فكتبوها سيآت ، وكانت فجورا وضلالا ، وهى من خـــزائن الشر ومعالق الأعراض ، وكل هذا إلقاء من خالق النفس ومسويها ، وجبـــار القلوب ومقلبها ، حكمة منه وعدلا لمن شاء ، ومنة وفضلا لمن أحب [1] .

ويروى عن أبى الحسن المزين (ت:328هـــ) أنه قال : (للقلوب خـــواطر يشوبها شئ من الهوى ، لكن العقول المقرونة بالتوفيق ، تزجر عنـــها وتنـــهى والتوحيد أن توحد اللَّه بالمعرفة ، وتوحده بالعبادة ، وتوحده بالرجوع إليـــه فى كل ما لك وما عليك ، وتعلم أن ما خطر بقلبك ، فاللَّه تعالى بخـــلاف ذلـــك

وتعلم أن أوصافه مباينة لأوصاف خلقه ، باينهم لصفاته قدما ، كما باينوا بصفاقم حدثا) [2] .

وقد أجاد أبو طالب المكى (ت:386هـ) حين استقصى كل ما يتعلق بالخواطر فى النفوس ، وقسمها تقسيما دقيقا أحسب أنه لم يسبق إليه فى عصره فجعلها عدة أقسام [3] :

1. من التراث الصوفى ص 172 ، وانظر قوت القلوب 1/ 123 .
2. السابق ص384 .
3. انظر قوت القلوب 1/ 114 ، 115 .

(1- خاطر النفس وخاطر العدو ، وهذان لا يعدمهما عموم المؤمنين ، وهما مذمومان محكوم لهما بالسوء ، ولا يردان إلا بالهوى وضد العلم .

(2- خاطر الروح وخاطر الملك ، وهذان لا يعدمهما خصوص المؤمنين ، وهما محمودان لا يردان إلا بحق ، وبما دل عليه العلم .

(3- خاطر العقل وهو متوسط بين هذه الأربعة ، وهو على نوعين :

أ - يصلح للمذمومين ، فيكون حجة على العبد لما كان من تمييز العقل وتقسيم المعقول ، لأن العبد يدخل فى هواه بشهوة جعلت له ، واختيار لا يعسر عليه من حيث لا يعقل ولا إجبار .

ب - ويصلح أيضا للمحمودين ، فيكون شاهدا للملك ، ومؤيدا لخاطر الروح ، ويثات العبد على حسن النية وصدق المقصد ، ويبن المكى أن

خاطر العقل ، إنما كان مع النفس تارة ، ومع الملك تارة أخرى حكمه من اللَّه تعالى وإتقانا لصنعه ، ليدخل العبد فى الخير والشر بوجود معقول وصحة شهود وتمييز ، فيكون عاقبة ذلك من الجزاء والعقاب عائدا له وعليه ، فاللَّه سبحانه وتعالى جعل الإنسان مكانا لجريان أحكامه ، ومحلا لنفاذ مشيئته فى مبانى حكمته .

(4- خاطر اليقين وهو روح الإيمان ، والعمل الذى يحرك الإرادة على الطاعة والاستجابة ، كمحصلة للخواطر الإيمانية المتقدمة [1] .

---

1. انظر السابق 1/ 127 ، وهذا التقسيم تقسيم نفيس يتوافق مع الأصول القرآنية =

ويعرض المكى أيضا ، كيف يمكن للإنسان أن يفرق بين أنواع الخواطر ومصادرها ، والسلوك الأمثل حيالها ، فيحدد ذلك فيما يلى [1] :

[1 – ما كان من لائح يلوح فى القلب ، من معصية ثم يتقلب فلا يثبت فهذا نزغ من قبل العدو .

[2 – ما كان فى القلب من هوى ثابت ، أو حال مزعج دائم لابث ، فهو من قبل النفس الأمارة بطبعها ، أو مطالبة منها بسوء عادتها .

[3 – ما ورد على العبد من همه بخطيئة ، ووجد العبد فيها كراهيتها فالخاطر مركب :

أ – الورود من قبل العدو .

ب – والكراهية من قبل الروح والإيمان .

= والنبوية وما يؤخذ عليه هو تسمية نازع الشر والهوى بالنفس ، ونازع الخير بـــالروح فهم أرادوا بالنفس ما كان معلولا من أوصاف العباد ، أما النفس التى ورد ذكرها فى القرآن ، فهى على ثلاثة أنواع يشمل ، النفس المطمئنة ، والنفس اللوامة ، والـــنفس الأمارة بالسوء ، كما أن الله تعالى قال فى كتابه الكريم : { وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا } [الشمس/8:7] ، فجمع فى النفس بين جانبين نفسيين متقـــابلين ومتضادين ، أحدهما يدعو إلى الخير والآخر ويحض الإنسان عليه ، والثانى يـــدعو إلى الشر ويرغبه فيه ، والإنسان بينهما من حيث الاستجابة بالاختيار فى القبول أو الـــرد كما أن النفس تطلق فى القرآن ويراد بها معان أخرى . 1.انظر السابق 1/ 127 .

[4 – ما وجد من هوى أو معصية ، ثم ورد عليه المنع من ذلك ، فالخـــاطر مركب أيضا :

أ – الهوى من قبل النفس .

ب – المنع من قبل الملك .

[5– ما وجده عن خوف أو حياء ، أو ورع أو زهد ، وما شهده من تعظيم وهيبة وإجلال فهذا كله من إرادة اليقين ، وهو من مزيد الإيمان [1] .

---

1. تشهد الأصول القرآنية والنبوية لمعظم ما أورده أبو طالب المكى من أركان أساســية لتشكيلة الخواطر فى قلب الإنسان ، فدل قوله تعالى : { وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا } [الشمس/8:7] على وجود نازعين نفسيين متقابلين ومتضـــادين

ليس لأحدهما غلبة على الآخر ، أو جدهما الحق تبارك وتعالى فى القلب على سبيل الإبتلاء والامتحان ، تنبعث منهما الخواطر فى الجنان بين أصبعين من أصابع الرحمن الأول ويسمى نازع الخير وفطرة الإنسان ومبعث التقوى والإيمان ، والثانى يسمى نازع الشر والهوى ومبعث الفجور فى الإنسان ، وهذان النازعان يسهمان فى تشكيل الخواطر خيرها وشرها فى منطقة حديث النفس ، قال ابن القيم : (هيأ الله الإنسان لقبول الكمال بما أعطاه من الأهلية والاستعداد ثم ذكر هذه الآية : { وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا } ثم قال : أخبر الله عن قبول النفس للفجور والتقوى وأن ذلك نالها منه امتحانا واختبارا ، ثم خص بالفلاح من زكاها فنماها وعلاها ورفعها بآدابه التي أدب بها رسله وأنبياءه وأولياءه وهي التقوى ، ثم حكم بالشقاء على من دساها فأخفاها وحقرها وصغرها وقمعها بالفجور) انظر مدارج =

ويقول الكاشانى : (الخاطر عند الصوفية يطلق على ما يخطر بالبال ، ويطلق أيضا على القلب ، وهذا من باب إطلاق الحال على المحل ، والخاطر هو ما

= السالكين 2/ 381 ، وقد دلت الأصول النبوية على وجود هاتفين ، يهتفان بلمتين أحدهما هو الشيطان ، والأخر هو الملك ، فعن عبد الله بن مسعود τ قال : قال رسول الله ε : " ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن ، وقرينه من الملائكة ، قالوا : وإياك يا رسول الله ؟ قال : وإياي ، إلا أن الله أعانني عليه ، فلا يأمرني إلا بخير " أخرجه مسلم فى كتاب صفة القيامة والجنة والنار 2168/4 ، ومن حديث ابن مسعود τ أيضا ، قال رسول الله ε : " إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة ، فأما لمة الشيطان ، فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق ، وأما لمة الملك ، فإيعاد بالخير وتصديق بالحق ، فمن وجد ذلك ، فليعلم أنه من الله ، فليحمد الله ومن وجد

الأخرى ، فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم " أخرجه الترمذى فى كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ε 219/5 ، وبهذا تظهر تشكيلة الخواطر التى تتردد على فى النفس من النازعين والهاتفين ، وعند التحقيق ، وعلى ما ذكره أبو طالب المكـــى فى نوعيـــات الخواطر التى تتردد على القلب إما مفردة وإما مركبة فإن نوعيات الخواطر بهذه القسمة تنحصر فى ستة عشر نوعية ، فإما خاطر ينبعث من نازع التقوى ، أو خاطر ينبعـــث من نازع الهوى ، أو خاطر ينبعث من الملك ، أو خاطر ينبعث مـــن الشـــيطان ، أو خاطر مركب ينبعث من نازع التقوى ويعاونه الملك ، أو خاطر مركب ينبعث مـــن الملك ويعاونه نازع التقوى ، أو خاطر مركب ينبعث من نازع الهـــوى ويعاونـــه الشيطان ، أو خاطر مركب ينبعث من الشيطان ويعاونه الهوى ، أو خاطر مركـــب ينبعث من نازع التقوى ويثبطه الهوى ، أو خاطر مركب ينبعث من الملك ويثبطه =

يرد على القلب من الخطاب ، ربانيا كان أو ملكيا ، أو نفسانيا أو شيطانيا من غير إقامة ، وقد يكون بوارد لا تعمل فيه للعبد ، ويفرق بينها تميزات الشرع) [1].

****

52ـ الختـــــــــم

****

الختم : الختم على وجهين :

(1- الختم فى المحسوسات ، وهو على أوجه :

أ- ختم الشئ للاستيثاق من ثبوته إلى صاحبه ، والمنع من تحريفه ، وأغلب ما يكون فى الكتب ، لما روى عن أنس بن مالك τ قال : " كتـــب الـــنبي ε

= الهوى ، أو خاطر مركب ينبعث من نازع التقوى ويثبطه الشيطان ، أو خاطر مركب ينبعث من الملك ويثبطه الشيطان أو من الهوى ويثبطه نازع التقوى أو ينبعث من الهوى ويثبطه إيحاء الملك أو أو ينبعث من الشيطان ويثبطه نازع التقوى أو ينبعث من الشيطان ويثبطه إيحاء الملك ، ولكل من هذه الخواطر امثلة لا يحصيها إلا الله .

1. لطائف الإعلام 1/ 439 ، 441 وانظر للتوسع والمقارنة فى الخواطر عند الصوفية اللمع ص418 وما بعدها ، وروضة الطالبين لأبى حامد الغزالى ص9 ، ورسالة المسترشدين للمحاسبى ص63 ، وانظر آراء ابن عربى فى الخواطر فى الفتوحات المكية 32/2 ، 565/2 وما بعدها ، 61/3 ، 97/3 ، 77/2 وما بعدها ، 152/4 وشرح التجليات ص156 وما بعدها .

كتابا ، أو أراد أن يكتب ، فقيل له : إنهم لا يقرءون كتابا إلا مختوما ، فاتخذ خاتما من فضة نقشه ، محمد رسول اللَّه كأني أنظر إلى بياضه في يده " [1] .

وقد يكون فى بدن النبى للدلالة على صدقه ، لما روى عن السائب بن يزيد τ يقول : " ذهبت بي خالتي إلى النبي ε فقالت : يا رسول اللَّه ، إن ابن أختي وجع ، فمسح رأسي ودعا لي بالبركة ثم توضأ ، فشربت من وضوئه ، ثم قمت خلف ظهره ، فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه مثل زر الحجلة " [2] .

ب – الختم للدلالة على المغلق الذى لا يفتح ، كما فى حديث ابن عمر رضي اللَّه عنهما ، فى الثلاثة الذين أواهم المبيت إلى غار ، فوقعت عليهم صخرة سدت عليهم الغار ، وتوسلوا إلى اللَّه بصالح أعمالهم ، قال النبي ε : " وقال الآخر : اللَّهم إن كنت تعلم أني كنت أحب امرأة من بنات عمي كأشد ما يحب الرجل النساء ، فقالت : لا تنال ذلك منها حتى تعطيها مائة دينار

فسعيت فيها حتى جمعتها ، فلما قعدت بين رجليها ، قالت : اتق اللَّه ولا تفض الخاتم إلا بحقه فقمت وتركتها ، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا فرجة " (3) .

ج- الختم للدلالة على بلوغ الآخر ، فعن أبي هريرة τ قال : "خرج إلينا

1. أخرجه البخارى فى كتاب العلم (65) 187/1 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب الوضوء (190) 354/1 .
3. أخرجه البخارى فى كتاب البيوع (2215) 477/4 .

رسول اللَّه ε ، فقال : أقرأ عليكم ثلث القرآن ، فقرأ قل هو اللَّه أحد اللَّه الصمد حتى ختمها " (1) ، وفى حديث سهل بن سعد الساعدي τ ، قال النبي ε : " إن العبد ليعمل فيما يرى الناس عمل أهل الجنة ، وإنه لمن أهل النار ويعمل فيما يرى الناس عمل أهل النار ، وهو من أهل الجنة ، وإنما الأعمال بخواتيمها " (2) .

(2- الختم فى المعنويات تشبيها بما سبق ، فقوله تعالى : { خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ } [البقرة/7] ، وقوله تعالى : { قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ } [الأنعام/46] ، إشارة إلى ما أجرى اللَّه به العادة ، أن الإنسان إذا تناهى فى اعتقاد باطل ، أو ارتكاب محظور ، ولا يكون منه تلفت بوجه إلى الحق ، يورثه ذلك هيئة تمرنه على استحسان المعاصى ، وكأنما يختم بذلك على قلبه (3) .

وعن أبي هريرة τ ، أن رسول اللَّه ε قال : " إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي ، كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله ، إلا موضع لبنة من زاوية ، فجعل الناس يطوفون به ، ويعجبون له ، ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة قال : فأنا

1. أخرجه مسلم فى كتاب صلاة المسافرين (812) 557/1 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب الرقاق (6493) 337/11 .
3. لسان العرب 163/12 ، والمفردات فى غريب القرآن ص143؛142 ، ومختار الصحاح 71/1 ، وكتاب العين 241/4 .

اللبنة ، وأنا خاتم النبيين " [1] ، وعنه أيضا τ ، قال رسول اللَّه ε : " لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات ، أو ليختمن اللَّه على قلوبهم ، ثم ليكونن من الغافلين " [2] .

الختم فى الاصطلاح الصوفى :

والختم فى الاصطلاح الصوفى يرد على أنواع ، فتارة يعنى من ختم اللَّه تعالى به النبوة وهو نبينا ε ، كما تقدم فى حديث أبى هريرة τ ، وتارة يعنى بالختم الدلالة على المغلق الذى لا يفتح ، كقول القشيرى :

(الختم على الشئ يمنع ما ليس فيه أن يدخله وما فيه أن يخرج منه ، وكذلك حكم الحق سبحانه ، بألا يفارق قلوب أعدائه ، ما فيها من الجهالة والضلالة ولا يدخلها شئ من البصيرة والهداية ، على أسماع قلوب غطاء الخذلان سدت

تلك المسامع عن إدراك خطاب الحق من حيث الإيمان ، فوسـاوس الشـيطان وهواجس النفوس ، شغلتها عن استماع خواطر الحق ، قال جل ذكره : { خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } [البقرة/7]) [3] .

وتارة يريدون به الشخص الذى يختم اللَّه به كل مقام ، وهو التحقق بنهايـة

1. أخرجه البخارى فى كتاب المناقب (3535) 645/6 .
2. أخرجه مسلم فى كتاب الجمعة (865) 591/2 .
3. لطائف الإعلام 441/1 .

كمال تلك المرتبة ، كما سمى نبينا ε خاتم الأنبياء لأجل ذلك ، وسمى خـاتمهم لكونه آخرهم ε [1] .

وتارة يعنى بالختم من يختم اللَّه به الولاية ، كما ذكر الحكيم الترمـذى فى شأن خاتم الأولياء وصفته : (وما صفة ذلك الولى الذىلـه إمامـة الولايـة ورياستها وختم الولاية ؟ قال : ذلك من الأنبياء قريب ، يكاد يلحقهم ، قال : فأين مقامه ؟ قال : فى أعلى منازل الأولياء ، فى ملك الفردانية ، وقد انفـرد فى وحدانيته ومناجاته ، كفاحا فى مجالس الملك وهدياه من خزائن السعى ، قال : وما خزائن السعى ؟ قال : إنما هى ثلاث خزائن : المنن للأوليـاء ، وخـزائن السعى لهذا الإمام القائد ، وخزائن القرب للأنبياء عليهم السلام ، فهذا خـاتم

الأولياء ، مقامه من خزائن المنن ، ومتناوله من خزائن القرب ، فهـــو فى السعى أبدا) [2] .

وختم الولاية عند ابن عربى يرد على نوعين :

---

1. لطائف الإشارات 60/1 .
2. ختم الأولياء ص368¡367 وانظر الدراسة التى قدمها الدكتور عبد الفتاح عبد الله بركه عن الحكيم الترمذى ، بعنوان الحكيم الترمذى ونظريته فى الولاية ، طبعة مجمـــع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف القاهرة سنة 1391هـــ ،1971م ، وانظر أيضا السلوك عند الحكيم الترمذى ومصادره من السنة ، إعداد أحمد عبد الرحيم الســـايح رسالة دكتوراه ، مخطوط بمكتبة كلية أصول الدين ، جامعة الأزهر الشريف القـــاهرة سنة 1986م .

أ- ختم الولاية العامة ، وهى للذى لا يوجد بعده ولى ، وهو عندهم عيســـى عليه السلام ، يقول ابن عربى : (فيكون عيسى عليه السلام خاتم الأولياء وهو أفضل هذه الأمة المحمدية ، فإنه وإن كان وليا فى هذه الأمة والملـــة المحمدية ، فهو نبى ورسول فى نفس الأمر) [1] .

ب- ختم الولاية الخاصة ، وهى لرجل من العرب ، جمـــع علـــم كـــل ولى محمدى ، هو خاتم النبوة المطلقة يختم الله به الولاية المحمدية ، فكما أن الله ختم بمحمد ε نبوة الشرائع ، كذلك ختم الله بالختم المحمدى الولاية التى تحصل من الورث المحمدى [2] .

وختم هذه الولاية المحمدية يدعيه ابن عربى لنفسه فقال [3] :

أنا ختم الولاية دون شك   لورث الهاشمى مع المسيح

---

1. الفتوحات المكية 185/1 وانظر أيضا المزيد عن ختم الأولياء فى 507/3 ، 49/2 ، 400/3 ، 7/1 وما بعدها ، وانظر أيضا التجليات ، طبعة حيدر أباد ص8 ، وعنقاء مغرب ص18 وما بعدها ، والدراسة التى قدمها الدكتور عبد الحميد مدكور ، الولاية عند محى الدين ابن عربى ، رسالة دكتوراه ، مخطوط بمكتبة كلية دار العلوم جامعة القاهرة سنة 1980م ، وانظر أيضا :

- Hayek , Michel : Le Christ de L'Islam . ed . Seuil Paris 1975 pp 260 - 264 .

2. السابق 49/2 .
3. السابق 244/1 .

كما أنى أبو بكر عتيق   أجاهد كل ذى جسم وروح

وما ادعاه الترمذى وابن عربى أو غيرهما من الصوفية من وجود خاتم الأولياء الذى يكون فى آخر الزمان ، أو ختم الولاية المحمدية ، وتفضيله وتقديمه على من تقدم من الأولياء ، وأنه يكون معهم كخاتم الأنبياء مع الأنبياء ، فإنه ادعاء باطل لا أصل له فى الكتاب والسنة ، فإن أفضل أولياء الله من هذه الأمة أبو بكر وعمر وعثمان وعلى ، وغيرهم من السابقين الأولين ، من المهاجرين والأنصار ، كما ثبت ذلك بالنصوص المشهورة ، وخير القرون قرنه ε ، كما روى عن عمران بن حصين رضي الله عنهما ، قال ε : " خير أمتي قرني ، ثم

الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، قال عمران : فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثا " [1] .

كما أن لفظ خاتم الأولياء ، لا يوجد فى كلام أحد من سلف الأمـــة ، ولا أئمتها ، ولا ذكر فى كتاب الله ولا سنة رسوله ε ، وموجب هذا اللفــظ أنـــه آخر مؤمن تقي ، ومهما يكن فى الأمر ، فإن الله يقول : { أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ } [يونس/62] ، فكل من كان مؤمنا تقيا ، كـــان لله وليا ، وهم على درجتين : السابقون المقربون ، وأصحاب اليمين المقتصدون كما قسمهم الله تعالى فى القرأن ، وإذا كان خاتم الأولياء آخر مؤمن تقـــى فى الدنيا ، فليس ذلك الرجل أفضل الأولياء ، ولا أكملهم ، بل أفضلهم وأكملهم سابقوهم ، والأولياء وإن كان فيهم محدث ، كما روى عن أبي هريرة τ عـــن

1. أخرجه البخارى فى كتاب المناقب (3650) 5/7 .

النبى ε أنه قال : " إنه قد كان فيما مضى قبلكم من الأمم مُحَدَّثُونَ ، وإنه إن كان في أمتي هذه منهم ، فإنه عمر بن الخطاب " [1] .

فهذا الحديث يدل على أن المحدثين من هذه الأمة عمر ، وأبو بكر أفضل منه إذ هو الصديق ، والمحدث وإن كان يلهم ويحدث من جهة الله تعالى ، فعليه أن يعرض ذلك على الكتاب والسنة ، فإنه ليس بمعصوم [2] .

****

53ـ الخشـــــــوع

****

- **الخشوع** : قريب من الخضوع ، إلا أن الخضوع في البدن ، والخشـــوع في البدن والصوت والبصر ، ويعنى الانخفاض والذل والسكون ، ومنه وصـــف الأرض بالخشوع وهو يبسها وانخفاضها ، وعدم ارتفاعها بالرى والنبات ، قال تعالى : { وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ } [فصلت/39] (3) .

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب أحاديث الأنبياء (3469) 591/6 .
2. انظر حقيقة مذهب الاتحاديين لابن تيمية ص115 بتصرف وانظر أيضا نقد ابن تيمية كتاب ختم الأولياء نشر عثمان يحي ص506 ، ابن تيمية وفلاسفة التصوف للدكتور محمد سليمان داود ، الطبعة الثالثة سنة 1402هـــ 1983م ص198 وما بعدها .
3. لسان العرب 27/2 ، مدارج السالكين لابن قيم الجوزية 558/1 .

ويطلق الخشوع على شدة الخضوع والتذلل المصحوب بالرجفة ، قال تعالى : { وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا } [الإسراء/109] ، وقال : { قَـــدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِـــعُونَ } [المؤمنـــون/2] ، وقـــال : { وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ } [الأنبياء/90] .

ومن حديث النعمان بن بشير τ قال رسول الله ε : " إن ناسا يزعمـــون أن الشمس والقمر ، لا ينكسفان إلا لموت عظيم من العظماء ، وليس كـــذلك إن الشمس والقمر ، لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ، ولكنهما آيتان مـــن

آيات الله عز وجل ، إن الله عز وجل إذا بدا لشيء من خلقه خشع له ، فـــإذا رأيتم ذلك ، فصلوا كأحدث صلاة صليتموها من المكتوبة " [1] .

ويطلق الخشوع أيضا على التواضع بالمسكنة ، كما قال ابـــن عبـــاس τ فى الاستسقاء : " خرج رسول اللَّه ε متواضعا ، متبذلا متخشعا متضرعا ، فصلى ركعتين كما يصلي في العيدين ، ولم يخطب خطبتكم هذه " [2] .

وعن أبي هريرة τ ، أن رسول اللَّه ε قال : " هل ترون قبلتي ها هنا ؟ فواللَّه ما يخفى علي خشوعكم ولا ركوعكم إني لأراكم من وراء ظهري " [3]

---

1. أخرجه النسائى فى كتاب الكسوف (1485) 141/3 ، وابن ماجة فى كتـــاب إقامة الصلاة (1262) 401/1 ، وأحمد فى المسند (18377) ، ورواه ابن خزيمة فى صحيحه (1402) 329/2 وهو حديث صحيح .
2. أخرجه النسائى فى كتاب الاستسقاء (1521) وهو حديث حسن ، 163/3 .
3. أخرجه البخارى فى كتاب الصلاة (418) 612/1 .

ومن حديث عمرو بن سعيد τ ، قال رسول اللَّه ε : " ما مـــن امـــرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة ، فيحسن وضوءها وخشـــوعها وركوعهـــا ، إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم يؤت كبيرة ، وذلك الدهر كله " [1] .

ويستعمل الخشوع فى القلب والجوارح ، وإن كان خشوع الجـــوارح لازم لخشوع القلب لأنها تتبعه ، فقوله تعالى : { وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَـــا لَكَبِيرَةٌ إِلا عَلَى الْخَاشِعِينَ } [البقرة/45] يدل عليهما معا ، فمن خشوع القلـــب

قوله تعالى : { أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ } [الحديد/16]
وعن زيد بن أτ ، كان رسول اللَّه ε يقول :

" اللَّهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعوة لا يستجاب لها " [2] .

ومن خشوع الجوارح قوله تعالى فى خشوع الصوت : { وَخَشَعَتْ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمنِ فَلا تَسْمَعُ إِلا هَمْسًا } [طه/108] ، وقوله فى خشوع البصر : { خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ } [القلم/43] ، وفى خشوع جميع الجوارح ، ما ورد عن علي بن أبي طالب τ ، أن رسول اللَّه ε كان إذا ركع قال : " اللَّهم لك ركعت ، وبك آمنت ، ولك أسلمت ، خشع لك سمعي وبصري ، ومخي وعظمي وعصبي " [3] ، وفى رواية أخرى عن على τ :

1. أخرجه مسلم فى كتاب الطهارة (228) 206/1 .
2. أخرجه مسلم فى كتاب الذكر (2722) 2088/4 .
3. أخرجه مسلم فى كتاب صلاة المسافرين (771) 534/1 .

" خشع سمعي وبصري ، ومخي وعظمي وعصبي ، وما استقلت به قدمي ، لله رب العالمين " [1] ، وثالثة عن جابر بن عبد الله τ : " خشع سمعي وبصري ودمي ولحمي ، وعظمي وعصبي ، لله رب العالمين " [2] .

الخشوع فى الاصطلاح الصوفى :

قيام القلب بين يدى الرب بالخضوع والذل والانقياد للحق ، واتفقوا على أن الخشوع محله القلب ، وقد استدلوا له بقوله تعالى : { قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ

هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُون } [المؤمنون/2] [3] ، وأقوالهم فيه تتوافق مع الأصول القرآنية ، روى عن الفضيل بن عياض (ت:187هـ) : (كان يكره أن يرى على الرجل من الخشوع ، أكثر مما فى قلبه) [4] ، وروى عن أبى سليمان الدارانى (ت:215هـ) قال : (لكل شئ حلية ، وحلية الصدق الخشوع) [5] وللجنيد بن محمد (ت:297هـ) لما سئل عن الخشوع ؟ قال : (تذلل القلوب لعلام الغيوب) [6] .

1. أخرجه أحمد فى المسند (963) والترمذى فى كتاب الدعوات (3421) وقال الشيخ الألبانى : صحيح 485/5 .
2. أخرجه النسائى فى كتاب التطبيق (1051) وقال الشيخ الألبانى : صحيح 192/2 وأخرجه بن خزيمة فى صحيحه (607) 306/1 .
3. الرسالة القشيرية 380/1 .
4. السابق 383/1 .
5. طبقات الصوفية ص81 .
6. الرسالة القشيرية 382/1 .

وينسب للحكيم الترمذى (ت:320هـ) أنه قال : (الخاشع من خمدت نيران شهوته ، وسكن دخان صدره ، وأشرق نور التعظيم فى قلبه ، فماتت شهوته ، وحى قلبه ، فخشعت جوارحه) [1] ، وروى عن أبى على الدقاق (ت:410هـ) أنه قال فى قوله تعالى : { وَعِبَادُ الرَّحْمنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا } [الفرقان/63] معناه : متواضعين متخاشعين [2] .

ويقسم الهروى الخشوع إلى درجات ثلاث:

الأولى : التذلل للأمر ، والاستسلام للحكم ، والاتضاع لنظر الحق .

الثانية : ترقب آفات النفس والعمل ، ورؤية فضل كل ذى فضل عليك .

الثالثة : حفظ الحرمة عند المكاشفة ، وتصفية الوقت من مزايا الخلق ، وتجريد رؤية الفضل (3) .

ويذكر الكاشانى أن الخشوع فى اصطلاح الطائفة ، عبارة عن خمود النفس وهمود الطباع ، لمتعاظم أو مفزع ، والمراد بخمود النفس موهًا ، وبهمود الطباع سكونها ، والمراد بالطباع هنا قوى النفس ، والمتعاظم من له عظمة ومهابة فى القلوب ، والمفزع من له سطوة تخشى ، ونقمة تتقى ، ويقسم الخشوع إلى نوعين : خشوع العامة : بسبب الرهبة من الوعيد ، والخوف من التهديد وخشوع الخاصة : بسبب دواعى الحقيقة ، إلى حفظ الحرمة مع الحق ، وتجريد القصد له وحده من دون الخلق (4) .

---

1. السابق 382/1 . 2. السابق 382/1 . 3. نازل السائرين ص12 وانظر أيضا مدارج السالكين 1/ 558 . 4. لطائف الإعلام 443/1 .

****

54 ـ الخشيــــــــة

****

الخشية : الخشية خوف يشوبه تعظيم ، وأكثر ما يكون ذلك عن علم بمـــا يخشى منه ، ولذلك خص العلماء بها فى قوله تعالى : { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّـــهَ مِـــنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ } [فاطر/28] [1] .

وعن أبي هريرة τ ،عن النبي ε قال : " أسرف رجل على نفســـه ، فلمـــا حضره الموت أوصى بنيه ، فقال : إذا أنا مت فأحرقوني .. فإذا هو قائم ، فقال له ما حملك على ما صنعت ؟ فقال : خشيتك يا رب ، أو قال : مخافتك فغفر له بذلك " [2] والخشية ترد على نوعين :

1) - خشية المخلوق وهى باعتبار المدح والذم نوعان :

أ- الخشية الممدوحة ومنها قوله تعالى : { وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ } [النساء/9] ، وقوله : { فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَـــا طُغْيَانًا وَكُفْرًا } [الكهف/80] وعن ابن عمر τ أن رجلا سأل رسول الله ε عن صلاة الليل ؟ فقال رسول الله ε : " صلاة الليل مثنى مثنى فإذا خشي أحدكم الصبح صلى ركعة واحدة توتر له ما قد صلى " [3] .

---

1. لسان العرب 228/14 ، المفردات ص149 .
2. أخرجه مسلم فى كتاب التوبة (2756) 2109/4 .
3. أخرجه البخارى فى كتاب الجمعة (991) 554/2 .

وقال عبد الرحمن بن عوف τ ، وقد أتي يوما بطعامه : " قتل مصـــعب بن عمير τ ، وكان خيرا مني ، فلم يوجد له ما يكفن فيـــه إلا بـــردة وقتل حمزة τ أو رجل آخر خير مني ، فلم يوجد له ما يكفن فيـــه ، إلا

بردة لقد خشيت أن يكون قد عجلت لنا طيباتنا في حياتنا الدنيا ، ثم جعل يبكي "[1] ، ومن حديث عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها : " فرجع رسول الله ε يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال : زملوني زملوني ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع ، فقال لخديجة وأخبرها الخبر ، لقد خشيت على نفسي ، فقالت خديجة : كلا والله ما يخزيك الله أبدا)[2] .

ب- ومن الخشية المذمومة ، قول الله تعالى : { إِلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي } [البقرة/150] ، وقوله تعالى : { وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ } [الإسراء/31] ، وقال تعالى : { إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً } [النساء/77] ، وقالت عائشة رضى الله عنها : " صنع النبي ε شيئا فرخص فيه ، فتنزه عنه قوم ، فبلغ ذلك النبي ε ، فخطب فحمد الله ، ثم قال : ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه ، فوالله إني لأعلمهم بالله ، وأشدهم له خشية "[3] .

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب الجنائز (1274) 168/3 .
2. أخرجه البخارى فى الموضع السابق (4) 47/1 .
3. أخرجه البخارى فى كتاب الأدب (6101) 529/10 .

ويناظره أيضا حديث أنس بن مالك τ ، قال رسول اللَّه ε : " أما واللَّه إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء

فمن رغب عن سنتي فليس مني "[1] ، ومن حديث أبي سعيد الخدرى τ قال ε : " لا يحقر أحدكم نفسه ، قالوا : يا رسول الله كيف يحقر أحدنا نفسه ؟ قال : يرى أمرا لله عليه فيه مقال ، ثم لا يقول فيه ، فيقول الله عز وجل لـــه يـــوم القيامة : ما منعك أن تقول في كذا وكذا ، فيقول : خشية الناس ، فيقـــول : فإياي كنت أحق أن تخشى "[2] .

(2 – خشية الخالق ، وغالبا ما تقترن بالدمع والبكاء ، قال تعالى : { وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى وَهُوَ يَخْشَى فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى } [عبس/9] ، وقوله تعـــالى : { مَـــنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ } [ق/33] وعن أبي هريرة τ ، قـــال رسول الله ε : " لا يلج النار ، رجل بكى من خشية الله ، حتى يعود اللـــبن في الضرع "[3] ، وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال ε : " عينـــان لا تمســـهما النار ، عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس في سبيل الله "[4] .

1. أخرجه البخارى فى كتاب النكاح (5063) 5/9 .
2. أخرجه ابن ماجة فى الفتن (4008) وقال الشيخ الألبانى : ضعيف 132/2 .
3. الترمذى فى فضائل الجهاد (1633) وقال الألبانى : صحيح 171/4 .
4. أخرجه الترمذى فى الموضع السابق (1639) وقال الألبانى : صحيح 175/4 وانظر رسالة ماجستير بعنوان الخوف والخشية والوجل فى القرآن الكريم إعداد حسن عبـــد اللطيف مصطفى كلية أصول الدين جامعة الأزهر الشريف سنة 1989م .

الخشية فى الاصطلاح الصوفى :

الخشية فى الاصطلاح الصوفى ، وردت على المعنى السابق غير أنها درجة أقـــل من درجة الخوف ، فالخشية عندهم ترتبط بالعلم ، والخوف يرتبط بالمشـــاهدة كما ذكر عن أبى بكر الوراق (ت:بعد250هـــ) قال : (من صحت معرفتـــه باللّه ظهرت عليه الهيبة والخشية) [1] ، ويذكر للجنيد بن محمد (ت:297هـــ) أن صاحب الخشية ، من كبحه لجام العلم ، وقام بحق الشرع ، والتجـــأ إلى الله عز وجل [2] ، ويقول الحكيم الترمذى (ت:320هـــ) : (من أراد الله هدايته واكتنفته رأفته ورحمته ، ومنحه طريق محبته ، فسبيله إذا فتح عليه هذا الطريـــق أن يرزقه خشيته ، وإنما برزت الخشية من العلم به ، فإذا علمه القلب خشـــيه وإنما ينال العلم من الفتح ، فإذا فتح الله له شاهد الأشياء ببصر قلبـــه ، فعلمـــه فخشيه ، وإذا التزم القلب الخشية ، حشاه الله بالمحبة ، فيكون بالخشية معتصما مما كره الله سبحانه مهما دق أو جل ، ويكون بالمحبة منبســـطا فى أمـــوره ذا شجاعة) [3] ، ويبين أن الله لو ترك العبد مع الخشية ، لا نقبض وعجز عن كثير من أموره ، ولو تركه مع المحبة وحدها ، لا ستبدى وتعدى ، لأن النفس تهيج ببهجة المحبة ، ولكنه تبارك اسمه لطف به ، فجعل الخشية بطانته ، والمحبـــة ظهارته ، حتى يستقيم به قلبه ، فيرى التبسم والانطلاق والسعة فى وجه

---

1. طبقات الصوفية ص226 .
2. الرسالة القشيرية 344/1 .
3. ختم الأولياء ص405 .

العبد وأموره وذلك لظهور المحبة على قلبه ، ومع ذلك فى داخله أمثال الجبال خشية [1] .

ويقول فى موضع آخر : (أصحاب الخشية ، هم أهل العلم بالله ، أما أصحاب الخوف فهم أرباب المشاهدة ، فمثل الأوائل كمثل رجل فى نهر ومثل الآخرين كمثل رجل فى بحر ، ومثل صاحب الخشية ، كمن رأى أثر مخالب الأسد على الطريق ، ومثل الخايف كمن شاهد الأسد ولقيه واقفا على الطريق ، وهو قوله تعالى : { إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ } [الفجر/ 14]) [2] .

ويذكر أبو نصر السراج الطوسى (ت:387هـ) ، أن الله عز وجل حث المؤمنين على المسارعة إلى الخيرات ، فقال : { أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لا يَشْعُرُونَ } [المؤمنون/56:55] ، فاستفاد أهل الفهم من هذه الآية ، أن أول المسارعة إلى الخيرات هو التقلل من الدنيا ، وترك الاهتمام بالرزق ، والتباعد والفرار من الجمع والمنع ، باختيار القلة على الكثرة والزهد فى الدنياعلى الرغبة فيها ، ثم ذكر الذين يسارع لهم فى الخيرات ووصفهم فقال : { وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ} [المعارج/27] فوصفهم بالإشفاق من الخشية ، والخشية والإشفاق اسمان باطنان ، وهما عملان من أعمال القلب ، فالخشية سر فى القلب خفى ، والإشفاق من الخشية أخفى من الخشية ، وهو الذى ذكر الله تعالى ، فقال : { يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى } [طه/7]

---

1. السابق ص405 .
2. السابق ص41 ، ص42 .

وقد قيل : إن الخشية انكسار القلب من دوام الانتصاب بين يدى الله تعالى ثم من بعد هذه المرتبة الشريفة ، والحال الرفيعة التي وصفهم الله تعالى بها من الخشية والإشفاق وغير ذلك ، قال : { وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ } [المؤمنون/58] وكانوا قبل الخشية والإشفاق مؤمنين بآيات الله ، فعلم أنه أراد بذلك زيادة الإيمان) [1] .

ويروى عن أبي على الدقاق (ت:410هـ) أنه قال : (الخشية من شرط العلم ، لقوله تعالى : { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ } [فاطر/28]) [2] .

ويذكر القشيرى (ت:465هـ) أن الحجارة منها ما تظهر عليه آثار خشية الله ، أما القلوب إذا منيت بإعراض الحق عنها ، وخصت بانتزاع الخيرات منها فهى كالحجارة أو أشد قسوة ، قال تعالى : { ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنْ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ } [البقرة/74] [3] وقال أبو حامد الغزالى (ت:505هـ) فى بيان العلاقة بين البكاء والخشية : البكاء ثمرة الخشية ، وكل ما ورد فى فضل البكاء من خشية الله ، فهو إظهار لفضيلة الخشية ، قال تعالى : { وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا } [الإسراء/109] [4] .

---

1. اللمع ص117:116 .
2. الرسالة القشيرية 343/1 .
3. لطائف الإشارات 99/1، 100 .
4. إحياء علوم الدين 171/4 .

****

55ـ الْخلُـــــــق

****

الخُلق : الخلق يراد به القوى والسجايا المدركة بالبصيرة ، وقد يكون الخلق فطريا أو كسبيا [1] ، فمن الخلق على معنى السجية الفطرية ، ما روى عــن المسور بن مخرمة τ ، قال : " خرج رسول اللَّه ε زمن الحديبيـــة ، فقـــالوا : خلأت القصواء ، خلأت القصواء ، فقال النبي ε : ما خلأت القصواء ، ومـــا ذاك لها بخلق ، ولكن حبسها حابس الفيل " [2] ، وعن حذيفـــة بـــن أســـيد الغفاري τ ، قال ε : " إن النطفة تقع في الرحم أربعين ليلة ، ثم يتصور عليهـــا الملك فيقول : يا رب ، أذكر أو أنثى ؟ ، فيجعله اللَّه ذكرا أو أنثى ، ثم يقول : يا رب أسوي أو غير سوي ؟ ، فيجعله اللَّه سويا أو غير سوي ، ثم يقول : يـــا رب ما رزقه ما أجله ما خلقه ؟ ، ثم يجعله اللَّه شقيا أو سعيدا " [3] .

ومن الخلق على معنى السلوك المكتسب ، قوله تعالى فى وصف خلـــق الـــنبى صلى الله عليه وسلم : { وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ } [القلم/4] ، وعن البراء بـــن عازب τ ، أن النبي ε قال لجعفر : " أشبهت خلقي وخلقـــي " [4] ، وقالـــت

1. لسان العرب 85/10 ، والمفردات ص 157 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب الشروط (2734) 416/5 .
3. أخرجه مسلم فى كتاب القدر (2645) 2038/4 .
4. أخرجه البخارى فى كتاب الصلح (2700) 358/5 .

امرأة ثابت بن قيس : " يا رسول اللَّه ، إني لا أعتب على ثابت في دين ولا خلق ، ولكني لا أطيقه ، فقال رسول اللَّه ε : فتردين عليه حديقته ؟ قالت : نعم " [1] ، وعن مسروق τ ، قال رسول اللَّه ε : " إن من أخيركم أحسنكم خلقا " [2] ، ومن حديث النواس بن سمعان الأنصاري τ ، قال سألت رسول اللَّه ε عن البر والإثم ؟ ، فقال : " البر حسن الخلق ، والإثم ما حاك في صدرك ، وكرهت أن يطلع عليه الناس " [3] ، وقالت عائشة رضى الله عنها : " ما كان خلق أبغض إلى رسول اللَّه ε من الكذب " [4] ، وعن أبي ذر τ قال : " قال لي رسول اللَّه ε ، اتق اللَّه حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن " [5] .

والخلوق نوع من الطيب أصفر اللون ، وقيل له خلوق لتحلى الإنسان به قال عمار بن ياسر τ : " تخلقت خلوقا ، فجئت إلى رسول الله ε ، فانتهرني وقال : اذهب يا ابن أم عمار ، فاغسل عنك " [6] ، وفى رواية أخرى ، قال τ : " قدمت على أهلي ليلا ، وقد تشققت يداي فخلقوني بزعفران ، فغدوت على النبي ε فسلمت عليه ، فلم يرد علي و لم يرحب بي ، وقال : اذهب

1. أخرجه البخارى فى كتاب الطلاق (5275) 307/9 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب الأدب (6029) 466/10 .
3. أخرجه مسلم فى كتاب البر (2553) 1980/4 .
4. أخرجه الترمذى فى كتاب البر والصلة (1973) وقال الألبانى : حسن 348/4 .
5. أخرجه الترمذى فى كتاب البر والصلة (1987) وقال الألبانى : حسن 355/4 .
6. أخرجه أبو داود فى السنن (4601) وحسنه الألبانى 199/4 .

فاغسل هذا عنك ، فذهبت فغسلته ثم جئت ، وقد بقي علي منه ردع فسلمت فلم يرد علي و لم يرحب بي ، وقال : اذهب فاغسل هذا عنك ، فذهبت فغسلته ثم جئت فسلمت عليه ، فرد علي ورحب بي وقال : إن الملائكة لا تحضر جنازة الكافر بخير ، ولا المتضمخ بالزعفران ولا الجنب " [1] .

الخلق فى الاصطلاح الصوفى :

الخلق فى الاصطلاح الصوفى ، هو ما يرجع إليه المكلف من نعته ، فخلق كل مخلوق هو ما اشتملت عليه نعوته وصفاته ، فكأن المراد بالخلق ، صفات النفس فإن كانت محمودة ، فهو على خلق محمود ، وإن كانت مذمومة فهو على خلق مذموم [2] .

---

1. أخرجه أبو داود فى كتاب الترجل (4176) وقال الشيخ الألبانى : حسن 79/4 وأخرجه البيهقى فى السنن الكبرى (8754) 36/5 ، وانظر عن الأخلاق فى الكتاب والسنة ، رسالة دكتوراه بعنوان الفضائل الخلقية فى الإسلام ، إعداد أحمد عبد الرحمن إبراهيم ، مكتبة كلية دار العلوم سنة 1977م ، دستور الأخلاق فى القرآن الكريم للدكتور محمد عبد الله دراز ، ترجمة الدكتور عبد الصبور شاهين ،سنة1973م وتهذيب الأخلاق لأبى على أحمد مسكويه ، تحقيق قسطنطين زريق ، طبعة دار الحياة بيروت ، والاتجاه الأخلاقى فى الإسلام للدكتور مقداد بالجن ، مطبعة الخانجى ، طبعة أولى سنة 1973م ،وله أيضا : التربية الأخلاقية فى الإسلام ،سنة1977م ، وتاريخ الأخلاق فى الإسلام للدكتور محمد يوسف موسى سنة 1952م .
2. لطائف الإعلام 452/1 .

وعبارات الصوفية فى مصطلح الخلق ، تعبر فى أغلبها عن الأصول القرآنية والنبوية ، فروى عن أبى عثمان المغربى (ت:373هـ) أنه قال : (حسن الخلق هو الرضا عن الله تعالى) [1] .

ويروى أيضا عن أبى سعيد الخراز (ت:279هـ) أنه قال : (الخلق هو أن لا يكون لك هم غير الله تعالى) [2] ، ويذكر أن سهلا بن عبد اللَّه التسترى (ت:293هـ) سئل عن حسن الخلق ؟ ، فقال : (أدناه الاحتمال ، وترك المكافأة ، والرحمة للظالم ، والاستغفار له ، والشفقة عليه ، وأن لا يتهم الحق فى الرزق ويثق به ، ويسكن إلى الوفاء بما ضمن ، فيطيعه ولا يعصيه فى جميع الأمور فيما بينه وبينه ، وفيما بينه وبين الناس) [3] ويروى عن شاه الكرمانى (ت:قبل300هـ) أنه قال : (علامة حسن الخلق ، هو كف الأذى ، واحتمال المؤن) [4] .

وربما يجعل بعضهم الخلق على معنى بعيد ، فيه نوع من المخالفة ، كما يروى عن أبى بكر الواسطى (ت:بعد320هـ) أنه قال : (الخلق العظيم أن لا يخاصم ولا يخاصم من شدة معرفته بالله تعالى ، وحسن الخلق ، إرضاء الخلق فى السراء والضراء ، والخلق العظيم وصف به نبينا ε :

---

1. إحياء علوم الدين 57/3 .
2. الرسالة القشيرية 495/2 .
3. إحياء علوم الدين 57/3 .
4. الرسالة القشيرية 496/2 .

{ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ } [القلم/4] لأنه جاد بالكونين واكتفى بالله تعالى) [1]
.

وقوله جاد بالكونين فيه نظر ، لأنه يعنى الدنيا والآخرة ، والذى تدل عليه الأصول القرآنية والنبوية أنه ε جعل الدنيا وسيلة إلى الآخرة [2] .

ويذكر القشيرى (ت:465هـ) أن الخلق الحسن أفضل مناقب العبد ، وبه يظهر جواهر الرجال ، والإنسان مستور بخَلقه ، مشهود بخُلقه ، ويستدل لحسن الخلق بقوله تعالى : { وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ } [القلم/4] ، ومن السنة ما روى عن أنس قيل : " يا رسول الله : أى المؤمنين أفضل إيمانا ؟ قال : أحسنهم خلقا) [3] .

ويقرر أبو حامد الغزالى فى الكشف عن حقيقة الخلق الحسن ، أن الخَلق والخُلق عبارتان مستعملتان معا ، يقال : فلان حسن الخلق والخلق أى حسن الباطن والظاهر ، فيراد بالخلق الصورة الظاهرة ، ويراد بالخلق الصورة الباطنة وذلك لأن الإنسان مركب من جسد مدرك بالبصر ، ومن روح ونفس مدرك

---

1. إحياء علوم الدين 57/3 وانظر السابق 494/2 .
2. انظر للتعرف على المزيد فى موقف أوائل الصوفية من الأخلاق ، الوجهة الأخلاقية للتصوف الإسلامى فى القرن الثالث الهجرى للدكتور أبى اليزيد العجمى ، مكتبة كلية دار العلوم جامعة القاهرة سنة 1976م .

3. الرسالة 494/2 والحديث حسن صحيح ، أخرجه الترمذى فى كتاب الرضاع عن أبي هريرة (1162) بلفظ : (أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ خُلُقًا) ، وقال الشيخ الألبانى : حسن صحيح 466/3 .

بالبصيرة ، ولكل واحد منهما هيئة وصورة ، إما قبيحة وإما جميلة ، فالنفس المدركة بالبصيرة ، أعظم قدرا من الجسد المدرك بالبصر ، ولذلك عظم الله أمره بإضافته إليه ، إذ قال تعالى : { إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ } [ص/72:71] ، فنبه على أن الجسد منسوب إلى الطين ، والروح إلى رب العالين ، فالخُلق عبارة عن هيئة فى النفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر ورؤية ، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا ، سميت تلك الهيئة خلقا حسنا ، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة ، سميت الهيئة التى هى المصدر خلقا شيئا [1] .

1. إحياء علوم الدين 58/3 وانظر للتوسع والمقارنة المراجع الآتية : الأخلاق بين الفلاسفة وحكماء الإسلام للدكتور مصطفى حلمى ، مطبعة دار الثقافة العربية طبعة أولى ، الفلسفة الأخلاقية فى الفكر الإسلامى ، للدكتور أحمد محمود صبحى ، طبعة دار المعارف ، المشكلة الأخلاقية لأندريه كريسون ، ترجمة الدكتور عبد الحليم محمود سنة 1946م ، فلسفة الأخلاق نشأهّا وتطورها ، للدكتور توفيق الطويل ، طبعة دار النهضة العربية ، طبعة ثالثة سنة1976م ، فى العقيدة والأخلاق للدكتور محمد بيصار طبعة سنة1973م ، فلسفة الأخلاق فى الإسلام ، للدكتور محمد يوسف موسى سنة1942م ، الأخلاق بين العقل والنقل للدكتور أبى اليزيد أبي زيد العجمى ، مكتبة

دار الثقافة العربية سنة 1988 ، الأخلاق دراسة فلسفية دينية للدكتور عبد الفتـــاح أحمد الفاوى ، طبعة مطبعة الجبلاوى ، القاهرة سنة1990 ، الأخلاق بين الفلســـفة والإسلام للدكتور عبد المقصود عبد الغـــنى ، طبعـــة مكتبـــة الزهـــراء ، القـــاهرة سنة1987م .

ويقسم الكاشانى الخُلق عند الصوفية إلى أنواع [1] :

أ- الخلق الحسن مع الحق : وهو علم العبد أن كل ما يأتى منه يوجب عـــذرا لأنه لنقصانه لا يبدو منه إلا النقص ، وأن كل ما يأتى من الحق يوجـــب شكرا ، لأن الجود الكامل لا يصدر عنه إلا الجود والتفضل .

ب- الخلق الحسن مع الخلْق : هو المستجمع أمورا ثلاثة وهى : بذل المعـــروف واحتمال الأذى وكفه ، وإنما كان كف الأذى من جملة مكارم الأخـــلاق لأنه لما كان العبد متمكنا من فعل الأذى وكفه ، ثم تركه من خشـــية الله تعالى ، كان جزاؤه أن يكتسب له حسنة .

حـــ- الخلق الكامل : هو المستجمع أمور ثلاثة ، هى العلم والجـــود والصـــبر وهذه الأوصاف الثلاثة ، هى التى لا يصح لأحد تحسين خلقه مع الحق ولا مع الخلق إلا بالاتصاف بجميعها .

د- الخلق العظيم : هو أكمل ما يمكن أن يتصف به الإنسان من مكارم الأخلاق ، ولهذا جمعها الله فى نبينا محمد ε ، قال تعالى : { وَإِنَّكَ لَعَلَـــى خُلُقٍ عَظِيمٍ } [القلم/4] .

ويجدر التنبيه على أن التصوف فى مرحلته الأولى ، عرف بأنه دعوة إلى الأخلاق الفاضلة ، كما نسب إلى أبى الحسين النورى (ت:295هـــ) أنه قال :

(ليس التصوف رسوما ولا علوما ، ولكنه أخلاق) [2] ، وينسب أيضا لمحمد

1. لطائف الإعلام 454:452/1 .
2. كشف المحجوب ص52 ، طبقات الصوفية ص 167 .

المرتعش (ت:328هـ) : (التصوف حسن الخلق) [1] ، ويذكر لأبى بكر الكتانى (ت:322هـ) : (التصوف خلق ، فمن زاد عليك فى الخلق ، فقد زاد عليك فى التصوف) [2] ، إلا أن التصوف لم يعد معبرا عن الأخـــلاق ، ورأى كثير من الصوفية عدم كفاية الأخلاق ، لإشباع التصوف وامتلائـــه ، يقـــول الدكتور عبد الحليم محمود مصورا هذه الحقيقة : (يتجه الكثير من النـــاس فى تعريف التصوف إلى الجانب الأخلاقى ، وهذا الاتجاه شـــائع عنـــد الصـــوفية أنفسهم ، وعند غيرهم من الباحثين فى التصوف والمؤرخين له ، وهذا الاتجاه لا يعبر عن التصوف تعبيرا دقيقا ، فالذين ذكروا التعريف الأخلاقـــى للتصـــوف ذكروا هم أنفسهم تعاريف أخرى ، وذلك على الأقل يدل دلالة لا لبس فيهـــا على أنهم ، لم يروا كفاية الجانب الأخلاقى فى تحديد التصوف وتعريفه) [3] .

****

56ـ الخلـــــــة

****

الخلة : خالص المودة ، مأخوذة من تخلل الأسرار بين الصـــديقين ، يقـــول

1. السابق ص52 .

2. الرسالة 495/2 ، وانظر السابق ص48 .

3. قضية التصوف المنقذ من الضلال ، للدكتور عبد الحليم محمود ، الطبعة الثانية دار المعارف ، سنة 1985م ص38، 39 .

الله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمْ الظَّالِمُونَ } [البقرة/254] ، وقوله تعالى : { وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلا } [النساء/125] ، أى جعله صفوة له ، وخصه بكراماته ، قال ثعلب : إنما سمى الخليل خليلا ، لأن محبته تتخلل القلب ، فلا تدع فيه خليلا إلا ملأته [1] .

والخلة درجة أعلى من المحبة ، وهى ثابتة فى القرآن والسنة لنبيين اثنين ، هما إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام ، فعن عبد اللَّه بن مسعود τ أن النبي ε قال : " لو كنت متخذا خليلا ، لاتخذت أبا بكر خليلا ، ولكنه أخي وصاحبي ، وقد اتخذ اللَّه عز وجل صاحبكم خليلا " [2] ، وعن جندب τ قال سمعت النبي ε قبل أن يموت بخمس ، وهو يقول : " إني أبرأ إلى اللَّه أن يكون لي منكم خليل ، فإن اللَّه تعالى قد اتخذني خليلا ، كما اتخذ إبراهيم خليلا ، ولو كنت متخذا من أمتي خليلا ، لاتخذت أبا بكر خليلا ، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك " [3] .

– الخلة فى الاصطلاح الصوفى :

---

1. فتح القدير 370/1 .

2. أخرجه مسلم فى كتاب فضائل الصحابة (2383) 1855/4 .
3. أخرجه البخارى فى كتاب الصلاة (466) 665/1 ، ومسلم فى كتاب المساجد ومواضع الصلاة (532) 377/1 واللفظ له .

والخلة ترد عند أغلب الصوفية حول المعنى القرآنى السابق ، فإما يقصدون بالخلة أن تمتلأ جميع الأعضاء بحب المحبوب ، أو يعنون تخلية القلب عما سوى المحبوب ، أو تخلل مودة فى القلب لا تدع فيه خلاء إلا ملأته [1] .

ويذكر القشيرى أن الخلة لبسة يلبسها الحق لمن شاء ، لا صفة يكتسبها العبد وأن الخليل هو المحتاج بالكلية إلى الحق فى كل نفَس ، ليس له شئ منه ، بل هو باللَّه لله فى جميع أنفاسه وأحواله ، اشتقاقا من الخلة التى هى الخصاصة وهى الحاجة ، ويقال : إنه من الخلة التى هى المحبة ، والخلة أن تباشر المحبة جميع أجزائه ، وتتخلل سره حتى لا يكون فيه مساغ للغير ، قال تعالى : { وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلا } [النساء/125] ، فلما صفاه اللَّه سبحانه عنه وأخلاه منه ، نصبه للقيام بحقه ، بعد امتحائه عن كل شئ إلا اللَّه سبحانه [2] .

والخلة من منظور وحدة الوجود هى تحقق العبد بصفات الحق ، بحيث تخلله الحق فيكون العبد مرآة الحق [3] .

ومعنى قوله تعالى : { وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلا } [النساء/125] ، أى يخالله ويداخله فى خلال ذاته وصفاته وأفعاله ، بحيث لا يذر منها بقية ، أو يسد خلله ويقوم بدل ما يفنى منه ، عند تكميله وفقره إليه [4] .

---

1. كشاف التهانوى ص232 . 2. لطائف الإشارات 367/1 ، 368 .

3. معجم الكاشانى ص179 .
4. تفسير القرآن لابن عربى 289/1 ، وقارن مع أدب الدنيا والدين ،للماوردى طبعة مطبعة السعادة سنة 1921م ص 21 .

قال ابن عربى : (إنما سمى الخليل خليلا ، لتخلله وحصره جميع ما اتصف به الذات الإلهية ، قال الشاعر :

قد تخللت مسلك الروح منى : وبذا سمى الخليل خليلا

كما يتخلل اللون المتلون ، فيكون العرض بحيث جوهره ، ما هو المكان المتمكن ، أو لتخلل الحق وجود صورة إبرهيم) [1] .

وليست درجة الخلة أعلى من المحبة عندهم ، كما ورد فى الأصول القرآنية ولكنها أدون وأقل ، يقول الكاشانى : (الخليل وإن كان أعلى مرتبة من الصفى ، لكنه أدون من الحبيب ، لأن الخليل محب يوشك أن يتوهم فيه بقية غيرية والحبيب محبوب لا يتصور فيه ذلك) [2] .

****

57ـ الخلـــــــوة

****

الخلوة : خلا فلان بفلان صار معه فى خلاء ، ويرد على عدة معان [3] :

1- خلا بمعنى انفرد وانتهى إلي خلوة كقوله تعالى : { اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ

1. فصوص الحكم ص87 ، 88 ، والفتوحات المكية 362/2 وما بعدها ، وانظر تعليق الدكتور أبى العلا عفيفى فى شرحه على الفصوص فى معنى الخليل 57/2 .
2. تفسير القرآن لابن عربى 289/1 .
3. لسان العرب 218/11 ، والمفردات ص158 ، وكتاب العين 306/4 .

أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ } [يوسف/9] ، وقوله : { وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ } [البقرة/14] ، وقال النبي ε ، لعمر بن الخطاب τ : " يا عمر إنك رجل قوي ، لا تزاحم على الحجر ، فتؤذي الضعيف ، إن وجدت خلوة فاستلمه ، وإلا فاستقبله فهلل وكبر " (1) ، وعن ابن عباس رضي اللَّه عنهما ، أنه سمع النبي ε ، يقول : " لا يخلون رجل بامرأة ولا تسافرن امرأة إلا ومعها محرم " (2) ، وقال خبيب بن الأرت : " كنت مع رسول اللَّه ε في طريق مكة ، فأصبت خلوة من رسول اللَّه ε ، فدنوت منه فقال : قل أعوذ برب الفلق حتى ختمها ، ثم قال : قل أعوذ برب الناس حتى ختمها ، ثم قال : ما تعوذ الناس بأفضل منهما " (3) ، وقال سعد بن معاذ τ لأمية بن خلف : " انظر لي ساعة خلوة ، لعلي أن أطوف بالبيت ، فخرج به قريبا من نصف النهار " (4) .

2- خلا بمعنى سبق ومضى ، ومنه قوله تعالى : { كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ } [الحاقة/24] ε ، وقوله : { أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ } [البقرة/214] ، وعن ابن عمر رضي اللَّه عنهما ، عن رسول اللَّه ε قال : " إنما أجلكم في أجل من خلا من

1. ضعيف ، أخرجه أحمد فى المسند (191) فى سنده رجل مبهم ، والبيهقى فى السنن الكبرى (9043) 80/5 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب الجهاد (3006) 166/6 .
3. صحيح الإسناد أخرجه النسائى فى كتاب الاستعاذة (5429) 250/8 .
4. أخرجه البخارى فى كتاب المغازى (3950) 329/7 .

الأمم ، ما بين صلاة العصر إلى مغرب الشمس) (1) .

3- خلا من الأمر برء منه و لم يصبه ، قال τ : " مر النبي ε بامرأة ، وهي تبكي عند قبر ، فقال : اتقي اللّه واصبري ، فقالت : إليك عني ، فإنك خلو من مصيبتي " (2) .

4- وخليت فلانا تركته ، يقال لكل ترك تخلية ، نحو قوله تعالى : { فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ } [التوبة/5] ، وعن المسور بن مخرمة قال رسول الله ε : " يا ويح قريش لقد أكلتهم الحرب ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر الناس فإن أصابوني كان الذي أرادوا وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام " (3) وقال ابن عمر رضي الله عنهما : " رأيت على عهد النبي ε كأن بيدي قطعة إستبرق فكأني لا أريد مكانا من الجنة إلا طارت إليه ورأيت كأن اثنين أتياني أرادا أن يذهبا بي إلى النار فتلقاهما ملك فقال لم ترع خليا عنه " (4) .

5- والمرأة الخلية المخلاة عن الزوج ، وقال مالك رحمه الله في الرجل يقول لامرأته : أنت خلية ، أو برية ، أو بائنة : (إنها ثلاث تطليقات للمرأة التي قد دخل بها) (5) .

1. أخرجه البخارى فى كتاب أحاديث الأنبياء (3459) 571/6 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب الأحكام (7154) 142/13 .
3. أخرجه أحمد فى المسند (18431) والبخارى فى كتاب الشروط (2734) .
4. أخرجه البخارى فى كتاب الجمعة (1158) 48/3 .
5. انظر موطأ مالك كتاب الطلاق 584/2 .

الخلوة فى الاصطلاح الصوفى :

والخلوة فى الاصطلاح الصوفى ، تأتى على معنى الانفراد والوحدة والتخلى لذكر الله ، فاللفظ باق عندهم على معناه اللغوى ، روى عن بشر بن الحافى (ت:227هـ) أنه قال فيمن يتفرد ويختار الخلوة : (ليتق الله تعالى عند خلوته وليلزم بيته ، وليكن أنيسه الله عز وجل وكلامه) (1) ، ويروى عن ذى النون المصرى (ت: 245هـ) أنه قال : (لم أر شيئا أبعث لطلب الإخلاص من الوحدة ، لأنه إذا خلا لم ير غير اللّه تعالى ، فإذا لم ير غيره لم يحركه إلا حكم اللّه ، ومن أحب الخلوة ، فقد تعلق بعمود الإخلاص واستمسك بركن كبير من أركان الصدق) (2) .

وينسب ليحى بن معاذ الرازى (ت:258هـ) أن المسلم فى خلوة دائمة لأن الخلوة ، إنما تكون فى الأنس بالله ، فقال : (أنظر أنسك بالخلوة ، أو أنسك معه فى الخلوة ، فإن كان أنسك بالخلوة ، ذهب أنسك إذا خرجت منها ، وإن كان أنسك به فى الخلوة ، استوت لك الأماكن فى الصحارى والبرارى) (3) ولأبى عثمان المغربى (ت:373هـ) : (من اختار الخلوة على الصحبة ، ينبغى أن يكون خاليا من جميع الأذكار إلا ذكر ربه ، وخاليا من جميع الإرادات إلا

رضا ربه ، وخاليا من مطالبة النفس من جميع الأسباب ، فإن لم يكن بهذه

---

1. اللمع ص277 .
2. طبقات الصوفية ص21 .
3. الرسالة القشيرية ص301 .

الصفة فإن خلوته توقعه فى فتنة أو بلية) [1] ، وروى عن سهل بن عبد اللَّه التسترى (ت:293هـ) : (لا تصح الخلوة إلا بأكل الحلال ، ولا يصح أكل الحلال إلا بأداء حق اللَّه) [2] .

ويذكر أن الجنيد بن محمد (ت:297هـ) سئل عن الخلوة ؟ فقال : (إن السلامة مصاحبة لمن طلب السلامة ، فترك المخالفة وترك التطلع إلى ما أوجب العلم مفارقته) [3] .

وقال الحكيم الترمذى (ت:320هـ) فى بداية تصوفه : (ووقع على حب الخلوة فى المترل والخروج إلى الصحراء ، فكنت أطوف فى تلك الخربات ، فلم يزل ذلك دأبى ، وطلبت أصحاب صدق ، يعينوننى على ذلك فعز على فاعتصمت بهذه الخرابات والخلوات) [4] .

ويعبر الكاشانى عن هذه المعانى السابقة بقوله : (الخلوة عند الصوفية ، محادثة السر مع الحق بحيث لا يرى غيره ، هذا حقيقة الخلوة ومعناها ، وأما صورتها فهى ما يتوصل به إلى هذا المعنى من التبتل إلى الله والانقطاع عن الغير) [5] .

---

1. السابق ص300 .

2. السابق ص301 .

3. اللمع ص277 .

4. ختم الأولياء ص15 ، 16 .

5. معجم اصطلاحات الصوفية للكاشانى ص161 .

والخلوة أصبحت منذ وقت مبكر إلى عصرنا ، علما على مكان مخصوص للصوفية اتخذوه رباطا ، سواء كان المكان ملحقا بالمسجد أو منفردا عنه يجتمعون فيه للحضرة الصوفية وتلاوة الأوراد والذكر ، وسماع قصائد المنشدين فى مدح الأولياء والعارفين ، حتى أصبحت الخلوة مزارا للعامة والمريدين ، ومقرا للاحتفالات بالموالد والأعياد (1) .

****

58ـ الخليفـــــــة

****

الخليفة : الخلافة النيابة عن الغير ، وهى على نوعين (2) :

1- الخلافة لعجز المنوب عنه أو غيبتة أو موته ، كقوله تعالى : { وَقَالَ مُوسَى لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي } [الأعراف/142] ، وقال تعالى : { هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ فِي الأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ } [فاطر/39] ، ومنها ما قاله عمر بن الخطاب τ : " إني لا أعلم أحدا أحق بهذا الأمر ، من هؤلاء النفر الذين

توفي رسول اللَّه ε وهو عنهم راض ، فمن استخلفوا بعدي ، فهو الخليفة فاسمعوا له وأطيعوا " [3] .

1. انظر فى بيان وظيفة الرباط عند الصوفية وأماكنها ، المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم 100/10 ، ومعجم الأدباء لياقوت الحموى 290/5 .
2. المفردات ص156 ، ولسان العرب 89/9 ، كتاب العين 267/4 .
3. أخرجه البخارى فى كتاب الجنائز (1392) 301/3 .

وعن ابن عمر τ ، كان من دعائه ε فى السفر : " اللَّهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل " [1] ، ومن حديث أبي سعيد الخدري τ ، قال رسول اللَّه ε : " إذا بويع لخليفتين ، فاقتلوا الآخر منهما " [2] ، وعن النواس بن سمعان τ ، قال : ذكر رسول اللَّه ε الدجال ذات غداة ، فخفض فيه ورفع ، فقال : " غير الدجال أخوفني عليكم ، إن يخرج وأنا فيكم ، فأنا حجيجه دونكم ، وإن يخرج ولست فيكم ، فامرؤ حجيج نفسه ، واللَّه خليفتي على كل مسلم " [3] .

2- الخلافة لتشريف المستخلف أو ابتلائه ، وعلى هذا الوجه الأخير استخلف اللَّه آدم وذريته فى الأرض ، فقال سبحانه : { وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً } [البقرة/30] على وجه الابتلاء كما قال : { إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ } [الإنسان/2] ، وقال أيضا : { يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ } [ص/26] ، وعن أبي سعيد

الخدري τ قال ε : " ما استخلف خليفة إلا له بطانتان بطانة تـــأمره بـــالخير وتحضه عليه ، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه والمعصوم من عصم اللَّه " [4] .

---

1. أخرجه مسلم فى كتاب الحج (1342) 978/2 .
2. أخرجه مسلم فى كتاب الإمارة (1853) 1480/3 .
3. أخرجه مسلم فى كتاب الفتن (2937) 2250/4 .
4. أخرجه البخارى فى كتاب القدر (6611) 58/11 .

قال ε لحذيفة : " ثم تكون دعاة الضلالة ، فإن رأيت يومئـــذ خليفـــة الله في الأرض فالزمه " [1] .

الخليفة فى الاصطلاح الصوفى :

والخليفة فى الاصطلاح الصوفى ، يتوافق فى الأغلب مع ما سبق ، فالأوائـــل يعنون بالخليفة آدم وذريته ، حيث استخلفهم الله فى الأرض ، وابتلاهم فيهـــا واستأمنهم على ملكه ، كما ذكره أبو سعيد الخراز (ت:279هـــ) فى شـــأن الأنبياء عليهم السلام ، والعلماء والصالحين من بعدهم رضى الله عنهم ، كيف ملكوا الدنيا ، وكانوا أزهد الناس فيها ؟ فبين أنهم كانوا أمنـــاء الله تعـــالى فى أرضه على سره ، وعلى أمره ونهيه وعلمه ، وموضع وديعته والنصحاء لـــه فى خلقه وبريته ، وهم الذين عقلوا عن الله تعالى أمره ونهيه ، وفهموا لماذا خلقهم وما أراد منهم ، وإلى ما ندبهم ، فسمعوا الله عز وجل يقول : { آمِنُـــوا بِاللَّـــهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ } [الحديد/7] ثم قال : { ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ

خَلائِفَ فِي الأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ } [يـونس/14] ، فأيقن القوم أنهم وأنفسهم لله تعالى ، وكذلك ما خولهم وملكهم فإنما هو له ، غير أنهم فى دار اختبار وبلوى ، وخلقوا للاختبار والبلوى فى هذه الدار ، فمن ملك شيئا من الدنيا ، فهو معتقد أن الشئ لله تعالى لا له ، إلا من طريق حق ما خوله الله تعالى واستخلفه ، وهو مبلى به حتى يقوم بالحق فيه ، فكانوا خزانا لله جل ذكره ، خارجين من ملكهم فى ملكهم ، ناعمين بذكر الله وعبادته ، غير

1. أحمد فى المسند (22916) وأبو داود (4244) وحسنه الشيخ الألبانى 95/4 .

ساكنين إلى ما ملكوا ، لا يستوحشون من فقده إن فقدوه ، ولا يفرحون به إن وجدوه (1) .

وقال الحكيم الترمذى (ت:320هـ) : (وللخليفة شأن فى ملك المستخلف والآدمى هو الخلق الوحيد الذى خلق لذلك ، فقد خلق آدم بيديه ، وعلمه الأسماء كلها ، وقد خلقنا لمحبته ، وجعلنا موضعا لتوارد مختلف مشيئاته واقتضى منا الخدمة والوقوف بين يديه وتنفيذ هذه المشيئات ، فولاية المرء قائمة على تنفيذ أحكام الله ، فإنه إذا وفى لله بالصدق فى سعيه إليه ولاه ، حتى يرقيه إلى درجة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ثم ولاه خزانته وصيره من أمنائه على حكمه ، فمن ولى الله تدبيرهم وأدبهم وولاهم ولايته ، فهم أولو الأمر وخلفاء الله صرخوا إلى الله مضطرين ، فأجابهم وكشف السوء عنهم ، وجعلهم خلفاء الأرض بلا إله إلا الله) (2) .

ويذكر القشيرى (ت:465هـ) أن ابتداء ظهور السر فى آدم وذريته حين قال : { وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً } ، فلما ركب صورته لم يكونوا رأوا مثلها فى بديع الصنعة وعجيب الحكمة ، فعندها ترجمت الظنون وتقسمت القلوب وتجنت الأقاويل ، وإنما قال للملائكة ذلك تشريفا وتخصيصا لآدم بالخلافة [3] .

---

1. كتاب الصدق ص39:32 .
2. نوادر الأصول للحكيم الترمذى ص382 ، 383 .
3. لطائف الإشارات 75/1؛74 .

ولابن عربى (ت:638هـ) بلسان أهل الظاهر حيث يشرح المعنى السابق الذى يوافق الأصول القرآنية ، فيقول : (إن الخلافة مدرجة فى جميع النوع الإنسانى ، كما نبه عليه سبحانه وتعالى فى قوله : { وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ } [الحديد/7] ، فهذا النوع الإنسانى مستخلف من قبل الحق بقدر وسعه ، فأدناهم المستخلف على نفسه ، وأكملهم المستخلف على العالم بأسره) [1] ، ويقول أيضا : (وكما أن الخليفة قد استخلف من استخلفه فى ماله ، وجميع أحواله لما اتخذه وكيلا ، فاستخلاف العبد ربه ، لما اتخذه وكيلا خلافة مطلقة ، واستخلاف الرب عبده خلافة مقيدة ، بحسب ما تعطيه ذاته ونشأته) [2] .

وربما يعنى ابن عربى بالخليفة فى فلسفته أمرا آخر ينبعث من نظرته الباطنة المغلفة بفكره فى وحدة الوجود فمن ذلك :

(1- الخليفة هو الذى يتلقى الأمر من الله مباشرة بلا واسطة كما يتلقى الخلفاء الأمر من الرسل فى ظاهر الشرع ، فيقول : (لله فى الأرض خلائف عـــن الله وهم الرسل ، وأما الخلافة اليوم ، يقصد الخلافة الظاهرة ، فعن الرسل لا عـــن الله فإنهم ما يحكمون إلا بما شرع لهم الرسول لا يخرجون عن ذلك) [3] ويقول فى الخلافة الباطنة عند الصوفية : (الخليفة الحق هو القطب القائم بورثة النبـــوة

---

1. بلغة الخواص ق 23 .
2. الفتوحات المكية 299/3 .
3. فصوص الحكم 162/1 .

فالرسول صلى الله عليه وسلم مات وما نص بخلافة عنه إلى أحـــد ولا عينـــه لعلمه أن فى أمته من يأخذ الخلافة عن ربه ، فيكون خليفة عن الله مع الموافقة فى الحكم المشروع) [1] .

وهذا الخليفة أو كما يسميه القطب أو الغوث ، تحت يده وزيران إمامـــان وهو موضع نظر الحق ، وله ما للخليفة من خصائص وحقوق وواجبـــات ، إذا ولاه الله سبحانه وتعالى نصب له فى حضرة المثال سريرا أقعده عليه ، فإذا نصب له ذلك السرير ، خلع عليه جميع الأسماء التى يطلبها العالم ، وتطلبه فيظهر بهـــا حللا وزينة ، وأمر الله العالم ببيعته على السمع والطاعة ، فيدخل فى بيعته كـــل مأمور أعلى وأدنى إلا العالين من الملائكة والأفراد من البشر ، الذين لا يدخلون

تحت دائرة القطب وما له فيهم تصرف) [2] ، وعلى هذا أصبح لكل طريقة صوفية خليفة أعظم يرجعون إليه فى أمورهم [3] .

(2- الخليفة هو الله على اعتبار الوحدة ، فالعبد يستخلف ربه فى دعائه عند ابن عربى لا على معنى الاستعانة والتوكل ، والله يستخلف العبد لا على معنى الابتلاء والتكليف ، ولكن على اعتبار الظهور والتعينات ، يقول محى الدين ابن عربى : (يقول رسول الله ε فى دعائه ربه فى سفره : " أنت الصاحب فى

1. الفتوحات المكية 148/4 .
2. بلغة الخواص ق60 ، فصوص الحكم 163/1 .
3. البناء الاجتماعى للطريقة الشاذلية فى مصر للدكتور فاروق أحمد مصطفى ص319 .

السفر والخليفتة فى الأهل " [1] ، فما جعله خليفة فى أهله ، إلا عند فقدهم إياه فينوب الله عن كل شئ ، أى يقوم فيه مقام ذلك الشئ بهويته) [2] .

ومن كلامه أيضا : (وإنما كانت الخلافة لآدم عليه السلام دون غيره من أجناس العالم ، لكون الله تعالى خلقه على صورته) [3] .

ويقول : (إن الإنسان هو العين المقصودة لله من العالم ، وإنه الخليفة حقا وإنه محل ظهور الأسماء الإلهية وهو الجامع لحقائق العالم كله) [4] .

****

59ـ الخـــــوف

****

- **الخوف** : ضد الأمن ، وهو توقع مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة كما أن الرجاء والطمع ، توقع محبوب عن أمارة مظنونة أو معلومة ، قال الله تعالى : { وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ } [الأنعام/81] . ويستعمل الخوف فى الأمور الدنيوية والأخروية [5] :

---

1. جزء من حديث ابن عمر أخرجه مسلم فى كتاب الحج (1342) .
2. الفتوحات المكية 136/3، 137 .
3. السابق 263/1 .
4. السابق 125/1 .
5. المفردات ص162 ، ولسان العرب 99/9 ، وكتاب العين 312/4 .

1- فمن الخوف المتعلق بالأمور الدنيوية قوله تعالى عن موسى υ : { فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ } [القصص/18] وقوله تعالى : { وَإِنْ خِفْتُمْ أَلا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ } [النساء/3] وقوله : { وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا } [النساء/35] ، وعن أسامة بن زيد τ ، قال : " بعثنا رسول اللَّه ε في سرية فأدركت رجلا ، فقال : لا إله إلا اللَّه ، فطعنته ، فوقع في نفسي من ذلك فذكرته للنبي ε ، فقال رسول اللَّه ε : أقال لا إله إلا اللَّه وقتلته ؟ قلت : يا رسول اللَّه ، إنما قالها خوفا من السلاح ، قال : أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا ؟ " [1] ، وقد ورد فى السنة ما يدل على خوفه ε من أمور تقع فيها أمته منها :

أ- عن أبي سعيد الخدري τ قال ε : " أخوف ما أخاف عليكم ، ما يخـــرج اللَّه لكم من زهرة الدنيا ، قالوا : وما زهرة الدنيا يا رسول اللَّه ؟ ، قال : بركات الأرض " (2) .

ب- وعن جابر τ قال ε : " إن أخوف ما أخاف على أمتي ، عمل قوم لوط " (3) .

---

1. أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان (96) 96/1 .
2. أخرجه مسلم فى كتاب الزكاة (1052) 728/2 .
3. حديث حسن ، أخرجه الترمذى فى كتاب الحدود (1457) 58/4 وابن ماجه فى سننه (2563) 856/2 .

ح- وعن عمر بن الخطاب τ ، أن رسول اللَّه ε قال : " إن أخوف ما أخاف على أمتي ، كل منافق عليم اللسان " (1) .

د- ومن حديث محمود بن لبيد τ ، أن رسول اللَّه ε قال : " إن أخوف مـــا أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول اللَّه ؟ قال : الرياء" (2) .

هـــ- وعن أبي الدرداء τقال : " عهد إلينا رسول اللَّه ε أن أخوف ما أخاف عليكم الأئمة المضلون " (3) .

2- ومن الخوف المتعلق بالأمور الأخروية ، قوله تعالى : { تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنْ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا } [السجدة/16] ، وقوله : { وَيَرْجُونَ

رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ } [الإسراء/57] ، وعن أبي هريرة τ ، عن النبي ε قال : " سبعة يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله ، وذكر منهم .. ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال ، فقال : إني أخاف الله " [4] .

---

1. أخرجه أحمد فى المسند (144) ، وابن حبان فى صحيحه برقم (80) وقال شعيب الأرناؤوط : إسناده صحيح على شرط البخارى 281/1 .
2. أخرجه أحمد فى المسند (23119) والطبرانى فى الكبير (4301) وصححه الألبانى فى سلسلة الأحاديث الصحيحة (951) .
3. أخرجه أحمد فى المسند (26939) والدارمى فى المقدمة (211) وصححه الألبانى فى سلسلة الأحاديث الصحيحة (1582) .
4. أخرجه البخارى فى كتاب الزكاة (1423) 344/3 .

والخوف يطلق كاصطلاح شرعى على صلاة المحارب ، فعن ابن عباس τ قال : (فرض اللَّه الصلاة على لسان نبيكم ε ، في الحضر أربعا ، وفي السفر ركعتين ، وفي الخوف ركعة) [1] .

الخوف فى الاصطلاح الصوفى :

والخوف فى الاصطلاح الصوفى ، اسم جامع لحقيقة الإيمان ، وهو علم الوجود والإيقان ، وهو سبب اجتناب كل نهى ، ومفتاح كل أمر ، وليس شئ يحرق شهوات النفوس ، فيزيل آثار آفاتها إلا مقام الخوف [2] .

والخوف عندهم معنى يتعلق بالمستقبل ، وهو ما يحذر من المكروه فى المستأنف ، لأنه إنما يخاف أن يحل به مكروه ، أو يفوته محبوب ، ولا يكون هذا

إلا لشئ يحصل فى المستقبل ، فأما ما يكون فى الحال موجـــودا ، فـــالخوف لا يتعلق به ، والخوف من الله تعالى ، هو أن يخاف أن يعاقبه الله ، إما فى الـــدنيا وإما فى الآخرة ، وقد فرض الله سبحانه على العباد أن يخافوه فقال تعالى :
{ وَخَافُونِي إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } [آل عمران/175] ، وقال : { فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِي } [النحل/51] ومدح المؤمنين بالخوف ، فقال : { يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ } [النحل/50] وينقسم الخوف إلى نوعين [3] :

---

1. أخرجه مسلم فى كتاب صلاة المسافرين (687) 479/1 .
2. قوت القلوب 225/2 .
3. الرسالة القشيرية 342/1 ، حياة القلوب على هامش قوت القلوب 183/2 .

أ – الخوف الواجب وهو ما يمنع من المحرمات ويحمل على القيام بالواجبات .

ب – الخوف المندوب وهو ما يمنع عن كل مكروه وعن تعاطى الشبهات .

روى عن أبى سليمان الدارانى (ت:215هـ) : أنه قال (إذا سكن الخوف القلب أحرق الشهوات) [1] ، وينسب إلى شقيق البلخى (ت:قبل 237هـ) قوله : (من لم يكن معه ثلاثة أشياء ، لا ينجو من النـــار ، الأمـــن والخـــوف والاضطراب) [2] ، ولذى النون المصرى (ت:245هـ) : (إذا صح الـــيقين فى القلب صح الخوف فيه ، فالخوف رقيب العمل والرجاء شفيع المحن) [3] .

ويروى عن يحى بن معاذ الرازى (ت:258هـ) أنه قال : (مسكين ابن آدم لو خاف من النار ، كما يخاف من الفقر لدخل الجنة) [4] ، ويذكر أن الجنيد

بن محمد (ت:297هـ) سئل عن الخوف ؟ فقال : (هو توقع العقوبة مع مجارى الأنفاس) [5] .

ويروى عن أبى على الدقاق (ت:410هـ) قال : (الخوف من شرط الإيمان وقضيته لقوله تعالى : { وَخَافُونِي إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } [آل عمران/175]) [6] .

---

1. طبقات الصوفية ص81 .
2. السابق ص66 .
3. السابق ص21 ، ص24 .
4. الرسالة القشيرية 1/ 345 .
5. السابق 1/ 346 .
6. السابق 1/ 343 .

ولما كان الخوف مما يسكن القلب ، وهو من المعانى التى لا ترى ، كانت معرفته بظهور علاماته على الخائف ، وقد ذكروا بعضا منها [1] :

(1- الخائف يبصر ما هو فيه من الخير والشر .

(2- ليس الخائف الذى يبكى ويمسح عينيه ، إنما الخائف من يترك ما يخاف إن يعذب عليه .

(3- علامة الخوف الحزن الدائم .

(4- الخائف من أنزل نفسه مترلة السقيم ، الذى يحتمى من كل شئ مخافة طول السقام .

(5- علامة الخوف التحير والاضطراب .

(6- علامة الخوف قصر الأمل .

(7- علامة الخوف دوام المراقبة فى السر والعلانية .

(8- علامة الخوف الورع عن الآثام ظاهرا وباطنا .

(9- علامة الخوف النحول فى الجسم ، والإصفرار فى اللون ، وقد تتفتت منه المرارة ويفضى إلى الموت .

ويجتهد المكى فى تفصيل مقامات الخوف دون دليل ، فيقول : الخوف اسم جامع لمقامات الخائفين ، ثم يشتمل على خمس طبقات فى كل طبقة ثلاث مقامات [1] :

- فالمقام الأول من الخوف : هو التقوى ، وفى هذا المقام المتقون والصالحون والعاملون .
- والمقام الثانى من الخوف : هو الحذر ، وفى هذا المقام الزاهدون والورعون والخاشعون .
- والمقام الثالث : هو الخشية وفى هذا طبقات العالمين والعابدين والمحسنين .
- والمقام الرابع : هو الوجل ، وهذا للذاكرين والمخبتين والعافين .

1. انظر الرسالة القشيرية 348:342/1 ، واللمع فى التصوف ص 90:89 وقوت القلوب 229:225/2 ، ومنارات السائرين ومقامات الطائرين ص380 ، وإحياء علوم الدين 173:163/4 .

« والمقام الخامس :هو الإشفاق وهو للصديقين ، وهم الشهداء والمحبون وخصوص المقربين ، وخوف هؤلاء عن معرفة الصفات لأجل الموصوف لا عن مشاهدة الاكتساب لأجل العقوبات .

ويذكر الكاشانى أن الخائفين من اللّه سبحانه ، منهم من يبلغ الخوف به إلى حد الانخلاع عن طمأنينة الأمن خوفا من العقوبة أو من المكر أو الهيبة ، ويقسم الخوف إلى أنواع [2] :

1. خوف العامة : من العقوبة تصديقا بالوعيد .
2. خوف أرباب المراقبة : من المكر فى جريان الأنفاس .
3. خوف الخاصة : إجلال وهيبة ، إذ ليس فى مقام الخصوص وحشة الخوف

---

1. قوت القلوب 241/2 .
3. لطائف الإعلام 458:456/1 .

فالهيبة والإجلال هو أقصى درجة يشار إليها فى غاية الخوف ، فإن الخوف من الإعراض ، إنما يكون على قدر الإقبال وحيثما كان الإقبال أتم كان الخوف من الإعراض أشد وحيث لا أتم من إقبال اللّه على عبده ، فكذا لا خوف أشد من الإجلال والهيبة .

****

60ـ الدعـــــوى

****

الدعوى : الدعاء إلى الشئ الحث على قصده ، قال تعالى عن يوسف عليه السلام : { قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ } [يوسف/33] { وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلامِ } [يونس/25] ، والدعوة ترد على معنى النداء والطلب كقوله تعالى : { قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا } [البقرة/69] ، وقوله سبحانه : { وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ } [فصلت/31] أى ما تطلبون ، وعن أم عطية رضى الله عنها قالت : " أمرنا أن نخرج الحيض يوم العيدين وذوات الخدور ، فيشهدن جماعة المسلمين ودعـوقم ، ويعتـزل الحيض عن مصلاهن " [1] ، وعن أبي هريرة τ ، قال ε : " حق المسلم علـى المسلم خمس ، رد السلام وعيادة المريض واتباع الجنائز وإجابة الدعوة وتشميت العاطس " [2] .

1. أخرجه البخارى فى كتاب الصلاة (351) 556/1 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب الجنائز (1240) 135/13 .

والدعوى الادعاء ، كقوله تعالى : { فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا } [الأعراف/5] ، والادعاء أن يدعى شيئا أنه له ، كما روى عن ثابت بن الضحاك τ ، عن النبي ε قال : " ليس على رجل نذر فيما لا يملك ، ولعن المؤمن كقتله ، ومن قتل نفسه بشيء في الدنيا عذب به يوم القيامة ، ومن ادعى دعوى كاذبة ليتكثر بها ، لم يزده اللَّه إلا قلة " [1] .

والدعوة مختصة أيضا بادعاء النسبة ، فعن عبد الله بن عمرو بن العــاص τ أن رجلا قال : فلان ابني ، فقال رسول اللَّه ε : " لا دعــاوة في الإســلام " [2] وأصل الدعوة للحالة التي عليها الإنسان نحو القعدة والجلسة ، قال تعالى :

{ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْــدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } [يونس/10] ، وعن ابن مسعود τ ، قال النبي ε : " ليس منا من لطم الخدود ، وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية " [3] ، وروى عن جابر بن عبد اللَّه τ ، قال : " كسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار فــاجتمع قوم ذا وقوم ذا ، وقال هؤلاء يا للمهاجرين ، وقال هؤلاء يا للأنصــار فبلــغ ذلك النبي ε ، فقال : دعوها فإنها منتنة ، ألا ما بال دعوى أهل الجاهلية

1. أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان (110) 110/1 .
2. أخرجه أحمد فى المسند (6932) واللفظله ، وأبو داود فى كتاب الطلاق (2274) وقال الألبانى : حسن صحيح 2/ 283 .
3. أخرجه البخارى فى كتاب الجنائز (1294) 195/3 .

ألا ما بال دعوى أهل الجاهلية " [1] .

الدعوى فى الاصطلاح الصوفى :

الدعوى فى الاصطلاح الصوفى أن تضيف النفس إليها ما ليس لها ، بادعــاء النسبة لحال شريف يتوق إليه [2] .

روى عن مالك بن دينار والحسن البصرى وشقيق البلخى ، أنهم ذهبوا لزيارة رابعة العدوية (ت:185هـ) فى مرضها ، فقال لها الحسن : ليس بصادق فى دعواه من لم يصبر على ضرب مولاه .

فقالت رابعة : هذا كلام يشم فيه رائحة الأنانية .

فقال شقيق : ليس بصادق فى دعواه من لم يشكر على ضرب مولاه .

فقالت رابعة : يجب أن يكون أحسن من هذا .

فقال مالك : ليس بصادق فى دعواه من لم يتلذذ بضرب مولاه .

فقالت رابعة : يجب أن يقال أحسن من هذا .

فقالوا لها : تكلمى أنت يا رابعة .

فقالت : ليس بصادق فى دعواه من لم ينس الضرب فى مشاهدة مولاه [3] .

---

1. أخرجه أحمد فى المسند (14221) واللفظ له ، وأخرجه البخارى فى كتاب المناقب (3518) ، وانظر كتاب العين للخليل بن أحمد 221/2 ، والمغرب في ترتيب المعرب 288/1 ، والمفردات ص170 .
2. اللمع ص428 .
3. تذكرة الأولياء 1/ 71 ، 72 .

ويروى عن سهل بن عبد الله التسترى (ت:293هـ) أنه قال : أغلظ حجاب بين العبد وبين الله ، الدعوى ، وقال منشدا :

ولما ادعيت الحب قالت كذبتنى : فما لى أرى الأعضاء منك كواسيا [1] .

وينسب إلى أبى عمرو الزجاجى أنه سأل الجنيد (ت:297هـ) عن المحبة ؟ فقال : (تريد الإشارة ؟ قلت : لا ، قال : تريد الدعوى ؟ قلت : لا ، قال : فأيش تريد ؟ قلت : عين المحبة ، فقال : أن تحب ما يحب الله تعالى ، فى عباده وتكره ما يكره الله تعالى فى عباده) [2] .

ويذكر لابن عطاء الأدمى (ت:311هـ) أنه قال : (ثلاثة مقرونة بثلاثة الفتنة مقرونة بالمنية ، والمحبة مقرونة بالاختيار ، والبلوى مقرونة بالدعوى) [3] .

ولأبى الخير الأقطع (ت:340هـ) : (الدعوى رعونة لا يحتمل القلب إمساكها ، فيلقيها إلى اللسان ، فتنطق بها ألسنة الحمقى ، ولا يعرف الأعمى ما يبصره البصير من محاسنه وقبائحه) [4] .

وروى عن أبى عمرو الزجاجى (ت:348هـ) أنه كان يقول : (من ليس له دعوى ، فليس فيه معنى) [5] ، ويعنى بذلك أن تضيف النفس إليها من الطاعات التى ليست من أخلاقها وتكون معها بينة لما تدعى .

---

1. اللمع ص429 .
2. طبقات الصوفية ص163 .
3. السابق ص269 .
4. السابق ص372 .
5. اللمع ص429 .

وقال الحسين بن منصور الحلاج (ت:309هـ) معبرا عن مذهبه الحلولى : (ما صحت الدعاوى لأحد ، إلا لإبليس وأحمد ، غير أن إبليس سقط عن العين ، وأحمد كشف له عن عين العين ، قيل لإبليس : اسجد ، ولأحمد : انظر

هذا ما سجد، وأحمد ما نظر ، ما التفت يمينا ولا شمالا : { مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى } [النجم/17] ، أما إبليس فإنه دعا ، لكنه ما رجع عن حوله ، وأحمد ادعى ورجع عن حوله ، بقوله : بك أحول وبك أصول ، وبقوله : يا مقلب القلوب وقوله : لا أحصى ثناء عليك) [1] .

وقال أيضا : (فصاحبى وأستاذى إبليس وفرعون ، إبليس هدد بالنار وما رجع عن دعواه ، وفرعون أغرق فى اليم ، وما رجع عن دعواه ، ولم يقر بالواسطة أبدا ، وإن قتلت أو صلبت أو قطعت يداى ورجلاى ، ما رجعت عن دعواى) [2] .

****

61ـ الدنيـــــــــا

****

- **الدنيا** : الدنو القرب ويستعمل فى الزمان والمكان والمنزلة [3] :

---

1. الطواسين للحلاج نشر ماسينيون ص52Υ51 .
2. السابق ص52 .
3. كتاب العين للخليل بن أحمد 75/7 ، المفردات ص172 .

1- قرب الزمان : ومنه سميت الدنيا لقرب انتهائها ، كقوله تعالى عن إبراهيم υ : { وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنْ الصَّالِحِينَ } [النحل/122] والدنيا معاش الإنسان ، ووسيلته إلى الآخرة ، فمهما طال زمان المرء فيها فهو

منصرم ، وعن أبي هريرة τ ، كان ε يقول : " اللَّهم أصلح لي ديني الذي هـو عصمة أمري ، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي ، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي " [1] ، ومن حديث عمر بن الخطاب τ ، قـال ε : " إنما الأعمـال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها ، أو إلى امرأة ينكحها ، فهجرته إلى ما هاجر إليه " [2] ، وعن أبي بن كعب τ ، قـال رجل : " يا رسول اللَّه ، أرأيت إن جعلت صلاتي كلها عليك ؟ قـال : إذن يكفيك اللَّه تبارك وتعالى ما أهمك من دنياك وآخرتك " [3] ، ومن حديث أنس τ ، أن النبي ε مر بقوم يلقحون ، فقال : لو لم تفعلوا لصلح ، قـال فخـرج شيصا فمر بهم ، فقال : ما لنخلكم ، قالوا : قلت كذا وكذا ، قال : أنتم أعلم بأمر دنياكم " [4] .

2- قرب المكان : كقوله تعالى : { قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ } [الحاقة/23] ، وقوله : { وَمِنْ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ } [الأنعام/99] ، وعن أبي سعيد الخدري τ ، قـال

1. أخرجه مسلم فى كتاب الذكر (2720) 2087/4 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب بدء الوحى (1) 13/1 .
3. أخرجه أحمد فى المسند (20736) واللفظ له ، وقال الألبانى : حسن ، والترمذى فى كتاب صفة القيامة والرقاق (2457) 636/4 وقال : حسن صحيح .
4. أخرجه مسلم فى كتاب الفضائل (2363) 1836/4 .

أسيد بن حضير : فرفعت رأسي إلى السماء فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح فخرجت حتى لا أراها : قال رسول الله ε : وتدري ما ذاك ؟ تلك الملائكــة دنت لصوتك ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها لا تتوارى منهم) [(1)] .

3- قرب المترلة والمكانه : وعبر به عن عدة أشياء ، عبر بالأدنى عن الأصــغر فيقابل بالأكبر نحو : { وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ الْعَذَابِ الأَدْنَى دُونَ الْعَــذَابِ الأَكْبَــرِ } [السجدة/21] { وَلا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ } [المجادلة/7] ، وعبر بــالأدنى عــن الأرذل والأحقر ، فيقابل بالخير والأبقى نحو قوله : { بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الــدُّنْيَا وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى } [الأعلى/ 17:16] وقوله تعالى : { قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ } [البقرة/61] ، وعبر بالأدنى عن الأول ، فيقابل بــالآخر نحو قوله : { وَإِنَّ لَنَا لَلآخِرَةَ وَالأُولَى } [الليل/13] ، وقوله سبحانه وتعالى : { لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ } [البقــرة/220:219] ، وعبر بالأدنى عــن الأقرب فيقابل بالأقصى والأبعد ، كما روى عن جابر بن عبد الله τ ، قال ε : " إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه ، فأدناهم منه مترلة أعظمهم فتنة يجيء أحدهم ، فيقول : فعلت كذا وكذا ، فيقول : ما صنعت شيئا ، قال : ثم يجيء أحدهم ، فيقول : ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأتــه ، قــال : فيدنيه منه ، ويقول : نعم أنت " [(2)] ، ونحو قوله تعالى : { إِذْ أَنْــتُمْ بِالْعُــدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ } [الأنفال/42] .

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب فضائل القرآن (5018) 680/8 .
2. أخرجه مسلم فى كتاب صفة القيامة (2813) 2167/4 .

الدنيا فى الاصطلاح الصوفى :

حظي اصطلاح الدنيا باهتمام بالغ لدى الصوفية ، وعند الأوائل منهم على وجه الخصوص ، فهم ما برحوا يمحصون حقيقتها وغايتها وموقعها فى قلوبهم وإن كانت أغلب أقوالهم تنصب على ذمها والحذر منها ، وتصويرها فى أبشع ما يكون للنفس ، وأفعالهم أيضا تدل على النفور منها مطلقا إلا ما لا بد لهم منه ، روى عن أبى سليمان الدرانى (ت:215هـ) ، أنه قال : (لكل شئ مهر ومهر الجنة ، ترك الدنيا بما فيها) [1] ، وينسب أيضا لأحمد بن أبى الحوارى (ت:230هـ) : أنه قال : (الدنيا مزبلة ومجمع الكلاب ، وأقل من الكلاب من عكف عليها ، فإن الكلب يأخذ منها حاجته ، وينصرف والمحب لها ، لا يزايلها بحال) [2] ، ويذكر لشقيق البلخى (ت:قبل 237هـ) : (عملت فى القرآن عشرين سنة ، حتى ميزت الدنيا من الآخرة ، فأصبته فى حرفين ، وهو قوله تعالى : { وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى } [القصص/60] [3] ، ويروى أن أحمد بن خضرويه (ت:240هـ) استقرض من رجل مائة ألف درهم ، فقال له الرجل : أليس أنتم الزهاد فى الدنيا ؟ ما تصنع بهذه الدراهم ؟ قال : أشترى بها لقمة ، فأضعها فى فم مؤمن ولا أجترئ ، أن أسأل ثوابه من الله تعالى ، قال : لم ؟ ، قال : لأن الدنيا كلها

---

1. طبقات الصوفية ص81 .
2. السابق ص102 .
3. السابق ص64 .

لا تزن عند الله جناح بعوضة ، وما مائة ألف درهم فى الدنيا من جناح بعوضة ؟ لو أخذتها فطلبت بها شيئا ما الذى تعطى بها ؟ والدنيا كلها لها هذا القدر ؟ [1] ، ولأبى على الثقفى (ت:328هـ) : (أف من أشغال الدنيا إذا أقبلت ، وأف من حسراتها إذا أدبرت ، والعاقل من لا يركن إلى شئ ، إذا أقبل كان شغلا ، وإذا أدبر كان حسرة) [2] .

ومن أمثلة الاجتهاد المحمود للصوفية ، فى كشف حقيقة الدنيا ومعرفتها ، من خلال البحث فى الأصول القرآنية والنبوية :

[1 - ما كتبه الحارث بن أسد المحاسبى (ت:243هـ) عن الغرور بالدنيا ، إذ يبين أن الغرة بالدنيا عن الآخرة ، إيثار الدنيا والاشتغال بها عن الآخرة ، وهو قوله عز وجل : { فَلا تَغُرَّنَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ } [فاطر/5] وقول الله تعالى : { وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا مَتَاعُ الْغُرُورِ } [آل عمران/185] ، فاغتر الكافرون بها ، لما رأوا من فعل الله عز وجل بهم ، من إكرامه لهم بالدنيا ورفعتها وسعتها ، فظنوا أن ذلك لم يكن من الله عز وجل ، إلا لمترلتهم عنده وأنهم أحق بالخير من غيرهم ، ثم هم بعد ذلك على وجهين :

أ- فرقة منهم شكاك فى الآخرة ، يقولون فى أنفسهم وبألسنتهم ، إن يكن لله عز وجل معاد ، فنحن أحق به من غيرنا ، ولنا فيه النصيب الأوفر اغترارا بما

---

1. السابق ص104 .
2. السابق ص364 .

ظهر لهم من خير الدنيا وكرامتها ، وقد حكى الله ذلك عن الرجلين اللـــذين تحاورا ، فقال الكافر منهما للمؤمن المحاور له : { وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنقَلَبًا } [الكهف/36] .

ب- وفرقة منهم يغترون بنعم الله عز وجل فى الدنيا ، فلا يرون أن الله عـــز وجل أخذهم بعقوبة فى الدنيا ، وأنه إنما أعطاهم ما أعطاهم من الدنيا لما علـــم منهم من الخير ، وأنهم عنده بالمترلة العظمى ، كقول الله عز وجل إخبارا عـــن مقال موسى لقارون ، يخوفه بأس الله عز وجل فقال : { قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَـــى عِلْمٍ عِندِي } [القصص/78] ، فقال الله عز وجل : { أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا } [القصــص/78] ، أى لم يمنع الله عز وجل ما أعطاهم من نعيم الدنيا لما كفروا أن يعذهم ، فلـــم يعلـــم قارون أن الله عز وجل قد فعل ذلك بغيره ، وذلك من الله عز وجل اســـتدراج لمن أراد أن يهلكه ويعذبه ، ليغتر بنعم الله عز وجل : { سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ } [القلم/44] [1] .

ثم يقول فى الكشف عن حقيقة الدنيا فى بيان قرآنى دقيق : (أخبرنا الله أن الدنيا فتنة وبلوى واختبار ، وأنها ليست بدليل على رضا الله عن العبـــاد ، ألم تسمع قوله تعالى : { فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّـــي أَكْرَمَنِي وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِي } [الفجـــر/ 16:15] قال الله عز وجل : { كَلا } فكذهما جميعا ، فليس هذا بكرامتى ولا هذا بهوانى

---

1. الرعاية لحقوق الله ص343 ، ص345 .

ولكن الكريم من أكرمته بطاعتى على أى حال كان ، فقيرا كان أو غنيا ، فاغتر الكافرون بظاهر نعم الله عز وجل ، وظنوا أن ذلك من كرامتهم على الله عـــز وجل وكذلك وصفهم ، فقال : { أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَـــنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لا يَشْعُرُونَ } [المؤمنون/56:55]) [1] .

[2 – ويحاول أبو طالب المكى (ت:386هـــ) أن يستقصـــى حقيقـــة الدنيا معتمدا على مجموع الأصول القرآنية ، وما يسفر عنه البحث فيها ، فقال : (لا يمكن لعبد أن يعرف الزهد ، حتى يعرف الدنيا أى شئ هى ، فقد قـــال الناس فى الزهد أشياء كثيرة ، ونحن غير محتاجين إلى ذكر أقوالهم ، بما بـــين الله تعالى وأغنى بكتابه الذى جعل فيه الشفاء والغنى) [2] .

ويعتمد المكى فى معرفة الدنيا ، على مجموعة من الآيات التى وصفت حقيقة ويقارن بينها إلى أن يصل إلى وصف واحد يبين حقيقة الدنيا :

الآية الأولى : وتبين الدنيا من خلال حصر أنواع المشتهيات فيها ، وهى سبعة أصناف وردت فى قوله سبحانه وتعالى : { زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّـــهَوَاتِ مِـــنْ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنْ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَـــوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْـــدَهُ حُسْـــنُ الْمَـــآبِ } [آل عمران/14] يقول أبو طالب المكى معقبا : (فهذه سبعة أوصاف ، هى جملة متاع الدنيا ، وما تفرع من الشهوات رد إلى أصل من أصول هذه الجمـــل ، فمـــن أحب جميعها فقد

---

1. السابق ص346 .

2. قوت القلوب 1/ 245 .

أحب جملة الدنيا ، ومن أحب أصلا منها أو فرعا من أصل ، فقد أحب بعض الدنيا ، وعلمنا بنص كلام الله أن الشهوة دنيا ، وفهمنا من دليله أن الحاجات ليست بدنيا لأنها تقع ضرورات ، فإذا لم تكن الحاجة دنيا ، دل أنها لا تسمى شهوة وإن كانت قد تشتهى) (1) .

الآية الثانية : وتبين الدنيا من خلال علل الاشتهاء فيها وحصرها فى خمسة أنواع : { اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ } [الحديد/20] ، يقول المكى معقبا : (فرد الأوصاف السبعة إلى خمسة معان ، هى وصف من أحب تلك السبعة) (2) .

الآية الثالثة : وتبين اختصار العلل ، وتركيزها فى معنين جامعين من العلل الخمسة السابقة : { إِنَّمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ } [محمد/36] .

الآية الرابعة : وتبين الدنيا من خلال وصف واحد جامع ، يرجع إليه ما سبق فقال تعالى : { وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنْ الْهَوَى } [النازعات/40] فصارت الدنيا طاعة النفس للهوى ، فمن نهى نفسه عن الهوى ، فهو لم يؤثر الدنيا ، وإذا لم يؤثر الدنيا ، فهذا هو الزاهد الذى لا يفرح بعاجل موجود من حظ النفس ، ولا يحزن على مفقود من ذلك ، يأخذ الحاجة من كل شئ عند الحاجة إلى الشئ ، ولا يتناول عند الحاجة إلا سد الفاقة ، ولا يطلب الشئ قبل الحاجة ، فأول الزهد دخول غم الآخرة فى القلب ، ثم وجود حلاوة المعاملة لله تعالى ، ولا يدخل هم الآخرة ، حتى يخرج هم الدنيا ، ولا تدخل حلاوة

1. السابق 1/ 245   2. السابق 1/ 246 .

المعاملة ، حتى تخرج حلاوة الهوى) [1] .

[3- وعلى الوتيرة نفسها يبين أبو حامد الغزالى (ت:505هـ) أن معرفة ذم الدنيا لا تكفي ما لم يعرف المرء حقيقة الدنيا المذمومة ما هى ؟ وما الذى ينبغى أن يجتنب منها ، وما الذى لا يجتنب ، فلا بد من بيان الدنيا المذمومة المأمور باجتنابها ، لكونها عدوة قاطعة لطريق الله ، ما هى ؟ يقول : (دنياك وآخرتك عبارة عن حالتين من أحوال قلبك ، فالقريب الدانى منها يسمى دنيا ، وهو كل ما قبل الموت ، والمتراخى المتأخر يسمى آخرة ، وهو ما بعد الموت ، فكل ما لك فيه حظ ونصيب وغرض وشهوة ولذة عاجل الحال قبل الوفاة ، فهى الدنيا فى حقك) [2] ، إلا أنه يبين أن جميع ما يميل إليه المرء ، وله فيه نصيب وحظ فليس بمذموم بل هو ثلاثة أقسام [3] :

القسم الأول : ما يصحبك فى الآخرة وتبقى معك ثمرته بعد الموت ، وهو شيئان العلم والعمل فقط ، ويعنى بالعلم العلم بالله وصفاته وأفعاله ، وملائكته وكتبه ورسله ، وملكوت أرضه وسمائه ، والعلم بشريعة نبيه ، ويعنى بالعمل العبادة الخالصة لوجه الله تعالى ، وقد يأنس العالم بالعلم .

القسم الثانى : وهو المقابل له على الطرف الأقصى ، كل ما فيه حظ عاجل ولا ثمرة له فى الآخرة أصلا ، كالتلذذ بالمعاصى كلها ، والتنعم بالمباحات الزائدة

1. السابق 1/ 246 .
2. إحياء علوم الدين 214/3 .

3. السابق 215/3 .

على قدر الحاجات ، والضرورات الداخلة فى جملة الرفاهية والرعونات كالتنعم بالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة ، والخيل المسومة والأنعام والحرث والغلمان والجوارى والخيول والمواشى والقصور والدور ، ورفيع الثياب ولذائذ الأطعمة ، فحظ العبد من هذا كله هى الدنيا المذمومة ، وفيما يعد فضولا أو فى محل حاجة نظر طويل .

القسم الثالث : وهو متوسط بين الطرفين ، كل حظ فى العاجل معين على أعمال الآخرة ، كقدر القوت من الطعام ، والقميص الواحد الخشن ، وكل ما لا بد منه ، ليتأتى للإنسان البقاء والصحة ، التى بها يتوصل إلى العلم والعمل وهذا ليس من الدنيا كالقسم الثانى ، لأنه معين على القسم الأول ووسيلة إليه فمهما تناوله العبد على قصد الاستعانة به على العلم والعمل ، لم يكن به متناولا للدنيا ولم يصر به من أبناء الدنيا ، وإن كان باعثه الحظ العاجل دون الاستعانة على التقوى ، التحق بالقسم الثانى وصار من جملة الدنيا .

****

62ـ الذكـــــــر

****

- **الذكر** : الحفظ للشيء وجريانه على اللسان ، والذكر نوعان [1] :

1- ذكر بالقلب ، ويراد به هيئة للنفس بها يمكن للإنسان أن يحفظ ما يقتنيه من

1. مختار الصحاح ص 93 ، ولسان العرب 308/4 ، والمفردات ص179 .

المعرفة ، وهو كالحفظ إلا أن الحفظ يقال اعتبارا بإحرازه ، والذكر يقال اعتبارا باستحضاره ، وحضور الشئ فى القلب ذكره وتذكره ، بإرادة أو بغير إرادة وضده نسيانه وتناسيه ، بإرادة أيضا أو بغير إرادة ، قال تعالى :

{ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِي إِلا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ } [الكهف/63] ، وقال سبحانه : { فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا } [البقرة/200] ، وعن ابن عباس رضي اللَّه عنهما أنه قال : " إن أم الفضل سمعته وهو يقرأ ، والمرسلات عرفا فقالت : يا بني ، واللَّه لقد ذكرتني بقراءتك هذه السورة ، إنها لآخر ما سمعت من رسول اللَّه ε ، يقرأ بها في المغرب " [1] .

2- ذكر باللسان سواء باستحضار القلب أو غيره ، قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلا } [الأحزاب/42:41] ، وعن كعب بن عجرة τ ، عن رسول الله ε قال : " معقبات لا يخيب قائلهن أو فاعلهن دبر كل صلاة مكتوبة ، ثلاث وثلاثون تسبيحة ، وثلاث وثلاثون تحميدة ، وأربع وثلاثون تكبيرة " [2] وعن أبي هريرة τ ، قال رسول اللَّه ε : " رغم أنف رجل ذكرت عنده ، فلم يصل علي " [3] ، ومن حديث ابن عباس

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب الأذان (763) 287/2 .
2. أخرجه مسلم فى كتاب المساجد (596) 418/1 .

3. أخرجه الترمذى فى كتاب الدعوات (3545) وقال الألبانى : حسن صحيح 550/5 وابن حبان فى صحيحه (908) 189/3 .

τ ، كان النبي ε يدعو ويقول : " رب اجعلني لك ، شكارا لك ، ذكارا لك رهابا لك ، مطواعا لك ، مخبتا إليك ، أواها منيبا " [1] .

والذكر قد يطلق على بعض المعانى الاصطلاحية الواردة فى الأصول القرآنية والنبوية منها : القرآن سماه الله ذكرا لقوله تعالى : { وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا } [طه/99:100] وقوله : { وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ } [الأنبياء/50] ، وقوله : { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } [الحجر/9] ، ويطلق أيضا على اللوح المحفوظ : لما روى عن عمران بن حصين τ ، قال ε : " كان اللّه و لم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء ، وكتب في الذكر كل شيء ، وخلق السموات والأرض " [2] ، وعن أبي هريرة τ ، قال ε : " لقي آدم موسى فقال : أنت آدم الذي خلقك اللّه بيده ، وأسجد لك ملائكته ، وأسكنك الجنة ، ثم فعلت ؟ ، فقال : أنت موسى الذي كلمك اللّه ، واصطفاك برسالته ، وأنزل عليك التوراة ، ثم أنا أقدم أم الذكر ؟ قال : لا بل الذكر ، فحج آدم موسى ، فحج آدم موسى عليهما السلام " [3] .

---

1. أخرجه الترمذى فى كتاب الدعوات (3551) وقال الألبانى : صحيح 554/5 وأبو داود (1510) 83/2 .

2. أخرجه البخارى فى كتاب بدء الخلق (3192) 331/6 .

3. أخرجه أحمد فى المسند (9664) واللفظ له ، وأخرجه البخارى فى كتاب أحاديث الأنبياء (3409) .

ويطلق الذكر أيضا على خطبة الجمعة والصلاة : لما روى عن أبي هريرة τ قال رسول الله ε : " إذا كان يوم الجمعة ، كان على كل باب من أبواب المسجد الملائكة ، يكتبون الأول فالأول ، فإذا جلس الإمام طووا الصحف وجاءوا يستمعون الذكر " [1] ، ولقوله تعالى عن المنافقين : { وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلا قَلِيلا } [النساء/142] ولما روى عن حنظلة الأسيدي τ قال رسول اللَّه ε : " والذي نفسي بيده لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر ، لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم " [2] ، ويطلق الذكر أيضا على مجالس العلم ، على اعتبار ما فيها من ذكر الله والتعلق بطاعته ، لما روى عن أبي هريرة τ ، عن النبي ε قال : " إن لله تبارك وتعالى ملائكة سيارة فضلا ، يتتبعون مجالس الذكر ، فإذا وجدوا مجلسا فيه ذكر قعدوا معهم ، وحف بعضهم بعضا بأجنحتهم ، حتى يملئوا ما بينهم وبين السماء الدنيا ، فإذا تفرقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء " [3] وعن أنس بن مالك τ أن رسول اللَّه ε قال : " إذا مررتم برياض الجنة ، فارتعوا قالوا : وما رياض الجنة ؟ قال : حلق الذكر " [4] .

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب بدء الخلق (3211) 351/6 .
2. أخرجه مسلم فى كتاب التوبة (2750) 2106/4 .
3. أخرجه مسلم فى كتاب الذكر (2689) 2069/4 .

4. أخرجه الترمذى فى كتاب الدعوات (3510)) وقال الألبانى : حسن 532/5 والطبرانى فى المعجم الكبير (11158) 95/11 .

الذكر فى الاصطلاح الصوفى :

والذكر عند المعتدلين من الصوفية ، ورد فى أغلب عباراتهم متوافقا مع المعنى القرآنى ، كما أنه يمثل ركنا قويا فى طريق الحق سبحانه وتعالى ، بل هو عمدة الأمر ، فلا يصل أحد إلى الله عندهم إلا بدوام الذكر ، لقوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا } [الأحزاب/41] ، ومن خصائصه أنه غير مؤقت ، بل ما من وقت من الأوقات إلا والعبد مأمور بذكر الله ، إما فرضا وإما ندبا ، والذكر بالقلب مستدام فى عموم الحالات ، لقوله تعالى : { الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ } [آل عمران/191] ، قياما بحق الذكر وقعودا عن الدعوى فيه ، والذكر عندهم على ضربين : ذكر اللسان وذكر القلب ، فذكر اللسان به يصل العبد إلى استدامة ذكر القلب والتأثير لذكر القلب ، فإذا كان العبد ذاكرا بلسانه وقلبه فهو الكامل فى وصفه فى حل سلوكه [1] ، ومما ورد فى معنى الذكر عندهم ، ما روى عن أحمد بن الحوارى (ت:230هـ) أنه قال : (إنما كره الأنبياء الموت ، لانقطاع الذكر عنهم ، وعلامة حب الله حب ذكر الله ، فإذا أحب الله العبد أحبه ، ولا يستطيع العبد أن يحب الله حتى يكون الابتداء من الله بالحب له ، وذلك حين عرف منه الاجتهاد فى مرضاته) [2] ، وينسب إلى ذى النون المصرى (ت:248هـ) ، أنه قال : (من ذكر الله تعالى ذكرا على

الحقيقة نسى فى جنب ذكره كل شئ ، وحفظ الله تعالى عليه كل شئ وكان له

1. الرسالة القشيرية 468:464/2 . 2. طبقات الصوفية ص101 .

عوضا عن كل شئ) [1] ، ويذكر لأبى عثمان النيسابورى (ت:298هـ) أنه قال : (الذكر الكثير ، أن تذكره فى ذكرك له ، أنك لم تصل إلى ذكره إلا به وبفضله) [2] ، وعن أبى محمد الجريرى (ت:311هـ) أنه قال :

(ذكرك منوط بك إلى أن يتصل ذكرك بذكره ، إذ ذاك يرفع ويخلص من العلل ، فما قارن حدث قدما ، إلا تلاشى وبقى الأصل وذهبت الفروع ، كأن لم تكن) [3] ، ويروى أن أبا بكر الواسطى (ت:بعد320هـ) سئل عن الذكر فقال : الخروج من ميدان الغفلة إلى قضاء المشاهد ، على غلبة الخوف وشدة الحب له) [4] وعنه أيضا : (الذاكرون فى ذكره أكثر غفلة من الناسين لذكره لأن ذكره سواه) [5] .

وينسب لأبى العباس الدينورى (ت:بعد340هـ) : (اعلم أن أدنى الذكر أن ينسى ما دونه ، ونهاية الذكر أن يغيب الذاكر فى الذكر عن الذكر ، ويستغرق بمذكوره عن الرجوع إلى مقام الذكر ، وهذا حال فناء الفناء) [6] .

1. الرسالة 466/2 .
2. طبقات الصوفية ص174 .
3. السابق ص263 .

4. الرسالة 466/2 .

5. طبقات الصوفية ص305 .

6. السابق ص447 .

ويذكر الكلاباذى (ت:380هـــ) أن حقيقة الذكر ، أن تنسى ما ســـوى المذكور فى الذكر ، لقوله تعالى : { وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ } [الكهف/24] يعنى إذا نسيت ما دون الله ، فقد ذكرت الله [1] .

ويقسم الكاشانى (ت:735هـــ) الذكر عند الصوفية على أنواع منها ، مـــا يتفق مع المعانى السابقة أو يفترق ، فيذكر منها [2] :

(1- ذكر العامة : وهو ما يتقرب به عامة أهل الإيمان ، من ذكر الله تعالى إما بكلمة الشهادة ، وهى كلمة لا إله إلا الله ، وإما غيرها من التســـبيحات والأدعية والأذكار .

(2- ذكر الخصوص : وهو الذكر الذى يكون من تلقين الشيخ المرشد لذكر معين ، إما كلمة لا إله إلا الله أو غيرها ، وذلك لإزالة قيد وحجاب معين مرشد إلى إزالته شيخ عارف بأدواء النفوس ، يكون تلقينه لذلك الـــذكر أقوى أثرا فى إزالة ظلمة الحجب ، عندما تكون الملازمة لذلك الذكر عن حضور يدفع كل خاطر ، حتى خاطر الحق أيضا ، ويمنع كل تفرقة تخطـــر بالبال ، ويجعل الهم هما واحدا بحيث لا يخطر بالبال غير المذكور ، متوجها إليه بتوجه ساذج عن العقائد المقيدة ، بل على اعتقاد ما يعلم الحق نفســـه

بنفسه فى نفسه ، ويعلم كل شئ وعلى ما تعلم رسله وتفهمه عنه ، بحيث لا يدخل خلوة الذكر إلا وهو خال عن كل معتقد ، سوى الإيمان بما جاء

1. التعرف ص103 .
2. لطائف الإعلام ص468: 471

من عند الله ، على مراد الله ، وبما أخبر به رسول الله ε ، على مراد رسول الله ε .

(3- الذكر الظاهر : ويعنى به ذكر اللسان ، الذى بمداومته يحصل الخلاص من الغفلة والنسيان .

(4- الذكر الخفى : وهو الذكر بالجنان مع سكوت اللسان .

(5- ذكر السر : و هو ما يتجلى له من الواردات .

(6- الذكر الشامل : يعنى به استعمال الظاهر والباطن ، فيما يقرب من الله تعالى بحيث يكون اللسان مشغولا بالذكر ، والجوارح بالطاعات ، والقلب بالواردات .

(7- الذكر الأكبر : يعنى به ما وقعت الإشارة إليه ، بقوله تعالى : { وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ } [العنكبوت/45] والمراد به كمال المعرفة والطاعة ، قال ε : " أنا أعرفكم بالله وأتقاكم له " (1) ، فمن كان فى معرفته ، وطاعته على هذا الحد فهو صاحب الذكر الأكبر .

1. لم يرد فى الحديث لفظ : (أنا أعرفكم بالله) ، ولكنه أخرجه مسلم فى كتاب الصيام (1108) 779/2 عن عمر بن أبي سلمة τ أنه سأل رسول الله ε أيقبل الصائم ؟ فقال له رسول الله ε سل هذه ، لأم سلمة ؟ فأخبرته أن رسول الله ε يصنع ذلك فقال : يا رسول الله ، قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، فقال له رسول الله ε : أما والله إني لأتقاكم لله وأخشاكم له .

(8- الذكر الأرفع : وهو الذكر الأكبر لأنه أرفع الأذكار ، ويسمى الذكر المرفوع أيضا ، وإليه الإشارة بقوله : { وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ } [الشرح/ 4] فإنه تعالى رفعه بذكره وطاعته له ، إلى مرتبة فى الذكر لا يعلوها غيره من الخلائق .

(9- الذكر المرفوع : وهو الأرفع ، وقد يعنى بالذكر المرفوع ذكر الحق لعبده جزاء له على ذكره لربه ، كما جاء فى الكلمات القدسية أنه تعالى يقول : (من ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، ومن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منهم) [1] .

(10- الذكر الحقيقى : يعنى به الذكر المنسوب إلى الذكر بالحقيقة ، فلما كانت الأفعال كلها إنما هى منسوبة إلى الحق حقيقة لا إلى العبد ، كذلك صار الذكر الحقيقى ، إنما هو الذكر المنسوب إلى الحق تعالى لا إلى العبد لأن الذكر المنسوب إلى العبد ، ليس له هذه النسبة الحقيقية ، فإن ذكر العبد ليس هو الذكر الحقيقى ، وأن الأمر فى هذا المعنى وغيره من جميع ما يضاف إلى الحق والخلق ، من باب التسمية الحقيقية والمجازية [2] .

1. أخرجه البخارى فى التوحيد (6856) 2/1ص187 عن أبي هريرة τ ، قال النبي ε : " يقول الله تعالى : أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني ، فــإن ذكــرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منهم وإن تقرب إلي بشبر تقربت إليه ذراعا وإن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا وإن أتاني يمشي أتيته هرولة " .
2. انظر فى مصطلح الذكر عند ابن عربى المعجم الصوفى د/ سعاد حكيم ص272 .

****

63ـ ذو العقـــــــــل

****

ذو العقل : أصل العقل الإمساك والاستمساك ، كعقل البعير بالعقال ، فعن أنس بن مالك τ قال : " بينما نحن جلوس مع النبي ε في المسجد دخل رجل على جمل فأناخه في المسجد ثم عقله ، ثم قال لهم : أيكم محمد ؟ " [1] وعن عدي بن حاتم τ قال : " لما نزلت : { حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِــنْ الْخَــيْطِ الأَسْــوَدِ } [البقرة/187] ، عمدت إلى عقال أسود ، وإلى عقال أبيض فجعلتهما تحت وســادتي ، فجعلت أنظر في الليل فلا يستبين لي ، فغدوت على رسول اللَّه ε فذكرت لــه ذلك ، فقال : إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار [2] ، والعقل يقال لأمرين [3] :

1- القوة المتهيئة لقبول العلم ، وهى الغريزة التى وضعها اللَّه فى قلوب الممتحنين من عباده ، وهذا يعرف بفعاله ولا نعرف كيفيته ، وإليه الإشارة

1. أخرجه البخارى فى كتاب العلم (63) 179/1 .

2. أخرجه البخارى فى كتاب الصوم (1916) 157/4 .

3. المفردات ص341 ، 342 بتصرف ، وانظر العقل ومكانته فى القرآن الكريم إعداد سيد محمد يوسف منصور اللبان ، رسالة ماجستير مخطوط كلية أصول الدين جامعة الأزهر القاهرة سنة 1985م ص33 .

بقول النبى ε : (رفع القلم عن ثلاثة وذكر منها المجنون حتى يعقل) [1] وكل موضع فيه رفع التكليف عن العبد لعدم العقل فلأجل هذا المعنى .

2- العلم الذى يستفيده الإنسان بتلك الغريزة أو القوة يقال له عقل ، كقوله تعالى : { وَمَا يَعْقِلُهَا إِلا الْعَالِمُونَ } [العنكبوت/43] ، وقال جابر بن عبد اللَّه τ يقال : " جاء رسول اللَّه ε يعودني وأنا مريض لا أعقل ، فتوضأ وصب علي من وضوئه فعقلت " [2] .

وكل موضع ذم اللَّه فيه الكفار بعدم العقل ، فإشارة إلى هذا المعنى دون الأول نحو قوله تعالى : { صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ } [البقرة/171] ، ونحو ذلك من الآيات ، والعقل يقال أيضا للعوض المالى المقدر فى الشرع مقابل القتل أو الجراح ، فعن أبي جحيفة قال : قلت لعلي بن أبي طالب : هل عندكم كتاب ؟ قال : لا ، إلا كتاب اللَّه ، أو فهم أعطيه رجل مسلم ، أو ما في هذه الصحيفة ، قلت : فما في هذه الصحيفة ؟ قال : العقل وفكاك الأسير ، ولا يقتل مسلم بكافر) [3] .

وعن أبي هريرة τ أنه قال : " قضى رسول اللَّه ε في جنين امرأة من بني

1. أخرجه الترمذى فى كتاب الحدود (1423) وقال الشيخ الألبانى رحمه الله : صحيح 32/4 ، وابن ماجه فى سننه (2041) 658/1 ، والدارمى (2296) 225/2 وأحمد فى مسنده (1183) .
2. أخرجه البخارى فى كتاب الوضوء (194) 360/1 .
3. أخرجه البخارى فى كتاب العلم (111) 246/1 .

لحيان سقط ميتا ، بغرة عبد أو أمة ، ثم إن المرأة التي قضى لها بالغرة توفيت فقضى رسول اللَّه ε بأن ميراثها لبنيها وزوجها وأن العقل على عصبتها " [1] .

ذو العقل فى الاصطلاح الصوفى :

والعقل عند أوائل الصوفية ، غريزة فى قلوب الممتحنين من عباده ، أقام بـــه على البالغين الحجة ، يولد العبد بها ثم يزيد ، فالعقل الذى منحنا اللَّه قادر على التفكير ، وعلى معرفة ما أنزل اللَّه ، وكل إنسان بلغ سن الرشد ، فقد تحمـــل مسئولية ناتجة من أنه عاقل ، واللَّه لا يهلك قوما إلا ويذكرهم ، ويخاطـــب عقلهم بما يفهم من عبر ، وإذا كان اللَّه قد من علينا بالعقل ، فلكـــى يخاطبنـــا بواسطته [2] .

والعاقل عند أوائل الصوفية هو من أطاع اللَّه واهتدى بهديه ، يقول الحارث بن أسد المحاسبى : (ألا فمن رغب منكم فى العقل ، وأراد السبيل إلى اكتسابه فإن أفضل ما تستفيد بالعقل أن تطيع اللَّه فيما افترض عليك ، وتتجنب ما حرم اللَّه عليك ، فمتى فعلت ذلك أخذت من العقل بنصـــيب ، فبـــذلك جـــاءت الأخبار أن العاقل ، من أطاع اللَّه ولا عقل لمن عصاه) [3] .

1. أخرجه البخارى فى كتاب الفرائض (6740) 25/12 .
2. ماهية العقل ومعناه للحارث المحاسبى تحقيق ، د/ حسين القوتلى طبعة بيروت ، سنة 1972، ص105 ص164، وانظر المزيد عن العقل عند أوائل الصوفية فى رسالة ماجستير بعنوان : موقف الصوفية من العقل حتى نهاية القرن الرابع الهجرى ، للدكتور محمد عبد الله الشرقاوى ، مكتبة كلية دار العلوم جامعة القاهرة (268) 1981م .
3. الرزق الحلال وحقيقة التوكل على اللَّه للمحاسبى ص11 .

ويبين المحاسبى أن اللَّه دعا العقول إلى النظر فى آياته ، والفكر فى عجائب صنعه ، لأن فى ذلك سبيلا لهم إلى معرفته ، وإلى العلم بأنه الخالق الرازق الإله الواحد سبحانه وأن من دونه خلق له ، وأن الخلق كلهم مألوهون مستعبدون لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا ويستدل لذلك ، بقوله تعالى : { إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ } [آل عمران/190:191] ، وبقوله : { سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ } [فصلت/53] [1] .

ويقول الحكيم الترمذى (ت:320هـ) : (العقل اسم واحد ، وسلطانه ناقص وزائد ، يقوى بقوة أركانه ، ويزداد بزيادة سلطانه ، يعقل النفس عن متابعة الهوى ، كما يمنع العقال الدابة من مرتعها ومرعاها ، والعاقل هو الذى يعقل عن الله أمره ونهيه ومواعظه ، ووعده ووعيده ، ويفهم مراده فى الأشياء على قدر ما يوفقه ، ويكشف له من تعظيم أمره واجتناب مناهيه ، وهذه كلها

لا توجد إلا بلطف الله ، وحسن نظره إليه ، فيفضله على غيره باللب الموصوف والنور المعروف) [2] ، ثم يجعل للعقل مقامات متنوعة :

1- عقل الفطرة : وهو الذى يخرج به الصبى والرجل من صفة الجنون ، فيعقل

1. القصد والرجوع إلى اللَّه ص 58 .
2. بيان الفرق بين الصدر والقلب الفؤاد واللب ص 77 .

ما يقال له ، لأنه يؤمر وينهى ، ويميز بين الخير والشر ، ويعرف به الكرامة من الهوان ، والربح من الخسران ، والأباعد من الجيران ، والقرابة من الأجانب .

2- عقل الحجة : وهو الذى به يستحق العبد من الله تعالى الخطاب ، فإذا بلغ الحلم يتأكد نور العقل ، الذى وصف بنور التأيد ، فيؤيد عقله ، فيصل إلى خطاب الله تعالى .

3- عقل التجربة : وهو أنفع الثلاثة وأفضلها ، لأنه يصير حكيما بالتجـــارب يعرف ما لم يكن بدليل ما قد كان ، وهو ما قال رسول الله ε : " لا حكيم إلا ذو تجربة ، ولا حليم إلا ذو عثرة " [1] .

4- العقل الموروث : وصفته أن يكون الرجل كبيرا عاقلا ، حكيما عليما حليما وقورا ، قد ابتلى بولد سفيه أو تلميذ سفيه ، لا ينتفع من صحبته فيورث الله تبارك وتعالى ببركته عقله ونوره ، وضياءه ونفعه ووقاره وسكينته وسمته لهذا السفيه ، فيتغير حاله فى الوقت فيصير وقورا عاقلا على سبيل سلفه ، وهذا إنما يورث يعاينه الإنسان بوفاة الكبير العاقل وتغير الحال فى السفيه الجاهل [2] .

1. ضعيف ، أخرجه الترمذى فى كتاب البر والصلة (1956) وقال الشيخ الألبـــانى : ضعيف 379/4 ، عن أبي سعيد الخدري τ قال : " قال رسول الله ε لا حلـــيم إلا ذو عثرة ولا حكيم إلا ذو تجربة " قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب لا نعرفـــه إلا من هذا الوجه ، وأخرجه أحمد فى المسند (10634) وأخرجه البخارى فى كتاب الأدب موقوفا على معاوية بن أبى سفيان بلفظ (وقال معاوية τ : " لا حكيم إلا ذو تجربة " 546/10 .

2. السابق ص 76 .

أما العاقل عند أصحاب الوحدة فهو المعتنق لمبدأهم ، وهو الذى يرى الخلق فى الظاهر ، والحق فى الباطن ، ويكون الحق عنده مرآة للخلق وتختفـــى المـــرآة حتى تصير فى صورة يظهر هو نفسه فيها ، وهذا هو الاحتجاب المطلق ، فيرى الوجود الواحد بعينه حقا من وجه ، وخلقا من وجه ، فلا يحتجب بالكثرة عن شهود الوجه الواحد الأحد بذاته ، ولا يزاحم فى شهود كثرة الظاهر أحديـــة الذات التى يتجلى فيها ، ولا يحتجب بأحدية وجه الحق عن شـــهود الكثـــرة الخلقية ، ولا يزاحم فى شهوده أحدية الذات المتجلية فى المجالى كثرتهـــا ، وإلى ذلك أشار بن عربى فى قوله [1] :

ففى الخلق عين الحق إن كنت ذا عين

وفى الحق عين الخلق إن كنت ذا عقل [2] .

****

64ـ الـــــــــذوق

****

- **الذوق** : مصدر ذاق الشيء يذوقه ذوقا ، والمذاق طعم الشيء والذوق يقال فى المحسوسات والمعنويات [3] :

---

1. معجم الكاشانى ص181 وكشاف التهانوى 335/2 والتعريفات ص113 .
2. السابق ص181 .
3. لسان العرب 111/10 ، وكتاب العين 201/5 والمفردات ص182 .

1- الذوق فى المحسوسات هو وجود الطعم بالفم ، وأصله فيما يقل تناوله دون ما يكثر ، فإن ما يكثر منه يقال له الأكل ، قال الله تعالى : { فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا } [الأعراف/22] ، وروى عن جابر τ قال : " مكث النبي ε وأصحابه وهم يحفرون الخندق ثلاثا ، لم يذوقوا طعاما " [1] ، وعن أبي هريـــرة τ قال : " الفأرة مسخ وآية ذلك أنه يوضع بين يديها لبن الغنم فتشربه ويوضع بين يديها لبن الإبل فلا تذوقه ، فقال له كعب τ : أسمعت هذا من رسول اللَّه ε ؟ قال : أفأنزلت علي التوراة ؟ " [2] .

2- الذوق فى المعنويات من باب التشبيه ، ومنه عدة معانى :

أ- الذوق : تعبيرا عن استشعار حلاوة الجماع ، لما روى عن عائشة رضي اللَّه عنها ، جاءت امرأة رفاعة القرظي النبي ε ، فقالت : " كنت عند رفاعة فطلقني ، فأَبَتَّ طلاقي ، فتزوجت عبد الرحمن بن الزبير ، إنما معه مثـــل هدبة الثوب ، فقال : أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة ؟ ، لا : حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك " [3] .

ب- الذوق : تعبيرا عن استشعار سكرات الموت ، ومنه قوله تعالى : { كُــلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ } [آل عمران/185] وعن عائشة رضي اللَّه عنــها : أن أبا

1. أخرجه أحمد فى المسند (13799) 300/3 واللفظ له ، وأخرجه البخارى فى كتاب المغازى برقم (4100) .
2. أخرجه مسلم فى كتاب الزهد (2997) 2294/4 .
3. أخرجه البخارى فى كتاب الشهادات (2639) 295/5 .

بكر τ جاء فكشف عن رسول اللَّه ε فقبله ، قال : "بأبي أنت وأمــي طبت حيا وميتا والذي نفسي بيده لا يذيقك اللَّه الموتتين أبدا " [1] ، ومن حديث عائشة رضى الله عنها ، قال عامر بن فهيرة :

إني وجدت الموت قبل ذوقه : إن الجبان حتفه من فوقه [2] .

ج- الذوق : تعبيرا عن الإحساس بالألم والعذاب ، ومنه قوله تعالى : { كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَــذَابَ } [النســاء/56] وعن أبي هريرة τ قال : " جاء مشركوا قريش يخاصمون رسول اللَّه ε في القدر ، فترلت : { يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ } [القمر/49:48] " [3] .

د- الذوق : تعبيرا عن الإحساس بالرحمة والنعمة ، كقوله تعالى : { وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ } [هود/9] ، وقولــه : { وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ } [هود/10] .

و- الذوق : تعبيرا عن الابتلاء والاختبار كقوله تعالى : { وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ } [النحل/112]

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب المناقب (3670) 24/7 .
2. أخرجه أحمد فى المسند (25898) 221/6 واللفظ له ، وأخرجه البخارى فى كتاب الحج (1889) 263/7 .
3. أخرجه مسلم فى كتاب القدر (2656) 2046/4 .

فاستعمال الذوق مع اللباس ، من أجل أنه أريد به التجربة والاختبار أى فجعلها بحيث تمارس الجوع والخوف ، وعن خباب بن الأرت τ قال ε : " إني سألت اللَّه أن لا يذيق بعضهم بأس بعض فمنعنيها " [1] .

الذوق فى الاصطلاح الصوفى :

الذوق فى الاصطلاح الصوفى يراد به الذوق الإيمانى ، تشبيها له بالتذوق فى المحسوسات ، فالأذواق التى يشير القوم إليها ، هى علوم لا تنال إلا لمن كان خالى القلب عن جميع العلائق والعوائق كلها ، وتقرير ذلك عندهم أنه لما استحال على القوة الذائقة أن تدرك شيئا من الطعوم ، ما لم تكن خالية عن التكيف بجميعها ، لكون الرطوبة اللعابية المنبعثة من آلة اللعاب ، إذا لم تكن عديمة الطعم ، فإنه لا يمكن لها أن تؤدى المطعوم على وجهه ، كما يشاهد ذلك من حال المرضى ، إذا تكيفت قوتهم الذائقة بكيفية طعم الخلط الغالب ، فإن طعم الأشياء المأكولة والمشروبة ، لا تتأدى إلا مشوبة بطعم ذلك الخلط الغالب

فكذا حال القوة المدركة للحقائق من الإنسان ، فإنها ما لم تكن خالية عن التكيف بشئ من العقائد والآراء المترسخة فيها ، فإنها لا محالة يستحيل عليها أن تؤدى إلى نفس كيفية تلك الحقائق على ما هى عليه فى أنفسها ، ليمكن النفس من الاطلاع على وجه الحق فيها [2] .

---

1. أخرجه الترمذى فى كتاب الفتن (2175) وقال الشيخ الألبانى : صحيح 471/4 .
2. انظر لطائف الإعــلام 473:471/1 ، والتعريفــات للجرجــانى ص112 ، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى 321/2 بتصرف .

ومما ورد عنهم فى مصطلح الذوق ، ما روى عن ذى النون المصرى (ت:248هــ) أنه قال : (لما أراد أن يسقيهم من كأس محبته ، ذوقهم من لذاذته وألعقهم من حلاوته) [1] .

وينسب لأحمد بن عطاء الروذبارى (ت:369هــ) : (الذوق لأهل المواجيد فأهل الغيبة إذا شربوا طاشوا وأهل الحضور إذا شربوا عاشوا) [2] ، ويــذكر السراج الطوسى (ت:387هــ) أن الذوق عندهم هو ابتداء الشرب ، وينقل عن بعضهم قوله :

يقولون ثكلى ومن لم يذق : فراق الأحبة لم يثكل [3] .

أما الهجويرى (ت:465هــ) فعنده أن الذوق مثل الشرب ، ولكن الشرب لا يستعمل إلا فى الفرح ، أما الذوق فإنه ينطبق على الفرح والبلاء ، كأن يقول قائل : ذقت الخلاف وذقت البلاء ، وذقت الراحة فكل هذا يصح ، ويمكن أن

يقال فى الشرب : شربت بكأس الوصال ، وبكأس الود ، قال تعالى : { كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا } [الطور/19] وحينما ذكر الذوق ، قال جل شأنه : { ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ } [الدخان/49] ، وفى موضع آخر ، قال : { ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ } [القمر/48] [4] .

1. اللمع ص449 .
2. طبقات الصوفية ص498 .
3. اللمع ص449 .
4. كشف المحجوب ص475 .

وقال أبو القاسم القشيرى (ت:465هـ) : (ومن جملة ما يجرى فى كلامهم ، الذوق والشرب ، ويعبرون بذلك عما يجدونه من ثمرات التجلى ونتائج الكشوفات وبوادة الواردات ، وأول ذلك الذوق ثم الشرب ثم الرى فصفاء معاملاتهم يوجب لهم ذوق المعانى ، ووفاء منازلتهم يوجب لهم الشرب ودوام مواصلاتهم يقتضى لهم الرى ، فصاحب الذوق متساكر ، وصاحب الشرب ، سكران وصاحب الرى صاح) [1] .

والذوق عند الصوفية كما تقدم ذوق إيمانى ، لكن تتنوع دلالته عندهم على حسب الايمان بما يعتقده كل منهم ، فالأوائل ذوقهم تشهد له الأصول القرآنية والنبوية ، لأن أصول التوحيد السنى قائمة فى اعتقادهم ، لكن الحلولى منهم مشربه فى الذوق الفناء عن شهود السوى والاتحاد بالله ، ويرى صاحب الذوق

السابق أدنى منه فى المترلة ، كذلك الذوق فى مفهوم القائلين بوحـــدة الوجـــود ذوق إيمانى نبع من نفى الفرق لأن الكل تعينات لذاته ، يقول ابن الفارض :

وعنى بالتلويح يفهم ذائق : غنى عن التصريح للمتعنت
منحتك علما إن ترد كشفه فرد : سبيلى واشرع فى اتباع شريعتى
فمنبع صدى من شراب نقيعة : لدى فدعنى من سراب بقيعة [2] .

فذوق ابن عربى وابن الفارض ومن شاكلهما يختلف عن ذوق الحلاج وأبى يزيد ، يختلف عن ذوق القشيرى والسراج الطوسى وغيرهما ، فكل قـــد علـــم مشربه الإيمانى وذوقه الروحانى .

---

1. الرسالة 239/1 .
2. ديوان ابن الفارض ص60 ، 75 .

****

65ـ الــــران

****

الران : الرنة قلقلة فى الصوت متتابعة ، تحيط بالسمع فتؤثر عليه ، وقـــال مجاهد بن جبير : مرت بنا جنازة ، فقال ابن عمر τ : " لو قمت بنا معها فأخذ بيدي فقبض عليها قبضا شديدا ، فلما دنونا من المقابر ، سمع رنة منخلفه وهو قابض على يدي فاستدارني فاستقبلها ، فقال لها شرا ، وقال : نهى رسول الله ε أن تتبع جنازة معها رانة " [1] ، وقال عمر بن الخطاب τ : " أما بعد أيها الناس ، فإن الأسيفع أسيفع جهينة ، رضي من دينه وأمانته ، بأن يقال : سبق الحاج ، ألا وإنه قد دان معرضا فأصبح قد رين به ، فمن كان له عليه دين فليأتنا بالغداة ، نقسم ماله بينهم ، وإياكم والدين ، فإن أوله هم ، وآخره حرب " [2] ومعنى قد رين به أى أحاط الدين بماله ، من كثرة تتابعه شيئا فشيئا .

---

1. أخرجه ابن ماجة فى كتاب الجنائز (1583) ، وقال الشيخ الألبانى رحمه الله : حسن 504/1 ، والبيهقى فى السنن الكبرى بـــرقم (6915) 64/4 ، والطـــبرانى فى المعجم الكبير برقم (13484) 402/12 .
2. أخرجه مالك فى كتاب الأقضية (1460) 770/2 ، والبيهقى فى سننه (11046) 49/6 ، وفيه عمر بن عبد الرحمن بن دلاف المزنى ، وهو مستور ، انظر الإكمـــال ترجمة رقم (630) ص 306 ، وتعجيل المنفعة بزوائـــد رجـــال الأئمـــة (772) 298/1 والتاريخ الكبير رقم (2071) 172/6 .

والرين صدأ يعلو الشئ الجليل فيعكر صفاءه ، قال تعالى : { كَلا بَـــل رَانَ عَلى قُلوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } [المطففين/14] ، أى صار ذلك كصـــدإ علـــى جلاء قلوبهم ، فعمى عليهم معرفة الخير من الشر [1] ، وعن أبي هريرة τ قـــال رسول الله ε : " إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه ، فـــإن تـــاب ونزع واستغفر صقل قلبه ، وإن زاد زادت حتى يعلو قلبه ، ذاك الرين الـــذي ذكر الله عز وجل في القرآن : { كَلا بَل رَانَ عَلى قُلوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُون َ} " [2] .

الران فى الاصطلاح الصوفى :

الران فى عرف الصوفية ، حجاب حائل بين القلب ، وبين تجلى الحقائق فيه فصاحبه ممنوع من الرؤية بعين البصيرة ، وسببه كثرة الذنوب ، يقول الحـــارث المحاسبى : (إن القلب إذا كان طاهرا لم تعتوره الشهوات ، و لم يغتذ اللذات من الحرام ، و لم تعتقبه الذنوب ، و لم يعل قلبه الرين ، كانت رعايتـــه لحقـــوق الله والقيام ، بها أسهل وتوبته إلى الله أسرع) [3] .

وقال أبو القاسم القشيرى فى قوله تعالى : { كَلا بَل رَانَ عَلى قُلوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } [المطففين/14] : (غطى على قلوبهم ، ما كانوا يكسبون من المعاصى

1. لسان العرب 187/13 ، 193/13 المفردات ص208 .
2. أخرجه الترمذى فى كتاب تفسير القرآن (3334) ، وقال الألبانى : حسن 434/5 أخرجه أحمد فى المسند (7939) ، وابن ماجه (4244) 1418/2 .

3. الرعاية لحقوق الله ص55 .

وكما أنهم اليوم ممنوعون عن معرفته ، فهم غدا ممنوعون عن رؤيته) [1] .

ويذكر الكاشانى أن الرين ينشأ من تراكم الذنب على الذنب ، فتصدأ القلوب بالرسوخ في الذنوب وتتغير جواهرها ، وعندها ينغلق باب المغفرة ، ولذلك قال الله تعالى : { كَلا بَل رَانَ عَلى قُلوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } [المطففين/14] ، أى ارتدعوا عن الرين [2] ، وحده عنده هو الحجاب الحائل بين القلب ، وبين عالم القدس باستيلاء الهيآت النفسانية عليه ، ورسوخ الظلمات الجسمانية فيه بحيث يحتجب عن أنوار الربوبية بالكلية [3] .

وقال أيضا فى الحجاب :

(يقال : الران ، والمراد بذلك انطباع الصور الكونية فى القلب ، على سبيل الاستيعاب له والرسوخ فيه ، بحيث لا يبقى مع ذلك مطمع لتجلى الحقائق فيه لعدم نوريته بتراكم ظلم الحجب المختلفة عليه ، فلهذا يسمى عموم حصول صور الأكوان فى القلب ورسوخها فيها ، حجابا ورينا عليه) [4] .

---

1. لطائف الإشارات 701/3 .
2. تفسير القرآن الكريم للكاشانى ، منسوب لابن عربى ص779 .
3. معجم اصطلاحات الصوفية للكاشانى ص143 .
4. لطائف الإعلام 477/1 .

****

66ـ الرجـــــاء

****

الرجاء : الرجاء ظن يقتضى حصول ما فيه مسرة [1] ، وهو يضاد الخـــوف ويلازمه ، كقوله تعالى : { أُوْلَئِكَ الذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلى رَبِّهِمْ الوَسِيلةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ } [الإسراء/57] ، وقوله : { وَتَرْجُونَ مِنْ اللهِ مَا لا يَرْجُونَ } [النساء/104] ، وعن أنس τ ، أن النبي ε دخل على شـــاب وهو في الموت ، فقال : كيف تجدك ؟ قال : أرجو الله يا رسول الله ، وأخاف ذنوبي ، فقال رسول الله ε : لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا المـــوطن ، إلا أعطاه الله ما يرجو ، وآمنه مما يخاف " [2] .

والرجاء فى جميع الأدلة الواردة فى الكتاب والسنة ، يدور حول معنى الرغبـــة والتمنى والطلب ، وكثرة الإلحاح فى الدعاء ، فمن حديث النعمان بن بشير τ أنه ε قال عن أصحاب الغار : " فقال رجل منهم .. فلما رأت ذلك أســـلمت إلي نفسها ، فلما تكشفتها وهممت بها ، ارتعدت من تحتي ، فقلت لها : ما شأنك ؟ ، قالت : أخاف الله رب العالمين ، قلت لها : خفتيه في الشـــدة ، و لم

---

1. المفردات ص 190 ، ولسان العرب 309/14 ، كتاب العين 176/6 .

2. أخرجه ابن ماجة فى كتاب الزهد (4261) وقال الشيخ الألبانى : حسن 1423/2 والترمذى برقم (983) 311/3 ، وأبو يعلى فى مسنده برقم (3303) 57/6 .

أخفه في الرجاء ، فتركتها وأعطيتها ما يحق علي بما تكشفتها " [1] .

وعن أم عطية قالت : " كنا نؤمر أن نخرج يوم العيد ، حتى نخرج البكر من خدرها ، حتى نخرج الحيض ، فيكن خلف الناس فيكبرن بتكبيرهم ، ويدعون بدعائهم ، يرجون بركة ذلك اليوم وطهرته " [2] ، وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : " لما أنزلت هذه الآية : { لنْ تَنَالوا البِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ } [آل عمران/92] قام أبو طلحة τ ، إلى رسول الله ε فقال : " إن أحب أموالي إلي بيرحاء ، وإنها صدقة لله أرجو برها ، وذخرها عند الله فضعها يا رسول الله حيث أراك الله " [3] ، وعن أبي هريرة τ ، أن النبي ε قال لبلال عند صلاة الفجر : " يا بلال حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام ، فإني سمعت دف نعليك بين يدي في الجنة ، قال : ما عملت عملا أرجى عندي أني لم أتطهر طهورا في ساعة ليل أو نهار ، إلا صليت بذلك الطهور ما كتب لي أن أصلي " [4] .

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ،قال رسول الله ε : " أربعون خصلة ، أعلاهن منيحة العتر ، ما من عامل يعمل بخصلة منها ، رجاء ثوابها

---

1. أخرجه أحمد فى المسند برقم (17950) واللفظ له ، وأخرجه البخارى فى كتاب البيوع برقم (2215) .
2. أخرجه البخارى فى كتاب الجمعة برقم (971) 2/.535

3. أخرجه البخارى فى كتاب الزكاة برقم (1461) 3/.381.
4. أخرجه البخارى فى كتاب الجمعة برقم (1149) 41/3 .

وتصديق موعودها إلا أدخله الله بها الجنة " [1] .

ومن حديث أبى هريرة τ قال ε : " قَال مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيل الله دَعَاهُ خَزَنَةُ الجَنَّةِ كُل خَزَنَةِ بَاب أَيْ فُل هَلمَّ ، قال أبو بكر τ : يا رسـول الله ذاك الذي لا تَوَى عَليْهِ فَقَال النَّبِيٌّ ε : إِنِّي لأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنهُمْ " [2] .

وعن سهل بن سعد τ ، أنه سمع النبي ε يقول يوم خيبر : " لأعطين الرايـة رجلا يفتح الله على يديه ، فقاموا يرجون لذلك ، أيهم يعطى ؟ فغدوا وكلهم يرجو أن يعطى ، فقال : أين علي ؟ " [3] ، ومن حديث عائشة رضي الله عنها قال ملك الجبال للنبي ε : " إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين ، فقال النبي ε : بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم ، من يعبد الله وحده ، لا يشرك به شيئا " [4] .

الرجاء فى الاصطلاح الصوفى :

الرجاء فى الاصطلاح الصوفى من أعمال القلوب التى تتعلق بحصول محبـوب فى المستقبل ، وسكون القلب بحسن الوعد ، والثقة بالجود من الكريم الودود فهو عندهم قوت الخائفين ، وفاكهة المحرومين ، ومن جملة مقامـات الطـالبين

1. أخرجه البخارى فى كتاب الهبة برقم (2631) 287/5 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب الجهاد برقم (2841) 57/6 .

3. أخرجه البخارى فى الموضع السابق (2942) 129/6 .
4. أخرجه البخارى فى كتاب بدء الخلق برقم (3231) 360/6 .

وأحوالهم [1] ، وأغلب عبارات الصوفية ، تدور حول هذا المعنى ، روى عن الحارث المحاسبى (ت:243هـ) ، وقد سئل عن الرجاء ؟ ، فقال : (الطمع فى فضل الله تعالى ورحمته ، وصدق حسن الظن عند نزول الموت) [2] ، وحكى عن ذى النون المصرى (ت:248هـ) أنه كان يدعو ، ويقول : " اللهم إن سعة رحمتك أرجأ لنا من أعمالنا عندنا ، واعتمادنا على عفوك أرجأ عندنا من عقابك لنا " [3] .

وينسب لأبى محمد الجريرى (ت:311هـ) : (الرجاء طريق الزهاد والخوف سلوك الأبطال) [4] ، ولأبى على الروذبارى (ت:322هـ) : (الخوف والرجاء هما كجناحى الطائر ، إذا استويا استوى الطير ، وتم طيرانه ، وإذا نقص أحدهما وقع فيه النقص ، وإذا ذهبا صار الطائر فى حد الموت) [5] ، ويروى عن عبد الله بن خفيف الشيرازى (ت:371هـ) ، أنه قال : (الرجاء استبشار بوجود فضله) [6] .

---

1. انظر التعريفات للشريف الجرجانى ص114 ، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى 84/3 بتصرف .
2. طبقات الصوفية ص59 .
3. اللمع ص92 .
4. طبقات الصوفية ص264 .

5. الرسالة القشيرية 357/1 .
6. السابق 357/1 .

وقال أبو القاسم القشيرى (ت:465هـــ) : (الرجاء تعلق القلب بمحبوب سيحصل فى المستقبل ، وكما أن الخوف يقع فى مستقبل الزمـــان ، فكـــذلك الرجاء يحصل لما يؤمل فى الاستقبال ، وبالرجاء عيش القلوب واستقلالها والفرق بين الرجاء وبين التمنى ، أن التمنى يورث صاحبه الكسل ، ولا يسلك طريـــق الجهد والجد وبعكسه صاحب الرجاء فالرجاء محمود والتمن معلول) [1] .

وقد قسم الكاشانى الرجاء عند الصوفية إلى عدة أنواع [2] :

(1- رجاء المجازاة : يعنى به الرجاء الذى يبعث العامل على الاجتهاد وتلـــذذه عند الخدمة ويوجب له سماحة نفسه بترك الملاهى ، وهو ما يتوقعه من المجـــازاة على قيامه بالأمر الذى وعد بالثواب عليه ، وترك النهى الذى توعد بالعقـــاب على فعله ، ومثل هذا إنما ينشط فى عمل الطاعات ، وترك الخطيئات لأجل ما يرجوه فى الجنان ، عوضا عما بذل من مراد نفسه وحظوظها ، فهو يترك مـــا يترك من المناهى التى هى مثل شرب الخمر والزنا وأشباه ذلك مـــن المحرمـــات الملذة عند مقترفيها ، لما يرجوه من الرحيق المختوم والحور العين وغير ذلك ممـــا وعد الحق به فى دار الرضوان ، فهو لولا ذلك ، لما هان عليـــه تـــرك مصـــائد الشيطان ، فلهذا صار هذا الرجاء ضعيفا فى نظر هذه الطائفة ، إذ كان العامل عليه إنما ينشط فى عمل رجاء الجزاء ، كمثل الصبى الذى ينشط إلى حفظ تلقينه رغبة فيما وعد عليه من الحلوى .

1. السابق 357/1 . 2. لطائف الإعلام 484:482/1 .

(2- رجاء أرباب الرياضات : هو تصفية القلوب ليستعد بذلك للقاء المحبوب بما يحملون على أنفسهم ، من المجاهدات لها على ترك مألوفاها وملذاها ، وإنما كان هذا النوع من الرجاء ضعيفا أيضا ، لأن أهل الرياضة مشغولون بتطهير القلوب ، فهم بعد لم يبلغوا منازل القرب التى لا تحصل إلا بعد تطهير القلوب .

(3- رجاء أرباب القلوب : هو لقاء المحبوب الحق جل اسمه ، وإنما يعد هذا النوع من الرجاء ضعيفا أيضا ، لأن الرجاء للشئ ، إنما يكون فى وقت الغيبة وحيث أن الأمر عند هذه الطائفة ، إنما ينبنى على الحضور والمشاهدة ، صار الرجاء عندهم من المراتب الإلهية لا محالة بالجملة ، لما فى الرجاء من تعلق الهمة بما لعل الله أراد غيره ، فلهذا لا يعتد بالرجاء من أعرض عن الاعتراض ونفى عنه الأغراض [1] .

والصوفية ليسوا جميعا على ما ذكره الكاشانى فى تقسيمه ، يعدون الرجاء حال الضعفاء من أهل السلوك ، بل ما ورد فى عباراهم السابقة يدل على خلاف ذلك ، ومن ثم فإن الرجاء المذكور فى كلام الكاشانى ، محمول على من أسقط رؤية العوض فى العبادة ، وهؤلاء يعتبرون الرجاء من الرعونة التى هى الوقوف مع حظ النفس الذى يرجى حصوله ، وأول الطريق عند هذه الطائفة الخروج عن النفس ، فضلا عن شهواها فى الدنيا أو الآخرة ، ولذلك استدل الكاشانى بقول الحلاج :

أريدك لا أريدك للثواب : ولكنى أريدك للعقاب

1. السابق 482/1 .

فكل مآربى قد نلت منها : سوى ملذوذ قلبى بالعذاب [1] .

يقول الكاشانى : (فجعل غاية مطلوبه أن يتلذذ بالعذاب ، وليس أن مقصوده من العذاب التلذذ به ، وإلا لكان ذلك رعونة من جهة طلب اللذة ، ومن جهة الاقتراح بتخصيصها ، ومن جهة طلب خرق العادة الذى هو حصول اللذة فى محل الإيلام ، بل إنما أراد بذلك أن يرى حسن رضاه بأحكام مولاه ، بما لــيس للنفس فيه حظ بوجه) [2] .

****

67ـ الرضـــــــا

****

الرضا : الرضا يرد على معنى القناعة والاختيار والتسليم [3] ، كقــول الله تعالى : { وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنْ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْــدَاهُمَا الأُخْرَى } [البقرة/282] ، وقوله سبحانه : { قَدْ نَرَى تَقَلُبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَل وَجْهَكَ شَطْرَ المَسْجِدِ الحَرَامِ } [البقرة/144] وقوله : { إِلا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ } [النساء/29] .

---

1. وانظر ديوان الحلاج طبعة مكتبة الكليات الأزهرية ص 70 .

2. السابق 482/1 .

3. المفردات ص 197 ، ولسان العرب 323/14 ، وكتاب العين 57/7 .

وعن سعد بن أبي وقاص τ ، أن رسول الله ε خرج إلى تبوك واستخلف عليا ، فقال : " أتخلفني في الصبيان والنساء ، قال : ألا ترضى أن تكون مني بمترلة هارون من موسى ، إلا أنه ليس نبي بعدي " [1] ، ومن حديث عمر بن الخطاب τ قال : " فرأيت أثر الحصير في جنبه فبكيت ، فقال : ما يبكيك ؟ فقلت يا رسول الله : إن كسرى وقيصر فيما هما فيه وأنت رسول الله ، فقال : أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة " [2] .

والرضا يرد أيضا على معنى ينافى التسخط ، أو الحزن أو الغضب ، كما قال تعالى : { وَمِنْهُمْ مَنْ يَلمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ } [التوبة/58] ، وقال تعالى : { وَلا يَحْزَنَّ وَيَرْضَوْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ } [الأحزاب/51] ، ومن حديث عمار بن ياسر τ ، أنه سمع رسول الله ε يقول : " وأسألك كلمة الحق في الرضا والغضب " [3] .

وعن أنس بن مالك τ أن رسول الله ε قال : " عظم الجزاء مع عظم البلاء ، وإن الله إذا أحب قوما ابتلاهم ، فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط " [4] ، ومن حديث عبد الله بن عمرو بن العاص τ قال : " قلت يا

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب المغازى برقم (4416) 716/7 .

2. أخرجه البخارى فى كتاب تفسير القرآن برقم (4913) 525/8 .

3. أخرجه النسائى فى السهو برقم (1305) ، وقال الألبانى : صحيح 54/3 .

4. أخرجه ابن ماجة فى الفتن (4031) ، وقال الألبانى : حسن 1338/2 .

رسول الله أكتب ما أسمع منك ؟ قال : نعم قلت : في الرضا والسخط ؟ قال نعم ، فإنه لا ينبغي لي أن أقول في ذلك إلا حقا "[1] ، ومن حديث أبي سعيد الخدري τ ، قال رسول الله ε : " ألا إن الغضب جمرة توقد في جوف ابن آدم ، ألا ترون إلى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه ، فإذا وجد أحدكم شيئا من ذلك ، فالأرض الأرض ، ألا إن خير الرجال من كان بطيء الغضب سريع الرضا ، وشر الرجال من كان سريع الغضب بطيء الرضا "[2] ، والرضا فى الكتاب والسنة على نوعين[3] :

أ – رضا العبد عن الله ولازمة ثلاثة أمور : الرضا بالله ربا ، وهو أن لا يكره ما يجرى به قضاؤه قبل السعى وبعده ، والرضا بالإسلام دينا ، وهو أن يخضع لأمره ونهيه ، والرضا بمحمد ε نبيا ورسولا ، ألا يحدث فى دين الله أمرا يخالف سنة نبيه ε ، وقد دل على الثلاثة حديث أنس بن مالك τ ، أن رسول الله ε خرج حين زاغت الشمس ، فصلى الظهر ، فقام على المنبر فذكر الساعة فذكر أن فيها أمورا عظاما ثم قال : " من أحب أن يسأل عن شيء ، فليسأل

---

1. أخرجه أحمد فى المسند (6891) واللفظ له ، وأبو داود فى كتاب العلم (3646) 318/3 ، والدارمى فى المقدمة برقم (484) 136/1 .

2. أخرجه أحمد فى المسند برقم (10759) واللفظ له ، وأخرجه الترمذى فى كتاب الفتن برقم (21911) وقال حسن صحيح 483/4 .

3. المفردات ص197 .

فلا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم ، ما دمت في مقامي هذا ، فأكثر الناس في البكاء وأكثر أن يقول سلوني ، فقام عبدالله بن حذافة السهمي فقال : من أبي ؟ قال : أبوك حذافة ، ثم أكثر أن يقول : سلوني فبرك عمر على ركبتيه ، فقال : رضينا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا ، فسكت ثم قال : عرضت علي الجنة والنار آنفا في عرض هذا الحائط فلم أر كالخير والشر "[1] .

ب- رضا الله عن العبد ، وهو أن يراه مؤتمرا لأمره ومنتهيا عن نهيه ، قال الله تعالى : { جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ } [البينة/ 8] وقال تعالى : { لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ } [الفتح/18] ، وقال تعالى : { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمْ الإِسْلامَ دِينًا } [المائدة/3] ، وعن ابن عمر τ ، " كان رسول الله ε إذا استوى على بعيره خارجا إلى سفر كبر ثلاثا ثم قال : { سُبْحَانَ الذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ } [الزخرف/ 14:13] ، اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى ، ومن العمل ما ترضى "[2] .

الرضا فى الاصطلاح الصوفى :

والرضا عند أغلب الصوفية ، يرد على معنيين وردت بهما الأصول القرآنية :

1. أخرجه البخارى فى كتاب مواقيت الصلاة برقم (540) 27/2 .
2. أخرجه مسلم فى كتاب الحج برقم (1342) 978/2 .

الأول : الرضا بالأمر الكونى وهو الرضا بالقضاء والقدر ، مع مراعاة أن الواجب على العبد أن يرضى بالقضاء الذى أمر بالرضى به ، إذ ليس كل ما هو بقضائه يجوز للعبد ، أو يجب عليه الرضا به ، كالمعاصى وفنون محن المسلمين [1] روى عن أبى سليمان الدارانى (ت:215هـ) أنه قال : (علموا النفوس الرضى بمجارى المقدور ، فنعم الوسيلة إلى درجات المعرفة) [2] ، ويروى أن ذى النون المصرى (ت:248هـ) سئل عن الرضا ؟ فقال : سرور القلب بمر القضاء [3] .

وعن أحمد بن عطاء الآدمى (ت:311هـ) قال : (الرضا نظر القلب إلى قديم اختيار الله للعبد فإنه اختار له الأفضل) [4] ويروى عن أبى على الدقاق (ت:410هـ) : (ليس الرضا ألا تحس بالبلاء ، إنما الرضا ألا تعترض على الحكم والقضاء) [5] .

الثانى : الرضا بالأمر الشرعى ، وهو استسلام العبد لله ، فيذم ما ذمه الله ويكره ما كرهه ، لموافقته رضاه فى كل شئ شرعه ، على تفصيل العلم وترتيب الأحكام ، فما كان من خير وبر أمر الله به أو ندب إليه ، رضى به العبد وأحبه

1. الرسالة القشيرية 422/2 بتصرف .
2. طبقات الصوفية ص81 .

3. اللمع ص80 .
4. التعرف للكلاباذى ص102 .
5. الرسالة القشيرية 422/2 .

شرعا وفعلا ووجب عليه الشكر ، وما كان من شر نهى عنه وتهدد عليه فعلى العبد أن يرضى به عدلا وقدرا ، ويسلمه لمولاه حكمة وحكما ، وعليه أن يصبر عنه ويقر به ذنبا ، ويعترف به لنفسه ظلما ، ويرضى بعود الأحكام عليه بالعقاب ، وأنه اجترحه بجوارحه اكتسابا ، ورضا بأن لله الحجة البالغة عليه وأن لاعذر له فيه ، فهم مع الله فيما أحب وكره [1] ، وروى عن أبى سليمان الدارانى : (إذا سلا القلب من الشهوات فهو راض) [2] ، وعن حاتم الأصم (ت:237هـ) : (من أصبح وهو مستقيم فى أربعة أشياء ، فهو يتقلب فى رضا الله ، أولها الثقة بالله ، ثم التوكل ، ثم الإخلاص ، ثم المعرفة ، والأشياء كلها تتم بالمعرفة) [3] ، ويذكر لأبى تراب النخشبى (ت:245هـ) ، أنه قال : (ليس ينال الرضا من للدنيا فى قلبه مقدار) [4] وروى عن الجنيد بن محمد (ت:297هـ) أنه سئل عن الرضا ؟ فقال : الرضا رفع الاختيار [5] ، ويروى عن أبى القاسم النصرباذى (ت:367هـ) : (من أراد أن يبلغ محل الرضا فليزم ما جعل الله رضاه فيه) [6] .

---

1. قوت القلوب 45/2 بتصرف .
2. الرسالة القشيرية 423/2 .
3. طبقات الصوفية ص94 .

4. الرسالة القشيرية 426/2 .
5. اللمع ص80 .
6. الرسالة القشيرية 422/2 .

ومن عباراتهم التى تجمع بين المعنيين السابقين ، ما روى عن الفضيل بن عياض (ت:187هـ) أنه قال : (أحق الناس بالرضا عن الله ، أهل المعرفة بالله عز وجل) [1] ، وعن أبى سليمان الدارانى قال : (ليس أعمال الخلق بالذى يرضيه ولا بالذى يسخطه ، ولكنه رضى عن قوم فاستعملهم بعمل أهل الرضا وسخط على قوم فاستعملهم بعمل أهل السخط) [2] ، ويروى عن ذى النون المصرى : (ثلاثة من أعلام الرضا : ترك الاختيار قبل القضاء ، وفقدان المرارة بعد القضاء وهيجان الحب فى حشو البلاء) [3] ، ويذكر أن سهل بن عبد الله التسترى (ت:293هـ) قال : (إذا اتصل الرضا بالرضوان ، اتصلت الطمأنينة فطوبى لهم وحسن مآب ، لقوله تعالى : { رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ } [البينة/8] فالرضا فى الدنيا تحت مجارى الأحكام ، يورث الرضوان فى الآخرة بما جرت به الأقلام) [4] ، ولعبد الله بن خفيف الشيرازى (ت:371هـ) : (الرضا على قسمين : رضا به ورضا عنه ، فالرضا به أن يرضاه مدبرا ، والرضا عنه فيما يقضى) [5] .

---

1. طبقات الصوفية ص10 .
2. اللمع ص80 .
3. الرسالة القشيرية 425/2 .

4. التعرف لمذهب أهل التصوف ص102 .
5. الرسالة القشيرية 424/2 .

وربما وردت بعض العبارات فى الرضا ، تدل على المبالغة فيه تخالف ظواهر النصوص القرآنية ، كما نسب إلى الدرانى : (الرضا أن لا تسأل الله تعالى الجنة ولا تستعيذ به من النار) [1] ، وقوله أيضا : (أرجو أن أكون عرفت طرفا من الرضا ، لو أنه أدخلنى النار لكنت بذلك راضيا) [2] ، ولأبى بكر الشبلى أيضا لما قال بين يدى الجنيد : لا حول ولا قوة إلا بالله ، فقال له الجنيد : قولك ذا ضيق صدر ، وضيق الصدر لترك الرضا بالقضاء ، فسكت الشبلى) [3] .

وقد نبه أبو طالب المكى على مخالفة ذلك للصواب فقال : (ولا ينقص الراضى من مقام الرضا ، مسئلة مولاة ومزيد الآخرة وصلاح الدنيا تعبدا بذلك وافتقارا إليه فى كل شئ ، لأن فى ذلك رضاه ، ومقتضى تمدحه بمسئلة الخلائق له ، فإن صرف مسائله إلى طلب النصيب من المولى ، وابتغاء القرب منه حبا له ، وآثره على ما سواه ، كان فاضلا فى ذلك ، لأنه قد رد قلبه إليه وجمع همه بذلك ، وهذا على قدر مشاهدة الراضى عن معرفته وهو مقام المقربين ، وهذا أصل فاعرفه فهو طريق الصوفيين وعليه عمل العارفين من السلف فلم يكن يضرهم عندهم خلاف من خالف) [1] .

---

1. السابق 425/2 .
2. السابق 426/2 .

3. السابق 425/2 .
4. قوت القلوب 44/2 .

وقد قسم الكاشانى الرضا عند الصوفية إلى خمسة أنواع [1] :

1- رضا العامة : هو أن يرضى هو بالله ربا ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد ε نبيا ، بحيث يكون الله ورسوله أحب الأشياء إليه ، وأولاها عنده بالتعظيم وأحقها بالطاعة .

2- رضا الخاصة : هو أنهم كما رضوا بالله ربا ، فإذا قد رضوا به مالكا ومتصرفا فى جميع أحوالهم بما قضى وقدر ، بحيث لا يجد العبد فى نفسه حرجا من قطع يده ، وموت ولده ، وهذا هو الوقوف الصادق ، مع مراد الحق تعالى وقوفا بالحقيقة ، من غير تردد فى ذلك .

3- رضا المحب : وهو قريب من رضى الخاصة ، بحث لا يجد العبد فى نفسه حرجا من قطع يده ، وموت ولده إلا أن هذا المحب ، هو الذى يكون رضاه بذلك ، لكونه لا يجد لنفسه رضا ولا سخطا لسقوط مراداته ، فإن الرضا فرع عن الإ رادة ، وقد سقطت فى حق هذا العبد بمشاهدته ، بأن هذا الواقع ليس إلا على وفق إرادة الحكيم فى صنعه الرحيم بفعله ، ومن كان هذا بالنسبة إليه أرجح وأميز من غيره ، فقد زال أيضا عن التحكم وسقوط الإختيار وفقد التمييز ، ولو أدخل النار لأنه لا يرى ، أن ذلك عن إرادة الحق الصادرة عن الحكيمية والرحيمية ، وعند ذلك يتحقق بالرضا عن الله فى كل ما يريده ، وفى ذلك تصحيح مقام الرضا المختص بأهل المحبة الصادقين فيها .

1. لطائف الإعلام 492:490/1 .

4- رضا الحق على العبد : وهو ثمرة رضا الخاصة ، وهو أن لا يفقد تعالى عبده حيث أمره ، ولا يجده حيث نهاه ، وذلك بأن يكون العبد مطيعا لربه فى كل ما أمره به ونهاه عنه ، وهذا هو العبد الذى قد أرضى ربه .

5- رضا العبد عن الرب : هو رضا المحب كما مر ، وهو أن لا يبقى للعبد تعلق بغير ، ما أراده الحق تعالى له ، وذلك بأن لا يجد فى نفسه حرجا مما قدره الحق وقضاه ، ولو فى قطع يده وموت ولده ، فإن المحبة الحقيقية لا تصح إلا مع محبة ما هو مراد المحبوب [1] .

****

68ـ الرعاية

****

الرعاية : الرعى فى الأصل حفظ الحيوان ، إما بغذائه الحافظ لحياته ، وإما بذب العدو عنه ، يقال رعيته أى حفظته وأرعيته جعلت له ما يرعى ، والمرعى موضع الرعى [2] قال تعالى : { وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلكَ دَحَاهَا أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا } [النازعات/31:30] ، وقال : { كُلوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ } [طه/54] .

1. انظر المزيد عن مصطلح الرضا عند الصوفية فى رسالة ماجستير بعنوان مقام الرضا عند صوفية القرنين الثالث والرابع الهجريين ، إعداد محمد مختار محمد مصلح ، مخطوط كلية الآداب جامعة القاهرة سنة 1988م .

2. كتاب العين للخليل بن أحمد 240/2 ، والمفردات ص198 ، والمغرب 334/1 .

وعن عقبة بن عامر رضى الله عنه ، قال : " كنا مع رسول الله ε ، خدام أنفسنا نتناوب الرعاية ، رعاية إبلنا ، فكانت علي رعاية الإبل ، فروحتها بالعشي ، فأدركت رسول الله يخطب الناس ، فسمعته يقول : ما منكم من أحد يتوضأ فيحسن الوضوء ثم يقوم فيركع ركعتين ، يقبل عليهما بقلبه ووجهه إلا قد أوجب ، فقلت : بخ بخ ما أجود هذه " (1) ، وعن أبي هريرة τ عن النبي ε قال : " بينما رجل راكب على بقرة التفتت إليه فقالت : لم أخلق لهذا خلقت للحراثة ، قال : آمنت به أنا وأبو بكر وعمر ، وأخذ الذئب شاة فتبعها الراعي ، فقال : له الذئب من لها يوم السبع يوم لا راعي لها غيري قال : آمنت به أنا وأبو بكر وعمر " (2) .

واستعير الرعى للحفظ والسياسة ، كقوله تعالى : { فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا } [الحديد/27] أى ما حفظوا عليها حق المحافظة ، وهو مستخدم فى كل سائس لنفسه أو لغيره ، فمن الأول حديث النعمان بن بشير τ ، قال ε : " الحلال بين والحرام بين وبينهما مشبهات ، لا يعلمها كثير من الناس ، فمن اتقى المشبهات استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات كراع يرعى حول

الحمى يوشك أن يواقعه ، ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا إن حمى الله في أرضه

1. أخرجه أبو داود فى كتاب الطهارة برقم (169) وقال الشيخ الألبانى : صحيح 43/1 وابن خزيمة فى صحيحه برقم (222) 110/1.
2. أخرجه البخارى فى كتاب المزارعة برقم (2324) 11/5 .

محارمه ، ألا وإن في الجسد مضغة ، إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب " [1] .

ومن الثانى حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، أن رسول الله ε قال : " كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، الإمام راع ومسئول عن رعيته والرجل راع في أهله ، وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ، والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته " [2] .

ومن حديث أبي السوار τ ، عن خاله قال : " أتى على رسول الله ε فضربني ضربة ، إما بعسيب أو قضيب أو سواك ، أو شيء كان معه ، فوالله ما أوجعني ، فبت بليلة ، قلت : ما ضربني رسول الله ε ، إلا لشيء علمه الله في ، وحدثتني نفسي أن آتي رسول الله ε إذا أصبحت ، فترل جبريل عليه السلام على النبي ε فقال : إنك راع ، لا تكسرن قرون رعيتك ، فلما صلينا الغداة ، قال رسول الله ε : اللهم إن أناسا يتبعوني ، وإني لا يعجبني أن يتبعوني ، اللهم فمن ضربت أو سببت ، فاجعلها له كفارة وأجرا ، أو قال مغفرة ورحمة " [3] .

الرعاية فى الاصطلاح الصوفى :

الرعاية فى الاصطلاح الصوفى ، يقصد بها الرعاية لحقوق الله عز وجل والقيام

1. أخرجه البخارى فى كتاب الإيمان برقم (62) 178/1 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب الجمعة برقم (893) .441/2
3. أخرجه أحمد فى المسند برقم (22563) 294/5.

بها وهى عندهم أمر عظيم ، تولى الله تعالي عليه أنبياءه وأحباءه ، لأنهم رعـــوا عهده وحفظوا وصيته ، وكل ما أمر الله عز وجل بالقيام به ، قد أمر برعايتـــه ورعاية حقوقه ، من واجب مضيق أو موسع ، أو معين أو مخير ، أو مقـــدم أو مؤخر ، لقول النبى ε : " كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته " [1]

ويقسم الحارث بن أسد المحاسبى (ت:243هــ) أهل الرعاية لحقـــوق الله إلى سبع منازل [2] :

فأول منازل الرعاية : الرعاية لحقوق الله عز وجل عند الخطرات على العلـــل والأسباب والأوقات والإدارات ، فلا تخطر بقلبه خطرة من أعمال القلوب إلا جعل الكتاب والسنة دليلين عليها ، فلم يقبلها باعتقاد الضمير ، وبتركها يسكن قلبه فى مجال الفكر من التمنى وغيره ، إلا أن يشهد له العلم أن الله عز وجل قد أمر بها وندب إليها ، أو أذن فيها بأسبابها وعللها ووقتها وإرادتها فيها ، فإنه قد يقبل الخطرة يرى أنها داعية إلى سنة وهى بدعة ، وقد يرى أنها داعية إلى طاعة وهى معصية ، وقد يرى أنها داعية إلى خير وهى شر ، كالخطرة تـــدعو إلى الإخلاص بترك العمل ، وإلى التنزه عن الخلق بالفكر ، وإلى الرجاء على العمل

بالعجب والعزة ، وإلى المنافسة بالحسد ، وإلى الغضب لله عز وجل بتمنى البلاء فى الدنيا والدين للمسلمين ، واعتقاد استحلال ما حرم الله عز وجل منهم ونحو ذلك من الخطرات .

---

1. انظر الرعاية ص37 ، وحياة القلوب على هامش قوت القلوب 100/2 .
2. السابق ص87 ، ص106.

ثم أهل المنزلة الثانية : وهم الذين أغفلوا الرعاية عند الخطرات فى أعمال القلوب ، مما ليس للبدن فيه عمل ، حتى جالت قلوبهم بالفكرة فيما كره الله عز وجل ، ثم تيقظوا قبل أن يعتقدوها بقلوبهم ففزعوا وصرفوا قلوبهم عن ذلك .

وأهل المنزلة الثالثة : الذين أغفلوا الرعاية والمراقبة عند الخطرات وعند الفكر فى أعمال قلوبهم ، حتى اعتقدوا ما كره الله عز وجل من أعمال قلوبهم ، مما لا عمل للبدن فيه مثل العجب والكبر ، والحسد والشماتة ، وسوء الظن وما أشبه ذلك والبدعة ، ثم تيقظوا وفزعوا وذكروا الله عز وجل ، فندموا وخلـوا مـا عقدوا عليه من ذلك بالتوبة إلى الله عز وجل .

وأهل المنزلة الرابعة : الذين أغفلوا المراقبة لله عز وجل ، والرعاية لحقه حـتى هموا وعزموا أن يأتوا ما كره الله عز وجل بجوارحهم ، ثم تيقظوا ورهبوا فندموا على ما أضمروا وخلوا ما عليه عقدوا بضمائر قلوبهم .

وأهل المنزلة الخامسة : الذين أغفلوا مراقبة الله عز وجل وتقواه ، حتى ابتدءوا بالعمل بجوارحهم بما كره الله عز وجل ، من لحظة بعين أو إصغاء بأذن أو مـد

بيد أو خطوة برجل ، ثم تيقظوا وفزعوا وخافوا الله عز وجل ، قبل أن يتموا ما كره الله عز وجل من العمل كالعين يلحظ بها ، ثم يذكر اطلاع الله عز وجل عليه ، وأن الله يسائله عنها أو يخاف أن يغضب عليه ، فيصرف بصره قبل أن يستتم من النظر ما أراد وأحب .

وأهل المترلة السادسة : الذين أغفلوا مراقبة الله عز وجل وتقواه ، حتى استتموا ما كره الله عز وجل من العمل وفرغوا منه ، ثم فزعوا وندموا فتابوا إلى الله عز وجل وأقلعوا ، ولم يصروا على شئ مما كره الله ، بعد ما تيقظوا فعلموا أنهم أسخطوا الله عز وجل بما قدموا وفعلوا وتعرضوا .

وأهل المترلة السابعة : الذين أغفلوا رعاية حقوق الله عزوجل ، حتى فرغوا من الأعمال التى يكرهها الله عز وجل ، ثم فزعوا عند بعضها فأقلعوا عن بعضها وأقاموا على بعضها ، ولم ترسخ أنفسهم بالتوبة من بعضه ، كالرجل يأتى العمل من أعمال السلطان من الجباية والكتابة وغير ذلك ، فيظلم فيه ثم يفزع وينوى ألا يظلم أحدا .

وروى عن عمرو بن عثمان المكى (ت:291هـ) أنه قال : (اعلم أن الرعاية مصحوبة لك فى كل الأحوال ، من العبادة إلى أن تلقى ربك ، كذلك التقوى واعلم أن العلم قائد ، والخوف سائق ، والنفس حَرون بين ذلك ، جموح خداعة رواغة ، فاحذرها وراعها بسياسة العلم ، وسقها بتهديد الخوف يتم لك ما تريد) [1] .

ويذكر الكاشانى أن الرعاية هى صون بالعناية ، لأنه فى الدعاء يقال : رعـاك الله ، أى اعتنى بصونك عما فيه شينك ، وقسمها إلى عدة أنواع [2] :

أ- رعاية الأعمال : وهى سلامتها من النقص ، وذلك يكون بتحقيرهـا إذ كان فيه توفيرها ، فإنك إن لم تستحضر عملك بالنسبة إلى ما يجب عليك وألا

1. طبقات الصوفية ص 203 .

2. لطائف الإعلام 493:492/1 .

يداخلك من التيه ما تفسد به نيتك ، ومن العجب ما يحبط مزيدك ، ولهـذا لا ينبغى لك عند القيام بوظائف العبادات ، أن تنظر إليها بإعجاب أو تتزين بهـا بين الناس ، بل ينبغى أن يكون نظرك إليها مقصورا على النظر فى أدائها وعلى تصحيحه بمقتضى العلم الشرعى الموجب للإخلاص .

ب- رعاية الأحوال : وهى سلامتها عن الاستحسان لها ، وذلك بأن تقدر أن الغالب عليك منها دعوى كاذبة ، لتطهر نفسك بذلك من الرعونـة ويخلـص القلب من نصيب الشيطان .

ج- رعاية الأوقات : بأن تقف مع كل خطرة بتصحيحها بالشروط المعتبرة فى تصحيح خطرات الحق والخطوات إليه ، وذلك بأن تغيب عن حظك من كدر رسمك الذى هو نفسك ، وإنما تصفو من ذلك ، إذا لم تر تقدمك بنفسك بـل بربك ، ثم تغيب عن شهودك لصفوك .

****

69ـ الرغبـــــــة

****

الرغبة : الحرص على الجمع مع منع الحق [1] ، وأصل الرغبة السعة فى الشئ واستعيرت لسعة الإرادة وطول التمنى فيها ، قال تعالى : { إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ

1. انظر لسان العرب 422/1 ، والقاموس المحيط ص115 ، وكتاب العين للخليل بن أحمد 413/4 ، والمغرب فى ترتيب المعرب للمطرزى 335/1 .

فِي الخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا } [الأنبيـــاء/90] ، وعلى هذا الاعتبار كانـــت الرغبة على نوعين [1] :

أ- طلب حصول الشئ والحرص عليه ، فإذا قيل : رغب فيه وإليه ، اقتضـــى ذلك تمنى وقوعه كقوله تعالى : { وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنكِحُوهُنّ } [النساء/127] وقوله : { إِنَّا إِلى اللهِ رَاغِبُون } [التوبة/59] ، ومن السنة فى هذا المعنى ، ما روى عن أبي هريرة τ ، أن رسول الله ε قال : " إذا دعا أحدكم ، فلا يقل اللهم اغفر لي إن شئت ، ولكن ليعزم المسألة وليعظم الرغبة ، فإن الله لا يتعاظمـــه شـــيء أعطاه " [2] ، وقالت أم سلمة رضى الله عنها: " فوضعت له ε وســـادة أدم حشوها ليف ، فقعد عليها فخطبني إلى نفسي ، فلما فرغ من مقالته ، قلت : يا رسول الله ، ما بي أن لا تكون بك الرغبة في ، ولكني امرأة في غـــيرة شـــديدة فأخاف أن ترى مني شيئا يعذبني الله به ، وأنا امرأة دخلت في السن ، وأنا ذات عيال " [3] ، وعن ميمونة رضى الله عنها ، قال رسول الله صـــلى الله عليـــه

وسلم ذات يوم : " كيف أنتم إذا مرج الدين ، وظهرت الرغبة ، واختلفت الإخوان ، وحرق البيت العتيق " [4] .

---

1. المفردات ص198
2. أخرجه مسلم فى كتاب الذكر برقم (2679) 4/.2063
3. صحيح الإسناد ، أخرجه أحمد رقم (15909) واللفظ له ، والترمذى فى كتاب الدعوات برقم 3511) 533/5 ، وأبو داود فى كتاب الجنائز برقم (3115) 191/3 .
4. صحيح الإسناد ، أخرجه أحمد فى المسند برقم (26289) ورواته ثقات .

ومن حديث البراء بن عازب τ ، قال صلى الله عليه وسلم : " إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ، ثم اضطجع على شقك الأيمن ، ثم قل : اللهم أسلمت وجهي إليك ، وفوضت أمري إليك ، وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك " [1] .

ب- طلب البعد عن الشئ والحرص علي امتناع وقوعه ، فإذا قيل : رغب عنه اقتضى ذلك صرف الرغبة عنه والزهد فيه ، نحو قوله تعالى : { وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلةِ إِبْرَاهِيمَ } [البقرة/130] وقوله سبحانه : { قَال أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلهَتِي يَا إِبْراهِيمُ } [مريم/46] ، ومن السنة فى هذا المعنى ، ما روى عن سعيد بن المسيب τ عن أبيه ، أنه لما حضرت أبا طالب الوفاة ، جاءه رسول الله ε ، فوجد عنده أبا جهل بن هشام ، وعبد الله بن أبي أمية ، قال رسول الله ε لأبي طالب : " يا عم قل لا إله إلا الله ، كلمة أشهد لك بها عند الله ، فقال أبو جهل ، وعبد الله

بن أبي أمية : يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فلم يزل رسول الله ε يعرضها عليه ، ويعودان بتلك المقالة ، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم ، هو على ملة عبد المطلب ، وأبى أن يقول لا إله إلا الله "[2] .

ومن حديث أنس بن مالك τ ، قال ε : " أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب الوضوء برقم (247) 426/1 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب الجنائز برقم (1360) 263/3 .

عن سنتي فليس من "[1] ، وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما ، قالت : " قدمت علي أمي وهي مشركة ، في عهد رسول الله ε ، فاستفتيت رسول الله ε قلت وهي راغبة : أفأصل أمي ؟ ، قال : نعم صلي أمك "[2] ، تعني وهي راغبة عن الإسلام .

الرغبة فى الاصطلاح الصوفى :

الرغبة فى اصطلاح الصوفية فوق الرجاء ، لأن الرجاء طمع ، فيحتاج إلى تحقيق ، وأما الرغبة فهى سلوك على تحقيق المرغوب ، والرغبة عندهم على ثلاث درجات[3] :

1- رغبة لأهل الخير تتولد من العلم بعظم شأن المرغوب إليه ، وعظم إحسانه وجزيل إنعامه ، فتبعث على الاجتهاد والطاعة الموجبين للقرب ، وتصون السالك عن العثور .

2- رغبة أرباب الحال ، وهى رغبة لا تبقى من المرغوب شيئا .

3- رغبة أهل الشهود ببذل كل ما فى مجهودهم لطلب الشهود .

قال الحارث المحاسبى (ت:243هـ) : (الذى يشين الورع ويوهنه الرغبة فى الدنيا وكثرة الطمع فيها ودوام الحرص عليها بجمع ما لا يضر فقده) [4] .

1. أخرجه البخارى فى كتاب النكاح برقم (5063) 5/9 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب الهبة برقم (2620) 275/5 .
3. حياة القلوب على هامش قوت القوب 204/2 .
4. القصد والرجوع إلى الله ص 47 .

وقال أبو حامد الغزالى (ت:505هـ) ، ويشاركه ابن عربى (ت:638هـ) الرأى : (الرغبة ثلاثة : رغبة النفس فى الثواب ، ورغبة القلب فى الحقيقة ورغبة السر فى الحق) [1] .

ويشرح الكاشانى المقصود بهذه الأنواع فى الاصطلاح الصوفى ويجعلها عندهم على ثلاث درجات [2] :

1- رغبة النفس : تحققها بالسلوك بسبب ما وعدت به من الثواب على أعمال البر ، وذلك هو الذى يبعثها على الاجتهاد ويصونها من وهن الفترة ، ويمنعها من الرجوع إلى غثاثة الرخص .

2- رغبة القلب : هى التحقق بالحقيقة ، فيصونه ذلك عن الالتفات إلى غير ما هو المقصود من وجوده ، سواء كان ذلك الشئ من حظوظ الدنيا ، أو

من حظوظ لآخرة ، لعلمه بأن المطلوب إنما هو الفناء عما سوى الحق ليحصل البقاء به ، فلهذا لا يبقى فيه التفات إلى عالم الخلق لكمال توجهه إلى عالم الحق .

3- رغبة السر : فى التحقق بالحق وبذلك صونه عن الأغيار ، لأنه فى الحضرة التى تأبى التنويه ، فمن شهدها لم يكن متحققا بحضرة الأحدية .

---

1. الإملاء ص69 ، واصطلاح الصوفية لابن عربى ص10.
2. لطائف الإعلام 494/1 .

****

70ـ الرهبة

****

الرهبة : الرهبة من مقدمات الخوف ، وهى توقع المخافة مع التحرز والاضطراب ، وغالبا ما ترتبط بالصدر ، كما أن الخوف يرتبط بالقلب ، قال تعالى عن الرهبة : { لأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنْ اللهِ } [الحشر/13] ، وفى الخوف ، قال أسامة بن زيد τ : " يا رسول الله ، إنما قالها ، يعنى لا إله إلا الله ، خوفا من السلاح ، قال : أفلا شققت عن قلبه ؟ " [1] .

فالرهبة حالة تعترى المرء قبل حلول الخوف فى القلب ، قال تعالى : { وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ }

[الأنفال/60] وقال : { سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ } [الأعراف/116] ، أى حملوهم على أن يرهبوا وقوله : { وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِي } [البقرة/40] وذلك يشمل الحذر من التفكير فى نقض العهد ، أو الإقدام عليه لوجود الرهبة والحذر من فعله ، والوقوع فيه لوجود الخوف [2] .

ومما ورد فى السنة عن معنى الرهبة ، ما روى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : " قيل لعمر ألا تستخلف ؟ قال : إن أستخلف فقد استخلف من

1. أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان برقم (96) 96/1 .
2. لسان العرب 426/1 ، المغرب للمطرزى 354/1 ، المفردات ص204.

هو خير مني أبو بكر ، وإن أترك فقد ترك من هو خير مني ، رسول الله ε فأثنوا عليه ، فقال : راغب راهب ، وددت أني نجوت منها كفافا ، لا لي ولا علي ، لا أتحملها حيا ولا ميتا " [1] .

وعن أنس بن مالك τ : " أن الناس سألوا نبي الله ε ، حتى أحفوه بالمسألة فخرج ذات يوم ، فصعد المنبر ، فقال : سلوني لا تسألوني عن شيء إلا بينته لكم ، فلما سمع ذلك القوم ، أَرَمُّوا وَرَهِبُوا أن يكون بين يدي أمر قد حضر ، قال أنس τ : فجعلت ألتفت يمينا وشمالا ، فإذا كل رجل لاف رأسه في ثوبه يبكي " [2] .

وعن فاطمة بنت قيس لما قضى رسول الله ε ، صلاته جلس على المنبر وهو يضحك ، فقال : " ليلزم كل إنسان مصلاه ، ثم قال : أتدرون لم جمعتكم ؟

قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : إني والله ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة ، ولكـــن جمعتكم لأن تميما الداري ، كان رجلا نصرانيا ، فجاء فبايع وأسلم ، وحدثني حديثا وافق الذي كنت أحدثكم عن مسيح الدجال " [3] .

وعن عمران بن حصين τ قال : قال النبي ε لأبي : "يا حصين كـــم تعبـــد اليوم إلها ؟ قال أبي : سبعة ، ستة في الأرض ، وواحدا في السماء ، قال : فأيهم

1. أخرجه البخارى فى كتاب الأحكام برقم (7218) 218/13 .
2. أخرجه مسلم فى كتاب الفضائل برقم (2359) 1834/4 .
3. أخرجه مسلم فى كتاب الفتن برقم (2942) 2261/4 .

تعد لرغبتك ورهبتك ؟ قال : الذي في السماء " [1] ، وعن عبد الله بن عباس τ أنه كَانَ يَكْرَهُ الْبُسْرَ وَحْدَهُ ويقول : " نهى رسول الله ε وفد عبد القيس عَنِ الْمُزَّاءِ ، فَأَرْهَبُ أَنْ تَكُونَ الْبُسْرَ " [2] .

الرهبة فى الاصطلاح الصوفى :

الرهبة فى اصطلاح الصوفية ضد الرغبة ، وهى الخشية لله والرغبة فى فضـــله والرهبة من عدله ، وهى عندهم على ثلاث درجات يدل عليها إجمال الأمر فى قوله تعالى : { وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِي } [البقرة/40] رهبة الظاهر ، وهى توقع المخافة بسبب ، ما ذكر الله من الوعيد بالنـــار ، ورهبـــة الباطن ، وهى توقع المخافة بسبب صولة الحق ، والعلم بأوصافه وأفعاله ، رهبة السر ، وهى رهبة الغيب لتحقيق أمر السبق من إظهار السعادة أو الشقاوة [3] .

وحكى عن أبى القاسم الجنيد (ت:298هـ) أن الرهبة وجه من وجهى الخوف فالخوف ضربان ، رهبة وخشية ، فصاحب الرهبة يلتجئ إلى الهرب إذا خاف وصاحب الخشية يلتجئ إلى الرب [4] .

---

1. أخرجه الترمذى فى الدعوات برقم (3483) وقال الشيخ الألبانى : ضعيف 519./5
2. صحيح الإسناد ، أخرجه أحمد فى المسند برقم (2826) واللفظ له وأبو داود فى كتاب الأشربة برقم (3709) .
3. الإملاء ص69 ، اصطلاحات الصوفية لابن عربى ص11 ، لطائف الإعلام 496/1 .
4. الرسالة القشيرية 344/1 .

وقال القشيرى : رهب وهرب يصح أن يقال أنهما واحد معنى مثل جذب وجبذ ، فإذا هرب انجذب فى مقتضى هواه ، كالرهبان الذين اتبعوا أهواءهم فإذا كبحهم لجام العلم وقاموا بحق الشرع فهو الخشية ، ويبين القشيرى أن الرهبانية فى قوله تعالى : { وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَامَا } [الحديد/27] هى الفعلة المنسوبة إلى الرهبان وهو الخائف ، وكانوا يفرون إلى الجبال والصحراء ليخلصوا من الفتنة فى دينهم ويقطعون أنفسهم عن الزواج والنسل ، وأن الله لم يأمرهم بها بل هم الذين ابتدعوها [1] .

****

71ـ الــــــــروح

****

الروح : الريح الهواء المتحرك ، وعن أبي هريرة τ ، قال رسول الله ε : " لا تسبوا الريح ، فإنها من روح الله ، تأتي بالرحمة والعذاب ، ولكن سلوا الله مـــن خيرها ، وتعوذوا بالله من شرها " [2] ، وراح فلان إلى أهله ، أى أتاهم بسرعة ، والرواح السير آخر النهار ، وعن أنس بن مالك τ ، قال رسول الله ε : " من راح روحة في سبيل الله ، كان له بمثل مـــا أصـــابه مـــن الغبـــار ، مســـكا

---

1. لطائف الإشارات 545/3 .
2. أخرجه ابن ماجة فى الأدب (3727) وقال الشيخ الألبانى : صـــحيح 1228/2 وأبو داود برقم (5097) 326/4 ، وابن حبـــان فى صـــحيحه بـــرقم (1007) 287/3 .

يوم القيامة " [1] ، وعنه أيضا τ ، عن النبي ε قال : " لغدوة في ســـبيل الله أو روحة ، خير من الدنيا وما فيها " [2] ، والروح تطلق على بعض الاصطلاحات الشرعية الآتية [3] :

1- روح الإنسان وهى ما يحصل به الحياة والتحرك ، واستجلاب المنافع واستدفاع المضار ، والروح جسم غيبى يسرى فى البدن ، سريان الورد فى الماء والنار فى الفحم ، يصعد ويهبط إلى البدن بأمر الله ، وهى المـــذكورة فى قولـــه تعالى : { وَيَسْأَلونَكَ عَنْ الرُّوحِ قُل الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي } [الإسراء/85] ، وعن

عبد الله بن مسعود τ ، قال : " بينا أنا أمشي مع النبي ε في خرب المدينة وهو يتوكأ على عسيب معه ، فمر بنفر من اليهود ، فقال بعضهم لبعض : سلوه عن الروح ؟ وقال : بعضهم لا تسألوه ، لا يجيء فيه بشيء تكرهونـــه ؟ فقـــال : بعضهم لنسألنه ؟ ، فقام رجل منهم فقال : يا أبا القاسم ، ما الروح ؟ فسكت ، فقلت : إنه يوحى إليه ، فقمت فلما انجلى عنه قال : { وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الرُّوحِ قُل الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّيوَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ العِلمِ إِلا قَليلا } [الإسراء/85] [4] .

1. أخرجه ابن ماجة فى كتاب الجهاد (2775) وقال الشيخ الألبانى : حسن 927/2 والطبرانى فى المعجم الأوسط برقم (1381) 2/. 212.
2. أخرجه البخارى فى كتاب الجهاد برقم (2792) 17/6.
3. لسان العرب 461/2 ، وكتاب العين 291/3 ، المفردات ص205 .
4. أخرجه البخارى فى كتاب العلم برقم (125) 270/1 .

وعن حذيفة بن اليمان τ ، قال النبي ε : " تلقت الملائكة روح رجـــل ممـــن كان قبلكم ، قالوا أعملت من الخير شيئا ؟ ، قال : كنت آمر فتياني أن ينظروا ويتجاوزوا عن المعسر ، قال : فتجاوزوا عنه " [1] ، وعن ابن عباس رضـــي الله عنهما قال ε : " من صور صورة ، فإن الله معذبه ، حتى ينفخ فيهـــا الـــروح وليس بنافخ فيها أبدا ، فربا الرجل ربوة شديدة واصفر وجهه ، فقال : ويحك إن أبيت إلا أن تصنع ، فعليك بهذا الشجر كل شيء ليس فيه روح " [2] .

2- الروح جبريل ، كما فى قوله تعالى : { نَزَل بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلى قَلبكَ لتَكُونَ مِنْ الْمُنذِرِينَ } [الشعراء/193] ، ويسمى أيضا بروح القدس ، كما فى قوله : { قُل نَزَّلَهُ رُوحُ القُدُسِ } [النحل/102] .

3- الروح أشراف الملائكة ، نحو قوله تعالى : { يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا } [النبأ/38] ، وقوله : { تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِليْهِ } [المعارج/4] ، وكذلك قوله : { ليْلةُ القَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلفِ شَهْرٍ تَنَزَّل الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُل أَمْرٍ سَلامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلعِ } [القدر/ 3:5] .

4- الروح عيسى عليه السلام ، كما فى قوله تعالى : { يَا أَهْل الكِتَابِ لا تَغْلوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولوا عَلى اللهِ إِلا الحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُول اللهِ وَكَلمَتُهُ أَلقَاهَا إِلى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ } [النساء/171] ، وذلك لما كان له من إحياء الأموات .

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب البيوع برقم (2077) 360/4 .
2. أخرجه البخارى فى الموضع السابق (2225) 485/4 .

5- الروح القرآن ، يذكر عن ابن عباس فى قوله تعالى : { وَكَذَلكَ أَوْحَيْنَا إِليْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا } [الشورى/52] ، وذلك لكون القرآن سببا للحياة الأخروية الموصوفة فى قوله سبحانه : { وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لهِيَ الحَيَوَانُ لوْ كَانُوا يَعْلمُونَ } [العنكبوت/64] [1] .

الروح فى الاصطلاح الصوفى :

الروح فى الاصطلاح الصوفى ، جسم مخلوق ، وهى أمر من أمر الله تعـــالى ليس بينها وبين الله تعالى سبب ولا نسبة ، غير أنها من ملكه وطوعه وفى قبضته غير متناسخة ، ولا تخرج من جسم فتدخل فى غيره ، وتذوق الموت كما يذوق البدن ، وتتنعم بتنعم البدن ، وتعذب بعذاب البدن ، وتحشر فى البـــدن الـــذى تخرج منه ، وخلق الله تعالى روح آدم عليه السلام من الملكوت ، وجسمه مـــن التراب [2] .

روى عن أبى تراب النخشبى (ت:245هـــ) أنه قال : (أيها النـــاس أنـــتم تحبون ثلاثة ، وليست هى لكم تحبون النفس وهى لله ، وتحبون الروح والروح لله وتحبون المال والمال للورثة ، وتطلبون اثنين ولا تجدونهما ، الفرح والراحـــة وهما فى الجنة) [3] ، وعن يحى بن معاذ الرازى (ت:258هـــ) قـــال : (روح ولى

1. أخرجه البخارى فى كتاب تفسير القرآن 8/ 425 .
2. اللمع ص555 .
3. الطبقات ص148 .

الله من القدس تشغله بمولاه ، والحكمة جند من جنود الله يرســـلها إلى قلـــوب العارفين ، حتى تروح عنها وهج الدنيا) [1] .

وروى عن الجنيد (ت:298هـــ) : (الروح شئ اســـتأثر الله بعلمــه ، و لم يطلع عليه أحدا من خلقه ، ولا يجوز العبارة عنه بأكثر من موجود لقوله : { قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّيوَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ العِلمِ إِلا قَلِيلا } [الإســـراء/85] [2] ، ولأبى

عبد الله النباجى (ت:بعد300هـ) : (الروح جسم يلطف عن الحس ، ويكبر عن اللمس ولا يعبر عنه بأكثر من موجود) [3] .

ويذكر لابن عطاء الأدمى (ت:311هـ) : (خلق الله الأرواح قبل الأجساد ، لقوله تعالى : { وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ } [الأعراف/11] فقوله : { وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ } ، يعنى الأرواح ، { ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ } يعنى الأجساد) [4] .

ويذكر أبو القاسم القشيرى (ت:465هـ) أن الأرواح مختلف فيها عند أهل التحقيق من أهل السنة فمنهم من يقول : إنها الحياة ، ومنهم من يقول : إنها أعيان مودعة فى هذه القوالب ، أجرى الله العادة بخلق الحياة فى القالب ، ما دامت الأرواح فى الأبدان ، فالإنسان حى بالحياة ، ولكن الأرواح مودعة فى

1. اللمع ص427 .
2. التعرف ص67 .
3. السابق ص67 .
4. السابق ص67 .

القوالب ، ولها ترق فى حال النوم ومفارقة للبدن ثم رجوع إليه ، وأن الإنسان هو الروح والجسد ، لأن الله سبحانه وتعالى سخر هذه الجملة بعضها لبعض والحشر يكون للجملة ، والمثاب والمعاقب الجملة ، والأرواح مخلوقة ، ومن قال بقدمها فهو مخطئ خطأ عظيما [1] ، والروح تذكر فى عرف بعض الصوفية على معنى يغاير ما سبق ويتعارض مع القرآن والسنة ، فمن ذلك [2] :

أ- روح الإلقاء : أى ما يلقى فى القلب من إلهام ، فإن أهل الطريق لا يثبتون ما يثبتونه من قواعدهم ، التى يبنون عليها تجرد النفس ، وغيره عن خبر واستدلال بالكتاب أو السنة ، بل على ما يقتضيه الكشف والعيان من روح الإلقاء ، وهم يجيزون ذلك اعتبارا بالإشارة الواردة فى قول الله تعالى : { يُلقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ } [غافر/15] ، فالآية ليست خاصة عندهم بالأنبياء والرسل ، ولكنها عامة فى اصطلاحهم بإزاء الروح الملقى إلى القلب من علم الغيب على وجه مخصوص .

ب- الروح الأعظم : يعنى به العقل الأول ، ويقال له القلم الأعلى ، ويسمى أيضا الروح الأول ، والروح الأقدم ، لأنه منشأ لجميع الأرواح .

ح- الروح المضاف : ويعنون به النفس الكلية المسماه باللوح المحفوظ وبكل شئ وبالكتاب المبين ، وذلك لأن هذا الروح لما قبل ما نقشه القلم الأعلى فيه

---

1. الرسالة القشيرية 272/1 .

2. لطائف الإشارات 502:497/1 ، واصطلاحات الصوفية لابن عربى ص8 .

صار متضمنا ، صنفى الكلم الفعلية والقولية مفصلة ، بحيث لا يفوته شئ مما يدخل فى الوجود إلى انتهاء يوم القيامة ، سمى بهذا الاعتبار بكل شئ المعنى بقوله تعالى : { وَكَتَبْنَا لهُ فِي الأَلوَاحِ مِنْ كُل شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلا لكُل شَيْءٍ } [الأعراف/145] ، ثم أنه باعتبار توجهه إلى موجده ، وأخذه المدد عنه بلا واسطة يسمى روحا مضافا إلى الحضرة الإلهية .

د- الروح المحمدية : عبارة عن جهة وحدة القلم الأعلى المختصة بالمظهرية الروحانية المنسوبة إلى التجلى الأول ، لغلبة حكم الإجمال والوحدة عليها ، وإنما كان الروح المحمدى هو مظهر هذا الروح ، لأجل كمال طهارة مـــرآة قابليـــة قلبه التقى النقى ε ، ومضاهاته فى التبعية لحضرة الحق تعالى ، ويســـمى أيضـــا روح الأرواح ، لانتشاء جميع الأرواح عنه ، لأن جهة وحدانية القلم الأعلى هى أصل الأرواح .

هــ- روح العالم : ويعنى به المعنى الذى هو للعالم بمنزلة الروح الجســـدى كما قيل : والكون فص أنت معنى نقشه ووجوده ، فذلك المعنى هو الإنســـان الكامل لأنه لولاه لما وجد العالم ، كما أن الروح لولاها لما وجـــد الجســـد ويسمى قلب العالم .

****

72ـ الريـــــــاء

****

الرياء : ورد فى الكتاب والسنة على معنى قول الخير أو فعله ، مـــع تخلـــف الإخلاص فيه فمن القرآن قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالذِي يُنفِقُ مَالهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ } [البقرة/264] وقوله : { الذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ وَيَمْنَعُونَ المَاعُونَ } [الماعون/7:6] .

ومما ورد فى السنة عن الرياء ، ما روى عن أبي سعيد الخـــدرى τ ، قـــال سمعت النبي ε يقول : " يكشف ربنا عن ساقه ، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة

فيبقى كل من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة ، فيذهب ليسجد فيعود ظهـــره طبقا واحدا " [1] .

وعن أسماء بنت يزيد رضى الله عنها ، قال رسول الله ε : " من ارتبط فرسا في سبيل الله ، وأنفق عليه احتسابا ، كان شبعه وجوعه وريه وظمـــؤه وبولـــه وروثه ، في ميزانه يوم القيامة ، ومن ارتبط فرسا رياء وسمعـــة ، كـــان ذلـــك خسرانا في ميزانه يوم القيامة " [2] .

ومن حديث أبي هريرة τ ، قال رجل : " يا رسول الله ، الرجل يعمل العمل فيسره ، فإذا اطلع عليه أعجبه ذلك ، قال رسول الله ε : له أجران أجر الســـر وأجر العلانية " ، وقال أبو عيسى الترمذى فى شرح هذا الحديث : (وقد فسر بعض أهل العلم هذا الحديث ، فقال : إذا اطلع عليه فأعجبه فإنمـــا معنـــاه أن يعجبه ثناء الناس عليه بالخير ، لقول النبي ε : " أنتم شـــهداء الله في الأرض "

1. أخرجه البخارى فى كتاب تفسير القرآن برقم (4919) 531/8 .
2. صحيح بمعناه ، أخرجه أحمد فى المسند برقم (27046) وفى معنـــاه مـــا أخـــرج البخارى فى كتاب المساقاه برقم (2371) .

فيعجبه ثناء الناس عليه لهذا ، لما يرجو بثناء الناس عليه ، فأما إذا أعجبه لـــيعلم الناس منه الخير ليكرم على ذلك ويعظم عليه فهذا رياء ، و قال بعض أهل العلم : إذا اطلع عليه فأعجبه رجاء أن يعمل بعمله ، فيكون له مثل أجـــورهم

فهذا له مذهب أيضا) [1] ، ومن حديث جندب بن عبد الله τ ، قال النبي ε : " مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللهُ بِهِ " [2] .

والرياء شرك أصغر ، كما ورد فى حديث محمود بن لبيد τ أن رسـول الله ε قال : " إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر ، قـالوا : ومـا الشـرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال : الرياء ، يقول الله عز وجل لهم يـوم القيامـة إذا جزي الناس بأعمالهم : اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا ، فانظروا هـل تجدون عندهم جزاء ؟ " [3] ، وعن عمر بن الخطاب τ أنه خـرج يومـا إلى مسجد رسول الله ε ، فوجد معاذ بن جبل τ ، قاعدا عند قبر النبي ε يبكي ، فقال : ما يبكيك ؟ ، قـال : يبكـيني شـيء سمعتـه مـن رسـول الله ε

1. ضعيف أخرجه الترمذى فى كتاب الزهد برقم (2384) وقال الشـيخ الألبـانى : ضعيف 594/4 ، وصححه بن حبان فى صحيحه برقم 375) 99/2 ، وأبو داود الطيالسى فى مسنده برقم (2430) ص318 لأبى داود سليمان بن داود ، دار المعرفة ، بيروت
2. أخرجه البخارى فى كتاب الرقاق برقم (6499) 343/11 .
3. أخرجه أحمد فى المسند برقم (23119) وصححه الألبانى فى الصحيحه (9511) والطبرانى فى الكبير برقم (4301) وفى صحيح الجامع برقم (1551) .

سمعت رسول الله ε يقول : " إن يسير الرياء شرك " [1] . وعن شداد بـن أوس τ ، قال سمعت رسول الله ε يقول : " أتخوف على أمتي الشرك والشهوة الخفية ، قال : قلت يا رسول الله : أتشرك أمتك من بعدك ؟ قال : نعم ، أمـا

إنهم لا يعبدون شمسا ولا قمرا ولا حجرا ، ولا وثنا ولكن يراءون بأعمـــالهم ، والشهوة الخفية أن يصبح أحدهم صائما ، فتعرض له شهوة من شهواته فيترك صومه " [2] .

الرياء فى الاصطلاح الصوفى :

الرياء فى الاصطلاح الصوفى يرد على معنى طلب المنزلة فى قلوب الناس بإظهار الخصال المحمودة ، نقل عن الفضيل بن عياض (ت:187هـــ) أنه قال : (خير العمل أخفاه ، وأمنعه من الشيطان أبعده من الرياء) [3] ، وروى عن بشر بن الحارث الحافى (ت:227هـــ) أنه قال للسرى السقطى : (إن الله تعالى خلقك حرا فكن كما خلقك لا ترائى أهلك فى الحضر ولا رفقتك فى السفر اعمل لله

---

1. أخرجه ابن ماجة فى كتاب الفتن برقم (3989) وقال الألبانى : ضعيف 1320/2 وقال الحاكم فى المستدرك على الصحيحين : صحيح (4) 44/1 .
2. أخرجه أحمد فى المسند برقم (16671) وفى سنده زيد بن الحباب ، وهو صـــدوق انظر فى ترجمته تذكرة الحفاظ (338) 350/1 ، ولسان الميزان (2022) 503/2 وتهذيب الكمال رقم (2095) 40/10 .
3. طبقات الصوفية ص13 .

ودع عنك الناس) [1] ، ويذكر لحاتم الأصم (ت:237هـــ) : (المنافق ما أخذ من الدنيا يأخذ بالحرص ، ويمنع بالشك وينفق بالرياء ، والمؤمن يأخذ بالخوف ويمسك بالسنة ، وينفق لله خالصا فى الطاعة) [2] .

قال أبو القاسم القشيرى (ت:465هـ) : (المختال الذى ينظر إلى نفسه والمرائى الذى ينظر إلى أبناء جنسه ، وكلاهما موسومان بالشرك الخفى ، والله لا يحب المشركين ، والفخور من الإبل كالمصراة من الغنم ، وهو الذى سدت أخلافه ليجتمع فيها الدر ، فيتوهم المشترى أن جميع ذلك معتاد لها ، وليس كذلك ، فكذلك الذى يرى من نفسه حالا ورتبة وهو فى ذلك مدع ، هو الفخور والله لا يحبه ، وكذلك المرائى الذى ينفق ماله رئاء الناس ، قال تعالى : { وَالذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلا بِاليَوْمِ الآخِرِ وَمَنْ يَكُنْ الشَّيْطَانُ لهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا } [النساء /38] ، أدخل هؤلاء تحت قوله : { إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالا فَخُورًا } [النساء /36] ، فعقوبتهم فى العاجل أنهم ليسوا من جملة محبيه ، وكفى بذلك محنة) [3] .

وقال عبد القادر الجيلانى (ت:561هـ) : (المرائى ثوبه نظيف وقلبه نجس يزهد فى المباحات ، ويكسل عن الاكتساب ، ويأكل بدينه ولا يتورع جملة

---

1. اللمع ص 450 .
2. الطبقات ص95 .
3. لطائف الإشارات 333/1 .

ويأكل الحرام الصريح ، ويخفى أمره على العوام ، ولا يخفى على الخواص ، كل زهده وطاعته على ظاهره ، ظاهره عامر وباطنه خراب) [1] .

وقد فصل الحارث بن أسد المحاسبى الرياء تفصيلا دقيقا ، معتمدا فى شرحه على الأصول القرآنية والنبوية ، وبين أنه على وجهين [2] :

أ- أحدهما أعظم وأشد ، وهو إرادة العبد العباد بطاعة الله عز وجـــل ، لا يريد الله بذلك .

ب- والثانى أدنى وأيسر وهو إرادة العباد بطاعة الله عز وجل ، وإرادة ثواب الله عز وجل يجتمعان فى القلب [3] .

ويحصى المحاسبى دواعى الرياء وأسباب هيجانه فى ثلاثة أمور :

(1- حب المحمدة : وهو ما يجده العبد من نفسه ، أنه يحب أن يعلـــم العبـــاد لطاعته لربه عز وجل ، فيوصل ويعطى ويثنى عليه ويعظم ، واستدل لذلك بمـــا رواه أبو موسى الأشعرى τ ، أن أعرابيا سأل النبى ε فقال : يارســـول الله : " الرجل يقاتل حمية " ، ومعنى ذلك أنه يحمى فيأنف أن يقهر ، أو يذم لأنه غلب أو غلب قومه ، فيقاتل لذلك ، وقال : " الرجـــل يقاتـــل لـــيرى مكانـــه " وهذا طلب الحمد بالقلب ومعرفة القدر " ورجل يقاتل للذكر " [1] ، وهـــذا طلب الحمد بالألسن .

1. الفتح الربانى والفيض الرحمانى لعبد القادر الجيلانى ص31 .
2. الرعاية ص134 .
3. السابق ص136 ، وفى إدخاله إرادة العبد ثواب الله عز وجل فى الرياء نظـــر ، لأن إرادة الثواب مما أمر الله بإرادته وليس له فى قوله تعالى : { إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا } [الإنسان/9]دليل ، حيث قال : (فنوا عن قلوبهم أن =

(2- خوف المذمة والضعة فى الدنيا ، كمن تخلف عن الصف الأول فى القتال فلم يمكنه طلب الحمد على الشجاعة ، وأراد الانصراف لقلة رغبته فى الأجر أو جبن يمنعه من الانصراف أن يذم بالجبن ويسمى به ، فصار حبسه نفسه فى ذلك الموقف خوفا أن يذم ، ولولا ذلك لانصرف ، لأنه إذا خاف الهزيمة أو رأى كثرة القتل أحب أن يتنحى عن الصف ، أو يفر من العسكر والسرية فإذا خاف أن يقال : جبن حبس نفسه على المقام .

(3- الطمع لما فى أيدى الناس ، كمن يبره الناس بما يظهر من طاعة ربه ، أنه يوصل بالأموال ويهدى إليه الهديا وتقضى به الحوائج ، ويسارع إلى إقراضه المال ويوسع عليه فى طلب الدين ، وما أشبه ذلك [2] .

= يريدوا مع الله خلقه) فهم الذين قالوا بعد ذلك يطمعون فى ثواب الله والنجاة من عذابه { إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا } [الإنسان/10] .

1. أخرجه البخارى (7020) 2714/6 عن أبي موسى الأشعرى τ بلفظ : " جاء رجل إلى النبي ε فقال : الرجل يقاتل حمية ويقاتل شجاعة ويقاتل رياء فأي ذلك في سبيل الله قال : من قاتل لتكون كلمة الله هي الله العليا فهو في سبيل الله " ومسلم برقم (1904) 1512/3 .
2. السابق ص137 .

****

73ـ الزهـــــد

****

الزهد : الزهيد الشئ القليل ، والزاهد فى الشئ الراغب عنه ، والراضى منه بالزهيد أى القليل ، وقد ورد الزهد فى قوله تعالى عن يوسف : { وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنْ الزَّاهِدِينَ } [يوسف/20] ، أى ارتضوا فى بيعه بالقليل [1] .

وورد الزهد أيضا فى السنة فى عدة روايات ، منها ما روى عن أبي ذر τ عن النبي ε قال : " الزهادة في الدنيا ليست بتحريم الحلال ولا إضاعة المال ، ولكن الزهادة في الدنيا أن لا تكون بما في يديك ، أوثق مما في يدي الله ، وأن تكون في ثواب المصيبة إذا أنت أصبت بها ، أرغب فيها لو أنها أبقيت لك " [2] ، وعن علي τ ، قال : " قيل : يا رسول الله من يؤمر بعدك ؟ ، قال : إن تؤمروا أبا بكر τ تجدوه أمينا زاهدا في الدنيا راغبا في الآخرة ، وإن تؤمروا عمر τ تجدوه قويا أمينا ، لا يخاف في الله لومة لائم ، وإن تؤمروا عليا τ ، ولا أراكم فاعلين تجدوه هاديا مهديا ، يأخذ بكم الطريق المستقيم " [3] ، وعن أبي خلاد

---

1. المفردات ص215 ، ولسان العرب 196/3 ، المغرب للمطرزى 375/1 .
2. أخرجه الترمذى فى كتاب الزهد برقم (2340) وقال الألبانى : ضعيف جدا 571/4 وابن ماجة فى كتاب الزهد برقم (4100) 1373/2 .
3. أخرجه أحمد فى المسند برقم (861) وفيه عبد الحميد بن أبي جعفر وهو مجهول .

رضى الله عنه ، وكانت له صحبة ، قال رسول الله ε : " إذا رأيتم الرجل قد أعطي زهدا في الدنيا وقلة منطق ، فاقتربوا منه فإنه يلقي الحكمة " [1] .

الزهد فى الاصطلاح الصوفى :

الزهد فى الاصطلاح الصوفى مقام شريف ، وهو عندهم أساس الأحوال الرضية والمراتب السنية ، وهو أول قدم القاصدين إلى الله عز وجل ، والمنقطعين إلى الله ، والراضين عن الله ، والمتوكلين على الله تعالى ، فمن لم يحكم أساسه فى الزهد ، لم يصح له شئ مما بعده لأن حب الدنيا رأس كل خطيئة ، والزهد فى الدنيا رأس كل خير وطاعة [2] .

روى عن الفضيل بن عياض (ت187هـ) : (كان يقال : جعل الشر كله فى بيت ، وجعل مفتاحه الرغبة فى الدنيا ، وجعل الخير كله فى بيت ، وجعل مفتاحه الزهد فى الدنيا) [3] ، ونقل عن أحمد بن أبى الحوارى (ت:230هـ) أنه قال : (من نظر إلى الدنيا نظر إرادة وحب لها ، أخرج الله نور اليقين والزهد من قلبه ، فمن عرف الدنيا ، زهد فيها ، ومن عرف الآخرة رغب فيها ومن عرف الله آثر رضاه ، و إذا رأيت من قلبك قسوة ، فجالس الذاكرين

---

1. أخرجه ابن ماجة فى كتاب الزهد برقم (4101) وقال الشيخ الألبانى رحمه الله : ضعيف 1373/2 .
2. اللمع ص72 .
3. طبقات الصوفية ص13 .

واصحب الزاهدين ، وأقلل مطعمك ، واجتنب مرادك ، وروض نفسك عن المكاره) [1] ، وروى عن يحى بن معاذ الرازى (ت:258هـ) أنه قال

: (الدنيا كا لعروس ، ومن يطلبها ماشطها، والزاهد فيها يسخم وجهها وينتف شعرها ويخرق ثوبها ، والعارف مشتغل بالله لا يلتفت إليها) [2] .

ويذكر للجنيد بن محمد (ت:298هـ) أنه سئل عن الزهد ؟ فقال : (تخلى الأيدى من الأملاك ، وتخلى القلوب من الطمع) [3] وينسب لمحمد بن الفضل البلخى (ت:319هـ) أنه قال : (الدنيا بطنك ، فبقدر زهدك فى بطنك زهدك فى الدنيا) [4] ، وروى عن جعفر بن محمد الخلدى (ت:348هـ) أنه قال : (من أراد أن يزهد ، فليزهد أولا فى الرياسة ، ثم ليزهد فى قدر نصيب نفسه ومراداتها) [5] .

وينسب لعبد الله بن خفيف (ت:371هـ) أنه قال : (علامة الزهد وجود الراحة فى الخروج عن الملك ، والزهد سلو القلب عن الأسباب ، ونفض الأيدى من الأملاك) [6] ، ويقسم الكاشانى الزهد عند الصوفية إلى أنواع [7] :

---

1. السابق ص100 ، ص102 .
2. اللمع ص72 .
3. الرسالة القشيرية1/328 .
4. طبقات الصوفية ص214 .
5. السابق ص438 .
6. الرسالة القشيرية1/327 .
7. لطائف الإعلام 1/509:511 .

(1- زهد العامة : التتره عن الشبهات بعد ترك الحرام ، حذرا عن المعتبة وأنفة عن الغصة كراهة مساواة الفساق .

(2- زهد أهل الإرادة : النزاهة عن الفضول ، بترك ما زاد عما يحصل به المسكة ، وبقاء الرمق بقدر البلاغ من القوت اغتناما للفراغ ، إلى عمارة الوقت والتحلى بحلية الأنبياء والصديقين .

(3- زهد خاصة الخاصة : هو إعراضهم عن كل ما سوى الله تعالى ، من الأغراض والأعراض الظاهرة أولا ، والباطنة ثانيا ، وعن كل ما هو غير ثالثا .

(4- الزهد فى الزهد : معناه استحقارك لما زهدت فيه ، ولهذا كان الزهد فى الدنيا سيئة فى نظر الخواص ، فإن ما سوى الحق تعالى ، أى شئ هو حتى يرغب فيه أو عنه ، ومن تحقق بهذا النظر ، استوت عنده الحادثات لتحققه شمول إرادة الحق لجميع المرادات ، ولقد أحسن القائل :

إذا زهدتنى فى الهوى خشية الردى : جلت لى عن وجه يزهد فى الزهد

أى إذا زهدتنى فيما تهواه نفسى لخيفتى مما توعدنى ، فإنما ذلك حالى ما دمت غير ذاهب عن شهود الاكتساب بالشخوص إلى وادى الحقائق ، أما إذا جلت لى عن وجهها ، فرأيت شمول إرادتها لكل المرادات ، وجمعها لفرق الشتات ، زهدنى رؤية ذلك الوجه المتجلى ، عن الزهد فيما زهدت فيه ، وعن رؤية زهدى ، أو رؤيتى زاهدا لاضمحلال الكل فى أحدية الجمع عندما يتحقق الوصول بفناء الرسوم وتلاشى الغير فى العين [1] .

---

1. السابق 511/1 .

وهذه المعنى لا أصل له ولا يقول به إلا الحلولية وأصحاب الوحدة ولا يمثل رأى أوائل الصوفية ، وإنما الزهد الوارد فى القرآن والسنة ، زهد القلب فى الدنيا

واعتبارها وسيلة إلى الآخرة ، وهذه الحقيقة القرآنية يعبر عنها أبو سعيد الخراز (ت:279هـ) بقوله :

(لايكون العبد زاهدا مستكمل الزهد ، حتى يستوى عنده الحجارة والذهب عندها تخرج قيمة الأشياء من قلبه ، فمن ملك من أهل العمل والصدق شيئا من الدنيا ، فهو معتقد أن الشئ لله عز وجل ، لا له ، وأن الله خوله فيه ، وهو مبلى به ، حتى يقوم بالحق فيه ، فالنعمة بلاء ، حتى يقوم العبد بالشكر فيها ويستعين بها على طاعة الله ، وكذلك البلوى والضراء، اختبار وابتلاء حتى يصبر ، ويقوم بحق الله فيه ، فالأنبياء صلوات الله عليهم والصالحون من بعدهم الذين أشعرهم الله بأن أبلاهم فى الدنيا بالسعة وخولهم ، كانوا إلى الله عز وجل ساكنين لا إلى الشئ ، وكانوا خزانا لله جل ذكره ، فى الشئ الذى ملكهم ينفذونه فى حقوق الله تعالى غير مقصرين ، ولا مفرطين ، ولا متأولين على الله وكانوا غير متلذذين بما ملكوا ، ولا مشغولى القلوب بما ملكوا ، ولا مستأثرين به دون عباد الله) (1)

---

1. انظر كتاب الصدق لأبى سعيد الخراز ص 43 ، ويشهد لذلك قوله ε : "ما يسرنى أن لى مثل أحد ذهبا أنفقه فى سبيل الله تعالى ، تأتى على ثالثة يكون منه عندى شئ إلا دينار أرصده لدين على " حديث أخرجه البخارى فى كتاب الرقاق (6445) ومسلم فى كتاب الزكاة برقم (991) .

****

74ـ الســــــالك

****

السالك : السلوك النفاذ فى الطريق والذهاب فيه ، ويقال فى المحسوســات الدنيوية وغيرها [1] :

أ- فمن الأول قوله تعالى : { وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ بِسَاطًا لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلا فِجَاجًا } [نــوح/20:19] ، وقوله : { الذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلا } [طه/53] ، وعن أنس τ ، أن النبي εكان في غزاة ، فقــال : " إن أقواما بالمدينة خلفنا ، ما سلكنا شعبا ولا واديا ، إلا وهم معنا فيه ، حبســهم العذر " [2] ، وقال رسول الله ε لعمر τ : " والذي نفسي يده مــا لقيــك الشيطان قط سالكا فجا ، إلا سلك فجا غير فجك " [3] ، وعن أبي هريــرة τ قال رسول الله ε : " لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار ، ولو سلك النــاس واديا ، وسلكت الأنصار واديا أو شعبا ، لسلكت وادي الأنصار ، أو شــعب الأنصار " [4] .

---

1. المفردات 239 ، وانظر لسان العرب 442/10 ، وكتاب العين 311/5 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب الجهاد برقم (2839) 101./6
3. أخرجه البخارى فى كتاب بدء الخلق برقم (3294) 390/6 .
4. أخرجه البخارى فى كتاب التمنى برقم (7244) 238/13 .

ب- ومن الثانى قوله تعالى : { كُل نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ إِلا أَصْحَابَ الْيَمِينِ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلونَ عَنْ الْمُجْرِمِينَ مَا سَلكَكُمْ فِي سَقَرَ } [المدثر/42:38] وقوله سبحانه وتعالى عن الشرك : { كَذَلكَ نَسْلكُهُ فِي قُلوبِ الْمُجْرِمِينَ } [الحجر/12] وعن أبي سعيد τ ، أن النبي ε قال : " لتتبعن سنن من قبلكم ، شبرا بشبر وذراعا بذراع ، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه ، قلنا : يا رسول الله اليهود والنصارى؟ ، قال : فمن ؟ " [1] وقال ε ، لأبى هريرة τ : " اقعد فاشرب ، فقعدت فشربت ، فقال : اشرب ، فشربت ، فما زال يقول : اشرب حتى قلت : لا والذي بعثك بالحق ، ما أجد له مسلكا " [2] ، وعن أبي هريرة τ ، قال رسول الله ε : " من سلك طريقا يلتمس فيه علما ، سهل الله له طريقا إلى الجنة " [3] .

- السالك فى الاصطلاح الصوفى :

السالك عند الصوفية ، هو السائر إلى الله المتنقل شيئا فشيئا فى مدارج الإيمان ومقامات اليقين ، وهو المتوسط بين المريد والمنتهى ، مادام فى السير [4] ، من باب تشبيه المعنويات بالمحسوسات ، وقد ورد مصطلح السالك فى ألفاظهم فى مواضع عديدة منها ، قول الكلاباذى (ت:380هـ) فى سبب تأليفه لكتابه

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب أحاديث الأنبياء برقم (3456) 571/6 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب الرقاق برقم (6452) 287/11 .
3. أخرجه الترمذى فى كتاب العلم برقم (2646) وقال الألبانى : صحيح 28/5 .
4. معجم اصطلاحات الصوفية للكاشانى ص119 .

التعرف : (فدعانى ذلك إلى أن رسمت فى كتابى هذا وصف طريقتهم ، وبيان نحلتهم وسيرتهم ، من القول فى التوحيد والصفات ، وسائر ما يتصل به ، مما وقعت فيه الشبهة عند من لم يعرف مذاهبهم .. ويكون بيانا لمن أراد سلوك طريقه ، مفتقرا إلى الله تعالى فى بلوغ تحقيقه) [1] .

وقال أبو القاسم القشيرى (ت:465هـ) : (وعلي الشيخ أن يتلمذ لمن سلك طريق الله تعالى .. والتلمذة لمن سلك طريق الله سبحانه وتعالى ، تجعل السلوك فى طريق الله أقوى وأسرع ، أما من تتلمذ لمن لا يوثق فى علمه بهذا الطريق فقد تحجب .. وبعد ذلك يورد وردا آخر ، وخير وصف له أن من ذاقه من سالكى هذه الطريقة على سبيل الوهلة ، فإنه يموت ، وذلك من هيبة الحق سبحانه وعند هذا الورود يفنى العبد ولا يبقى منه شئ) [2] .

ويذكر ضياء الدين السهروردى (ت:563هـ) أنه لا يصح لأحد أن يسلك طريق الصوفية ، حتى يعلم عقائدهم وآدابهم فى ظاهرهم وباطنهم واصطلاحاتهم فى كلماتهم ، ويفهم إطلاقاتهم فى محاوراتهم ، حتى يصح له أن يحذو حذوهم ويقفو أثرهم فى أفعالهم وأقوالهم ، فإنه من كثرة المدعين ، جهل حال المحققين وفساد المفسدين الفاسدين إليهم يعود ، ولا يقدح فى صلاح الصالحين [3] .

---

1. التعرف لمذهب أهل التصوف ص28 .
2. طريق الله تعالى لعبد الكريم القشيرى ص25 ، ص28 .
3. آداب المريدين ص15 .

وقال محى الدين بن عربى (ت:638هـ) : (السالك هو الذى مشى على المقامات بحاله لا بعلمه ، فكان العلم له عينا) [1] .

وسئل ابن عباد النفرى شيخ الصوفية فى عصره (ت:792هـ) : هل على السالك إلى الله تعالى أن يتخذ لزاما ، شيخ طريقة وتربية يسلك على يديه ؟ أم يسوغ له أن يكون سلوكه إلى الله تعالى من طريق التعلم والتلقى من أهل العلم دون أن يكون له شيخ طريقة ؟ ، فقال :

المرجوع إليه فى السلوك ينقسم إلى قسمين : شيخ تعليم وتربية وشيخ تعليم بلا تربية ، فشيخ التربية ليس بضرورى لكل سالك ، وإنما يحتاج إليه من فيه بلادة ذهن واستعصاء نفس ، وأما من كان وافر العقل منقاد النفس ، فليس بلازم فى حقه ، وأما شيخ التعليم فهو لازم لكل سالك [2] .

وقد قسم ابن عربى السالكين أربعة أقسام بحسب رتبتهم فى العلم بالله [3] :

(1- السالك بنفسه : السالك بنفسه ، وهو المتقرب إلى ربه ابتداء بالفرائض ونوافل الخيرات الموجبين لمحبة الحق ، من أتى بهما لتحصيل المحبتين ، فهو يجهد فيما كلفه الحق ، ويبذل استطاعته وقوته فيما أمره به ربه .

(2- السالك بربه : فأما السالك الذى يسلك بربه ، فهو الذى يكون الحق

---

1. اصطلاحات الصوفية لابن عربى ص2 .
2. الرسائل الصغرى لابن عباد النفرى المطبعة الكاثوليكية ، بيروت 1957م ص106 .
3. الفتوحات 381/2 ، 382 .

سمعه وبصره وجميع قواه ، فإن عينه ثابتة فى العدم والحق سمعه وبصره .

(3- السالك بالمجموع : وأما السالك بالمجموع ، فهو السالك بعد أن ذاق كون الحق سمعه وبصره وعلم سلوكه أولا بنفسه على الجملة من غير شهود نفسه على التعيين ، فلما علم أن الحق سمعه وعلم أن السامع بالسمع ما هو عين السمع ، فكان بالعلم سالكا بالمجموع .

(4- سالك لا سالك : وأما القسم الرابع وهو سالك لا سالك ، فهو أنه رأى نفسه لم تستقل بالسلوك ما لم يكن الحق صفة لها ، ولا تستقل الصفة بالسلوك ما لم تكن نفس المكلف موجودة ، ويكون كا لمحل لها فيبدو أنه سالك بالمجموع ، فإذا تبين له أنه بالمجموع ظهر السلوك بان له أن المظهر لا وجود له عينا ، وإن الظاهر تقيد بحكم استعداد المظهر ورأى الحق يقول : { وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى } [الأنفال/18] ، فمن وقف على هذا العلم من نفسه علم أنه سالك لا سالك .

ويذكر الكاشانى أن السالك هو الذى يسير فى طريق الله حتى يبلغ المقصود ويجعل السالكين على أربع حالات [1] :

1- المجذوب : فإذا وهب الحق سبحانه وتعالى عبدا جذبة ، فاتجه بقلبه إلى الله وتجرد عن جميع العلائق دفعة واحدة ، ووصل إلى مرتبة العشق ، فإنه يسمى مجذوبا إذا بقى فى هذه المرتبة ، وهذا لا يصلح أن يكون شيخا وإماما .

---

1. لطائف الإعلام 8:7/2 .

2- المجذوب السالك : وذلك إذا رجع ثانية ، واطلع على حقيقة نفسه وسلك طريق الله يسمونه المجذوب السالك ، وهذا يصلح أن يكون شيخا وإماما .

3- السالك المجذوب : ويكون إذا سلك الطريق الأول وأتمه ، ثم وصلته جذبة الحق يسمونه السالك المجذوب ، وهذا أيضا يصلح أن يكون شيخا وإماما .

4- السالك : وذلك إذا سلك الطريق ، و لم تصله جذبة الحق يسمونه السالك وهذا لا يصلح أن يكون شيخا وإماما [1] .

****

75- الستـــــــر

****

- **الستر** : تغطية الشئ وإخفاؤه ، والستر والسترة ما يستتر به ، ويستخدم الستر فى المحسوسات وغيرها [2] :

أ- فمن النوع الأول ، قوله تعالى : { حَتَّى إِذَا بَلغَ مَطْلعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلعُ عَلى قَوْمٍ لمْ نَجْعَل لهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا } [الكهف/90] ، وعن أبي سعيد الخدري τ ، قال : " اعتكف رسول الله ε ، في المسجد فسمعهم يجهروا بالقراءة

---

1. انظر للمقارنة والتوسع فى مصطلح السلوك ، رسالة دكتوراه بعنوان السلوك عن الحكيم الترمذى ومصادره من السنة النبوية ، إعداد أحمد عبد الرحيم السايح ، مخطوط بمكتبة كلية أصول الدين جامعة الأزهر الشريف بالقاهرة سنة 1986م .
2. لسان العرب 343/4 ، والمفردات ص223 ، وكتاب العين 236/7.

وهو في قبة له ، فكشف الستور ، وقال : ألا كلكم مناج ربه ، فلا يؤذين بعضكم بعضا ، ولا يرفعن بعضكم على بعض في القراءة ، " [1] ، وقال عطاء بن أبي رباح : لما احترق البيت زمن يزيد بن معاوية حين غزاها أهل الشام نقضوه حتى بلغوا به الأرض ، فجعل ابن الزبير أعمدة فستر عليها الستور حتى ارتفع بناؤه " [2] .

وعن سعيد بن المسيب " أن عمر بن الخطاب τ ، قضى في المرأة إذا تزوجها الرجل ، أنه إذا أرخيت الستور فقد وجب الصداق " [3] ، وعن عائشة رضى الله عنها قالت : " قدم رسول الله ε من سفر ، وَقَدْ سَتَّرْتُ عَلى بَابِي دُرْنُوكًا فِيهِ الخَيْل ذَوَاتُ الأَجْنِحَةِ ، فَأَمرَنِي فَنَزَعْتُهُ " [4] ، وعن أبي سعيد الخدري τ قال : سمعت رسول الله ε ، يقول : " إذا أراد أن يمر بينك وبين سترتك أحد فارده ، فإن أبى فادفعه ، فإن أبى فقاتله ، فإنما هو شيطان " [5] .

ب- ومن الثانى ، قوله تعالى : { وَإِذَا قَرَأْتَ القُرْآنَ جَعَلنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الذِينَ لا

---

1. أخرجه أحمد (11486) واللفظ له ، وأبو داود فى الصلاة برقم (1332) 38/2 .
2. أخرجه مسلم فى كتاب الحج برقم (1333) 970./2
3. صحيح الإسناد إلى سعيد بن المسيب أخرجه مالك فى الموطأ النكاح (1121) .
4. أخرجه مسلم فى كتاب اللباس والزينة برقم (2107) 1666/3 ، والدُرْنُوكً ستر رقيق فيه تصاوير .
5. أخرجه أحمد فى المسند برقم (11146) واللفظ له ، وأخرجه البخارى فى كتاب الصلاة برقم (509) .

يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا } [الإســراء/45] ، وقوله : { وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصَارُكُمْ وَلا جُلودُكُمْ } [فصلت/22] ، وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ε ، يقول : " إن الله يدني المؤمن ، فيضع عليه كنفه ويستره ، فيقول : أتعرف ذنب كذا ؟ ، أتعرف ذنب كذا ؟ فيقول : نعم أي رب ، حتى إذا قرره بذنوبه ، ورأى في نفسه أنه هلك قـال : سترها عليك في الدنيا ، وأنا أغفرها لك اليوم ، فيعطى كتاب حسـناته وأمـا الكافر والمنافقون ، فيقول الأشهاد : { هَؤُلاءِ الذِينَ كَذَبُوا عَلى رَبِّهِمْ أَلا لعْنَـةُ اللهِ عَلى الظَّالِمِينَ } [هود/18] " [1] وعنه أيضا τ ، أن رسـول الله ε قـال : " المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يسلمه ، ومن كان في حاجة أخيه ، كان الله في حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربـات يـوم القيامة ، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة " [2] ، ومن حديث أبي هريرة τ ، أن رسول الله ε قال : " الخيل لرجل أجر ، ولرجل ستر ، وعلى رجـل وزر .. ورجل ربطها تغنيا وتعففا ، ثم لم ينس حق الله في رقابها ، ولا ظهورها فهي لذلك ستر .." [3] ، وعنه أيضا τ ، قال سمعت رسول الله ε ، يقول : " كـل أمتي معافى إلا المجاهرين ، وإن من المجاهرة أن يعمـل الرجـل بالليـل عمـلا

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب المظالم والغصب برقم (2441) 550/6 .
2. أخرجه البخارى فى الموضع السابق (2442) 550/6 .
3. أخرجه البخارى فى كتاب المساقاة برقم (2371) 470/6 .

ثم يصبح وقد ستره الله عليه ، فيقول : يا فلان عملت البارحة كذا وكذا ، وقد بات يستره ربه ، ويصبح يكشف ستر الله عنه " [1] ، وعن أبي المليح الهذلي أن نسوة من أهل حمص استأذن على عائشة ، فقالت : " لعلكن من اللواتي يدخلن الحمامات ، سمعت رسول الله ε يقول : أيما امرأة وضعت ثيابها ، في غير بيت زوجها ، فقد هتكت ستر ما بينها وبين الله " [2] .

الستر فى الاصطلاح الصوفى :

الستر فى الاصطلاح الصوفى يساوى الحجاب فى المعنى [3] ، والستر فى عرفهم يضاد التجلى ، فالعوام فى غطاء الستر ، والخواص فى دوام التجلى ، وصاحب الستر بوصف شهوده ، وصاحب التجلى أبدا بنعت خشوعه ، والستر للعوام عقوبة ، وللخواص رحمة ، إذ لولا أنه يستر عليهم ما يكاشفهم به ، لتلاشوا عند سلطان الحقيقة ، ولكنه كما يظهر لهم يستر عليهم [4] .

ونرى للسرى السقطى (ت:251هـ) موقفا متقابلا ، من استتار الفاعلية الإلهية بحجاب الأسباب ، فمرة يقول فى دعائه : (اللهم الطف بنا واسترنا

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب الأدب برقم (6069) 501/10 .
2. أخرجه ابن ماجة فى كتاب الأدب برقم (3750) وقال الشيخ الألبانى : صحيح وأحمد فى المسند برقم (24186) والطبرانى فى المعجم الكبير برقم (179) 73/25 .
3. انظر مصطلح الحجاب .

4. الرسالة القشيرية 244/1 .

بلطف الحجاب) [1] ، ومرة أخرى يقول : (اللهم مهما عذبتنى بشئ ، فلا تعـــذبنى بذل الحجاب) [2] ، وليس هذا من قبيل التناقض ، ولكنه يقصد بالأمرين أن ينعم مرة بشهود الربوبية ، ومرة يسأل الله التخفيف بستر الأسباب حتى يستمر في حياته ليرعى شئون نفسه ، لأنه لو ظل مشاهدا له وراء كل شيء يسبح الله حقيقة ، استحال عليــه أن يفعل الضروريات ، أو يفكر فى صلاح معيشته .

وقال الكلاباذى (ت:380هـــ) : (الاستتار أن تكون البشرية حائلة بينك وبين شهود الغيب ، والاستتار الذى يعقب التجلى ، هو أن تستتر الأشياء عنك فلا تشاهدها ، كقول عبد الله بن عمر الذى سلم عليه وهو فى الطواف ، فلــم يرد عليه فشكاه ، فقال : إنا كنا نتراءى الله فى ذلك المكان ، أخبر عن تجلـــى الحق له بقوله : كنا نتراءى الله واخبر عن الاستتار بغيبته عن التسليم عليه [3] .

وللقشيرى (ت:465هـــ) معنى يقرب من رأى أبى بكر الكلاباذى فيقول : (إنما قال الحق تعالى لموسى υ : { وَمَا تِلكَ بِيَمِينِكَ يَامُوسَى } [طـه/17] ليستر عليه ما يعلل به بعض ما أثر فيه من المكاشفة بفجأة السماع ، وقال ε : (إنـــه ليغان على قلبى ، حتى أستغفر الله فى اليوم سبعين مرة) [4] ، والاستغفار طلب

---

1. حلية الأولياء 120/10، وانظر ختم الأولياء ص149.
2. طبقات الصوفية ص303 .
3. التعرف ص147 .

4. أخرجه مسلم فى كتاب الذكر والدعاء برقم (3702) .

الستر لأن الغفر هو الستر ، ومنه غفر الثوب والمغفرة وغيره ، فكأنه أخبر أنه يطلب الستر على قلبه عند سطوات الحقيقة ، إذ الخلق لا بقاء لهم مع وجود الحق [1] .

ويذكر عبد الرزاق الكاشانى (ت:736هـ) معبرا عن فلسفته فى وحدة الوجود ، أن المشركين مستترون بحجاب الجهل وعمى القلب ، فلا يرون حقيقة محمد ε ، ويحسبونه هذه الصورة البشرية ، لكونهم بدنيين منغمسين فى بحر الهيولى ، محجوبين بالغواشى الطبيعية وملابس الصفات النفسانية عن الحق وصفاته وأفعاله ، إذ لو عرفوا الحق لعرفوا أنه هو ε ، ولو عرفوا صفات الله لعرفوا كلام محمد ، ولم يكن على قلوبهم أكنة من الغشاوات الطبيعية والهيئات البدنية ، وهذا هو المشار إليه فى قوله تعالى : { وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا } [الإسراء/45]) [2] .

وقال عبد الكريم الجيلى (ت:829هـ) : (الستر منظر يتجلى الحق تعالى على العبد بتجل تستتر عنه سائر العوالم الكونية ، فلا يعلم للأكوان علما ، فهو كأحد عوام الناس فى الاطلاع على الأشياء لا يعلم ما تحت جنبيه ، وفى هذا قال سيد أهل الله تعالى : { وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَل بِي وَلا بِكُمْ } [الأحزاب/9] [3] .

---

1. الرسالة القشيرية 1/ ص244 .
2. تفسير القرآن الكريم منسوب لابن عربى 721:720/1 .

4. المناظر الإلهية ص204 .

ويذكر الكاشانى أن الستر كل ما سترك عما يفنيك ، ويطلق ويراد به غطـــاء الكون ، وقد يراد به الوقوف مع العادات ، وقد يراد به نتائج الأعمال ، وهناك اصطلاحان آخران حول معنى الستر ، الأول الستائر : وهى صور سرائر الآثار وسميت بالستائر ، لأن معانى الأسماء الذاتية تفهم من خلفها ، والثانى الســـتور : وهى الهياكل البدنية ، سميت بذلك لكونها مرخاة بين العوالم الغيبية الحقية والشهادية الخلقية [1] .

****

76ـ السكـــــــر

****

السكر : السكر حالة تذهب عقل الإنسان ، فلا يستطيع التمييز فيها بـــين الأشياء ، وأكثر ما يستعمل السكر فى الشراب [2] ، ومنه ما روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : " لما نزلت { يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى } [النساء/43] فكان منادي رسول الله ε إذا أقام الصلاة نادى أن لا يقربن الصلاة سكران " [3] ، وعن أبي هريرة τ ، عن رسول الله ε قـــال :

1. لطائف الإعلام 12/2 .
2. المفردات ص226 ، ولسان العرب 372/4 .

3. أخرجه أحمد فى المسند برقم (380) واللفظ له ، وأخرجه الترمذى فى كتاب تفسير القرآن برقم (3049) ، والنسائى فى كتاب الأشربة برقم (5540) 286/8 ، وأبو داود فى كتاب الأشربة برقم (3670) 325/3 .

" إذا سكر فاجلدوه ، ثم إن سكر فاجلدوه ، ثم إن سكر فاجلدوه ، ثم قال في الرابعة : فاضربوا عنقه " [1] ، ومن حديث أبي موسى الأشعرى τ ، قال رسول الله ε : " كل ما أسكر عن الصلاة ، فهو حرام " [2] ، وعن جابر بن عبد الله τ ، أن رسول الله ε قال : " ما أسكر كثيره فقليله حرام " [3] .

وقد يكون السكر لذهاب العقل ، من غضب أو ألم أو فرط محبة ، كقوله تعالى : { وَجَاءَتْ سَكْرَةُ المَوْتِ بِالحَقِّ ذَلكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ } [ق/19] وكما روى عن أبي سعيد الخدري τ ، عن النبي ε قال : " يقول الله تعالى : يا آدم فيقول : لبيك وسعديك والخير في يديك ، فيقول : أخرج بعث النار ؟ قال : وما بعث النار ؟ قال : من كل ألف تسع مائة وتسعة وتسعين ، فعنده يشيب الصغير ، { وَتَضَعُ كُل ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ } [الحج/2] " [4] .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : " رأيت رسول الله ε وهو يموت

---

1. أخرجه النسائى فى كتاب الأشربة برقم (5662) وقال الألبانى : صحيح 313/8 وابن ماجه برقم (5272) 859/2 ، والدارمى برقم (2105) 156/2 .
2. أخرجه مسلم فى كتاب الأشربة برقم (1733) 1586/3 .

3. أخرجه الترمذى فى كتاب الأشربة (1865) وقال الألبانى : حسن صحيح 292/4 وأبو داود برقم (3681) 327/3 .

4. أخرجه البخارى فى كتاب أحاديث الأنبياء برقم (3348) 440/6 .

وعنده قدح فيه ماء ، فيدخل يده في القدح ، ثم يمسح وجهه بالماء ، ثم يقول : اللهم أعني على سكرات الموت " (1) .

والسَّكَر اسم لما يكون منه السُّكر قال تعـالى : { وَمِـنْ ثَمَـرَاتِ النَّخِيـل وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا } [النحل/67] .

السكر فى الاصطلاح الصوفى :

السكر فى الاصطلاح الصوفى غيبة بوارد قوى ، والسكر زيادة عن الغيبة من وجه ، وذلك أن صاحب السكر ، قد يكون مبسوطا إذا لم يكن مسـتوفى فى حال سكره ، وقد يسقط إخطار الأشياء عن قلبه فى حال سكره ، وتلك حال المتساكر الذى لم يستوفه الوارد ، فيكون للإحساس فيه مساغ ، وقد يقوى سكره حتى يزيد على الغيبة ، فربما يكون صاحب السكر أشد غيبة من صاحب الغيبة إذ قوى سكره ، وربما يكون صاحب الغيبة أتم فى الغيبة من صـاحب السكر إذا كان متساكرا غير مستوف ، والغيبة قد تكون للعباد بما يغلب علـى قلوبهم من موجب الرغبة والرهبة ، ومقتضيات الخوف والرجاء ، والسـكر عندهم لا يكون إلا لأصحاب المواجيد (2) .

روى عن أبى بكر الواسطى (ت:بعد320هـ) أنه قال : (مقامات الوجـد أربعة ، الذهول ثم الحيرة ثم السكر ثم الصحو ، كمن سمع بالبحر ثم دنا منـه ثم دخل فيه ثم أخذته الأمواج) (3) .

1. أخرجه ابن ماجة فى كتاب الجنائز برقم (1623) وقال الألبانى : ضعيف 519/1 .

2. الرسالة القشيرية 23/1 . 3. عوارف المعارف للسهروردى ص527 .

وقال عبد الله بن خفيف الشيرازى (ت:371هـ) : (السكر غليان القلب عند معارضات ذكر المحبوب) [1] ، وقال أيضا : (السكر للمريدين حق وللعارفين باطل ، وغلبات الحق على سائر الخلق جائزة ، والأحوال للمتوسطين والمقامات للعارفين ، والشدة للمريدين ، والصحو أفضل من السكر) [2] .

ويفرق السراج الطوسى (ت:378هـ) بين السكر والغشية ، فيقول : (الفرق بين السكر والغشية ، أن السكر ليس نشأته من الطبع ، لا يتغير عند وروده الطبع والحواس ، والغشية نشأتها ممزوجة بالطبع تتغير عند ورودها الطبع والحواس ، وتنتقض منها الطهارة ، والغشية لا تدوم والسكر يدوم) [3] .

ويذكر الكلاباذى (ت:380هـ) أن السكر هو أن يغيب عنه تميز الأشياء ولا يغيب عن الأشياء ، وهو أن لا يميز بين مرافقه وملاذه ، وبين أضدادها فى مرافقة الحق ، فإن غايات وجود الحق تسقطه عن التميز بين ما يؤلمه ويلذه والصاحى الذى نعته قبل نعت السكر ، ربما يختار الآلام على الملاذ ، لرؤية ثواب أو مطالعة عوض ، وهو متألم فى الآلام ، ومتلذذ فى الملاذ ، فهو نعت الصحو والسكر) [4] .

1. سيرة الشيخ الكبير أبى عبد الله بن خفيف الشيرازى ص 320 ، وانظر طبقات الصوفية ص464 ، وحلية الأولياء 386/10 .
2. السابق ص362 .
3. اللمع ص417 .
4. التعرف ص116 .

وقال أبو القاسم القشيرى (ت:465هـ) : (اعلم أن الصحوة على حسب السكر ، فمن كان سكره بحق كان صحوه بحق ، ومن كان سكره بحظ مشوبا كان صحوه بحظ مصحوبا ، ومن كان محقا فى حاله كان محفوظا فى سكره قال تعالى : { فَلَمَّا تَجَلى رَبُّهُ للجَبَل جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا } [الأعراف/143] هذا مع رسالته وجلالة قدره خر صعقا ، وهذا مع صلابته وقوته ، صار دكا متكسرا) [1] .

ويذكر ابن عربى أن من أسكره الشهود فلا صحو له البتة ، وكل حال لا يورث طربا وبسطا ، وإدلالا وإفشاء أسرار إلهية ، فليس بسكر ، وإنما هو غيبة أو فناء أو محق ، كما أنه يجعل السكر على مراتب [2] :

(1- سكر طبيعى : وهو سكر المؤمنين ، وهو ما تجده النفوس من الطرب والالتذاذ والسرور والابتهاج بوارد الأمانى ،فإن له أثرا قويا فى القوة المتخيلة ، فالواقفون من أهل الله مع الخيال لهم هذا السكر الطبيعى .

(2- السكر العقلى : وهو سكر العارفين ، وهو شبيه بالسكر الطبيعى فى رد الأمور إلى ما تقتضيه حقيقته ، لا إلى ما يقتضيه الأمر بنفسه ، ويأتى الخبر الإلهى عن الله لصاحب هذا المقام بنعوت المحدثات ، إنها نعت لله فيأبى قبولها

على هذا الوجه ، لأنه فى سكرة دليله وبرهانــه ، فــيرد ذلــك الخــبر لمــا

---

1. الرسالة 237/1 ، 238 .
2. فصوص الحكم 2/ 544 .

يقتضيه نظره مع جهله بذات الحق ، فإذا صحا هذا العاقل عن سكره بالإيمان لم يرد الخبر الصدق ، فهذا سكر عقلى .

(3- سكر الكمل : وهو سكر المنتهين من الرجال ، وهو السكر الإلهى الذى قال فيه رسول الله : (اللهم زدنى فيك تحيرا) [1] ، والسكران حــيران فالسكر الإلهى إبتهاج وسرور بالكمال [2] .

---

1. ليس بحديث ولكنه من اختلاق ابن عربى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا شأن كثير من الصوفية ، وخصوصا من كان منهم معتقدا لفكر ابن عربى أو مصححا له ، لا يتورعون فى الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدعون أن هــذه الأحاديث صحت عندهم من باب الكشف ، فهم لا يعتبرون طريقة المحدثين فى إثبات ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .
2. يجب التنبه على أن جميع ما ورد فى مصطلح السكر من أقوال ومعان صوفية لا أصل لها فى الكتاب والسنة ، إلا ما ذكر من أنه غيبة بوارد قوى ، من سماع آية مــؤثرة أو حديث يذكر الإنسان بربه أو بجنته وناره ، قد تذهب عقل الإنسان ويشــبه وقتــها السكران ، وربما يفيق منها أو يموت بسببها ، كما حدث لعبد الله بن وهب حيث خر مغشيا عليه عندما قرئ عليه من آيات وأحاديث الأهوال ، فحملوه وأدخلوه الدار فلم

يزل مريضا حتى توفي ، رواه الحاكم فى المستدرك برقم (8711) 617/4 ، وانظر تهذيب التهذيب 66/6 ، من أجل هذا أورت مصطلح السكر فى هذا الباب ، أما ما ذكره ابن عربى من السكر الطبيعى والعقلى وسكر الكمل ، وتقسيم غـــيره للســـكر والغيبة والغشية ، وجعل هذا للمريدين وهذا للعارفين وأمثال ذلك من التقســـيمات الهمجية ، فلا تشهد لها أصول قرآنية أو نبوية .

****

77ـ السكينــــــــة

****

السكينة : السكينة ضد الحركة والسكينة والسكن واحد ، قال الله تعالى : { أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَـــاكِنِ الـــذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الأَمْثَال } [إبـــراهيم/45] والسكينة تطلق ويراد بها عدة أمور [1] :

1- السكينة الاطمئنان والوقار والهدوء ، فعن أبي هريرة τ عن النبي ε قال : " إذا أقيمت الصلاة ، فلا تأتوها تسعون ، وأتوها تمشون عليكم السكينة ، فمـــا أدركتم فصلوا ، وما فاتكم فأتموا " [2] ، وعن الفضل بن عبـــاس τ ، وكـــان رديف رسول الله ε ، أن رسول الله ε قال في عشية عرفة وغداة جمع للنـــاس حين دفعوا : " عليكم السكينة ، وهو كاف ناقته " [3] .

2- السكينة ما يزول به الخلاف ويجمع عليه القلوب ، كقوله تعالى : { إِنَّ آيَةَ مُلكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ } [البقرة/248] ، وقوله سبحانه :

---

1. لسان العرب 211/13 ، والمغرب للمطرزى 405/1 ، والمفردات ص237 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب الجمعة برقم (908) 453/2 .
3. أخرجه النسائى فى كتاب مناسك الحج (3020) واللفظ له وقال الشيخ الألبانى : صحيح 258/5 ، ومسلم برقم (1282) 931/2 ، والدارمى برقم (1891) 84/2 .

{ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَل عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ } [التوبة/103] .

3- السكينة ما يزول به الفزع والرعب ، كقوله تعالى : { وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَيْتُمْ مُدْبِرِينَ ثُمَّ أَنزَل اللهُ سَكِينَتَهُ عَلى رَسُولِهِ وَعَلى المُؤْمِنِينَ } [التوبة/25:26] وقوله : { هُوَ الذِي أَنْزَل السَّكِينَةَ فِي قُلوبِ المُؤْمِنِينَ } [الفتح/4] .

4- السكينة الرحمة التى تتزل بها الملائكة ، فعن البراء بن عازب τ ، قرأ رجل الكهف ، وفي الدار الدابة ، فجعلت تنفر ، فسلم ، فإذا ضبابة أو سحابة غشيته فذكره للنبي ε ، فقال : " اقرأ فلان فإنها السكينة نزلت للقرآن " [1] ، وعن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما ، أنهما شهدا على النبي ε أنه قال :

" لا يقعد قوم يذكرون الله عز وجل ، إلا حفتهم الملائكة ، وغشيتهم الرحمة ، ونزلت عليهم السكينة ، وذكرهم الله فيمن عنده " [2] .

السكينة فى الاصطلاح الصوفى :

السكينة فى الاصطلاح الصوفى ، تطلق على ما يطمئن القلب ، ويؤدى إلى سكون النفس مما يرد على المؤمن من أنوار الحق ومراتب اليقين ، قال الحكيم الترمذى (ت:320هـ) : (السكينة سكون القلب ، وطمأنينته إلى الواردات

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب المناقب برقم (3614) 719/6 .
2. أخرجه مسلم فى كتاب الذكر برقم (2700) 2074/4 .

التى من الله إلى أوليائه ، وهى عندهم دليل الولاية ، كما أن المعجزات دليل النبوة كما قال تعالى : { إِنَّ آيَةَ مُلكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ } [البقرة/248] ، وفعلها السلطان والغلبة على من اعترض عليه ، وضدها الحيرة والاضطراب) [1] .

وقال أبو القاسم القشيرى (ت:465هـ) فى تعريفها : (السكينة ما يسكن إليه القلب من البصائر والحجج ، فيرتقى القلب بوجودها عن حد الفكرة إلى روح اليقين وثلج الفؤاد ، فتصير العلوم ضرورية ، وهذا للخواص فأما عوام المسلمين ، فالمراد منها السكون والطمأنينة واليقين ، قال تعالى : { هُوَ الذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلوبِ المُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ } [الفتح/4]) [2] .

ويقول ابن عربى (ت:638هـ) : (السكينة نور فى القلب يسكن بـه إلى شاهده ويطمئن ، وهو من مبادئ عين اليقين بعد علم اليقين ، كأنه وجـدان يقينى معه لذة وسرور) [3] .

ويذكر عبد الرزاق الكاشانى (ت:736هـ) أن السكينه فعيلة من السكون الذى هو وقار ، لا الذى هو فقد الحركة ، وهى فى هذه الطريق عبـارة عمـا تجده النفس من الطمأنينة عند تترل الغيب ، وربما عرفوها بحدود أخرى مثل :

---

1. انظر ختم الأولياء ص181 ، وانظـر أيضـا ص335 ، 347 ، 390 ، 262 : 263 .
2. لطائف الإشارات 419/3 .
3. تفسير القرآن الكريم لابن عربى 507/2 .

1- السكينة : خلسة لذيذة تثبت زمانا ، أو خلسات مثالية لا تنقطع حينا من الزمان .

2- السكينة : سكون النفس تحت ورود الهواجم .

3- السكينة : كمال الطمأنينة بوعد الحق .

4- السكينة : الحق سبحانه فإنه هو الصدق الذى يجب على النفس الاتصاف بالسكون إليه على وجه المبالغة المعبر عنها بالسكينة [1] .

****

78ـ السمـاع

****

- **السماع** : ما سمعت به فشاع ، السمع يراد به عدة أمور [2] :

1- وصف للإنسان ويعنى قوة فى الأذن به يدرك الأصوات على كيفية معلومة نحو قوله تعالى : { أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا } [الأعراف/195] ، ونحو : { وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا } [الأنعام/25] ، وقوله : { خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ } [البقرة/7] .

2- السمع فعل آلة السمع وإدراكها نحو : { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ } [ق/37] ، وقوله : { لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ

1. لطائف الإعلام 25/2 .
2. كتاب العين 348/1 ، المفردات ص242 ، لسان العرب 162/8.

الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا } [النور/12] ، وعن سعد بن أبي وقاص τ قال : سمعت النبي ε يقول : " من ادعى إلى غير أبيه ، وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام ، فذكرته لأبي بكرة ، فقال : وأنا سمعته أذناي ، ووعاه قلبي من رسول الله ε [1] ، وعن عبد الله بن مسعود τ ، قال رجل لرسول الله ε : كيف لي أن أعلم إذا أحسنت وإذا أسأت ؟ قال النبي ε : إذا سمعت جيرانك يقولون : أن قد أحسنت فقد أحسنت ، وإذا سمعتهم يقولون : قد أسأت ، فقد أسأت " [2] .

3- السمع بمعنى المسموع ،نحو قول الله تعالى : { إِنَّهُمْ عَنْ السَّمْعِ لَمَعْزُولونَ } [الشعراء/212] ، وعن عائشة رضي الله عنها ، أنها سمعت رسول الله ε يقول : " إن الملائكة تنزل في العنان ، وهو السحاب ، فتذكر الأمر قضي في السماء فتسترق الشياطين السمع ، فتسمعه فتوحيه إلى الكهان ، فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم " [3] .

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب الفرائض برقم (6767) 12/ 55 ، ومسلم فى كتاب المساجد ومواضع الصلاة برقم (634) .
2. أخرجه ابن ماجة فى كتاب الزهد برقم (4223) وقال الشيخ الألبانى : صحيح وأخرجه ابن حبان فى صحيحه برقم (526) 285/2 ، والبيهقى فى السنن الكبرى برقم (20184) 125/10 .
3. أخرجه البخارى فى كتاب بدء الخلق برقم (3210) 350/6 .

4- السمع بمعنى الاستجابة والطاعة ، كما روى عن زيد بن أرقم τ ، قال رسول الله ε : كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن ، وحنى جبهته وأصغى السمع متى يؤمر ، قال : فسمع ذلك أصحاب رسول الله ε ، فشق عليهم ، فقال رسول الله ε : قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل " [1] ، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، عن النبي ε قال : السمع والطاعة حق ما لم يؤمر بالمعصية ، فإذا أمر بمعصية ، فلا سمع ولا طاعة " [2] ، وعن أبي هريرة τ قال

رسول الله ε : "عليك السمع والطاعة ، في عسـرك ويسـرك ، ومنشـطك ومكرهك وأثرة عليك) [3] .

5- السمع وصف لله عز وجل بكيفية يعلمها الله ، وليس كمثله شئ فيها نحو قوله تعالى : { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ } [الشورى/11] ، وقوله سبحانه : { قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ التِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا } [المجادلة/1] ، وقوله تعالى : { لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الذِينَ قَالُوا } [آل عمران/181] ، وعن عبد الله بن مسعود τ قال : " اجتمع عند البيت ثقفيان وقرشي ، أو قرشيان وثقفي كثيرة شحم بطونهم ، قليلة فقه قلوبهم ، فقال أحدهم : أترون أن الله يسمع ما

1. أخرجه أحمد فى المسند (18858) واللفظ له ، والترمذى فى كتاب تفسير القرآن برقم (3243) 372/5 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب الجهاد برقم (2955) 135./6
3. أخرجه مسلم فى كتاب الإمارة برقم (1836) 1467/3.

نقول ؟ ، قال الآخر : يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا ، وقال الآخر : إن كان يسمع إذا جهرنا ، فإنه يسمع إذا أخفينا ، فنزلت : { وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصَارُكُمْ وَلا جُلودُكُمْ } [فصلت/22] [1] .

السماع فى الاصطلاح الصوفى :

السماع فى الاصطلاح الصوفى سماع القرآن أو قصائد الشعر بنغمة طيبة موافقة للطبائع ، تؤثر فى المستمعين إلى درجة الصعق والبكاء والغشية ، ومـا

شابه ذلك من ألوان التأثر ، ويستدلون لذلك بقوله تعالى : { الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ } [الزمر/17] ، وغير ذلك من الآيات ، ولهم فى ذلك شروط متعددة منها [2] :

1- ألا يطلبه الإنسان إلا إذا جاء من نفسه .
2- ألا يكون عادة وأن يستعمل قليلا حتى لا يمل منه الإنسان .
3- أن يكون بحضور أحد المرشدين .
4- أن يكون المكان خاليا من العامة .
5- أن يكون القوال رجلا محترما .
6- أن يكون الحضور غير مائلين إلى الترف .
7- أن يطرح جانبا كل تكلف وأن لا يزيد فى حركاته حتى تقهره قوة السمع ، فإذا تسلطت عليه لا يلزمه مقاومتها بل يلزمه متابعتها .

1. أخرجه البخارى فى كتاب التوحيدبرقم (7521) 405/13 .
2. كشف المحجوب ص505 ، واللمع ص338 .

8- إذا اشتدت قوة السماع يلزمه أن يضطرب ، وإذا سكنت يلزمه أن يسكن .
9- أن يكون عنده قوة إدراك ، يقبل بها وارد الحق فيقدره حق قدره فإذا سطعت قوته على القلب لا يلزم مقاومته ، فإذا انقطع الوارد يلزم أن لا يجتهد فى إرجاعه .
10- ألا ينتظر مساعدة من الغير أو يرفضها .

11- ألا يشغل أخاه المشتغل بالسماع لسؤاله عن معنى هـــذا أو ذاك لأن مثل هذا العمل مضر بالسماع .

12- أن يفرغ القلب من الاشتغال بالدنيا .

والسماع الذى له أصل فى الكتاب والسنة ، سماع القرآن بإصغاء ، أو سماع القول الحسن من المواعظ ، أو إلقاء العلم ، أو النصح للآخرين ، لقوله تعالى : { فَبَشِّرْ عِبَادِي الذِينَ يَسْتَمِعُونَ القَوْل فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلئِكَ الذِينَ هَـــدَاهُمْ اللهُ وَأُوْلئِكَ هُمْ أُوْلوا الأَلبَابِ } [الزمـــر/18:17] ، ولما ثبت من حديث عبد الله بن مسعود τ ، قال : " قال لي رسول الله ε ، اقرأ علي القرآن ، قال : فقلت يـــا رسول الله : أقرأ عليك ، وعليك أنزل ، قال : إني أشتهي أن أسمعه من غـــيري فقرأت النساء حتى إذا بلغت : { فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُل أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلى هَؤُلاءِ شَهِيدًا } [النساء/41] ، رفعت رأسي ، أو غمـــزني رجـــل إلى جنبي فرفعت رأسي ، فرأيت دموعه تسيل " [1] .

1. أخرجه البخارى برقم (4306) 1673/4 ، ومسلم برقم (800) 551/1 .

أما هذه الشروط ، فقد أسفرت بعفوية عما نراه من بدع السماع المنتشر فى الموالد وعند القبور ، مما أخرج السماع عن حده القرآنى والنبوى ، وقـــد روي عن ذو النون المصرى (ت:248هـــ) وقد سئل عن السماع ؟ فقال : (وارد حق يزعج القلوب إلى الحق ، فمن أصغى إليه بحق تحقق ، ومن أصغى إليه بنفس تذندق) [1] .

ويذكر أن الجنيد (ت:289هـ) سئل : ما بال الإنسان يكون هادئا ، فإذا سمع السماع اضطرب ؟ فقال : إن الله تعالى لما خاطب الذر فى الميثاق الأول بقوله تعالى : { أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ } [الأعراف/172] استفزعت عذوبة سماع الكلام الأرواح ، فلما سمعوا السماع حركهم ذكر ذلك) [2] وهذا الكلام باطل لأنه لا دليل عليه ، ونقل عن أبى بكر الكتانى (ت:322هـ) أنه قال : (سماع العوام على متابعة الطبع ، وسماع المريدين رغبة ورهبة وسماع الأولياء رؤية الآلام والنعم ، وسماع العارفين على المشاهدة ، وسماع أهل الحقيقة على الكشف والعيان ولكل واحد من هؤلاء مصدر ومقام) [3] .

وأجود من هذا ما يروى أن أبا بكر الشبلى (ت:334هـ) لما سئل عن السماع ؟ ، قال : ظاهره فتنة وباطنه عبرة ، فمن عرف الإشارة حل له استماع

1. الرسالة القشيرية 645/2 .
2. طبقات الصوفية ص375 .
3. الرسالة القشيرية 645/2 .

العبرة ، وإلا فقد استدعى الفتنة وتعرض للبلية) [1] ، وعن أبى على الدقاق (ت:410هـ) قال : (السماع حرام على العوام لبقاء نفوسهم ، مباح للزهاد لحصول مجاهداتهم ، مستحب لأصحابنا لحياة قلوبهم) [2] .

ويذكر الكاشانى أن السماع هو حقيقة الانتباه للكل بحسب نصيبه ، فهو حــاد يحدو بكل أحد إلى وطنه ، أى يتنبه كل أحد منه إلى المقصود الخاص به كما يقسم السماع بلا دليل إلى أنواع عديدة ، أغلبها باطل لا أصل له فى القرآن أو السنة :

1- سماع العامة : وهو تنبيههم على امتثال الأمر .

2- سماع الخاصة : شهودهم الحق تعالى فى كل مسموع ومبصور لأنهــم لا يسمعون إلا بالحق وفى الحق وللحق ومن الحق .

3- السماع بالحق : هو سماع من لم تبق فيهم بقية من عالم النفس ، فهــم يسمعون بقيومية الله تعالى مع طهارتهم من أرجاس النفوس .

4- السماع فى الحق : هو سماع من يشاهد ، جمعيته تعالى لكل كمال ، فهو لا يسمع شيئا من الكمالات منسوبة إلى غيره تعالى ، بل إليه ســبحانه لتفرده بالكمال لذاته تعالى .

5- السماع للحق : هو سماع من يشهد بأن جميع ما يسمعه من الترغيب فى بذل النفس والعرض والمال وغير ذلك ، إنما هو مبذول للحق لا لشئ سواه .

---

1. السابق 644/2 .
2. السابق 644/2 .

6- السماع من الحق : هو سماع من يأخذ الخطاب من الله تعــالى ، أخــذ الإبقاء بالمشروع ، وعلى الحد الجائز قبوله ، ومن الوجه الذى يسمع منه أهل الحقيقة ، وإليه أشار إليه سهل بن عبد الله بقوله : (منذ ثلاثين سنة

أسمع من الله ، والناس يظنون أنى أسمع منهم) ، ولأجل أن سماعهم إنما هو من محبوبهم الحق تعالى أنشد قائلهم :

من كل معنى لطيف أستقى قدحا : وكل ناطقة فى الكون تطربنى

وذلك لأن سماعهم لما كان من المحبوب الحق ، صار الطرب حاصلا من كل ناطق ، وليس السماع مختصا بإنشاد الشعر بالألحان وبالسماع بها بل إنما هو اعتبارات يفهمها أهل السماع من السالكين ، ومعان يتمعنها أهل القلوب المشرقة بنور القرب من جناب القدس ، ولهذا تشغلهم تلك اللذات الروحانية الواصلة إلى أرواحهم عن لذات المحسوسات والموهومات والمعقولات .

7- سمع الحق : ويسمى عبد السميع ، ويعنى به من تحقق بمظهرية الاسم السميع ، ولهذا يسمع كلام الله من كل كائن ، إذ كانت الكائنات كلها إنما هى آثار ظاهرة عن القول الإلهى ، بموجب قوله : { كن } ولأنه لا ينقطع ذلك القول أبدا بحكم الإمداد مع الأنات .

8- سمع العالم : وهو سمع الحق فإنه إنما كان سمع الحق لتحققه بمظهرية الإسم السميع ، فلهذا هو سمع العالم إذ لا سمع إلا بإسمه السميع تعالى [1] .

---

1. لطائف الإعلام 28:26/2 .

****

79ـ الشـــــــاهد

****

الشاهد : ورد فى الكتاب والسنة على عدة معان :

1- الشاهد المراقب للحدث بحضوره فيه ، قال تعالى : { وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنْ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلِ إِحْدَاهُمَا أَنْ تَضِلِ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى } [البقرة/282] ، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص τ عن النبي ε قال : (إذا ادعت المرأة طلاق زوجها ، فجاءت على ذلك بشاهد عدل ، استحلف زوجها ، فإن حلف بطلت شهادة الشاهد ، وإن نكل فنكوله بمنزلة شاهد آخر وجاز طلاقه) [1] .

وعن أبي بكرة τ ، أن النبي ε قعد على بعيره ، وأمسك إنسان بخطامه أو بزمامه ، قال : أي يوم هذا ؟ فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه سوى اسمه ، قال : أليس يوم النحر ؟ قلنا : بلى ، قال : فأي شهر هذا ؟ ، فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه ، فقال : أليس بذي الحجة ؟ ، قلنا : بلى ، قال : فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام ، كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا في بلدكم هذا ، ليبلغ الشاهد الغائب ، فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو

1. أخرجه ابن ماجة فى الطلاق برقم (2038) وقال الشيخ الألبانى : ضعيف.657/1 والدارقطنى فى سننه برقم (155) 64/4.

أوعى له منه) [1] .

2- الشهادة بمعنى الحكم والإعلام الإخبار ، نحو : { وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا } [يوسف/26] وقوله تعالى : { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَــذِيرًا } [الأحزاب/45] ونحو : { وَمَا شَهِدْنَا إِلا بِمَا عَلِمْنَا } [يوسف/81] أى ما أخبرنا .

3- الشهادة الإقرار ، نحو : { وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللهِ } [النور/6] ، وقال تعالى : { مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُــرُوا مَسَاجِدَ اللهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ } [التوبة/17] أى مقرين ، وعن أنــس بن مالك τ قال : " كنا عند رسول الله ε فضحك ، فقال : هل تدرون مــم أضحك ؟ قال : قلنا الله ورسوله أعلم ، قال : من مخاطبة العبد ربه ، يقــول : يا رب ألم تجرني من الظلم ؟ قال يقول : بلى ، قال فيقول : فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهدا مني ، قال فيقول : كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين شهودا ، قال : فيختم على فيه ، فيقال : لأركانه انطقي ، قــال : فتنطق بأعماله ، قال : ثم يخلى بينه وبين الكلام ، قال : فيقول : بعدا لكن وسحقا ، فعنكن كنت أناضل " [2] .

3- والشهادة قد تتناول جميع ما تقدم ، كقوله : { شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم } [آل عمران/18] .

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب العلم برقم (67) 190/1 .
2. أخرجه مسلم فى كتاب الزهد برقم (2969) 2280/4 .

4- الشاهد بمعنى الكوكب ، فعن أبي بصرة الغفاري قال صلى بنا رسول الله ε في واد من أوديتهم ، يقال له المخمص ، صلاة العصر ، فقال : إن هذه الصلاة صلاة العصر ، عرضت على الذين من قبلكم فضيعوها، ألا ومن صلاها ضعف له أجره مرتين ، ألا ولا صلاة بعدها حتى تروا الشاهد ، قلت لابن لهيعة ما الشاهد ؟ قال : الكوكب الأعراب ، يسمون الكوكب شاهد الليل) [1] .

5- الشاهد يوم عرفة ، فعن أبي هريرة رضى الله عنه ، أن النبي ε ، قال في هذه الآية : { وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ } [البروج/3] ، يعني الشاهد يوم عرفة ، والمشهود يوم القيامة [2] ، والشهيد من قتل حاضرا فى المعركة مجاهدا فى سبيل الله ، فعن أنس بن مالك τ ، عن النبي ε قال : " ما من عبد يموت ، له عند الله خير يسره أن يرجع إلى الدنيا ، وأن له الدنيا وما فيها ، إلا الشهيد لما يرى من فضل الشهادة ، فإنه يسره أن يرجع إلى الدنيا ، فيقتل مرة أخرى " [3] .

الشاهد فى الاصطلاح الصوفى :

الشاهد فى الاصطلاح الصوفى هو ما تعطيه المشاهدة من الأثر فى قلب المشاهد وهو على حقيقة ما يضبطه القلب من صورة المشهود [4] ، يروى عن الجنيد بن

1. صحيح بمعناه أحمد فى المسند برقم (26685) واللفظ له ، ومسلم فى كتاب صلاة المسافرين وقصرها برقم (830) .
2. أخرجه أحمد فى المسند برقم (7912) وهو حسن من طريق يونس بن عبيد وفيه أبو عمر عمار بن أبى عمار وهو صدوق .

3. أخرجه البخارى فى الجهاد برقم (2795) 18/6 . 4. لطائف الإعلام 35/2 .

محمد (ت:298هـ) ، أنه سئل عن الشاهد ؟ ، فقال : (الشاهد الحق فى ضميرك وأسرارك مطلع عليها ، والمشهود ما يشهده الشاهد) [1] ، وعن أبى بكر الواسطى (ت:بعد320هـ) قال : (الشاهد الحق) [2] ، وروى عن أبى بكر الشبلى (ت:334هـ) أنه سئل عن المشاهدة ؟ فقال : (من أين لنا مشاهدة الحق ؟ الحق لنا شاهد) [3] .

وقال السراج الطوسى (ت:380هـ) : (الشاهد ما يشهدك ، بما غاب عنك ، فيحضر قلبك لوجوده) [4] ، وقال أبو القاسم القشيرى (ت:465هـ) فى تعريف الشاهد : (الشاهد ما يكون حاضر قلب الإنسان ، وهو ما كان الغالب عليه ذكره ، حتى كأنه يراه ويبصره ، وإن كان غائبا عنه فكل ما يستولى على قلب صاحبه ذكره فهو يشاهده) [5] .

****

80ـ الشـــــريعة

****

- **الشريعة** : شرع فى الأمر بدأ فيه ، وعن عائشة رضى الله عنها أنها أخبرت

---

1. اللمع ص415 .
2. السابق ص415 .
3. الرسالة القشيرية 268/1 .

4. اللمع ص415 .
5. الرسالة 268/1 .

عن النبي ε وعنها ، أهما شرعا جميعا وهما جنب في إناء واحد " [1] .

وقد يراد بالشرع أيضا حرية الفاعل فيما يخصه ويمتلكة ، فعن جابر بن عبد الله τ ، أن رجلا من الأنصار أعطى أمه حديقة من نخل حياتها ، فماتت فجاء إخوته فقالوا : نحن فيه شرع سواء ، فأبى فاختصموا إلى النبي ε ، فقسمها بينهم ميراثا " [2] ، والشرع نهج الطريق الواضح ، واستعير ذلك للطريقة الإلهية قال تعالى : { شَرَعَ لكُمْ مِنْ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ } [الشورى/13] والمعنى شرع الأصول التى تتساوى فيها جميع الملل وهى أصول التوحيد ، وقوله تعالى : { لكُلٍّ جَعَلنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا } [المائدة/48] يدل على أمرين [3] :

أحدهما : ما فطر الله تعالى عليه كل إنسان ، مما قدره الله من وضع يسر له وطريق يتحراه مما يعود إلى مصالح العباد وعمارة البلاد وذلك المشار إليه بقوله : { وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا } [الزخرف/32] .

الثانى : ما فرض الله له من الدين وأمره به ، ليتحراه اختيارا مما تختلف فيه الشرائع ويعترضه النسخ ، ودل عليه قوله : { ثُمَّ جَعَلنَاكَ عَلى شَرِيعَةٍ مِنْ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا }

---

1. أخرجه أحمد فى المسند (24825) واللفظ له والبخارى فى الغسل برقم (250) .

2. ضعيف الإسناد ، أخرجه أحمد فى المسند برقم (13785) وأبو داود فى كتاب البيوع برقم (3557) 3/.295.

3. المفردات ص258 ، ولسان العرب 175/8.

[الجاثية/18] ، وقال ابن عباس τ : الشرعة ما ورد به القرآن والمنهاج ما ورد به السنة [1] ، وعن معاذ بن أنس τ ، عن رسول الله ε : " لا تزال الأمة على الشريعة ما لم يظهر فيها ثلاث ، ما لم يقبض العلم منهم ، ويكثر فيهم ولد الحنث ، ويظهر فيهم الصقارون ، قال : وما الصقارون أو الصقلاوون يا رسول الله ؟ قال : بشر يكون في آخر الزمان تحيتهم بينهم التلاعن " [2] ، وعن عبد الله بن مسعود τ ، قال : " من سره أن يلقى الله غدا مسلما ، فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن ، فإن الله شرع لنبيكم ε سنن الهدى ، وإنهن من سنن الهدى ، ولو أنكم صليتم في بيوتكم ، كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم ، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم " [3] .

الشريعة فى الاصطلاح الصوفى :

الشريعة فى الاصطلاح الصوفى تقابل الحقيقة ، وقد أدلى كل منهم بما يكشف معناها فى مقابل معنى الحقيقة عندهم ، فمن ذلك الشريعة بمعنى جميع الأحكام التكليفية المتعلقة بأعمال الإنسان الظاهرة والباطنة كما دل على ذلك ، قول السراج الطوسى : (أنكرت طائفة من أهل الظاهر ، وقالوا لا نعرف إلا علم الشريعة الظاهرة التى جاءبها الكتاب والسنة وقالوا : لا معنى لقولكم علم الباطن

1. أخرجه البخارى فى الإيمان ، باب قول النبي ε بني الإسلام على خمس 60/1 .

2. صحيح بمعناه ، أخرجه أحمد برقم (15201) وفيه زبان بن فائد وأحاديثه منـــاكير والحديث صحيح بمعناه ، انظر صحيح البخارىكتاب العلم برقم (85) .
3. أخرجه مسلم فى كتاب المساجد برقم (654) .

وعلم التصوف فنقول وبالله التوفيق : إن علم الشريعة علم واحد ، وهو اســـم واحد يجمع معنيين ، الرواية والدراية ، فإذا جمعتهما فهو علم الشريعة الداعيـــة إلى الأعمال الظاهرة والباطنة ، ولا يجوز أن يجرد القول فى العلم أنه ظـــاهر أو باطن ، لأن العلم متى ما كان فى القلب ، فهو باطن فيه إلى أن يجرى ويظهـــر على اللسان فإذا جرى على اللسان فهو ظاهر) [1] ، ثم انتهى إلى أن الحقيقـــة فى علم التصوف وهو العلم والفقه المستنبط من جميع أعمال الظاهر والبـــاطن ويدل على صحة كل عمل منها ، أى ما يستنبط من علوم الشريعة [2] .

ويروى عن أبى على الدقاق (ت:410هـــ) ، (قوله تعالى : { إِيَّاكَ نَعْبُـــدُ } [الفاتحة/5] حفظ للشريعة ، { وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } [الفاتحة/5] إقرار بالحقيقة) [3] .

وقال على بن عثمان الهجويرى (ت:465هـــ) : (الشريعة عمل كســـبى للإنسان ، والحقيقة حفظ الله تعالى وعصمته له ، الشريعة لا تثبت بدون الحقيقة والحقيقة لا تثبت بدون ملاحظة الشريعة ، والاتصال بينهما كالصلة بين الجسد والروح ، وكذلك الشريعة بدون الحقيقة رياء ، والحقيقة بدون الشريعة نفـــاق وقد قال تعالى : { وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا } [العنكبوت/69] فالمجاهدة شريعة والهداية هى الحقيقة ، فالأولى تشمل مراقبة الإنسان لظاهر الأحكام ، أما الأخرى فتشمل معونة الله تعالى وإكرامه بحفظ الباطن للعبد ، وعلـــى ذلـــك

1. اللمع ص44:43 .
2. السابق ص44 .
3. الرسالة القشيرية 261/1 .

فالشريعة من المكاسب ، أما الحقيقة فهى من المواهب ، وحين نسلم بذلك فبون شاسع بينهما) [1] .

وقريب من ذلك قول القشيرى (ت:465هـ) : (الشريعة أمر بالتزام العبودية ، والحقيقة مشاهدة الربوبية ، فكل شريعة غير مؤيدة بالحقيقة فغير مقبول ، وكل حقيقة غير مقيدة بالشريعة فغير مقبول ، فالشريعة جاءت بتكليف الخلق ، والحقيقة إنباء عن تصريف الحق ، فالشريعة أن تعبده والحقيقة أن تشهده ، والشريعة قيام بما أمر ، والحقيقة شهود لما قضى وقدر وأخفى وأظهر) [2] .

ويذكر عبد الرزاق الكاشانى (ت:736هـ) تعريفا غريبا للشريعة ينبعث من فلسفتة فى وحدة الوجود ولا يستند إلى دليل ، فيبين أن الشريعة ميزان كل عادل يأتى به الخليفة الكامل من جانب حقيقته ، ليحفظ به حكم الوحدة والعدالة على طرق خليفته ، الذى يتعلق به فى نفسه أولا وفيمن يأخذ المدد الوجودى بواسطته ثانيا ، وذلك لئلا تعتوره الأحكام الإمكانية ، والآثار المتكثرة النفسانية والشيطانية ، فهذا الميزان الكلى هو المسمى شريعة [3] .

---

1. كشف المحجوب ص465 .

2. الرسالة القشيرية 261/2 .

3. لطائف الإعلام 2/ 37 .

****

81ـ الشكـــــــــر

****

الشكر : الشكر تصور النعمة وإظهارها وعرفان الإحسان ونشره ، ويضاده الكفر وهو نسيان النعمة وسترها ، ودابة شكور مظهرة بسمنها إسداء صاحبها إليها ، وقيل أصله من عين شكرى ، أى ممتلئة ، فالشكر على هذا هو الامتلاء من ذكر المنعم عليه (1) ، والشكر يوصف به الرب والعبد :

أ- فالشكر فى حق الله ، يدور حول معنى إظهار المجازاه والمعاوضة لعمل الخـــير فإذا وصف الله بالشكر فى قوله تعالى : { وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ } [التغابن/17] ، فإنما يعنى إنعامه على عباده وجزاءه بما أقاموه من العبادة ، وعن أبي هريرة τ ، عـــن النبي ε : " أن رجلا رأى كلبا يأكل الثرى من العطش ، فأخذ الرجـــل خفـــه فجعل يغرف له به حتى أرواه ، فشكر الله له ، فأدخله الجنة " (2) ، وعنه أيضا τ ، أن رسول الله ε قال : " بينما رجل يمشي بطريق ، وجد غصن شوك على الطريق ، فأخره فشكر الله له فغفر له " (3) .

ب- والشكر فى حق العبد ، يتضمن الإقرار بالنعمة إلى المنعم ، والخضوع له

1. لسان العرب 424/4 ، المفردات ص266¡265 ، وكتاب العين 292/5 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب الوضوء برقم (174) 334/1 .
3. أخرجه البخارى فى كتاب الأذان برقم (654) 163/2.

عن رضا ومحبة ، والامتناع عن عصيانه ، وعن أبي هريرة رضى الله عنه ، قـــال النبي ε : " لا يدخل أحد الجنة ، إلا أري مقعده من النار لو أساء ، ليزداد شكرا ، ولا يدخل النار أحد ، إلا أري مقعده من الجنة ، لو أحسن ليكون عليه حسرة " [1] .

وعنه أيضا τ قال : " بعث رسول الله ε خيلا قبل نجد ، فجاءت برجل مـــن بني حنيفة ، يقال له : ثمامة بن أثال ، سيد أهل اليمامة ، فربطوه بسارية مـــن سواري المسجد ، فخرج إليه رسول الله ε فقال : ماذا عندك يا ثمامة ؟ فقال : عندي يا محمد خير ، إن تقتل تقتل ذا دم ، وإن تنعم تنعم على شـــاكر ، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت ، فتركه رسول الله ε " [2] .

ومن حديثه τ ، قال رسول الله ε : " من لا يشكر الناس لا يشـــكر الله " [3]

وعنه أيضا τ ، عن النبي ε قال : " يقول الله عز وجل يوم القيامة : يا ابن آدم ، حملتك على الخيل والإبل ، وزوجتك النساء ، وجعلتك تربع وترأس فأين شكر ذلك ؟ " [4] .

والشكر فى حق العبد ثلاثة أضرب [5] :

1. أخرجه البخارى فى كتاب الرقاق برقم (6569) 426./11
2. أخرجه مسلم فى كتاب الجهاد برقم (1764) 1386/3 .

3. أخرجه الترمذى فى البر والصلة برقم (1954) ، وقال الألبانى : صحيح 339/4 .
4. صحيح الإسناد ، أخرجه أحمد فى المسند برقم (10005) .
5. المفردات ص266 .

1- شكر القلب وهو تصور النعمة ، والاعتراف بها إلى المنعم ، والعزم على طاعته ، وعن صهيب الرومى τ ، قال رسول الله ε : " عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير ، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر ، فكان خيرا له ، وإن أصابته ضراء صبر ، فكان خيرا له " [1] .

2- وشكر اللسان هو الثناء على المنعم بفضله ، وقال ابن عباس τ : " مطر الناس على عهد النبي ε ، فقال : أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر ، قالوا : هذه رحمة الله ، وقال بعضهم : لقد صدق نوء كذا وكذا " [2] .

3- وشكر سائر الجوارح ، وهو مكافأة النعمة بفعل الجوارح ، من خلال خضوعها واستجابتها لأمره ونهيه ، قال تعالى : { اعْمَلوا آل دَاوُودَ شُكْرًا وَقَليلٌ مِنْ عِبَادِي الشَّكُورُ } [سبأ/13] لينبه على التزام الأنواع الثلاثة من الشكر بالقلب واللسان وسائر الجوارح ، ومثله قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا كُلوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا للهِ إِنْ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ } [البقرة/172] ، فشكر النعمة آداء العبادة بالقلب واللسان والجوارح ، وعن المغيرة بن شعبة τ ، أن النبي ε كان يقوم ليصلي حتى ترم قدماه أو ساقاه فيقال له فيقول : أفلا أكون عبداشكورا) [3] ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما : " أن النبي ε لما قدم

1. أخرجه مسلم فى كتاب الزهد برقم (2999) 2295/4 .

2. أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان برقم (73) 84/1 .

3. أخرجه البخارى فى كتاب الجمعة برقم (1130) 19/3 .

المدينة وجدهم يصومون يوما يعني عاشوراء ، فقالوا : هذا يوم عظيم ، وهو يوم نجى الله فيه موسى ، وأغرق آل فرعون ، فصام موسى شكرا لله ، فقال : أنا أولى بموسى منهم ، فصامه وأمر بصيامه " [1] ، وعن أبي هريرة τ ، عن النبي ε قال : " الطاعم الشاكر ، بمنزلة الصائم الصابر " [2] .

الشكر فى الاصطلاح الصوفى :

الشكر فى الاصطلاح الصوفى مبنى على تفصيل واستقصاء الأصول القرآنية والنبوية ، وكل يدلى فيه بدلوه ومن ذلك ما ذكره قول الحارث بن أسد المحاسبى (ت:243هـ) : (علامة الشكر لله عز وجل ، الزيادة لأن الله يقول : { لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ } [ابراهيم/7] ، والشكر فى نفسه ومعناه ، أن تعلم أن النعمة من الله سبحانه وتعالى ، وأنه لا نعمة على الخلق من أهل السموات والأرض إلا وبدايتها من الله عز وجل ، فتكون الشاكر لله عز وجل عن نفسك وعن غيرك بمعرفة نعم الله على الخلق جميعا ، فهذا غاية الشكر) [3] .

ويروى عن أبى سعيد الخراز (ت:279هـ) : (الشكر الاعتراف للمنعم والإقرار بالربوبية) [4] ، وقال سهل التسترى (ت:293هـ) : (الشكر لله هو

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب أحاديث الأنبياء برقم (3397) 494/6 .

2. أخرجه الترمذى فى صفة القيامة برقم (2486) وقال الألبانى : صحيح 653/4 .

3. القصد والرجوع إلى الله ص70 .

4. التعرف للكلاباذى ص100 .

الطاعة لله ، والطاعة لله هى الولاية من الله تعالى ، كما قال : { إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالذِينَ آمَنُوا } [المائدة/55] ، ولا تتم الولاية من الله تعالى إلا بالتبرى ممن سواه) [1] ، وحكى عن رويم بن أحمد البغدادى (ت:303هـ) أنه قال : (الشكر استفراغ الطاقة) [2] ، وقال أبو طالب المكى (ت:386هـ) : قطع الله بالمزيد مع الشكر ، و لم يستثن فيه واستثنى فى خمسة أشياء :

1. فى الإغناء ، قال : { فَسَوْفَ يُغْنِيكُمْ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ } [التوبة/28] .
2. فى الإجابة ، قال : { فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ } [الأنعام/41] .
3. فى الرزق ، قال : { يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ } [آل عمران/37] .
4. فى المغفرة ، قال : { وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ } [المائدة/40] .
5. فى التوبة ، قال : { ثُمَّ يَتُوبُ اللهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ } [التوبة/27] .

وختم الله بالمزيد عند الشكر من غير استثناء ، فقال تعالى : { لئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ } [إبراهيم/7] ، فالشاكر على مزيد ، والشكور فى نهاية المزيد ، وهو الذى يكثر شكره على القليل من العطاء ، ويتكرر منه الشكر والثناء على الشئ الواحد من النعم) [3] .

وقال أبو القاسم القشيرى (ت:465هـ) : (حقيقة الشكر الثناء على المحسن

1. تفسير سهل بن عبد الله ص 7 .
2. الرسالة 438/1 .
3. قوت القلوب 204/1 .

بذكر إحسانه ، فشكر العبد لله تعالى ، ثناؤه عليه بذكر إحسانه إليه ، وشكر الحق سبحانه للعبد ، ثناؤه عليه بذكر إحسانه له ، ثم إن إحسان العبد طاعته لله تعالى ، وإحسان الحق إنعامه على العبد بالتوفيق للشكر له ، وشكر العبد على الحقيقة ، إنما هو نطق اللسان وإقرار القلب بإنعام الرب ، قال تعالى : { لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ } [إبراهيم/7] والشكر ينقسم إلى أقسام :

(1- شكر بالقلب وهو اعتكاف على بساط الشهود بإدامة حفظ الحرمة .

(2- شكر باللسان وهو اعترافه بالنعم بنعت الاستكانة .

(3- وشكر بالبدن والأركان وهو اتصاف بالوفاء والخدمة) [1] .

****

82ـ الصبـــــــر

****

الصبر : الصبر الإمساك فى ضيق ، وهو حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع [2] ، والصبر من أوصاف المؤمنين وخصالهم وقد رد الحث عليه فى الكتاب والسنة :

أ- فمن الكتاب قال تعال : { يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا } [آل عمران/200] ، أى احبسوا أنفسكم على العبادة وجاهدوا أهواءكم ، وقال :

---

1. الرسالة 438:437/1 .
2. لسان العرب 437/4 ، كتاب العين 115/7 .

{ وَالصَّابِرِينَ فِي البَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ البَأْسِ } [البقرة/177] ، وقوله : { أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا } [الفرقان/75] ، أى بما تحملوا من الصبر فى الوصول إلى مرضاة الله .

ب- ومن السنة ، عن أبي مالك الأشعري τ ، قال رسول الله ε : " الطهور شطر الإيمان ، والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماوات والأرض ، والصلاة نور والصدقة برهان ، والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو فبايع نفسه فمعتقها أو موبقها " [1] وعن أبي أمامة τ ، عن النبي ε قال : يقول الله سبحانه : " ابن آدم إن صبرت واحتسبت عند الصدمة الأولى ، لم أرض لك ثوابا دون الجنة " [2] .

والصبر لفظ عام ربما خولف بين أسمائه بحسب اختلاف مواقعه [3] :

1- فإن كان حبس النفس لمصيبة سمى صبرا لا غيره ، ويضاده الجزع ، كما روى عن أنس بن مالك τ ، قال : " مر النبي ε بامرأة تبكي عند قبر فقال : اتقي الله واصبري ، قالت : إليك عني ، فإنك لم تصب بمصيبتي ، ولم تعرفه فقيل لها : إنه النبي ε ، فأتت باب النبي ε فلم تجد عنده بوابين ، فقالت : لم

أعرفك ، فقال : إنما الصبر عند الصدمة الأولى " [4] ، وعن صهيب الرومى τ

1. أخرجه مسلم فى كتاب الطهارة برقم (223) 203/1 .
2. أخرجه ابن ماجة فى الجنائز برقم (1597) وقال الألبانى : حسن 509/1 .
3. المفردات ص274 .
4. أخرجه البخارى فى كتاب الجنائز برقم (1283) 177/3 .

قال رسول الله ε : " عجبا لأمر المؤمن ، إن أمره كله خير ، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر ، فكان خيرا له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له " [1] .

2- وإن كان فى محاربة سمى شجاعة ، ويضاده الجبن ، كما روى عن أبي قتادة τ ، أن رجلا قال يا رسول الله : أرأيت إن قتلت في سبيل الله ، تكفر عني خطاياي ؟ ، فقال له رسول الله ε : نعم إن قتلت في سبيل الله ، وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر ، ثم قال رسول الله ε : كيف قلت ؟ ، قال : أرأيت إن قتلت في سبيل الله ، أتكفر عني خطاياي ؟ ، فقال رسول الله ε : نعم وأنت صابر محتسب ، مقبل غير مدبر إلا الدين ، فإن جبريل عليه السلام ، قال لي ذلك) [2] ، وعن ابن عباس τ قال : " لما نزلت : { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضْ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ } [الأنفال/65] شق ذلك على المسلمين ، حين فرض عليهم أن لا يفر واحد من عشرة ، فجاء التخفيف فقال : { الآنَ خَفَّفَ اللهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ

مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ } [الأنفال/66] ، قال : فلما خفف الله عنهم من العـــدة نقص من الصبر بقدر ما خفف عنهم) [3] .

3- وإن كان فى نائبة مضجرة سمى رحب الصدر ويضاده الضجر ، فعن ابـــن

1. أخرجه مسلم فى كتاب الزهد برقم (2999) 2295/4 .
2. أخرجه مسلم فى كتاب الإمارة برقم (1885) 1501/3 .
3. أخرجه البخارى فى كتاب تفسير القرآن برقم (4653) 163/8 .

عمر τ ، قال سمعت رسول الله ε يقول : " من صبر على لأوائها ، كنت لـــه شفيعا أو شهيدا يوم القيامة " [1] ، وعن أنس بن مالك τ ، قال سمعت النبي ε يقول : " إن الله قال : إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه ، فصبر عوضته منـــهما الجنـــة يريد عينيه " [2] ، وعن أبي سعيد الخدري τ : " إن ناسا من الأنصـــار ســـألوا رسول الله ε ، فأعطاهم ، ثم سألوه فأعطاهم ، ثم سألوه فأعطاهم ، حتى نفـــد ما عنده ، فقال : ما يكون عندي من خير فلن أدخره عنكم ، ومن يســـتعفف يعفه الله ، ومن يستغن يغنه الله ، ومن يتصبر يصبره الله ، وما أعطي أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر " [3] .

4- وإن كان فى إمساك الكلام سمى كتمانا ، كما قال عثمان بن عفان τ يوم الدار : " إن رسول الله ε قد عهد إلي عهدا ، فأنا صابر عليه " [4] .

والصبر قد يطلق على بعض المعانى الاصطلاحية مثل :

أ- قتل الصبر : وهو أن يقيد الكائن الحى ثم يرمى حتى الموت ، فعن أبي أيوب الأنصاري τ ، قال سمعت رسول الله ε ينهى عن قتل الصبر ، فوالذي نفسي

1. أخرجه مسلم فى كتاب الحج برقم (1377) 1004/2 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب المرضى برقم (5653) 120/10 .
3. أخرجه البخارى فى كتاب الزكاة برقم (1469) 392/3 .
4. أخرجه الترمذى فى المناقب برقم (3711) وقال الألبانى : صحيح 5/ 631.

بيده لو كانت دجاجة ما صبرتها) [1] ، وعن جابر بن عبد الله τ قال : " نهى رسول الله ε أن يقتل شيء من الدواب صبرا " [2] .

ب- الصبر : يقال لعصارة شجرة مرة تستعمل كدواء ، وعن أم سلمة قالت حين توفي أبو سلمة : جعلت على عيني صبرا ، فقال ε : ما هذا يا أم سلمة ؟ قلت : إنما هو صبر يا رسول الله ليس فيه طيب ، قال : إنه يشب الوجه فلا تجعليه إلا بالليل ، ولا تمتشطي بالطيب ولا بالحناء ، فإنه خضاب ، قلت : بأي شيء أمتشط يا رسول الله ؟ قال : بالسدر تغلفين به رأسك) [3] .

ج – شهر الصبر : شهر رمضان ، فعن أبي هريرة τ ، قال : سمعت رسول الله ε يقول : " شهر الصبر وثلاثة أيام من كل شهر صوم الدهر " [4] .

الصبر فى الاصطلاح الصوفى :

الصبر عند الصوفية عبارة عن حبس النفس على الطاعات ، ولزوم الأمر والنهى ثم على ترك رؤية الأعمال ، وترك الدعوى مع مطالبة الباطن بذلك

والثبات على مقامات البلايا ، حتى يصير كل بلاء ومحنة بتلك الرؤيـــة عطـــاء ومنحة ، ويصير وظيفة السالك ومقامه شكرا بعد أن كان صـــبرا ، فالصـــبر عندهم يشمل جميع المقامات والأخلاق والأعمال والأحوال ، فإن جميع ذلك لا

1. أخرجه أبو داود فى كتاب الجهاد برقم (2687) وقال الألبانى : ضعيف 60/3 .
2. أخرجه مسلم فى كتاب الذبائح برقم (1959) 1550/3 .
3. أخرجه النسائى فى كتاب الطلاق برقم (3537) وقال الألبانى : ضعيف 204/6 .
4. أخرجه النسائى فى الصيام برقم (2408) وقال الألبانى : صحيح 218/4 .

يتحقق إلا بحمل النفس على الثبات فى التوجه إلى تحققه ، وعلى مقاساة الشدة فى تصحيحه [1] .

روى عن بشر الحافى (ت:227هـ) أنه قال : (الصبر الجميل هو الذى لا شكوى فيه إلى الناس) [2] .

ويقسم أبو سعيد الخراز (ت:279هـ) الصبر إلى أنواع [3] :

[1] – أولها : الصبر على آداء فرائض الله تعالى على كل حـــال ، فى الشـــدة والرخاء والعافية والبلاء طوعا وكرها .

[2] – ثانيها : الصبر عن كل ما نهى الله تعالى عنه ، ومنع النفس من كل ما مالت إليه بهواها مما لا يرضى الله ، وهذه الدرجة وما سبقها هما فـــرض على العباد أن يعملوا بهما .

[3] – ثالثها : الصبر على النوافل ، وأعمال البر وما يقرب العبد إلى الله تعالى فيحمل نفسه على بلوغ الغاية للذى رجاه من ثواب الله عز وجل .

[4] – رابعها : الصبر على قبول الحق ممن جاء به من النـــاس ودعـــا إليـــه بالنصيحة فيقبل منه ، لأن الحق رسول من الله جل ذكره إلى العباد ولا يجوز لهم رده ، فمن ترك قبول الحق ورده فإنما يرد على الله تعالى أمره .

---

1. لطائف الإعلام 54/2 بتصرف .
2. طبقات الصوفية ص43 .
3. كتاب الصدق لأبى سعيد الخراز ص 19 بتصرف .

[5] – خامسها : الصبر على احتمال مكروه النفس ، فإذا وقع بها ما تكرهه تجرع العبد ذلك ، وترك البث والشكوى ، وكتم ما نزل بها كما قـــال تعالى : { وَالكَاظِمِينَ الغَيْظَ وَالعَافِينَ عَنْ النَّاسِ } [آل عمران/134] ، فالعبد كتم ما كره وشق على نفسه احتماله فصار بذلك صابرا .

ويروى عن إبراهيم الخواص (ت:291هــ) أنه قال : (الصبر هو الثبـــات على أحكام الكتاب والسنة) [1] ، ويذكر لسهل التسترى (ت:294هــ) أنه قال : (الصبر تصديق الصدق ، الصالحون فى المؤمنين قليل ، والصـــادقون فى الصالحين قليل ، والصابرون فى الصادقين قليل ، وأفضل منازل الطاعة الصـــبر على المعصية ، ثم الصبر على الطاعة ، وقال تعالى : { اسْتَعِينُوا بِاللهِ وَاصْبِرُوا } [الأعراف/128] أى استعينوا بالله على أمر الله ، واصبروا على أدب الله) [2] .

وللصوفية أيضا كلام نفيس فى الصبر يعبر عن الأصول القرآنية والنبوية ، منه ما روى عن عمرو بن عثمان المكى (ت:297هـ) أنه قال : (الصبر هو الثياب مع الله سبحانه وتعالى ، وتلقى بلائه بالرحب والدعة) [3] .

وعنه أيضا : (لقد وبخ الله تعالى التاركين للصبر على دينهم بما أخبرنا عن الكفار أنهم قالوا : { امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ } [ص/6] ، فهذا توبيخ لمن ترك

1. الرسالة القشيرية 1/ 455 .
2. قوت القلوب 194/1 ، والتعرف ص 94 .
3. طبقات الصوفية ص203 .

الصبر من المؤمنين على دينه) [1] ، وذكر عن الجنيد (ت:298هـ) أنه سئل عن الصبر ؟ فقال : (هو تجرع المرارة من غير تعبيس) [2] ، وروى عنه أيضا أنه قال : (المسير من الدنيا إلى الآخرة سهل هين على المؤمن ، وهجران الخلق فى طاعة الله تعالى شديد ، والمسير من النفس إلى الله تعالى صعب شديد والصبر مع الله أشد) [3] .

وقال أبو طالب المكى (ت:386هـ) : الصبر يحتاج إليه العبد قبل العمل ومعه وبعده [4] :

(1- الصبر قبل العمل ، أن يصبر على تصحيح النية وعزم العقود والوفاء بها حتى تصح الأعمال ، لأن النبى ε قال : (إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل

امرئ ما نوى) [5] ، وقال تعالى : { وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ } [البينة/5] ، وحقيقة النية الإخلاص ، ولأن الله تعالى قدم الصبر على العمل ، فقال تعالى : { إِلا الذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلوا الصَّالِحَاتِ أُوْلئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ } [هود/11] .

---

1. الرسالة القشيرية 455/1 .
2. السابق 454/1 .
3. السابق 454/1 .
4. قوت القلوب 196/1 .
5. أخرجه البخارى فى كتاب بدء الوحى برقم (1) 15/1.

(2- والصبر مع العمل ، التأنى فيه حتى يتم ويعمل ، لقوله تعالى : { نِعْمَ أَجْرُ العَامِلِينَ الذِينَ صَبَرُوا وَعَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلونَ } [العنكبوت/59:58] .

(3- والصبر بعد العمل ، هو الصبر على كتمه وترك التظاهر به والنظر إليه ليخلص من السمعة والعجب ، فيكمل ثوابه كما خلص من الرياء ، كما قال تعالى : { أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُول وَلا تُبْطِلوا أَعْمَالكُمْ } [محمد/33] ، وقال تعالى فى مثله : { لا تُبْطِلوا صَدَقَاتِكُمْ بِالمَنِّ وَالأَذَى } [البقرة/264] .

وقال أبو القاسم القشيرى (ت:465هـ) : (الصبر على أقسام : صبر على ما هو كسب للعبد ، وصبر على ما ليس بكسب له ، فالصبر على المكتسب على قسمين : صبر على ما أمر الله تعالى به ، وصبر على ما نهى عنه ، وأما

الصبر على ما ليس بمكتسب للعبد : فصبره على مقاساة ما يتصل به من حكم فيما يناله فيه مشقة) [1] .

****

83ـ الصـــــــدق

****

الصدق : الصدق ضد الكذب ، وهو مطابقة القول والفعل فى الظاهر لما فى الضمير من قول أو فعل ، ويسرى ذلك فى نوعى الكـــلام الخـــبر والإنشـــاء فالصدق فى الخبر وقوعه على نحو يوافق حقيقة المخبر عنه ، والصدق فى الأمر

1. الرسالة القشيرية 454:453/1 .

تنفيذه على النحو المطلوب [1] ، ومن أمثلة ذلك :

أ- الصدق مطابقة القول حقيقة المخبر عنه ، ووقوعه على نحو يتوافــق مــع الحقيقة نحو قوله : { قَالوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْــدَ مَتَاعِنَـــا فَأَكَلهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لنَا وَلوْ كُنَّا صَادِقِينَ } [يوسف/17] ، وقوله : { ثُمَّ لنَقُولنَّ لوَليِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلكَ أَهْلهِ وَإِنَّا لصَادِقُونَ } [النمــل/49] وقوله : { إِنَّــهُ كَانَ صَادِقَ الوَعْدِ } [مريم/54] ، ومن السنة ما روى عن كعب بن مالــك τ ، قال : " يا رسول الله ، إن الله إنما نجاني بالصدق ، وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقا ما بقيت ، فوالله ما أعلم أحدا من المســلمين أبــلاه الله في صــدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ε أحسن مما أبلاني ، ما تعمــدت منــذ

ذكرت ذلك لرسول الله ε إلى يومي هذا كذبا ، وإني لأرجو أن يحفظـــني الله فيما بقيت ، وأنزل الله على رسوله ε : { لقَدْ تَابَ اللهُ عَلى النَّبِيِّ وَالْمُهَـــاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ العُسْرَةِ.. إلى قوله .. وَكُونُوا مَعَ الصَّـــادِقِينَ } [التوبة/117] (2) .

وعن سعيد بن جبير τ ، قال : " سألت ابن عمر عن حديث المتلاعنين فقال : قال النبي ε للمتلاعنين : " حسابكما على الله ، أحدكما كاذب ، لا ســبيل لك عليها ، قال : مالي ، قال : لا مال لك ، إن كنت صدقت عليهـــا فهـــو

1. لسان العرب 193/10 ، المفردات ص277 ، وكتاب العين 56/5 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب المغازى برقم (4418) 717/7 .

بما استحللت من فرجها ، وإن كنت كذبت عليها ، فذاك أبعد لك " (1) .

وعن عمر بن الخطاب τ قال : " بينما نحن عند رسول الله ε ، ذات يوم إذ طلع علينا رجل ، شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثـــر السفر ، ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس إلى النبي ε ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه ، وقال : يا محمد أخبرني عن الإسلام ، فقال رســـول الله ε: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ε ، وتقـــيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا قال : صدقت ، قال : فعجبنا له يسأله ويصدقه " (2) .

وعن أبي هريرة τ ، قال : " شهدنا خيبر ، فقال رسول الله ε لرجل ممن معه يدعي الإسلام : هذا من أهل النار ، فلما حضر القتال ، قاتل الرجل أشد القتال حتى كثرت به الجراحة ، فكاد بعض الناس يرتاب ، فوجد الرجل ألم الجراحة ، فأهوى بيده إلى كنانته ، فاستخرج منها أسهما فنحر بها نفسه فاشتد رجال من المسلمين ، فقالوا : يا رسول الله صدق الله حديثك ، انتحر فلان فقتل نفسه ، فقال : قم يا فلان فأذن أنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن ، إن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر " (3) .

1. أخرجه البخارى فى كتاب الطلاق برقم (5312) 367/9 .
2. أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان برقم (8) 36/1 .
3. أخرجه البخارى فى كتاب المغازى برقم (4204) 538/7 .

وعن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ، قالت : " دخلت علي عَجُوزَانِ مِنْ عُجُزِ يَهُودِ السَّعْدِيِّ ، فقالتا لي : إن أهل القبور يعذبون في قبورهم فَكَذَّبْتُهُمَا وَلَمْ أُنْعِمْ أَنْ أُصَدِّقَهُمَا فخرجتا ، ودخل علي النبي ε ، فقلت له : يا رسول الله إن عجوزين وذكرت له ، فقال : صَدَقَتَا إِنَّهُمْ يُعَذَّبُونَ عَذَابًا تَسْمَعُهُ البَهَائِمُ كُلهَا " (1) .

ب- الصدق تنفيذ الأمر أو مطابقة الفعل للحقيقة ، ومثاله قوله تعالى : { وَإِذَا قِيل لهُمْ ارْكَعُوا لا يَرْكَعُونَ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ للمُكَذِّبِينَ } [المرسلات/48] ، ومن السنة ما روى عن سعيد المقبري عن أبيه τ ، قال : " كنا في جنازة ، فأخذ أبي

مسعود الأنصاري τ بيد مروان ، فجلسا قبل أن توضع ، فجاء أبو سـعيد τ فأخذ بيد مروان ، فقال : قم فوالله لقد علم هذا أن النبي ε نهانا عن ذلك فقال أبو هريرة τ : صدق "[2] ، وعن طلحة بن عبيد الله τ ، قال : جاء رجل إلى رسول الله ε ثائر الرأس يسمع دوي صوته ولا يفقه ما يقول حتى دنا ، فإذا هو يسأل عن الإسلام ، فقال رسول الله ε : خمس صلوات في اليوم والليلة ، فقال : هل علي غيرها ؟ ، قال : لا ، إلا أن تطوع ، قال رسـول الله ε : وصـيام رمضان ، قال : هل علي غيره ؟ ، قال : لا ، إلا أن تطوع ، قال وذكـر لـه رسول الله ε الزكاة ، قـال : هـل علـي غيرهـا ؟ ، قـال : لا ، إلا أن

1. أخرجه البخارى فى كتاب الدعوات برقم (6366) 178/11 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب الجنائز برقم (1309) 212/3 .

تطوع ، قال : فأدبر الرجل ، وهو يقول : والله لا أزيد على هذا ولا أنقـص قال رسول الله ε : أفلح إن صدق "[1] .

ج- الصدق مطابقة القول الظاهر للباطن ومثاله ، قول النبي ε لمعاذ بن جبل : " ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله صدقا من قلبه ، إلا حرمه الله على النار ، قال : يا رسول الله ، أفلا أخبر به النـاس فيستبشـروا ؟ قال : إذا يتكلوا ، وأخبر بها معاذ عند موته تأثما "[2] .

وعن أبي هريرة τ ، قال : " لما فتحت خيبر ، أهديت للنبي ε شاة فيها سـم فقال النبي ε : اجمعوا إلي من كان ها هنا من يهود ، فجمعوا له ، فقـال : إني

سائلكم عن شيء ، فهل أنتم صادقي عنه ؟ فقالوا : نعم ، قال لهم النبي ε : من أبوكم ؟ قالوا : فلان ، فقال : كذبتم ، بل أبوكم فلان ، قالوا : صدقت قال : فهل أنتم صادقي عن شيء إن سألت عنه ؟ فقالوا : نعم يا أبا القاسم وإن كذبنا عرفت كذبنا كما عرفته في أبينا ، فقال لهم : من أهل النار ؟ قالوا : نكون فيها يسيرا ، ثم تخلفونا فيها ، فقال النبي ε : اخسئوا فيها ، والله لا نخلفكم فيها أبدا ، ثم قال : هل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه ؟ فقالوا : نعم يا أبا القاسم ، قال : هل جعلتم في هذه الشاة سما ؟ قالوا : نعم قال : ما حملكم على ذلك ؟ ، قالوا : أردنا إن كنت كاذبا نستريح ، وإن

1. أخرجه البخارى فى كتاب الإيمان برقم (46) 130/1 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب العلم برقم (128) 272/1 .

كنت نبيا لم يضرك) [1] .

د- الصدق مطابقة الفعل الظاهر للفعل الباطن ومثاله ، ما روى عن خزيمة بن ثابت الأنصاري τ ، أنه رأى في المنام أنه سجد على جبهة رسول الله ε فأخبر النبي ε بذلك ، فاضطجع له رسول الله ε وقال : صدق بذلك رؤياك فسجد على جبهة رسول الله ε " [2] ، وعن ابن عباس τ ، قال : " ما رأيت شيئا أشبه باللمم مما قال أبو هريرة τ ، أن النبي ε قال : إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا ، أدرك ذلك لا محالة ، فزنا العينين النظر ، وزنا اللسان النطق ، والنفس تمنى وتشتهي ، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه) [3] .

هــ- الصدق مطابقة القول والفعل الظاهر والباطن للحقيقة ، وهــو الصــدق بالمعنى العام الشامل لكل ما تقدم ، ومثاله ما روى عن أنس بن مالك τ ، قال النبي ε : " أنا أول شفيع في الجنة ، لم يصدق نبي من الأنبياء ما صدقت ، وإن من الأنبياء نبيا ما يصدقه من أمته إلا رجل واحد "[4] ، وعن عبــد الله بــن مسعود τ ، عن النبي ε قال : " إن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة ، وإن الرجل ليصدق حتى يكون صــديقا ، وإن الكــذب يهــدي إلى

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب الجزية برقم (3169) 314/6 .
2. صحيح الإسناد ، أخرجه أحمد فى المسند برقم (21375) .
3. أخرجه مسلم فى كتاب القدر برقم (2657) 2046/4 .
4. أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان برقم (196) 188/1 .

الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار ، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا "[1] ، وعن حكيم بن حزام τ ، عن النبي ε قال : " البيعان بالخيار ما لم يتفرقا ، فإن صدقا وبينا ، بورك لهما في بيعهما ، وإن كذبا وكتما ، محق بركة بيعهما "[2] .

- الصدق فى الاصطلاح الصوفى :

الصدق فى الاصطلاح الصوفى ،هو الموافقة للحق فى الأقــوال والأفعــال والأحوال ، وذلك لا يتم إلا ممن كمل فى قوة ضبطه لنفسه فى جــانبى العلــم والعمل[3] ، روى عن أحمد بن خضرويه (ت:240هــ) قال : (من أراد أن

يكون الله معه فليلزم الصدق ، فإن الله تعالى قال : { إن الله مع الصـــادقين } وضد الصدق الرياء والكذب) [4] .

وقال الحارث بن أسد المحاسبى (ت:243هـــ) : (الصدق قول باللسان مع إضمار القلب حالة واحدة ، لا يخالف أحدهما صاحبه ، وأصل الصدق المعرفـــة لأنك لا تصدق إلا من تعلم أنه يراك ويسمعك ، وهو قادر علـــى عقوبتـــك وعلمك أنه لا ينجيك منه إلا الصدق له ، فوقع حينئذ الصدق ضرورة فالمعرفة

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب الأدب برقم (6094) 523/10 .
2. أخرجه مسلم فى كتاب البيوع برقم (1532) 1164/3 .
3. لطائف الإعلام 59/2 بتصرف .
4. سراج القلوب على هامش قوت القلوب 208/2 .

أصل الصدق ، والصدق أصل لسائر أعمال البر ، وعلى قدر قوة الصدق يزداد العبد فى أعمال البر ، والصدق موهبة من الله عز وجل ، فإذا وقـــر فى القلـــب انصدع لذلك نور ، وكان له هياج فى القلب ، وأخذ بالرأس ، وانتشر فى سائر الجسد ، فتأخذ كل جارحة منه قسطها من الصدق على قدر الكثرة والقلة من هيجان الصدق ، وعلى قدر ما وافق من ذلك رقة القلب وصحة العقـــل) [1] كما بين أن الصدق كائن فى النية واللسان والعمل [2] :

1- فأما صدق النية فهو : أن يبدلها القلب خوف عقاب أو رجاء ثـــواب لا يريد بذلك غير الله عز وجل .

2- وأما صدق اللسان فهو : أن يطلقه إذا قام له شاهد من الحق ، وكـان التخلف عن اللفظ وهنا فى صدقه .

3- وأما صدق العمل فهو : الهجوم على ما عزم عليه بترك روح النفس حتى يصير إلى ما عزم عليه من العمل ، فيتمه بالحرص عليـه والانكمـاش وخوف الفوت ودرك الأمل ، لا يقطعه عنه قاطع ولا يمنعه عنه مانع .

وقال أبو سعيد الخراز (ت:279هـ) : (الصدق اسم للمعانى كلها ، وهو داخل فيها ، وذلك أنه لا بد للمريد المحقق فى إيمانه والمطالب لسـلوك سـبيل النجاة ، من معرفة ثلاثة أصول يعمل بها ، فبذلك يقوى إيمانه وتقوم حقائقـه

---

1. القصد والرجوع إلى الله للحارث المحاسبى ص61 .
2. السابق ص60 .

وتثبت فروعه ، فتصفو عند ذلك الأعمال وتخلـص إن شـاء الله ، فأولهـا الإخلاص لقول الله عز وجل : { فَاعْبُدْ اللهَ مُخْلصًا لهُ الـدِّينَ } [الزمـر/2] ، ثم الصدق لقول الله عز وجل : { يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَـعَ الصَّادِقِينَ } [التوبة/119] ، ثم الصبر : لقول الله عز وجل : { يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا } [آل عمران/200] ، ثم قال : (وهذه ثلاثة أسام لمعان مختلفة ، وهى داخلة فى جميع الأعمال ، ولا تتم الأعمال إلا بها ، فإذا فارقـت الأعمال فسدت ولم تتم ، ولا يتم بعض هذه الأصول الثلاثة إلا ببعض ، فمتى فقد أحدها تعطل الآخر ، فالإخلاص لا يتم إلا بالصدق فيه والصبر عليـه

والصبر لا يتم إلا بالصدق فيه والإخلاص فيه ، والصدق لا يتم إلا بالصبر عليه والإخلاص فيه) [1] .

وروى عن أبى بكر الواسطى (ت:320 هـ) معنى جامع فى الصدق ، فقال : (الصدق صحة التوحيد مع القصد) [2] .

وقال ابو القاسم القشيرى (ت:465هـ) : (الصدق عماد الأمر ، وبه تمامه وفيه نظامه ، وهو تالى درجة النبوة ، قال الله تعالى : { فَأُوْلَئِكَ مَعَ الذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ } [النساء/69] ، وأقل الصدق استواء السر والعلانية ، والصادق من صدق فى أقواله ، والصديق من صدق فى جميع أقواله وأفعاله وأحواله ، قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ

1. كتاب الصدق ص15:14 .
2. الرسالة القشيرية 450/2.

الصَّادِقِينَ } [1] ، وقد ذكر الكاشانى بعض الاصطلاحات الصوفية فى الصدق فعد منها [2] :

1- صدق الأقوال : وهو موافقة الضمير المنطق ، بحيث يكون الصادق من كان وصف قلبه يطابق ما نطق به لسانه ، كقول الجنيد : (حقيقة الصدق أن تصدق فى موطن لا ينجيك فيه إلا الكذب) .

2- صدق الأفعال : وهو الوفاء لله بالعمل من غير مداهنة ، ولهذا قال المحاسبى : الصادق هو الذى لا يبالى لو خرج كل قدر له فى قلوب الخلق من

أجل إصلاح قلبه ، ولا يحب إطلاع الناس على مثاقيل الذر من حسن عمله ولا يكره أن يطلع الناس على السئ من حاله ، لأن كراهته لذلك دليل على أنه يحب الزيادة عندهم ، وليس هذا من أخلاق الصديقين .

3- صدق الأحوال : وهو اجتماع الهم على الحق ، بحيث لا يختلج فى القلب تفرقة عن الحق بوجه .

صدق الهمة : وهو أن يبلغ العبد فى همته حدا لا يملك معه صرفا لقلبه عما التفتت إليه همته ، لأنه متى صدقت الهمة ارتفعت المهلة ، وزال التصبر لغلبة سلطان الهمة عليها ، ولهذا من بلغ به صدق همته فى طلب ربه إلى هذا الحد الذى لا يصلح لصاحبه أن يملك معه التفاتا إلى غير ما يقتضيه حكم

1. السابق 452/2 .
2. لطائف الإعلام 60:59/2 .

4- ملك الهمة ، لانقهاره تحت غلبة سلطانها ، كان سريعا ما يصير من أهل المحبة التى من بلغ إليها اتصل بأرباب السير فى درجات الارتقاء إلى مراتب الكمالات من غير نهاية .

5- صدق النور : ويعنون به الكشف الذى لا استتار بعده ، وإنما سمى بذلك تشبيها بنور البرق إذا ظهر صدقه ، وذلك عندما يأتى المطر ، فهكذا فيما يبدو للسالك من الأنوار التى تظهر مرارا ثم تختفى وذلك ما دام لم يبلغ بعد فى سيره إلى حضرة الجمع ، فإذا بلغها لم يصح حينئذ اختفاء النور إذ لا

ظلمة هناك ، فلهذا سمى البلوغ إليها بصدق النور أى أن النور الذى كان الحال فيه مشتبها قبل ذلك عندما كان يظهر ثم يستتر قد تبين صدقه عند الوصول إلى مقام الجمع الذى لا ظلمة فيه .

****

84ـ الصفـــــــاء

****

الصفاء : أصل الصفاء خلوص الشئ من الشوب ، ومنه الصفا والصـــفوان للحجارة الصافية ، قال تعالى : { كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ } [البقرة/264] وقال سبحانه : { إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ } [البقرة/158] وذلك اسم لموضـــع مخصوص ، والصفاء يقال فى المحسوسات وغيرها [1] :

1. المفردات ص283 ، وكتاب العين للخليل بن أحمد 162/7.

أ- فمن الأول : قول عبد الله بن مسعود τ : " والذي لا إله إلا هو ، ما أذكر ما غبر من الدنيا إلا كالثغب شرب صفوه وبقي كدره " [1] ، وعنه أيضا τ أن النبي ε قال : " إن المرأة من نساء أهل الجنة ، ليرى بياض ســاقها مـــن وراء سبعين حلة حتى يرى مخها ، وذلك بأن الله تعالى يقول : { كَـــأَنَّهُنَّ اليَـــاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ } [الرحمن/58] ، فأما الياقوت ، فإنه حجر لو أدخلت فيـــه ســـلكا ثم استصفيته لأريته من ورائه) [2] ، وعن سعيد بن المسيب τ ، قال : " إنما سميت الخمر ، لأنها تركت حتى مضى صفوها وبقي كدرها ، وكان يكره كل شيء

ينبذ على عكر " [3] ، ومن حديث أنس بن مالك رضى الله عنه ، قال رسول الله ε : " إنما مثل المريض إذا برأ وصح ، كالبردة تقع من السماء في صفائها ولونها " [4] .

ب- ومن الثانى : الصفاء الإيمانى أو الاصطفاء ، كاصطفاء الله بعض عباده للرسالة والنبوة ، فالاصطفاء تناول صفو الشئ ، كما أن الاختيار تناول خيره قال تعالى : { اللهُ يَصْطَفِي مِنْ المَلائِكَةِ رُسُلا وَمِنْ النَّاسِ } [الحج/75] ، وقال

1. أخرجه البخارى فى كتاب الجهاد برقم (2964) 139/6 .
2. أخرجه الترمذى فى كتاب صفة الجنة برقم (2533) 676/4 .
3. أخرجه النسائى فى الأشربة برقم (5746) قال الألبانى : صحيح الإسناد 334/8 .
4. أخرجه الترمذى فى كتاب الطب برقم (2086) 411/4 وأخرجه ابن أبى الدنيا فى المرض والكفارات برقم (22) ص 34 وفيه الوليد بن محمد الموقرى وهو متروك .

سبحانه وتعالى : { إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآل إِبْرَاهِيمَ وَآل عِمْرَانَ عَلَى العَالمِينَ } [آل عمران/33] ، وقال حذيفة بن اليمان τ : سمعت رسول الله ε يقول : " تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا ، فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء ، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء ، حتى تصير على قلبين ، أبيض مثل الصفا ، فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض والآخر أسود مربادا كالكوز مجخيا ، لا يعرف معروفا ، ولا ينكر منكرا إلا ما أشرب من هواه " [1] .

وقد يستعمل الصفاء فى بعض المعانى الاصطلاحية مثل ، اطلاق مصطلح الصفى على خير ما يعار للصدقة ، كما روى عن أبي هريرة τ ، أن رسول الله ε قال : " نِعْمَ المَنِيحَةُ اللقْحَةُ الصَّفِيُّ مِنْحَةً ، وَالشَّاةُ الصَّفِيُّ تَغْدُو بِإِنَاءٍ وَتَرُوحُ بِإِنَاءٍ " [2] ، واطلاق مصطلح الصفي على أعظم نعمة فى الإنسان وهى نعمة البصر ، كما روى عن أبي هريرة τ ، أيضا أن رسول الله ε قال : " يقول الله تعالى ما لعبدي المؤمن عندي جزاء ، إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة " [3] ، واطلاق مصطلح الصفى على السهم الذى يؤخذ من الغنيمة قبل قسمتها ، مثل ما روى عن عامر الشعبي τ ، قال : " كان للنبي

1. أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان برقم (144) 128/1 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب الهبة برقم (2629) 287/5 .
3. أخرجه البخارى فى كتاب الرقاق برقم (6424) 246/11 .

صلى الله عليه وسلم سهم يدعى الصفي ، إن شاء عبدا وإن شاء أمة وإن شاء فرسا ، يختاره قبل الخمس " [1] .

الصفاء فى الاصطلاح الصوفى :

الصفاء فى الاصطلاح الصوفى أصل من الأصول التى يرد إليها مصطلح التصوف ، فمن المعلوم أن المسلك الصوفي ، مبنى على التخلص من الشوائب الحاجبة والتحرر مما سوى الله ، ولما كانت النسبة إلى الصوف نسبة إلى المظهر

كانت النسبة إلى الصفاء نسبة إلى صفاء الجوهر ، إذ أنهم يعتبرون التصوف أسمى الطرق وأعلاها كمالا وتحققا .

روى عن ابن عطاء الأدمى (ت:311هـ) أنه قال : (لا تغتروا بصفاء العبودية ، فإن فيها نسيان الربوبية لأنها ممازجة الطبع ورؤية الفعل) [2] ، وروى عن أبى بكر الكتانى أنه سئل (ت:322هـ) عن الصفاء ؟ ، فقال : مزايلة المذمومات [3] .

وقال السراج الطوسى (ت:378هـ) : (الصفاء ما خلص من ممازجة الطبع ورؤية الفعل من الحقائق فى الحين) [4] وقال الهجويرى (ت:465هـ) :

إن الصفا صفة الصديق : إذا أردت صوفيا على التحقيق [5] .

---

1. أخرجه أبو داود فى الخراج برقم (2991) قال الألبانى : ضعيف الإسناد 152/3 .
2. اللمع ص114 .
3. السابق ص114 .
4. السابق ص114 .
5. كشف المحجوب ص40 .

ويتابع قائلا : (ذلك أن للصفاء أصل وفرع ، فأصله انتزاع القلب من الأغيار ، وفرعه نفض اليد من هذه الدنيا الخادعة ، وكانت هاتان الصفتان تميزان الصديق أبا بكر ، حيث تعلق قلبه بربه عند موت النبى ، ولم ينظر إلى ما حدث من تبديل الحياة بالموت ، ولكنه نظر إلى الله الذى بدل كل شئ ، ومن ثم تحقق فيه أصل الصفاء وهو انتزاع القلب من الأغيار ، وأما فرع الصفاء فهو نفض اليد من هذه الدنيا الخادعة ، حيث تبرع أبو بكر τ بماله كله ومواليه

وارتدى رداء الصوف ، على حد قول الهجويرى ، ثم جاء إلى النبى ε فسأله : وما خلفت لعيالك ؟ ، فأجابه أبو بكر ، تركت لهم الله ورسوله ، فهو إمام أهل هذه الطريقة ، إن الصفا عكس للكدر ، والكدر من صفات الإنسان ولهذا فإن الصوفى الحقيقى ، هو من يترك الكدر وراء ظهره) [1] ، ويذكر الكاشانى فى معنى الصفاء اصطلاحات غريبة عن منهج القرآن منها [2] :

(1- الصفاء : وهو اسم للبراءة من الكدر عن قلب صفا من الصدأ ، الصاد له عن سلوك سواء طريق أرباب الوفاء ، وإنما يصفو القلب عند انطواء حظ

1. السابق ص41 ، ليس من شك أن السعى إلى الصفاء والتحرر من قيود المعصية هو دين الله عز وجل ، وهو عام فى كل قول وفعل ، بل يمكن القول إنه شرط الإسلام لقبول العمل ، ولكن بضوابط العبودية الممثلة فى ركنيها الأساسيين ، الإخلاص والمتابعة لرسوله ε ، وكلام الهجويرى فيه نظر تقدم تفصيله فى الفصل السادس من القسم الأول .
2. لطائف الإعلام 62:61/2 .

العبودية فى حق الربوبية ، وقد يتبين له أن السلوك إنما كان لرجوعه عن حجابية ظلمة خلقيته إلى كشف أنوار حقيته بعد فنائه عن ظلمة الحدث فى نور الأزل .

(2- صفاء خلاصة خاصة الخاصة : ويعنى به من تحقق بمقام الأكملية ، الذى هو مظهرية التعين ، بمظهرية التعين الثانى ، وذلك فى باب الحقيقة الإنسانية وهو خلاصة خاصة الخاصة .

(3- صفوة صفاء خلاصة خاصة الخاصة : هم صفاء الخلاصة ، وقد يعنى بصفوة الصفاء ، قوم هم فوق هذا المقام ، فإن صفاء الخلاصة هم أهل الأفق العلى ، وأما صفوة الصفاء فهم أهل الأفق الأعلى ، الذى هو مقام أحدية الجمع ومقام أو أدنى .

****

85ـ الطهـــــــارة

****

- **الطهارة** : الطهارة نقيد النجاسة وهى ضربان [1] :

أ- طهارة الجسم الظاهر من النجاسات الحسية ومثاله ، مـا ورد فى قـول الله تعالى : { وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا } [المائـدة/6] ، وقوله سبحانه : { وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمْ اللَّهُ } [البقرة/222] .

---

1. لسان العرب 504/4 ، المفردات ص308 ، كتاب العين 18/4 .

ومما ورد فى السنة ، ما روى عن أسماء بنت أبي بكر رضى الله عنها ، قالت : " سمعت امرأة تسأل رسول الله ε ، كيف تصنع إحدانا بثوبها إذا رأت الطهـر أتصلي فيه ؟ ، قال : تنظر فإن رأت فيه دما ، فلتقرصه بشيء من ماء ، ولتنضح ما لم تر ، ولتصل فيه " [1] ، وعن أبي هريرة τ ، قال رسول الله ε : " البحـر الطهور ماؤه الحل ميتته " [2] ، وعن عبد الله بن مسعود τ ، قال : " كنا نعـد

الآيات بركة ، وأنتم تعدونها تخويفا ، كنا مع رسول الله ε في سفر ، فقل الماء فقال : اطلبوا فضلة من ماء ، فجاءوا بإناء فيه ماء قليل ، فأدخل يده في الإنـــاء ثم قال : حي على الطهور المبارك ، والبركة من الله ، فلقد رأيت الماء ينبع مـــن بين أصابع رسول الله ε ، ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل " [3] .

وعن أبي هريرة τ ، قال رسول الله ε : " طهور إناء أحدكم إذا ولـــغ فيـــه الكلب ، أن يغسله سبع مرات أولاهن بالتراب " [4] ، وعن عائشة رضـــى الله عنها ، عن النبي ε قالت : " سئل النبي ε عن جلود الميتة ؟ فقـــال : دباغهـــا طهورها " [5] .

---

1. أخرجه أبو داود فى الطهارة برقم (360) 99/1 ومسلم برقم (291) 420/1 .
2. أخرجه ابن ماجة فى الصيد (3246) وقال الشيخ الألبانى : صحيح 1081/2 .
3. أخرجه البخارى فى المناقب برقم (3579) 679/6 .
4. أخرجه مسلم فى كتاب الطهارة برقم (279) 346/1 .
5. أخرجه أحمد فى المسند (24688) واللفظ له ، ومسلم برقم (366) 277/1 .

ب- طهارة القلب فى الباطن من النجاسات المعنوية ، كالشرك وسائر الذنوب ومثاله ما ورد فى قوله تعالى : { خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَـــا وَصَل عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ } [التوبة/103] ، وقوله : { وَإِذَا سَـــأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ } [الأحزاب/53] وقد تحتمل الآية الدلالة على الطهارة الحسية والمعنوية معا ، كقوله تعالى : { وَإِذْ

بَوَّأْنَا لإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ البَيْتِ أَنْ لا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِي للطَّائِفِينَ وَالقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ } [الحج/26] وقوله تعالى : { فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلا أَنْ قَالوا أَخْرِجُوا آل لوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ } [النمل/56] ، على اعتبار أن فعل اللواط يرتبط بمحل النجاسة وهو من أقبح الذنوب ، ومما ورد فى السنة حديث عبد الله بن أبي أوفى τ ، أن النبي ε كان يقول : " اللهم لك الحمد ملء السماء وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد ، اللهم طهرني بالثلج والبرد والماء البارد ، اللهم طهرني من الذنوب والخطايا ، كما ينقى الثوب الأبيض من الوسخ " [1] ، وعن بريدة بن الحصيب τ ، قال : " جاء ماعز بن مالك τ ، إلى النبي ε فقال : يا رسول الله طهرني ، فقال : ويحك ارجع فاستغفر الله وتب إليه ، قال فرجع غير بعيد ثم جاء ، فقال : يا رسول الله طهرني ، فقال رسول الله ε : ويحك ارجع فاستغفر الله وتب إليه ، حتى إذا كانت الرابعة ، قال له رسول الله : فيم أطهرك ؟ فقال : من الزنى " [2] .

---

1. أخرجه مسلم فى كتاب الصلاة برقم (476) 346/1 .
2. أخرجه مسلم فى كتاب الحدود برقم (1695) 1321/3 .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما : " أن النبي ε دخل على أعرابي يعوده وكان ε إذا دخل على مريض يعوده قال : لا بأس طهور إن شاء الله ، فقال له : لا بأس طهور إن شاء الله ، قال : قلت : طهور ؟ ، كلا ، بل هي حمى تفور أو تثور على شيخ كبير تزيره القبور ، فقال النبي ε : فنعم إذا " [1] .

وعن أبي هريرة τ : " أن النبي ε لقيه في بعض طريق المدينة ، وهو جنب فانخنس منه ، فذهب فاغتسل ثم جاء ، فقال : أين كنت يا أبا هريرة ؟ ، قال : كنت جنبا فكرهت أن أجالسك وأنا على غير طهارة ، فقال : سبحان الله ، إن المسلم لا ينجس " [2] .

الطهارة فى الاصطلاح الصوفى :

الطهارة فى الاصطلاح الصوفى ترد على المعنى الظاهر فى الشرع ، وعلى معنى باطن يعنى التخلى عن رذائل الأخلاق ليصح التحلى بحميدها ، فمن الطهارة على المعنى الأول ، قول السراج الطوسى : (ومن آدابهم أيضا أن يكونوا دائما على الطهارة فى سفرهم ، وأصلهم فى ذلك ، أنهم لا يدرون متى تأتيهم المنية لقول الله تعالى :

{ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ } [الأعراف/34] يريدون بذلك إن جاءهم الموت بغتة ، يخرجوا من الدنيا على الطهارة) [3] .

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب المناقب برقم (3616) 722/6 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب الغسل برقم (283) 464/1 .
3. اللمع ص197:198.

وسئل الحارث بن أسد المحاسبى عما يطهر القلوب ويجلى صدءها ويقويها على دفع هواها ؟ ، فقال : (قطع الشهوة ، وعدم الميل إلى الرخصة ، والفرار من تأويل الغرة ، التقلل من المطعم والمشرب ، وإصلاح القوت) [1] .

ويذكر السراج الطوسى أن طائفة من الصوفية ادعت الصفاء والطهارة على الكمال والدوام ، وأن ذلك لا يزول عنهم ، وزعموا أن العبد يصفوا من جميع الكدورات والعلل بمعنى البينونة منها ، وقد غلطوا فى ذلك ، لأن العبد لا يصفوا على الدوام من جميع العلل ، وإن وقعت له الطهارة وقتا ، فلا يخلو من العلل وإنما تصفو له وقتا دون وقت على مقدار أماكنهم ، فيذكر الله بنعت الصفاء والطهارة تكون لقلب العبد من الغل والحسد والشرك والتهم ، فأما الصفاء الذى لا يحتمل العلة ، والطهارة من جميع أوصاف البشرية على الدوام بلا تلوين ولا تغيير ، ليس ذلك من صفات الخلق ، لأن الله تعالى هو الذى لا تلحقه العلل ولا تقع عليه الأغيار ، والخلق مراد بالابتلاء ، أنى يخلون من العلل والأغيار وحكم العبد إذا كان ذلك كذلك ، أن يتوب إلى الله تعالى ، ويستغفر الله تعالى فى كل وقت ، لقول الله عز وجل : { وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } [النور/31]) (3) .

وقال أبو القاسم القشيرى : (كما أن فى الشريعة لا تصح الصلاة بغير الطهور فلا تصح فى الحقيقة بغير طهور ، وكما أن للظاهر طهارة فللسرائر أيضا طهارة

1. أعمال القلوب والجوارح ص120 ، وانظر القصد والرجوع إلى الله ص87 .
2. اللمع ص547 .

وطهارة الأبدان بماء السماء أى المطر ، وطهارة القلوب بماء الندم والخجل ثم بماء الحياء والوجل ، وكما يجب غسل الوجه عند القيام إلى الصلاة يجب صيانة الوجه عن التبذل للأشكال عن طلب خسائس الأعراض ، وكما يجب غسل

اليدين فى الطهارة ، يجب قصرهما عن الحرام والشبهة ، وكما يجب مسح الرأس يجب صونه عن التواضع والخفض لكل أحد ، وكما يجب غسل الرجلين فى الطهارة يجب صونهما فى الطهارة الباطنة عن التنقل فيما لا يجوز " [1] .

وقال أيضا فى قوله قوله جل ذكره : { وَإِنْ كُنتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ الغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمْ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ } [النساء/43] ، (كما يقتضى غسل جميع البدن فى الطهارة ، كذلك فى الطهارة الباطنة ما يوجب الاستقصاء ، وذلك عندما تقع للمريد فترة ، فيقوم بتجديد عقد وتأكيد عهد والتزام عزم وتسليم وقت واستدامة ندم واستشعار خجل ، وكما أنه إذا لم يجد المتطهر الماء ففرضه التيمم فكذلك إذا لم يجد المريد من يفيض عليه صوب همته ويغسله ببركات إشارته ويعينه بما يثوب به من زيادة حالته اشتغل بما تيسر له ، من اقتفاء آثارهم والاستراحة إلى ما يجد من سالف سيرهم وما ورد من حكاياتهم) [2] .

وإذا كانت الطهارة فى الباطن عند القشيرى تعنى معنا بسيطا يتمثل فى التخلى

---

1. لطائف الإشارات 405/1 .
2. السابق 405/1 ، وتجدر الإشارة إلى أن التأويل الذى ذكره القشيرى تأويل باطنى لا تشهد له الأصول القرآنية والنبوية ولا يرقى إلى مستوى التفسير الإشارى المختلف فيه .

عن رذائل الأخلاق ومذمومها ، فإنها تعنى عند محى الدين بن عربى معنى أعمق يدل على فلسفة فى وحدة الوجود ، إذ يقول فى قوله تعالى :

{ وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيل أَنْ طَهِّرَا بَيْتِي للطَّائِفِينَ وَالعَاكِفِينَ وَالرُّكَّـعِ السُّجُودِ } [البقرة/125] : (أمرناهما بتطهير بيت القلب ، من قاذورات أحاديث النفس ، ونجاسات وساوس الشيطان ، وأرجاس دواعى الهوى ، وأدناس صفات القوى ، للطائفين أى السالكين المشتاقين الذين يدورون حول القلب فى سيرهم والعاكفين الواصلين إلى مقام القلب ، بالتوكل الذى هو توحيد الأفعال المقيمين فيه بلا تلوينات النفس وإزعاجها منه ، والركع أى الخاضعين الذين بلغـوا إلى مقام تجلى الصفات وكمال مرتبة الرضا والسجود الفانين فى الوحدة) [1] .

وقال أيضا فى قوله تعالى : { وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا } [النساء/42] ، بعداء عن الحـق بالانجذاب إلى الجهة السفلية ، والإعراض عن الجهة العلوية ، والميل الكلـى إلى النفس : { فَاطَّهَّرُوا } بكليتكم عن تلك الهيئة المظلمة ، والصفة الخبيثة الموجبة للبعد والاحتجاب) [2] ، ويذكر الكاشانى أن الطهارة عند الصوفية على مراتب متعددة [3] :

1- طهارة البدن : وتسمى طهارة الظاهر ويعنى بها تطهير البدن مـن الأحـداث والنجاسات العينية والحكمية ، وبذلك يتميز البشر عما سواه من البهائم والأنعام .

1. تفسير القرآن الكريم لابن عربى 84/1 .
2. السابق 314/1 .
3. لطائف الإعلام 88:87/2 .

2- طهارة النفس : ويعنى بها طهارة الجوارح من الجرائم والآثـار ، وبـذلك تتميز نفوس المخبتين لله عمن عبد سواه ، فقد صار المرء فى تحققـه بإنسـانيته

وتمييزها بين صفاتها الملكية والشيطانية ، وفى تخلقه بالأخلاق الإلهية واستكمال استغراقه فيها متوقفا فى جميع ذلك على التخلى عما يضاد ذلك ، ليصح له التحلى بما هو المقصود منها ، وذلك التحلى هو المعبر عنه بالطهارة .

3- الطهارة الصورية : هى طهارة الجوارح المعبر عنها بطهارة النفس .

4- الطهارة المعنوية : هى طهارة القلب .

5- الطهارة الحقيقية : هى طهارة السر ، لأنها لا تجامعها نجاسة بوجه أصلا .

6- الطهارة المرآتية : يعنى بذلك كون العبد مرآة طاهرة من الأدناس الخلقية والانحرافات الإمكانية ، المقتضى حكم الطهارة بقاء ما يظهر فيه من الحقائق الإلهية على طهارتها بحيث لا تنصبغ تلك الصفات الإلهية عند ظهورها فى المطهر بأحكامه الكونية المشار إلى طهارة هذه المرتبة بقوله تعالى فى الحديث : " كنت سمعه وبصره .. إلخ " [1] .

---

1. حديث قدسى أخرجه الإمام البخارى فى كتاب الرقاق برقم (6502) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

****

86ـ العـــــــارف

****

العارف : المعرفة إدراك الشئ بتفكر وتدبر لأثره [1] ، وهى أخص من العلم لأنها تدل عليه باللزوم ، فكل معرفة لازمها العلم وليس العكس ، والعلم هـــو استيعاب العقل للحقائق والأشياء النافذة عبر الحواس ، فيضاده الجهـــل ، قـــال تعالى : { هَل عَلمْتُمْ مَا فَعَلتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلونَ } [يوســف/89] ، أما المعرفة فتلى العلم وهى استيعاب العقل مع استدعاء الإرادة للحقائق والأشياء الموجودة مسبقا فى ذاكرة الإنسان ، فالمعرفة تتطلب إدراك الشئ بتفكر وتـــدبر لأثره فى السابق واللاحق ، ولذا يضادها الإنكار ، ومعلوم أن الإنكـــار فعـــل الإرادة ، قال الله تعالى : { وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلوا عَليْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لـــهُ مُنكِرُونَ } [يوســف/58] ، فقوله : عرفهم ، يدل على علم يوسف υ بوجودهم واستدعاء ما يخصهم مما هو محفوظ فى ذاكرته ، ومما سبق من علامات أوصفات تميزهم ، أما إنكارهم له فلا ينفى علمهم بوجود العزيز أمامهم ، إنما ينفى أنهم عجزوا عن إدراكه ، وتمييز أوصافه المحفوظة لديهم كأخ لهم ، وقال ســبحانه وتعالى : { يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا } [النحل/83] .

والمعرفة وصف الإنسان لأنه يحتاج إلى التذكر والتفكر ، واستدعاء العلـــم

---

1. لسان العرب 236/9 ، المفردات ص331 ، مختار الصحاح 179/1 .

السابق المحفوظ لديه ، فالمعرفة لا تظهر إلا باعتبار تحصيل العلم بالشئ وتذكره أكثر من مرة ، ولذا يقال : الله يعلم كذا ، ولا يقال : يعرف كذا ، و لم تنسب المعرفة إلى الله فى القرآن والسنة ، وإنما نسب إليه العلم ، قال تعالى : { وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لا يَعْلمُهَا إلا هُوَ وَيَعْلمُ مَا فِي البَرِّ وَالبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلا يَعْلمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ وَهُوَ الذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِالليْلِ وَيَعْلمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ } [الأنعام/59] .

والعارف هو المتصف بالمعرفة ، وقال تعالى عن نبيه ε : { وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللهُ عَليْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَال نَبَّأَنِي العَليمُ الخَبِيرُ } [التحريم/3] .

وجميع الأدلة فى الكتاب والسنة فى معنى المعرفة ، تدور حول وجود العلم السابق بالشى محفوظا فى ذاكرة الإنسان ، ومثاله من القرآن قوله : { الذِينَ آتَيْنَاهُمْ الكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ ليَكْتُمُونَ الحَقَّ وَهُمْ يَعْلمُونَ } [البقرة/146] .

ومما ورد فى السنة ما روى عن أنس بن مالك τ أنه قال لامرأة من أهله : تعرفين فلانة ؟ قالت : نعم ، قال : فإن النبي ε مر بها ، وهي تبكي عند قبر فقال : اتقي الله واصبري ، فقالت : إليك عني فإنك خلو من مصيبتي ، قال : فجاوزها ومضى ، فمر بها رجل فقال : ما قال لك رسول الله ε ؟ ، قالت : ما عرفته ، قال إنه لرسول الله ε ، قال : فجاءت إلى بابه ، فلم تجد عليه بوابا فقالت : يا رسول الله ، والله ما عرفتك ، فقال النبي ε : إن الصبر عند

أول صدمة " [1] ، وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما : " أن رجلا سأل النبي ε أي الإسلام خير ؟ قال : تطعم الطعام ، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف " [2] ، وعن عروة بن الزبير أن عائشة رضي الله عنها ، قالت : " كان عمر بن الخطاب τ يقول لرسول الله ε : احجب نساءك ، قالت : فلم يفعل ، وكان أزواج النبي ε يخرجن ليلا إلى ليل قبل المناصع ، فخرجت سودة بنت زمعة وكانت امرأة طويلة ، فرآها عمر بن الخطاب وهو في المجلس فقال : عرفتك يا سودة ، حرصا على أن يترل الحجاب ، قالت : فأنزل الله عز وجل آية الحجاب " [3] .

وعن أنس بن مالك τ ، أنه قال عن مقتل عمه أنس بن النضر يوم أحد : " فمضى فقتل ، فما عرف حتى عرفته أخته بشامة أو ببنانه ، وبه بضع وثمانون من طعنة وضربة ورمية بسهم " [4] .

وعن زيد بن خالد الجهني τ ، أنه قال : سئل رسول الله ε عن اللقطة ؟ فقال : " تعرفها حولا ، فإن جاء صاحبها دفعتها إليه ، وإلا عرفت وكاءها وعفاصها ، ثم أفضها في مالك ، فإن جاء صاحبها فادفعها إليه " [5] .

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب الأحكام برقم (7154) 142/13 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب الإيمان برقم (12) 1/ 71.
3. أخرجه البخارى فى كتاب الاستئذان برقم (6240) 24/11 .
4. أخرجه البخارى فى كتاب المغازى برقم (4048) 411/7 .
5. أخرجه أبو داود فى اللقطة برقم (1701) قال الشيخ الألبانى : صحيح 134/2 .

وعن رجاء بن حيوة أن أبا أمامة رضي الله عنه قال : " فمرني يا رسـول الله بأمر ينفعني الله به ، قال : عليك بالصوم ، فإنه لا مثل له ، وكان أبو أمامـة لا يكاد يرى في بيته الدخان بالنهار ، فإذا رئي الدخان بالنهار عرفـوا أن ضـيفا اعتراهم مما كان يصوم هو وأهله " [1] ، وعن عبد الله بن عبـاس رضـي الله عنهما ، أن الصعب بن جثامة الليثي رضي الله عنه ، أهدى لرسول الله ε حمـار وحش ، وهو بالأبواء ، وهو محرم ، فرده ، قال : صعب ، فلمـا عـرف في وجهي رده هديتي ، قال : ليس بنا رد عليك ولكنا حرم [2] .

ومن الاصطلاحات المتعلقة بمادة المعرفة [3] ، العراف : وهو كالكاهن إلا أن العراف يختص بمن يخبر بالأحوال المستقبلة ، والكاهن بمن يخبر عـن الأحـوال الماضية ، وعن صفية ، عن النبي ε قال : " من أتى عرافا فسأله عـن شـيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة " [4] ، والعرافة : القيام على أمور الناس ومصـالحهم وقال مسلم بن شعبة : استعمل نافع بن علقمة أبي على عِرَافَةِ قَوْمِهِ فَـأَمَرَهُ أَنْ يُصَدِّقَهُمْ) [5] ، ومعنى يصدقهم أى يعرفهم الصدقة ويأخذها منهم .

والمعروف اسم لكل فعل يعرف حسنه بالشرع أو العقل ، والمنكر ما ينكـر

1. أخرجه أحمد برقم (21717) واللفظ له والنسائى فى الصيام (2220) 165/4 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب الهبة برقم (2596) 5/ ص260 .
3. لسان العرب 179/1 ، كتاب العين للخليل بن أحمد 121/2 .
4. أخرجه مسلم فى كتاب السلام برقم (2230) 1751/4 .
5. أخرجه أبو داود فى الزكاة برقم (1581) قال الشيخ الألبانى : ضعيف 103/2 .

بهما قال تعالى : { يَأْمُرُونَ بِالَمعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الُمنكَرِ } [التوبة/71] ، ولهذا قيل للاقتصاد فى الجود معروف ، لما كان ذلك مستحسنا فى الشرع والعقل ، نحـــو قوله تعالى : { وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ } [النساء/6] .

العارف فى الاصطلاح الصوفى :

المعرفة فى الاصطلاح الصوفى ، صفة من عرف الحق سبحانه بأسمائه وصفاته ثم صدق الله تعالى فى معاملاته ، ثم تنقى عن أخلاقه الرديئة وآفاته ، ثم طـــال بالباب وقوفه ودام بالقلب اعتكافه ، فحظى من الله تعالى بجميل إقباله ، وصدق الله فى جميع أحواله وانقطع عنه هواجس نفسه ، و لم يصغ بقلبـــه إلى خـــاطر يدعوه إلى غيره ، فإذا صار من الخلق أجنبيا ، ومن آفات نفسه بريـــا ، ومـــن المساكنات والملاحظات نقيا ، ودام فى السر مع الله تعالى مناجاته ، وحـــق فى كل لحظة إليه رجوعه ، وصار محدثا من قبل الحق سبحانه بتعريف أسراره فيما يجريه من تصاريف أقداره ، يسمى عند ذلك عارفا وتسمى حالته معرفة [1] .

ونادرا ما نجد صوفيا لم يتكلم فى المعرفة أو لم يسأل عنها ، روى عن أبى يزيد البسطامى (ت:234هـــ) أنه سئل ما علامة العارف ؟ ، فقال : ألا يفتر مـــن

---

1. الرسالة القشيرية 601/2 ، انظر المزيد عن العارف والمعرفة للتوسع والمقارنة ، نظرية المعرفة بين الكندى وذى النون المصرى دراسة مقارنة بين الفلسفة والتصوف إعـــداد السيد رزق الحجر رسالة دكتوراه ، مخطوط كلية دار العلوم جامعـــة القـــاهرة ســـنة 1981م ، وانظر يضا ، نظرية المعرفة بين ابن رشد وابن عربى إعداد أحمد عبد المهيمن عبد الله رسالة ماجستير بالموضع السابق سنة 1994م .

ذكره ولا يمل من حقه ، ولا يستأنس بغيره [1] ، وأجاب أيضا : (العـــارف لا يرى فى نومه غير الله ، ولا فى يقظته غير الله ، ولا يوافق غير الله ، ولا يطـــالع غير الله تعالى) [2] ، وسئل عن درجة العارف ؟ فقال : ليس هناك درجة بـــل أعلى فائدة العارف وجود معروفه [3] .

ويذكر لذى النون المصرى (ت:248هــ) أنه سئل عن نهايـــة العـــارف ؟ فأجاب قائلا : إذا كان كما كان حيث كان قبل أن يكون [4] ، ويعنى بـــذلك موافقته للميثاق الغيبى الذى أقر فيه بالتوحيد ، وأجاب مرة بقوله : (هو رجل معهم باين عنهم) [5] ، وأيضا سئل الجنيد (ت:297هــ) ما العارف ؟ فقال : من لم يأسره لحظه ولا لفظه [6] .

وقال السراج الطوسى (ت:378هــ) : سئل بعضهم ما المعرفة ؟ فقـــال : تحقيق القلب بإثبات وحدانيته بكمال صفاته وأسمائه ، فإنه المتفرد بالعز والقدرة والسلطان والعظمة ، الحى الدائم الذى ليس كمثله شئ وهو السميع البصير بلا كيف ولا شبه ولا مثل ، بنفى الأضداد والأنداد والأسباب عن القلوب [7] .

---

1. طبقات الصوفية ص72 .
2. الرسالة القشيرية2/606 .
3. طبقات الصوفية ص69 .
4. التعرف ص136.
5. السابق ص 136 .
6. طبقات الصوفية ص159.
7. اللمع ص63 .

ومن كلامهم فى وصف العارف والمعرفة ، ما قاله المحاسبى (ت:243هـ) : (اعلم أن أهل المعرفة بالله بنوا أصول الأحوال على شاهد العلم ، وتفقهوا فى الفروع ألا ترى لقول النبى صلى الله عليه وسلم : " من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم " [1] ، وعلامة ذلك ، هو تزايد العلم بالإشفاق ، ومزيد العلم بالاقتدار فكلما ازداد علما ازداد خوفا وكلما ازداد عملا ازداد تواضعا) [2] .

وقال سهل بن عبد الله التسترى (ت:293هـ) : (العارف الذى طلب معرفة الله وقربه ، وعلامة العارف أنه بذل ماله صحيحا ، أخرجه ثم روحه فأباحه ، فلو لم تكن جنة ولا نار ، لما زال ولا فتر ، وللعارف ثلاث حياءات وهى الحياة التى لا موت فيها ، فحياة الخائف إذا أمن النار فقد حي بحياة ، ثم

1. لم أجده فى كتب السنة ، وفى معناه أثر موقوف على على بن أبى طالب τ ، أخرجه الدارمى برقم (382) ولفظه : (يا حملة العلم ، اعملوا به ، فإنما العالم من عمل بما علم ووافق علمه عمله ، وسيكون أقوام يحملون العلم ، لا يجاوز تراقيهم يخالف عملهم علمهم ، وتخالف سريرتهم علانيتهم ، يجلسون حلقا فيباهي بعضهم بعضا حتى إن الرجل ليغضب على جليسه أن يجلس إلى غيره ويدعه ، أولئك لا تصعد أعمالهم في مجالسهم تلك إلى الله) ولكنه أثر ضعيف فى سنده أبى الحسن بشر بن سلم الهمدانى وهو منكر الحديث ، انظر لسان الميزان ترجمة رقم (79) 23/2 ، والجرح والتعديل رقم (1365)358/2 ، وفيه أيضا أبو الجهم ثوير بن ابى فاختة الهاشمى وهو ضعيف انظر ضعفاء العقيلى رقم (226) 180/1 ، والمجروحين (146) 205/1 ، والجرح والتعديل (1920) 472/2 .
2. رسالة المسترشدين ص100¡99 .

يتم بحياة ثانية ويدخل الجنة بغير حساب ، والراجى أمن من العذاب ومن الحساب فمر إلى الجنة مع السابقين بغير حساب ، فصار له أمانان ، وأما العارف فصار له أمانان من النار ، والأمان الثالث صار إلى الرحمن) [1] ، وقال عبد الله بن خفيف (ت:371هـ) : (المعرفة مطالعة القلوب لإفراده عن مطالعة تعريفه) [2] .

ويذكر أبو بكر الكلاباذى (ت:380هـ) فى المعرفة ، أن ابن عطاء الأدمى قال : (تعرف إلى العامة بخلقه ، لقوله : { أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلى الإِبِلِ كَيْفَ خُلقَتْ } [الغاشية/17] وإلى الخاصة بكلامه وصفاته ، بقوله : { أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ القُرْآنَ } [النساء/82] ، وقال تعالى : { وَنُنَزِّلُ مِنْ القُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ للمُؤْمِنِينَ } [الإسراء/82] ، وقال : { وَللهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى } [الأعراف/180] وإلى الأنبياء بنفسه كما قال : { وَكَذَلكَ أَوْحَيْنَا إِليْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا } [الشورى/52] الآية وقال : { أَلمْ تَرَى إِلى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّل } [الفرقان/45]) [3] .

وقال أبو طالب المكى (ت:386هـ) : (لا بد للعالم بالله تعالى من خمس هى علامة علماء الآخرة :

---

1. كلام سهل ق102 وما بعدها ، مخطوط كبرولو 727 استانبول ، نشره الدكتور محمد كمال جعفر فى كتابه التصوف طريقة وتجربة ومذهبا ص 312 .
2. سيرة الشيخ الكبير ابن خفيف الشيرازى ص323 .
3. التعرف لمذهب أهل التصوف ص80 .

1- الخشية ، لقوله تعالى : { إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلمَاءُ } [فاطر/28] .
2- الخشوع ، لقوله تعالى : { خَاشِعِينَ للهِ } [آل عمران/199] .
3- التواضع ، لقوله تعالى : { وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ للمُؤْمِنِينَ وَقُل إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ المُبِينُ } [الحجر/88] .
4- حسن الخلق ، لقول الله تعالى : { فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنْ اللهِ لنْتَ لهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ } [آل عمران/159] .
5- الزهد فى الدنيا قال الله تعالى : { وَقَال الذِينَ أُوتُوا العِلمَ وَيْلكُمْ ثَوَابُ اللهِ خَيْر } [القصص/80] ، فمن وجد فيه هذه الخلال ، فهو من العلماء بالله عز وجل) [1] .

ويذكر الهجويرى (ت:465هـ) أن المعرفة هى حياة القلوب عن علام الغيوب ، وخلو السريرة عن كل ما سوى الله ، وقدر كل إنسان على حسب معرفته ، ومن كان على غير معرفة فليس بشئ ، فالمعرفة هى أساس كل خير فى الدنيا والآخرة ، لأن أهم الأشياء للإنسان فى كل أوقاته وأحواله ، هى معرفة الله سبحانه وتعالى ، كما قال جل وعلا : { وَمَا خَلقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ } [الذاريات/56] أى ليعرفون ، لكن أكثر الناس يهملون هذا الواجب إلا من اختصهم الله ونجاهم من ظلمات الدنيا وأحيا قلوبهم لقوله تعالى : { وَجَعَلنَا لهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ } [الأنعام/122] ، يعنى عمر بن الخطاب { كَمَنْ مَثَلهُ فِي الظُّلمَاتِ } [الأنعام/122] يعنى أبا جهل [2] .

1. قوت القلوب 146/1 .
2. كشف المحجوب ص318 .

****

87ـ العـــــــامة

****

العامة : العامة ضد الخاصة ، والعام ورد فى القرآن على معنى اصطلاحى وهو الحول ، كقول الله تعالى : { فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَال كَمْ لبِثْتَ قَال لبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَال بَل لبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ } [البقرة/259] ، وورد ما يضاد معـــنى العامة فى قوله تعالى : { وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الذِينَ ظَلمُوا مِـــنْكُمْ خَاصَّـــةً } [الأنفال/25] أى تعمكم [1] .

وقد ورد لفظ العامة فى السنة فى عدة أحاديث ، منها حديث جابر بن عبد الله τ ، أن النبي ε قال : " وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة " [2] ، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص τ ، أن رســـول الله ε قـــال : كيف بكم وبزمان يغربل الناس فيه غربلة ؟ ، تبقى حثالة من الناس قد مرجت عهودهم وأماناهم واختلفوا ، فقالوا : وكيف بنا يا رسول الله ؟ قال : تأخذون ما تعرفون ، وتذرون ما تنكرون ، وتقبلون على أمر خاصتكم وتـــذرون أمـــر عـــامتكم [3] وعـــن أبي هريـــرة τ ، أن رســـول الله ε قـــال : " بـــادروا

---

1. لسان العرب 426/12 ، والمصباح المنير 430/2 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب التيمم برقم (335) 519/1 .
3. أخرجه أبو داود فى الفتن والملاحم برقم (4342) قال الألبانى : صحيح 123/4 .

بالأعمال ستا ، طلوع الشمس من مغربها ، أو الدخان ، أو الدجال ، أو الدابة أو خاصة أحدكم ، أو أمر العامة "[1] ، وعنه أيضا τ ، قال رسول الله ε : " سيأتي على الناس سنوات خداعات ، يصدق فيها الكاذب ، ويكذب فيها الصادق ، ويؤتمن فيها الخائن ويخون فيها الأمين ، وينطق فيها الرويبضة ، قيل : وما الرويبضة ؟ ، قال : الرجل التافه في أمر العامة "[2] ، وعن عدى بن حاتم τ قال : سمعت رسول الله ε يقول : " إن الله عز وجل لا يعذب العامة بعمل الخاصة ، حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم ، وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكروه ، فإذا فعلوا ذلك عذب الله الخاصة والعامة "[3] .

العامة فى الاصطلاح الصوفى :

العامة فى الاصطلاح الصوفى ضد الخاصة[4] ، وهم الذين اقتصر نظرهم على علم الشريعة فقط ، ويراد بالعامة علماء الرسوم ، والعباد الذين لم يصلوا بعد إلى مقام المحبة[5] ، ومما ورد من ألفاظهم فيه ، ما روى عن أبى بكر الوراق (ت:بعد250هـ) : (عوام الخلق هم الذين سلمت صدورهم ، وحسنت

1. أخرجه مسلم فى كتاب الفتن برقم (2947) 226/4 .
2. أخرجه ابن ماجة فى كتاب الفتن برقم (4036) قال الألبانى : صحيح 1339/2 والحاكم فى المستدرك برقم (8439) 512/4 .
3. أخرجه أحمد فى المسند برقم (17267) .
4. انظر مصطلح (الخاصة) ص 607 .
5. لطائف الإعلام 102/2 .

أعمالهم وطهرت ألسنتهم ، فإذا خلوا من هذا فهم الغوغاء لا العوام) [1] .

وينسب لأبى العباس بن عطاء الآدمى (ت:311هـ) أنه قال : (خلق الله الأنبياء ، للمشاهدة لقوله تعالى : { أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ } [ق/37] وخلق الصالحين للملازمة ، لقوله تعالى : { وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى } [الفتح/26] وخلق العوام للمجاهدة ، قال الله تعالى : { وَالذِينَ جَاهَدُوا فِينَا } [العنكبوت/69]) [2]
.

ويروى أبو طالب المكى عن بعض أهل الحديث ، قال : جاءنى رجل من إخوانى من أهل المعرفة ، فقال : قد وجدت من قلبى غفلة ، فأريد أن تحملنى إلى مجلس من مجالس الذكر ، فقلت : نعم فسمى له مذكرا يتكلم فى علوم العامة قال : فحضرنا عنده واجتمع الخلق ، فأخذ فى شئ من القصص وذكر الجنة والنار ، فنظر إلى صاحبى ، فقال : أليس زعمت أن هذا يذكر الله ويذكر ربه عز وجل ويذكر أيامه ؟ فقلت : نعم ، هكذا هو عندنا ، فقال : ما أسمع إلا ذكر الخلق ، فأين ذكر الله تعالى [3] .

ويذكر ابن عربى أن أهل الحديث ، هم أنزل الدرجات فى مقامات الأولياء وهم عند العامة فى الرتبة لعليا ، ثم يبين السبب فيقول : (لأن علومهم ليست عن ذوق ، وإنما هى علوم نقل ، أو علوم فكر لا غير ، فأما حديث الله فى الصوامت ، فهو عند العامة من علماء الرسوم حديث حال ، أى فهم من حاله كذا وكذا) [4] .

---

1. طبقات الصوفية ص226 .
2. السابق ص268 .

3. قوت القلوب 151/1 .   4. الفتوحات 76/2 وانظر ختم الأولياء ص218 .

****

88ـ العبـــــــــرة

****

العبرة : العَبرَة حالة مؤثرة تؤدى إلى دمع العين ، فعن أوسط بن عمـــرو τ قال : " قدمت المدينة بعد وفاة رسول الله ε بسنة ، فألفيت أبا بكـــر يخطـــب الناس ، فقال : قام فينا رسول الله ε عام الأول فخنقته العبرة ثلاث مرار " (1) أى عند ذكره لرسول الله ε ، وعن عبد الله بـــن أبي أوفى τ ، وكـــان مـــن أصحاب الشجرة ، فماتت ابنة له وكان يتبع جنازها على بغلة خلفها ، فجعل النساء يبكين ، فقال : لا ترثين ، فإن رسول الله ε نهى عن المراثي ، فتفـــيض إحداكن من عبرها ما شاءت (2) .

والعِبرة حالة مؤثرة فى القلب من معرفة المشاهد والاعتبار بمصيره (3) ، قال تعالى : { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى } [النازعات/26] ، وقال : { قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَـــيْنِ وَاللهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لأُوْلِي الأَبْصَارِ } [آل عمران/13] .

---

1. المفردات ص320 .
2. أخرجه أحمد فى المسند برقم (45) واللفظ لـــه ، والترمـــذى فى الـــدعوات بـــرقم (3558) وابن ماجة فى كتاب الدعاء برقم (3849) وصححه الألبانى 1265/2 .

3. أخرجه أحمد فى المسند برقم (18659) واللفظ له ، وابن ماجة فى كتاب ما جاء فى الجنائز برقم (1592) وضعفه الألبانى 507/1 .

وقال : { لقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلبَابِ } [يوسف/111] ، ومما ورد فى السنة ، ما روى عن أبي سعيد الخدري τ ، قال رسول الله ε : " إني نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ، فإن فيها عبرة " [1] ومن حديث أبي هريرة τ ، قال رسول الله ε فى رجل تصدق على سارق وعلى زانية وعلى غني : " أما صدقتك على سارق فلعله أن يستعف عن سرقته وأما الزانية فلعلها أن تستعف عن زناها ، وأما الغني فلعله يعتبر فينفق مما أعطاه الله " [2] .

العبرة فى الاصطلاح الصوفى :

العبرة فى الاصطلاح الصوفى ، أن يعتبر مما يتعلق بالدنيا ليعبر إلى ما يتعلق بالآخرة ، فيما يراه ويسمعه ويقوله ويفعله ، بحيث لا يكون نظر الإنسان ونطقه وسماعه وفعله ، مقصورا على ما يتعلق بأمر الدنيا ، غير متعد إلى أمر أخروى [3] ، روى عن حاتم الأصم (ت:237هـ) أنه قال : (الشهوة ثلاثة : شهوة فى الأكل ، وشهوة فى الكلام ، وشهوة فى النظر ، فاحفظ الأكل بالثقة واللسان بالصدق والنظر بالعبرة) [4] ، وقال الحارث المحاسبى (ت:243هـ) : (الاعتبار الاستدلال بالشئ على الشئ ، وهو أن تنظر بقلبك إلى الشئ المتقن

1. أخرجه أحمد فى المسند برقم (10936) ومسلم فى الجنائز برقم (977) 672/2 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب الزكاة برقم (1421) 340/3 .

3. انظر لطائف الإعلام 146/2بتصرف .

4. طبقات الصوفية ص96 .

فيلحق قلبك التعجب من نفاذ القدرة ، واتقان الصنع ، وحسن التدبير فيه ، ثم لم تقع عينك على شئ ، إلا دلك الشئ على غـــيره ، والنـــاس متفـــاوتون فى الاعتبار على قدر صحة العقول ، وقوة الإيمان ، وطهارة القلوب ، لأن مخـــرج الاعتبار من القلب) [1] .

وعن يحى بن معاذ الرازى (ت:258هـــ) قال : (من لم يعتبر بالمعاينـــة لم يتعظ بالموعظة ، ومن اعتبر بالمعاينة استغنى عن الموعظة ، العبرة بالأوتار والمعتبر بالمثقال) [2] ، ويذكر لأبى عبد الله السجزى (ت:بعد280هـــ) : (العبرة أن تجعل كل حاضر غائبا ، والفكرة أن تجعل كل غائب حاضرا) [3] .

وقال أبو القاسم القشيرى (ت:465هـــ) : (الاعتبار أحد قوانين الشرع ومن لم يعتبر بغيره ، اعتبر به غيره) [4] ، وقال فى قوله تعالى : { لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ } [يوسف/111] : (عبرة للملوك فى بسط العـــدل وتأمينهم أحوال الرعية ، كما فعل يوسف حين أحسن إليهم ، وأعتقهم حـــين ملكهم ، وعبرة فى قصصهم لأرباب التقوى ، فإن يوسف لما ترك هواه رقاه الله إلى ما رقاه ، وعبرة لأهل الهوى فيما فى اتباع الهوى من شدة البلاء ، كـــامرأة

---

1. القصد والرجوع إلى الله ص85 .

2. طبقات الصوفية ص113 .

3. السابق ص254 .

4. لطائف الإشارات 557/3 .

العزيز لما اتبعت هواها لقيت الضر والفقر ، وعبرة للماليك فى حضرة السادة وعبرة فى العفو عند المقدرة ، وعبرة فى ثمرة الصبر ، فيعقوب لما صبر على مقاساة حزنه ظفر يوما بلقاء يوسف عليه السلام) [1] ، ويذكر الكاشانى فى العبرة عند الصوفية اصطلاحات أخرى منها [2] :

(1- عبرة أولى الأبصار أو بصائر الاعتبار : والمراد العبور من الظاهر إلى الباطن ومن الباطن إلى الظاهر ، بحيث يرى الذات الأقدس تعالى فى كل شئ ظاهر كالمخلوقات الظاهرة فى المراتب الكونية ، وفى كل شئ باطن كالأسماء والحقائق الإلهية والكونية ، فعند العبور من ظاهر كل شئ إلى باطنه ، يرى الوحدة فى عين الكثرة ، والمجمل فى عين المفصل ، وعند العبور من الباطن إلى الظاهر بالعكس ، أى يرى الكثرة فى الوحدة ، والمفصل فى المجمل مع وحدة المجلى والمتجلى فيه بالعين ، وإن وقع الاختلاف بالتعين ، فهذا هو معنى بصائر العبرة أى رؤية مضافة إلى العبرة ، بحيث لا يرى شيئا إلا ويعبر من ظاهره إلى باطنه وبالعكس .

(2- عبرة العقلاء : وتعنى تصفحهم أخبار الماضين ، وتذكرهم ما سلف من سير الأولين ، ويروى عن على كرم الله وجهه فى وصيته لابنه الحسن رضى الله عنهما قال : (فسر فى ديارهم وآثارهم وانظر ما فعلوا ، وعما انتقلوا : انتقلوا

1. السابق 214؛215/2 .

2. لطائف الإعلام 147:146/2 .

عن الأحبة ، وحلوا ديار الغربة ، فكأنك عن قليل قد صرت كأحدهم فأصلح مثواك ، ولا تبع آخرتك بدنياك) [1] .

(3- عبرة أولى الألباب : عبورهم من رؤية الحكم المودعة فى ظهور الخليقة إلى رؤية الحكيم الخبير بها .

(4- عبرة أهل السر : العبور من ظاهر الوجود إلى باطنه ، فيشاهدون الحق فى كل شئ .

****

89 ـ العبـــــــادة

****

- **العبادة** : العبودية إظهار التذلل ، والعبادة أبلغ منها لأنها غاية التـــذلل ، ولا يستحقها إلا من له غاية الإفضال وهو الله تعالى ، ولهذا قال : { وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا } [الإسراء/23] ، والعبادة ضربان [2] :

1- عبادة بالتسخير ، كقوله تعالى : { وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَـــنْ عِنْدَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ } [الأنبياء/19] .

2- عبادة بالاختيار وهى للإنس والجن ، وهى المذكورة فى قوله تعالى : { وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ } [الذاريات/56] ، وقد أمر الله بها شرعا وإيجابا

1. السابق 147/2.

2. القاموس المحيط ص 378 ، وكتاب العين 48/2 ، والمفردات ص319 .

فى قوله تعالى : { وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ } [البينة/ 5] وقوله : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ الذِي خَلَقَكُمْ وَالذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } [البقرة/21] ، ومما ورد فى السنة ما روى عن معقل بن يسار τ ، أن النبى ε قال : " العبادة في الهرج ، كهجرة إلي " [1] ، وعن النعمان بن بشير τ أن النبي ε قرأ : { وَقَال رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لكُمْ إِنَّ الذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ } [غافر/60] ، قال : الدعاء هو العبادة " [2] .

وعن عبد الله بن عمرو τ ، قال : " زوجني أبي امرأة من قريش ، فلما دخلت علي جعلت لا أنحاش لها ، مما بي من القوة على العبادة من الصوم والصلاة ، فجاء عمرو بن العاص إلى كنته حتى دخل عليها ، فقال لها : كيف وجدت بعلك ؟ قالت : خير الرجال أو كخير البعولة من رجل ، لم يفتش لنا كنفا ، و لم يعرف لنا فراشا ، فأقبل علي فعذمني ، وعضني بلسانه ، فقال : أنكحتك امرأة من قريش ذات حسب ، فعضلتها وفعلت وفعلت ، ثم انطلق إلى النبي ε فشكاه .. وقال له ε : إن لكل عابد شرة ، ولكل شرة فترة ، فإما إلى سنة ، وإما إلى بدعة ، فمن كانت فترته إلى سنة ، فقد اهتدى ، ومن كانت فترته إلى غير ذلك ، فقد هلك " [3] .

---

1. أخرجه مسلم فى كتاب الفتن برقم (2948) 2268/4 .

2. أخرجه الترمذى فى تفسير القرآن (2969) وقال الألبانى : 211/5 .

3. أخرجه أحمد فى المسند برقم (6477) 158/2.

وعنه أيضا τ ، قال : " ذكر لرسول الله ε رجال يجتهدون في العبادة اجتهادا شديدا ، فقال : تلك ضَرَاوَةُ الإِسْلامِ وَشِرَّتُهُ ، وَلِكُل ضَرَاوَةٍ شِرَّةٌ ، وَلِكُل شِرَّةٍ فَتْرَةٌ ، فَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلى اقْتِصَادٍ وَسُنَّةٍ فَلأُمٍّ مَا هُوَ ، وَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلى المَعَاصِي فَذَلكَ الهَالكُ " [1] ، وعنه أيضا τ ، قال رسول الله ε : " إن العبد إذا كان على طريقة حسنة من العبادة ، ثم مرض قيل للملك الموكل به : اكتب له مثل عمله إذا كان طليقا حتى أطلقه أو أكفته إلي " [2] .

العبادة فى الاصطلاح الصوفى :

العبودية فى الاصطلاح الصوفى ، تعنى معانقة الأمر ومفارقة النهى ، والقيام بحق الطاعات مع التبرؤ من الحول والقوة [3] ، وتتوافق مع الأصول القرآنية والنبوية فى أغلب عباراتهم ، يقول عبد الله بن خفيف (ت:371هـ) : (الحرية من العبودية باطلة ، أى إذا تصور امرؤ أن العبد يجوز له فى حياته أن يتحرر من قيد العبودية ، وأن تسقط عنه التكاليف الشرعية ، فهو على باطل ، ولكن التحرر جائز من رق النفوسية ، أى يجوز للعبد أن يتحرر من قيد نفسه وغلها والرق والعبودية لا يسقطان من العبد بحال ولا يسقط عنه اسم العبودية) [4] .

1. أخرجه أحمد فى المسند (6441) واللفظ له ، والبخارى فى الصوم (1975) .

2. أخرجه أحمد فى المسند برقم (6503) وفى الإسناد محمد بن تدرس وهو صدوق .
3. الرسالة القشيرية 429/2 .
4. سيرة الشيخ الكبير عبد الله بن خفيف ص 361 .

ويذكر السراج الطوسى (ت:378هـ) أن قوما من المتقدمين تكلم فى معنى الحرية والعبودية على معنى أن العبد لا ينبغى له أن يكون فى الأحوال والمقامات التى بينه وبين الله تعالى كالأحرار ، لأن من عادة الأحرار طلب الأجرة وانتظار العوض على ما يعملون من الأعمال ، وليس عادة العبيد كذلك .. وظنت أن اسم الحرية أتم من اسم العبودية للمتعارف بين الخلق أن الأحرار أعلى مرتبة وأسنى درجة فى أحوال الدنيا من العبيد ، فقاست على ذلك ، ثم يبين أن هذه الفرقة ضلت وتوهمت أن العبد ما دام بينه وبين الله تعالى تعبد ، فهو مسمى باسم العبودية ، فإذا وصل إلى الله صار حرا ، وإذا صار حرا سقطت عنه العبودية وإنما ضلت هذه الفرقة لقلة فهمها وعلمها ، وتضييعها لأصول الدين خفيت على هذه الفرقة الضالة ، أن العبد لا يكون فى الحقيقة عبدا ، حتى يكون قلبه حرا من جميع ما سوى الله عز وجل ، فعند ذلك يكون فى الحقيقة عبد الله [1] .

ثم يقول : (وما سمى الله تعالى المؤمنين باسم أحسن من اسم العبد ، إذ يقول : { وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ } [الفرقان/63] { نَبِّئْ عِبَادِي } [الحجر/49] لأنه اسم سمى به ملائكته ، فقال : { بَل عِبَادٌ مُكْرَمُونَ } [الأنبياء/26] ، ثم سمى به أنبياءه ورسله عليهم السلام فقال تعالى : { وَاذْكُرْ عِبَادَنَا } [ص/45] { وَاذْكُرْ عَبْدَنَا } [ص/41] وقال : { نِعْمَ العَبْدُ } [ص/30] ، وقال لحبيبه وصفيه ε : { وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ اليَقِينُ } [الحجر/99] ، فكان ε يصلى حتى ورمت قدماه ، فقيل له :

يا رسول الله ، أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ ، قـــال : " أفلا

---

1. اللمع ص532:531 .

أكون عبدا شكورا " [1] ، وذكر أبو طالب المكى (ت:386هـــ) أن الـــنفس مبتلاة بأوصاف أربعة ، أولها معانى صفات الربوبية ، نحو الكبر والجبرية وحب المدح والعزم والغنى ، ومبتلاة بأخلاق الشياطين مثل الخداع والحيلة والحســد ومبتلاه بطبائع البهائم وهو حب الأكل والشرب والنكاح ، وهى مع ذلك كله مطالبة بأوصاف العبودية مثل الخوف والتواضع والذل ، والـــنفس خلقـــت متحركة وأمرت بالسكوت ، وأنى لها بذلك إن لم يتداركها المالك ، وكيـــف تسكن بالأمر ، إن لم يسكنها محركها بالخير ، فلا يكون العبد عبدا مخلصا حتى يكون للمعانى الثلاث مخلصا ، فإذا تحققت أوصاف العبودية ، كان خالصا من المعانى التى هى بلاؤه من صفات الربوبية ، فإخلاص العبودية للوحدانيـــة عنـــد العلماء الموحدين ، أشد من الإخلاص فى المعاملة عند العاملين ، وبذلك رفعـــوا إلى مقامات القرب ، وذلك أنه لايكون عندهم عبدا حتى يكون مما ســـوى الله عز وجل حرا ، فكيف يكون عبد رب وهو عبد عبد ؟ ، لأن ما قاده إليه فهو إلهه ، وما ترتب عليه فهو ربه ، وهذا شرك فى الإلهية عند المتـــألهين ، ومـــرج بالربوبية عن الربانيين ، فهو متعوس منكوس ، بدعاء الرسول ε ، إذ يقـــول : تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم تعس عبد الزوجة ، تعس عبد الحلة [2] .

ويروى عن أبى على الدقاق (ت:410هـ) أنه قال : (ليس شئ أشرف من العبودية ، ولا اسم أتم للمؤمن من الاسم له بالعبودية ، ولذلك قال سبحانه فى

1. السابق ص532 .
2. قوت القلوب 86/1؛85 .

وصف النبى ε ليلة المعراج ، وكان أشرف أوقاته فى الدنيا : { سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ } [الإسراء/1] ، وقال تعالى : { فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى } [النجم/10] فلو كان اسم أجل من العبودية لسماه به [1] .

والعبودية عند الصوفية أتم من العبادة ، فأولا عبادة ، ثم عبودية ، ثم عبودة فالعبادة للعوام من المؤمنين ، والعبودية للخواص ، والعبودة لخاص الخاص والعبادة لمن له علم اليقين ، والعبودية لمن له عين اليقين ، والعبودة لمن له حق اليقين ، والعبادة لأصحاب المجاهدات ، والعبودية لأرباب المكابدات ، والعبودة صفة أهل المشاهدات ، فمن لم يدخر عنه نفسه ، فهو صاحب عبادة ، ومن لم يضن عليه بقلبه ، فهو صاحب عبودية ، ومن لم يبخل عليه بروحه ، فهو صاحب عبودة) [2] ، وهذا التقسيم كما هو واضح يفتقر إلى الدليل .

وقال أبو عبد الرحمن السلمى (ت:412هـ) : (طائفة توهمت أن العبد بينه وبين الله بعد باسمه عبدا ، فإذا صار حرا وسقطت عنه العبودية قرب منه ، وهذا غلط كبير ، فإن اسم العبودية أتم ، لأن الله تعالى سمى أولياءه عباده ، وسمى

ملائكته عباده ، وسمى أنبياءه عباده وقدم النبى ε ، وكان يصلى حتى تورمت قدماه ، فقيل له فى ذلك ، فقال : أولا أكون عبدا شكورا " [3] .

1. الرسالة القشيرية 431/2 .
2. السابق 429/2 .
3. أصول الملامتية وغلطات الصوفية ص185.

ويذكر الكاشانى فى مصطلح العبودية ، كلاما غريبا لا علاقة له بالأصول القرآنية والنبوية ، فيبين أن العبودية هى مشاهدة العبد لربه مقام العبودية ، فإن العبودية ذلة تظهر فى نفسه الممحوة بأكمل وجوهها ، وتجهل نسبتها فلا تعلم لمن تنتسب ، إذ ليس حالتئذ دون هذه الذلة ما هو أكمل منها ذلة ، فتنسب هى إليه يكون المنسوب إليه أقوى فى نسبة مشتركة بينه وبين المنسوب إليه بنسبة القيام به ، فإن عين العبد إذ ذاك ممحو عن وجوده والقائم بالممحو ممحو بلا محالة ، فلم يبق هنا لك إلا الحق المتجلى بسر القيومية ، وقد تأبى حقيقته أن تنتسب إليه بنسبة القيام به ، فيتبين عند ذلك مجهولية نسبتها ، فيشاهد ظهورها من مقام العبد الممحو لربه خاصة ، بمعنى أن يكون هو قبلته لا غير [1] .

ومما اصطلح عليه الصوفية تحت مدخل العبادة ، مصطلح (العبادلة) ويعنون بهم أرباب التجليات الأسمائية ، بمعنى أن كل من كان شهوده للحق تعالى ، من حيث اسم ما من أسمائه تعالى ، عندما يتم له كمال تحققه بتخلقه بمقتضى ذلك الإسم ، فإنه ينسب عند هذه الطائفة إلى عبودية ذلك الإسم ، فيقال : عبد

القيوم مثلا ، إذا تخلق بالاسم القيوم على مقتضى ما يليق بعبودية تجلى له الحق فى قيوميته ، ولذا يقال : عبد المنعم إذا تحقق بتخلقه بهذا الإسم ، لتجلى الحق له تعالى فى أنعامه وهكذا [2] .

1. رشح الزلال ص154:153وانظر لطائف الإعلام 104/2 .

2. لطائف الإعلام 105:104/2، وانظر العبادلة تأليف ابن عربى ، تحقيق عبد القادر =

****

90ـ العجـــــــب

****

العُجب : العُجب التعالى والعظمة بما يروق للنفس من حسن أوصـــافها والتعجب حالة تدهش الإنسان عند الجهل بسبب الشئ ، فإذا عرف الســـبب زال العَجب [1] ، والعُجب ورد ذكره فى قول الله تعالى : { لَقَدْ نَصَرَكُمْ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَـــاقَتْ عَلَيْكُمْ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ } [التوبـــة/25] ، وكـــان أغلـــب المسلمين قد داخلهم العجب فى نفوسهم ، والتعالى بقوهم ، حتى اغتروا بقـــول النبى ε : " لا يغلب اثنا عشر ألفا من قلة " [2] .

= أحمد عطا ، نشر مكتبة القاهرة بالصنادقية ، الأزهر سنة 1969م والكمالات الإلهية فى الصفات المحمدية لعبد الكريم الجيلى، تحقيق وتقديم سعيد عبد الفتاح ، نشر مكتبة

عالم الفكر القاهرة سنة 1997م ، وانظر رسالة ماجستير بعنوان : كتاب شرح أسماء الله الحسنى لأبى الحكم بن برجان ، إعداد شوقى على عمر ، كلية دار العلوم 1986م وانظر للتعرف على العبادة من المنظور الإسلامى بصفة عامة رسالة دكتوراه بعنوان العبادة فى الإسلام وصلتها بالفرد والجماعة إعداد على عبد اللطيف منصور ، مكتبة كلية أصول الدين ، جامعة الأزهر الشريف بالقاهرة 1975م .

1. المفردات ص322 .
2. أخرجه أحمد (2677) ، وأبو داود فى الجهاد (2611) وقال الألبانى : صحيح 36/3 .

وعن أنس بن مالك τ ، قال : " ذكر لي أن رسول الله ε ، قال ولم أسمعه منه : إن فيكم قوما يعبدون ويدأبون حتى يعجب بهم الناس وتعجبهم نفوسهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية " (1) .

وعن مسروق قال : " كفى بالمرء علما أن يخشى الله ، وكفى بالمرء جهلا أن يعجب بعلمه " (2) ، والعجب لا يمنع أن يظهر المرء نعمة الله عليه أو يمتنع من أداء ما كلفه الله به ، طالما أنه يريد بعمله وجه الله ، كما قال أبو عيسى الترمذى في معنى الحديث الذى روى عن عقبة بن عامر τ ، قال : سمعت رسول الله ε يقول : " الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة ، والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة " قال : إنما معنى هذا عند أهل العلم ، لكي يأمن الرجل من العجب لأن الذي يسر العمل لا يخاف عليه العجب ، ما يخاف عليه من علانيته (3) .

وقال الإمام مالك رحمه الله في معنى الحديث الذى روى عن أبي هريرة τ أن رسول الله ε قال : " إذا قال الرجل هلك الناس ، فهو أهلكهم " قال مالك :

إذا قال ذلك تحزنا لما يرى في الناس يعني في أمر دينهم ، فلا أرى به بأسا وإذا قال ذلك عجبا بنفسه وتصاغرا للناس فهو المكروه الذي نهي عنه [4] .

---

1. صحيح إلى أنس بن مالك ، أخرجه أحمد فى المسند برقم (12475) .
2. صحيح الإسناد إلى مسروق بن الأجدع ، أخرجه الدارمى فى المقدمة برقم (314) .
3. أخرجه الترمذى فى فضائل القرآن برقم (2919) وقال الألبانى : صحيح 180/5 .
4. سنن أبى داود ، كتاب الأدب برقم (4983) وقال الألبانى : صحيح 296/4 .

العجب فى الاصطلاح الصوفى :

العجب فى الاصطلاح الصوفى هو النظر إلى النفس وعملها على وجه التعظيم وهو من قبائح الأوصاف عندهم ، ومما ورد فيه :

(1- قال الحارث بن أسد المحاسبى (ت:243هـ) : (العجب آفة فى كثير من العباد عظيمة ، معمية لذنوبهم ومزينة لهم خطأهم وزللهم ، لأن العجب يعمى القلب حتى يرى المعجب أنه محسن وهو مسئ ، وأنه ناج وهو هالك ، وأنه مصيب وهو مخطئ ، ولا يلبث صاحبه المعتقد له ، أن يركن إلى الغرة فيستصغر ما علم به من ذنوبه ، وينسى كثيرا منها ، ويعمى عليه أكثرها حتى لا يظنه ذنبا ، فيستكثر عمله فيغتر به فيقل خوفه ، ويشتد بالله عز وجل غرته ، بل قد يخرج صاحبه به إلى الكذب على الله عز وجل ، وهو يرى أنه عليه صادق ، وإلى الضلالة ، وهو يرى أنه مهتد ، فبالعجب هلك أئمة الضلالة ، وبالعجب تكبر المتكبرون ، وافتخر المفتخرون ، واختال المختالون ، وبه هلاك آخر هذه الأمة) [1] .

ويقسم المحاسبى العجب بالدين إلى أربعة وجوه ، العلم والعمل والرأى الصواب والرأى الخطأ [2] :

1- فالعجب بالعلم : كالعجب بما حفظ وفهم من الكتاب والسنة وقول علماء الأمة .

---

1. الرعاية لحقوق الله ص267 .
2. السابق ص269 .

2- والعجب بالعمل : فالاستكثار والاستعظام للعمل ، فإن استكثر العبد عمله واستعظمه تعظيما للنعمة والمنة عليه به ، أو رجاء ثوابه وأنه لا يستحق الثواب ، ولا كان أهلا أن يمن عليه به ، ولا هو أهل أن يقبل منه ولكن عظمت عليه النعمة به ، ورجاء التفضل بالقبول له لا غير ذلك فليس بعجب ، ولكن إذا استكثر عمله واستعظمه ، واستحسن علمه ورأيه ، فأضاف ذلك إلى نفسه وحمدها عليه ، ونسى نعمة ربه عز وجل عليه ومنته بذلك ، فقد أعجب بعمله وعلمه .

3- وأما العجب بالرأى الصواب : فما استنبطه قياسا على الكتاب والسنة والإجماع ، معجبا به مشبها له بما يماثل الحكمة .

4- وأما العجب بالرأى الخطأ : فما كان عن غير استنباط من كتاب ولا سنة ولا إجماع الأمة ، وإنما هو تأويل بغير الحق ، وانتحال له على سبيل الجهل من قبل هوى النفس مع اعتراض من الظن أنه حق .

(2- وقال أبو حامد الغزالى (ت:505هـ) : (اعلم أن العجب مذموم فى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ε ، قال الله تعالى : { وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا } [التوبة/25] ، ذكر ذلك فى معرض الإنكار ، وقال عز وجل : { وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنْ اللهِ فَأَتَاهُمْ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا } [الحشر/2] فرد على الكفار فى إعجابهم بحصونهم وشوكتهم ، وقال تعالى : { وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا } [الكهف/104] ، وهذا أيضا يرجع إلى العجب بالعمل ، وقد يعجب الإنسان بالعمل هو مخطئ فيه ، كما يعجب

بعمل هو مصيب فيه) [1] .

(3- وذكر عماد الدين محمد بن الحسن الأموى ، أن العجب يؤدى إلى الكبر فمن أعجب بعلمه ، تكبر على ما هو دونه فى العلم وعلى العامة ، وينتهر من يرده إلى الصواب فى العلم ، وإن وعظ أنف ممن يعظه ، وإن أمر بالحق لم يقبله وإن ناظر إزدرى بمن يناظره ، ومن تكبر إعجابا بعمله احتقر بمن لا يعمل بمثل عمله .. والعجب من قبائح الأوصاف التى تلقى صاحبها فى الهلاك ، لأن من أعجب بعمله لم ير لنفسه ذنبا فيتوب منه ، ولم ير لنفسه تقصيرا فيقطع عنه وقد جاءت الشريعة بذم الإعجاب لأدائه إلى استعظام الطاعات والإدلال بها على رب الأرض والسماوات ، مفض إلى الكفر والتكبر والتعظيم على العباد ، حتى يصير المعجب كأن له منة على الله تعالى لاستعظام أعماله ، وقد تولد العجب

فى المعجب لاعتقاده استقلاله ، أى انفراده بفعله وعبادته وطاعته .. والناس فى العجب على ثلاثة أصناف [2] :

1- صنف هم المعجبون بكل حال ، وهم المعتزلة والقدرية الذين لا يـــرون لله تعالى عليهم منة فى أفعالهم ، ويعتقدون أهم مستقلون بأفعالهم وينكرون العـــون والتوفيق الخاص ، وذلك شبهة استولت عليهم .

2- وصنف هم الذاكرون للمنة بكل حال ، وهم المخلصون من أهل السنة لا

---

1. إحياء علوم الدين 389/3 .

2.حياة القلوب على هامش قوت القلوب 68:66/2 .

يعجبون بشئ من الأعمال وذلك لبصيرة خصوا بها .

3- والثالث عامة أهل السنة ، تارة يفقهون فيذكرون منة الله تعالى ، وتارة يغفلون فيعجبون .

****

91ـ العـــــــدو

****

العدو : العَدْو التجاوز ، ويقال أيضا للإسراع ، قال علي بن أبى طالب τ : " بعثني رسول الله ε أنا والزبير والمقداد ، فقال : انطلقوا حتى تأتوا روضـــة

خاخ ، فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوا منها ، قال : فانطلقنا تعادى بنا خيلنا ، حتى أتينا الروضة ، فإذا نحن بالظعينة " [1] .

والعدُو من التجاوز والتباعد عن الغير ، والرغبة عنه والبغض له ، وضده الولى الراغب والصديق القريب والنصير الحبيب ، قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلقُونَ إِليْهِمْ بِالمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنْ الحَقِّ } [الممتحنة/1] والعدو ضربان [2] :

أحدهما : عدو بقصد من المعادى وعزم على التعدى نحو قوله تعالى :

1. أخرجه البخارى فى كتاب المغازى برقم (4274) 592/7 .
2. المفردات ص326 ، وكتاب العين 213/2 ولسان العرب 31/15 .

{ وَأَعِدُّوا لهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الخَيْل تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ } [الأنفال/60] ، وقوله أيضا : { وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَليْسَ عَليْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنْ الصَّلاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمْ الذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الكَافِرِينَ كَانُوا لكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا } [النساء/101] ، وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : " قدم النبي ε المدينة ، فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء فقال : ما هذا ؟ قالوا : هذا يوم صالح ، نجى الله بني إسرائيل من عدوهم فصامه موسى ، قال : فأنا أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه " [1] .

والثانى : عدو لا بقصده ، بل تعرض له حالة يتأذى بها ، كما يتأذى مما يكون من العدو ، نحو قوله تعالى : { قَال أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ الأَقْدَمُونَ

فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلا رَبَّ العَالَمِينَ } [الشعراء/77:75] ، وقوله : { يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ } [التغابن/14] قال ابن عباس τ عن هذه الآية : " نزلت فى رجال أسلموا من أهل مكة ، وأرادوا أن يأتوا النبي ε فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم ، أن يأتوا رسول الله ε ، فلما أتوا رسول الله ε ورأوا الناس قد فقهوا في الدين ، هموا أن يعاقبوهم "[2] .

والعدو يراد به أيضا فى المعنى الاصطلاحى أمران :

1- إبليس : على اعتبار مناصبته العداء لبنى آدم ، منذ تكريمهم بسجود الملائكة لهم ، وامتناعه عن السجود ، والإقرار بمنزلة الإنسان التى فضله الله بها

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب الصوم برقم (2004) 287/4 .
2. أخرجه الترمذى فى تفسير القرآن (3317) وقال الألبانى : حسن 419/5 .

فقال تعالى : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمْ الحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الغَرُورُ إِنَّ الشَّيْطَانَ لكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ } [فاطر/6:5] وقال : { قَال يَابُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ } [يوسف/5] .

وعن أبي الدرداء τ ، قال : " قام رسول الله ε ، فسمعناه يقول : أعوذ بالله منك ، ثم قال : ألعنك بلعنة الله ثلاثا ، وبسط يده كأنه يتناول شيئا ، فلما فرغ من الصلاة ، قلنا : يا رسول الله ، قد سمعناك تقول في الصلاة شيئا لم نسمعك تقوله قبل ذلك ، ورأيناك بسطت يدك ، قال : إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي ، فقلت : أعوذ بالله منك ، ثلاث مرات ثم قلت :

ألعنك بلعنة الله التامة ، فلم يستأخر ثلاث مرات ثم أردت أخذه ، والله لـــولا دعوة أخينا سليمان ، لأصبح موثقا يلعب به ولدان أهل المدينة " [1] .

2- النفس : على اعتبار أنها تتعلق بالدنيا ومشتهياتها ، فتتجاوز حدود الشرع إلى تحقيق رغبتها من الدنيا فتهلك صاحبها ، فالنفس عدو على اعتبار المعلولات من أوصافها ، كما قال تعالى : { وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَـــنْ الهَوَى } [النازعـــات/40] ، وقال : { إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلا مَا رَحِمَ رَبِّي } [يوسف/53] ، وقال : { وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ } [الحشر/9] .

وعن سعد بن أبي وقاص τ ، قال : " استأذن عمر τ ، علـــى رســـول الله

1. أخرجه مسلم فى كتاب المساجد برقم (542) 385/1 .

صلى الله عليه وسلم وعنده نساء من قريش يكلمنه ، ويستكثرنه عالية أصواتهن فلما استأذن عمر قمن يبتدرن الحجاب ، فأذن له رسول الله ε ، ورسول الله ε يضحك ، فقال عمر τ : أضحك الله سنك يا رسول الله ، قال : عجبت مـــن هؤلاء اللاتي كن عندي ، فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب ، قال عمـــر τ : فأنت يا رسول الله كنت أحق أن يهبن ، ثم قال : أي عدوات أنفسهن أتهبـــنني ولا تهبن رسول الله ε ؟ قلن : نعم أنت أفظ وأغلظ من رســـول الله ε قـــال رسول الله ε : والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط ، سالكا فجا إلا سلك فجا غير فجك " [1] .

العدو فى الاصطلاح الصوفى :

العدو فى الاصطلاح الصوفى يطلق على الشيطان ، وقلما يخلو تراث الصوفية بوجه عام من وصفه ، وكيفية الحذر من وسوسته والطريقة المثلى فى مقاومتـــه ومن أجود ما ودر من كلامهم فيه :

1- ما ذكره الحارث بن أسد المحاسبى (ت:243هــ) فى مخالفته ، إذ يبين أن أولى الأسباب وأقواها على مخالفة العدو إبليس ، فرض الله اللازم الـــذى أمـــر بمحاربته لقوله تعالى : { إِنَّ الشَّيْطَانَ لكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا } [فاطر/6] وقال تعالى : { يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِـــعْ خُطُـــوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ } [النور/21] [1] .

يقول المحاسبى : (فافهم وفرق بين الداعيين إلى ما دعا الله عز وجـــل ، وإلى ما دعا إبليس ، ثم انظر أيهما أحق أن تجيبه ، من دعاك إلى هلكتك ، وتلـــف نفسك فى طول مدتك ، وأتبعك فى ثبوت أسباب حيلتك ، ووعدك الفقـــر فى أمنيتك ، أو تجيب من بدأك بنعمته ، و لم ينسك فى قديم وحدانيته ، وخصـــك بالإيمان فى علم الغيب فى دوام أزليته ، ودعاك إلى جنته وحسن كرامته ولطيف بره وتمام نعمته ، وإنما العدو يريد أن يقطعك عن الله عز وجل ، مولاك وسيدك بسوء ظنونه وقنوطه وشكوكه وخدعه ، وحبائل مصائده وكثرة غروره ويزين لك العمل فى نفسك ، قال الله عز وجل : { وَزَيَّنَ لَهُمْ الشَّـــيْطَانُ أَعْمَـــالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنْ السَّبِيل } [النمل/24] [2] .

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب بدء الخلق برقم (3294) 390/6 .

2- وقال أبو سعيد الخراز (ت:279هـ) فى كيفية الصدق فى معرفة العدو إبليس : (اعلم أن عدوك إبليس لا يغفل عنك فى سكوت ولا كلام ولا صلاة ولا صيام ، ولا بذل ولا منع ولا سفر ولا حضر ، ولا تفرد ولا خلطة ولا فى توقر ولا فى عجلة ، ولا فى نظر ولا فى غض بصر ، ولا فى كسل ولا فى نشاط ولا فى ضحك ولا فى بكاء ، ولا فى إخفاء ولا فى إعلان ، ولا حزن ولا فرح ولا صحة ولا سقم ولا مسألة ولا جواب ، ولا علم ولا جهل ولا بعد ولا

---

1. القصد والرجوع إلى الله 43 .
2. السابق 44 .

قرب ، ولا حركة ولا سكون ولا توبة ولا إسرار .. فاحترس من عدوك أشد الاحتراس ، وتحصن منه بالملجأ إلى الله عز وجل ، فإنه أمنع الحصون وأقوى الأركان ، فاجعل الله تعالى كهفك وملجأك ، واحذر عدوك عند الغضب والحدة .. قال الله عز وجل : { إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ } [فاطر/6] وقال جل وعز : { يَـابَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنْ الْجَنَّةِ } [الأعراف/27]) (1) .

3- ويذكر عن سهل بن عبد الله التسترى (ت:293هـ) أنه قال فى تفصيل الخواطر الناجمة عن العدو ودواعى النفس : (إذا كانت الخواطر عن أواسط الغواة وهم العدو والنفس ، كانت فجورا وضلالا ، وهى من خزائن الشر ومعالق الأعراض ، قدحت فى القلب ظلمة ونتنا ، أدرك ذلك الحفظة من أملاك

الشمال فكتبوها سيآت) [2] ، ثم بين أن الله إذا أراد إظهار شئ مـــن خـــزائن الغيب ، حرك النفس بلطيف القدرة فتحركت بإذنه ، فقدح مـــن جوهرهـــا بحركتها ظلمة تنكت فى القلب همة سوء ، فينظر العدو إلى القلب ، وهو مراصد ينتظر ، والقلوب له مبسوطة ، والنفوس لديه منشورة يرى ما فيها ، وما كـــان من عمله المتبلى به المصرف فيه ، فإذا رأى همة قدحت فى النفس ، فأحـــدثت ظلمة فى القلب ظهر مكانه ، فقوى بذلك سلطانه) [3] .

---

1. كتاب الصدق ص29:27 .
2. من التراث الصوفى ص 172 ، وقوت القلوب 1/ 123 .
3. قوت القلوب 123/1 .

4- وقال الحكيم الترمذى (ت:320هـــ) : (لما قبض الله عز وجل نبيـــه ε صير فى أمته أربعين صديقا ، بهم تقوم الأرض وهم آل بيته ، فكلما مات واحد منهم خلفه من يقوم مقامه ، حتى إذا انقرض عددهم وأتى وقت زوال الـــدنيا ابتعث الله وليا اصطفاه واجتباه وقربه وأدناه ، واعطاه ما أعطى الأولياء وخصه بخاتم الولاية ، فيكون حجة الله يوم القيامة على سائر الأولياء ، فيوجد عنـــده بذلك الختم صدق الولاية على سبيل ما وجد عند محمد ε من صدق النبوة فلم ينله العدو ولا وجدت النفس سبيلا إلى الأخذ بحظها من الولاية) [1] .

5- وقال أبو طالب المكى (ت:386هـــ) فى وصـــف النـــازعين والهـــاتفين الملازمين لكل إنسان : (فمن السواء والتعديل والازدواج والتقـــويم ، أدوات الظاهر وأعراض الباطن وهى حواس الجسم والقلب ، فأدوات الجســـم هـــى

الصفات الظاهرة وأعراض القلب هى المعانى الباطنة ، قد عـــدلها الله بحكمتـــه وسواها على مشيئته وقومها اتقانا بصنعته ، أولها النفس والروح ، وهما مكانان للقاء العدو والملك وهما شخصان ملقيان للفجور والتقوى .. فما كان من لائح يلوح فى القلب من معصية ثم يتقلب فلا يثبت فهذا نزغ من قبل العدو) [2] .

ويستند المكى إلى الأصول النبوية فى إثبات وجود العدو ، ووجوب الحـــذر

1. ختم الأولياء ص344 ، وكلام الترمذى فى الأربعين صديقا الذين بهم تقـــوم الأرض وهم من آل بيته ε ، أو دعوى ختم الأولياء ، كل هذا كلام باطل يفتقر إلى الدليل .
2. قوت القلوب 114/1 ، ص127 .

وسوسته ، فيستدل بقوله ε : " ما منكم من أحد ، إلا وقد وكل به قرينه مـــن الجن وقرينه من الملائكة ، قالوا : وإياك يارسول الله ؟ قال : وإياى لكـــن الله أعاننى عليه فأسلم ، فلا يأمرنى إلا بخير " [1] وبقوله ε : " إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة ، فأما لمة الشيطان فإيعاذ بالشر وتكذيب بالحق ، وأما لمة الملك فإيعاذ بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله تعالى فليحمـــد الله ، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان " [2] .

6- وقال أبو القاسم القشيرى (ت:465هـــ) فى تفسيره لقوله تعـــالى : { إِنَّ الشَّيْطَانَ لكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ } [فــاطر/6] : (عداوة الشيطان بدوام مخالفته ، فإن من الناس من يعاونه بالقول ولكن يوافقه بالفعل ، ولن تقوى على عداوته إلا بدوام الاستغاثة بالرب

وتلك الاستغاثة تكون بصدق الاستعانة والشيطان لا يفتر فى عداوتك ، فـــلا تغفل أنت عن مولاك لحظة فيبرز لك عدوك فإنه أبدا متمكن لك .. وحـــزب الشيطان هم المعرضون عن الله المشتغلون بغير الله الغافلون عن الله ، ودليل هذا الخطاب إن الشيطان عدوكم فابغضوه واتخذوه عدوا ، وأنا وليكم وحبيـــبكم فأحبونى وارضوا بى حبيبا) [3] .

1. السابق 114/1 ، والحديث أخرجه مسلم فى صفات المنافقين (2814) 2167/4 .
2. أخرجه الترمذى فى التفسير (1072) وقال الألبانى : صحيح 104./3
3. لطائف الإشارات 195/3 .

****

92ـ العـــــــزم

****

العزم : العزم قوة الإرادة ، والعزيمة عقد القلب على إمضاء الأمر [1] يقال : عزمت الأمر عقدت تنفيذه ونويت فعله ، قال تعال : { وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلى آدَمَ مِنْ قَبْل فَنَسِيَ وَلْم نَجِدْ لهُ عَزْمًا } [طه/115] ، أى إرادة قوية وعزيمة يحافظ بها على ما أمر به ، وقال سبحانه : { فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّل عَلَـــى اللهِ } [آل عمـــران/159] وقال ابن عمر τ ، في الإيلاء الذي سمى الله : " لا يحل لأحد بعد الأجل إلا أن يمسك بالمعروف أو يعزم بالطلاق ، كما أمر الله عز وجل : { للذِينَ يُؤْلونَ مِنْ

نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } [البقرة/226:227] " [2] .

ومما ورد فى السنة أيضا فى العزم وقوة الإرادة ، ما روى عن علي τ قال : " بعث النبي ε سرية ، وأمر عليهم رجلا من الأنصار وأمرهم أن يطيعوه فغضب عليهم ، وقال : أليس قد أمر النبي ε أن تطيعوني ؟ قالوا : بلى ، قال : قد عزمت عليكم لما جمعتم حطبا وأوقدتم نارا ثم دخلتم فيها ، فجمعوا حطبا فأوقدوا نارا ، فلما هموا بالدخول فقام ينظر بعضهم إلى بعض ، قال بعضهم :

---

1. كتاب العين 363/1 ، المفردات ص334 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب الطلاق برقم (5291) 335/9 .

إنما تبعنا النبي ε فرارا من النار أفندخلها ؟ فبينما هم كذلك ، إذ خمدت النار وسكن غضبه ، فذكر للنبي ε فقال : لو دخلوها ما خرجوا منها أبدا ، إنما الطاعة في المعروف " [1] ، وعن أبي هريرة τ ، عن النبي ε قال : " لا يقل أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت ، ارحمني إن شئت ارزقني إن شئت ، وليعزم مسألته إنه يفعل ما يشاء لا مكره له " [2] ، وفى رواية أخرى : " ولكن ليعزم المسألة وليعظم الرغبة ، فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه " [3] .

والعزيمة لها معنى اصطلاحى يرد على نوعين :

أ- العزيمة فى مقابل الرخصة : وتعنى الحتم والإلزام ويقابلها حرية الفعل والتخيير لما روى عن أبي سعيد الخدري τ ، أنه سئل عن الصوم في السفر ، فقال :

سافرنا مع رسول الله ε إلى مكة ونحن صيام ، فترلنا مترلا ، فقال رسول الله ε : " إنكم قد دنوتم من عدوكم ، والفطر أقوى لكم ، فكانت رخصة فمنا من صام ، ومنا من أفطر ، ثم نزلنا مترلا آخر ، فقال : إنكم مصبحو عدوكم والفطر أقوى لكم فأفطروا ، فكانت عزيمة فأفطرنا ، ثم قال : لقد رأيتنا نصوم مع رسول الله ε بعد ذلك في السفر " (4) وعن أم عطية رضي الله عنها قالت :

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب الأحكام برقم (7145) 135/13 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب التوحيد برقم (7477) 456/13 .
3. أخرجه مسلم فى كتاب الذكر برقم (2679) 206/4 .
4. أخرجه مسلم فى الصيام (1120) 789/2 وأحمد فى المسند (10914) واللفظ له .

" نهينا عن اتباع الجنائز ولم يعزم علينا " (1) .

ب- والعزيمة تعويذة بعقدة أو غيرها : على اعتبار أنه عقد على الشيطان أن يمضى إرادته فيمن عزمه وجمعها العزائم (2) ، وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال رسول الله ε : " من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر ، ومن سحر فقد أشرك ، ومن تعلق شيئا وكل إليه " (3) .

العزم فى الاصطلاح الصوفى :

العزم فى الاصطلاح الصوفى هو تحقيق القصد ، فهو ثانى أركان أصول الدخول فى هذا الشأن ، وإن القصد هو أولها وذلك لأن صاحب القصد

الصحيح فى التوجه على بصيرة وطمأنينة بحكم التجرد والانقطاع عن كل ما يعوق ، وقد يعتريه فى أثناء سيره أثر شوق والتفات يشير إلى أثر من آثار ما انقطع عنه وتجرد منه ، فيجره ذلك الأثر والشوق إلى ما وراءه مع قوة باعثة للسير ، فيحتاج إلى تقوية الباعث بقطع ذلك الأثر ، فتسمى تلك التقوية بالعزم الذى هو تحقيق القصد ، ثم إن العزم إنما يقويه الأدب ، لأنه هو الذى يظهر الخوف بصورة القبض ، والرجاء بصورة البسط ، وهو الذى يراعى التوسط بينهما [4] .

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب الجنائز برقم (1278) 173/3 .
2. المفردات ص334 .
3. أخرجه النسائى فى تحريم الدم (4079) وقال الألبانى : ضعيف 117/2 .
4. لطائف الأعلام 152/2 .

قال الحارث بن أسد المحاسبى (ت:243هـ) : (التوبة الندم على ما كان من الفعل القبيح ، والعزم على ألا تعود إلى ما كنت عليه من حال الإصرار على العقود ، والفزع من عارض داعى الذنب ، لأن الله عز وجل يقول : { وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلوا وَهُمْ يَعْلمُونَ } [آل عمران/135]) [1] ، وقال أبو طالب المكى (ت:386هـ) عن الخواطر وأثرها فى القلب : (فما كان منها من نية وعزم ، كان محسوبا للعبد فى باب النيات ، مكتوبا له فى ديوان الإرادة ، له بها حسنات ، وما كان منها من الشر ، نية وعقدا وعزما ، فعلى العبد فيه مؤاخذة من باب أعمال القلوب ، ونيات السوء وعقود المعاصى) [2] .

ويذكر أبو القاسم القشيرى (ت:465هـــ) فى تفسير قوله تعالى : { وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا } [طه/115] ، لم نجد له قـــوة بالكمال وانكماشا فى مراعاة الأمر ، حتى وقعت عليه سمة العصيان ، بقولـــه تعالى : { وعصى آدم ربه } ، ويقال : { وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا } على الإصرار على المخالفة ، ويقال : لم نجد له عزما فى القصد على الخلاف ، وإن كان ، فذلك بمقتضى النسيان ، قال تعالى : { فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا } ، على خلاف الأمر وإن كان منه اتباع لبعض مطالبات الأمر) [3] .

---

1. القصد والرجوع إلى الله ص34 .
2. قوت القلوب 1/ 127 .
3. لطائف الإشارات 481/2 .

****

93ـ الغـــــرق

****

الغرق : الغرق الموت بانقطاع النفس فى الماء ، ويطلق أيضا على الوقوع فى البلاء حتى الهلاك [1] :

فمن المعنى الأول : الغرق المحسوس ، كقوله تعالى : { وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيل البَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الغَرَقُ قَال آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلا الذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيل وَأَنَا مِنْ المُسْلِمِينَ } [يـــونس/90] ، وقولـــه

سبحانه : { قَال أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا } [الكهف/71] ، وقد تعوذ النبى ε منه فى حديث أبي اليسر τ ، قال : " كان رسـول الله ε يـدعو اللهم إني أعوذ بك من الهدم ، وأعوذ بك من التردي ، وأعوذ بك من الغـرق والحرق والهرم " [(2)] ، وذكر أيضا أن الغريق من جملة الشهداء ، فعن أبي هريرة τ ، أن رسول الله ε قال : " الشهداء خمسة ، المطعون ، والمبطون ، والغريـق وصاحب الهدم ، والشهيد في سبيل الله " [(3)] .

ومن المعنى الثانى : ما روى عن عمر τ ، أنه قال لأصحاب النبي ε يومـا :

1. لسان العرب 283/10 ، والمفردات ص360 ، وكتاب العين 354./4
2. أخرجه أبو داود فى كتاب الصلاة برقم (1552) وقال الألبانى : صحيح 92/2 .
3. أخرجه البخارى فى كتاب الأذان برقم (654) 163/2 .

" فيم ترون هذه الآية نزلت : { أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لهُ جَنَّةٌ } [البقرة/266] قالوا : الله أعلم ، فغضب عمر ، فقال : قولوا نعلم أو لا نعلم ، فقال ابن عباس τ : في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين ، قال عمر τ : يا ابن أخـي قـل ولا تحقر نفسك ، قال ابن عباس τ : ضربت مثلا لرجل غني يعمل بطاعة الله عـز وجل ، ثم بعث الله له الشيطان ، فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله " [(1)] .

الغرق فى الاصطلاح الصوفى :

الغرق فى الاصطلاح الصوفى يراد به إحساس الصوفى إذا بلغ فى الحال منتهاه واستولى عليه شئ من الواردات التى تجعله كالغريق ، وهذا الغرق قد يصـاحبه

شطحات ، روى عن الجنيد بن محمد فى وصفه شطحات أبى يزيد البسطامى : (رأيت حكايات أبى يزيد رحمه الله على ما نعته ينبئ عنه ، أنه قد غرق فيما وجد منها ، وذهب عن حقيقة الحق إذا لم يرد عليها ، وهى معان غرقته على تارات الغرق كل واحد منها غير صاحبتها)[2] .

وقال الهجويرى : (أما أهل التمكين ليست لهم صفات ، ولا يلحقهم محو ولا صحو ، ولالحق ولا محق ، ولا فناء ولا بقاء ، ولا وجود ولا عدم ، لأن هذه الكلمات لا تنطبق على من فنيت صفاقم ، لأن الصفة تحتاج إلى موصوف وإذا كان الموصوف مستغرقا فقد القوة على الاحتفاظ بها)[3] .

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب تفسير القرآن برقم (4538) 49/8 .
2. اللمع ص459 .
3. كشف المحجوب ص451 .

وقال الكاشانى : (الغرق هو استغرق من تحقق بالحب ، فغرق فى لجة بحر القرب ، فغاب عن إحساسه بالروح والنفس واللب)[1] .

****

94 ـ الغشاوة

****

- **الغشاوة** : حاجب رقيق فى الغالب يستر الشئ ، ويستعمل على نوعين[2] :

1- الغشاوة فى المحسوسات كقوله تعالى : { أَلا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ } [هود/5] ، قال ابن عباس : " يستغشون يغطون رءوسهم "[(3)] وقوله تعالى : { فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنْ اليَمِّ مَا غَشِيَهُمْ وَأَضَل فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى } [طه/78:79] ، وروى عن مسروق فى قوله تعالى : { فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ } [الدخان/10:11] أنه قال : جاء إلى عبد الله بن مسعود τ رجل فقال : تركت في المسجد رجلا يفسر القرآن برأيه يفسر هذه الآية ، قال : يأتي الناس يوم القيامة دخان ، فيأخذ بأنفاسهم حتى يأخذهم منه كهيئة الزكام ، فقال عبد الله : من علم علما فليقل

1. لطائف الإعلام 179/2.
2. كتاب العين 429/4 ، والمفردات ص361 ، والمغرب للمطرزى 104/2 .
3. أخرجه البخارى فى كتاب تفسير القرآن برقم (4683) 200/8 .

به ومن لم يعلم فليقل : الله أعلم ، من فقه الرجل أن يقول لما لا علم له به : الله أعلم ، إنما كان هذا أن قريشا لما استعصت على النبي ε ، دعا عليهم بسنين كسني يوسف ، فأصابهم قحط وجهد حتى جعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد ، وحتى أكلوا العظام ، فأتى النبي ε رجل فقال : يا رسول الله استغفر الله لمضر ، فإنهم قد هلكوا ، فقال : لمضر إنك لجريء ، قال : فدعا الله لهم فأنزل الله عز وجل : { إِنَّا كَاشِفُوا العَذَابِ قَلِيلا

إِنَّكُمْ عَائِدُونَ } [الدخان/15] قال : فمطروا ، فلما أصابتهم الرفاهية عادوا إلى ما كانوا عليه ، فأنزل الله عز وجل : { فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ } [الدخان/10:11] { يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ } [الدخان/16] قال : يعني يوم بدر) [1] .

2- الغشاوة فى المعنويات وهو الأغلب ، كقوله تعالى : { إِذْ يُغَشِّيكُمْ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّل عَلَيْكُمْ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ } [الأنفال/11] ، وقوله : { وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ } [يس/9] قال مجاهد : سدا عن الحق يترددون في الضلالة [2] ، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

1. أخرجه البخارى فى كتاب تفسير القرآن برقم (4821) 434/8 ، ومسلم فى كتاب صفة القيامة برقم (2798) 2155/4 واللفظ له .

2. أخرجه البخارى فى القدر باب المعصوم من عصم الله ، فتح البارى 502/11 .

قال : " اشتكى سعد بن عبادة τ شكوى له فأتاه النبي ε يعوده ، فلما دخل عليه وجده في غاشية أهله ، فقال : قد قضى ؟ قالوا : لا يا رسول الله ، فبكى النبي ε " [1] .

الغشاوة فى الاصطلاح الصوفى :

الغشاوة فى الاصطلاح الصوفى غشاء حاجب يعلو مرآة عين البصيرة فيحدث ما يشبه الصدأ على وجه القلب كما يغشى الثياب عين البصر فى الوجه [2] .

قال الحكيم الترمذى (ت:320هـ) عن وسوسة الشيطان الـتى تـؤدى إلى الإيمان كيف تزيل الغشاوة عن القلوب : (لما حصلت الرمية فى الصـدر بـين عينى الفؤاد طارت من جمرة الإيمان التى فى قلبه شرارة ، فاحرقت الرميـة وولى العدو هاربا ، فانخنس فى مكانه ، وصار لتلك الشرارة فى الصدر ضوء وشهاب ثاقب ، فذلك الضوء الإيمان ، فهو فى تلك الساعة أحسن وأرفع مترلـة ، لأن الإيمان كان منه فى غشاء ، فبرز ضؤه وشهابه فأشرق ، فذلك فعـل القلـب وكسبه ، فلا يستوى كسب الأمير وكسب الخدم وهى الجوارح ، ولذلك قال رسول الله ε حيث شكى إليه ذلك ، فقال : " ذلك محض الإيمان "[3] ، فإنمـا

1. أخرجه البخارى فى كتاب الجنائز برقم (1304) 209/3 .
2. لطائف الإعلام 180/2 بتصرف .
3. أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان برقم (132) 119/1 عن أبي هريرة τ ، قال : جاء ناس من أصحاب النبي ε فسألوه : إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به ؟ قال : وقد وجدتموه ؟ قالوا : نعم ، قال : ذاك صريح الإيمان .

سماه محضا ، لأن الغشاء الذى على الإيمان قد انقشع ، والغطاء قـد انكشـف وذلك أن الغطاء على الإيمان كان من الله رحمة ، والغشاء حديث فى العبـد فى إيمانه ، وهو العلائق والشهوات ، فانقشع الغشاء وانكشف الغطـاء واسـتنار الإيمان فى الصدر ، فأضاء وأشرق ، فذلك محض الإيمان ، وإنما وقع قوله عليـه السلام على تلك الشرارة التى ظهرت من الجمرة ، لا على ما جاء به العدو من الخبث والخبائث "[1] .

ويذكر القشيرى أن غشاوة الأبصار تكون فى القلب بالجهالة والضـــلالة ولا يدخلها شئ من البصيرة والهداية ، فتسد المسامع وتحجب الأبصار عـــن إدراك خطاب الحق من حيث الإيمان ، فوساوس الشيطان وهواجس النفوس شـــغلتها عن استماع خواطر الحق ، فبصائر الأجانب عن الطريقـــة عليهـــا غشـــاوة لا يشهدون ، لا ببصر العلوم ولا ببصيرة الحقائق ، قال تعالى : { خَتَمَ اللّهُ عَلَـــى قُلوبِهِمْ وَعَلى سَمْعِهِمْ وَعَلى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِـــيمٌ } [البقـــرة/7] وقال أيضا : { أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَهُ اللّهُ عَلى عِلمٍ وَخَـــتَمَ عَلَـــى سَمْعِهِ وَقَلبِهِ وَجَعَل عَلى بَصَرِهِ غِشَاوَةً } [الجاثية/23] (2) .

وقال الكاشانى : الغشاوة فى اصطلاح الصوفية كقول القائل :

أيا جسدى العواق لى عن مآربى : أبن لست لى من جملة النصحاء
صحبتك إذ كانت لعينى غشاوة : فلما أنجلت أفرغت منك وعاء (3) .

---

1. آداب المريدين وبيان الكسب ص72:71.
2. لطائف الإشارات 60/1 ، 393/3 بتصرف . 3. لطائف الإعلام 180/2.

****

95ـ الغـــــــــرور

****

الغرور : الغرور كل ما يجعل الإنسان فى مكانة غير مكانته ، مع انخداعه وفتنتـــه من مال وجاه وقوة وسلطان ، وجميع مشتهيات الإنسان (1) ، والغرور من الغـــرة

وهى بياض مميز فى الجبهة ، والغر البارز المميز ، كما روى عن أبي هريـــرة τ أن النبي ε قال : " إن أمتي يدعون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضـــوء ، فمـــن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل "[2] ، واستخدم الغرور فى كل خادع ، كما روى عن سمرة بن جندب τ ، قال : " سمعت محمدا ε يقول : لا يغرن أحـــدكم نداء بلال من السحور ولا هذا البياض حتى يستطير "[3] .

وإذا فتن الإنسان بشئ ، فخدعه أو استجاب له ، فقد اغتر به ، وقال عمـــر بن الخطاب τ : " إنه بلغني أن قائلا منكم يقول : والله لو قد مـــات عمـــر τ بايعت فلانا ، فلا يغترن امرؤ أن يقول : إنما كانت بيعة أبي بكر τ فلتة وتمت ألا وإنها قد كانت كذلك ، ولكن الله وقى شرها ، وليس منكم من تقطع

1. المفردات ص359 ، لسان العرب 11/5 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب الوضوء برقم (136) 283/1 .
3. أخرجه مسلم فى كتاب الصيام برقم (1094) 769/2 .

الأعناق إليه مثل أبي بكر τ "[1] ، وقال لابنته حفصة رضـــى الله عنـــها : أي حفصة : أتغاضب إحداكن رسول الله ε اليوم حتى الليل ؟ فقالت : نعم فقال τ : خابت وخسرت ، أفتأمن أن يغضب الله لغضب رســـوله ε فتـــهلكين لا تستكثري على رسول الله ε ، ولا تراجعيه في شيء ، ولا تهجريه واسأليني مـــا بدا لك ، ولا يغرنك أن كانت جارتك هي أوضأ منك وأحب إلى رسول الله ε ، يريد عائشة "[2] ، وعن عثمان بن عفان τ أن النبي ε قال : " من توضأ مثل

هذا الوضوء ، ثم أتى المسجد فركع ركعتين ثم جلس ، غفر له ما تقدم من ذنبه ، وقال النبي ε لا تغتروا " [3] أى لا تنخدعوا فتتواكلوا .

والغرور يطلق كاصطلاح على الدنيا ، لأنها تفتن الإنسان وتخدعه ، وتعطيه مكانة غير ما يجب له من مكانة العبودية ، والافتقار إلى الله وصفها الله بالغرور فقال سبحانه : { اعْلمُوا أَنَّمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا لعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَال وَالأَوْلادِ كَمَثَل غَيْثٍ أَعْجَبَ الكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ اللهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا مَتَاعُ الغُرُورِ } [الحديد/20] وقال أيضا : { إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمْ الحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الغَرُورُ } [لقمان/33] ، وعن أبي هريرة τ ، قال

1. أخرجه البخارى فى كتاب الحدود برقم (6830) 148/12 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب المظالم برقم (2468) 137/5 .
3. أخرجه البخارى فى كتاب الرقاق برقم (6433) 254/11 .

رسول الله ε : " إن موضع سوط في الجنة لخير من الدنيا وما فيها ، اقرءوا إن شئتم : { فَمَنْ زُحْزِحَ عَنْ النَّارِ وَأُدْخِل الجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا مَتَاعُ الغُرُورِ } [آل عمران/185] " [1] ، ويطلق الغرور اصطلاحا على وعد الشيطان لأنه لا يسأم من التحايل على الإنسان وخداعه وفتنته ، فهو أخبث الغارين ، كما قال تعالى : { وَاسْتَفْزِزْ مَنْ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلبْ عَليْهِمْ بِخَيْلكَ وَرَجِلكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَال وَالأَولادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمْ الشَّيْطَانُ إِلا

غُرُورًا } [الإسراء/64] ، وقال مجاهد فى قول الله تعالى : { إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَــلا تَغُرَّنَّكُمْ الحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الغَرُور } [لقمان/33] الغرور الشيطان [2] .

الغرور فى الاصطلاح الصوفى :

الغرور فى الاصطلاح الصوفى يراد به الدنيا ، وأنواع المشتهيات فيها ، وعلــل اشتهائها ، إن كانت فى معصية الله ، وآلت إلى إعجاب المرء بما لديــه منــها والاشتغال بها عن طاعته ، قال الحارث المحاسبى (ت:243هــــ) : (الغــرة بالدنيا عن الآخرة إيثار الدنيا والاشتغال بها عن الآخرة ، وهو قول الله تعالى : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمْ الحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الغَرُورُ } [فاطر/5] ، وقول الله : { وَمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا مَتَاعُ الغُرُورِ } [آل عمــران/185]

---

1. أخرجه الترمذى فى كتاب تفسير القرآن برقم (3013) وقال الشيخ الألبانى : حسن 232/5 ، وابن ماجه برقم (4330) 1448./2
2. انظر فتح البارى 250/11 .

فاغتر الكافرون بها ، لما رأوا من فعل الله عز وجل بهم ، من إكرامه لهم بالـــدنيا ورفعتها وسعتها ، فظنوا أن ذلك لم يكن من الله عز وجل إلا لمترلتـــهم عنـــده وأنهم أحق بالخير من غيرهم) [1] ، ثم يذكر أن هؤلاء على وجهين [2] :

1- فرقة منهم شكاك فى الآخرة يقولون فى أنفسهم وبألسنتهم ، إن يكن لله عز وجل معاد ، فنحن أحق به من غيرنا ، ولنا فيه النصيب الأوفر ، اغترارا بمـــا ظهر لهم من خير الدنيا وكرامتها ، وقد حكى الله ذلك عن الـــرجلين اللـــذين

تحاورا ، فقال الكافر منهما للمؤمن المحاور له : { وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَـئِنْ رُدِدْتُ إِلى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنقَلَبًا } [الكهف/36] .

2- وفرقة منهم يغترون بنعم الله عز وجل فى الدنيا ، فلا يرون أن الله عز وجل أخذهم بعقوبة فى الدنيا ، وأنه إنما أعطاهم ما أعطاهم من الدنيا لما علم منهم من الخير وأنهم عنده بالمنزلة العظمى ، كقول الله عز وجل إخبارا عن مقال موسى لقارون يخوفه بأس الله عز وجل ، فقال : { قَال إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلى عِلْمٍ عِنْدِي } [القصص/78] ، فقال الله عز وجل : { أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَدْ أَهْلكَ مِنْ قَبْلهِ مِنْ القُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا } [القصص/78] ، أى لم يمنع الله عز وجل ما أعطاهم من نعيم الدنيا لما كفروا أن يعذبهم ، فلم يعلم قارون أن الله عز وجل قد فعل ذلك بغيره ، وذلك من الله عز وجل استدراج لمن أراد أن يهلكه ويعذبه ليغتر بنعم الله عز وجل : { سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلمُونَ } [القلم/44] .

1. الرعاية لحقوق الله ص343 ، ص345 .
2. السابق ص346 .

وقال أبو سعيد الخراز (ت:279هـ) : (لقد فضح الله الدنيا وسماها بأسماء لم يسمها أحدا ، فقال تبارك وتعالى : { اعْلمُوا أَنَّمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا لعِبٌ وَلهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَال وَالأَوْلادِ } [الحديد/20] ، أفلا يستحى من يعقل عن الله تعالى ، أن يراه ساكنا إلى اللهو واللعب فى دار الغرور) [1] .

ثم يروى عن أبي الدرداء أنه قال : (يا حبذا نوم الأكياس وإفطارهم ، كيف غنموا سهر الحمقى وصيامهم ، ولمثقال ذرة من صاحب تقوى ويقـــين ، أوزن عند الله من أمثال الجبال من أعمل المغترين) [2] .

ويذكر أبو طالب المكى (ت:386هــ) أن أصناف المشتهيات التى يغتر بهـــا الناس ، حصرها الله فى سبعة أوصاف وردت فى قوله تعالى :

{ زُيِّنَ للنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنْ النِّسَاءِ وَالبَنِينَ وَالقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنْ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ وَالخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالحَرْثِ ذَلكَ مَتَاعُ الحَيَاةِ الـــدُّنْيَا وَاللهُ عِنْـــدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ }[آل عمـــران/14] ، ثم يقول معقبا : (فهذه سبعة أوصاف هى جملة متاع الدنيا ، وما تفرع من الشهوات رد إلى أصل من أصول هذه الجمل ، فمن أحب جميعها فقد أحب جملة الدنيا ، ومن أحب أصلا منها أو فرعا من أصل فقد أحب بعض الدنيا ، وعلمنا بنص كلام الله أن الشهوة دنيا ، وفهمنا مـــن دليله أن الحاجات ليست بدنيا لأنها تقع ضرورات ، فإذا لم تكن الحاجة دنيا دل

1. الصدق لأبى سعيد الخراز ص40 .
2. السابق ص46 .

أنها لا تسمى شهوة ، وإن كانت قد تشتهى) [1] ، ثم يبين علل الاشتهاء في الدنيا ، وأنها محصورة فى خمسة أنواع : { اعْلَمُوا أَنَّمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا لعِـــبٌ وَلَهْـــوٌ وَزِينَـــةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَال وَالأَوْلاد } [الحديـــد/20] ثم يقول : فغرور المغترين بالدنيا محصور فى تلك السبعة للعب والهو والزينة والتفاخر والتكاثر [2] .

ويذكر أبو القاسم القسيرى (ت:465هـ) فى قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكَرِيمِ } [الانفطار/6] أى ما خدعك وما سول لك حتى عملت بمعاصيه ؟ سأله وفى نفس السؤال لقنه الجواب يقول : غرنى كرمك بى ولولا كرمك لما فعلت لأنك رأيت فسترت وقدرت فأمهلت ، إن المؤمن وثق بحسن إفضاله ، اغتر بطول إمهاله ، فلم يرتكب الزلة لاستحلالة ، ولكن طول حلمه عنه حمله على سوء خصاله) [3] .

****

96ـ الغيبة

****

الغيبة : الغيب مصدر غابت الشمس وغيرها إذا استترت عن العين ، قال تعالى : { وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَال مَا لِي لا أَرَى الهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنْ الغَائِبِينَ } [النمل/20]

---

1. قوت القلوب 1/ 245 .
2. السابق 1/ 245 .
3. لطائف الإشارات 697:696/3 .

واستعمل فى كل غائب عن الحاسة ، وعما يغيب عن علم الإنسان ، قال الله تعالى : { وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ } [النمل/75] [1] وعن جابر بن عبد الله τ ، قال رسول الله ε : " إذا أطال أحدكم الغيبة فلا يطرق أهله ليلا " [2] .

والغيبة كاصطلاح ورد فى الكتاب والسنة ، معناه أن يذكر الإنسان غيره فى غيبته بما فيه من جرح وعيب دون ضرورة تستدعى ذلك ، كقول الإمام مسلم رحمه الله : (باب بيان أن الإسناد من الدين وأن الرواية لا تكون إلا عن الثقات وأن جرح الرواة بما هو فيهم جائز بل واجب وأنه ليس من الغيبة المحرمة بل من الذب عن الشريعة المكرمة) [3] .

وعن عباد بن عباد الخواص الشامي أبي عتبة τ ، قال : " يلقاك صاحب الغيبة ، فيغتاب عندك من يرى أنك تحب غيبته ، ويخالفك إلى صاحبك فيأتيه عنك بمثله ، فإذا هو قد أصاب عند كل واحد منكما حاجته ، وخفي على كل واحد منكما ما أتي به عند صاحبه ، حضوره عند من حضره حضور الإخوان وغيبته على من غاب عنه غيبة الأعداء ، من حضر منهم كانت له الأثرة ، ومن غاب منهم لم تكن له حرمة ، يفتن من حضره بالتزكية ، ويغتاب من غاب عنه

1. المفردات ص367 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب النكاح برقم (5244) 251/9 .
3. انظر صحيح مسلم 14/1 .

بالغيبة ، فيا لعباد الله ، أما في القوم من رشيد ولا مصلح يقمع هذا عن مكيدته ويرده عن عرض أخيه المسلم ، بل عرف هواهم فيما مشى به إليهم ، فاستمكن منهم وأمكنوه من حاجته ، فأكل بدينه مع أديانهم ، فالله الله ذبوا عن حرم أغيابكم ، وكفوا ألسنتكم عنهم إلا من خير " [1] .

ومما ورد في القرآن من النهى عنها ، قوله عز وجل : { وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُل لحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ } [الحجرات/12] ، ومن السنة ما روى عن أبي هريرة τ ، أن رسول الله ε قال : " أتدرون ما الغيبة ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : ذكرك أخاك بما يكره ، قيل : أفرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ ، قال : إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه فقد بهته " (2) ، وعن جابر بن عبد الله τ قال : " كنا مع النبي ε ، فارتفعت ريح جيفة منتنة ، فقال رسول الله ε : أتدرون ما هذه الريح ؟ هذه ريح الذين يغتابون المؤمنين " (3) ، وعن أبي بكرة τ قال : " مر النبي ε بقبرين فقال : إنهما ليعذبان ، وما يعذبان في كبير ، أما أحدهما فيعذب في البول ، وأما الآخر فيعذب في الغيبة " (4) .

---

1. أخرجه الدارمى فى المقدمة برقم (649) 166/1 .
2. أخرجه مسلم فى كتاب البر والصلة برقم (2589) 2001/4 .
3. أخرجه أحمد فى المسند برقم (14370) والبخارى فى الأدب المفرد برقم (732) .
4. حسن أخرجه ابن ماجة فى كتاب الطهارة برقم (349) 125/1 .

الغيبة فى الاصطلاح الصوفى :

الغيبة فى الاصطلاح الصوفى تطلق على معنيين :

[1- المعنى المتبادر إلى الأذهان ، وهو المعنى الاصطلاحى الوارد فى القرآن والسنة ، كما روى عن الجنيد بن محمد (ت:297هـ) قال : (كنت جالسا

فى مسجد الشونزية ، أنتظر جنازة أصلى عليها ، وأهل بغداد علـــى طبقـــاهم جلوس ينتظرون الجنازة ، فرأيت فقيرا عليه أثر النسك يسأل الناس ، فقلت فى نفسى لو عمل هذا عملا يصون به نفسه كان أجمل به ، فلمـــا انصـــرفت إلى مترلى ، وكان لى شئ من الورد بالليل حتى البكاء والصلاة وغير ذلك ، فثقـــل على جميع أورادى ، فسهرت وأنا قاعد ، فغلبتنى عيناى ، فرأيت ذلك الفقـــير جاءوا به على خوان ممدود ، وقالوا لى : كل لحمه فقد اغتبته ، وكشف لى عن الحال ، فقلت : ما اغتبته ، إنما قلت فى نفسى شيئا ، فقيل لى : ما أنت ممـــن يرضى منك بمثله ، إذهب فاستحله فأصبحت و لم أزل أتردد حـــتى رأيتـــه فى موضع ، يلتقط من الماء عند تزايد الماء أوراقا من البقل ، مما تتساقط من غســـل البقل ، فسلمت عليه ، فقال : يا أبا القاسم ، تعود ؟ فقلت : لا فقال : غفـــر الله لنا ولك) [1] ، ولا شك أن ما حدث من الجنيد لا يعد غيبة ، وما ذكـــره من أن هذا الفقير ، قال له تعود ، كأنه يعلم الغيب ويحيط بما فى النفوس فكلام باطل يؤدى إلى زعزعة العقيدة فى نفوس الناس ، هذا إذا ثبتت الروايـــة عـــن الجنيد أصلا .

---

1. الرسالة 406/1 .

وقال الحكيم الترمذى (ت:320هـــ) : (الغيبة تناول لعرض المؤمن ، ولـــه ذمة وحرمة عظيمة بما فيه من التوحيد ، فصار حرام الدم حرام العـــرض ، لأن المال قوام الدين والعرض ، والموحد فى ستر التوحيد ، كل شئ من شأنه دينـــا وخلقة ، فإذا ذكرته بشئ من السوء ، فإنما يخرج شيئا مستورا بستر الله تعـــالى

فقد هتك ستر الله تعالى ، والمستمع له شريك ، فلولا المستمع لم يصر قوله غيبة لأنه نطق بها عنده ، وبين يديه يهتك ستره ، وإنما يصير هتكا بالقول لأنه أظهر عنده ، فاعتبر بملك من ملوك الدنيا أسدل سترا على بابه ، فعمد رجل إلى ذلك الستر فهتكه ، ماذا يحل به للجرأة التى اجترأ ؟ والمستمع غير السامع ، لأنه قد يسمع وهو لا يرضى به ، فإذا استمع فقد شركه ، لأنه أعمل سمعه فى ذلك ورضى به) [1] .

وقال أبو القاسم القشيرى (ت:465هـ) : (باب الغيبة قال تعالى : { وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُل لحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ } [الحجرات/12] وأوحى الله سبحانه إلى موسى عليه السلام : (من مات تائبا من الغيبة ، فهو آخر من يدخل الجنة ومن مات مصرا عليها ، فهو أول من يدخل النار) [2] .

[2- الغيبة بالمعنى المقابل للحضور ، فالغيبة عندهم غيبة القلب عن علم ما

1. المنهيات للحكيم الترمذى ص 95 .
2. الرسالة 404/1 .

يجرى من أحكام الخلق لشغل الحس بما ورد عليه من جناب الحق ، حتى أنه قد يغيب من إحساسه بنفسه فضلا عن غيره ، فالغيبة بإزاء الحضور ، والغيب بإزاء الشهادة فالغيب عن عالم الشهادة ، حضور فى عالم الغيب ، والحضور فى عالم القدس عندهم غيبة عن عالم الحس ، والحضور مع الحس غيبة عن القدس وإذا

أطلقوا الغيبة ، فإنما يعنى بها فى الأكثر غيبة النفس عن هذا العـــالم وحضـــورها هناك ، والغيبة عندهم قد تكون لوارد أوجبه تذكر ثواب أو تفكر عقاب وقد تكون الغيبة عن الإحساس ، لأجل معنى من المعانى التى كاشف الحق بها عبـــده وقد تكون الغيبة للأمرين معا [1] ، ومن كلامهم فى الغيبة على هذا المعنى :

(1- ما روى عن الجنيد بن محمد قال : (القرب بالوجـــد جمـــع ، والغيبـــة بالبشرية تفرقة) [2] .

(2- وقال السراج الطوسى (ت:378هـــ) : (الغيبة غيبة القلب عن مشاهدة الخلق بحضوره ، ومشاهدته للحق بلا تغيير ظاهر للعبد) [3] .

(3- وقال أبو بكر الكلاباذى (ت:380هـــ) : (معنى الغيبة أن يغيب عـــن حظوظ نفسه ، فلا يراها وهى أغنى الحظوظ ، قائمة معه موجودة فيه ، غـــير أنه غائب عنها بشهود ما للحق) [4] .

1. لطائف الإعلام 183/2 .
2. طبقات الصوفية ص157 .
3. اللمع ص416 .
4. التعرف ص118 .

(4- وقال أبو القاسم القشيرى (ت:465هـــ) : (فالغيبة غيبة القلب عـــن علم ما يجرى من أحوال الخلق ، لاشتغال الحس بما ورد عليه ، ثم قد يغيب عن إحساسه بنفسه ، وغيره بوارد من تذكر ثواب أو تفكر عقاب) [1] .

(5- وقال ضياء الدين السهروردى (ت:563هـ) : (إذا فقد العبد حال المشاهدة والمراقبة ، خرج من دائرة الحضور فهو غائب ، وقد يعنون بالغيبة الغيبة عن الأشياء بالحق ، فيكون على هذا المعنى حاصل ذلك راجعا إلى مقام الفناء) [2] .

****

97ـ الغضب

****

- **الغضب** : الغضب عمل مذموم من أعمال النفس يعرف بآثاره الظاهرة فى وجه الإنسان [3] ، كما روى عن ابن مسعود τ قال : " قسم النبي ε قسما فقال رجل : إن هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله ، فأتيت النبي ε فأخبرته فغضب حتى رأيت الغضب في وجهه ، ثم قال : يرحم الله موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر " [4] ، فهو لم ير الغضب لأنه محله القلب ولكنه رأى بعض

---

1. الرسالة 232/1 .
2. عوارف المعارف ص528 .
3. المفردات ص361 ، ولسان العرب 648/11 ، وكتاب العين 369/4 .
4. أخرجه البخارى فى كتاب أحاديث الأنبياء برقم (3405) 502/6 .

العلامات الظاهرة التى تدل عليه ، كما فى حديث سليمان بن صرد τ ، قال : " استب رجلان عند النبي ε ، فغضب أحدهما ، فاشتد غضبه ، حتى انتفخ وجهه وتغير " [1] ، وفى رواية أخرى : " فجعل أحدهما تحمر عيناه ، وتنتفخ أوداجه "

[2] ، وثالثة عن معاذ بن جبل τ ، قال : " فغضب أحدهما غضبا شديدا ، حتى خيل إلي أن أنفه يتمزع من شدة غضبه " [3] .

والغضب ضد الرضى ، وهو صفة نقص ومذمة إلا أن يكون لحق ، كغضب الله ورسوله لانتهاك الحرمات ومعصية الله ، وغضب النبى لأهله وأصحابه وغضب المؤمنين لغضب الله وسوله ε ، ومن ذلك قول عمر بن الخطاب τ لابنته أم المؤمنين حفصة رضى الله عنها : " أي حفصة أتغاضب إحداكن رسول الله ε اليوم حتى الليل ؟ فقالت : نعم ، فقال : خابت وخسرت ، أفتأمن أن يغضب الله لغضب رسوله ε فتهلكين " [4] وعن عائشة رضى الله عنها قالت : " كان رسول الله ε إذا أمرهم ، أمرهم من الأعمال بما يطيقون ، قالوا : إنا لسنا كهيئتك يا رسول الله ، إن الله قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فيغضب حتى يعرف الغضب في وجهه ، ثم يقول : إن أتقاكم وأعلمكم بالله

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب الأدب برقم (6048) 479/10 .
2. أخرجه مسلم فى كتاب البر والصلة والآداب برقم (2610) 2015/4 .
3. أخرجه أبو داود فى الأدب برقم (4780) وقال الشيخ الألبانى : ضعيف 248/4 .
4. أخرجه البخارى فى كتاب المظالم برقم (2468) 13/5.

أنا " [1] ، وقال المسور بن مخرمة τ : " إن عليا τ ، خطب بنت أبي جهل فسمعت بذلك فاطمة ، فأتت رسول الله ε ، فقالت : يزعم قومك أنك لا تغضب لبناتك ، وهذا علي ناكح بنت أبي جهل ، فقام رسول الله ε فسمعته

حين تشهد يقول : أما بعد ، أنكحت أبا العاص بن الربيع ؟ فحدثني وصـــدقني وإن فاطمة بضعة مني ، وإني أكره أن يسوءها ، والله لا تجتمع بنت رسول الله ε وبنت عدو الله عند رجل واحد ، فترك علي الخطبة " [(2)] ، وعن أم الـــدرداء قالت : " دخل علي أبو الدرداء وهو مغضب ، فقلت : ما أغضبك ؟ فقـــال : والله ما أعرف من أمة محمد ε شيئا إلا أنهم يصلون جميعا " [(3)] .

وعن أبي الدرداء τ قال : " كانت بين أبي بكر وعمر محاورة ، فأغضب أبو بكر عمر فانصرف عنه عمر مغضبا ، فاتبعه أبو بكر يسأله أن يستغفر له ، فلم يفعل حتى أغلق بابه في وجهه ، فأقبل أبو بكر إلى رسول الله ε ، فقـــال أبـــو الدرداء : ونحن عنده ، فقال رسول الله ε : أما صاحبكم هذا فقد غامر قال : وندم عمر على ما كان منه فأقبل حتى سلم ، وجلس إلى النبي ε وقص علـــى رسول الله ε الخبر ، قال أبو الدرداء : وغضب رسول الله ε ، وجعل أبو بكر يقول : والله يا رسول الله لأنا كنت أظلم ، فقال رسول الله ε : هـــل أنـــتم تاركون لي صاحبي ؟ ، هل أنتم تاركون لي صاحبي ؟ إني قلت : يا أيها الناس

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب الإيمان برقم (20) 88/1 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب المناقب برقم (3729) 106/7 .
3. أخرجه البخارى فى كتاب الأذان برقم (650) 161/2 .

إني رسول الله إليكم جميعا فقلتم : كذبت ، وقال أبو بكر : صدقت) [(1)] .

وقد حذر الله من الغضب ، فقال سبحانه وتعالى : { وَالذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ } [الشورى/37] ، وورد فى السنة فى

كثير من المواطن الدعوة إلى السيطرة على النفس عند الغضب ، فمن ذلك ما روى عن أبي هريرة τ ، أن رسول الله ε قال : " ليس الشديد بالصرعة ، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب " [2] ، وعنه أيضا τ ، أن رجلا قال للنبي ε : " أوصني ، قال : لا تغضب فردد مرارا ، قال : لا تغضب " [3] .

وعن سليمان بن صرد τ ، قال : " كنت جالسا مع النبي ε ، ورجلان يستبان ، فأحدهما احمر وجهه وانتفخت أوداجه ، فقال النبي ε : إني لأعلم كلمة لو قالها ذهب عنه ما يجد ، لو قال : أعوذ بالله من الشيطان ذهب عنه ما يجد : فقالوا له : إن النبي ε قال : تعوذ بالله من الشيطان ، فقال : وهل بي جنون " [4] .

وعن عبدا لله بن الزبير رضي الله عنهما ، أن رجلا من الأنصار خاصم الزبير عند النبي ε في شراج الحرة التي يسقون بها النخل ، فقال الأنصاري : سرح

---

1. أخرجه البخارى فى تفسير القرآن برقم (4640) 153/8 ومعنى غامر سبق بالخير .
2. أخرجه البخارى فى كتاب الأدب برقم (6114) 535/10 .
3. أخرجه البخارى فى الموضع السابق (6116) 535/10 .
4. أخرجه البخارى فى كتاب بدء الخلق برقم (3282) 388/6 .

الماء يمر ، فأبى عليه ، فاختصما عند النبي ε ، فقال رسول الله ε للزبير : أسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك ، فغضب الأنصاري ، فقال : أن كان ابن عمتك ، فتلون وجه رسول الله ε ثم قال : اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى

الجدر ، فقال الزبير : والله إني لأحسب هذه الآية نزلت في ذلك : { فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ } [النساء/65] [1] .

وعن أنس τ ، قال : " قال عبد الله بن أبي للنبي ε : إليك عني ، والله لقد آذاني نتن حمارك ، فقال رجل من الأنصار منهم : والله لحمار رسول الله ε أطيب ريحا منك ، فغضب لعبد الله رجل من قومه فشتمه ، فغضب لكل واحد منهما أصحابه ، فكان بينهما ضرب بالجريد والأيدي والنعال ، فبلغنا أنها أنزلت : { وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلوا فَأَصْلحُوا بَيْنَهُمَا } [الحجرات/9] [2] .

الغضب فى الاصطلاح الصوفى :

الغضب فى الاصطلاح الصوفى ، قوة محلها القلب تؤدى إلى غليان النفس وثورتها ، رغبة فى دفع المؤذيات قبل وقوعها ، والتشفى والانتقام بعد وقوعها ومن أسبابه الكبر والعجب والهزل والتعيير والمماراة وشدة الحرص على فضول الدنيا والجاه ، وهى بجملتها أوصاف ردية وأخلاق مذمومة ولا خلاص عن

1. أخرجه البخارى فى كتاب المساقاة برقم (2360) 42/5 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب الصلح برقم (2691) 351/5 .

الغضب مع بقاء هذه الأسباب [1] ، وينقسم الغضب إلى ثلاثة أنواع محمود ومكروه ومحرم [2] :

1- فالغضب لله محمود ، وهذا كالغضب عند المشاهدة للمنكرات والفواحش غيرة على الدين وطلبا الانتقام ، ولهذا مدح الله تعالى الصحابة بكونهم

أشداء على الكفار رحماء بينهم ، وقال تعالى : { وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ } [النور/2] .

2- وأما المكروه فالغضب عند فوات حظوظه المباحة ، كغضب الإنسان على خادمه وعبده عند كسر آنية أوتوانيه فى خدمته ، فهذا لا ينتهى إلى حد المذموم ، ولكن التغافل والتجاوز فيه أولى وأحب .

3- وأما المذموم فهو الاستشاطة الصادرة عن الفخر والتكبر والمباهاة والمنافسة والحسد والحقد وغير ذلك من الحظوظ الدنيوية دون الدينية وهذا هو الغالب على أكثر الخلق .

ومن عباراهم فى الغضب ، ما روى عن السرى السقطى (ت:251هـ) أنه قال : (ثلاث من كن فيه استكمل الإيمان ، من إذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق وإذا رضى لم يخرجه رضاه إلى الباطل ، وإذا قدر لم يتناول ما ليس له) [3] .

---

1. إحياء علوم الدين 178/3.
2. حياة القلوب على هامش قوت القلوب 37:36/2 .
3. السابق 39/2 .

وقال الحارث بن أسد المحاسبى (ت:243هـ) : (والزم الأدب وفارق الهوى والغضب ، واعمل فى أسباب التيقظ واتخذ الرفق حزبا والتأنى صاحبا والسلامة كهفا والفراغ غنيمة ، والدنيا مطية والآخرة مترلا) [1] ، وقال أبو عبد الرحمن السلمى (ت:412هـ) : (ومن عيوب النفس الغضب ومداواها

حمل النفس على الرضا بالقضاء ، فإن الغضب جمرة من الشيطان ، ولأن رجلا جاء إلى رسول الله ε ، فقال : أوصني ، قال : لا تغضب [2] ، ولأن الغضب يخرج العبد حد الهلاك إذا لم يصحبه من الله تعالى زجر ومنع) [3] .

ويذكر أبو حامد الغزالى (ت:505هـ) أن علاج الغضب يكون فى معجون العلم والعمل ، أما العلم فهو ستة أمور [4] :

1- أن يتفكر فى الأخبار التى وردت فى فضل كظم الغيظ ، والعفو والحلم والاحتمال ، فيرغب فى ثوابه فتمنعه شدة الحرص على ثواب الكظم عن التشفى والانتقام وينطفئ عنه غيظه .

---

1. رسالة المسترشدين ص79 ،80 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب الأدب برقم (6116) 535/10 عن أبي هريرة τ .
3. عيوب النفس ص29 .
4. إحياء علوم الدين 184/3 .

2- أن يخوف نفسه بعقاب الله ، وهو أن يقول : قدرة الله على أعظم من قدرتى على هذا الإنسان ، فلو أمضيت غضبى عليه ، لم آمن أن يمضى الله غضبه على يوم القيامة ، أحوج ما أكون إلى العفو .

3- أن يحذر نفسه عاقبة العداوة والانتقام ، وتشمر العدو لمقابلته ، والسعى فى هدم أغراضه ، والشماتة بمصائبه ، وهو لا يخلو عن المصائب ، فيخوف نفسه بعواقب الغضب فى الدنيا ، إن كان لا يخاف من الآخرة .

4- أن يتفكر فى قبح صورته عند الغضب ، بأن يتذكر صورة غيره فى حالة الغضب ، ويتفكر فى قبح الغضب فى نفسه ، ومشابهة صاحبه للكلب الضارى والسبع العادى ، ومشابهة الحليم الهادى التارك للغضب للأنبياء والأولياء والعلماء والحكماء .

5- أن يتفكر فى السبب الذى يدعوه إلى الانتقام ، ويمنعه من كظم الغيظ ولا بد وأن يكون له سبب ، مثل قول الشيطان له : إن هذا يحمل منك على العجز وصغر النفس ، والذلة والمهانة وتصير حقيرا فى أعين الناس ، فيقول لنفسه : ما أعجبك ! تأنفين من الاحتمال الآن ، ولا تأنفين من خزى يوم القيامة ، والافتضاح إذا أخذ هذا بيدك وانتقم منك ؟ .

6- أن يعلم أن غضبه من تعجبه من جريان الشئ على وفق مراد الله لا على وفق مراده ، فكيف يقول مرادى أولى من مراد الله ؟ ، ويوشك أن يكون غضب الله عليه أعظم من غضبه .

وأما العمل فهو كما ورد فى مجمل الروايات :

1- أن يقول بلسانه أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

2- أن يجلس إن كان قائما ويضطجع إن كان جالسا .

3- إن لم يزل الغضب فليتوضأ بالماء البارد أو يغتسل فإن النار لا يطفئها إلا الماء [1] .

****

98ـ الغيـــــــرة

****

الغيرة : حالة باعثة على تغيير صورة النفس وغليان القلب لســـبب مـــا [2] وأصلها من التغير واستبدال حالة بحالة أخرى ، نحو قوله تعـــالى : { إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ } [الرعد/11] ، والغيرة لم ترد فى القـــرآن وإنما وردت فى السنة على نوعين :

1- الغيرة وصف للإنسان وهى تغير القلب لسبب ما مثل :

أ - غيرة الرجل على امرأته ، كما روى عن أبى هريرة τ ، قال : بينا نحـــن عند رسول الله ε إذ قال : " بينا أنا نائم رأيتني في الجنة ، فإذا امرأة تتوضـــأ إلى جانب قصر ، فقلت : لمن هذا القصر ؟ ، فقالوا : لعمر بن الخطاب ، فذكرت غيرته فوليت مدبرا ، فبكى عمر τ ، وقال : أعليك أغار يا رسول الله " [1] .

---

1. السابق 185/3 .
2. لسان العرب 40/5 ، والمغرب للمطرزى 119/2 .

وقال سعد بن عبادة τ : " لو رأيت رجلا مع امرأتي ، لضربته بالسيف غير مصفح عنه ، فبلغ ذلك رسول الله ε ، فقال : أتعجبون من غيرة سعد ! فوالله لأنا أغير منه ، والله أغير مني ، من أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منـــها وما بطن ، لا شخص أغير من الله ، ولا شخص أحب إليه العذر من الله مـــن أجل ذلك بعث الله المرسلين مبشرين ومنذرين ، ولا شخص أحب إليه المدحة من الله ، من أجل ذلك وعد الله الجنة "[2] .

ب – غيرة المرأة على زوجها ، كما روى عن عائشة رضـــى الله عنـــها ، أن رسول الله ε خرج من عندها ليلا ، قالت : فغرت عليه ، قالت : فجاء فـــرأى ما أصنع ، فقال : ما لك يا عائشة أغرت ؟ قالت : وما لي أن لا يغار مثلـــي على مثلك ، فقال رسول الله ε : أفأخذك شيطانك ؟ قالت : يا رســـول الله ε أو معي شيطان ؟ قال : نعم ، قلت : ومع كل إنسان ؟ قال : نعم ، قلـــت : ومعك يا رسول الله ؟ قال نعم ولكن ربي عز وجل أعانني عليه حتى أسلم "[3]

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب بدء الخلق برقم (3242) 366/6 .
2. أخرجه مسلم فى كتاب اللعان برقم (1499) 1136/2 .
3. أخرجه مسلم فى كتاب صفة القيامة برقم (2815) 2168/4 ، وأحمد فى المســند برقم (24324) واللفظ له .

وعن أنس بن مالك τ ، قال عمر بن الخطاب τ : " وافقت ربي في ثـــلاث .. وذكر منها .. واجتمع نساء النبي ε في الغيرة عليه ، فقلت لهن : { عَسَى رَبُّــهُ إِنْ طَلَقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ } [التحريم/5] فنزلت هذه الآية " [1] .

ح- غيرة المؤمن على دين الله ومحارمه ، كما روى عـــن أبي هريـــرة τ ، أن رسول الله ε قال : " المؤمن يغار المؤمن يغار المؤمن يغار والله أشد غيرا " [2] .

2- الغيرة وصف لله عز وجل ، ليس كثله شئ فيه ولا نعرف كيفيته ودليله ما روى عن هريرة τ ، عن النبي ε أنه قال : " إن الله يغار ، وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرم الله " [3] ، ومن حديث عن عائشة فى صلاة الكســوف قــال رسول الله ε : " يا أمة محمد ، والله ما من أحد أغير من الله أن يزني عبــده أو تزني أمته ، يا أمة محمد ، والله لو تعلمون ما أعلم ، لضحكتم قليلا ، ولبكيــتم كثيرا " [4] ، وعن عبد الله بن مسعود τ ، عن النبي ε أنه قال : " لا أحد أغير من الله ، فلذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا أحد أحب إليــه المدحة من الله ، فلذلك مدح نفسه " [5] .

1. أخرجه البخارى فى كتاب الصلاة برقم (402) 601/1 .
2. أخرجه أحمد برقم (7169) واللفظ له ، والبخارى فى النكاح برقم (5223) .
3. أخرجه البخارى فى كتاب النكاح برقم (5223) 230/9 .
4. أخرجه البخارى فى كتاب الجمعة برقم (1044) 615/2 .
5. أخرجه البخارى فى كتاب تفسير القرآن برقم (4637) 152/8 .

الغيرة فى الاصطلاح الصوفى :

الغيرة فى الاصطلاح الصوفى كراهية مشاركة الغير ، وإذا وصف الله سبحانه وتعالى بالغيرة عندهم ، فمعناه أنه لا يرضى بمشاركة الغير معه ، فيما هو حق له تعالى من طاعة عبده له (1) .

حكى عن السرى السقطى (ت:251هـ) أنه قرئ بين يديه : { وَإِذَا قَرَأْتَ القُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا } [الإسراء/45] فقال السرى لأصحابه : أتدرون ما هذا الحجاب ؟ هذا حجاب الغيرة ولا أحد أغير من الله تعالى (2) .

وروى عن أبى بكر الشبلى (ت:334هـ) أنه قال : (والواجب أن يقال : الغيرة غيرتان :

أ – غيرة الحق سبحانه على العبد وهو أن لا يجعله للخلق فيضن به عليهم .

ب– وغيرة العبد للحق وهو أن لا يجعل شيئا من أحواله وأنفاسه لغير الحق تعالى .

فلا يقال : أنا أغار على الله تعالى ، ولكن يقال : أنا أغار لله ، فالغيرة على الله تعالى جهل ، وربما تؤدى إلى ترك الدين ، والغيرة لله توجب تعظيم حقوقه وتصفية الأعمال له) (3) .

---

1. الرسالة القشيرية 512/2 .

2. انظر السابق 513/2 ، معنى قوله : هذا حجاب الغيرة ، يعنى أنه لم يجعل الكافرين أهلا لمعرفة صدق الدين .

3. السابق 515/2 .

وقال أبو بكر الكلاباذى (ت:380هـ) فى وصف الصوفية : (لطائف الحق بهم فى غيرته عليهم ، دخل جماعة على رابعة يعودونها من شكوى ، فقالوا : ما حالك ؟ قالت : والله ما أعرف لعلتى سببا غير أنى عرضت على الجنة ، فملت بقلبى إليها ، فأحسب أن مولاى غار على ، فعاتبنى فله العتبى) [1] وكلام رابعة العدوية باطل ومخالف للأصول القرآنية والنبوية ، فإن الله حض على طلب الجنة و لم يروى أنه يغار منها كما ذكرت رابعة .

ويستدل القشيرى (ت:465هـ) للغيرة بقوله تعالى : { قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ } [الأعراف/33] ، وبما روى عن عبد الله بن مسعود τ ، قال رسول الله ε : " ما أحد أغير من الله تعالى ، ومن غيرته حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن " ، وعن أبى هريرة τ ، أن رسول الله ε قال : " إن الله يغار وإن المؤمن يغار ، وغيرة الله تعالى ، أن يأتى العبد المومن ما حرم الله عليه " ، ثم يقول : واعلموا أن من سنة الحق تعالى مع أوليائه أنهم إذا ساكنوا غيرا ، أو لاحظوا شيئا ، أو ضاجعوا بقلوبهم شيئا ، شوش عليهم ذلك ، فيغار على قلوبهم بأن يعيدها خالصة لنفسه نازعة عما ساكنوه أو لاحظوه أو ضاجعوه ، كآدم υ لما وطن نفسه على الخلود فى الجنة أخرجه منها ، وإبراهيم υ لما أعجبه إسماعيل υ ، أمره بذبحه حتى أخرجه من قلبه ، فلما أسلما وتله للجبين ، وصفا سره منه أمره بالفداء عنه [2] .

1. التعرف لمذهب التصوف ص184 .
2. الرسالة القشيرية 516:515/2 .

وقال أبو حامد الغزالى (ت:505هـ) : (الغيرة : غيرة فى الحق ، وغيرة على الحق ، وغيرة من الحق ، فالغيرة فى الحق برؤية الفواحش والمناهى ، وغيرة على الحق هى كتمان السرائر والغيرة من الحق ضنه على أوليائه) [1] .

ويقول ابن عربى (ت:638هـ) فى غيرة الملائكة : (قال عز وجل : { وَإِذْ قَال رَبُّكَ للمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً } [البقرة/30] ، فلما سمعت الملائكة ما قاله الحق لها ، ورأت أنه مركب من أضداد متنافرة ، وأن روحه يكون على طبيعة مزاجة ، قالوا : { قَالوا أَتَجْعَل فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ } [البقرة/30] ، غيرة منهم على جناب الحق ، ثم قالوا عن أنفسهم بما تقتضيه نشأهم : { وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لكَ قَال إِنِّي أَعْلمُ مَا لا تَعْلمُونَ } [البقرة/30]) [2] .

ويذكر عبد الرزاق الكاشانى أن الغيرة مشتقة من الغير ، ولهذا لا يوصف بها إلا من يرى الغير ، فهى لأجل ذلك من مراتب أحد رجلين ، رجل فيه بقايا من رسوم الخلقيه ، بحيث لم يتحقق بعد بالوصول إلى حضرات الحقيقة ، ورجل وصل ثم رجع بربه إلى خلقه ، ولم يستهلك هناك ، فهى وصف من لم يصل ووصف من وصل ثم رجع للتكميل ، كما يجعل الغيرة على أنواع [3] :

---

1. الإملاء ص65 .
2. عقلة المستنوفز 73:74 .
3. لطائف الإعلام 2/185:187 .

1- غيرة العابد : وتكون على تضييع وقته فى غير عبادته .

2- غيرة المريد : على تضييع وقته فى غير المسامرة والحظوة بمطلوبه .

3- غيرة العارف : على نفس علقت برجاء أو التفتت إلى عطـــاء ، بـــل إلى المعطى الحق المرجو وحده دون الخلق .

4- الغيرة فى الخلق : هى الغيرة التى تكون لتعدى الحدود وهى المشار إليها فى حديث سعد .

5- غيرة السر : هى الغيرة التى تطلق بإزاء كتمان الأسرار والسرائر .

6- غيرة الحق : يعنى به ضنه على أوليائه .

****

99- الفتـــــــوة

****

الفتوة : الفتى يطلق على عدة معان [1] :

أ- الطريُّ الصغير من الشباب ، والأنثى فتاه ، ومن ذلك ما روى عن أنس بن مالك τ أنه رأى غلمانا أو فتيانا نصبوا دجاجة يرموها فقال لهم : " نهى الـــنبي أَنْ تُصْبَرَ الْبَهَائِمُ " [2] ، وقال عبد الرحمن بن عوف τ : " إني لفي الصف يوم

1. كتاب العين 137/8 ، المفردات ص373 .

2. أخرجه البخارى فى كتاب الذبائح والصيد برقم (5513) 558/9 .

بدر إذ التفت ، فإذا عن يميني وعن يساري فتيان حديثا السن ، فكأني لم آمن بمكانهما ، إذ قال لي أحدهما سرا من صاحبه ، يا عم أرني أبا جهل ؟ فقلت : يا ابن أخي وما تصنع به ؟ قال : عاهدت اللَّه إن رأيته ، أن أقتله أو أموت دونه فقال لي الآخر سرا من صاحبه مثله قال : فما سرني أني بين رجلين مكانهما فأشرت لهما إليه، فشدا عليه مثل الصقرين حتى ضرباه وهما ابنا عفراء " [1] .

ب- الكبير من الشباب ، كقوله تعالى عن أهل الكهف فى وصف قوة العقل والإيمان عندهم : { إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى } [الكهف/13] ، وعن عثمان بن عفان τ ، قال : " خرج رسول اللَّه ε على فتية من المهاجرين فقال : من كان منكم ذا طول فليتزوج ، فإنه أغض للطرف وأحصن للفرج ومن لا ، فإن الصوم له وجاء " [2] ، وعن أم المؤمنين عائشة رضى اللَّه عنها قالت : " سأل الحارث بن هشام τ ، رسول اللَّه ε : كيف يأتيك الوحي ؟ قال : في مثل صلصلة الجرس ، فيفصم عني وقد وعيت عنه ، وهو أشده علي وأحيانا يأتيني في مثل صورة الفتى فينبذه إلي " [3] .

ح- الفتى يكنى به عن العبد ، والفتاه عن الأمة ، كقوله تعالى : { وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا } [يوسف/30] عن

1. أخرجه البخارى فى كتاب المغازى برقم (3988) 358/7 .
2. صحيح الإسناد ، أحمد (413) ، والنسائى فى كتاب الصيام برقم (2243) .
3. أخرجه النسائى فى الافتتاح برقم (933) وقال الشيخ الألبانى : صحيح 146/2 .

أبى هريرة τ ، عن النبي ε أنه قال : " لا يقل أحدكم أطعم ربك وضئ ربك اسق ربك ، وليقل سيدي مولاي ، ولا يقل أحدكم عبدي أمتي ، وليقل فتاي وفتاتي وغلامي " [1] ، وفى رواية أخرى " لا يقولن أحدكم عبدي ، فكلكم عبيد اللَّه ولكن ليقل فتاي ، ولا يقل العبد ربي ولكن ليقل سيدي " [2] ، وعن أبي ذر الغفارى τ ، قال رسول اللَّه ε : " إخوانكم جعلهم اللَّه فتية تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده ، فليطعمه من طعامه ، وليلبسه من لباسه ولا يكلفه ما يغلبه ، فإن كلفه ما يغلبه فليعنه " [3] .

د- الفتى الفتيُّ القوى المتصف بالنضارة وقوة البنيان ، كما روى عن أبي بن كعب τ ، قال : " بعثني النبي ε مُصَدِّقًا ، فمررت برجل ، فلما جَمَعَ لِي مَالَهُ لَمْ أَجِدْ عَلَيْهِ فِيهِ إِلا ابْنَةَ مَخَاضٍ ، فقلت له : أَدِّ ابْنَةَ مَخَاضٍ فَإِنَّهَا صَدَقَتُكَ فَقَالَ : ذَاكَ مَا لا لَبَنَ فِيهِ وَلا ظَهْرَ ، وَلَكِنْ هَذِهِ نَاقَةٌ فَتِيَّةٌ ، عَظِيمَةٌ سَمِينَةٌ فَخُذْهَا " [4] .

هـ- الفتى الذى يبادر عن غيره فى مشاق الأمور وسعيه إلى الأفضل ، ومن ذلك ما روى عن ابن عباس τ ، قال رسول اللَّه ε يوم بدر : " من فعل كذا

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب العتق برقم (2552) 210./5
2. أخرجه مسلم فى كتاب الأدب (2249) وقال الألبانى : صحيح 1765./4
3. أخرجه الترمذى فى البر والصلة (1945) وقال الألبانى : صحيح 334/4 .
4. أخرجه أبو داود فى الزكاة (1583) وقال الشيخ الألبانى : حسن 104/2 .

وكذا ، فله من النفل كذا وكذا ، فتقدم الفتيان ولزم المشيخة الرايات ، فلم يبرحوها ، فلما فتح اللَّه عليهم ، قال المشيخة : كنا ردءا لكم ، لو انهزمتم لفئتم إلينا ، فلا تذهبوا بالمغنم ونبقى ، فأبى الفتيان ، وقالوا : جعله رسول اللَّه ε لنا فأنزل اللَّه : { يَسْأَلُونَكَ عَنْ الانْفَالِ قُلْ الأنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ } [الأنفال/1] " [1] .

ومن حديث أبي صخر العقيلي τ ، قال : ".. حتى أتوا يعني رسول اللَّه ε وأبا بكر وعمر على رجل من اليهود ناشرا التوراة يقرؤها ، يعزي بها نفسه على ابن له في الموت كأحسن الفتيان وأجمله ، فقال رسول اللَّه ε : أنشدك بالذي أنزل التوراة ، هل تجد في كتابك ذا صفتي ومخرجي ؟ ، فقال برأسه هكذا : أي لا ، فقال ابنه : الميت بعد أن أحياه اللَّه ، والذي أنزل التوراة إنا لنجد في كتابنا صفتك ومخرجك ، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وأنك رسول اللَّه فقال ε : أقيموا اليهود عن أخيكم ، ثم ولي كفنه وحنطه وصلى عليه " [2] .

وعن جندب بن عبد اللَّه τ ، قال : " كنا مع النبي ε ونحن فتيان حزاورة فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن ، ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيمانا " [3] .

الفتوة فى الاصطلاح الصوفى :

الفتوة فى الاصطلاح الصوفى اسم أطلق على مجموعة من الفضائل ، أخصها

---

1. أخرجه أبو داود فى الجهاد (2737) وقال الشيخ الألبانى : صحيح 77/3 .
2. صحيح الإسناد ، أخرجه أحمد فى المسند برقم (22981) .
3. أخرجه ابن ماجة فى المقدمة برقم (61) وقال الشيخ الألبانى : صحيح 23/1 والطبرانى فى المعجم الكبير برقم (1625) 158/2.

الكرم والسخاء والمروءة والشجاعة تميز المتصف بها عن غيره من الناس وقوامها الإيثار ، مثل كف الأذى وبذل الندى وترك الشكوى ، وإسقاط الجاه ومحاربة النفس والعفو عن زلات الآخرين [1] .

ومما ورد عنهم فى الفتوة ، ما روى أن مشايخ بغداد من الصوفية اجتمعوا عند أبى حفص النيسابورى (ت:270هـ) وسألوه عن الفتوة ؟ ، فقال : تكلموا أنتم ، فإن لكم العبارة واللسان ، فقال الجنيد : الفتوة إسقاط الرؤية ، وترك النسبة ، فقال أبو حفص : ما أحسن ما قلت ، ولكن الفتوة عندى ، آداء الإنصاف ، وترك مطالبة الإنصاف ، ولما أراد أبو حفص الخروج من بغداد شيعه من بها من المشايخ والفتيان ، فلما أرادوا أن يرجعوا ، قال له بعضهم : دلنا على الفتوة ما هى ؟ فقال : الفتوة تؤخذ استعمالا ومعاملة لا نطقا فتعجبوا من كلامه ، وسئل أيضا : هل للفتى من علامة ؟ ، قال : نعم من يرى الفتيان ولا يستحى منهم فى شمائله وأفعاله فهو فتى [2] .

وروى عن أبى عبد الله السجزى (ت:قبل300هـ) أنه قيل له : (لما لا تلبس المرقعة ؟ ، فقال : من النفاق أن تلبس لباس الفتيان ، ولا تدخل فى حمل أثقال الفتوة ، إنما يلبس لباس الفتيان من يصبر على حمل أثقال الفتوة ، فقيل له : ما الفتوة ؟ ، فقال : رؤية أعذار الخلق وتقصيرك وتمامهم ونقصانك والشفقة على

1. أصول الملامتية ص88 ، ص89 .
2. طبقات الصوفية ص 118 .

الخلق كلهم برهم وفاجرهم ، وكمال الفتوة هو ألا يشغلك الخلق عن الله عـــز وجل) [1] ، وحكى عن رويم بن أحمد البغدادى (ت:303هـــ) أنه سئل عن الفتوة ؟ فقال : (أن تعذر إخوانك فى زلاتهم ، ولا تعاملهم بما تحتاج أن تعتذر منه) [2] .

وربما تعنى الفتوة عند بعض الصوفية من كانت له دعـــوى يـــدافع عنـــها ويضحى بنفسه فى سبيلها ، حتى لو كانت دعوة كفرية ، كما قال الحسين بن منصور الحلاج (ت:309هـــ) : (تناظرت مع إبليس وفرعـــون فى الفتـــوة ، فقال إبليس : إن سجدت سقط عنى اسم الفتوة ، وقال فرعـــون : إن آمنـــت برسوله سقطت من مترلة الفتوة ، وقلت أنا : إن رجعت عن دعواى وقـــولى سقطت من بساط الفتوة ، وقال إبليس : أنا خير منه حين لم يراء غيره غـــيرا ، وقال فرعون ما علمت لكم من إله غيرى حين لم يعرف فى قومه من يميز بـــين الحق والباطل وقلت أنا : إن لم تعرفوه فاعرفوا آثاره ، وأنا ذلك الأثر ، وأنـــا الحق لأنى مازلت أبدا بالحق حقا) [3] .

وروى عن أبى عبد الله محمد بن أحمد المقرئ (ت:366هـــ) قال : (الفتوة حسن الخلق مع من تبغضه وبذل المال لمن تكرهه وحسن الصحبة مع من ينفـــر

---

1. السابق ص255 .
2. السابق ص183 .
3. الطواسين ص34وانظر الملامتية والصوفية وأهل الفتوة لأبى العلا عفيفى ص27 .

قلبك منه) [1] ، وقد استدل أبو القاسم القشيرى (ت:465هـــ) للفتوة بقوله تعالى : { إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى } [الكهف/13] ، وأصل الفتـــوة عنده أن يكون العبد ساعيا أبدا فى أمر غيره ، لقوله ε : " لا يزال الله تعالى فى حاجة العبد ما دام العبد فى حاجة أخيه " [2] .

ويقول ابن عربى (ت:638هـــ) : (فالفتى من لا خصم له ، لأنه فيما عليه يؤديه وفيما له يتركه فليس له خصم ، والفتى من لا تصدر منه حركة عبثا جملة واحدة) [3] .

****

100 ـ الفـــــــرار

****

الفرار : الفرار الروغان والهروب [4] ، ويقال فى المحسوسات وغيرها :

---

1. طبقات الصوفية ص511 .
2. انظر الرسالة القشيرية 472/2 ، والحديث أخرجه مسلم فى كتاب الذكر والدعاء برقم (2699) 2074/4 من حديث أبي هريرة مرفوعا بلفظ : " والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه " .
3. الفتوحات المكية 4/ فقرة46 .
4. لسان العرب 50/5 .

أ- فمن الأول قول الله تعالى عن موسى υ : { فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْـــتُكُم } [الشعراء/21] ، وقوله : { كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ } [المدثر/51] .

ومما ورد فى السنة ، ما روى عن عبد اللَّه بن عمر τ ، قـــال : " كنـــت في سرية من سرايا رسول اللَّه ε ، فحاص الناس حيصة ، وكنت فيمن حاص فقلنا : كيف نصنع وقد فررنا من الزحف وبؤنا بالغضب ؟ ثم قلنا : لو دخلنا المدينة فبتنا ، ثم قلنا : لو عرضنا أنفسنا على رسول اللَّه ε ، فإن كانت له توبـــة وإلا ذهبنا ، فأتيناه قبل صلاة الغداة ، فخرج فقال : من القوم ؟ قال : فقلنا : نحـــن الفرارون ، قال : لا بل أنتم العكارون ، أنا فئتكم ، وأنا فئة المسلمين ، قال : فأتيناه حتى قبلنا يده " [1] .

وعن أسامة بن زيد τ ، عن رسول اللَّه ε ، أنه قال : " إن هذا الوجـــع أو السقم رجز عذب به بعض الأمم قبلكم ، ثم بقي بعد بالأرض ، فيذهب المـــرة ويأتي الأخرى ، فمن سمع به بأرض ، فلا يقدمن عليه ، ومن وقع بأرض وهـــو بها فلا يخرجنه الفرار منه " [2] .

---

1. أخرجه أحمد فى المسند برقم (5361) والترمـــذى فى كتـــاب الجهـــاد (1716) 215/4 وأبو داود برقم (2647) 46/3 وقال الترمذى حديث حسن ، ومعنى قوله فحاص الناس حيصة يعني أنهم فروا من القتال ، ومعنى قوله بل أنتم العكارون ، العكار الذي يفر إلى إمامه لينصره ، ليس يريد الفرار من الزحف .
2. أخرجه مسلم فى كتاب السلام برقم (2218) 1737/4.

وعن جابر τ : " أن رجلا من أسلم جاء النبي ε ، فاعترف بالزنا فأعرض عنه النبي ε حتى شهد على نفسه أربع مرات ، قال له النبي ε : أبك جنون ؟ قال : لا ، قال : آحصنت ؟ قال : نعم ، فأمر به فرجم بالمصلى ، فلما أذلقته الحجارة ، فر فأدرك فرجم حتى مات " (1) .

وعن أبي هريرة τ قال : " سمعت رسول اللَّه ε يقول : فر من المجذوم فرارك من الأسد " (2) .

ب- ومن الثانى قوله تعالى : { فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلا فِرَارًا } [نوح/6] ، أى فرار من الإيمان ، وقوله : { فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ } [الذاريات/50] أى فروا من مخافته إلى رحمته .

ومما ورد فى السنة ، عن ابن عمر τ ، أن زيد بن عمرو بن نفيل τ خرج إلى الشأم يسأل عن الدين ويتبعه ، فلقي عالما من اليهود ، فسأله عن دينهم فقال : إني لعلي أن أدين دينكم ، فأخبرني ، فقال : لا تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب اللَّه ، قال زيد : ما أفر إلا من غضب اللَّه ، ولا أحمل من غضب اللَّه شيئا أبدا ، وأنى أستطيعه ، فهل تدلني على غيره ؟ ، قال : ما أعلمه إلا أن يكون حنيفا ، قال زيد : وما الحنيف ؟ ، قال : دين إبراهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ، ولا يعبد إلا اللَّه " (3) .

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب الحدود برقم (6820) 132./12
2. أخرجه أحمد فى المسند برقم (9429) وفيه النهاس بن قهم وهو ضعيف .
3. أخرجه البخارى فى كتاب المناقب برقم (3828) 176/7.

وعن عبد اللَّه بن عباس τ : " أن عمر بن الخطاب τ ، خرج إلى الشأم حتى إذا كان بسرغ ، لقيه أمراء الأجناد أبو عبيدة بن الجراح τ وأصحابه فأخبروه أن الوباء قد وقع بأرض الشأم .. فنادى عمر في الناس إني مصبح على ظهر فأصبحوا عليه ، قال أبو عبيدة τ : أفرارا من قدر اللَّه ، فقال عمر τ : لو غيرك قالها يا أبا عبيدة ، نعم نفر من قدر اللَّه إلى قدر اللَّه ، أرأيت لو كان لك إبل ، هبطت واديا له عدوتان ، إحداهما خصبة والأخرى جدبة ، أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر اللَّه ؟ وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر اللَّه ؟ " [1] .

ومن حديث أبي هريرة τ ، عن رسول اللَّه ε : " يقول اللَّه عز وجل للملائكة الطوافين في الطرق ، يلتمسون أهل الذكر : " فمم يتعوذون ؟ يقولون : من النار ، يقول : وهل رأوها ؟ يقولون : لا واللَّه يا رب ما رأوها يقول : فكيف لو رأوها ؟ يقولون : لو رأوها كانوا أشد منها فرارا ، وأشد لها مخافة " [2] .

وعن علي τ ، قال : " بعث النبي ε سرية ، وأمر عليهم رجلا من الأنصار وأمرهم أن يطيعوه ، فغضب عليهم وقال : أليس قد أمر النبي ε أن تطيعوني ؟ قالوا : بلى ، قال : قد عزمت عليكم لما جمعتم حطبا ، وأوقدتم نارا ، ثم دخلتم فيها ، فجمعوا حطبا فأوقدوا نارا ، فلما هموا بالدخول قام ينظر بعضهم إلى

1. أخرجه البخارى فى كتاب الطب برقم (5729) 189./10.
2. أخرجه البخارى فى كتاب الدعوات برقم (6408) 212/11.

بعض ، قال : بعضهم إنما تبعنا النبي ε فرارا من النار أفندخلها ؟ ، فبينما هم كذلك إذ خمدت النار وسكن غضبه ، فذكر للنبي ε فقال : لو دخلوها ما خرجوا منها أبدا ، إنما الطاعة في المعروف " [1] .

الفرار فى الاصطلاح الصوفى :

الفرار فى الاصطلاح الصوفى ، يطلق على سرعة انتقال الصوفى من حال مذموم إلى حال محمود ، فيفر عما يشغله عن طاعة الله ، ويبعثه على معصيته وعن دواعى القوى ، واستيلاء الهوى ، والميل إلى الدنيا ، ومقتضيات الطبيعة الجاذبة إلى الجهة السفلى ، وعن أغراض النفس المفسدة للأعمال ، كطلب الأعواض بها فى الدارين ، وعن إهمال شرائط الرعاية والحرمة ، وكل ما يشغله عن الحق فى البين ، وعن كل ما يزرى بالمروءة ، ويشين المرء فى طريق الفتوة وعن كل ما يفتر العزم فى السلوك [2] .

قال أبو القاسم القشيرى (ت:465هـ) : (الإنسان بإحدى حالتين ، إما حالة رغبة فى شئ أو حالة رهبة من شئ ، أو حال رجاء أو حال خوف ، أو حال جلب نفع أو رفع ضر ، وفى الحالتين ينبغى أن يكون فراره إلى الله ، فإن

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب الأحكام برقم (7145) 130./13

2. معجم اصطلاحات الصوفية للكاشانى ص200 ، ويجدر التنبيه إلى مسألة الفرار من أغراض النفس المفسدة للأعمال ، كطلب الأعواض بها فى الدارين ، فإن هذا باطل لا تدل عليه الأصول القرآنية والنبوية .

النافع والضار هو الله ، ومن صح فراره إلى الله صح فراره مع الله ، ويجب على العبد أن يفر من الجهل إلى العلم ، ومن الهوى إلى التقى ، ومن الشك إلى اليقين ومن الشيطان إلى الله ، ويجب على العبد أن يفر من فعله الذى هو بـــلاؤه إلى فعله الذى هو كفايته ، ومن وصفه الذى هو سخطه إلى وصفه الذى هو رحمته ومن نفسه حيث ، قال : { وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ } [آل عمران/28] ، إلى نفســـه حيث قال : { فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ } [الذاريات/50] [1] .

وقال عبد الله الأنصارى الهروى (ت:481هـــ) : (الفرار هو الهروب مما لم يكن إلى ما لم يزل ، وهو على ثلاث درجات ، فرار العامة من الجهل إلى العلم عقدا وسعيا ، ومن الكسل إلى التشمير جدا وعزما ، ومن الضيق إلى السعة ثقة ورجاء ، وفرار الخاصة من الخبر إلى الشهود ، ومن الرسوم إلى الأصول ، ومن الحظوظ إلى التجريد ، وفرار خاصة الخاصة ، مما دون الحق إلى الحق ، ثم مـــن شهود الفرار إلى الحق ، ثم الفرار من الفرار إلى الحق قال الله عز وجل : { فَفِرُّوا إِلَى اللَّه } [2] .

وهذا الكلام بعضه تشهد له الأدلة وبعضه باطل ، كقوله ثم الفرار من الفرار إلى الحق ، فإن هذا يؤدى إلى هدم الدين باسم التحقق فيه ، والأسوأ من ذلك ما ذكره ابن عربى (ت:638هـــ) فى فلسفته الخاصة عن مصطلح الفرار حيث

---

1. لطائف الإشارات 469/3 .

2. شرح منازل السائرين إلى الحق المبين للإمام سيد الدين ص256 .

يقول : (اعلم أن الفرار بين طرفين ابتداء وانتهاء ، فابتداؤه من وانتهاؤه إلى وما من اسم إلهى إلا ويريد أن يربطك به ويقيدك ، وتكون له لظهور سلطانه فيك ، وأنت قد علمت أن سعادتك فى المزيد ، والمزيد لا يكون لك إلا بالانتقال إلى حكم اسم آخر لتستفيد علما لم يكن عندك ، والاسم الذى أنت عنده لا يتركك فتعين الفرار ، ويكون معنى الإنذار حينئذ أنه لا يحكم عليك الإسم الإلهى الذى أنت عنده بالبقاء معه ، ففررت إلى موطن الزيادة ، فالفرار حكم يستصحب العبد فى الدنيا والآخرة) [1] .

وقد ذكره عبد الرزاق الكاشانى (ت:736هـ) أن الفرار هو الهروب عما يبعد عن الحق إلى ما يقرب إليه ، كما قال تعالى : { فَفِرُّوا إِلَى اللَّه } ويفسر ذلك بقوله : (أى انقطعوا إليه واستضيئوا بنوره ، واستمدوا من فيضه فى محاربة النفس والشيطان ، وتخلصوا إليه من عدواهما وطغيانهما ولا تلتفتوا إلى غيره ، ولا تثبتوا لما سواه وجود أو تأثير ، فيستولى عليكم الشيطان ويسول عليكم طاعته وعبادته) [2] ، وقوله : ولا تثبتوا لما سواه وجود أو تأثير ، يعبر بوضوح عن اعتقاده فى وحدة الوجود ، ونفى وجود مخلوق وخالق ، لأن المخوق عندهم عين الخالق ، ولكنه يقسم الفرار إلى ثلاثة أنواع [3] :

---

1. الفتوحات المكية 388/13 .
2. ير القرآن الكريم لابن عربى 545:544/2 .
3. لطائف الإعلام 210:209/2 .

1)- فرار العامة : من علمهم بآداب الخدمة إلى العمل بها ، ومن الكسل عن القيام بالحقوق إلى النشاط فيها .

2)- فرار الخاصة : عن حظوظ الأنفس ، بحيث لا يكون العبد ممن يتعلم العلم ويعمل به لأجل رجاء ، ما وعد عليه من ثواب الآخرة أو خوفا مما توعد به من عذابها .

3)- فرار خاصة الخاصة : عن الاشتغال بما سوى الحق ، ثم بالفرار عن رؤية فرارهم بأنفسهم لمشاهدتهم قيومية الحق .

****

101ـ الفقــــــر

****

الفقر : أصل الفقر مأخوذ من الفقير ، وهو البئر الواسعة الفم ، القريبة القعر ، لما روى عن سهل بن أبي حثمة τ : " أن عبد اللَّه بن سهل وَمُحَيِّصَةَ خَرَجَا إِلَى خَيْبَرَ مِنْ جَهْدٍ أَصَابَهُمْ ، فَأُخْبِرَ مُحَيِّصَةُ أَنَّ عَبْدَ اللَّه قُتِلَ ، وَطُرِحَ فِي فَقِيرٍ أَوْ عَيْنٍ ، فأتى يهود فقال : أنتم واللَّه قتلتموه "[1] .

وقيل : مأخوذ من الفقير ، وهو المكسور الفقار ، يقال : فقرته فاقرة ، أى

1. أخرجه البخارى فى كتاب الأحكام برقم (7192) 196/13، ومسلم فى كتاب القسامة والمحاربين والقصاص برقم (1669) 1291/3 .

داهية تكسر الفقار ، واستعير منهما الفقر للدلالة على الحاجة وقلة اليد ، والفقر يستعمل على أربعة أوجه [1] :

الأول : الافتقار العام وهو وجود الحاجة الضرورية وذلك عام للإنسان ما دام فى دار الدنيا بل عام للموجودات كلها ، وعلى هذا قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ } [فاطر/15] ، ومما ورد فى السنة عن أبي ذر τ ، قال رسول اللَّه ε : يقول اللَّه تعالى : " يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته ، فسلوني الهدى أهدكم ، وكلكم فقير إلا من أغنيت فسلوني أرزقكم " [2] .

الثانى : الفقر الخاص الموجب للزكاة والصدقة وهو المذكور فى قول الله تعالى : { إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ } [البقرة/271] ، وقوله سبحانه : { إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ } [التوبة/60] ، ومما ورد فى السنة منه ما روى عن أبى هريرة τ ، قال : " جاء رجل إلى النبي ε فقال : يا رسول اللَّه أي الصدقة أعظم أجرا ؟ قال : أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى ، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم ، قلت : لفلان كذا ولفلان كذا

---

1. المفردات ص383 ، وانظر معجم مقاييس اللغة مادة فقر .

2. أخرجه الترمذى فى كتاب صفة القيامة برقم (2495) وقال الشيخ الألبانى : ضعيف بهذا السياق 656/4 ، وقال الترمذى : حديث حسن .

وقد كان لفلان " [1] ، وعن عمرو بن عوف الأنصاري τ ، أن رسول اللَّه ε قال : " أبشروا وأملوا ما يسركم ، فواللَّه لا الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم " [2] .

وعن عبد اللَّه بن مغفل τ ، قال رجل للنبي ε : " يا رسول اللَّه واللَّه إني لأحبك فقال : انظر ماذا تقول ؟ قال : واللَّه إني لأحبك ، فقال انظر ماذا تقول ؟ ، قال : واللَّه إني لأحبك ، ثلاث مرات ، فقال : إن كنت تحبني فأعد للفقر تجفافا ، فإن الفقر أسرع إلى من يحبني من السيل إلى منتهاه " [3] ، وعن عائشة رضي اللَّه عنها في قوله تعالى : { وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ } [النساء/6] أنها نزلت في والي اليتيم إذا كان فقيرا أنه يأكل منه مكان قيامه عليه بمعروف " [4] .

الثالث : فقر النفس ، وهو الشره المقابل للقناعة وغنى النفس ، وعن أبي هريرة τ عن النبي ε قال : " ليس الغنى عن كثرة العرض ، ولكن الغنى غنى النفس " [5] .

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب الزكاة برقم (1419) 334./3

2. أخرجه البخارى فى كتاب الجزية برقم (3158) 297./6.

3. أخرجه الترمذى فى كتاب الزهد (2350) وقال الشيخ الألبانى : ضعيف 576/4 .

4. أخرجه البخارى فى كتاب تفسير القرآن برقم (4575) 89/8 .

5. البخارى فى الرقاق (6446) 276/11 ، ومسلم فى الزكاة (1051) 726/2.

الرابع : الفقر إلى اللَّه المشار إليه بقوله تعالى عن موسى عليه السـلام وابـنتى شعيب عليه السلام : { قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ } [القصص/24] ، وعن عائشة رضي اللَّه عنها ، قالت : شكا الناس إلى رسول اللَّه ε قحوط المطر ، فأمر بمنبر فوضع له في المصلى .. وجاء فيه قوله ε : " لا إله إلا اللَّه يفعل ما يريد ، اللَّهم أنت اللَّـه لا إله إلا أنت الغني ونحن الفقراء ، أنزل علينا الغيث ، واجعل ما أنزلت لنا قوة وبلاغا إلى حين " [1] .

والفقر عند اطلاقه فى الأغلب يراد به الوجه الثانى ، وحده على التقريب كما روى عن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص وسأله رجل فقال : ألسنا مـن فقـراء المهاجرين ؟ فقال له عبد اللَّه : ألك امرأة تأوي إليها ؟ قال : نعم ، قال : ألك مسكن تسكنه ؟ قال : نعم ، قال : فأنت من الأغنياء ، قال : فإن لي خادمـا قال : فأنت من الملوك) [2] .

وقد ورد أيضا الدعوة إلى التعفف ، إلا ما أخذ من غير استشراف ولا مسألة كما روى عن عبد اللَّه بن عمر رضي اللَّه عنهما قال : " سمعت عمر τ يقـول

كان رسول اللَّه ε يعطيني العطاء فأقول أعطه من هو أفقر إليه مني ، فقـــال :

---

1. أخرجه أبو داود فى كتاب الصلاة (1173) وقال الشيخ الألبانى : حسن 304/1 .
2. أخرجه مسلم فى كتاب الزهد برقم (2979) 2285/4 .

خذه ، إذا جاءك من هذا المال شيء وأنت غير مشرف ولا سائل فخذه ، ومـــا لا ، فلا تتبعه نفسك " [1] ، وعن أبي كبشة الأنماري τ ، أنه سمع رسول اللَّه ε يقول : " ثلاثة أقسم عليهن وأحدثكم حديثا فاحفظوه ، قال : ما نقص مـــال عبد من صدقة ، ولا ظلم عبد مظلمة فصبر عليها إلا زاده اللَّه عزا ، ولا فـــتح عبد باب مسألة إلا فتح اللَّه عليه باب فقر " [2] .

والفقر فتنة وبلاء ، وتفضيله بترك الغنى مخالف للسنة ، ولذلك تعوذ النبى ε فى دعائه منه ومن فتنته ، ولو كان خيرا ما دعا إلى تغييره ، وأجر الصبر عند الفقر حاصل إذا كان ابتلاء من اللَّه وقلة حيله ، لأن الصبر حينئذ رضى بالمقـــدر لا يتمكن الفقير من دفعه بالأسباب المشروعة ، فعن أبي هريرة τ ، أن النبي ε قال : " اللَّهم أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر ، فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء ، اقض عنا الدين وأغننا من الفقر " [3] .

وعن عائشة رضى الله عنها أن النبي ε كان يقول : " اللَّهم إني أعوذ بـــك من الكسل والهرم ، والمأثم والمغرم ، ومن فتنة القبر وعذاب القبر ، ومن فتنة

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب الزكاة برقم (1473) 395/3 .
2. أخرجه الترمذى فى الزهد برقم (2325) وقال الشيخ الألبانى : صـــحيح 562/4 وقال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح .
3. أخرجه مسلم فى كتاب الذكر برقم (2713) 2084/4 .

النار وعذاب النار ، ومن شر فتنة الغنى ، وأعوذ بك من فتنة الفقر " [1] ، وعن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص τ ، قال : " سمعت رسول اللَّه ε يقـــول : " إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة إلى الجنة بأربعين خريفا " [2] .

وعن سهل بن سعد الساعدى τ ، قال : " مر رجل على رسول اللَّه ε فقال : ما تقولون في هذا ؟ قالوا : حري إن خطب أن ينكح ، وإن شفع أن يشفع ، وإن قال أن يستمع ، قال : ثم سكت ، فمر رجل من فقراء المسلمين فقال : ما تقولون في هذا قالوا : حري إن خطب أن لا ينكح ، وإن شفع أن لا يشـــفع ، وإن قال : أن لا يستمع ، فقال رسول اللَّه ε : هذا خير من ملء الأرض مثل هذا " [3] .

الفقر فى الاصطلاح الصوفى :

الفقر فى الاصطلاح الصوفى أن لا تطلب المعدوم حتى تفقد الموجود ، فـــلا تطلب الرزق إلا عند خوف العجز عن القيام بالغرض ، وإذا صح الافتقـــار إلى الله صح الغنى بالله ، ونعت الفقير السكون عند العدم والبذل والإيثـــار عنـــد الوجود [4] ، يروى عن حاتم الأصم (ت:237هـــ) أنه قال : (مـــن ادعـــى ثلاثا

1. أخرجه البخارى فى كتاب الدعوات برقم (6368) 180/11 .
2. أخرجه مسلم فى كتاب الزهد برقم (2979) 2285/4 .
3. أخرجه البخارى فى كتاب النكاح برقم (5091) 35/9 .
4. التعرف ص95 ، وانظر أيضا كتاب المسائل للمحاسبى ص51 ، وروضة الطالبين للغزالى ص124 ، وانظر أيضا الرسالة الفقيرية لابن سبعين ص21:1 .

بغير ثلاث فهو كذاب : من ادعى حب الله من غير ورع عن محارمه ، فهو كذاب ، ومن ادعى حب الجنة من غير إنفاق ماله ، فهو كذاب ، ومن ادعى حب النبى ε من غير محبة الفقر فهو كذاب) [1] وعن أبى حفص النيسابورى (ت:270هـ) قال : (ما أعز الفقر إلى الله وأذل الفقر إلى الأشكال وما أحسن الاستغناء بالله وأقبح الاستغناء باللئام) [2] .

وسئل أيضا عن أحكام الفقر وآدابها عن الفقراء ، فقال : (حفظ حرمات المشايخ ، وحسن العشرة مع الإخوان ، والنصيحة للأصاغر ، وترك الخصومات فى الأرزاق ، وملازمة الإيثار ، ومجانبة الادخار ، وترك صحبة من ليس من طبقتهم ، والمعاونة فى أمور الدين والدنيا) [3] .

وقال أبو عبد الرحمن السلمى (ت:412هـ) : (الفقر سر الله عند عبده إذ العبد أمين عليه فإذا ظهر فقره أو أشياء منه فقد خرج من الأمناء ، والفقير فقير ما لم يعلم بفقره أحد إلا من يكون افتقاره إليه ، فإذا علم به غيره فقد خرج من حد الفقراء إلى حد الحاجة والمحتاجون كثير والفقر عزيز) [4] .

ويذكر الهجويرى (ت:465هـ) أن للفقر مرتبة عالية فى طريق الحق ، وأن للفقراء خطرا كبيرا كما قال تعالى : { لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا

---

1. طبقات الصوفية ص97 .
2. السابق ص7/11 .
3. السابق ص121 . 4. أصول الملامتية وغلطات الصوفية ص167 .

يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمْ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنْ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا } [البقرة/273] وقال أيضا : { ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلا عَبْدًا مَمْلُوكًا لا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ } [النحل/75] ، وقال : { تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنْ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا } [السجدة/16] ، وأن الرسول قد اختار الفقر حين قال : " اللهم احينى مسكينا ، وأمتنى مسكينا ، واحشرنى فى زمرة المساكين " .. ثم يقول : " وللفقير رسم وحقيقة ، فرسمه العوز والافتقار ولكن حقيقته الثراء والاختيار ، ومن ينظر إلى الرسم يبقى عند الإسم ، ويبتعد عن الحقيقة دون أن يحقق أمله ، ولكن من يجد الحقيقة يبتعد بناظريه عن كل ما هو مخلوق ، ويسرع بفناء الكل فى رؤية الكل ببقاء الكل ، إذن من لم يعرف سوى رسمه لم يسمع سوى اسمه ، فالفقير هو من ليس له شئ ، وليس فى إمكانه أن يفقد شيئا ، وهو لا يصبح غنيا إذا حاز عرضا ، ولا فقيرا إذا لم يكن لديه شئ ، فالوجود والعدم سواء بالنسبة لفقره ، وقد اتفق على أنه يزداد سرورا حينما لا يكون لديه شئ " (1) .

1. انفرد به الترمذى فى سننه عن أنس ولفظه : " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم أحيني مسكينا وأمتني مسكينا ، واحشرني في زمرة المساكين يوم القيامة ، فقالت عائشة : لم يا رسول الله ؟ ، قال : إنهم يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفا ، يا عائشة لا تردي المسكين ولو بشق تمرة ، يا عائشة أحبي المساكين وقربيهم ، فإن الله يقربك يوم القيامة " ، أخرجه الترمذى فى كتاب الزهد برقم (2352) 577/4 =

ويعرف الكاشانى الفقر عند الصوفية بأنه البراءة من الملك ، بمعنى الخلو التام عن جميع آثار الكثرة ، والانحرافات وأحكام العادات ، والمرادات الخلقية والحقية بحيث يصير القلب نقيا عن جميع الآ ثار الكونية ، نقيا عن أحكام القيود الظاهرية والباطنية ، بالانخلاع عن أحكام الغير والغيرية ، حتى عن رؤية ذلك الخلو ، وعن نفى تلك الرؤية أيضا ، فإن الفقر اشتقاقه لغة من أرض فقر ، وهى التى لا نبات فيها ، ولا شئ أصلا ثم يجعل الفقر أنواعا منها [1] :

(1- الفقر التام : قال الشيوخ إذا تم الفقر فهو الله ، لأنه تمت له المعرفة بنفسه ، وبكل ما سوى الحق من جميع الخلق بأنه مفتقر إلى الله تعالى افتقارا بالتمام شاهد توحيد الخواص ، فيصير عند تمام رؤيته لما هو عليه الشاهد والمشهود من تمام الفقر إلى المعبود ، مكاشفا بأنه لا هوية لشئ منهما ، إنما الهوية لله وحده ، كما أن القلب إذا صار نقيا عن أن يتعلق بشئ من صور الأكوان والكائنات ، نقيا عن التأثر بشئ من أحكام الانحرافات ، فإن هذا القلب التقى النقى ، يصير كمال فقره وتمام خلوه عن جميع الماهيات ، مجلا

لكمل التجليات ، فيكون قابلا لظهور التجلى الذاتى الأحدى الجمعى فيه وهذا

= وفي سنده الحارث بن النعمان الليثي ، وهو ضعيف فى الجرح والتعديل ليس بالقوى 91/3 ، ترجمة رقم (425) تهذيب الكمال 291/5 برقم (1047) وتهذيب التهذيب 139/2 برقم (277) وانظر أيضا كشف المحجوب ص25، ص26 .

1. لطائف الإعلام 216:211/2 .

القلب هو الصورة والمظهر الذى هو الحقيقة المحمدية التى هى منصة التعين الأول ومرآة الحق والحقيقة .

(2- فقر الغنى : وهو الإنسان المتحقق بالفقر التام ، وهو الذى غنى بفقره عما سواه ، ومقامه غاية المقامات وآخرها ، كما أشار ابن الفرض عمر بقوله :

وباب تخطى اتصالى بحيث لا حجاب وصال عنه روحى ترقت

وكم لجة قد خضت قبل ولوجه فقير الغنى ما بل منها بنغبة

(3- فقر الرضى والسخط : والمعنى بذلك قول على كرم الله وجهه : (إن لله فى خلقه ، مثوبات فقر ، وعقوبات فقر) ، فمن علامة الفقير إذا كان فقره مثوبة أن يحسن خلقه ويطيع ربه ولا يشكو حاله ، ويشكر الله تعالى على فقره ومن علامة الفقير إذا كان فقره عقوبة ، أن يسوء خلقه ويعصى ربه ويكثر الشكاية ويتسخط القضاء .

(4- فقر الفقر : وهو ترك الحظ من الفقر ، أو ترك اختيار الفقر على الغنى رعاية لاختيار الله ولإرادته على اختيار العبد وإرادته ، ومثل هذا لا يرى فضيلة

فى صورة فقر ولا فى صورة غنى ، وإنما يرى الفضيلة فيما يختاره الحـــق لعبـــده ولهذا كان المتحقق من عباد الله من لا يختار فعلا ولاترك إلا فى محـــال الأمـــر والنهى العامين كما فى عموم الشريعة ، أو لمكان إذن خاص ، وما عدا ذلـــك فإنه لا اختيار للعبد فيه ، فإنه قد ترك الاختيار والاقتراح علـــى الله ، فهـــو لا تتعلق له همة بترك شئ وأخذه إلا عن أمر عام أو خاص ، وهذا هو المقام الذى به يحصل التحقق بالفراغ التام عن كل ما سوى الله ، إذا كان ذلك مقام من لم يبق له إرادة إلا لما أمره الله بإرادته ، أو أراده له لأنه عبد ربه لا لعقله ، إذ لم يبق تعلق إلا بحسب ما أمره الله بحبه ، ويكره ما أمره الله بكرهه ، فلا إرادة له إلا على وفق إرادة الله وأمره لتحققه بتمام فقره [1] .

****

102ـ الفـــــناء

****

الفناء : فناء الشئ يرد على عدة معان :

[1]- موته وهلاكه ، كقوله تعالى : { كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّـــكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ } [الرحمن/27:26] وعن أبي هريرة τ أن رسول اللَّه ε قال : " أسرع قبائل العرب فناء قريش ويوشك أن تمر المرأة بالنعل فتقول إن هـــذا نعل قرشي " [2] وعن أبي موسى الأشعري τ قال رسول اللَّه ε : " فناء أمـــتي بالطعن والطاعون قال فقلنا يا رسول اللَّه هذا الطعن قد عرفناه فما الطـــاعون

قال : طعن أعدائكم من الجن وفي كل شهادة " [3] ، وعن عبد اللَّه بن مسعود

---

1. انظر فى الفقر عند محى الدين ابن عربى فصوص الحكم 105/1 ، والفتوحات المكية 170/2 460/3 ، 373/3 ، والرسالة الغوثية ورقة 79 أ .
2. أخرجه أحمد فى المسندبرقم (8232) رواته ثقات .
3. أخرجه أحمد فى المسندبرقم (19244) تابعه أسامه بن شريك ، وأبو بكر بن أبى موسى الأشعرى .

رضى الله عنه ، عن النبي ε قال : " يكون في هذه الأمة أربع فتن في آخرها الفناء " [1] .

[2] – وقد يراد بالفناء نفاذ المحصول وانتهائه سواء كان فى المحسوسات أو غيرها :

أ– فمن الأول : ما روى عن جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما ، أنه قال : " بعث رسول اللَّه ε بعثا قبل الساحل ، فأمر عليهم أبا عبيدة بن الجراح وهم ثلاث مائة وأنا فيهم ، فخرجنا حتى إذا كنا ببعض الطريق فني الزاد ، فأمر أبو عبيدة بأزواد ذلك الجيش ، فجمع ذلك كله فكان مزودي تمر ، فكان يقوتنا كل يوم قليلا قليلا حتى فني ، فلم يكن يصيبنا إلا تمرة تمرة، فقلت وما تغني تمرة ؟ فقال ، لقد وجدنا فقدها حين فنيت " [2] ، وعن ابن عباس رضي اللَّه عنهما ، قال : " قالت أم إسماعيل : يا إبراهيم إلى من تتركنا ؟ قال : إلى اللَّه قالت : رضيت باللَّه ؟ ، قال : فرجعت فجعلت تشرب من الشنة ، ويدر لبنها

على صبيها حتى لما في الماء ، قالت : لو ذهبت فنظرت لعلي أحس أحدا " [3]
و عن عائشة رضى الله عنها قالت : " توفي رسول اللَّه ε وعندنا شطر من

1. أخرجه أبو داود فى كتاب الفتن برقم (4241) وفى سنده مجهول وقال الشيخ الألبانى رحمه الله :ضعيف 94./4
2. أخرجه البخارى فى كتاب الشركة برقم (2483) 152/5.
3. أخرجه البخارى فى كتاب أحاديث الأنبياء برقم (3365) 458/6.

شعير ، فأكلنا منه ما شاء اللَّه ، ثم قلت للجارية : كيليه ، فكالته ، فلم يلبث أن فني ، قالت ، فلو كنا تركناه لأكلنا منه أكثر من ذلك " [1] .

ب- ومن الثانى : ما روى عن أبي هريرة τ ، أن رسول اللَّه ε قال : " أتدرون ما المفلس ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ، فقال : إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم ، فطرحت عليه ثم طرح في النار " [2] .

وعنه أيضا τ ، عن النبي ε قال : " من يدخل الجنة ينعم لا يبأس ، لا تبلى ثيابه ، ولا يفنى شبابه " [3] ، وعن أبي برزة الأسلمي رضى الله عنه ، قال قال رسول اللَّه ε : " لا تزول قدما عبد يوم القيامة ، حتى يسأل عن عمره فيما

أفناه ؟ وعن علمه فيم فعل ؟ وعن ماله من أين اكتسبه ، وفيم أنفقه ؟ وعـــن

1. أخرجه الترمذى فى كتاب صفة القيامة والرقائق والورع بـــرقم (2467) ، وقـــال الشيخ الألبانى رحمه الله : صحيح 643/4 ، وقال الترمذى : حـــديث صـــحيح ، ومعنى قولها شطر : تعني شيئا .

2. أخرجه مسلم فى كتاب البر والصلة والآداب برقم (2581) 1997/4 .

3. أخرجه مسلم فى كتاب الجنة برقم (2836) 2181/4 .

جسمه فيم أبلاه ؟ " [1] .

[3] – وقد يراد بالفناء انشار الشئ وتشتته ، كما روى عن جـــبير بـــن حية قال : " بعث عمر الناس في أفناء الأمصار ، يقاتلون المشركين " [2] .

وعن أبي مالك الأشعري τ ، أن رسول اللَّه ε قال : " يا أيها الناس اسمعـــوا واعقلوا ، واعلموا أن لله عز وجل عبادا ، ليسوا بأنبياء ولا شهداء ، يغـــبطهم الأنبياء والشهداء على مجالسهم وقربهم من اللَّه .. هم ناس من أفنـــاء النـــاس ونوازع القبائل ، لم تصل بينهم أرحام متقاربة تحابوا في اللَّه وتصافوا " [3] .

[4] – وقد يراد بالفناء بكسر الفاء المتسع من الدار ، نحو مـــا روى عـــن أبي هريرة τ ، قال : " خرج النبي ε في طائفة النهار ، لا يكلمني ولا أكلمه حـــتى أتى سوق بني قينقاع ، فجلس بفناء بيت فاطمة ، فقال : أثم لكع ؟ أثم لكع ؟

فحبسته شيئا ، فظننت أنها تلبسه سخابا أو تغسله ، فجاء يشتد حتى عانقه وقبله ، وقال : اللَّهم أحببه وأحب من يحبه "[4] .

---

1. أخرجه الترمذى فى كتاب صفة القيامة والرقائق والورع برقم (2417) وقال الشيخ الألبانى رحمه الله : صحيح 612/4 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب الجزية والموادعة برقم (3160) 298/6 .
3. حسن الإسناد ، أخرجه أحمد فى المسند برقم (22399) واللفظ له وابن ماجه فى كتاب الطهارة برقم (417) 144/1 .
4. أخرجه البخارى فى كتاب البيوع برقم (2122) 397/4 .

الفناء فى الاصطلاح الصوفى :

الفناء فى الاصطلاح الصوفى على معنى زوال الأوصاف المذمومة وبقاء الأوصاف المحمودة [1] ، وفناء رؤيا الأعمال ببقاء رؤيا العبد ، لقيام الحق للعبد بذلك ، وكذلك فناء الجهل بالعلم ، وفناء الغفلة بالذكر [2] ، وهذه المعانى إلى هذا الحد لها أصول قرآنية ونبوية .

يروى عن إبراهيم بن شيبان (ت:330هـ) أنه قال : (علم الفناء والبقاء يدور على إخلاص الوحدانية وصحة العبودية ، وما كان غير هذا فهو من المغاليط والزندقة [3] .

وقال أبو بكر الكلاباذى (ت:380هـ) : (الفناء هو أن يفنى عنه الحظوظ فلا يكون له فى شئ من ذلك حظ ، ويسقط عنه التمييز ، فناء عن الأشياء

كلها ، وشغلا بما فنى به ، والحق يتولى تصريفه ، فيصرفه فى وظائفه وموافقاته فيكون محفوظا فيما لله عليه ، مأخوذا عما له ، وعن جميع المخالفات ، فلا يكون له إليها سبيل وهو العصمة ، والبقاء الذى يعقبه ، هو أن يفنى عما له ويبقى بما لله) (4) .

---

1. انظر مصطلح البقاء ص 300 .
2. اللمع ص543 .
3. طبقات الصوفية ص404 .
4. التعرف ص123 .

وقال على بن عثمان الهجويرى (ت:465هـ) : (اعلم أن الفناء والبقاء لهما معنى عامى وآخر صوفى ، وأن أهل الظاهر أشد حيرة فى هاتين الكلمتين من كل اصطلاحات الصوفية ، فالبقاء اشتقاقا وعلما على ثلاثة معان :

أ- بقاء يبتدئ من الفناء ، وينتهى فى الفناء ، وذلك هو بقاء هذه الدار التى لها أول وآخر ، وهى قائمة وقتنا هذا .

ب- البقاء الذى صار له وجود ، وليس له فناء ، وهو بقاء الجنة والنار والدار الآخرة وأهلها .

ح- بقاء كان كما كان ، وهو على ما هو عليه كان ، وذلك بقاؤه سبحانه وتعالى ، وبقاء صفاته القديمة ، والمراد من بقائه دوام وجوده تعالى الله عما يقول الظالمون ، لا يشاركه أحد فى أوصافه ، لذلك فمعرفة الفناء

مخصوصة بمعرفتك بفناء هذه الدنيا ، ومعرفة البقاء بمعرفة دوام الدار الآخرة ، وذلك لقوله تعالى : { وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى } [الأعلى/ 17] وأبقى هنا مبالغة ذلك ، أن بقاء عمر الدنيا ليس فى فنائها ، أما بقاء الحال وفناؤه يعنى مثلا ، أنه إذا فنى الجهل ، لزم بقاء المعرفة ، وإذا فنيت المعاصى لزم بقاء الطاعة ، وإذا توصل الإنسان إلى معرفة تقواه ، فنيت غفلته) [1] .

ويذكر أبو القاسم القشيرى (ت:465هـ) أن القوم أشاروا بالفناء إلى

1. كشف المحجوب ص290 .

سقوط الوصاف المذمومة ، وقيام الأوصاف المحمودة ، فمن ترك مذموم أفعاله بلسان الشريعة ، يقال : إنه فنى عن شهواته ، فإذا فنى عن شهواته ، بقى بنيته وإخلاصه فى عبوديته ، ومن زهد فى دنياه بقلبه ، فنى فى رغبته ، فإذا فنى عن رغبته فيها ، بقى بصدق إنابته ، ومن عالج أخلاقه ، فنفى عن قلبه الحسد والحقد والبخل والشح والغضب والكبر ، وأمثال هذا من رعونات النفس يقال فى عرفهم : فنى عن سوء الخلق ، فإذا فنى عن سوء الخلق ، بقى بالصدق فى ضدها) [1] .

وقال أبو حامد الغزالى (ت:505هـ) : (الفناء فناء المعاصى ، ويكون فناء رؤية العبد لفعله بقيام اللَّه تعالى عن ذلك) [2] ، وقال الشيخ عبد القادر الجيلانى (ت:561هـ) : (افن عن الخلق بإذن اللَّه تعالى ، وعن هواك بأمر

اللَّه تعالى ، وعن إرادتك بفعل اللَّه تعالى ، وحينئذ تصلح أن تكون وعاءا لعلم اللَّه تعالى ، فعلامة فنائك عن خلق اللَّه تعالى ، انقطاعك عنهم وعـــن التـــردد إليهم واليأس مما فى أيديهم ، وعلامة فنائك عن هواك ترك التكسب والتعلـــق بالسبب فى جلب النفع ودفع الضر، تكل ذلك كله إلى اللَّه تعالى ، وعلامـــة فنائك عن إرادتك بفعل اللَّه أنك لا تريد مرادا قط ، ولا يكون لك غـــرض ، ولا يبقى لك حاجة ولا مرام ، فتفنى عن أخلاق البشرية) [3] .

---

1. الرسالة القشيرية 228/1، ص229 .

2. الإملاء ص66 . 3. فتوح الغيب لعبد القادر الجيلانى ص12 .

ويعرف السهروردى (ت:632هـــ) الفناء بقوله : (أن يفنى عن الحظـــوظ فلا يكون له فى شئ حظ ، بل يفنى عن الأشياء كلها شغلا بمن فنى فيه ، وقيل الفناء هو الغيبة عن الأشياء كما كان فناء موسى حين تجلى ربه للجبل) [1] .

ويقول ابن عربى (ت:638هـــ) : (الفناء أن تفنى الخصال المذمومة عـــن الرجل ، والبقاء أن تبقى وتثبت الخصال المحمـــودة فى الرجـــل ، فالســـالكون يتفاوتون فى الفناء والبقاء ، فبعضهم فنى عن شهوته يعنى ما يشتهيه من الـــدنيا فإذا فنيت شهوته بقيت فيه نيته ، وإخلاصه فى عبوديته ، ومن فنى عن أخلاقـــه الذميمة كالحسد والكبر والبغض وغير ذلك ، بقى فى الفتوة والصدق) [2] .

ومن الجدير بالذكر أن ابن عربى يتكلم هنا بلسان عوام الصوفية وخطاب أهل الظاهر ، لكن فلسفته فى وحدة الوجود لها مع الفناء أمر مختلف .

1. عوارف المعارف ص520 ، وانظر فى الفناء أيضا : معالم الفكر العربى ، كمال اليازجى طبعة دار العلم للملايين بيروت ص272 وما بعدها ، نشأة التصوف الإسلامى للدكتور إبراهيم بسيونى ، طبعة دار المعارف بمصر ص147، 157 التصوف الإسلامى الخالص ، لمحمود أبو الفيض المنوفى ، طبعة دار النهضة بمصر ص158٢161 وفى التصوف الإسلامى نيكلسون ترجمة عفيفى ص33 وانظر أيضا :

- Arlandeze , R . la Mystique Musulmane , la mystique et les mystiques desc lee de brouwer. paris 1965 .pp 628-630 .

2. كتاب الإرشاد ، مخطوط الأحمدية حلب رقم 797 ، ورقة 148ب , وانظر الفتوحات 515/2 .

ويذكر عبد الرزاق الكاشانى ، أن الفناء هو الزوال والاضمحلال كما أن البقاء ضده ، والطائفة يجعلون الفناء على مراتب [1] :

(1- الفناء عن الشهوة : يعنى بها سقوط الأوصاف المذمومة ، ما دامت النفس متصفة بها ، فهى النفس الأمارة أى بالسوء ، فإذا أخذا العبد فى مجاهدة نفسه بنفى سفساف أخلاقها ، ومواظبته على تزكية أعمالها فإنه ما دامت هذه الحالة فنفسه لوامه ، لأنه لو لم يكن فى قلبه بقية لما أحتاج إلى المجاهدة ، وهذا هو الذى يقال له الفانى عن شهوته ، وذلك لأنه ترك مذموم الأفعال بجوارحه امتثالا لأمر الشريعة ، إلا أن قلبه بعد ينازعه إليها ، لكونه لم يستقم بعد على الطريقة لتصفو أخلاقه الباطنة .

(2- فناء الراغب : وهو الذى يفنى عن شهوته بجوارحه ويزيد مع ذلك فيها بقلبه ، لتحققه بالاستقامة على أحكام الطريقة وهذا ذو النفس المطمئنة .

(3- الفانى برغبته : وهو الذى ترك لذة شهوته بجوارحه، ثم رغب عنها بقلبه أيضا .

(4- فناء المتحقق بالحق : وهو المشتغل بالحق عن الخلق ، ومثل هذا لا يعد راغبا عن شئ إلىشئ ، لأن الحق لا يسع معه سواه ، فلهذا سمى هذا الشخص بالفانى بالحق عما سواه .

---

1. لطائف الإعلام 221:217/2 .

(5- فناء أهل الوجد : هو فناء من فنى بالحق ، لكنه سمى فناؤه بفناء الوجد لكون الوجد هو سبب فنائه ، وذلك هو الذى تكون نفسه موجودة والخلق موجودين ، إلا أنه لا علم له بهم ، ولا نفسه ولا إحساس ولا خبر ، ويكون ذلك لاستهلاكه فى حضرات القرب ، فهو لا يسعه إدراكه لنفسه ، فضلا عن غيره من العالمين ، ومثاله من دخل على ذى سلطان عظيم ، فأذهله عن نفسه ، وعن أهل مجلسه ، بل وربما أذهله استعظام ذلك العظيم عن رؤيته له ، بحيث إذا خرج من عنده ، لم يمكنه اسستثبات شئ مما كان فى ذلك المجلس ، حتى لو سئل عن هيئة المجلس وملابس أهله وترتبهم فيه ، لم يدر ما يقول ، وكثيرا ما يقع مثل هذا

قال تعالى : { فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ } [يوسف/31] ، فإذا كن لم يجدن عند مشاهدة جمال يوسف ، ألم قطع الأيدى ، وهو جمال صورة مقيدة بتعين جزئى من تعينات مطلق الجمال ، فما شأنك بمن شاهد كمال صورة الجمال المطلق عن الإطلاق والتقلييد ، فبالأولى أن لا يجد مع شهوده غيره ، فإن من استولى عليه سلطان الحقيقة ، لم يتسع معها أن يشهد من الأغيار لا عينا ولا أثرا ولا رسما ولا طللا ، وهذا هو الذى فنى عن الخلق ، ببقائه بالحق فيرى كل ما سوى اللّه باللّه لا بغيره .

6)- فناء صاحب الوجود : هو أيضا فناء من فنى بالحق وهو ما عرفته إلا أنه خص ههنا بهذا الاسم ، لكونه ممن يجد نفسه وغيره من الخلق ، لكنه لا يرى لهم وجودا ، إنما يرى الوجود الحق لله وحده ، وأول مراتب هذا الفناء .

7)- فناء رؤية العبد لفعله : لقيامه باللّه على ذلك ، ثم يرتقى منه إلى فناء رؤيته لذاته لقيام اللّه عليها ، فنهاية إنتهاء السائرين فى مترلة الفناء هو الوصول إلى إزالة قيد التقييد بحكم شئ من التجليات الظاهرية والباطنية .

8)- فناء الفناء : هو الفناء عن شهود هذا الفناء ، وقد يراد بفناء الفناء البقاء الثانى ، لأنه هو المقام الذى بعد الفناء ، فهذا المعنى هو فناء الفناء لا محالة .

(9- فناء الوجود فى الوجود : ويقال فناء الشهود فى الشهود ، ويقال اتصال الوجود ومعناه ، فناء اسم الموجود فى الوجود الحق ، فيفنى من لم يكن ويبقى من لم يزل ، وهذا إنما يكون بعد الفناء عن الفناء ، كما قالوا :

فنيت عن الفناء وعن فنائى : فناء فى وجودك عن وجودى

أو قال : فناء فى شهودك عن شهودى .

****

103 ـ القـــــرب

****

القرب : القرب والبعد يتقابلان ويستعملان فى عدة أمور [1] :

أ- قرب المكان نحو قوله تعالى : { فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ

1. لسان العرب 662/1 ، المفردات ص399 ، كتاب العين 152/5 .

قَالَ أَلا تَأْكُلُونَ } [الذاريات/27:26] ، قوله تعالى : { إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا } [التوبة/28] ، وقوله فى الكناية عن الجماع : { وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ } [البقرة/222] ، وعن عبيد اللَّه بن عبد اللَّه τ : " أن رسول اللَّه ε أمر بفأرة ماتت في سمن ، فأمر بما قرب منها فطرح ثم أكل " [1] ، وعن أنس τ قال : " أراد بنو سلمة أن يتحولوا إلى قرب

المسجد فكره رسول اللَّه ε أن تعرى المدينة وقال : يا بني سلمة ألا تحتسبون آثاركم فأقاموا " [2] .

ب- قرب الزمان نحو قوله تعالى : { يَوْمَ يَأْتِيهِمْ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعْ الرُّسُلَ } [إبراهيم/44] وقوله سبحانه : { وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ } [الأنبياء/109] ، وعن أبي هريرة τ قال رسول اللَّه ε : " إذا قرب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب ، وأصدقهم رؤيا أصدقهم حديثا ، ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة " [3] وعن أنس بن مالك τ ، قال : " نظرنا رسول اللَّه ε ليلة ، حتى كان قريب من نصف الليل ، ثم جاء فصلى ، ثم أقبل علينا بوجهه ، فكأنما أنظر إلى وبيص خاتمه في يده من فضة " [4] .

1. أخرجه البخارى فى كتاب الذبائح برقم (5539) 515/9 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب الحج برقم (1887) 118/4 .
3. أخرجه ابن ماجة فى تعبير الرؤيا برقم (3917) وقال الألبانى : صحيح 1289/2 .
4. أخرجه مسلم فى كتاب المساجد برقم (640) 443/1 .

ح- قرب النسب ، نحو قوله تعالى : { لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا } [النساء/7] ، وعن ابن عمر τ ، أن عمر τ وجد مالا بخيبر ، فأتى النبي ε فأخبره ، قال : " إن شئت تصدقت بها ، فتصدق بها في الفقراء والمساكين ، وذي القربى والضيف " [1] .

وقالت امرأة شابة لعمر بن الخطاب τ: " يا أمير المؤمنين هلـــك زوجـــي وترك صبية صغارا ، واللَّه ما ينضجون كراعـــا ، ولا لهـــم زرع ولا ضـــرع وخشيت أن تأكلهم الضبع ، وأنا بنت خفاف بن إيماء الغفاري ، وقد شـــهد أبي الحديبية مع النبي ε ، فوقف معها عمر و لم يمض ، ثم قال : مرحبا بنســـب قريب ، ثم انصرف إلى بعير ظهير ، كان مربوطا في الدار ، فحمل عليه غرارتين ملأهما طعاما ، وحمل بينهما نفقة ، وثيابا ثم ناولها بخطامه ، ثم قـــال : اقتاديـــه فلن يفنى حتى يأتيكم اللَّه بخير " (2) .

د- قرب الحظوة والمترلة ، نحو قوله تعالى : { فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ الْمُقَرَّبِين فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ } [الواقعة/89:88] { وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَـــالُوا إِنَّ لَنَـــا لأجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنْ الْمُقَرَّبِينَ } [الأعراف/113:114] ، وعن أبي هريرة τ ، قال رسول اللَّه ε : " من بدا جفا ، ومن اتبع الصيد غفل

1. أخرجه البخارى فى كتاب الوصايا برقم (2773) 469/5 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب المغازى برقم (4161) 510/7 .

ومن أتى أبواب السلطان افتتن ، وما ازداد عبد من السلطان قربا ، إلا ازداد من اللَّه بعدا " (1) وعنه أيضا τ قال رسول اللَّه ε : " إن اللَّه قال : من عـــادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه " (2) .

هـــ- القرب والبعد فى تردد الخواطر ، ومثاله ما روى عن عبد الله بن مسعود τ قال : " كنا نسلم على النبي ε ، فيرد علينا السلام ، حتى قدمنا مـــن أرض الحبشة ، فسلمت عليه فلم يرد علي ، فأخذني ما قرب وما بعد ، فجلست حتى إذا قضى الصلاة قال : إن اللَّه عز وجل يحدث من أمره ما يشاء ، وإنـــه قـــد أحدث من أمره أن لا يتكلم في الصلاة " [3] .

القرب فى الاصطلاح الصوفى :

القرب فى الاصطلاح الصوفى عبارة عن الإقامة على الموافقـــة لأوامـــر الله والطاعة والاتصاف فى دوام الأوقات بعبادته ، إلا أنه لا يعد من أهل القرب من وقف مع رؤية قربه ، لأن رؤية الرب حجاب عن القرب ، فمن شاهد لنفســـه

1. أخرجه أحمد فى المسند برقم (8619) واللفظ له ، وأخرجه أبو داود فى كتاب الصيد برقم (2860) 111/3 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب الرقاق برقم (6502) 348/11 .
3. أخرجه النسائى فى كتاب السهو برقم (1221) وقال الشيخ الألبانى رحمـــه الله : حسن صحيح 19/3 .

محلا فهو ممكور به [1] ، روى عن أحمد ابن خضرويه (ت:240هـــ) : (أقرب الخلـــق إلى الله أوســـعهم خلقـــا) [2] ، وروى عـــن أبى القاســـم الجنيـــد (ت:297هـــ) أنه قال : (واعلم أنه يقرب من قلوب عباده ، على حسب ما يرى من قرب قلوب عباده منه ، فانظر ماذا يقرب من قلبك ؟) [3] .

ويذكر أبو بكر الكلاباذى (ت:380هـ) أن القرب أن يتذلل لربه بالطاعة لقوله عز وجل : { وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ } [العلق/19] [4] ، وقال أبو عبد الرحمن السلمى (ت:412هـ) : (وطائفة غلطت فى القرب والانبساط ، فتوهمت أن بينهم وبين الله حالة من القرب والدنو ، فاحتشمهم عند ذلك التوهم بالرجوع إلى الآداب التى كانوا يراعونها ، والحدود التى كانوا يحافظون عليها ، وانبسطوا إلى ما كانوا عليه محتشمين ، وتوهموا أن ذلك من قربهم ودنوهم وغلطوا ، فإن الآداب والأحكام خلع من الله على عبيده ، فمن زاد عليها حفظا ولها حرصا

1. لطائف الإعلام 229/2 ، وانظر أيضا روضة الطالبين لأبى حامد الغزالى ص59 وله أيضا ميزان العمل ص169 ، وانظر كتاب المواقف للنفرى ص2 وما بعدها ، وانظر أيضا الفتوحات المكية 14/2 ، 173/2 ، 22/4 ، والرسالة الغوثية لابن عربى ورقة 80أ ، وترجمان الأشواق ص125 .
2. طبقات الصوفية ص106 .
3. اللمع ص84:85 .
4. التعرف ص107 .

فهو من الله سبحانه فى عين الرعاية والقرب ، ومن زال عنه شئ من ذلك بما يظنه قرب إلى الحق ، فهو بعد منه والعياذ بالله) [1] .

وقال أبو القاسم القشيرى (ت:465هـ) : (أول رتبة فى القرب ، القرب من طاعته ، والاتصاف فى دوام الأوقات بعبادته ، قال ع : مخبرا عن الحق

سبحانه : " ما تقرب إلى المقربون ، أداء ما فترضت عليهم ، ولا يزال العبـــد يتقرب إلى بالنوافل حتى يحبنى وأحبه ، فإذا أحببته كنت له سمعا وبصرا ، فـــبى يسمع وبى يبصر " [2] ، فقرب العبد أولا قرب بإيمانه وتصـــديقه ، ثم قـــرب بإحسانه وتحقيقه ، وقرب الحق سبحانه ما يخصه اليوم به مـــن العرفـــان ، وفى الآخرة ما يكرمه به من الشهود والعيان ، وفيما بين ذلك بوجـــوده اللطـــف والامتنان ، ولا يكون قرب العبد من الحق إلا ببعده عن الخلق ، وهـــذه مـــن صفات القلوب دون أحكام الظواهر والكون ، فقرب الحق ســـبحانه بـــالعلم والقدرة علم للكافة ، وباللطف والنصرة خاص بالمؤمنين ، ثم بخصائص التأنيس مختص بالأولياء) [3] .

---

1. أصول الملامتية وغلطات الصوفية ص192 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب الرقاق برقم (6502) عن أبي هريرة τ بلفظ : " ومـــا تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه ، وما يزال عبـــدي يتقـــرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها " .
3. الرسالة 257/1 .

****

104 ـ القلـــــب

****

القلب : يعبر بالقلب عن المضغة التى تنبض بالدم فى صدر الإنسان ، عن أبى موسى الأشعرى τ ، قال رسول اللَّه ε : " إنما سمي القلب من تقلبه ، إنما مثل القلب كمثل ريشة معلقة في أصل شجرة ، يقلبها الــريح ظهــرا لــبطن " [1] والقلب له جانبان :

الأول : جانب محسوس يتبع البدن ، ويتصف بالصحة والسلامة والمرض وبموته يموت الإنسان ، فعن أنس بن مالك τ : " أن رسول اللَّه ε ، أتاه جبريل ε ، وهو يلعب مع الغلمان ، فأخذه فصرعه فشق عن قلبه ، فاستخرج القلب ، فاستخرج منه علقة ، فقال : هذا حظ الشيطان منك ، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ، ثم لأمه ثم أعاده في مكانه ، وجاء الغلمان يسعون إلى أمــه ، يعني ظئره ، فقالوا : إن محمدا قد قتل ، فاستقبلوه وهو منتقع اللون قال أنس : وقد كنت أرئي أثر ذلك المخيط في صدره " [2] .

الثانى : جانب غيبى يتبع الروح ويلابس المحسوس ، ويتصف بالصحة

1. أخرجه أحمد فى المسند برقم (27859) واللفظ له ، وابن ماجه فى المقدمــة بــرقم (88) وهو صحيح من طريق سعيد بن اياس عن غنيم بن قيس عن عبد الله بن قيس .
2. أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان برقم (162) 147/1.

والسلامة والمرض ، وبموته لا يموت الإنسان ، وهو المقصود فى الكتاب والسنة قال الله تعالى : { يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ إِلا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ } [الشعراء/89] ، ومعلوم أن السلامة لا تعنى سلامة الجانب المحسوس ، وقال تعالى

عن المنافقين : { فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمْ اللَّهُ مَرَضًا } [البقرة/10] ، ومما ورد فى السنة عن عائشة رضي اللَّه عنها ، أن رسول اللَّه ε قال لها :" يا عائشة إن عيني تنامان ، ولا ينام قلبى " [1] وعن أبي هريرة τ ، قال رسول اللَّه ε : " لا تكثروا الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب " [2] .

وعن أبي سعيد الخدرى τ ، قال رسول اللَّه ε : " القلوب أربعة ، قلب أجرد فيه مثل السراج يزهر ، وقلب أغلف مربوط على غلافه ، وقلب منكوس وقلب مصفح ، فأما القلب الأجرد فقلب المؤمن سراجه فيه نوره ، وأما القلب الأغلف فقلب الكافر ، وأما القلب المنكوس فقلب المنافق عرف ثم أنكر ، وأما القلب المصفح فقلب فيه إيمان ونفاق ، فمثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب ، ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والدم ، فأي المدتين غلبت على الأخرى غلبت عليه " [3] .

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب صلاة التراويح برقم (2013) 295/4 .
2. أخرجه ابن ماجة فى الزهد برقم (4193) وقال الشيخ الألبانى : صحيح 1403./2
3. أخرجه أحمد فى المسند برقم (10745) ، والحديث فيه الليث بن أبى سلم بن زين وهو صدوق .

وعن أبي هريرة τ ، عن النبي ε قال : " العين تزني ، والقلب يزني ، فزنا العين النظر ، وزنا القلب التمني ، والفرج يصدق ما هنالك أو يكذبه " [1] .

وعن أنس τ قال : كان رسول اللَّه ε يكثر أن يقول : " يا مقلب القلـــوب ثبت قلبي على دينك ، فقلت : يا رسول اللَّه آمنا بك وبما جئت بـــه ، فهـــل تخاف علينا ؟ ، قال : نعم إن القلوب بين أصبعين من أصابع اللَّه ، يقلبها كيف يشاء " [2] ، وعن ابن عمر τ ، قال رسول اللَّه ε : " لا تكثروا الكلام بغـــير ذكر اللَّه ، فإن كثرة الكلام بغير ذكر اللَّه قسوة للقلب ، وإن أبعد الناس مـــن اللَّه القلب القاسي " [3] .

والقلب يقوم بوظيفتين :

أ- العلم والتميز لأنه يحوى العقل ، لقوله تعالى : { أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ } [الحج/46] وقوله سبحانه : { أَفَـــلا

---

1. أخرجه أحمد فى المسند برقم (8156) واللفظ له ، وأخرجه الإمام البخارى فى كتاب الاستئذان برقم (6243) .
2. أخرجه الترمذى فى كتاب القدر برقم (2140) وقال الشيخ الألبـــانى رحمـــه الله : صحيح 448/4 .
3. أخرجه الترمذى فى كتاب الزهد برقم (2411) وقال الألبانى : ضـــعيف 607/4 وقال الترمذى حسن غريب .

يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا } [محمد/24] .

ب – الإرادة وجميع أعمال القلوب ، كاليقين والإخلاص والصدق والمحبة والخوف والرجاء والخشوع والخشية والإنابة والحزن ، وغير ذلك من معانى الإيمان أو ضدها ، كقوله تعالى : { لا يُؤَاخِذُكُمْ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ } [البقرة/225] .

ومما ورد فى السنة ، ما روى عن عبد اللَّه بن عمرو τ ، قال كان رسول اللَّه ε يقول : " اللَّهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع " [1] ، وعن أنس بن مالك τ قال ε : " إن العين تدمع والقلب يحزن ، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا ، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون " [2] ، وعن النعمان بن بشير τ ، قال سمعت رسول اللَّه ε ، يقول : " ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب " [3] ، وعن عبد اللَّه بن عمرو τ ، قال : " قيل لرسول اللَّه ε : أي الناس أفضل ؟ قال : كل مخموم القلب ، صدوق اللسان ، قالوا : صدوق اللسان نعرفه ، فما مخموم القلب ؟ ، قال : هو التقي النقي ، لا إثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد " [4] .

1. أخرجه الترمذى فى كتاب الدعوات برقم (3482) وقال الألبانى : صحيح 519/5 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب الجنائز رقم (1303) 206./3.
3. أخرجه البخارى فى كتاب الإيمان رقم (52) 153./1.
4. أخرجه ابن ماجة فى كتاب الزهد برقم (4216) وقال الألبانى : صحيح 1409/2.

القلب فى الاصطلاح الصوفى :

القلب فى الاصطلاح الصوفى محل الأوصاف الحميدة ، ومحل العرفان والمشاهدة ، وهو أداة التفكير ، وبصلاحه يكون صلاح البدن ، وهو لطيفة ربانية روحانية ، لها تعلق بالقلب الجسمانى ، وهى المراد من القلب حيث وقع فى القرآن أو السنة .

ومن كلامهم عن القلب ، ما ثبت عن الحارث المحاسبى (ت:243هـ) أنه قال : (فرض القلب بعد الإيمان والتوبة ، إخلاص العمل لله ، واعتقاد حسن الظن عند الشبه والثقة بالله والخوف من عذابه والرجاء لفضله) [1] .

ويذكر أيضا أن القلب مثل بيت له ستة أبواب ، والعبد يجب عليه الحذر ألا يدخل عليه من أحد هذه الأبواب شئ فيفسد عليه البيت ، والأبواب العينان واللسان والسمع والبصر واليدان والرجلان ، فمتى انفتح باب من هذه الأبواب بغير علم ضاع البيت) [2] .

ويبين سهل بن عبد اللَّه التسترى (ت:293هـ) ، كيف يريد الله تعالى سلامة عبد أشرف على الهلاك والبعد ، بتسليط العدو عليه وتسويل النفس له فيقول : (فيطهِّر القلب عند الابتلاء ، ويهدى النفس بنور إيمانه إلى الله تعالى ويسر الالتجاء إليه ، ويخفى التوكل عليه ، عائذا لائذا مخلصا له ، فهناك توكل

---

1. رسالة المسترشدين ص114 .
2. السابق ص115 .

عليه فكان حسبه ، وعندها فوض الأمر إليه ، فوقاه الله مكر عدوه ، وجعل له مخرجا ونجاة ، فينظر الله تعالى إلى القلب نظرة تخمد النفس ، وتمحق الهمة وتخنس العدو لسقوط مكانه ، وتذهب لخنوسه شدة سلطانه فيصفوا القلب بقوة القهار العزيز الجبار ، فيخاف العبد مقام الرب ، ويفزع من الخطيئة ويهرب منها ويستغفر الله ويتوب) [1] .

ويروى عن عبد الله بن خبيق الأنطاكى (ت:بعد300هـ) قال : (خلق الله القلوب مساكن للذكر ، فصارت مساكن للشهوات ، ولا يمحو الشهوات من القلوب إلا خوف مزعج أو شوق مقلق) [2] .

ويذكر الحكيم الترمذى (ت:320هـ) أن الحكماء عن تدبير الله يتذكرون كيف دبر شأن الآدميين ؟ ، وكيف ركبهم ؟ ، ومن أين استخرجهم ؟ ، وأين وضعهم ؟ ، وإلى أين دعاهم ؟ ، فينشرون منن الله ، ويشيعون نعمه لديهم ويصفون تركيب أجسادهم ومكامن العدو منها ، وسلطان الشهوات فيها ويمرون بين أعمال القلوب ، وأعمال النفوس وجذع العدو ، فإن للنفس وسواسا يدق فى جنبه وسواس العدو ، ويصفون شأن الدارين ، وانقسام هذه الدار على الدار الآخرة ، ويصفون الإرادة ، ويعرفون المريدين مكامن النفس لإفساد العطايا الواردة على السالكين بذلك الطريق إلى الله ، فإن التقوى فى هذا

---

1. قوت القلوب 1/ 124 وانظر من التراث الصوفى ص 174 ملخصا .
2. طبقات الصوفية ص144 .

الطريق أصعب وأدق ، وأغمض وأعظم مؤنة ، من التقوى فى طريق الشـــريعة لأن طريق الشريعة على الجوارح ، وهذا الطريق بالقلوب فى ممرها على النفوس فيحتاج إلى أن يسلك بعمل القلب على شهوات النفس بالحراســـة العظيمـــة والاستعانة بالله ، حتى يسلم ذلك العمل الذى نهض فى القلب ، من آفة النفس فيخرج إلى الجوارح سليما ، يصعد إلى الله سليما من آفاتهـــا) [1] ، ويـــذكر الترمذى بعض الحقائق المتعلقة بالقلب منها :

(1- أن اسم القلب اسم جامع يقتضى مقامات الباطن كلها ، وفى البـــاطن مواضع ، منها ما هى من خارج القلب ، ومنها ما هى من داخل القلب فأشبه اسم القلب اسم العين ، إذ العين اسم يجمع ما بين الشفيرتين ، من البياض والسواد ، والحدقة والنور الذى فى الحدقة ، وكل واحـــد مـــن هذه الأشياء له حكم على حدة ، ومعنى غير معنى صـــاحبه ، إلا أن بعضها معاونة لبعض ومنافع بعضها متصلة ببعض ، وكل ما هو خارج فهو أساس الذى يليه من الداخل وقوام النور بقوامهن [2] .

---

1. أنواع العلوم ص27ب للحكيم الترمذى مخطوط مكتبة ولى الدين رقم 770 .
2. بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب للحكيم الترمذى ، تحقيـــق الـــدكتور نقولا هير ، نشر مكتبة الالكليات الأزهرية ص 3 .

(2- أن القلب إنما سمى قلبا لسرعة تقلبه [1] ، وقال رسول الله ε : (إنما مثل القلب كمثل ريشة فى الفلاة من الأرض) [2] ، فأخبر عليه الصلاة والسلام طرفا من قدرة الله ، وشيئا من لطفه لعبده ، بتثبيت قلبه على الإيمان ، وإرسائه على الحق بسرعة تقلبه ، كيلا يرتفع عن الهدى بحول الله وقوته ، فالعاقل من لا يضيف فعل القلب إلى نفسه ، إلا على مقدار ما يليق بالعبودية ، ويسكت عما لا يعنيه ، فإن له من وراء ذلك اشتغالا عن الفضول بما لا يعنيه ، ومن انهدام بناء توحيده وأساس إيمانه وأرض معرفته فمن غيره يبنيه ؟ [3] .

(3- أن العمى والبصر يضاف إلى القلب ، ولا يضاف إلى الصدر ، قال الله تعالى : { فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ }

---

1. طرف من حديث ، أخرجه أحمد فى المسند برقم (27859) ولفظه : (إنما سمي القلب من تقلبه إنما مثل القلب كمثل ريشة معلقة في أصل شجرة يقلبها الريح ظهرا لبطن) .
2. أخرجه ابن ماجة فى المقدمة برقم (88) وقال الشيخ الألبانى : صحيح 34/1 عن أبي موسى الأشعري τ قال : " قال رسول الله ε : مثل القلب مثل الريشة تقلبها الرياح بفلاة " وهو ضعيف من هذا الطريق لوجود يزيد بن إبان الرقاشى ، وهو منكر الحديث كما نص على ذلك أحمد بن حنبل .
3. السابق ص66 .

[الحج/46] ، فالقلب هو معدن نور الإيمان قال الله تعالى : { وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمْ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ } [الحجرات/7] ، وقال : { إِلا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ } [النحل/106] ، والقلب هو معدن التقوى والسكينة والوجل والإخبات واللين ، والطمأنينة والخشوع والتمحيص والطهارة ، قال الله تعالى : { وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا } [الفتح/26] ، وأشار بالإلزام إلى قلوبهم وقال : { هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ } [الفتح/4] ، وقال : { فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ] [الفتح/18] ، وقال فى قصة الخليل υ : { وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي } [البقرة/260] ، وقال : { وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا } [المائدة/113] وقال : { أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى } [الحجرات/3] ، وأشار رسول الله ε بالتقوى إلى قلبه [1] ، وقال عز وجل : { قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنْ الْمُتَّقِينَ } [المائدة/27] [2] .

(4- أصل التقوى فى القلب ، وهى التقوى من الشك والشرك ، والكفر

1. أخرجه مسلم فى كتاب البر والصلة برقم (2564) 1986/4 ، عن أبي هريرة τ بلفظ : " قال رسول الله ε : لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا .. التقوى هاهنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات ، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه " .
2. السابق ص47 ، ص53 .

والنفاق والرياء ، وقال سبحانه فى الطهارة : { ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ } [الأحزاب/53] ، وقال أيضا : { أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدْ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ } [المائدة/41] ، وقال تعالى : { وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ } [آل عمران/154] ، وفى الوجل : { وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ } [المؤمنون/60] ، وقال تعالى : { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ } [الأنفال/2] وقال فى الإخبات : { فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ } [الحج/54] وقال فى اللين : { ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ } [الزمر/23] وقال فى عدم الفقه : { لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا } [الأعراف/179] وقال فى الخشوع : { أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنْ الْحَقِّ } [الحديد/16] وقال أهل التفسير : إن معنى الخشوع الخوف الدائم فى القلب [1] .

(5- أن مدار تأكد وجوب الثواب والعقاب بالقلب ، وفعله بالنفس تبعة قال الله تعالى : { لا يُؤَاخِذُكُمْ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ } [البقرة/225] ، وإنما هذا فى أحكام الآخرة وأما حكم الدنيا فالنفس تؤاخذ فى أفعالها ، وأما فيما بين العبد وبين ربه فإن الحكم بما فى القلب ، قال الله تعالى فى شأن عمار بن ياسر τ : { إِلا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ } [النحل/106] فبين الله عذره أنه لم يضره

1. السابق ص55 .

ذلك لطمأنينة قلبه على صدق الإيمان [1] .

(6- أن صلاح القلب فى الأحزان والهموم ، ودواؤه بمداومة الذكر لله تعالى وفساده من أفراح الدنيا ، وسرور أحوال النفس ، وداؤه إعراضه عن ذكر الله عز وجل وإقباله على ما يلهيه عن ذكر الله تعالى [2] .

ويذكر الكاشانى أن القلب عند الطائفة ، عبارة عن صورة العدالة الحاصلة للروح الروحانى فى أخلاقه ، بحيث يصير فيها على حافة الوسط ، بلا ميل إلى الإطراف ، ثم يذكر فيما يتعلق بالقلب :

1- قلب الجمع والوجود : ويقصدون به الإنسان الحقيقى ، صاحب الصورة البرزخية الكبرى .

2- قلب القلب : أو قلب قلب الجمع والوجود ، ويعنى به البرزخية الجامعة بين الوجوب والإمكان ، أو الإنسان الكامل الذى من مرتبته يصل فيض الحق ، والمدد الذى هو سبب بقاء ما سوى الحق إلى العالم كله علوا وسفلا ، ولولاه من حيث برزخيته التى لا تغاير الطرفين ، لما قبل شئ من العالم المدد الإلهى الوحدانى ، لعدم المناسبة والارتباط بين الحق والخلق بدون وسطيته [3] .

---

1. السابق ص57Ύ58 .
2. آداب المريدين وبيان الكسب للحكيم الترمذى ص36 .
3. لطائف الإعلام 236:235/2 وانظر فى مصطلح القلب عند محى الدين بن عربى =

****

105ـ الكبــــــر

****

الكبر : الكبر والتكبر والاستكبار تتقارب ، فالكبر الحالة التى يتخصص بها الإنسان من إعجابه بنفسه ، وذلك بأن يرى الإنسان نفسه أكبر مــن غــيره وأعظم الكبر ، التكبر على اللَّه بالامتناع من قبول الحق والإذعان له بالعبــادة والاستكبار يقال على وجهين [1] :

أحدهما : أن يسعى الإنسان ويطلب أن يصير كبيرا ، فإذا كان على ما يجب وفى المكان الذى يجب ، وفى الوقت الذى يجب فمحمود ، كقوله تعالى عــن يوسف : { قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ } [يوسف/55] وعن أبي هريرة τ ، عن النبي ε قال : " بينما امرأة فيمن كان قبلكم ، ترضع ابنا لها إذ مر بها فارس متكبر عليه شارة حسنة ، فقالت المرأة : اللَّهم لا تمت ابني هذا حتى أراه مثل هذا الفارس على مثل هذا الفرس ، قال : فترك الصبي الثــدي ثم قال : اللَّهم لا تجعلني مثل هذا الفارس ثم عاد إلى الثدي يرضع " [2] .

= الفتوحات المكية 155/2 ، 25/4 ، وترجمان الأشواق ص43 ، والديوان ص30 وفصوص الحكم 128/1 ، مواقع النجوم ص100 .

1. لسان العرب 125/5 ، كتاب العين 361/5 ، المفردات ص422:421 .
2. أخرجه أحمد فى المسند برقم (8890) واللفظ له ، وأخرجه البخــارى فى كتــاب أحاديث الأنبياء برقم (3436) .

الثانى : أن يتشبع فيظهر من نفسه ما ليس له ، ويتمنع من قبول الحق والإذعان له ، وهذا هو المذموم الذى أشار إليه الحق بقوله : { وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنْ الْكَافِرِينَ } [البقرة/34] وقوله : { وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ } [إبراهيم/21] ، وقوله : { إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ } [الأعراف/40] ،قابل المستكبرين بالضعفاء ، تنبيها أن استكبارهم كان بما لهم من القوة من البدن والمال وغير ذلك ، وعن حارثة بن وهب الخزاعي τ ، قال رسول اللَّه ε : " ألا أخبركم بأهل الجنة ، كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّه لأبَرَّهُ ، ألا أخبركم بأهل النار ، كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ " (1) .

وعن سلمة بن الأكوع τ ، أن رجلا أكل عند رسول اللَّه ε بشماله فقال ε : " كل بيمينك ، قال : لا أستطيع ، قال : لا استطعت ، ما منعه إلا الكبر ، قال : فما رفعها إلى فيه " (2) .

والتكبر يقال على وجهين :

أحدهما : أن تكون الأفعال الحسنة كثيرة فى الحقيقة ، وزائدة على محاسن غيره ، وعلى هذا وصف اللَّه تعالى بالتكبر ، كقوله تعالى : { هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا

---

1. أخرجه مسلم فى كتاب الجنة برقم (2853) 219/4 .
2. أخرجه مسلم فى كتاب الأشربة برقم (2021) 1599/3 .

إِلَهَ إِلا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ } [الحشر/23] .

وعن أبي هريرة τ ، قال رسول اللَّه ε : " قال اللَّه عز وجل : الكبرياء ردائي ، والعظمة إزاري ، فمن نازعني واحدا منهما قذفته في النار " [1] .

وعن عبد اللَّه بن قيس τ ، أن رسول اللَّه ε قال : " جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم ، إلا رداء الكبر على وجهه في جنة عدن " [2] ، ومن وصف بالتكبر على الوجه الأول فمحمود ، لقوله تعالى : { سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ } [الأعراف/146] ، فمن ترفع على الكفار واستحقرهم بعزة الإيمان ، وتواضعه لله وحسن عبوديته ، فلا يدخل فى المعنى الآية ، ومن السنة أيضا ، ما روى عن رافع بن خديج τ : " أَنَّ عَبْدَ اللَّه بْنَ سَهْلٍ وَمُحَيِّصَةَ بْنَ مَسْعُودٍ ، أَتَيَا خَيْبَرَ فَتَفَرَّقَا فِي النَّخْلِ ، فَقُتِلَ عَبْدُ اللَّه بْنُ سَهْلٍ ، فَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَهْلٍ وَحُوَيِّصَةُ وَمُحَيِّصَةُ ابْنَا مَسْعُودٍ إِلَى النَّبِيِّ ε فَتَكَلَّمُوا فِي أَمْرِ صَاحِبِهِمْ ، فَبَدَأَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَكَانَ أَصْغَرَ الْقَوْمِ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ε : كَبِّرِ الْكُبْرَ ، لِيَلِيَ الْكَلامَ الأَكْبَرُ فَتَكَلَّمُوا فِي أَمْرِ صَاحِبِهِمْ " [3] .

---

1. أخرجه مسلم فى كتاب البر والصلة برقم (2620) 2023/4 ، وأبو داود فى كتاب اللباس برقم (4090) واللفظ له .
2. أخرجه البخارى فى كتاب تفسير القرآن برقم (4878) 491/8 .
3. أخرجه البخارى فى كتاب الأدب برقم (6142) 552/10 .

الثانى : أن يكون متكلفا لذلك متشبعا ، وذلك فى وصف عامة الناس وهو مذموم ، نحو قوله تعالى : { فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ } [الزمر/72] ، وقوله : { كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ } [غافر/35] ، وعن ثوبان τ قال رسول اللَّه ε : " من مات وهو بريء من ثلاث ، الكبر والغلول والدين دخل الجنة " [1] .

وعن عبد اللَّه بن مسعود τ ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ، قال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة ، قال : إن اللَّه جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق وغمط الناس " [2] .

الكبر فى الاصطلاح الصوفى :

الكبر فى الاصطلاح الصوفى التعظم ، وهو من عيوب النفس ، ومساوئ الإخلاق ، فإذا جهل العبد قدر نفسه ، عظم قدرها عنده ، فتعظم على الخلق وأنف ، فالكبر هو التعظم ، وعنه يكون أخلاق الكبر ، وأخلاق الكبر كلها تسمى كبرا ، وقد يكون عن الحقد والحسد والرياء والعجب ، إلا أن أوله فى القلب استعظام القدر ، فإذا استعظم العبد قدره تعظم ، فإذا تعظم أنف وحمى

---

1. أخرجه الترمذى فى كتاب السير برقم (1572) وقال الألبانى : صحيح 138/4 وأخرجه الحاكم فى المستدرك برقم (2217)31/2 .
2. أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان برقم (91) 93/1 .

وتعزز وافتخر ، واستطال ومرح واختال [1] .

روى عن حاتم الأصم (ت:237) أنه قال : (أصل الطاعة ، ثلاثة أشـياء الخوف والرجاء والحب ، وأصل المعصية ، ثلاثة أشياء ، الكبر والحـرص والحسد) [2] ، وقال الحارث المحاسبى (ت:243هـ) : (إن الكـبر عظـيم الآفات ، عنه تشعب أكثر البليات ، يستوجب به من الله عز وجل سـرعة العقوبة والغضب ، لأن الكبر لا يحق إلا لله عز وجل ، ولا يليق ولا يصلح لمن دونه ، فكل من سواه عبد مملوك ، وهو المليك الإله القادر ، فعظم عند الله عز وجل الكبر ذنبا ، إذ كان لا يليق بغيره ، فإذا فعل العبد مالا يليق إلا بالمولي عز وجل اشتد غضب المولى تعالى عليه ، ألاترى ما يروى أبو هريرة τ ، عن النبى ε أنه قال : إن الله عز وجل يقول : " الكبرياء ردائى والعظمة إزارى ، فمـن نازعنى فيهما ، أدخلته نارى " [3] ، فيستحق المتكبر أن يقصمه الله عز وجـل ويحقره ويصغره ، إذ جاز قدره وتعاطى مالا يصـلح لمخلـوق [4] ، ويـذكر المحاسبى ، أن الكبر يتشعب من العجب ، والحقد والحسد والرياء ، وهو علـى وجهين [5] :

---

1. الرعاية لحقوق الله ص301 بتصرف .
2. طبقات الصوفية ص95 .
3. حديث صحيح تقدم تخريجه ص 950 .
4. الرعاية لحقوق الله ص305 .
5. السابق ص306 .

أ- أحدهما : بين العباد وبين ربهم عز وجل ، وهو أعظم الكبر ، كقوله عز وجل : { إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ } [غافر/60] وقال : { لَنْ يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا } [النساء/172] ، وقال : { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا } [الفرقان/60] ، وقال سبحانه أيضا : { اسْتِكْبَارًا فِي الأَرْضِ } [فاطر/43] ومن ذلك استكبر إبليس على آدم ، حتى خرج به إلى المعاندة ، وترك السجود لطاعة ربه عز وجل ، وكذلك يروى عن النبى ε : (إن إبليس إذا رأى ابن آدم ساجدا ، قال يا ويله أمر هذا بالسجود فسجد ، وأمرت أنا بالسجود فلم أسجد) [1] ، وقد يجامع هذا الباب من الكبر بينه وبين ربه ، الرد على الرسل فيرد أمره ، ويعانده ويخالفه فى أمره ، فأنفوا أن يتبعوا الرسل عليهم السلام فيكونوا لهم أتباعا ، فعاندوا الله عز وجل فى أمره ، وردوا كتابه ، وجحدوا حجته ، ومن ذلك قولهم : { فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ } [المؤمنون/47] ، وقال تعالى : { وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ } [المؤمنون/34] ، فأنفوا أن يكونوا تبعا لمن هو مثلهم فى الخلقة ، وقالوا : { وَقَالَ

1. الحديث أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان برقم (81) 87/1 عن أبي هريرة τ قال رسول الله ε : " إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول يا ويله " وفي رواية أبي كريب : " يا ويلي أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار " .

الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا } [الفرقان/21] فقال الله عز وجل : { لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا } [الفرقان/21] .

ب- أما الوجه الآخر من الكبر ، فيكون بين العباد ، وهو التعظم عليهم وحقيقة التعظم عليهم ، خصلتان :

1- إحداهما الحقرية لهم والأنفة منهم فهو ينظر إليهم بالازدراء والحقرية لهم .

2- والخصلة الثانية رد الحق عليهم ، أن يقبله منهم وهو يعلم أنه حق ، إن أمره بعضهم بخير أو نهاه عن منكر ، أو ناظره فى دين الله ، فيرد الحق وهو يعلم ، كما قال الله عز وجل : { وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا } [النمل/14] وقال سبحانه وتعالى : { فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ } [البقرة/89] .

ويذكر الحكيم الترمذى (ت:320هـ) أن كل علم تحمله النفس ويعيه الصدر ، فإن النفس تزداد به تكبرا وترفعا ، وتأبى قبول الحق ، وكلما ازدادت علما ازدادت حقدا على الإخوان ، وتماديا على الباطل والطغيان [1] .

وقال أبو عبد الرحمن السلمى (ت:412هـ) : (من عيوب النفس طلب الرئاسة بالعلم والتكبر والافتخار به ، والمباهاة على أبناء جنسه ، ومداواتها فى رؤية منة الله عليه ، فى أن جعله وعاء لأحكامه ، ورؤية تقصير شكره من نعمة الله عليه ، بالعلم والحكمة والتزام التواضع والانكسار ، والشفقة على الخلق

1. بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب ص49 .

والنصيحة لهم ، فإنه روى عن النبى ε ، أنه قال : " من طلب العلم ليباهى بـــه العلماء ، أو ليمارى به السفهاء ، أو ليصرف به وجوه الناس إليه ، فليتبوأ مقعده فى النار " [1] ، ولذلك قال بعض السلف : (من ازداد علما فليزدد خشية ، فإن الله تعالى يقول : { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ } [فاطر/28] [2] .

وقال أبو حامد الغزالى (ت:505هـــ) : (اعلم أن الكبر ينقسم إلى بـــاطن وظاهر ، فالباطن هو خلق فى النفس ، والظاهر هو أعمال تصدر عن الجـــوارح واسم الكبر بالخلق الباطن أحق ، وأما الأعمال فإنها ثمرات لذلك الخلق ، وخلق الكبر موجب للأعمال ، ولذلك إذا ظهر على الجوارح ، يقال : تكبر ، وإذا لم يظهر ، يقال : فى نفسه كبر ، فالأصل هو الخلق الـــذى فى الـــنفس ، وهـــو الاسترواح والركون إلى رؤية النفس فوق المتكبر عليه ، فإن الكـــبر يســـتدعى متكبرا عليه ومتكبرا به ، وبه ينفصل الكبر عن العجـــب ، فـــإن العجـــب لا يستدعى غير المعجب ، بل لو لم يخلق الإنسان إلا وحده ، تصـــور أن يكـــون معجبا ، ولا يتصور أن يكون متكبرا ، إلا أن يكون مع غيره ، وهو يرى نفسه فوق ذلك الغير فى صفات الكمال فعند ذلك يكون متكبرا) [3] .

---

1. الحديث أخرجه الترمذى فى كتاب العلم برقم (2578) عن كعب بن مالك τ قال : سمعت رسول الله ε يقول : " من طلب العلم ليجاري به العلماء أو ليمـــاري بـــه السفهاء أو يصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله النار " وحسنه الألبانى 32/5 .
2. عيوب النفس ص15.
3. إحياء علوم الدين 334/3 .

****

106 ـ الكنـــــود

****

- **الكنود** : الجحود ، يقال : أرض كنود إذ لم تنبت شيئا وقوله تعـــالى : { إِنَّ الإنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ } [العاديـــات/ 6] أى كفور لنعمته ، قـــال مجاهـــد : الكنود الكفور [1] ، وروى عن ابن عباس رضى اللَّه عنه أنه قـــال : الكنـــود العاصى بلسان كندة وحضرموت ، والكفور بلسان ربيعة ومضر ، والبخيـــل السئ الملكة بلسان كنانة [2] وروى عنه أيضا أنه قال : " هل تدرون ما الكنود ؟ هو الكفور الذي يترل وحده ، ويمنع رفده ، ويشبع بطنه ، ويجيع عبده ، ولا يعطي النائبة قومة " [3] .

- **الكنود فى الاصطلاح الصوفى :**

الكنود فى الاصطلاح الصوفى باق على أصوله القرآنية ، فـــيروى عـــن ذى

---

1. المفردات ص442 وانظر فتح البارى شرح صحيح البخارى كتاب التفسير ، سورة العاديات 599/8 .
2. لطائف الإشارات 758/3 .
3. انظر الفردوس بمأثور الخطاب ، لأبي شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه الديلمي الهمذاني ، تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ســـنة 1986م ، رقم (6981) 339/4 .

النون المصرى (ت:248هـ) : (هو الذى إذا مسه الشر جزوع ، وإذا مسه الخير منوع ، يجزع من البلوى ، ويمنع الشكر على النعمى) [1] ، يشير بذلك إلى المعنى الذى فى قوله تعالى : { إِنَّ الإنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا إِلا الْمُصَلِّينَ } [المعارج/22:20] .

ويذكر القشيرى فى معنى الكنود عدة معان تتفق مع المعنى القرآنى فى قوله تعالى : { إِنَّ الإنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُود } [العاديات/ 6] وهى معان متقاربة [2] :

1- الكنود الكفور بنعمة اللّه .

2- الكنود هو الذى يرى ماإليه من البلوى ، ولا يرى ما هو به من النعمى .

3- الكنود هو الذى رأسه على وسادة النعمة ، وقلبه فى ميدان الغفلة .

4- الكنود هو الذى ينسى النعم ويعد المصائب .

ويقسم الكاشانى معنى الكنود عند الصوفية على ثلاثة أنواع [3] :

الأول : الكنود فى الشريعة تارك الفرائض ، المخالف للأمر الواجب ، فهو كنود لكونه يتعدى فى فعله ما نهى اللّه عنه .

الثانى : الكنود فى الطريقة تارك الفضائل ، فهو كنود لأنه مخالف للأمر الذى ندب إليه .

---

1. السابق 758/3، 759 .
2. السابق 759/3 .
3. لطائف الإعلام 2/ 249 .

الثالث : الكنود فى الحقيقة من أراد شيئا لم يرده اللَّه تعالى وقوعه لأنه ينـــازع اللَّه فى مشيئته ، فلم يعرف حق نعمته .

****

107 ـ اللطـــــف

****

اللطف : البر والتكرمة والرفق ، يقال : لطف فلاى لفلان إذا رفق له وأبره وأكرمه ، واللطف يرد فى الكتاب والسنة على عدة معان [1] :

أ- اللطف معنى جامع ، يعبر به عن البر والإكرام ، والحفاوة والرفق بالعبـــاد فى هدايتهم ، وتيسير السبل لهم ، وإنقاذ من أشرف على الهلاك إلى الســـلامة والنجاة ، واللطف وصف اللَّه تعالى على هذا الوجه ، ليس كمثله شئ فيه كما قال تعالى : { اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ } [الشورى/19] ، واللطيف اسمه سبحانه الـــدال على ذاته ، أوعلى صفة اللطف بالتضمن ، قال تعالى : { وَأَسِـــرُّوا قَـــوْلَكُمْ أَوْ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَـــبِيرُ } [الملـــك/14] ، وقال تعالى عن يوسف عليه السلام ، وتمكينه فى الأرض بعد نجاته من الهلاك ، حيث ألقاه أخوته فى الجب ، وسجنته امرأة العزيز : { وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنْ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنْ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي

1. كتاب العين للخليل بن أحمد 429/7 ، والمفـــردات ص450 ، لســـان العـــرب 316/9 والمصباح المنير 553/2 .

وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ } [يوسف/100] .

ب- اللطف يعبر به عن الرفق ولين الجانب ومما ورد فى السنة فى ذلك ، ما روى عن عائشة رضى اللَّه عنها ، أن رسول اللَّه ε قال : " إن من أكمل المؤمنين إيمانا ، أحسنهم خلقا وألطفهم بأهله " (1) .

وعن ابن عباس τ ، أن رجلا أعمى كان على عهد رسول اللَّه ε ، قتل أم ولده ، فذُكر ذلك للنبي ε ، فجمع الناس ، وقال : أنشد اللَّه رجلا لي عليه حق فعل ما فعل إلا قام ، فأقبل الأعمى يتدلدل ، فقال : " يا رسول اللَّه أنا صاحبها ، كانت أم ولدي ، وَكَانَتْ بِي لَطِيفَةً رَفِيقَةً ، وَلِي مِنْهَا ابْنَانِ مِثْلُ اللُّؤْلُؤَتَيْنِ ، وَلَكِنَّهَا كَانَتْ تُكْثِرُ الْوَقِيعَةَ فِيكَ وَتَشْتُمُكَ ، فَأَنْهَاهَا فَلا تَنْتَهِي وَأَزْجُرُهَا فَلا تَنْزَجِرُ ، فَلَمَّا كَانَتِ الْبَارِحَةُ ، ذَكَرْتُكَ فَوَقَعَتْ فِيكَ ، فَقُمْتُ إِلَى الْمِغْوَلِ ، فَوَضَعْتُهُ فِي بَطْنِهَا ، فَاتَّكَأْتُ عَلَيْهَا حَتَّى قَتَلْتُهَا ، فقال : رسول اللَّه ε ألا اشهدوا أن دمها هدر " (2) .

وعن عائشة رضي اللَّه عنها ، قالت عن حادثة الإفك : " فقدمنا المدينة فاشتكيت بها شهرا ، والناس يفيضون من قول أصحاب الإفك ، ويريبني في وجعي أني لا أرى من النبي ε اللطف ، الذي كنت أرى منه حين أمرض ، إنما

---

1. أخرجه الترمذى فى كتاب الإيمان برقم (2612) وضعفه الألبانى 9/5 .
2. أخرجه النسائى فى كتاب تحريم الدم برقم (4070) وقال الشيخ الألبانى : صحيح الإسناد 107/7 .

يدخل فيسلم ثم يقول : كيف تيكم ؟ لا أشعر بشيء من ذلك " [1] .

ج- اللطف حسن الخلق عند التفاعل مع الآخرين ومخالطتهم ، لما روى عن أنس بن مالك τ ، قال : " إن كان رسول اللَّه ε لَيُلاطِفُنَا كَثِيرًا ، حَتَّى إِنَّهُ قَالَ لأخٍ لِي صَغِيرٍ ، يَا أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ " [2] ، وفسرت الملاطفة فى رواية البخارى بالتواضع للصغير ومخالطته [3] ، وفى رواية مسلم يقول أنس : " كان أحسن الناس خلقا " [4] .

د- اللطف خفة الحركة التى لا يشعر بها الآخرون ، ليصل المتحرك إلى مرادة بسلام ، كقول الله تعالى عن أهل الكهف بعد يقظتهم من رقدتهم : { فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا } [الكهف/19] ، ومما ورد فى السنة قول عمرو بن عبسة السلمي τ : " كنت وأنا في الجاهلية ، أظن أن الناس على ضلالة وأنهم ليسوا على شيء وهم يعبدون الأوثان ، فسمعت برجل بمكة يخبر أخبارا فقعدت على راحلتي فقدمت عليه ، فإذا رسول اللَّه ε مستخفيا جرءاء عليه قومه ، فتلطفت حتى دخلت عليه بمكة ، فقلت له : ما أنت ؟ قال : أنا نبي

1. أخرجه البخارى فى كتاب الشهادات برقم (2661) 319/5 .
2. أخرجه أحمد برقم (13542) واللفظ له ، والبخارى فى كتاب الأدب (6129) .
3. أخرجه البخارى فى كتاب الأدب برقم (6129) 543/10 .
4. أخرجه مسلم فى كتاب الأدب برقم (2150) 1692/3 .

فقلت : وما نبي ؟ قال : أرسلني اللَّه ، فقلت : وبأي شيء أرسلك ؟ قال : أرسلني بصلة الأرحام وكسر الأوثان ، وأن يوحد اللَّه لا يشرك به شيء " [1] .

وعن البراء بن عازب τ ، أن رسول اللَّه ε بعث إلى أبي رافع اليهودي رجالا من الأنصار لقتله ، فأمر عليهم عبد اللَّه بن عتيك ، وكان أبو رافع يؤذي رسول اللَّه ε ويعين عليه ، وكان في حصن له بأرض الحجاز ، فلما دنوا منه ، وقد غربت الشمس ، وراح الناس بسرحهم ، فقال عبد اللَّه لأصحابه : " اجلسوا مكانكم ، فإني منطلق ومتلطف للبواب ، لعلي أن أدخل فأقبل حتى دنا من الباب ، ثم تقنع بثوبه كأنه يقضي حاجة ، وقد دخل الناس فهتف به البواب : يا عبد اللَّه إن كنت تريد أن تدخل ، فادخل فإني أريد أن أغلق الباب ، فدخلت ، فكمنت فلما دخل الناس ، أغلق الباب ثم علق الأغاليق على وتد ، قال : فقمت إلى الأقاليد فأخذتها ففتحت الباب " [2] .

اللطف فى الاصطلاح الصوفى :

اللطف فى اصطلاح الصوفية ، الإسراع بكشف الغمة عند حلول النقمة وإسداء النعمة من حيث لا تتوقعها الهمة ، وسريان الرحمة بأنواع الإعانة والنعمة من غير انقطاع ولا امتناع [3] .

---

1. أخرجه مسلم فى كتاب صلاة المسافرين وقصرها (832) 569/1 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب المغازى برقم (4039) 395/7 .
3. الكمالات الإلهية للجيلى ص117بتصرف .

ويروى عن السرى السقطى (ت:251هـ) أنه قال : (اللهم الطف بنا واسترنا بلطف الحجاب) [1] ، يعنى أنه لو ظل مشاهدا له وراء كل شىء يسبح الله حقيقة ، استحال عليه أن يفعل الضروريات أو يفكر فى غذائه ، وصلاح معيشته فيسأل الله التخفيف .

ويقول الحكيم الترمذى (ت:320هـ) : (إن الله لو ترك العبد مع الخشية لا نقبض وعجز عن كثير من أموره ، ولو تركه مع المحبة وحدها لا ستبدى وتعدى ، لأن النفس تهيج ببهجة المحبة ، ولكنه تبارك اسمه لطف به ، فجعل الخشية بطانته ، والمحبة ظهارته ، حتى يستقيم به قلبه ، فيرى التبسم والانطلاق والسعة فى وجه العبد وأموره ، وذلك لظهور المحبة على قلبه ، ومع ذلك فى داخله أمثال الجبال خشية) [2] .

وقال الهجويرى (ت:465هـ) : (المراد من اللطف ، تأييد الحق ببقاء السر ودوام المشاهدة ، وقرار الحال فى درجة الاستقامة ، إلى حد أن قالت طائفة : إن الكرامة من الحق حصول المراد ، وهؤلاء أهل اللطف) [3] .

وقال القشيرى (ت:465هـ) : (خاطب العابدين بقوله : { اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ } ، أى يعلم غوامض أحوالهم ، من دقيق الرياء والتصنع ، لئلا يعجبوا

---

1. حلية الأولياء 120/10وانظر ختم الأولياء ص.149
2. ختم الأولياء ص405 .
3. كشف المحجوب الهجويرى ص622 .

بأحوالهم وأعمالهم ، وخاطب العصاة ، بقوله : { لَطِيفٌ } ، لئلا ييأسوا من إحسانه ، وخاطب الأغنياء بقوله : { لَطِيفٌ } ليعلموا أنه يعلم دقائق معاملاتهم فى جمع المال من غير وجهه بنوع تأويل ، وخاطب الفقراء بقوله : { لَطِيفٌ } أى أنه محسن يرزق من يشاء ، وسماع قوله : { اللَّهُ } يوجب الهيبة والفزع وسماع { لَطِيفٌ } يوجب السكون والطمأنينة ، واللطيف من يعطى قدر الكفاية وفوق ما يحتاج العبد إليه ، واللطيف من نور الأسرار ، وحفظ على عبده ما أودع قلبه من الأسرار ، وغفر له ما عمل من ذنوب فى الإعلان والإسرار [1] .

ويذكر القشيرى من أوجه اللطف لطفه أنه أعطاه فوق الكفاية ، وكلفه دون الطاقة ن ، ومن لطفه بالعبد إبهام عاقبته عليه ، لأنه لو علم سعادته لا تكل عليه وأقل عمله ، ولو علم شقاوته لأيس ولترك عمله ، فأراده أن يستكثر فى الوقت من الطاعة ، من لطفه بالعبد إخفاء أجله عنه ، لئلا يستوحش إن كان قد دنا أجله ، ومن لطفه بالعبد أن ينسبه ما عمله فى الدنيا من الزلة ، لئلا يتنغص عليه العيش فى الجنة [2] .

وقال عبد الكريم الجيلى (ت:832هـ) : (اللطف عبارة عن غموض العلم به سبحانه ، بحيث تمتنع معرفته على الحقيقة ، للطافتها عن مدارك الفهوم وتنزهها عن مبالغ غايات العلوم) [3] .

---

1. لطائف الإشارات 348/3 .
2. السابق 349:348/3 .
3. الكمالات الإلهية للجيلى ص117 .

وقال أيضا فى تسمية النبى بأسماء الله ، على اعتبار معتقده الباطل فى كـــون النبى ε أعظم ما يتجلى الله فى صورته ، ويتعين فى شخصه : (ومن أسمائـــه ε اللطيف ، فإنه كان متصفا بذلك ، ولولا لطفه لما عرج على السماء بجسده حتى بلغ العرش ، وهذا غاية اللطف ، فقد سرى بلطفه فى الموجودات ، حـــتى أنـــه عينها ، والدليل على ذلك ، قوله تعالى لرسوله ε : { وَلَوْ كُنْتَ فَظًّـــا غَلِـــيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ } [آل عمران/159] يعنى لست فظا غليظ القلب بـــل أنت لطيف رحيم) [1] وهذا لا يعد دليلا بأى حال .

واللطيفة فى الاصطلاح الصوفى إشارة إلى القلب عن دقائق الحال ، تلوح فى الفهم وتلمع فى الذهن ، ولا تسعها العبارة لدقة معناها ، يدرك بها العبد ما يريد الله له إدراكه [2] .

****

108 ـ المأخوذ والمستلب

****

المأخوذ والمستلب : يقال فلان مأخوذ وبه أخذة مـــن الجـــن ، أى مجنـــون والمسلوب مترو ع العقل على وجه القهر [3] ، وقد ورد اللفظ فى القرآن والسنة

---

1. السابق ص282Υ283 .
2. اللمع فى التصوف ص448 ، وكشـــف المحجـــوب ص629 ، والإمـــلاء ص65 واصطلاحات الصوفية لابن عربى ص8 ، ولطائف الإعلام 259/2 .

3. المفردات ص12 ، ص238 .

على معنى الإمساك والمحاصرة ، كقوله تعالى : { ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا } [سبأ/51] ، وقوله : { وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ } [سبأ/51] ، وقال تعالى : { وَإِنْ يَسْلُبْهُمْ الذُّبَابُ شَيْئًا لا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ } [الحج/73] .

وفى السنة من حديث أبي قتادة τ : " أن رسول اللَّه ε ، قام فخطب فحمد الله وأثنى عليه ، ثم ذكر الجهاد ، فلم يدع شيئا أفضل منه ، إلا الفرائض فقام رجل ، فقال : يا رسول الله : أرأيت من قتل في سبيل الله ، فهل ذلك مكفر عنه خطاياه ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم ، إذا قتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر ، إلا الدين فإنه مأخوذ به كما زعم لي جبريل " [1] .

وقال عمرو بن ميمون τ ، فى الذى قتل عمر بن الخطاب τ : " فلما ظن العلج أنه مأخوذ نحر نفسه " [2] .

وقد يراد بالمأخوذ الغارق فى الفكر والخواطر ، كما روى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : " كنا نسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ، فيرد علينا السلام ، حتى قدمنا من أرض الحبشة ، فسلمت عليه فلم يرد علي ، فأخذني ما قرب وما بعد ، فجلست حتى إذا قضى الصلاة ، قال : إن الله عز وجل يحدث

---

1. أخرجه الدارمى فى كتاب جهاد برقم (2412) 273/2 واللفظ له ، ومسلم فى كتاب الإمارة برقم (1885) .

2. أخرجه البخارى فى كتاب المناقب برقم (3700) 7/74 .

من أمره ما يشاء ، وإنه قد أحدث من أمره أن لا يتكلم في الصلاة " [1] .

المأخوذ والمستلب فى الاصطلاح الصوفى :

والمأخوذ والمستلب بمعنى واحد عند الصوفية ، إلا أن المأخوذ أتم فى المعنى يقول السراج الطوسى : وهم العبيد الذين وصفهم فى الحديث المروى عن النبى ε : " يظن الناس أنهم قد خولطوا وما خولطوا ، ولكن خالط قلوبهم من عظمة اللّٰه تعالى ما أذهب بعقولهم " [2] ، وروى أيضا عن النبى ε ، أنه قال : " لا يبلغ العبد حقيقة الإيمان ، حتى يظن الناس أنه مجنون " [3] .

وقد روى عن الحسن فى الخبر : " كنت إذا رأيت مجاهدا كأنه خربندج قد ضل حماره ، لما كان فيه من الوله " وقال القائل :

---

1. أخرجه النسائى فى كتاب السهو برقم (1221) واللفظ له ، والبخارى فى كتاب الجمعة برقم (1199) .

2. لا أصل له فى كتب السنة ، ولكن نسبه ابن رجب الحنبلى إلى الحسن بن على بلفظ : (وكان الحسن يقول في وصف الخائفين : قد براهم الخوف ، فهم أمثال القداح ، ينظر إليه الناظر ، فيقول : مرضى ، وما بهم مرض ، ويقول : قد خولطوا وقد خالط القوم من ذكر الآخرة أمر عظيم) انظر التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار ، لأبى الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي ، نشر مكتبة دار البيان دمشق سنة 1399 هـ ، ص30 .

3. حسن الإسناد ، أحمد فى المسند برقم (27310) ، عن أبي سعيد الخدرى τ عـــن رسول اللَّه ε بلفظ : " أكثروا ذكر اللَّه حتى يقولوا مجنون " .

فلا تلمنى على ما كان من قلقى : إنى بحبك مأخوذ ومستلب [1] .

وكثيرا ما يكون الصوفى مأخوذا ومستلبا عند السماع ، معللين ذلك بتـــأثره الشديد ، فيحدث منه أفعال وشطحات تظهر منها المخالفة ، يقول الهجويرى :

(لا أساس للرقص فى الدين ولا فى طريق الصوفية .. واللعب بالأقدام حرام فى الشرع والعقل ، ومحال أن يقوم به أفضل الناس ، ولكن متى اضطرب القلب بالغليان وراء القهر ، وثبت اضطراب الوجـــد ، وانمحـــت الرســـوم ، فهـــذا الاضطراب ليس برقص ولا لعب بالأقدام ، وليس بانهماك جسمانى ، بل هـــو فيضان النفس ، فمن سماه رقصا فقد ابتعد جدا عن طريق الصواب) [2] .

ثم يبين أن الدرويش إذا أخذ فى السماع ، فمزق خرقته أو خلعهـــا ، فإمـــا تخاط وتعطى لصاحبها ، أو تعطى لدرويش آخر ، أو تقطع إلى قطع رغبـــة فى نيل البركة ، وتقسم على الحاضرين ، فإذا سقطت الجبة وكان صاحبها فى حال غلبة مأخوذا ومستلبا ، فللشيوخ آراء مختلفة فيما يجب عمله فيهـــا ، ولكـــن الإجماع يقول بأن تعطى للقوال ، عملا بقول رسول الله ε : " من قتل قتيلا فله سلبه " [3] .

---

1. اللمع ص420 .

2. كشف المحجوب ص502 ، مما يجد التنبية إليه أن ما يحدث فى حلقات الذكر من التراقص الجماعى عند الصوفية فى الموالد وغيرها ، ولإظهار الإسلام بهذه الصورة المشينة متأصل فى الأمة منذ عصر الهجويرى وعلى نفس المنوال .
3. جزء من حديث أخرجه البخارى فى كتاب فرض الخمس (2909) 112/6 عن =

فإذا لم تعط للقوال ، فذلك مخالف لسنة الصوفية [1] ، ويقول أبو القاسم القشيرى : (المريد لا تسلم له الحركة فى السماع بالاختيار البتة ، فإن ورد عليه وارد حركة ، ولم يكن فيه فضل قوة فبمقدار الغلبة يعذر .. وفى الجملة إن الحركة تأخذ من كل متحرك ، وتنقص من حاله مريدا كان أو شيخا ، إلا أن تكون بإشارة من الوقت أو غلبة تأخذه عن التمييز) [2] .

****

109 ـ المجاهدة

****

المجاهدة : الجهد بذل الطاقة ونفاذها ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ε قال : " إذا جلس بين شعبها الأربع ثم جهدها فقد وجب الغسل " [3]

= أبي قتادة τ ، قال رسول الله ε : " من قتل قتيلا له عليه بينة ، فله سلبه " ، والمعنى من قتل قتيلا فى الجهاد ومحاربة الأعداء فله غنائمه ، أما تأويل الحديث فى هذه المعركة الباطنية التى صورها الهجويرى ، إنما هو تحريف للكلم عن مواضعه واستهزاء بكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم .

1. السابق ص504 .

2. الرسالة 746/2 ، ص747 .

3. انظر لسان العرب 133/3 ، وكتاب العين 386/3 ، والمغرب للمطرزى 170/1
والحديث أخرجه البخارى فى كتاب الغسل برقم (291) 70/1 .

وعن أنس بن مالك τ : " أن رجلا شكا إلى النبي ε ، هلاك المال وجهد العيال ، فدعا اللَّه يستسقي " [1] ، وعن أبي مسعود الأنصارى رضى الله عنه قال : " لما نزلت آية الصدقة كنا نحامل ، فجاء رجل فتصدق بشيء كثير فقالوا : مرائي ، وجاء رجل فتصدق بصاع ، فقالوا : إن اللَّه لغني عن صاع هذا ، فنزلت : { الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلا جُهْدَهُمْ } [التوبة/79] الآية " [2] .

والمجاهدة استفراغ الوسع فى مدافعة العدو وهى ثلاثة أضرب [3] :

أ- مجاهدة العدو الظاهر : كقول اللَّه تعالى : { انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ } [التوبة/41] ومما ورد فى السنة ما روى عن البراء بن عازب τ ، قال : (لما نزلت : { لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ } [النساء/95] ، قال النبي ε : " ادعوا فلانا فجاءه ومعه الدواة واللوح أو الكتف ، فقال : اكتب (لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل اللَّه) ، وخلف النبي ε ، ابن أم مكتوم ، فقال : يا رسول اللَّه أنا ضرير ، فنزلت مكانها ، { لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ } [النساء/95] " [4] .

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب الجمعة برقم (1018) 591/2 .

2. أخرجه البخارى فى كتاب الزكاة برقم (1415) 332/3 .
3. المفردات ص101 .
4. أخرجه البخارى فى كتاب تفسير القرآن برقم (4594) 108/8 .

وعن أبي سعيد الخدري τ ، أن أعرابيا جاء إلى النبي ε فقال : " يا رسول اللَّه ، أي الناس خير ؟ قال : رجل جاهد بنفسه وماله ، ورجل في شعب من الشعاب ، يعبد ربه ويدع الناس من شره "[1] ، وعن أبي هريرة τ ، عن النبي ε ، قال : " قال سليمان بن داود : لأطوفن الليلة على سبعين امرأة ، تحمل كل امرأة فارسا يجاهد في سبيل اللَّه ، فقال له صاحبه : إن شاء اللَّه فلم يقل و لم تحمل شيئا إلا واحدا ، ساقطا أحد شقيه ، فقال النبي ε : لو قالها لجاهدوا في سبيل اللَّه "[2] .

ب- مجاهدة النفس بتغيير المنكر على قدر الوسع والاستطاعة ، كما روى عن عبد اللَّه بن مسعود τ ، أن رسول اللَّه ε قال : " ما من نبي بعثه اللَّه في أمة قبلي ، إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب ، يأخذون بسنته ، ويقتدون بأمره ، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف ، يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل "[3] والشاهد مجاهدتهم بالقلب .

ج- مجاهدة الشيطان ، وتكون بالاستعاذة من وسوسته ، لقوله تعالى : { إِنَّ

1. أخرجه البخارى فى كتاب الرقاق برقم (6494) 338/11 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب أحاديث الأنبياء برقم (3424) 528/6 .
3. أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان برقم (50) 69/1 .

الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ } [فاطر/6] ، وجميع الأنواع السابقة ، تدخل ثلاثتها فى قول الله تعالى : { وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ } [الحج/78] .

وقد يطلق الجهاد اصطلاحا على حج النساء خاصة ، كما روى عن عائشة رضي اللّه عنها أنها قالت : " يا رسول اللّه ، ترى الجهاد أفضل العمل ، أفلا نجاهد ؟ قال : لكن أفضل الجهاد حج مبرور " [1] ، وفى رواية أخرى عنها : " سأله نساؤه عن الجهاد ، فقال : نعم الجهاد الحج " [2] .

المجاهدة فى الاصطلاح الصوفى :

المجاهدة فى الاصطلاح الصوفى ، بذل الوسع فى فعل ما يرضى الله تعالى وترك ما يسخط باستدامة الجد ، وترك الراحة وصدق الافتقار إلى الله تعالى والانقطاع عن كل ما سواه ، وفطام النفس عن الشهوات ، ونزع القلب عن الأمانى والشبهات [3] .

ويروى عن أبى يزيد البسطامى (ت:234هـ) أنه قال : (عملت فى المجاهدة ثلاثين سنة ، فما وجدت شيئا أشد على من العلم ومتابعته ولولا اختلاف العلماء لبقيت ، واختلاف العلماء رحمة ، إلا فى تجريد التوحيد) [4] .

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب الجهاد والسير برقم (2784) 89/6 .

2. أخرجه البخارى فى كتاب الجهاد والسير برقم (2876) 6/6 .
3. كشاف اصطلاحات الفنون 280/1 بتصرف .
4. طبقات الصوفية ص70 .

ويرى سهل بن عبد الله (ت:293هـ) أن المجاهدة هى أقرب سبب موصل إلى الله تعالى ، وأن المشاهدات مواريث المجاهدات ، لقوله تعالى : { وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا } [العنكبوت/69] كما يعلل ذلك بأن كل الكتب السماوية والشرائع الإلهية والأوامر الدينية ، توجب على الإنسان المجاهدة ، فإذا كانت المجاهدة لا توجب المشاهدة ، كانت كل هذه الكتب باطلة ، كما أن كل شئ فى هذه الدنيا والدار الآخرة ، متصل بأصول وأسباب ، فإذا قلنا الأصول ليست لها أسباب ، انتهينا إلى جحد الشرع الشريف والأوامر الإلهية إذ لو كان ذلك كذلك ، لم تكن هناك حاجة إلى الواجبات الدينية ، ولم يكن الطعام سببا للشبع ، ولا الثياب سببا للدفء ، لذلك كان إثبات الأسباب من التوحيد ونفيها من التعطيل ، ومن أثبت ذلك فقد وافق على حقيقة المشاهدة ومن أنكرها ، فقد أنكر وجود المشاهدة) (1) .

وعن أبى على الدقاق (ت:410هـ) أنه قال : (من زين ظاهره بالمجاهدة حسن الله سرائره بالمشاهدة ، قال الله تعالى : { وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا } [العنكبوت/69]) (2) .

وقال الهجويرى (ت:465هـــ) : (مدار الشرع والرسم على المجاهـــدة والرسول ε مع قربه من الحق وبلوغه المراد وأمنه العاقبة ، وتحققه من العصـــمة

---

1. كشف المحجوب ص242 .
2. الرسالة القشيرية 289/2 .

قد جاهد كثيرا من القيام الطويل ، والصيام المتصل ، حتى نزل عليه قـــول الله تعالى : { طه مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى } [طه/2:1]) [1] .

وقال أبو القاسم القشيرى (ت:465هـــ) : (معنى قوله تعالى : { وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ } [الحج/78] ، حق الجهاد ما وافق الأمر فى القدر والوقـــت والنوع ، فإذا حصلت فى شئ منه مخالفة ، فليست حق جهاده ، وحق الجهـــاد الأخذ بالأشق ، وتقديم الأشق على الأسهل ، وإن كان فى الأخف أيضا حـــق وحق الجهاد ألا يفتر العبد عن مجاهدة النفس لحظة) [2] ، ثم يجعل المجاهدة على أقسام :

أ- مجاهدة بالنفس : فلا يدخر العبد ميسورا إلا بذله فى الطاعة ، بتجمـــل المشاق ولا يطلب الرخص والإرفاق .

ب - مجاهدة بالقلب : وتكون صونه عن الخواطر الرديئة ، مثل الغفلة والعزم على المخالفات ، وتذكر ما سلف أيام الفترة والبطالات

ج- مجاهدة بالمال : وتكون بالبذل والسخاء ثم بالجود والإيثار [3] .

1. كشف المحجوب ص242ϒ243 .
2. لطائف الإشارات 564/2 .
3. السابق 564/2 ، وانظر المزيد عن المجاهدة فى الرياضة وأدب النفس ص104 وما بعدها ، جامع الأصول الكمشخناوى ص133ϒ134 ، نشأة التصوف الإسلامى للدكتور إبراهيم بسيونى ص20 وما بعدها ، الغنية لطالبى طريق الحق للشيخ =

****

110 ـ المحاسبة

****

المحاسبة : الحساب عد الأشياء ، وهوما يحاسب عليه فيجازى بحسبه والحساب يقال باعتبار الدنيا والآخرة [1] :

أ- فمن الأول يرد الحساب على نوعين :

[1- ما يحسبه الإنسان من أسباب معلومة للرزق ، كقوله تعالى : { كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ } [آل عمران/37] ، وقوله : { وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ } [الطلاق/2] ربما يعطيه أكثر مما يستحق ، أو يعطيه عطاء لا يمكن للبشر إحصاؤه ، أو يعطيه بلا مضايقة [2] .

= عبد القادر الجيلانى 182/2 ، وحقائق عن التصوف ، عبد القادر عيسى ص112 وما بعدها ،و المسائل فى أعمال القلوب والجوارح للمحاسبى ص137 ، وانظر فى المجاهدة عند ابن عربى الفتوحات المكية 2/فقرة 139 ، 3/ فقرة 115 ، 4/فقرة 162 ، 5/ فقرة 522 .

1. المفردات ص 116، ولسان العرب 30/1 ، وكتاب العين 149/3 .

2. السابق ص 117 .

[2- الحساب بمعنى حلول وقت المساءلة على الأمانة ، أو المجازاة عليها كقوله تعالى : { وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا } [الطلاق/8] ، وعن أبي حميد الساعدي τ ، قال : " استعمل رسول اللَّه ε رجلا على صدقات بني سليم يدعى ابن اللتبية ، فلما جاء ، حاسبه قال : هذا ما لكم وهذا هدية ، فقال رسول اللَّه ε : فهلا جلست في بيت أبيك وأمك ، حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقا " (1) .

ب- ومن الثانى يرد الحساب على نوعين :

[1- محاسبة اللَّه للعبد فى الآخرة ، كقوله تعالى : { اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ } [الأنبياء/1] ، وقوله : { فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمْ اقْرَءُوا كِتَابِي إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِي } [الحاقة/20] ، ومما ورد فى السنة ، ما روى عن أبي سعيد الخدري τ ، أن النبي ε قال : " فإن الناس يصعقون يوم القيامة ، فأكون أول من تنشق عنه الأرض ، فإذا أنا بموسى آخذ

بقائمة من قوائم العرش ، فلا أدري أكان فيمن صعق ، أم حوسب بصعقة الأولى ؟ " [2]

وعن عبد اللَّه بن عتبة τ ، قال : سمعت عمر بن الخطاب τ يقول : " إن أناسا كانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول اللَّه ε : وإن الوحي قد انقطع وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم ، فمن أظهر لنا خيرا أمناه وقربناه

1. أخرجه البخارى فى كتاب الحيل برقم (6979) 364/12 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب الخصومات برقم (2412) 85/5 .

وليس إلينا من سريرته شيء ، اللَّه يحاسبه في سريرته ، ومن أظهر لنا سوءا لم نأمنه و لم نصدقه ، وإن قال إن سريرته حسنة " [1] .

وعن عائشة رضى الله عنها أن النبي ε قال : " من حوسب عذب ، قالت : أوليس يقول اللَّه تعالى : { فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا } [الانشقاق/8] فقال : إنما ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب يهلك) [2] .

وعن أبي مسعود τ ، قال رسول اللَّه ε : " حوسب رجل ممن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير شيء ، إلا أنه كان يخالط الناس ، وكان موسرا ، فكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر ، قال اللَّه عز وجل : نحن أحق بذلك منه تجاوزوا عنه " [3] .

وعن أبي الدرداء τ ، قال : سمعت رسول اللَّه ε يقول : " قال اللَّه عز وجل : { ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ

مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ } [فاطر/32] فأما الذين سبقوا بالخيرات فأولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ، وأما الذين اقتصدوا فأولئك يحاسبون حسابا يسيرا ، وأما الذين ظلموا أنفسهم فأولئك الذين يحبسون في طول المحشر ثم هم الذين تلقاهم اللَّه برحمته ، فهم الذين يقولون : { وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب الشهادات برقم (2641) 298/5 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب العلم برقم (103) 237/1 .
3. أخرجه مسلم فى كتاب المساقاة برقم (1561) 1195/3 .

أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ } [فاطر/34] " [1] .

[2- محاسبة العبد نفسه قبل محاسبة اللَّه له فى الآخرة ، لما روى عن شداد بن أوس τ ، عن النبي ε قال : " الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على اللَّه " [2] ، ومعنى قوله ε من دان نفسه ، أى حاسب نفسه في الدنيا ، قبل أن يحاسب يوم القيامة ، ويروى عن عمر بن الخطاب τ ، أنه قال : " حاسبوا أنفسكم ، قبل أن تحاسبوا ، وتزينوا للعرض الأكبر ، وإنما يخف الحساب يوم القيامة ، على من حاسب نفسه في الدنيا " [3] ، ويروى عن ميمون بن مهران قال : (لا يكون العبد تقيا حتى يحاسب نفسه ، كما يحاسب شريكه من أين مطعمه وملبسه) [4] .

المحاسبة فى الاصطلاح الصوفى :

المحاسبة فى الاصطلاح الصوفى تطلق على الموازنة بين مقدار ما يكتسبه العبد من الخير أو الشر ، أو تقدير أعلى الخيرين وأدنى الشرين ، روى عن أبى سليمان الدرانى (ت:215هـ) أنه قال : (أبلغ الأشياء فيما بين الله وبين

1. أخرجه أحمد فى المسند برقم (21220) وفيه على بن عبد الله الأزدى وهو صدوق .
2. أخرجه الترمذى فى كتاب صفة القيامة برقم (2459) وقال الشيخ الألبانى رحمه الله : ضعيف 638/4 .
3. السابق 638/4 .
4. السابق 638/4 .

العبد المحاسبة) [1] .

وروى عن الحارث المحاسبى (ت:243هـ) : (المحاسبة والموازنة فى أربعة مواطن فيما بين الإيمان والكفر ، وفيما بين الصدق والكذب ، وبين التوحيد والشرك ، وبين الإخلاص والرياء) [2] .

وقال أبو طالب المكى (ت:386هـ) : (صورة المحاسبة أن يقف العبد وقفة عند ظهور الهمة وابتداء الحركة ، ثم يميز الخاطر وهو حركة القلب والاضطراب وهو تصرف الجسم ، فإن كان ما خطر به الخاطر من الهمة التى تقتضى نية أو عقدا أو عزما أو فعلا أو سعيا ، إن كان لله عز وجل وبه وفيه ، معنى لله عز وجل ، أى خالصا لأجله ، ومعنى به أى بمشاهدة قربه ، لا بمقاربة نفسه وهواه ومعنى فيه أى فى سبيله وطلب رضاه عنه ، وما ندب عنده ، أمضاه وسارع

فى تنفيذه ، وإن كان لعاجل دنيا ، أو عارض هوى ، أو لهو وغفلة ، سرى بطبع البشرية ووصف الجبلة ، نفاه وسارع فى نفيه ، و لم يمكن الخاطر من قلبه بالإصغاء إليه والمحادثة) [3] ، ثم يذكر أنه ما من فعلة وإن صغرت ، إلا وينشر لها ثلاثة دواوين :

أ- الديوان الأول : لم ؟ ، أى لم فعلت ؟ ، وهذا موضع الابتلاء عن وصف

1. طبقات الصوفية ص80 .
2. السابق ص58 .
3. قوت القلوب 78/1 .

الربوبية بحكم العبودية ، أى كان عليك أن تعمل لمولاك ، أم كان ذلك منك بهواك ، فإن سلم من هذا الديوان ، بأن كان عليه أن يعمل ، كما أمر به سئل عن الديوان الثانى .

ب- الديوان الثانى : كيف ؟ أى قيل له : كيف فعلت هذا ؟ ، وهو مكان المطالبة بالعلم ، وهو البلاء الثانى ، أى قد عملته بأن كان عليك عمله فكيف عملته ؟ أبعلم أم بجهل ؟ فإن الله تعالى لا يقبل عملا ، إلا على طريقته وطريقة العلم ، فإن سلم من هذا نشر عليه الديوان الثالث .

ج- الديوان الثالث : لمن ؟ أى قيل لمن ؟ وهذا طريق التعبد بالإخلاص لوجه الربوبية ، وهو البلاء الثالث ، وهو بغية الله عز وجل من خلقه الذين قال فى حقهم : { إِلا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِين } [الحجر/40] [1] .

ويذكر الكاشانى أن المحاسبة عند الصوفية هى المقايسة بين الحسانات والسيئات ، ليعلم العبد أيهما أرجح ، وهذه المقايسة تحتاج إلى ثلاثة أمور :

أحدها : ألا تضع ميزان الشرع من يدك ، إذ لا يصح التمييز بين الحق والباطل لمن أهمله .

ثانيها : أن لا تضع الحزم الذى هو سوء الظن بالنفس ، بحيث لا تعتقد فيها أنها تفعل خيرا خالصا أصلا ، إلا أن يرحم الله لآية : { إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلا مَا رَحِمَ رَبِّي } [يوسف/53] .

---

1. السابق 81:80/1 .

ثالثها : ألا تشتبه عليك الفتنة بالنعمة ، وذلك بأن تنظر إلى ما أنعم الله به عليك من خير ، صحة كان أو فراغا ، أو علما أو طاعة ، أو مالا أو سؤددا ، أو غير ذلك مما لا يعد كمالا فى الدنيا والآخرة ، فإن وجدت ذلك مما يجمعك على الله ، أى لا يميل بك إلى سواه من جميع الكائنات دنيا وآخرة فهو نعمة وإن وجدته مفرقا عنه فهو نقمة [1] .

****

111 ـ المحبة

****

المحبة : المحبة عمل من أعمال القلوب ، يعرف بآثاره الظاهرة ، وهى ضد الكره ، لقوله تعالى : { وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمْ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمْ الرَّاشِدُونَ } [الحجرات/7] ، وعن أبي هريرة τ ، أن النبي ε قال : " قلب الشيخ شاب في حب اثنين ، طول الحياة وكثرة المال " [2] .

والفرق بين المحبة والإرادة ، قيل : إن المحبة أبلغ من الإرادة ، فكل محبة إرادة

1. لطائف الإعلام 284:283/2 .
2. أخرجه أحمد فى المسند برقم (8723) واللفظ له ، وأخرجه البخارى فى كتاب الرقاق برقم (6420) .

وليس كل إرادة محبة [1] ، والذى دل عليه الدليل ، أن المحبة مستقلة بذاها عن الإرادة ، ولكنها تابعة فى الغالب لها ، وقد يجتمعا أو يفترقا فى الفعل الظاهر فمثال اجتماعهما قوله تعالى : { فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِين } [التوبة/108] ، حيث اجتمعت إرادة التطهر ومحبته فى الفعل ، ومثال افتراقهما ، ما روى عن عائشة رضى اللَّه عنها ، أن فتاة دخلت عليها فقالت : " إن أبي زوجني ابن أخيه ، ليرفع بي خسيسته ، وأنا كارهة ، قالت : اجلسي حتى يأتي النبي ε ، فجاء رسول اللَّه ε فأخبرته ، فأرسل إلى أبيها ، فدعاه فجعل الأمر إليها ، فقالت : يا رسول اللَّه ، قد أجزت ما صنع أبي ، ولكن أردت أن

أعلم ، أللنساء من الأمر شيء " [2] ، فالكره ينفى محبة للفعل والإجازة دليل الإرادة .

وعن أنس بن مالك τ ، أن رسول اللَّه ε ، قال لرجل :" أسلم ، قال : أجدني كارها ، قال : (أسلم وإن كنت كارها " [3] ، وعن عائشة رضي اللَّه عنها قالت : " إن كان رسول اللَّه ε ليدع العمل ، وهو يحب أن يعمل به خشية أن يعمل به الناس ، فيفرض عليهم " [4] .

---

1. المفردات ص105 ، ولسان العرب 289/1 .
2. أخرجه النسائى فى النكاح برقم (3269) وقال الألبانى : ضعيف شاذ 86/6 .
3. أخرجه أحمد فى المسند برقم (11650) الرواه ثقات .
4. أخرجه البخارى فى كتاب الجمعة برقم (1128) 13/3 .

والمحبة على نوعين حسب نوعية المحبوب :

أ- المحبوب لذاته ويدخل فيه جميع أصناف المشتهيات ، التى تحدث المتعة للإنسان أو يتلذذ بها ، كقوله تعالى : { زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنْ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنْ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ } [آل عمران/14] وقال عمر بن الخطاب τ ، فى الآية : " اللَّهم إنا لا نستطيع إلا أن نفرح بما زينته لنا اللَّهم إني أسألك أن أنفقه في حقه " [1] ، وعن عائشة رضى اللَّه عنها ، قالت : " كان رسول اللَّه ε يحب الحلواء ويحب العسل " [2] .

وعن المسور بن مخرمة τ ، أنه سمع رسول اللّه ε على المنبر ، وهو يقول : " إن بني هشام بن المغيرة ، استأذنوني أن ينكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب ، فلا آذن لهم ثم لا آذن لهم ثم لا آذن لهم ، إلا أن يحب ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم ، فإنما ابنتي بضعة مني ، يريبني ما رابها ، ويؤذيني ما آذاها "[3] .

ب- المحبوب لغيره ، كأسباب الوصول إلى الخير الأعلى ، ودفع الشر بأنواعه نحو ما روى عن أنس بن مالك τ ، فى شأن الشهيد أن النبي ε قـــال : " مـــا

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب الرقاق باب قول النبي εهذا المال خضرة حلوة ، انظر فتح البارى شرح صحيح البخارى 259/11 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب الحيل برقم (6972) 359/12 .
3. أخرجه مسلم فى كتاب فضائل الصحابة برقم (2449) 1902/4.

أحد يدخل الجنة ، يحب أن يرجع إلى الدنيا ، وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد ، يتمنى أن يرجع إلى الدنيا ، فيقتل عشر مرات ، لما يرى مـــن الكرامة "[1] ، وكذلك حب أبى هريرة للحسن بن على ، حبا فى رسول اللّه ε فعن أبي هريرة τ ، قال : (كنت مع رسول اللّه ε في سوق من أسواق المدينة ، فانصرف ، فانصرفت ، فقال : أين لكع ؟ ثلاثا ، ادع الحسن بن علي فقـــام الحسن بن علي يمشي ، وفي عنقه السخاب ، فقال النبي ε بيده هكـــذا فقـــال الحسن بيده هكذا ، فالتزمه ، فقال : اللّهم إني أحبه فأحبه ، وأحب من يحبه ،

قال أبو هريرة τ : فما كان أحد أحب إلي من الحسن بن علي τ بعد ما قال رسول اللَّه ε ما قال "[2] .

وعنه أيضا τ عن النبي ε ، أن رجلا زار أخا له في قرية أخرى ، فأرصد اللَّه له على مدرجته ملكا ، فلما أتى عليه ، قال : أين تريد ؟ قال : أريد أخا لي في هذه القرية ، قال : هل لك عليه من نعمة تربها ؟ قال : لا غير أني أحببته في اللَّه عز وجل ، قال : فإني رسول اللَّه إليك ، بأن اللَّه قد أحبك كما أحببته فيه "[3] .

والمحبة فى القلب درجات متفاوتة ، ومنازل متنوعة ، من حيث القوة

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب الجهاد برقم (2817) 39/6 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب اللباس برقم (5884) 344/10 .
3. أخرجه مسلم فى كتاب البر والصلة برقم (2567) 1988/4 .

والضعف أو الزيادة والنقصان كقوله تعالى : { وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ } [البقرة/165] ، ومما ورد فى السنة ، تفاضل بعض الصحابة على بعض فى محبة النبى ، كما روى فى منزلة أبى بكر الصديق ، وحب النبى له ، فعن جندب بن عبد اللَّه بن سفيان τ قال : " سمعت النبي ε قبل أن يموت بخمس ، وهو يقول : إني أبرأ إلى اللَّه أن يكون لي منكم خليل ، فإن اللَّه تعالى قد اتخذني خليلا ، كما اتخذ إبراهيم خليلا ، ولو كنت متخذا من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا "[1] ، وكذلك

تفاضل الثياب فى المحبة عنده ε ، قال قتادة : قلت لأنس τ : " أي الثياب كان أحب إلى النبي ε أَنْ يَلْبَسَهَا ؟ ، قَالَ : الْحِبَرَةُ " [2] ، وتفاضل بعض الأفعال على بعض ، فعن عائشة رضي اللَّه عنها قالت : " كان النبي ε يحب التيمن ما استطاع في شأنه كله ، في طهوره وترجله وتنعله " [3] .

والمحبة وردت فى القرآن والسنة ، كصفة حقيقية لله عز وجل ليس كمثله شئ فيها ، وليست هى الإرادة لأن اللَّه فرق بينهما ، ولا الإنعام لأن الإنعام من آثارها ، قال تعالى : { مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ } [المائدة/54] ، فالمحبة صفة اللَّه على الحقيقة ، يحب من شاء من خلقه

1. أخرجه مسلم فى كتاب المساجد برقم (532) 377/1 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب اللباس برقم (5812) 287/10 .
3. أخرجه البخارى فى كتاب الصلاة برقم (426) 623/1.

أو لا يحبه على مقتضى ما شرع ، فاللَّه يحب التوابين المتطهرين المقسطين كما قال تعالى : { إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ } [البقرة/222] وقال سبحانه : { إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ } [الممتحنة/8] وقال : { إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنيَانٌ مَرْصُوصٌ } [الصف/4] ، واللَّه لا يحب أفعال السوء ولا الجهر بها ، فقال : { لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنْ الْقَوْلِ إِلا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا } [النساء/148] ، وقال الله عز وجل : { إِنَّ اللَّهَ لا

يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالا فَخُورًا } [النســاء/36] وقال تعالى : { وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ } [البقرة/276] .

والمخلوقات تتفاضل عند اللَّه فى المحبة ، فبعضها أحب إليه من بعض ، علــى ما يشرعه من نوعية العمل والعبادة ، ومما ورد فى ذلك ما روى عـــن عائشـــة رضي اللَّه عنها ، أن رسول اللَّه ε سئل : " أي العمل أحب إلى اللَّه ؟ ، قال : أدومه وإن قل " [1] .

وعن عبد اللَّه بن مسعود τ قال : "سألت النبي ε : أي العمل أحب إلى اللَّه ؟ قال : الصلاة على وقتها ، قال : ثم أي ؟ قال : ثم بر الوالدين ، قال : ثم أي ؟ قال : الجهاد في سبيل اللَّه " [2] .

وعن عائشة رضي اللَّه عنها ، أن رسول اللَّه ε قال : "يا عائشة ، إن اللَّـــه

---

1. أخرجه مسلم فى كتاب صلاة المسافرين برقم (782) 540/1 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب مواقيت الصلاة برقم (527) 12/2.

رفيق يحب الرفق ، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف ، وما لا يعطـــي على ما سواه " [1] ، وعن أبي هريرة τ ، أن رسول اللَّه ε قال : " أحب البلاد إلى اللَّه مساجدها ، وأبغض البلاد إلى اللَّه أسواقها " [2] ، وقال رســـول الله ε لأشج عبد القيس : " إن فيك لخصلتين يحبهما اللَّه الحلم والأناة " [3] .

والمحبة لها علامات وآثار كثيرة تدل عليها منها :

1- طاعة المحبوب وتنفيذ مراده ،كقوله تعالى : { إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمْ اللَّهُ } [آل عمران/31] ، وعن أبي هريرة τ ، قال رسول اللَّه ε : " والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ألا أدلكم على أمر إذا أنتم فعلتموه تحاببتم ، أفشوا السلام بينكم " [4] .

2- محبة ما يحبه المحبوب وبغض ما يبغضه ، كما روى عن أنس τ ، عن النبي ε قال : " آية الإيمان حب الأنصار وآية النفاق بغض الأنصار " [5] ومن حديث معاذ τ ، قال ε : " وأسألك حبك ، وحب من يحبك ، وحب

1. أخرجه مسلم فى كتاب البر والصلة برقم (2593) 4/.2003
2. أخرجه مسلم فى كتاب المساجد برقم (671) 464/1 .
3. أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان برقم (18) 1/.48
4. أخرجه الترمذى فى كتاب الاستئذان والآداب برقم (2688) وقال الشيخ الألبانى : صحيح 52/5 .
5. أخرجه البخارى فى كتاب الإيمان برقم (17) 80/1 .

عمل يقربني إلى حبك " [1] عن البراء بن عازب رضي اللَّه عنهما قال كان رسول اللَّه ε نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهرا وكان رسول اللَّه ε ، يحب أن يوجه إلى الكعبة ، فأنزل اللَّه : { قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ

وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا } [البقرة/144] ، فتوجــه نحــو الكعبة " (2) .

3- كثرة ذكر المحبوب وترديد كلماته ، كقوله تعالى : { فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْــتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ } [ص/32] ، وعن أنس بن مالك τ قال : جاء رجل إلى رسول اللَّه ε ، فقال : " إني أحب هذه السورة ، قل هو اللَّه أحد ، فقال رسول اللَّه ε : حبك إياهـا أدخلـك الجنة " (3) .

4- التطلع إلى رؤية المحبوب ، فالعابد فى مراقبته الدائمة لربه دليل صادق على محبته له ، وعن صهيب الرومى τ ، عن النبي ε قال : " فيكشف

---

1. أخرجه أحمد فى المسند برقم (21604) وأخرجه الترمذى فى كتاب تفسير القــرآن برقم (3235) وقال الألبانى : صحيح 368/5 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب الصلاة برقم (399) 598/1 .
3. حديث حسن صحيح ، أخرجه أحمد فى المسند برقم (12024) واللفظ له والترمذى فى كتاب فضائل القرآن برقم (2901) وقال الشيخ الألبانى : حسن صحيح 169/5 والدارمى فى فضائل القرآن برقم (3435) .

الحجاب ، فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجــل ، ثم تلا هذه الآية : { لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْــنَى وَزِيَــادَةٌ } [يـونس/26] " (1)

ومعلوم أن الإحسان ورد معناه فى قوله ε ، عن أبي هريرة τ : " الإحسان أن تعبد اللَّه كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك " [2] .

المحبة فى الاصطلاح الصوفى :

المحبة فى الاصطلاح الصوفى تعنى الميل إلى المحبوب بالكلية ، وإيثاره على النفس والروح والمال ثم الموافقة له سرا وجهرا ثم العلم بالتقصير فى حبه [3] .

قال الحارث بن أسد المحاسبى (ت:243هـ) : المحبة لها أول وآخر ، فأولها محبة الله بالأيادى والمنن ، وأعلاها المحبة لوجوب حق الله عز وجل ، والمحبة فى ثلاثة أشياء لا يسمى محبا لله عز وجل إلا بها :

أولا : محبة المؤمنين فى الله عز وجل ، وعلامة ذلك كف الأذى عنهم وجلب المنفعة إليهم .

ثانيا : محبة الرسول ε لله عز وجل ، وعلامة ذلك اتباع سنته قال الله جل

1. أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان برقم (181) 163/1.
2. أخرجه البخارى فى كتاب الإيمان برقم (50) 140/1. وانظر للتوسع : الحب فى القرآن دراسة موضوعية إعداد سالم عبد الخالق عبد الحميد رسالة ماجستير ، مخطوط بكلية أصول الدين جامعة الأزهر الشريف القاهرة سنة1992م .
3. الرسالة القشيرية 618/2 بتصرف .

ذكره : { قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمْ اللَّهُ } [آل عمران/31] .

ثالثا : محبة الله عز وجل فى إيثار الطاعة على المعصية ، ويقال : ذكر النعمة يورث المحبة [1] .

وروى أن يحى بن معاذ (ت:258هـ) كتب إلى أبى يزيد البسطامى قائلا : (سكرت من كثرة ما شربت من كأس محبته ، فكتب إليه أبو يزيد : غيرك شرب بحور السموات والأرضوما روى بعد ، ولسانه خارج ، ويقول : هل من مزيد) [2] .

---

1. رسالة المسترشدين ص180:177 ، وانظر المزيد عن هذه المعانى فى نشر المحاسن الغالية فى فضل المشايخ الصوفية لأبى محمد اليافعى ص183 وما بعدها ، مدخل السلوك لأبى حامد الغزالى ص37 ، وله أيضا روضة الطالبين ص59 ، وحقائق عن التصوف لعبد القادر عيسى ص397 وما بعدها ، روضة التعريف بالحب الشريف لسان الدين بن الخطيب ، تحقيق عبد القادر أحمد عطا ، نشر دار الفكر العربى سنة1968م ، وانظر أيضا ، التصوف الثورة الروحية فى الإسلام لأبى العلا عفيفى ص220 وما بعدها ، والحب الإلهى عند صوفية القرنين الثالث والرابع الهجريين ، إعداد صبرى متولى منصور الشرقاوى ، رسالة ماجستير مخطوط بمكتبة كلية الآداب جامعة القاهرة سنة1986م ، وانظر أيضا ، فلسفة الأخلاق فى الإسلام ، محمد يوسف موسى ص285 وما بعدها .
2. الرسالة القشيرية 620/2 : 614 و انظر فى المقارنة مع كلام أبى يزيد الحياة الروحية فى الإسلام ، الدكنور محمد مصطفى حلمى ، موضوع الزهد مع الحب رابعة
=

ويذكر عن سمنون المحب (ت:298هـ) : (أن المحبة هى أساس الطريق إلى الله تعالى وأصله ، وأن كل الأحوال والمقامات ، هى درجات للمحبة ، وأن كل الدرجات والمقامات يكون فيها الطالب قابلا للهلاك ، إلا مقام المحبة فلا يصله شئ من ذلك) [1] .

وقال السراج الطوسى (ت:378هـ) : (وحال المحبة حال عبد نظر بعينه إلى ما أنعم الله به عليه ، ونظر بقلبه إلى قرب الله تعالى منه ، وعنايته به وحفظه وكلاءته له ، فنظر بإيمانه وحقيقة يقينه إلى ما سبق له من الله تعالى ، من العناية والهداية وقديم حب الله له ، فأحب الله عز وجل) [2] ، ثم يقسم أهل المحبة إلى ثلاث درجات :

1- محبة العامة : ويتولد ذلك من إحسان الله تعالى إليهم ، وعطفه عليهم وشرطها موافقة القلوب لله ، والتزام الموافقة باتباع رسول الله ε وصفاء الود مع دوام الذكر .

= العدوية ص76وما بعدها ، وانظر أيضا ، رابعة العدوية والحياة الروحية فى الإسلام ، طه عبد الباقى سرور ص 160:132 ، ورابعة العدوية ، لمحمود الشرقاوى ص114:86 .

1. كشف المحجوب ص370:366 .

2. اللمع ص88:86 .

2- محبة الخاصة : وهو حب الصادقين والمتحقيقين ، ويتولد من نظر القلب إلى غناء الله وجلاله وعظمته ، وعلمه وقدرته ، ويكون بمحو الإرادات واحتراق جميع الصفات والحاجات .

3- محبة خاصة الخاصة : وهو حب الصديقين والعارفين ، ويتولد من نظرهم ومعرفتهم بقديم حب الله تعالى ، فكما أحبهم فى الأزل بلا علة ، فكذلك أحبوه بلا علة ، وصفة هذه المحبة سقوط المحبة عن القلب والجوارح ، حتى لا يكون فيها المحبة ، وتكون الأشياء بالله ولله ، بمعنى دخول صفات المحبوب على البدل من صفات المحب ، كقوله ε عن رب العزة : " حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت عينه التى يبصر بها ، وسمعه الذى يسمع به ويده التى يبطش بها "[1] .

1. هذا هو الحلول الصوفى الذى نادى به الحسين بن منصور الحلاج ، والذى يؤدى إلى فكرة الاتحاد بين الخالق والمخلوق ، وليس فى الحديث ما أشار إليه من دخول صفات المحبوب على البدل من صفات المحب ، ولكن العبد إذا استقام على الإرادة الشرعية على وجه التمام ، اتفقت الارادات ، إرادة العبد مع إرادة الله الشرعية ، ومن ثم تتفق بالضرورة مع إرادة الله الكونية ، وعندها يوفق الله العبد ، فلا يسمع إلا ما يرضى الله ولا يرى إلا ما يرضى الله ، وجميع حركاته وسكناته تكون بالله وفى الله ، وما أحسن ما ذكره سهل بن عبد الله التسترى عندما سئل عمن يقول : (أنا كا الباب لا أتحرك إلا أن يحركونى ، قال : لا يقول هذا الكلام إلا صديق أو زنديق) ، ويعنى بالصديق ما ذكره الله فى الحديث القدسى ، والزنديق هو الذى يخالف الشرع بإرادته ، ويحتج=

ويذكر الهجويرى (ت:465هـ) أن المحبة تستعمل على وجوه :

أولا : تلك الرغبة القلقة نحو موضع الحب ، وهى مليئة بالميل والعاطفة وبذلك فهى تشير إلى المخلوقات ، وعواطفهم المتبادلة ، ولكن لا يمكن أن تنطبق على الله ، الذى تعالى عن كل شئ علوا كبيرا .

ثانيا : إكرام الله وخصوصيته لمن اصطفاهم ، وقربهم لنيل درجة كمال الولاية ، وخصهم بأنواع شتى من كراماته الربانية

ثالثا : الثناء الجميل الذى يمنحه الله تعالى للإنسان ، على ما قام به من عمل طيب [1].

وقال أبو القاسم القشيرى (ت:465هـ) : (المحبة حالة شريفة ، شهد الحق سبحانه بها للعبد ، وأخبر عن محبته للعبد ، فالحق سبحانه يوصف بأنه

= بأنه مسير بالإرادة الكونية ، والحديث أخرجه البخارى فى كتاب الرقاق (6021) 462/10 عن أبي هريرة τ ، قال رسول الله ε : " إن الله قال من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ، ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته " .

1. كشف المحجوب ص366:370 .

يحب العبد ، والعبد يوصف بأنه يحب الحق سبحانه ، قال الله عز وجل :
{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ } [المائدة/54] ، وعن أبى هريرة τ قال : قال رسول الله ε : " من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن لم يحب لقاء الله لم يحب الله لقاءه " (1) .

وأغلب أقوال الصوفيه فى المحبة يدور حول علامات المحبة الصادقة ومثالها ، طاعة المحبوب وموافته ، كما روى عن سهل بن عبد الله : (المحبة معانقة الطاعة ومباينة المخالفة) (2) ، وكقول يحى بن معاذ : (ليس بصادق فى محبته من لم يحفظ حدوده) (3) ، وكثرة ذكر المحبوب ، كما يذكر لسمنون المحب عندما سئل عن المحبة قال : (صفاء الود مع دوام الذكر ، لأن من أحب شيئا أكثر من ذكره) (4) ، وكقول الشبلى : (سميت المحبة محبة ، لأنها تمحو من القلب ما

---

1. الرسالة القشيرية 611:610/2 ، والحديث رواه البخارى فى كتاب الرقاق (6026) 464/10 عن عبادة بن الصامت τ ، عن النبي ε قال : " من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله ، كره الله لقاءه ، قالت عائشة أو بعض أزواجه : إنا لنكره الموت ، قال : ليس ذاك ، ولكن المؤمن إذا حضره الموت ، بشر برضوان الله وكرامته ، فليس شيء أحب إليه مما أمامه ، فأحب لقاء الله ، وأحب الله لقاءه ، وإن الكافر إذا حضر ، بشر بعذاب الله ، وعقوبته فليس شيء أكره إليه مما أمامه ، كره لقاء الله وكره الله لقاءه .
2. السابق 615/2 .
3. السابق 616/2 .
4. اللمع فى التصوف ص88:86 .

سوى المحبوب)[1] ، ورؤية التقصير فى حق المحبوب على الدوام ، كما ينسب لأبى يزيد البسطامى : (المحبة استقلال الكثير من نفسك ، واستكثار القليل من حبيبك)[2] ، والغيرة على المحبوب ، كما روى عن الشبلى : (المحبة أن تغـــار على المحبوب ، أن يحبه مثلك)[3] .

وكل ما سبق من آراء للصوفية عن المحبة قريبة المعنى من الأصـــول القرآنيـــة والنبوية ، أما المحبة عند ابن عربى ، فتأخذ طابعا آخر ، حيث تأثرت نظرته لهـــا بفلسفته فى الوحدة ، فلما كان الوجود الحقيقى واحد عند ابن عربى ، أصـــبح كل ما يراه رموزا ومجالى يصرف لها الحب ويدين به ، وحبه يتفاوت فى طاقاته على حسب انفعاله فيما يرى ، ولذا كانت المرأة من مجالى الجمال المطلق الذى يعشقه ويقدسه ، واعتبرها الطريق المثل لإظهار فلسفته فى وحدة الذات الإلهيـــة من خلال النظر إلى الوجود بأسره [4] .

---

1. السابق 615/2 .
2. السابق 614/2 .
3. السابق 615/2 .
4. انظر فى التعرف على الحب فى فلسفة ابن عربى : الفتوحات المكية 259/4 ، ومـــا بعدها 449/4 وما بعدها ، وفصوص الحكم 217/1 ،288/2 ، وترجمان الأشـــواق ص14 ، ص41 ، والرسالة الغوثية ورقة 179 ، وبلغة الغواص ورقة 18 ، والحـــب

الإلهى عند محى الدين بن عربى ، إعداد منشاوى عبد الرحمن إسماعيل رسالة ماجستير بمكتبة =

وقد سار على نهج محى الدين ابن عربى ابن الفارض فى التائية ، وكثير من فلاسفة الصوفية [1] .

= كلية دار العلوم 1983م ، وانظر أيضا :

- Corbin en Islam Iranien Pibliotheque des idees Gallimard . France 1971 T3 p.p 105-111 (La source preeternelle de l'amour)
- Chevalier , Jean : Le soufisme Oul'Ivresse de Dieu Dan La tradition Isla mique , Pibliotheque de L'Irratinnel coll , Dirigee par Lous Pauwels ed R etz . paris 1974 p.p 244 - 246 .

وانظر فى المقارنة بين الحب عن الحلاج وابن عربى :

- Massignon , Louis : La passion de Hallaj , Nouvelle Edition Gallimard paris 1975 T 2p . 414n3

وفى المقارنة بين الحب عند روزبها بقلى الشيرازى وابن عربى :

- Corbin , Henri : Ruzbehan Baqle shirazi , Histoire de la philosophie Enc yclopedie de la pleiade. ed. Gallimard . France 1973 T 3p 1099.

وانظر الحب الصوفى عند الإمام البرعى ، إعداد سبع متولى أيوب رسالة ماجستير كلية أصول الدين بجامعة الأزهر القاهرة سنة1984م 102 ، وما بعدها للمقارنة بين الحب عند البرعى وابن عربى .

1. انظر فى الحب عند ابن الفارض ، ابن الفارض والحب الإلهى ، الدكتور محمد حلمى ص139 ، 147، ص233 ، 244 والحب الإلهى فى التصوف بين الإسلام

والنصرانية إعداد دين محمد ميرا صاحب رسالة دكتوراه ، مخطوط بمكتبة كلية أصول الدين بجامعة الأزهر ، القاهرة سنة1991 م .

****

112ـ المحـــــو

****

- **المحو** : إزالة الأثر ، ويقال فى المحسوسات وغيرها [1] :

أ- فمن المحو فى المحسوسات ، كقوله تعالى : { وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً } [الإسراء/12] ، ومن حديث الربيع بن سبرة الجهني τ ، قال : " فجعلت تنظر إلى ابن عمي ، فَقُلْتُ : لَهَا إِنَّ بُرْدِي هَذَا جَدِيدٌ غَضٌّ ، وَبُرْدَ ابْنِ عَمِّي هَذَا ، خَلَقٌ مَحٌّ ، قَالَتْ : بُرْدُ ابْنِ عَمِّكَ هَذَا لا بَأْسَ بِهِ ، فاستمتع منها ، فلم نخرج من مكة ، حتى حرمها رسول اللَّه ε " [2] يعنى نكاح المتعة .

وعن جابر τ ، أن النبي ε أمر عمر بن الخطاب τ زمن الفتح وهو بالبطحاء أن يأتي الكعبة ، فيمحو كل صورة فيها ، فلم يدخلها النبي ε حتى محيت كل صورة فيها [3] .

---

1. كتاب العين 314/3 ، المفردات ص464 .
2. أخرجه مسلم فى كتاب النكاح برقم (1406) 405/2 ، وأحمد فى المسند برقم (15385) واللفظ له .

3. حسن أخرجه أبو داود فى كتاب اللباس برقم (4156) وقال الشيخ الألبانى : حسن صحيح 74/4

وعن عبد اللَّه بن عباس τ ، قال : لما خرجت الحرورية ، اعتزلوا ، فقلت لهم : إن رسول اللَّه ε يوم الحديبية صالح المشركين ، فقال لعلي : اكتب يا علي ، هذا ما صالح عليه محمد رسول اللَّه ε ، قالوا : لو نعلم أنك رسول اللَّه ما قاتلناك ، فقال رسول اللَّه ε : امح يا علي ، اللَّهم إنك تعلم أني رسولك امح يا علي ، واكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد اللَّه ، واللَّه لرسول اللَّه خير من علي ، وقد محا نفسه ، و لم يكن محوه ذلك يمحاه من النبوة ، أخرجت من هذه ؟ ، قالوا : نعم " [1] .

ب- ومن المحو فى غير المحسوسات الدنيوية ما ورد فى قوله تعالى : { وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ } [الشورى/24] ، وقوله سبحانه : { يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ } [الرعد/39] ، ومما ورد فى السنة عن أبي قتادة τ ، قال : سمعت رسول اللَّه ε يقول : " من نفس عن غريمه ، أو محا عنه كان في ظل العرش يوم القيامة " [2] ، وعن عتبة بن عبد السلمي τ ، قال رسول اللَّه ε : " القتل ثلاثة ، رجل مؤمن قاتل بنفسه وماله في سبيل اللَّه حتى إذا لقي العدو قاتلهم حتى يقتل ، فذلك الشهيد المفتخر في خيمة اللَّه تحت

---

1. أخرجه أحمد فى المسند برقم (3177) وفى الإسناد عكرمة بن عمار العجلى ، وهو صدوق .

2. أخرجه أحمد فى المسند برقم (22053) واللفظ له ، وأخرجه مسلم فى كتاب المساقاة برقم (1563) 1196/3.

عرشه ، لا يفضله النبيون إلا بدرجة النبوة ، ورجل مؤمن قرف على نفسه من الذنوب والخطايا ، جاهد بنفسه وماله في سبيل اللَّه ، حتى إذا لقي العدو ، قاتل حتى يقتل ، محيت ذنوبه وخطاياه ، إن السيف محاء الخطايا ، وأدخل من أي أبواب الجنة شاء .. ورجل منافق جاهد بنفسه وماله ، حتى إذا لقي العدو قاتل في سبيل اللَّه حتى يقتل ، فإن ذلك في النار السيف ، لا يمحو النفاق " [1] .

المحو فى الاصطلاح الصوفى :

المحو فى الاصطلاح الصوفى يقابل الإثبات ، ويعنى رفع أوصاف العادة ومحو العلة المؤثرة فى القلب ، القادحة فى طريق وصوله إلى الحق ، وإزالة الخلال الذميمة من أوصاف النفوس ، روى عن أبى الحسين النورى (ت:295هـ) أنه قال : (الخاص والعام فى قميص العبودية ، إلا من يكون منهم أرفع ، جذبهم الحق ومحاهم عن نفوسهم فى حركاتهم ، وأثبتهم عند نفسه ، قال الله تعالى : { يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ } [الرعد/39]) [2] ، ويبين السراج الطوسى ، أن معنى جذبهم الحق ، يعنى جمعهم بين يديه ، ومحاهم عن نفوسهم ، يعنى عن رؤية نفوسهم فى حركاتهم ، وأثبتهم عند نفسه ، بنظرهم إلى قيام الله لهم فى أفعالهم وحركاتهم [3] .

---

1. صحيح الإسناد ، أخرجه أحمد فى المسند برقم (17204) واللفظ له ، والدارمى فى كتاب الجهاد برقم (2411) 2/.272

2. اللمع ص431 .
3. السابق ص431 .

وقال السراج الطوسى (ت:387هـــ) : (المحو ذهاب الشئ ، إذا لم يبق لـــه أثر ، وإذا بقى له أثر فيكون طمسا) [1] .

ويذكر أبو القاسم القشيرى (ت:465هـــ) المحو فى مقابل الإثبات ، كمـــا ورد فى قوله تعالى : { يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ } [الرعد/39] ، وهـــو رفـــع أوصاف العادة ، وينقسم بشرط العبودية إلى ثلاثة أنواع :

أ- محو الزلة عن الظواهر ، وفى محو الزلة إثبات المعاملات .

ب- ومحو الغفلة عن الضمائر ، وفى محو الغفلة إثبات المنازلات .

ج- ومحو العلة عن السرائر ، وفى محو العلة إثبات المواصلات [2] .

ويذكر القشيرى أنواعا أخرى من المحو والإثبات ، تحت مدلول الآية السابقة منها :

1- يمحو الله من قلوب الزهاد حب الدنيا ، ويثبت بدله الزهد فيها .

2- يمحو عن قلوب العارفين الحظوظ ، ويثبت بدلها حقوقه تعالى

3- يمحو عن قلوب الموحدين شهود غير الحق ، ويثبت بدله شهود الحق

4- يمحو آثار البشرية ، ويثبت أنوار شهود الأحدية .

5- يمحو العبد عن أوصافه ، ويثبته بالحق ، فيكون محوا عن الخلق ، مثبتـــا بالحق للحق .

---

1. السابق ص431 .

2. الرسالة القشيرية1/241 .

6- يمحو العبد فلا يجرى عليه حكم التدبير ، ويكون محوا بحسب جريان أحكام التقدير ، ويثبت سلطان التصديق والتقليب ، بإدخال ما لا يكون فيه اختيار عليه على ما يشاء .

7- يمحو عن قلوب الأجانب ذكر الحق ، ويثبت بدله غلبات الغفلة وهواجم النسيان .

8- يمحو أوضار الزلة عن نفوس العاصين ، وآثار العصيان عن ديوان المذنبين ، ويثبت بدل ذلك لوعة الندم ، وانكسار الحسرة ، والخمود عن متابعة الشهوة .

9- يمحو الله نضارة الشباب ، ويثبت ضعف المشيب .

10-يمحو عن قلوب الراغبين فى مودة أهل الدنيا ما كان يحملهم على إيثار صحبتهم ويثبت بدلا منه الزهد فى صحبتهم والاشتغال بعشرتهم (1) .

وقال السهروردى (ت:632هـ) : (المحو بإزالة أوصاف النفوس ، أو المحو محو رسوم الأعمال بنظر الفناء إلى نفسه ومأمنه) (2) .

ويقول محى الدين بن عربى (ت:638هـ) : (المحو رفع أوصاف العادة وإزالة العلة والمحو كالنسخ ، فإن الحكم إذا انتهت مدته انتقض بغيره ، والنسخ فى الأحكام انتهاء مدة الحكم ، وفى الأشياء المدة ، قال تعالى : { كُلٌّ يَجْرِي

1. لطائف الإشارات 235/2 .

2. عوارف المعارف ص527 .

لأَجَلٍ مُسَمًّى } [الرعد/2] .

فجريان العادة فى كل مخصوص ، إنما يكون إلى وقت معين ثم ينتقض بما هو ليس بعادة : { يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ } [الرعد/39]) [1] ، ويذكر الكاشانى فى المحو عدة اصطلاحات تعارف عليها الصوفية [2] :

1- محو أرباب الظواهر : هو أن تمحو عن نفسك ما قد اعتدته من الخلال الذميمة ، ثم تستعيض عنها بالخصال الحميدة ، فإن فعلت ذلك ، فأنت صاحب المحو والإثبات ، الذى يقتصر عليه نظر أهل الظواهر .

2- محو أرباب السرائر : هو إزالة العلة والآفات ، ويقابله الإثبات الذى هو إثبات المواصلات ، وإنما سمى هذا المحو بمحو أرباب السرائر ، لأن العلل متى زالت عن السرائر ، كان فى محوها إثبات الموصلات ، كما كان فى محو الذات عن الظواهر إثبات المعاملات ، وهذان المحوان ، وما يقابلهما من الإثبات ، محو وإثبات بشرط العبودية ، وفى ذلك محو رسوم الأعمال لفناء العبد عن نفسه فضلا عما منه ، ولا إثبات الحق له بما أنشأه له من الوجود به ، فهو بالحق لا بنفسه لإثبات الحق له مستأنفا ، بعد أن محاه عن أوصافه .

1. اصطلاحات الصوفية لابن عربى ص6 ، ولطائف الإعلام 277/2 ، وانظر أيضا جامع الأصول للكمشخانوى ص180 .

2. لطائف الإعلام 2/. 282:277

3- محو الجمع : عبارة عن فناء الكثرة فى الوحدة .

4- المحو الحقيقى : يعنى به رؤية الأشياء بعين أحدية الجمع ، الماحية للأغيار والغيرية ، لانتفاء التفرقة والمعاندة بين الذات وبين جميع شؤونها فى المرتبة الأولى التى هى مرتبة أحدية الجمع .

5- محو العبودية : هو المحو بشرط العبودية وقد يعنى بمحو العبودية محو عين العبد من الوجود على الوجه الذى فهمه أهل الخصوص من العلماء .

6- محو التشتت : أى محو الغير فى العين والغيرية فى الهوية فإن الكثرة هى المشتتة لشمل الوحدة فمحو التشتت هو التحقق بقام أحدية الجمع الجامع لشمل الوحدة التى لا يرى معها غير ولا غيرية .

7- محو المحو : هو البقاء بعد الفناء .

****

113ـ المراقبة

****

المراقبة : رقبت الشئ انتظرته ، والمراقب الحارس الناظر المتابع ، والمرتقب المنتظر المتتبع ، كقول الله تعالى : { فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ يَغْشَى

النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ } [الدخان/11:10] وقوله عن موسى υ : { فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ } [القصص/18] (1) .

---

1. كتاب العين 154/5 ، لسان العرب 424/1 ، المغرب للمطرزى 341/1 .

وعن معاذ بن جبل τ ، قال : (رَقَبْنَا رَسُولَ اللَّه ε في صلاة العشاء فَاحْتَبَسَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنْ لَنْ يَخْرُجَ) (1) ، ومعنى رقبنا النبي ε ، يعني انتظرناه وعن أنس بن مالك τ ، قال : سمعت رسول اللَّه ε يقول : " تلك صلاة المنافق ، يجلس يرقب الشمس ، حتى إذا كانت بين قرني الشيطان ، قام فنقرها أربعا لا يذكر اللَّه فيها إلا قليلا " (2) ، وعن ابن عباس τ ، قال : " بت عند خالتي ميمونة ، فقام رسول اللَّه ε من الليل ، فأتى حاجته ، ثم غسل وجهه ويديه ثم قام ، فأتى القربة فأطلق شناقها ، ثم توضأ وضوءا بين الوضوءين لم يكثر ، وقد أبلغ ثم قام فصلى ، فقمت فتمطأت ، كراهية أن يرى أني كنت أرتقبه " (3) .

والمراقبة النظر بحذر بغية توقع شئ ما ، كما روى من حديث أبى ذر الغفارى τ لما حضره الموت وهو بالربذة ، بكت امرأته ، فقال : ما يبكيك ؟ قالت : أبكي ، لا يد لي بنفسك ، وليس عندي ثوب يسعك كفنا ، فقال : لا تبكي ، فإني سمعت رسول اللَّه ε ذات يوم ، وأنا عنده في نفر يقول : ليموتن رجل منكم بفلاة من الأرض ، يشهده عصابة من المؤمنين ، قال : فكل من

---

1. حديث صحيح ، أخرجه أحمد فى المسند برقم (21561) واللفظ له ، وأخرجه أبو داود فى كتاب الصلاة برقم (421) 114/1.
2. أخرجه مسلم فى كتاب المساجد برقم (622) 434/1 .
3. أخرجه أحمد فى المسند (3184) واللفظ له ، والبخارى فى العلم برقم (117) .

كان معي في ذلك المجلس مات في جماعة وفرقة ، فلم يبق منهم غيري ، وقد أصبحت بالفلاة أموت ، فراقبي الطريق ، فإنك سوف ترين ما أقول ، فإني والله ما كذبت ولا كذبت " [1] ، ومن حديث عائشة قالت : " فاستطالت علي تقصد زينب بنت جحش ، وأنا أرقب رسول الله ε ، وأرقب طرفه ، هل يأذن لي فيها ؟ " [2] .

والمراقبة على نوعين ، مراقبة العبد لربه ، بالمحافظة على حدوده وشرعة واتباعه لسنة نبيه ε ، كما روى عن ابن عباس τ ، قال : " كنت خلف رسول الله ε يوما ، فقال يا غلام ، إني أعلمك كلمات ، احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله " [3] .

وعن أبي هريرة τ قال : قال رسول الله ε : " سلوني ، فهابوه أن يسألوه فجاء رجل ، فجلس عند ركبتيه وسأله .. قال : يا رسول الله ما الإحسان قال أن تخشى الله كأنك تراه فإنك إن لا تكن تراه فإنه يراك قال صدقت " [4] .

---

1. صحيح الإسناد ، أخرجه أحمد فى المسند برقم (20956) .
2. أخرجه مسلم فى كتاب فضائل الصحابة برقم (2442) 4/.1891

3. أخرجه الترمذى فى كتاب صفة القيامة والرقائق والورع بـرقم (2516) ، وقـال الشيخ الألبانى : صحيح 667/4 ، وقال الترمذى حسن صحيح .

4. أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان برقم (10) 40/1 .

وعن ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال : " قال أبو بكر : ارقبوا محمدا ε في أهل بيته " [1] ، يعنى راقبوا اللَّه فى أهل بيته ، واحذروا أن تقع ألسنتكم فيهن .

والنوع الثانى من المراقبة ، مراقبة اللَّه لعباده وحفظه لهم ، وإحصائه لكسبهم كقوله تعالى عن عيسى υ : { وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ } [المائـدة/117] وقولـه سبحانه : { وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَتَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا } [النساء/1] ، وكقوله تعالى عن ملائكته : { مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ } [ق/18] ، وعن أبى هريرة τ قال : رسول اللَّه ε : " قالت الملائكة : رب ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة ، وهو أبصر به ، فقال : ارقبوه فإن عملها فاكتبوها له بمثلها ، وإن تركها فاكتبوها له حسنة ، إنما تركها من جراي " [2] .

والرقبى هبة العقار لشخص فيرتقب الواهب عودها بعد موت صاحبها ، وقد نهى عنها رسول اللَّه ε ، فعن ابن عمر τ قال : " نهى رسول اللَّه ε عَنِ الرُّقْبَى ، وقال : مَنْ أُرْقِبَ رُقْبَى فَهُوَ لَهُ " [3] .

المراقبة فى الاصطلاح الصوفى :

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب المناقب برقم (3751) 7/.119

2. أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان برقم (129) 117./1

3. أخرجه النسائى فى كتاب العمرى برقم (3734) وقال الشيخ الألبانى : صحيح .

المراقبة هى دوام الملاحظة لما هو المقصود بالتوجه إلى الحق ظاهرا وباطنـــا [1] قال الحارث المحاسبى (ت:243هـــ) : (أوائل المراقبة علم القلب بقرب الرب عز وجل ، والمراقبة فى نفسها التى تورث صاحبها وتكمل له الإسم ، ويستحق أن يسمى مراقبا ويسمى بها ، دوام علم القلب بعلم الله عز وجل فى ســـكونك وحركتك ، علما لازما للقلب بصفاء اليقين ، وكشف غطاء حجب الظلم غير قاطع عن النظر بمشاهدة الغيب ، فعندها تغيب أسباب الغفلة عـــن القلـــوب بدواهيها ، فيعقل عن الله نصائح الحكمة بما فيها ، ويكشف له اليقين عما فات منها) [2] ، ويروى عن ذى النون المصرى (ت:248هـــ) أنه قال : (علامة المراقبة ، إيثار ما آثر الله تعالى ، وتعظيم ما عظم الله تعالى ، وتصغير ما صغر الله تعالى) [3] ، وينسب إلى أبى العباس الطوسى (ت:299هـــ) : (من راقب الله تعالى فى خطرات قلبه ، عصمه الله فى حركات جوارحه) [4] .

ويذكر السراج الطوسى (ت:387هـــ) أن المراقبة لعبد قد علم وتيقن أن الله تعالى مطلع على ما فى قلبه وضميره وعالم بذلك ، فهو يراقـــب الخـــواطر المذمومة المشغلة للقلب عن ذكر سيده ، كما قال أبو سليمان الدرانى

---

1. لطائف الإعلام 286/2 .

2. القصد الرجوع إلى الله ص105 .

3. الرسالة القشيرة 466/1 .

4. طبقات الصوفية ص240 .

رحمه الله : كيف يخفى عليه ما فى القلوب ، ولا يكون فى القلوب إلا ما يلقى فيها ، أفيخفى عليه ما هو منه ؟ ، ثم يجعل أهل المراقبة على ثلاثة أحوال فى مراقبتهم (1) :

أ- حال الابتداء : وهو حفظ السرائر لإن الله مطلع على الضمائر .

ب- الحال الثانى : هو حال من راقب الحق بالحق فى فناء ما دون الحق وتابع المصطفىε فى أفعاله وأخلاقه وآدابه .

ج - الحال الثالث : حال الكبراء من أهل المراقبة فإنهم يراقبون الله تعالى ويسألونه أن يرعاهم فيها لأن الله عز وجل قد خص نجباءه وخاصته بألا يكلهم فى جميع أحوالهم إلى أحد وهو الذى يتولى أمرهم فقال عز وجل : { وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ } [الأعراف/196] .

ويذكر أن الكاشانى المراقبة فى طريق الصوفية ثلاثة أنواع (2) :

1- مراقبة العامة : هى محافظتهم على القيام بما فرض الله عليهم والوقوف عند حده لهم .

2- مراقبة المريدين : دوام ملاحظة القلب بالحضور مع الرب .

3- مراقبة الواصلين : حفظ الحق لهم عما يفرق جمعيتهم عليهم فهم يراقبونه به لا بهم .

1. اللمع ص83:82 .
2. لطائف الإعلام 286/2 .

****

114ـ المقـــــام

****

المقام : الإقامة الوقوف والاستقرار ، كقوله تعالى : { فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ } [الكهـــف/77] وقوله : { وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا } [الجمعة/11] [1] .

والمقام اسم لموضع القيام ، ويقال باعتبار المكان والزمان ، فمن الأول ما روى عن عقبة بن عامر τ ، قال : " صلى رسول اللّه ε على قتلى أحد بعد ثماني سنين ، كالمودع للأحياء والأموات ، ثم طلع المنبر فقال : إني بين أيديكم فرط وأنـــا عليكم شهيد ، وإن موعدكم الحوض وإني لأنظر إليه من مقامي هذا " [2] .

وعن ثوبان τ ، أن نبي اللّه ε قال : " إِنِّي لَبِعُقْرِ حَوْضِي أَذُودُ النَّاسَ لأَهْـــلِ الْيَمَنِ أَضْرِبُ بِعَصَايَ حَتَّى يَرْفَضَّ عَلَيْهِمْ فَسُئِلَ عَنْ عَرْضِهِ ؟ ، فَقَـــالَ : مِـــنْ مَقَامِي إِلَى عَمَّانَ " [3] .

---

1. لسان العرب 496/12 ، المفردات ص418:417 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب المغازى برقم (4042) 404/7 .

3. أخرجه مسلم فى كتاب الفضائل برقم (2301) 1799/4 .

ومن الثانى ما روى عن سهل بن سعد الساعدى τ قال : " جاءت امرأة إلى النبي ε ، فقالت : جئت أهب نفسي ، فقامت طويلا ، فنظر وصوب ، فلما طال مقامها ، قال رجل : زوجنيها إن لم يكن لك بها حاجة " (1) .

والمقام يقال أيضا لكل ما يدعو للوقوف فيه من إثبات دعوة أو نفيها ، أو إظهار مترلة أو وضعها ، فمن ذلك ما ورد فى قوله تعالى نحو : { وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ } [يونس/71] ، وقوله : { فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنْ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمْ الأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَمِنْ الظَّالِمِينَ } [المائدة/107] .

قال البخارى فى قوله تعالى : { وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ } [الرحمن/46] يهم بالمعصية فيذكر اللَّه عز وجل فيتركها (2) ، وعن أبي هريرة τ ، عن النبي ε قال : " خَلَقَ اللَّه الْخَلْقَ فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ ، قَامَتِ الرَّحِمُ فَأَخَذَتْ بِحَقْوِ الرَّحْمَنِ فَقَالَ لَهُ : مَهْ ، قَالَتْ : هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ ، قَالَ : أَلا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ ؟ قَالَتْ : بَلَى يَا رَبِّ ، قَالَ : فَذَاكِ " (3) .

وعن عمر τ قال : " قام فينا النبي ε مقاما ، فأخبرنا عن بدء الخلق حتى

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب اللباس برقم (5871) 335/10 .
2. البخارى كتاب التفسير تفسير سورة الرحمن 446./8

3. أخرجه البخارى فى كتاب تفسير القرآن برقم (4832) 443/8.

دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم ، حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه " [1] ، ومن حديث أسماء رضي اللَّه عنها ، قال ε : " ما من شيء لم أكن أريته ، إلا رأيته في مقامي ، حتى الجنة والنار " [2] ، وعن جابر بن عبد اللَّه τ ، أن رسول اللَّه ε صلى بهم صلاة الخوف ، فقام صف بين يديه وصف خلفه ، صلى بالذين خلفه ركعة وسجدتين ، ثم تقدم هؤلاء ، حتى قاموا في مقام أصحابهم ، وجاء أولئك فقاموا مقام هؤلاء ، وصلى بهم رسول اللَّه ε ركعة وسجدتين ، ثم سلم ، فكانت للنبي ε ركعتان ولهم ركعة [3] .

وعن أبي موسى الأشعرى τ ، قال : " مرض النبي ε ، فاشتد مرضه فقال : مروا أبا بكر فليصل بالناس ، قالت عائشة : إنه رجل رقيق ، إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلي بالناس قال : مروا أبا بكر فليصل بالناس) [4] .

والمقام ورد أيضا فى الكتاب والسنة كاصطلاح يعنى أمرين :

[1] – المكان الذى وقف عليه إبراهيم υ لبناء البيت ، وظهر فيه أثر الأقدام حتى الآن ، وهو المشار إليه فى قوله تعالى : { وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب بدء الخلق برقم (3192) 331./6

2. أخرجه البخارى فى كتاب العلم برقم (86) 219./1

3. أخرجه النسائى فى كتاب صلاة الخوف برقم (1545) وقال الشيخ الألبانى : صحيح الإسناد 174/3 .

4. أخرجه البخارى فى كتاب الأذان برقم (678) 192/2.

مُصَلى } [البقــرة/125] ، وعن ابن عمر رضى اللَّه عنهما قال : " قدم الـــنبي ε فطاف بالبيت سبعا ، وصلى خلف المقام ركعتين ، وطاف بين الصفا والمــــروة وقد كان لكم في رسول اللَّه أسوة حسنة " (1) .

[2] – الدرجة المكانية التى يبلغها النبى ε فى أرض المحشر يوم القيامة ، وهى الشفاعة العظمى ، فعن جابر بن عبد اللَّه τ ، أن رسول اللَّه ε قال : " من قال حين يسمع النداء ، اللَّهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة ، آت محمدا الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته ، حلت له شفاعتي يــــوم القيامة " (2) ، وعن ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال : " إن الناس يصيرون يــــوم القيامة جثا ، كل أمة تتبع نبيها ، يقولون : يا فلان اشفع ، يا فلان اشفع حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ε ، فذلك يوم يبعثه اللَّه المقام المحمود " (3) .

وعن أبي هريرة τ ، قال رسول اللَّه ε في قوله : { عَسَى أَنْ يَبْعَثَـــكَ رَبُّـــكَ مَقَامًا مَحْمُودًا } [الإسراء/79] ، سئل عنها ؟ قال : هي الشفاعة " (4) .

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب الصلاة برقم (396) 1/.595
2. أخرجه البخارى فى كتاب الأذان برقم (614) 2/.112
3. أخرجه البخارى فى كتاب تفسير القرآن برقم (4718) 8/.251

4. أخرجه الترمذى فى كتاب تفسير القرآن برقم (3137) ، وقال الشيخ الألبانى رحمه الله : صحيح 303/5.

المقام فى الاصطلاح الصوفى :

المقام فى الاصطلاح الصوفى معناه مقام العبد بين يدى الله عز وجل فيما يقام فيه من العبادات والمجاهدات والرياضات والانقطاع إلى الله عز وجل ، كما قال تعالى : { ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ } [إبراهيم/14] وقال : { وَمَا مِنَّا إِلا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ } [الصافات/164] (1) .

روى عن أبى حفص النيسابورى (ت:270هـ) : (التصوف كله آداب لكل وقت أدب ، ولكل مقام أدب ، فمن لزم آداب الأوقات ، بلغ مبلغ الرجال ، ومن ضيع الآداب ، فهو بعيد من حيث يظن القرب ، ومردود من حيث يرجو القبول) (2) ، ويذكر أن أبا بكر الواسطى (ت:بعد320هـ) سئل عن قول النبى ε : " الأرواح جنود مجندة " ، قال : (مجندة على قدر المقامات والمقامات ، مثل التوبة والورع والزهد ، والفقر والصبر والرضا والتوكل وغير ذلك) (3) .

وينسب لعبد الله بن محمد بن منازل (ت:329هـ) أنه قال : (ذكر الله تعالى أنواع العبادات ، فقال : { الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأسْحَارِ } [آل عمران/17] ، فختم المقامات كلها بمقام الاستغفار ليرى العبد تقصيره فى جميع أفعاله وأحواله ، فيستغفر منها) (4) وقال : كيف

---

1. اللمع ص65 .

2. طبقات الصوفية ص119 .

3. اللمع ص65 .　　　　　　4. طبقات الصوفية ص368 .

ينظر الإنسان إلى أمامه وورائه ، وهو غائب عن مقامه ووقته ؟) [1] .

ويذكر الهجويرى (ت:465هـ) أن المقام هو إقامة الطلب على أداء حقوق المطلوب ، بشدة اجتهاد وصحة نية ، فكل من طلب الحق سبحانه وتعالى له مقام ، وهو السبب لأهل البداية الذى به طلب ربه ، ومع أن الطالب يستفيد بعض الفائدة من كل مقام يمر عليه ، فإنه يسكن إلى مقام مخصوص فى النهاية لأن المقام والبحث عنه يشكل التركيب والرسم ، لا الأخلاق والمعاملة ، وقد قال تعالى : { وَمَا مِنَّا إِلا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ } [الصافات/164] ، فمقام سيدنا آدم υ التوبة ، ومقام سيدنا نوح υ الزهد ، ومقام سيدنا إبراهيم υ التسليم ومقام سيدنا موسى υ الإنابة ، ومقام سيدنا داود υ الحزن ، ومقام سيدنا عيسى υ الرجاء ، ومقام سيدنا يحى υ الخوف ، ومقام رسولنا عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام الذكر ، وقد أخذ كل منهم بعض الشئ من المقامات الأخرى ، لكن كل واحد منهم رجع فى النهاية إلى أصل مقامه [2] .

وقال أبو القاسم القشيرى (ت:465هـ) : (المقام ما يتحقق به العبد بمنازلته من الآداب مما يتوصل إليه بنوع تصرف ويتحقق به بضرب تطلب ومقاساة

---

1. السابق ص368 .

2. كشف المحجوب ص449 ، وتجدر الإشارة إلى أنه لا دليل على مزاعم الهجويرى من تخصيص مقامات الأنبياء بنوعية من أعمال القلوب ، فجميعهم صفوة الله فى خلقه وهم فى أقوالهم وأفعالهم القدوة لسائر الناس فى كل زمان .

تكلف ، فمقام كل أحد ، موضع إقامته عند ذلك ، وما هو مشتغل بالرياضة له وشرطه : أن لا يرتقى من مقام إلى مقام آخر ، مالم يستوف أحكام ذلك المقام فإن من لا قناعة له لا تصح له الإنابة ومن لا ورع له لا يصح له الزهد) [1] .

ويذكر الكاشانى أن المقام عند الصوفية له أنواع [2] :

1- مقام الإسلام : هو إقامة النفس على الأخذ فى السير ، والرجوع من مقام أحكام العادات وملازمة طلب الحظوظ والشهوات والإرادات للأمور الزائلة الفانية الطبيعية الحيوانية ، وذلك بالملازمة على ما ورد من الأوامر والنواهى الإلهية فى جميع الحركات والسكنات قولا وفعلا .

2- مقام الإيمان : هو دخول النفس من حيث باطنها فى الغربة بالانفصال عن مقارها الحيوانية ، ومقام مألوفاتها الشهوانية ، ووطن ظهورها بصور كثرتها وانحرافاتها الجسمانية والشيطانية ، والاتصال بحضرة باطنها وأحكام عدالته ووحدته ، وما دام العبد كذلك فهو فى الإيمان .

3- مقام الإحسان : حصول النفس من حيث سرها على المشاهدة الجاذبة إلى عين التوحيد ، بطريق الفناء وأحكام التقيد والحجب الطارئة ، بالنزول والتلبس بأحكام المراتب ، ونفض آثار غبار خلقيتها عن أزيال حقيقتها وذلك هو مقام الإحسان .

1. الرسالة 204/1 .
2. لطائف الإعلام 2/ 326 .

4)- مقام المتوسطين : يعنى به مقام المتوسطين بين مقام الإرادة والنهاية وهذا هو مقام التوسط بين شهود أهل البداية فى الإرادة ، وأهل النهاية فى البلوغ إلى أنهى نهايات الوصول ، ويسمى شهود المتوسطين .

5)- مقام الرضا : هو إنابة الخاصة ، وهو أن لا يجد العبد فى قلبه ، إرادة لوقوع شئ قبل وقوعه ، ولا كراهة لما وقع ، لئلا يكون ممن أحب تقديم ما أراد الله تأخيره ، أو تأخير ما أراد الله تقديمه .

6)- مقام الجمع : هو اعتبار الذات بحسب واحديتها ، المحيطة بجميع الأسماء والحقائق ، وهذا المقام هو المسمى بمرتبة الجمع والوجود .

7)- مقام التوحيد الأعلى : هو التجلى الذاتى ، وهو التعين الأول والوحدة الحقيقية .

****

115 ـ المكر

****

- **المكر** : المكر التدبير فى خفاء بحيلة ، لصرف الغير عما يقصده ، وذلك ضربان [1] :

أ- مذموم وهو المكر بالسوء ابتدا ، ليتحرى به الفعل القبيح ، كقوله تعالى :

---

1. لسان العرب 183/5 ، والمفردات ص471 ، وكتاب العين 370/5 .

{ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلا نُفُورًا اسْتِكْبَارًا فِي الأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلا بِأَهْلِهِ } [فاطر/43:42] ، وقوله : { وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ } [إبراهيم/46] .

وعن ابن عباس رضى اللَّه عنه أنه قال في قوله : { وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ } [الأنفال/30] : (تشاورت قريش ليلة بمكة ، فقال بعضهم : إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق ، يريدون النبي ε ، وقال بعضهم : بل اقتلوه ، وقال بعضهم : بل أخرجوه ، فأطلع اللَّه عز وجل نبيه ε على ذلك ، فبات علي على فراش النبي ε تلك الليلة ، وخرج النبي εحتى لحق بالغار ، وبات المشركون يحرسون عليا ، يحسبونه النبي ε ، فلما أصبحوا ثاروا إليه ، فلما رأوا عليا ، رد اللَّه مكرهم ، فقالوا : أين صاحبك هذا ؟ قال : لا أدري فاقتصوا أثره ، فلما بلغوا الجبل خلط عليهم ، فصعدوا في الجبل فمروا بالغار فرأوا على بابه نسج العنكبوت ، فقالوا : لو دخل هاهنا ، لم يكن نسج العنكبوت على بابه ، فمكث فيه ثلاث ليال) [1] ، وعن أبي بكر الصديق τ قال رسول اللَّه ε : " ملعون من ضار مؤمنا أو مكر به " [2] .

---

1. أخرجه أحمد فى المسند (3241) وفيه عثمان بن زفر الجهنى الدمشقى وهو مجهول .
2. أخرجه الترمذى فى كتاب البر والصلة برقم (1941) ، وقال الشيخ الألبانى : ضعيف 332/4 وقال الترمذى : حديث ضعيف .

ب- مكر محمود وذلك على وجهين ، أن يكون فى مقابل المكر السيئ لتدميره كقول الله تعالى : { وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ } [النمل/50] وقوله : { وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ } [الأنفال/30] أو يكون المكر على وجه الابتلاء والاختبار ، وعلى ذلك قال سبحانه : { أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ } [الأعراف/99] ، فمكر اللَّه إمهال العبد ، وتمكينه من أعراض الدنيا على وجه الابتلاء ، وروى فى ذلك أيضا عن ابن عباس τ قال : " كان النبي ε يدعو يقول : رب أعني ولا تعن علي وانصرني ولا تنصر علي وامكر لي ولا تمكر علي "[1] .

المكر فى الاصطلاح الصوفى :

المكر فى الاصطلاح الصوفى من جانب الحق تعالى ، إرداف النعم مع المخالفة وإبقاء الحال مع سوء الأدب ، وإظهار الكرامات من غير جهد ، ومن جانب العبد إيصال المكروه إلى الإنسان من حيث لا يشعر[2] ، قال القشيرى فى تفسير قوله تعالى : { وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ

1. أخرجه الترمذى فى كتاب الدعوات برقم (3551) وقال الشيخ الألبانى رحمه الله : صحيح 554/5 ، قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .

2. التعريفات للجرجانى ص245 ، واصطلاحات الصوفية لابن عربى ص11 ، ولطائف الإعلام 334/2 .

مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلْ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ } [يونس/21] يعنى إذا أصابهم ضر ومحنة ، فرحمناهم وكشفنا عنهم ، أحالوا الأمر على غيرنا وتوهموه مما هو سوانا ، مثل قولهم مطرنا بنوء كذا ، ومثل قولهم إن هذه سعادة نجم ، أو مساعدة دولة ، أو تأثير فلك ، أو خيرات دهر ، فهذا كان مكرهم أما مكر الله بهم ، فهو جزاؤهم على مكرهم ، وإشارة فى هذا ، أنه ربما يكون للمريد أو للطالب حجبة أو فترة ، فإذا جاء الحق بكشف أو تجل أو إقبال فمن حقهم ألا يلاحظوها ، فضلا عن أن يساكنوها ، لأنهم إذا لم يرتقوا عن ملاحظة أحوالهم إلى الغيبة بشهود الحق ، مكر الله بهم ، بأن شتتهم فى تلك الأحوال من غير ترق عنها أو وجود زيادة عليها ، وهذا مكره بخواصهم) [1] .

وقال أبو حامد الغزالى : (والمكر ثلاثة : مكر عموم ، وهو الظاهر فى بعض الأحوال ، ومكر خصوص وهو فى سائر الأحوال ، ومكر خفى فى إظهار الآيات والكرامات) [2] ، ويرى ابن عربى أيضا ، أن المكر عند الصوفية إرداف النعم مع المخالفة ، وإبقاء الحال مع سوء الأدب ، وإظهار الآيات والكرامات من غير أمد ولا حد [3] .

1. لطائف الإشارات 87/2 .

2. الإملاء ص69 .

3. اصطلاحات الصوفية لابن عربى ص11 .

****

116ـ النفـــــس

****

النفس : النفس تطلق فى الكتاب والسنة على عدة معـــان ، أغلبـــها فى المعجم اللغوية [1] :

[1 – النفس : صفة لله عز وجل ليس كمثله شئ فيها ، لقول اللَّه تعالى : { وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ } [آل عمران/30] ، وقوله جل ذكره : { تَعْلَمُ مَـــا فِـــي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلامُ الْغُيُوبِ } [المائدة/116] ، وعن أبي هريرة τ ، عن النبي ε قال : " لما خلق اللَّه الخلق كتب في كتابه ، وهو يكتب على نفسه ، وهو وضع عنده على العرش ، إن رحمتي تغلب غضبي " [2] وعنـــه أيضا τ ، قال النبي ε : " يقول اللَّه تعالى : أنا عند ظن عبدي بي وأنا معـــه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ، ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منهم " [3] .

[2- النفس : ذات الإنسان ظاهرا وباطنا ، كقوله تعالى : { كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ } [المدثر/38] ، والكسب يكون بالظاهر والباطن ، وكذلك

1. كتاب العين 270/7 ، ولسان العرب 233/6
2. أخرجه البخارى فى كتاب التوحيد برقم (7404) 13/.395
3. أخرجه البخارى فى الموضع السابق برقم (7405) 395/13.

قوله : { وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } [لقمان/34] وقوله تعالى : { مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ } [التوبة/17] ، وعن أبي هريرة τ ، أن رسول اللَّه ε قال : " إذا صلى أحدكم للناس فليخفف ، فإن منهم الضعيف والسقيم والكبير ، وإذا صلى أحدكم لنفسه فليطول ما شاء " [1] .

[3- النفس : البدن الظاهر الذى أمر اللَّه بإحيائه فى نحو قوله تعالى : { مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا } [المائدة/32] والمقصود البدن الظاهر لأن قتل الباطن معنوى ، لا يؤثر فى هلاك الظاهر ، وكذلك قوله تعالى : { قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا } [الكهف/74] وقوله : { وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا } [النساء/29] ، وعن أنس τ قال : " سئل النبي ε عن الكبائر ؟ قال : الإشراك باللَّه وعقوق الوالدين وقتل النفس وشهادة الزور " [2] ، وعن عبد اللَّه بن عمرو رضي اللَّه عنهما قال : " قال لي النبي ε :

ألم أخبر أنك تقوم الليل وتصوم النهار ؟ ، قلت : إني أفعل ذلك قال : فإنك إذا فعلت ذلك ، هجمت عينك ونفهت نفسك ، وإن لنفسك حقا

1. أخرجه البخارى فى كتاب الأذان برقم (703) 2/.233.
2. أخرجه البخارى فى كتاب الشهادات برقم (2653) 309/5 .

ولأهلك حقا ، فصم وأفطر وقم ونم " [1] .

[4- النفس : باطن الإنسان وما يدور فيه من خواطر ، كقوله تعالى : { وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } [البقرة/284] ، وعن أبي هريرة τ ، أن رسول اللَّه ε قال : " إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان وله ضراط ، حتى لا يسمع التأذين ، فإذا قضى النداء أقبل ، حتى إذا ثوب بالصلاة أدبر ، حتى إذا قضى التثويب ، أقبل حتى يخطر بين المرء ونفسه ، يقول : اذكر كذا اذكر كذا ، لما لم يكن يذكر ، حتى يظل الرجل لا يدري كم صلى " [2] .

وعن جابر بن عبد اللَّه τ ، قال : " بعثني رسول اللَّه ε في حاجة له فانطلقت ثم رجعت ، وقد قضيتها ، فأتيت النبي ε فسلمت عليه ، فلم يرد علي ، فوقع في قلبي ما اللَّه أعلم به ، فقلت في نفسي : لعل رسول اللَّه ε وجد علي أني أبطأت عليه ، ثم سلمت عليه فلم يرد علي ، فوقع في قلبي أشد من المرة الأولى ، ثم سلمت عليه فرد علي ، فقال : إنما منعني أن أرد عليك أني كنت أصلي ، وكان على راحلته متوجها إلى غير القبلة " [3] ، وعن عثمان بن عفان

τ ، أن النبي ε قال : " من توضأ نحو وضوئي هذا ، ثم صلى ركعتين

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب الجمعة برقم (1153) 3/.46

2. أخرجه البخارى فى كتاب الإذان برقم (608) 2/.101

3. أخرجه البخارى فى كتاب الجمعة برقم (1217) 3/104.

لا يحدث فيهما نفسه ، غفر اللَّه له ما تقدم من ذنبه " [1] ، وعن أبي هريرة τ أن رسول اللَّه ε قال : " يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم ، إذا هو نام ثلاث عقد ، يضرب كل عقدة ، عليك ليل طويل فارقد ، فإن استيقظ فذكر اللَّه انحلت عقدة ، فإن توضأ انحلت عقدة ، فإن صلى انحلت عقدة ، فأصبح نشيطا طيب النفس ، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان " [2] .

[5- النفس : يعبر بها عن الروح ، نحو قوله تعالى : { وَلَوْ تَرَى إِذْ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ } [الأنعام/93] وقول : { اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا } [الزمر/42] ، وعن أسامة بن زيد رضي اللَّه عنهما ، قال : " فرفع إلى رسول اللَّه ε الصبي ، ونفسه تتقعقع ، قال : حسبته أنه قال : كأنها شن ، ففاضت عيناه ، فقال سعد τ : يا رسول اللَّه ، ما هذا ؟ فقال : هذه رحمة جعلها اللَّه في قلوب عباده ، وإنما يرحم اللَّه من عباده الرحماء " [3] .

[6- النفس : يعبر بها هوى الإنسان المتعلق بأصناف المشتهيات ، وقد يكون محمودا أو مذموما :

أ- فالمحمود كقوله : { فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ } [النساء/4]

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب الوضوء برقم (164) 320./1
2. أخرجه البخارى فى كتاب الجمعة برقم (1142) 30/3 .
3. أخرجه البخارى فى كتاب الجنائز برقم (1284) 182/3.

ومما ورد فى السنة ، ما روى عن حكيم بن حزام τ ، قال : " سألت رسول اللَّه ε فأعطاني ، ثم سألته فأعطاني ، ثم سألته فأعطاني ، ثم قال : يا حكيم ، إن هذا المال خضرة حلوة ، فمن أخذه بسخاوة نفس ، بورك له فيه ومن أخذه بإشراف نفس ، لم يبارك له فيه ، كالذي يأكل ولا يشبع ، اليد العليا خير من اليد السفلى " [1] .

وعن عبد اللَّه بن عمر رضي اللَّه عنهما قال : " سمعت عمر يقول : كان رسول اللَّه ε يعطيني العطاء ، فأقول أعطه من هو أفقر إليه مني ، فقال خذه إذا جاءك من هذا المال شيء وأنت غير مشرف ولا سائل فخذه ، وما لا فلا تتبعه نفسك " [2] ، وعن أبي هريرة τ ، عن النبي ε قال : " ليس الغنى عن كثرة العرض ، ولكن الغنى غنى النفس " [3] ، وعن عائشة قالت : " كنت أغار على اللاتي وهبن أنفسهن لرسول اللَّه ε ، وأقول : أتهب المرأة نفسها ؟! فلما أنزل اللَّه تعالى : { تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنْ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكَ.. الآية } [الأحزاب/51] ، قلت : ما أرى ربك إلا

يسارع في هواك "[4] ، وعن أبي موسى الأشعري τ قال النبي ε : " الخـــازن

1. أخرجه البخارى فى كتاب الزكاة برقم (1472) 3/.393.
2. أخرجه البخارى فى الوضع السابق برقم (1473) 3/.395.
3. أخرجه البخارى فى كتاب الرقاق برقم (6446) 11/.276.
4. أخرجه البخارى فى كتاب تفسير القرآن برقم (4788) 385/8.

الأمين الذي يؤدي ما أمر به طيبة نفسه أحد المتصدقين "[1] ، وعن أنس τ عن النبي ε قال : " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه "[2] .

ب – والمذموم من النفس ، ما ورد فى قوله تعالى : { وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ } [التوبة/35:34] ، على اعتبار أن معنى لأنفسكم ، أى لأهوائكم لا لطاعة اللّه ، وقال عبد ابن عباس τ فى قوله تعالى : { وَأُحْضِـــرَتْ الأَنفُسُ الشُّحَّ } [النساء/128] ، هواه في الشيء يحرص عليه [3] ، وقال أيضا : " ما رأيت شيئا أشبه باللمم ، مما قال أبو هريرة τ ، عن النبي ε : إن اللّه كتب على ابن آدم حظه من الزنا ، أدرك ذلك لا محالة ، فزنا العين النظر وزنا اللسان المنطق ، والنفس تمنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك كله ويكذبه "[4] .

وقد ورد فى وصف النفس ثلاثة أنواع :

1. أخرجه البخارى فى كتاب الإجارة برقم (2260) 4/514.
2. أخرجه البخارى فى كتاب الإيمان برقم (13) 73/1 .
3.أخرجه البخارى فى كتاب تفسير القرآن باب { وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا } [النساء/128] ، انظر فتح البارى 265/8 .
4. أخرجه البخارى فى كتاب الاستئذان برقم (6243) 11/28.

1- النفس المطمئنة : قال الإمام البخارى : المطمئنة المصدقة بالثواب ، وقال الحسن : { يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي } [الفجر/ 27:30] ، إذا أراد اللَّه عز وجل قبضها ، اطمأنت إلى اللَّه واطمأن اللَّه إليها ، ورضيت عن اللَّه ورضي اللَّه عنها ، فأمر بقبض روحها ، وأدخلها اللَّه الجنة وجعله من عباده الصالحين [1] .

2- النفس اللوامة : ورد ذكرها فى قوله تعالى : { لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ } [القيامة/2] ، قال مجاهد : هى التى تلوم على ما فات وتندم ، فتلوم نفسها على الشر ، لم تعمله ؟ وعلى الخير ، لم لم تستكثر منه [2] .

3- النفس الأمارة بالسوء : ورد ذكرها فى قوله تعالى : { وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلا مَا رَحِمَ رَبِّي } [يوسف/53] ، لأن من طبعها الأمر بالسوء ، والميل إلى الشهوات ، وصعوبة قهرها وكفها عن ذلك [3] .

النفس فى الاصطلاح الصوفى :

النفس فى الاصطلاح الصوفى ، ما كان معلولا من أوصاف العبد كـــذميم

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب تفسير القرآن ، سورة والفجر 581/8 .
2. فتح القدير 335/5 .
3. السابق 35/3 .

الأفعال وسفساف الأخلاق وذلك مثل الكبر والحقد والحسد وسوء الخلق وقلة الاحتمال (1) .

روى عن أبى تراب النخشبى (ت:245هــ) أنه قال : (يا أيها الناس أنتم تحبون ثلاثة وليست هى لكم ، تحبون النفس وهى لله ، وتحبون الروح والروح لله ، وتحبون المال والمال للورثة ، وتطلبون اثنين ولا تجدونهما ، الفرج والراحـــة وهما فى الجنة) (2) .

وعن أبى سعيد الخراز (ت:279هــ) قال : (مثل النفس مثل ماء واقـــف طاهر صاف ، فإن حركته ظهر ما تحته من الحمأة ، وكذلك النفس تظهر عند المحن والفاقة والمخالفة ، ومن لم يعرف ما فى نفسه كيف يعرف ربه) (3) .

ويذكر لعلى بن سهل الأصبهانى (ت:قبل300هــــ) : (العقـــل والهـــوى متنازعان ، فمعين العقل التوفيق ، وقرين الهوى الخذلان ، والنفس واقفة بينهما فأيهما ظفرت كانت فى حيرة) (4) .

وقال أبو القاسم القشيرى (ت:465هـ) : (النفس : نفس الشئ فى اللغة وجوده وعند القوم ليس المراد من إطلاق النفس الوجود ، ولا القالب الموضوع

---

1. معجم اصطلاحات الصوفية ص115Ƴ116 .
2. طبقات الصوفية ص148 .
3. السابق ص230:231 .
4. السابق ص235 .

إنما أرادوا بالنفس ، ما كان معلولا من أوصاف العبد ، ومذموما من أخلاقه وأفعاله ، ثم إن المعلولات من أوصاف العبد على ضربين ، أحدهما : ما يكون كسبا له كمعاصيه ومخالفاته ، والثانى : أخلاقه الدنيئة فهى فى أنفسها مذمومة فإذا عالجها العبد ونازلها ، تنتفى عنه بالمجاهدة تلك الأخلاق على مستمر المادة .

والقسم الأول من أحكام النفس ما نهى عنه نهى تحريم أو نهى تتريه ، وأما القسم الثانى من قسمى النفس فسفساف الأخلاق والدنئ منها ، هذا حدها على الجملة ، ثم تفصيلها ، فالكبر والغضب والحقد والحسد وسوء الخلق وقلة الاحتمال وغير ذلك من الأخلاق المذمومة ، وأشد أحكام النفس وأصعبها توهمها أن شيئا منها حسن ، أو أن لها استحقاق قدر ، ولهذا عد ذلك من الشرك الخفى ، ومعالجة الأخلاق فى ترك النفس وكسرها ، أتم من مقاساة الجوع والعطش والسهر وغير ذلك من المجاهدات ، التى تتضمن سقوط القوة وإن كان ذلك أيضا من جملة ترك النفس ، ويحتمل أن تكون النفس لطيفة مودعة فى هذا القالب هى محل الأخلاق المعلومة) [1] .

ويذكر الكاشانى أن النفس أنواع [2] :

1- النفس الأمارة : النفس الأمارة هى التى تميل إلى الطبيعة البدنية ، وتأمر باللذات والشهوات الحسية ، وتجذب القلب إلى الجهة السفلية ، فهى

1. الرسالة القشيرية ص270:271 .
2. لطائف الإعلام 2/359:361 ، معجم اصطلاحات الصوفية ص116Υ115 .

مأوى الشر ، ومنبع الأخلاق الذميمة ، والأفعال السيئة ، قال الله تعالى : { إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلا مَا رَحِمَ رَبِّي } [يوسف/53] .

2- النفس اللوامة : هى التى تنورت بنور القلب ، تنورا قدر ما تنبهت به عن سنة الغفلة ، فتيقظت وبدأت بإصلاح حالها ، مترددة بين جهتى الربوبية والخلقية ، فكلما صدرت منها سيئة بحكم جبلتها الظلمانية وسجيتها تداركها نور التنبه الإلهى ، فأخذ تلوم نفسها ، وتتوب عنها ، مستغفرة راجعة إلى باب الغفار الرحيم ، ولهذا نوه الله بذكرها بالإقسام بها فى قوله تعالى : { وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ } [القيامة/2]

3- النفس المطمئنة : هى التى تم تنورها بنور القلب ، حتى انخلعت عن صفاتها الذميمة ، وتخلقت بالأخلاق الحميدة ، وتوجهت إلى جهة القلب بالكلية مشايعة له فى الترقى إلى جانب عالم القدس ، متنزهة عن جانب الرجس مواظبة على الطاعات ، مساكنة إلى حضرة رفيع الدرجات ، حتى

خاطبها ربها بقوله تعالى : { يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي } [الفجر/ 30:27] .

****

117ـ الهمـــــة

****

الهمة : الهم الحزن وجمعه هموم ، وأهمه الأمر أحزنه وأقلقه ، والهم يرد فى الكتاب والسنة على عدة أوجه [1] :

1- ما يسبق الإرادة من حديث النفس كقوله تعالى : { إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلْ الْمُؤْمِنُونَ } [آل عمـــران/122] دارت خواطر الهزيمة فى نفوسهم دون رغبتهم فى الانهزام ، لقوله : والله وليهما فعن جابر بن عبد الله قال : فينا نزلت بنو سلمة وبنو حارثة ، وما نحب أنها لم تنزل لقول الله عز وجل : { وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا } [2] ، وعن عبد الله بن مســـعود τ قال : " صليت مع النبي ε ليلة ، فلم يزل قائما حتى هممت بأمر سوء ، قلنـــا : وما هممت ؟ ، قال : هممت أن أقعد وأذر النبي ε " [3] ، يعنى حدثته نفســـه دون عزم أو نية للفعل .

2- الهم بمعنى إرادة القلب قبل ظهور أثرها على البدن الظاهر ، لما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما ، عن النبي ε فيما يروي عن ربه عز وجل ، قال : "

إن اللَّه كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك ، فمن هم بحسنة فلـــم يعملـــها كتبها اللَّه له عنده حسنة كاملة ، فإن هو هم بها فعملها ، كتبها اللَّه له عنـــده عشر حسنات ، إلى سبع مائة ضعف ، إلى أضعاف كثيرة ، ومن هم بسيئة فلم يعملها ، كتبها اللَّه له عنده حسنة كاملة ، فإن هو هم بها فعملها ، كتبها اللَّـــه

1. لسان العرب 619/12 ، والمفردات ص545 .
2. أخرجه مسلم فى كتاب فضائل الصحابة برقم (2505) 1948./4
3. أخرجه البخارى فى كتاب الجمعة برقم (1135) 24/3.

له سيئة واحدة " [1] ، وقد بينت الرواية الأخرى عن أبي هريرة τ أن المقصـــود بالهم الإرادة ، فقال رسول اللَّه ε : " يقول اللَّه : إذا أراد عبدي أن يعمل سيئة ، فلا تكتبوها عليه حتى يعملها ، فإن عملها فاكتبوها بمثلها ، وإن تركها مـــن أجلي فاكتبوها له حسنة ، وإذا أراد أن يعمل حسنة ، فلم يعملها فاكتبوها لـــه حسنة ، فإن عملها فاكتبوها له بعشر أمثالها إلى سبع مائة ضعف " [2] .

ومما ورد أيضا فى الهم بمعنى الإرادة ما روى عن أبي هريرة τ ، عن الـــنبي ε قال : " مثل البخيل والمتصدق ، مثل رجلين عليهما جبتان من حديـــد ، قـــد اضطرت أيديهما إلى تراقيهما ، فكلما هم المتصدق بصدقته ، اتسعت عليه حتى تعفي أثره ، وكلما هم البخيل بالصدقة ، انقبضت كل حلقـــة إلى صـــاحبتها وتقلصت عليه ، وانضمت يداه إلى تراقيه " [3] ، وعنه أيضا τ ، عن النبي ε أنه قال : " إن الشيطان عرض لي ، فشد علي ليقطع الصلاة علي ، فأمكنني اللَّـــه

منه فذعته ، ولقد هممت أن أوثقه إلى سارية ، حتى تصـــبحوا فتنظـــروا إليـــه فذكرت قول سليمان عليه السلام : { قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِـــي مُلْكًـــا لا يَنْبَغِي لأحَدٍ مِنْ بَعْدِي } [ص/35] فرده اللَّه خاسيا " [4] .

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب الرقاق برقم (6491) 331./11.
2. أخرجه البخارى فى كتاب التوحيد برقم (7501) 473/13.
3. أخرجه البخارى فى كتاب الجهاد والسير برقم (2917) 117/6.
4. أخرجه البخارى فى كتاب الجمعة برقم (1210) 97/3.

وعنه أيضا τ ، أن رسول اللَّه ε قال : " والذي نفسي بيده ، لقد هممت أن آمر بحطب فيحطب ، ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها ، ثم آمر رجلا فيؤم النـــاس ثم أخالف إلى رجال فأحرق عليهم بيوتهم .. " [1] ، وعن جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما قال : " كان رسول اللَّه ε يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها ، كما يعلمنا السورة من القرآن ، يقول : إذا هم أحدكم بالأمر ، فليركع ركعتين من غير الفريضة ، ثم ليقل : اللَّهم إني أستخيرك بعلمك ، وأســتقدرك بقـــدرتك وأسألك من فضلك العظيم ، فإنك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنـــت علام الغيوب .. " [2] .

3- الهم بمعنى الحزن الثقيل ، كما روى عن أبي سعيد الخدري τ ، عن النبي ε قال : " ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ، ولا هم ولا حـــزن ، ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها ، إلا كفر اللَّه بها من خطاياه " [3] ، وعـــن

زيد بن أرقم τ قال : " كنت في غزاة ، فسمعت عبد اللَّه بن أبي يقول : لا تنفقوا على من عند رسول اللَّه حتى ينفضوا من حوله ، ولئن رجعنا من عنده ليخرجن الأعز منها الأذل ، فذكرت ذلك لعمي أو لعمر ، فذكره للنبي ε فدعاني فحدثته ، فأرسل رسول اللَّه ε لى عبد اللَّه بن أبي وأصحابه ، فحلفوا

1. أخرجه البخارى فى كتاب الأذان برقم (644) 2/.148
2. أخرجه البخارى فى كتاب الجمعة برقم (1166) 3/.58
3. أخرجه البخارى فى كتاب المرضى برقم (5642) 107/10.

ما قالوا ، فكذبني رسول اللَّه ε وصدقه ، فأصابني هم لم يصبني مثله قط فجلست في البيت ، فقال لي عمي : ما أردت إلى أن كذبك رسول اللَّه ε ومقتك ، فأنزل اللَّه تعالى { إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ } [المنافقون/1] ، فبعث إلي النبي ε فقرأ فقال : إن اللَّه قد صدقك يا زيد " [1] .

4- الهم ما ينشغل به الإنسان ، كقوله تعالى : { ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ } [آل عمران/154] أى انشغلوا بأنفسهم خوفا ورعبا ، لما روى عن أنس τ ، أن أبا طلحة قال : " غشينا ونحن في مصافنا يوم أحد حدث ، أنه كان فيمن غشيه النعاس يومئذ ، قال فجعل سيفي يسقط من يدي وآخذه ، ويسقط من يدي وآخذه ، والطائفة الأخرى المناقدون ليس لهم هم إلا أنفسهم ، أجبن قوم وأرعبه وأخذله للحق " [2] .

وعن زيد بن ثابت τ ، أن رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم قال : " من كان همه الآخرة جمع اللَّه شمله ، وجعل غناه في قلبه ، وأتته الدنيا وهي راغمة ومن كانت نيته الدنيا ، فرق اللَّه عليه ضيعته ، وجعل فقره بين عينيه ، و لم يأته من الدنيا إلا ما كتب له " [3] .

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب تفسير القرآن برقم (4900) 8/.512
2. أخرجه الترمذى فى كتاب تفسير القرآن برقم (3008) وقال الشيخ الألبانى : صحيح دون قوله : والطائفة الأخرى 229/5 .
3. أخرجه أحمد (21080) والترمذى فى العلم (2656) وقال الألبانى : صحيح 33/5 .

والهمة : تطلق على قوة الإرادة الدافعة إلى الفعل ، نحو قوله تعالى : { وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ } [يوسف/24] ، أرادت الفاحشة وأراد يوسف عليه السلام الامتناع حتى تمزق قميصه ، وقوله تعالى : { وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ } [غافر/5] ، وعن أبي هريرة τ ، أن رسول اللَّه ε قال : " يأتي المسيح من قبل المشرق ، همته المدينة حتى يترل دبر أحد ، ثم تصرف الملائكة وجهه قبل الشام ، وهنالك يهلك " [1] .

الهمة فى الاصطلاح الصوفى :

الهمة فى الاصطلاح الصوفى تطلق بإزاء تجريد القلب للمنى ، وتطلق بإزاء أول صدق المريد ، وتطلق بإزاء جمع الهمم بصفاء الإلهام [2] .

روى عن أحمد بن خضروية (ت:240هــ) قال : (حقيقة المعرفة ، المحبة له بالقلب ، والذكر له باللسان ، وقطع الهمة عن كل شئ سواه) [3]

وعن ممشاد الدينورى :(ت299هــ) قال : (رأيت فى بعض أســـفارى شيخا توسمت فيها لخير ، فقلت : ياسيدى كلمة تزودنى بها ، فقـــال : همتـــك فاحفظها ، فإن الهمة مقدمة الأشياء ، ومن صلحت له همته وصدق فيها ، صلح

1. أخرجه مسلم فى كتاب الحج برقم (1380) 2/1005.
2. اصطلاحات الصوفية لابن عربى ص11 ، وانظر أيضا مدخل السلوك لأبى حامد الغزالى ص42 ، وله أيضا سر العالمين ص42 ، 114 وجامع الأصول ص207 .
3. طبقات الصوفية ص105 .

له ما وراءها من الأعمال والأحوال) [1] ، وروى عن عبد الله بن محمد الخراز الرازى (ت:قبل310هــ) : (الهمم تختلف فى الدارين ، وليس مـــن همتـــه فى المشهد الأعلى ، الحور والقصور والاشتغال بنعيم الجنان وزخرفها ، كمن همته مجالسة مولاه والنظر إلى وجهه الكريم) [2] .

ويرى إبراهيم القصار (ت:326هــ) فيما ينسب إليه أن قيمة كل إنســـان بقدر همته ، فإن كانت همته الدنيا ، فلا قيمة له ، وإن كانت همته رضـــاء الله تعالى فلا يمكن استدراك غاية قيمته ، ولا الوقوف عليها [3] ، وروى عـــن أبى على بن الكاتب (ت:بعد340هــ) : (الهمة مقدمة الأشياء ، فمـــن صـــحح همته بالصدق ، أتت عليه توابعه على الصحة والصدق فإن الفروع تتبع الأصول

ومن أهمل همته أتت عليه توابعه مهملة ، والمهمل من الأحوال والأفعال ، لا يصلح لبساط الحق) [4] ، ولأبى سعيد بن الأعرابى (ت:341هـ) : (من أصلح الله همته لا يتعبه بعد ذلك ، ركوب الأهوال ولا مباشرة الصعاب ، وعلا بعلو همته إلى أسنى المراتب وتنزه عن الدناءة أجمع) [5] .

---

1. السابق ص318 .
2. السابق ص289 .
3. السابق ص319 .
4. السابق ص388 .
5. السابق ص 429 .

ويجعل الغزالى الهمة ثلاثة : همة منية وهى تحرك القلب للمنى ، وهمة إرادة وهى أول صدق المريد ، وهمة حقيقة القصور عن ملاحظة ذروة هذا الأمر [1] .

ويذكر عبد الكريم الجيلى أن الهمة أعز شئ وضعه الله فى الإنسان ، وذلك أن الله تعالى لما خلق الأنوار ، أوقفها بين يديه فرأى كلا منها ، مشتغلا بنفسه ورأى الهمة مشتغلة بالله ، فقال لها : وعزتى وجلالى لأجعلتك أرفع الأنوار ولا يحظى بك من خلقى إلا أشراف الأبرار [2] .

ويعرف الكاشانى الهمة بأنها ما يثير شدة الانتهاض إلى معالى الأمور ، وهو عندهم طلب الحق بالإعراض عما سواه من غير فتور ولا توان ، ويعبر بالهمة

عن نهاية شدة الطلب ثم يذكر بعض المداخل الفرعية كاصطلاحات للصـــوفية تحت مصطلح الهمة منها [3] :

1- همة الإفاقة : هى أول درجات الهمة وتطلق بإزاء أول صدق المريد ومـــا يبعثه على السير فى منازل المحبة ، وهى همة يتصف بها العبد أول ما يفيق قلبه من غلبات اللهو وفتن الهوى فيشاهد الدنيا فيها مستقبحة لما فيها من توحش قلوب المشتغلين بها قال ε :

---

1. الإملاء ص67 .
2. الإنسان الكامل 22/2 ، وانظر أيضا ديوان ابن الفارض ص171 ، وفصوص الحكم 2/ 78 ، وتعليق أبى العلا عفيفى على كلام ابن عربى فى الهمة .
3. لطائف الإعلام 371:369/2 .

" ألا إن الدنيا ملعونة ، ملعون ما فيها ، إلا ذكر الله وما والاه ، وعالم أو متعلم " [1] .

2- همة الأنفة : وهى همة تورث صاحبها أنفة على قلبه ، أن يشغله بطلب الأجر من الله تعالى ، ليتوقع منه ما وعده على الطاعة من الثواب ، لارتقـــاء همته عن رؤية العمل ، إلى مشاهدة الحق ، الذى إنما يطلب العمل طمعـــا فى القرب منه ، حتى يكون نهاية العمل الصالح عند صاحب هذه الهمة ، لا يبلغ بداية توجهه إلى ربه .

3- همة أرباب الهمم العالية : هى همة من لا يريد بما يقصد إلى عمله شيئا سوى الحق ، فلما تعالت همته عما سوى الله ، أن يجعله مقصودا له كانت همته أعلى الهمم لتعلقها بالحق الذى لا يعلوه شئا ، وسميت همته لذلك بالهمم العالية .

4- الهمم العالية : يعنى بها همم القوم الذين لا يطلبون بعبادتهم من الله سوى مجرد العبودية له سبحانه ، لصدق محبتهم فيه ، لا فيما سواه من رغبة فى نعيم أو رهبة عن جحيم ، فسموا أهل الهمم العالية ، لسمو همتهم حيث تعلقت بأعلى المقاصد الذى هو الحق تعالى .

---

1. أخرجه الترمذى فى كتاب الزهد برقم (2244) وقال الألبانى : حسن 561/4 ولفظه عن أبى هريرة τ قال : " سمعت رسول الله ε يقول : " ألا إن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالم أو متعلم " .

****

118 ـ الهــــوى

****

الهوى : الهوى غريزة موضوعة فى الإنسان تتعلق الدنيا ، وما فيها من أصناف المشتهيات على سبيل الابتلاء ، لقوله تعالى : { فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ

عَنْ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى } [النازعات/37:41] ، فجعل الهوى فى مقابل التعلق بالدنيا ، والهوى فى نسبتة والسبب فى تسميته على أوجه [1] :

1- الهوى نسبة إلى الهواء الذى هو الفراغ والخلاء ، كما فى حديث جـابر بن عبد اللَّه τ ، قال رسول اللَّه ε : " نوديت فرفعت رأسي فإذا جبريل عليه السلام على العرش في الهواء " [2] ، أى فى الفراغ ما بين السـماء والأرض وقال تعالى : { مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ } [إبراهيم/43] ، وكأن الهوى ومحصلة الشهوات لا طائل منها ، كالهباء المنشر فى الهواء .

2- الهوى من السقوط والنزول ، قال الشعبي قال : (إنما سمي الهوى لأنـه يهوي بصاحبه) [3] أى ينزله ويسقطه ومنه قوله تعالى : { وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ

1. لسان العرب 551/13 ، والمفردات ص 548 ، وكتاب العين 104/4 .
2. أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان برقم (161) 143./1
3. أخرجه الدارمى فى المقدمة (395) 120/1 وفيه محمد بن حميد وهو ضعيف .

فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنْ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَـانٍ سَـحِيقٍ } [الحـج/31] ، وعن جابر بن عبد اللَّه τ ، أنه سمع النبي ε يقول : " ثم فتر عـني الوحي فترة ، فبينا أنا أمشي سمعت صوتا من السماء ، فَرَفَعْتُ بَصَـرِي قِبَـلَ السَّمَاءِ ، فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ قَاعِدٌ عَلَى كُرْسِـيٍّ بَـيْنَ السَّـمَاءِ وَالأرْضِ ، فَجُئِثْتُ مِنْهُ حَتَّى هَوَيْتُ إِلَى الأرْضِ ، فجئت أهلي فقلت : زملوني زملوني ، فأنزل اللَّه تعالى : { يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنذِرْ } [المدثر/2:1] " [1] .

3- الهوى من الإهواء الذى هو الإشارة إلى المراد والرغبة فى فعله كما روى عن سهل بن حنيف τ قال : " أهوى رسول اللَّه ε بيده إلى المدينة فقال إنها حرم آمن " [2] وعن عبد اللَّه بن مسعود τ قال النبي ε : " أنا فرطكم على الحوض ليرفعن إلي رجال منكم حتى إذا أهويت لأناولهم اختلجوا دوني فأقول أي رب أصحابي يقول لا تدري ما أحدثوا بعدك) [3] .

والهوى قد يراد به المحبة والإرادة ، أو ميل النفس إلى الشئ ، كما قال زر بن حبيش لصفوان بن عسال المرادي τ : " هل سمعت رسول اللَّه ε يذكر في الهوى شيئا ، قال : نعم ، كنا مع النبي ε في سفر ، فبينا نحن عنده إذ ناداه أعرابي بصوت له جهوري ، يا محمد ، فأجابه رسول اللَّه ε نحوا من

1. أخرجه البخارى فى كتاب بدء الخلق برقم (3238) 361./6
2. أخرجه مسلم فى كتاب الحج برقم (1375) 1003./2
3. أخرجه البخارى فى كتاب الفتن برقم (7049) 5/13 .

صوته ، هاؤم ، فقلنا له : ويحك اغضض من صوتك ، فإنك عند النبي ε وقد نهيت عن هذا ، فقال : واللَّه لا أغضض ، قال الأعرابي : المرء يحب القوم ولما يلحق بهم ، قال النبي ε : المرء مع من أحب يوم القيامة " [1] .

وعن سمرة بن جندب τ ، أن نبي اللَّه ε قال : " البيعان بالخيار حتى يَتَفَرَّقَا ، أَوْ يَأْخُذَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِنَ الْبَيْعِ مَا هَوِيَ ، وَيَتَخَايَرَانِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ " [2] .

وعن عبد الله بن عمر τ ، أنه خطب إلى نسيب له ابنته ، قال : " فكان هوى أم المرأة في ابن عمر ، وكان هوى أبيها في يتيم له ، قال : فزوجها الأب يتيمه ذلك ، فجاءت إلى النبي ε فذكرت ذلك له ، فقال النبي ε : أمروا النساء في بناهن " [3] .

وقال عبد الرحمن بن عوف τ : " لما قدمنا المدينة آخى رسول اللَّه ε بيني وبين سعد بن الربيع ، فقال : سعد بن الربيع إني أكثر الأنصار مالا

---

1. أخرجه الترمذى فى كتاب الدعوات برقم (3535) وقال الشيخ الألبانى : حسن 545/5 ، وقال الترمذى : حديث حسن صحيح .
2. أخرجه النسائى فى كتاب البيوع برقم (4481) وقال الشيخ الألبانى رحمه الله : ضعيف 251/7 .
3. أخرجه أحمد فى المسند برقم (4887) واللفظ له ، وأبو داود فى كتاب النكاح برقم (2059) وقال الشيخ الألبانى : ضعيف 232/2.

فأقسم لك نصف مالي ، وانظر أي زوجتي هويت ، نزلت لك عنها ، فإذا حلت تزوجتها " [1] .

والهوى باعتبار الذم والمدح نوعان :

[1 - الهوى المذموم وهو الأغلب فى الكتاب والسنة كقوله تعالى : { وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا } [الكهف/28] وقوله : { فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ

بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا } [النساء/135] وقوله : { وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ } [الأنعام/119] ، وعن حذيفة بن اليمان τ قال : سمعت رسول اللَّه ε يقول : " تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا ، فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء ، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين ، على أبيض مثل الصفا ، فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض والآخر أسود مربادا كالكوز مجخيا لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا إلا ما أشرب من هواه " (2) .

وعن شداد بن أوس τ ، عن النبي ε قال : " الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على اللَّه " (3) .

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب البيوع برقم (2048) 337./4.
2. أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان برقم (144) 128./1.
3. أخرجه الترمذى فى كتاب صفة القيامة برقم (2459) وقال الشيخ الألبانى : ضعيف 638/4وقال : حديث حسن .

وعن أبي برزة τ ، عن النبي ε قال : " إن مما أخشى عليكم شهوات الغي في بطونكم وفروجكم ، ومضلات الهوى " (1) .

[2- الهوى المحمود ، وهو ما يهواه المرء من سائر الضروريات الدنيوية التى لا بد منها وتشتهى ، كما وردت فى قوله تعالى : { زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنْ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنْ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ

حُسْنُ الْمَآبِ } [آل عمران/14] ، فدلت الآية على أن الشهوة المذكورة دنيا والحاجات مع كونها ضروريات ، إلا أن الهوى يتعلق بها وتشتهى ، فمن حديث عائشة رضي اللَّه عنها قالت : " كنت أغار على اللاتي وهبن أنفسهن لرسول اللَّه ε ، وأقول : أتهب المرأة نفسها ؟ فلما أنزل اللَّه تعالى : { تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنْ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكَ } [الأحزاب/51] قلت : ما أرى ربك إلا يسارع في هواك " [2]

.

الهوى فى الاصطلاح الصوفى :

الهوى فى الاصطلاح الصوفى هو ميل النفس إلى مقتضيات الطبع وإعراضها عن أحكام الشرع وعدم التوجه إلى الجهة العلوية بالنزول إلى الجهة السفلية

1. صحيح الإسناد ، أخرجه أحمد فى المسند برقم (19274) .
2. أخرجه البخارى فى كتاب تفسير القرآن برقم (4788) 385/8.

وعلاجه أن تجعل القلب فى مجاهدة دائمة حتى تصيره ذلولا [1] .

قال الحارث المحاسبى (ت:243هـ) : (والزم الأدب ، وفارق الهوى والغضب ، واعمل فى أسباب التيقظ ، واتخذ الرفق حزبا ، والتأنى صاحبا والسلامة كهفا ، والفراغ غنيمة ، والدنيا مطية ، والآخرة مترلا) [2] .

وروى عن أبى بكر الوراق (ت:بعد250هـ) أنه قال : (أصل غلبة الهوى مقارفة الشهوات ، فإذا غلب الهوى أظلم القلب ، وإذا أظلم القلب ضاق الصدر ، وإذا ضاق الصدر ساء الخلق ، وإذا ساء الخلق أبغضه الخلق وإذا أبغضه الخلق أبغضهم ، وإذا أبغضهم جفاهم ، وإذا جفاهم صار شيطانا) [3] .

وعن على بن سهل الأصبهانى (ت:قبل300هـ) قال : (العقل والهوى متنازعان ، فمعين العقل التوفيق ، وقرين الهوى الخذلان ، والنفس واقفة بينهما ، فأيهما ظفر كانت فى حيزه) [4] ، وله أيضا : (العقل مع الروح يدعوان إلى الآخرة ، ومخالفة الهوى والشهوات ، فلذلك سمى روحا) [5] .

---

1. لطائف الإعلام 372/2 ومعجم اصطلاحات الصوفية للكاشانى ص72 وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى 5/2 وانظر مصطلح المحبة .
2. رسالة المسترشدين ص80:81 .
3. طبقات الصوفية ص226 .
4. السابق ص235 .
5. السابق ص235 .

وقال أبو عبد الرحمن السلمى (ت:412هـ) : (من عيوب النفس اتباع هواها ، وموافقة رضاها ، وارتكاب مراداها ، ومداواها ما أمر الله به من قوله تعالى : { وَنَهَى النَّفْسَ عَنْ الْهَوَى } [النازعات/40] ، وقوله : { إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلا مَا رَحِمَ رَبِّي } [يوسف/53]) [1] .

ويذكر الهجويرى (ت:465هـ) أن بعض أهل الرأى يقولون أن الهوى لفظ يطلق على صفات النفس ، ويرى الآخرون أنه اصطلاح يدل على إرادة الطبع الذى به تنقاد النفس الأمارة ، كما تنقاد الروح بالهم ، وكل روح خالية من الفهم غير كاملة كما أن كل نفس خالية من الهوى ناقصة ونقص الروح نقص القرب ونقص النفس عن القرب ، والإنسان مجذوب بعامل عقله وهوا إلى طرق متباينة ، فإذا أطاع دعوة الفهم نال الإيمان ، أما إذا أطاع هواه ، فإنه يصل إلى الضلالة والكفران ، لذلك فالهوى حجاب ودليل باطل والإنسان مأمور بمقاومته ، ومنهى عن الركون إلى هواها ، لأن من ركن إلى هواها هلك ، ومن خالفها ملك ، كما قال تعالى : { وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنْ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى } [النازعات/40] ، وقال النبى ε : " أخوف ما أخاف على أمتى ، إتباع الهوى وطول الأمل " [2]

1. عيوب النفس ص24 .
2. أخرجه مسلم فى كتاب الزكاة برقم (1052) 728/2 ، عن أبي سعيد الخدري τ ، بلفظ : " قال ε : أخوف ما أخاف عليكم ما يخرج اللَّه لكم من زهرة الدنيا قالوا : وما زهرة الدنيا يا رسول اللَّه ؟ قال : بركات الأرض " .

وعن ابن عباس τ ، فى تفسير قوله تعالى : { أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ } [الجاثية/23] أى أن الهوى إله معبود فويل لكل من يكون الهوى معبوده ويكون همه فى الليل والنهار طلب رضى هواه [1] .

****

119 ـ الهيبـــــــة

****

الهيبة : لم ترد فى القرآن ، ولكنها وردت فى السنة على عدة معان :

أ- الهيبة : بمعنى الإجلال والتعظيم الدافع إلى التوقير والاستحياء ، ومما ورد فى السنة من ذلك ، ما روى عن طلحة بن عبد اللّــه τ : " أن أصــحاب رسول اللّه ε ، قالوا لأعرابي جاهل : سله عمن قضى نحبه من هو ؟ وكانوا لا يجترئون على مسألته يوقرونه ويهابونه ، فسأله الأعرابي فأعرض عنه ، ثم سأله فأعرض عنه ، ثم سأله فأعرض عنه ، ثم إني اطلعت من باب المســجد وعلي ثياب خضر ، فلما رآني رسول اللّه ε ، قال : أين السائل عمن قضى نحبه ؟ قال : أنا يا رسول اللّه ، قال : هذا ممن قضى نحبه " [2] ، وعن ابــن عباس رضي اللّه عنهما أنه قال :

---

1. كشف المحجوب ص249:250 .
2. أخرجه الترمذى فى كتاب تفسير القرآن برقم (3203) وقال الشيخ الألبــانى : حسن صحيح 350/5 وقال الترمذى : حسن غريب .

" مكثت سنة أريد أن أسأل عمر بن الخطاب τ عن آية ، فما أستطيع أن أسأله هيبة له " [1] .

وعن عبد الله بن عمر رضي اللَّه عنهما ،قال : " كنـــا نتقـــي الكـــلام والانبساط إلى نسائنا على عهد النبي ε هيبة ، أن يترل فينا شيء ، فلما توفي النبي ε تكلمنا وانبسطنا " [2] .

وعن أبي هريرة τ ، قال رسول اللَّه ε : " سلوني ، فهابوه أن يسألوه فجاء رجل فجلس عند ركبتيه فقال : يا رسول اللَّه ما الإســـلام ؟ " [3] ومـــن حديث زينب امرأة عبد اللَّه بن مسعود رضى اللَّه عنهما قالت : " وكان رسول اللَّه ε ، قد ألقيت عليه المهابة ، قالت : فخرج علينا بلال فقلنا له : ائت رسول اللَّه ε فأخبره أن امرأتين بالباب تسألانك ، أتجزئ الصدقة عنهما على أزواجهما وعلى أيتام في حجورهما ؟ ، ولا تخبره من نحن " [4] .

وعن ابن عمر τ ، قال رسول اللَّه ε يوما لأصحابه : " أخـــبروني عـــن شجرة مثلها مثل المؤمن ؟ ، فجعل القوم يذكرون شجرا من شجر البوادي قال ابن عمر τ : وألقي في نفسي أو روعي أنها النخلة ، فجعلت أريـــد أن

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب تفسير القرآن برقم (4913) 525/8 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب النكاح برقم (5187)161/9 .
3. أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان برقم (10)40/1 .
4. أخرجه مسلم فى كتاب الزكاة برقم (1000) 694/2 .

أقولها فإذا أسنان القوم ، فأهاب أن أتكلم ، فلما سكتوا : قال رسول اللَّه ε : هي النخلة " [1] .

ب- الهيبة : ما يسبق الخوف من حذر ، ومما ورد فى السنة من ذلك ما روى عن سعد بن أبي وقاص τ قال : " استأذن عمر τ على رسول اللَّه ε وعنده نساء من قريش يكلمنه ويستكثرنه ، عالية أصواتهن ، فلما استأذن عمر ، قمن يبتدرن الحجاب ، فأذن له رسول اللَّه ε ، ورسول اللَّه ε يضحك ، فقال عمر τ : أضحك اللَّه سنك يا رسول اللَّه ، قال : عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي ، فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب ، قال عمر τ : فأنت يا رسول اللَّه ، كنت أحق أن يهبن ثم قال : أي عدوات أنفسهن أتهبنني ، ولا تهبن رسول اللَّه ε ؟ قلن : نعم أنت أفظ وأغلظ من رسول اللَّه ε ، قال رسول اللَّه ε : والذي نفسي بيده ، ما لقيك الشيطان قط سالكا فجا إلا سلك فجا غير فجك " [2]

وقال أبو مسعود البدري τ : " كنت أضرب غلاما لي بالسوط فسمعت صوتا من خلفي : اعلم أبا مسعود ، فلم أفهم الصوت من الغضب قال : فلما دنا مني ، إذا هو رسول اللَّه ε ، فإذا هو يقول : اعلم أبا مسعود اعلم أبا مسعود ، قال : فسقط من يدي السوط من هيبته ، فقال :

---

1. أخرجه مسلم فى كتاب صفة القيامة برقم (2811)4/2164 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب بدء الخلق برقم (3294) 390/6 .

اعلم أبا مسعود ، أن اللَّه أقدر عليك منك على هذا الغلام ، فقلت : لا أضرب مملوكا بعده أبدا " [1] .

ج- الهيبة : بمعنى الخوف ، لما روى عن أبي سعيد الخدري τ قال : " صلى بنا رسول اللَّه ε يوما صلاة العصر بنهار ، ثم قام خطيبا ، فلم يدع شيئا يكون إلى قيام الساعة ، إلا أخبرنا به ، حفظه من حفظه ، ونسيه من نسيه وكان فيما قال : ألا لا يمنعن رجلا هيبة الناس ، أن يقول بحق إذا علمه قال أبو نضرة العبدى ، راوى الحديث عن أبى سعيد : فبكى أبو سعيد فقال : قد واللَّه رأينا أشياء فهبنا " [2] .

الهيبة فى الاصطلاح الصوفى :

الهيبة فى الاصطلاح الصوفى هى أثر مشاهدة جلال الله تعالى فى القلب [3] كما روى عن أبى بكر الوراق (ت:بعد250هـ) أنه قال : (من صحت معرفته بالله ، ظهرت عليه الهيبة والخشية) [4] .

وروى عن الجنيد بن محمد (ت:297هـ) قال : كنت أسمع السرى

1. أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان برقم (1659)3/1280.
2. أخرجه الترمذى فى كتاب الفتن برقم (2191) وقال الشيخ الألبانى : ضعيف لكنه صحيح فى بعض فقراته 483/4 ، وأحمد فى المسند برقم (11159)3/19 .
3. لطائف الإعلام 374/2 .
4. طبقات الصوفية ص226 .

يقول : (يبلغ العبد إلى حد لو ضرب وجهه بالسيف لم يشعر ، وكـــان فى قلبى منه شئ حتى بأن لى أن الأمر كذلك) [1] .

وقال الهجويرى (ت:465هـــ) : (حين يتجلى الحق تعالى على قلـــب العبد ويشاهد الجلال يكون نصيبه فى ذلك الهيبة ، ليكون أهل الهيبـــة مـــن جلاله فى تعب ، وقد قال طائفة من المشايخ ، إن الهيبـــة درجـــة العـــارفين والأنس درجة المريدين ، وقالت طائفة أيضا ، بأن الهيبـــة قرينـــة العـــذاب والفراق والعقوبة ، والأنس نتيجة الوصل والرحمة) [2] .

وقال القشيرى (ت:465هـــ) : (الهيبة والأنس ، فوق القبض والبسط فكما أن القبض فوق رتبة الخوف ، والبسط فوق مترلة الرجاء ، فالهيبة أعلى من القبض ، والأنس أتم من البسط ، وحق الهيبة الغيبة ، فكل هائب غائب ثم الهائبون يتفاوتون فى الهيبة على حسب تباينهم فى الغيبة .. وحال الهيبـــة والأنس ، وإن جلتا فأهل الحقيقة يعدوهما نقصا لتضمنها تغير العبد ، فأهل التمكين سمت أحوالهم عن التغير ، وهم فى وجود العين ، فلا هيبة لهـــم ولا أنس ولا علم ولا حس) [3] .

أما موقف ابن عربى من الهيبة ، فيرى أنها نعت كيانى لأنها عظمة ، والعظمة

---

1. الرسالة القشيرية 214:213/1 .
2. كشف المحجوب ص620 .
3. الرسالة القشيرية 214:213/1 .

راجعة لحال المعظم فهى حالة للقلب عند تجلى جمال الحضرة الإلهية عليه [1] .

ويذكر عبد الرزاق الكاشانى أن الهيبة والأنس ، حالتان شبيهتان بالقبض والبسط ، يعرضان للنفس باعتبار ما يعتريها ، عند ملاحظتها للجنبة العالية فإن لها نسبتين [2] :

إحداها : نسبتها بحسب قياس اشتغالها بعلو تلك الجنبة ، فإنه لا ترى نفسها أهلا للحظوة بتلك الجنبة ، لعلمها بأن العالى لا يتساهله ، إلا من يكون كذلك ، وتعرض لها حالة ، المسماة بالهيبة ، فإن من لا ترى نفسك أهلا للقرب منه ولا للانتساب إليه فإنك تهابه لا محالة .

وثانيها : حالة النفس بحسب ما يعرض لها عند ملاحظتها للإمداد الواصل إليها من حضرة الجواد بصنوف النعم والهبات ، الموجبة للأنس بالمنعم ، كيف وهو المنعم بالوجود بعد العدم ، وبالصحة بعد السقم وبالعلم بعد الجهل ، وبالإيمان بعد الكفر ، وبالأمن بعد الخوف ولا شك أن ملاحظة الموهوب لصنوف ما أنعم عليه الواهب من هذه الهبات ، يوجب له الأنس بالواهب لا محالة ، وقد تاه بعضهم فى مؤانسته لما عرض له من الفرق فى نعمته ، فقال : يحق لمثلى أن يتيه ، وكيف لا أتيه وقد أصبحت عبدا لمولاى .

---

1. انظر الفتوحات المكية 105/2 ، 450 .
2. لطائف الإعلام 374/2 .

****

120 ـ الـــــورع

****

الورع : لم يرد لفظه فى القرآن ، ولكنه ورد فى السنة على عـــدة معـــان متقاربة :

1- الورع الكف والامتناع ، فمن حديث عبد الرحمن بن عثمان التيمي τ قال : " كنا مع طلحة بن عبيد اللَّه ، ونحن حرم فأهدي له طير ، وطلحـــة راقد ، فمنا من أكل ، ومنا من تورع ، فلما استيقظ طلحة ، وفق من أكله وقال : أكلناه مع رسول اللَّه ε "[1] .

وعن وائل بن حجر τ ، قال : " جاء رجل من حضرموت ورجل مـــن كندة إلى النبي ε ، فقال الحضرمي : يا رسول اللَّه ، إن هذا قد غلبني علـــى أرض لي كانت لأبي ، فقال الكندي : هي أرضي في يدي أزرعها ، ليس له فيها حق ، فقال رسول اللَّه ε للحضرمي : ألك بينة ؟ قال : لا ، قال : فلك يمينه ، قال : يا رسول اللَّه إن الرجل فاجر ، لا يبالي على ما حلف عليـــه ، وليس يتورع من شيء ، فقال : ليس لك منه إلا ذلك ، فانطلق ليحلف ، فقال رسول اللَّه ε : لما أدبر أما لئن حلـــف علـــى مالـــه ليأكلـــه ظلمـــا

---

1. أخرجه مسلم فى كتاب الحج برقم (1197) 855/2 .

ليلقين اللَّه وهو عنه معرض " [1] .

2- التحرج بترك الريبة والشك خاصة ، كقول حسان بن أبي سنان τ : " ما رأيت شيئا أهون من الورع ، دع ما يريبك إلى ما لا يريبك " [2] .

وعن عائشة رضي اللَّه عنها ، حين قال لها أهل الإفك ما قالوا ، فبرأها اللَّه منه ، قالت : " وكان رسول اللَّه ε يسأل زينب بنت جحش عن أمري فقال : يا زينب ما علمت ؟ ، ما رأيت ؟ ، فقالت : يا رسول اللَّه أحمي سمعي وبصري ، واللَّه ما علمت عليها إلا خيرا ، قالت عائشة : وهي التي كانت تساميني ، فعصمها اللَّه بالورع " [3] .

3- المبالغة فى الاحتياط لأداء الأمر الملزم ، لما روى أن أبا هريرة τ قال له رسول اللَّه ε : " يا أبا هريرة كن ورعا تكن أعبد الناس " [4]

وتفسيره فى حديث النعمان بن بشير τ أن رسول اللَّه ε قال : " الحلال بين والحرام بين وبينهما مشبهات ، لا يعلمها كثير من الناس ، فمن اتقى المشبهات استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات ، كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه ، ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا إن حمى اللَّه في أرضه

---

1. أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان برقم (139) 123/1 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب البيوع ، باب تفسير المشبهات 343/4 .
3. أخرجه البخارى فى كتاب الشهادات برقم (2661) 319/5 .
4. أخرجه مسلم فى كتاب الحج برقم (1197) 855/2 .

محارمه ، ألا وإن في الجسد مضغة ، إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب " [1] .

الورع فى الاصطلاح الصوفى :

الورع فى الاصطلاح الصوفى ، هو الاحتراز عن كل ما فيه شوب انحراف شرعى ، أو شبهة مضرة معنوية فى كل ما يقوم بصورة الإنسان الحسية أو المعنوية ، والورع أول الزهد ويقتضى محاسبة النفس فى كل طرفة ، ويتضمن القناعة التى هى صورة التقوى [2] .

ويذكر الحارث المحاسبى (ت:243هـ) أن الورع ، وقوف القلب عند هجومه للفعل ، حتى يفرق بين الحق والباطل ، وإسقاط ما حاق فى القلب مع ترك ما اشتبه عليه ، وجميع الورع فى ترك ما يريبك إلى مالا يريبك والورع مشتق من الخوف ، كما تقول العرب راعنى فلان وروعنى ، خوفنى فلان ، وخفت من فلان ، فالورع مشتق من الخوف ، وعلامة الورع ترك حزازات القلوب فى باطنها ، والتفتيش عن مثاقيل الذر فى ظاهرها ، وإن من دقيق الورع وأعلاه ، ترك ما ليس به بأس ، مخافة أن يلحقه ما به البأس والذى يقوى الورع ويثبته ، علم مشاهدة القلب لسطوات الله عز وجل ونقمته ، والذى يشين الورع ويوهنه ؟ الرغبة فى الدنيا ، وكثرة الطمع فيها

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب البيوع ، باب تفسير المشبهات 343/4.
2. الرسالة القشيرية 317:315/1 وطبقات الصوفية ص110 .

ودوام الحرص عليها ، بجمع ما لا يضر فقده ، وآخر درجة من الـــورع أول درجة من الزهد [1] .

وروى عن يحى بن معاذ الرازى (ت:258هـــ) أنه قال : الورع الوقوف على حد العلم من غير تأويل ، كيف يكون زاهدا من لا ورع له ؟ ، تورع عما ليس لك ، ثم ازهد فيما لك ، من لم ينظر فى الدقيق من الـــورع ، لم يصل إلى الجليل من العطاء ، والورع على وجهين :

الوجه الأول : ورع فى الظاهر ، وهو أن لا يتحرك إلا لله تعالى .

الوجه الثانى : وورع فى الباطن وهو أن لا يدخل قلبك سوى الله تعالى [2] .

ويذكر لأبى سعيد الخراز (ت:279هـــ) أنه قال : (الورع أن تتبرأ مـــن مظالم الخلق من مثاقيل الذر ، حتى لا يكون لأحدهم قبلـــك مظلمـــة ، ولا دعوى ولا طلبة) [3] .

وروى عن رويم بن أحمد البغدادى (ت:303هـــ) أنه قال : (من حكم الحكيم ، أن يوسع على إخوانه فى الأحكام ، ويضيق على نفسه فيها ، فإن التوسعة عليهم اتباع العلم والتضييق على نفسه مـــن حكـــم الـــورع) [4]

---

1. الرسالة القشيرية 317:315/1 وطبقات الصوفية ص110 .
2. اللمع ص70 .
3. طبقات الصوفية ص181 .
4 . السابق ص193 .

وينسب لشاه الكرمانى (ت:قبل300هـ) : (علامة التقوى الورع وعلامة الورع ، الوقوف عند الشبهات ، وعلامة الخوف الحزن ، وعلامة الرجاء حسن الطاعة ، وعلامة الزهد قصر الأمل) [1] .

ويذكر السراج الطوسى أن أهل الورع على ثلاث طبقات :

(1- الطبقة الأولى : ورع العموم ، وهو التورع عن الشبهات ، التى اشتبهت عليه ، وهى ما بين الحرام البين والحلال البين ، وما لا يقع عليه اسم حلال مطلق ، ولا اسم حرام مطلق ، فيكون بين ذلك فيتورع عنهما .

(2- الطبقة التانية : ورع الخصوص ، وهو التورع عما يقف عنه قلبه ويحيك فى صدره عند تناولها ، وهذا لا يعرفه إلا أرباب القلوب والمتحققون ، وهو كما روى عن النبى ε أنه قال : " الإثم ما حاك فى صدرك " [2] .

(3-الطبقة الثالثة : ورع خصوص الخصوص ، وهم العارفون والواجدون يتورعون ألا تتشتت قلبوهم عن الله عز وجل طرفة عين [3] .

---

1. السابق ص280 .
2. الحديث أخرجه مسلم فى كتاب البر والصلة برقم (2553) 1980/4عن النواس بن سمعان الأنصاري ، قال : سألت رسول الله ε عن البر والإثم ؟ فقال : البر حسن الخلق ، والإثم ما حاك في صدرك ، وكرهت أن يطلع عليه الناس .
3. اللمع ص71:70 .

****

121 ـ الوفـاء بالعهـــــد

****

الوفاء بالعهد : الوافى الذى بلغ التمام ، ويقال : وفى بعهده إذا تم العهد ولم ينقص حفظه ، وقد أمر اللَّه به ، فقال تعالى : { وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّــهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ } [النحل/91] وقوله : { بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ } [آل عمران/76] ، وتوفية الشئ بذله وافيا ، واستيفاؤه تناوله وافيا قال تعالى : { فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَــا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ } [آل عمران/25] [1] .

وقال هرقل ملك الروم يسأل أبا سفيان τ ، عن رسول اللَّه ε : " فمـــاذا يأمركم به ؟ ، قال : يأمرنا أن نعبد اللَّه وحده لا نشرك به شيئا ، وينـــهانا عما كان يعبد آباؤنا ، ويأمرنا بالصلاة والصدقة والعفاف ، والوفاء بالعهد وأداء الأمانة " [2] .

وعن ابن عباس رضي اللَّه عنهما " أن امرأة من جهينة ، جاءت إلى النبي ε فقالت : إن أمي نذرت أن تحج ، فلم تحج حتى ماتت ، أفأحج عنها ؟ قال : نعم ، حجي عنها ، أرأيت لو كان على أمك دين ، أكنـــت قاضـــية ؟

1. كتاب العين 409/8 ، والمغب للمطرزى 304/1 ، والمفردات ص528 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب الجهاد برقم (2941) 128/6.

اقضوا اللّه ، فاللّه أحق بالوفاء " [1] .

الوفاء بالعهد فى الاصطلاح الصوفى : الوفاء بالعهد فى اصطلاح الصوفية يرد على معنيين :

1- وفاء العامة ، وهو الذى يتوافق مع الأصول القرآنية ، ومنه ما ينسب لمعروف الكرخى (ت:200هـ) أنه قال : (حقيقة الوفاء ، إفاقة السر عن رقدة الغفلات ، وفراغ الهم عن فضول الآفات) [2] .

وينسب لأبى بكر الشبلى (ت:334هـ) أنه قال : (الوفاء هو الأخلاص بالنطق واستغراق السرائر بالصدق) [3] ، ويعرفه الكاشانى بقوله : (وفاء العامة هو إجراء ما قيل فى يوم الميثاق للمتعهد من عهود الإيمان والطاعة رغبة
فى الجنة ورهبة من النار) [4] .

2- وفاء الخاصة وهو الوقوف على الأمر الإلهى لأجل الأمر ، وليس

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب الحج برقم (1852) 4/ 77.
2. طبقات الصوفية ص88 .
3. السابق ص339 .
4. معجم اصطلاحات الصوفية للكاشانى ص31 ، وانظر المزيد عن الأصول القرآنية لمصطلح الوفاء بالعهد ، رسالة دكتوراه بعنوان الوفاء بالعهد فى القرآن الكريم

إعداد حسنى أمين مصرى ، مخطوط بمكتبة كلية أصول الـدين جامعـة الأزهـر الشريف سنة 1981م ص 23 وما بعدها .

بسبب الرغبة أو الرهبة أو العوض والأجر فى الدنيا والآخرة ، فيعبده علـى التبرؤ من الحول والقوة ، وصون القلب عن الاتساع لغير المحبوب ، وذلـك هو وفاء الخاصة بعهدة ، ما قيل عند الإقرار بالربوبية ، بقول العبـد بلـى حيث قال تعالى : { أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا } [الأعراف/172] (1) .

ومعلوم أن طلب الأجر لا ينافى الوفاء بالعهد ، ولا يؤثر فى نقص الإيمان كما تقدم ذلك بوضوح ، فهذا المعنى الصوفى ، محدث لا دليل عليه ، وفيـه انتقاص لمنهج النبوة .

****

122ـ الـــولى

****

الولى : الولاية تولى الأمر ومباشرته ، كقوله تعالى : { فَإِنْ كَانَ الَّـذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ } [البقرة/282] .

وعن أبي هريرة τ ، قال رسول اللَّه ε: " إِذَا صَنَعَ لأَحَـدِكُمْ خَادِمُـهُ طَعَامَهُ ، ثُمَّ جَاءَهُ بِهِ ، وَقَدْ وَلِيَ حَرَّهُ وَدُخَانَهُ ، فَلْيُقْعِدْهُ مَعَهُ فَلْيَأْكُلْ فَـإِنْ كَانَ الطَّعَامُ مَشْفُوهًا قَلِيلا ، فَلْيَضَعْ فِي يَدِهِ مِنْهُ أُكْلَةً أَوْ أُكْلَتَيْنِ " (2) .

1. لطائف الإعلام 2/ 292 : 394.
2. أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان برقم (1663) 1284/3.

والولاية على وجهين [1] :

الوجه الأول : ولاية اللَّه للمؤمنين ، وهى ولاية حفظ وتدبير ، سوا كان تدبيرا كونيا أو شرعيا ، كقوله تعالى : { وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنْ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا } [النساء/75] ، وقوله : { اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمْ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنْ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ } [البقرة/257] .

وعن أبي هريرة τ ، قال رسول اللَّه ε : " إن اللَّه قال : من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته " [2] .

الوجه الثانى : ولاية المؤمنين لربهم ، وهى ولاية حفظ لحدوده وتوحيده كقوله تعالى : { قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلا يُطْعَمُ } [الأنعام/14] .

1. المفردات ص533:534 ، ولسان العرب 406/15 .

2. أخرجه البخارى فى كتاب الرقاق برقم (6502) 348/11.

وقوله تعالى أيضا فى التحذير من ولاية الأعداء : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ } [الممتحنة/1] وقال سبحانه : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنْ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ } [التوبة/23] .

وعن أبى مالك الأشعري τ ، قال ε : " يا أيها الناس اسمعوا ، واعقلوا واعلموا أن لله عز وجل عبادا ، ليسوا بأنبياء ولا شهداء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء على مجالسهم وقربهم من اللَّه ، فجاء رجل من الأعراب من قاصية الناس ، وألوى بيده إلى نبي اللَّه ε ، فقال : يا نبي اللَّه ناس من الناس ليسوا بأنبياء ولا شهداء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء على مجالسهم وقربهم من اللَّه انعتهم لنا يعني صفهم لنا ، فسر وجه رسول اللَّه ε لسؤال الأعرابي فقال : رسول اللَّه ε هم ناس من أفناء الناس ، ونوازع القبائل ، لم تصل بينهم أرحام متقاربة ، تحابوا في اللَّه وتصافوا ، يضع اللَّه لهم يوم القيامة منابر من نور فيجلسهم عليها ، فيجعل وجوههم نورا ، وثيابهم نورا ، يفزع الناس يوم القيامة ولا يفزعون ، وهم أولياء اللَّه ، الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون " [(1)] .

والولى يراد به عدة معان حسب الإضافة منها :

1. حسن الإسناد ، أخرجه أحمد فى المسند برقم (22399) وأخرجه أبــو داود فى كتاب الصلاة برقم (677) .

1- أولياء الوراثة ، كقول الله تعالى : { وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَــرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا } [النســاء/33] ، وعن ابن عباس رضي اللَّه عنهما ، أن النبي ε قال : " ألحقوا الفرائض بأهلها ، فما بقي فهو لأولى رجل ذكر " [1] .

2- الولى المعتق صاحب الولاء لما روى عن عائشة رضي اللَّه عنها : " أنها أرادت أن تشتري بريرة للعتق ، وأراد مواليها أن يشترطوا ولاءها ، فــذكرت عائشة للنبي ε ، فقال لها النبي ε : اشتريها ، فإنما الولاء لمن أعتق " [2] .

3- الولى من ولاية العصبة ، فعن أبي هريرة ، قال رسول اللَّه ε : " أنــا أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فَمَنْ مَاتَ وَتَرَكَ مَالا فَمَالُهُ لِمَــوَالِي الْعَصَــبَةِ وَمَنْ تَرَكَ كَلا أَوْ ضَيَاعًا فَأَنَا وَلِيُّهُ ، فَلأُدْعَى لَهُ الْكَلُّ الْعِيَالُ " [3] ، وعــن عائشة رضي اللَّه عنها ، أن رسول اللَّه ε قال : " من مات وعليه صيام صام عنه وليه " [4] .

4- الولى ولى في الدين ، كقول الله تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَنَصَــرُوا أُوْلَئِــكَ

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب الفرائض برقم (6732) 12./12

2. أخرجه البخارى فى كتاب الزكاة برقم (1493) 416./3

3. أخرجه البخارى فى كتاب الفرائض برقم (6745) 12/.28.

4. أخرجه البخارى فى كتاب الصوم برقم (1952) 4/26.

بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ } [الأنفال/72] ، وعن جرير بن عبد اللَّه τ ، أن النبي ε قال : " الطلقاء من قريش ، والعتقاء من ثقيف ، بعضهم أولياء بعض في الدنيا والآخرة ، والمهاجرون والأنصار ، بعضهم أولياء بعض في الدنيا والآخرة " [1] .

5- الولى من الولاء ، لأعداء اللَّه كالشياطين والكهنة قال تعالى : { إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ } [الأعراف/30] وعن عائشة رضي اللَّه عنها ، قالت : " سأل رسول اللَّه ε ناس عن الكهان ؟ فقال : ليس بشيء ، فقالوا : يا رسول اللَّه : إنهم يحدثونا أحيانا بشيء فيكون حقا ، فقال رسول اللَّه ε : تلك الكلمة من الحق ، يخطفها من الجني ، فيقرها في أذن وليه فيخلطون ، معها مائة كذبة " [2] .

الولى فى الاصطلاح الصوفى :

الولى فى الاصطلاح الصوفى ، هو من توالت طاعاته من غير تخلل معصية ومن تولى الحق حفظه وحواسه على الدوام ، بتوفيقه وتمكينه وإقداره على فنون الطاعات وكرائم الإحسان [3] .

---

1. صحيح الإسناد ، أخرجه أحمد (18733) من طريق عبد الرحمن بن هلال .

2. أخرجه البخارى فى كتاب الطب برقم (5762) 10/.227.

3. معجم اصطلاحات الصوفية ص33 ، وتجدر الإشارة إلى ما ذكرته الدكتورة سعاد حكيم فى أن صورة الولاية ، نشأت فى المجتمع الإسلامى الأول متمثلة فى =

روى عن أبى يزيد البسطامى (ت: 261هـ) أنه سئل من هو الولى ؟ فقال : الولى هو الصابر تحت الأمر والنهى ، لأن الإنسان كلما أحب الله

= الأحاديث الشريفة التى وصلتنا ، والمتضمنة مظاهر القرب الإلهى لبعض الصحابة من نصرة ورضى وخرق عادة ، ولم يهتم الأوائل فى صدر الإسلام بربط هذه المظاهر بمفهوم الولاية ، بل كانت تظهر تلقائيا دون طلب منهم ، وينحصر دورهم فى التنبه إليها وتناقلها ، وبدايات التنظير لمرتبة الولاية ظهرت مع الفكر الشيعى فى شخص الإمام ، فالإمامة أبرزت أنماط خاصة من الأشخاص ، وجدت لها صدى مع تفتح الفكر الصوفى ، مما دعا الكثير من المفكرين إلى الاهتمام ، بأوجه الشبه والعلاقة بين التصوف والتشيع فى الولاية والإمامة ، وبدأت فكرة الولاية مع متصوفة القرنين الثانى والثالث ا لهجريين تتلمس طريقها إلى الظهور مع الفضيل بن عياض (ت187هـ) ومعروف الكرخى (ت:200هـ) ، و الجنيد (ت297هـ) و المحاسبى (ت:243هـ) ، وذى النون المصرى (ت:245هـ) ، والبسطامى (ت:261هـ) ولم تتأكد إلا فى جرأة حكيم ترمذ ، الذى جعلها محور فلسفته الصوفية ، وقطب معظم إنتاجه ، وكان ذلك ظاهرا حتى فى أسماء كتبه ، أمثال علم الأولياء ، وختم الأولياء ، وسيرة الأولياء ، وهذا الاهتمام من الترمذى بالولاية ، أدى به فى النهاية إلى أن تصوفه بكامله ، ليس سوى نظرية متكاملة فى الولاية ، ومع ظهور السلوك الصوفى ، والتسليك بعد القرن الثالث الهجرى أخذت الولاية أهمية خاصة من حيث أنها أضحت الهدف المعلن وغير المعلن

لسلوك السالكين ، وهكذا وصلت الولاية إلى ابن عربى ، مثقلة بتـــأثير القـــرآن والحديث والإمامة الشيعية ، والتصوف النظرى والسلوكى وطرق علم الكـــلام ، انظر المعجم الصوفى ص1233 بتصرف ، وانظر المزيـــد فى الصـــلة بـــين التصوف والتشيع =

ازداد قلبه احتراما لأوامره ، وابتعد بجسمه عما حرمه) [1] ، وروى عنه أيضـــا أنه قال : (أخبرت أن وليا من أولياء الله تعالى موجود فى بلدة كذا فهاجرت إليه ، فلما وصلت إلى مسجده ، رأيته وقد خرج من مجلسه ، فبصق علـــى أرض المسجد ، فالتفت عنه بدون أن أسلم عليه ، وقلت فى نفســـى الـــولى يلزمه أن يحفظ حدود الله تعالى ، حتى يحفظه الله تعالى ، فلو كان هذا الرجل وليا لمنعه احترامه لأمر الله تعالى من البصق على أرض المســـجد ، أو علـــى الأقل أن يحفظه الله تعالى من أن تنسب إليه هذه المعصية) [2] .

ويذكر لأبى سعيد الخراز (ت:279هـــ) أنه قال : (إذا أراد الله تعالى أن يوالى عبدا من عبيده ، فتح عليه باب القرب ثم رفعه إلى مجالس الأنس به ، ثم أجلسه على كرسى التوحيد ، ثم رفع عنه الحجب ، وأدخله دار الفردانيـــة وكشف له عن الجلال والعظمة ، فإذ وقع بصره على الجلال والعظمة ، بقى بلا هو ، فحينئذ صار العبد زمنا فانيا ، فوقع فى حفظه سبحانه ، وبرئ من دعاوى نفسه) [3] .

= للدكتور كامل الشيبى وله أيضا الفكر الشيعى والنزعات الصوفية ، وانظر أيضا بين التصوف والتشيع إعداد هاشم معروف الحسنى ، والحكيم الترمذى ونظريته فى الولاية ص58 وما بعدها ، والصوفية فى الإسلام لنيكلسون ص120.

1. كشف المحجوب ص262 .

2. السابق ص262 . 3. الرسالة القشيرية 2/524، 525 .

ويقسم الحكيم الترمذى (ت:320هـ) الولاية إلى نوعين [1] :

النوع الأول : ولاية العموم ويسميها ولاية حق الله ، وهى لرجل أفاق من سكرته فتاب إلى الله تعالى ، وعزم على الوفاء لله تعالى بتلك التوبة ، فنظر إلى ما يراد له فى القيام بهذا الوفاء ، فإذا هى حراسة هذه الجوارح السبع لسانه وسمعه وبصره ويده ورجله وبطنه وفرجه ، فصرفها من باله ، وجمع فكرته وهمته فى هذه الحراسة ولها عن كل شئ سواها حتى استقام ، فهو رجل مؤدى الفرائض حافظ للحدود ، لا يشتغل بشئ غير ذلك ، يحرس هذه الجوارح حتى لا ينقطع الوفاء لله تعالى بما عزم عليه ، فسكنت نفسه وهدأت جوارحه .

النوع الثانى : ولاية الخصوص وهى لهؤلاء المجذوبين ، الذين جذبهم الله إليه عن طريقه ، فيتولى اصطفاءهم وتربيتهم حتى يصفى نفوسهم الترابية بأنواره كما يصفى جوهر المعدن بالنار ، حتى نزول ترابيته ، وتبقى النفس صافية وتمتد تلك التصفية حتى إذا بلغوا الغاية من الصفاء ، أوصلهم إلى أعلى المنازل وكشف لهم الغطاء عن المحل ، وأهدى إليهم عجائب من كلماته وعلومه

وإنما يمتد ذلك لأن القلوب ، والنفوس لا تحتمل مرة واحدة كل ذلك ، فلا يزال يلطف بهم حتى يعودهم احتمال تلك الأهوال التى تستقبلهم من ملكه .

وقال الكلاباذى (ت:380هـ) : (الولاية ولايتان ، ولاية تخرج من

1. كتاب ختم الأولياء ص118 ، ص 409 .

العداوة ، وهى لعامة المؤمنين ، فهذه لا توجب معرفتها ، والتحقق بها للأعيان ، لكن من جهة العموم ، فيقال : المؤمن ولى الله ، وولاية اختصاص واصطفاء واصطناع وهذه توجب معرفتها والتحققق بها ، ويكون صاحبها محفوظا عن النظر إلى نفسه ، فلا يدخله عجب ، ويكون مسلوبا من الخلق بمعنى النظر إليهم بحظ ، فلا يفتنونه ويكون محفوظا عن آفات البشرية ، وإن كان طبع البشرية قائما معه باقيا فيه ، فلا يستحلى حظا من حظوظ النفس استحلاء يفتنه فى دينه ، واستحلاء الطبع قائم فيه ، وهذه هى خصوص الولاية من الله للعبد) [1] .

ويذكر الهجويرى (ت:465هـ) أن لفظ ولى شائع بين العامة ، وهو موجود فى القرآن الشريف وأحاديث الرسول ε ، قال الله تعالى : { أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ } [يونس/62] ، وقال فى موضع آخر : { نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } [فصلت/31] ، وقال رسول الله ε : " إن من عباد الله لعبادا يغبطهم الأنبياء والشهداء ، قيل : من هم يارسول الله ؟ صفهم لنا لعلنا نحبهم ؟ قال : قوم تحابوا بروح الله من غير أموال ولا

أنساب ، وجوههم نور على منابر من نور ، لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس ، ثم تلا الآية : { أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ } [يونس/62] " .

---

1. التعرف لمذهب أهل التصوف ص74 .

وقد قال رسول الله ε : " إن الله تعالى قال : من آذى لى وليا فقد استحل محاربتى " ، هذه الآيات الشريفة والأحاديث النبوية ، تدلك على أن لله تعالى أولياء اختصهم بمحبته ، وانتخبهم لأن يكونوا خلفاء منه فى ملكه وأظهرهم ليظهر لك عجائب قدرته، وأكرمهم بمختلف الكرامات ، وخلصهم من طبائع نفوسهم ، ونجاهم من إطاعة هوى أنفسهم ، حتى صارت كل أفكارهم مشتغلة به سبحانه وتعالى وعلاقاتهم معه لا غير [1] .

ويقول أبو القاسم القشيرى (ت:465هـ) : (الولى له معنيان : أحدهما فعيل بمعنى مفعول ، وهو من يتولى الله سبحانه أمره ، قال الله تعالى : { وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ } [الأعراف/196] فلا يكله إلى نفسه لحظة ، بل يتولى الحق سبحانه رعايته ، والثانى فعيل مبالغة من الفاعل ، وهو الذى يتولى عبادة الله وطاعته ، فعبادته تجرى على التوالى من غير أن يتخللها عصيان ، وكلا الوصفين واجب حتى يكون الولى وليا) [2] .

أما الولاية فى مفهوم ابن عربى فهى مغلفة بفلسفته فى وحدة الوجود حيث يعتبرها مرتبة من مراتب القرب الإلهى ، يتولى فيها الحق عبده ، والعبد ربه

فالولاية مشتركة بين الله وبين المؤمنين ، يقول ابن عربى : (فولاية العبد ربه

1. كشف المحجوب ص256 ورواية الحديث الأول والثانى يدل على سوء حفظ الهجويرى للسنة ، قارن اللفظ الصحيح ص924 .
2. الرسالة القشيرية 520/2 .

وولاية الرب عبده فى قوله : { إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ } [محمد/7] ، وبين الولايتين فرق دقيق ، فجعل تعالى نصره جزاء ، وجعل مرتبة الإنشاء إليك كما قدمك فى العلم بك على العلم به ، وذلك لتعلم من أين علمك ؟ فتعلم علمه بك .. فالولاية مشتركة بين الله وبين المؤمنين ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل) [1] .

1. الفتوحات 147/4 وما بعدها وانظر أيضا للتوسع : أجوبة ابن عربى على أسئلة الحكيم الترمذى ختم الأولياء من ص40 إلى ص448 ، والولاية عند محى الدين بن عربى ، للدكتور عبد الحميد مدكور ، رسالة دكتوراه ، مخطوط بمكتبة كلية دار العلوم جامعة القاهرة برقم (806) سنة 1980م ، والإنسان الكامل عند محى الدين بن عربى ، إعداد هالة أحمد فؤاد مصطفى ، رسالة ماجستير ، مخطوط بمكتبة كلية الآداب ، جامعة القاهرة سنة 1990م ، ومشكلة الذات والصفات عند محى الدين بن عربى ، إعداد إسماعيل منصور جوده ، رسالة ماجستير مخطوط

بمكتبة كلية الآداب ، جامعة القاهرة سنة 1990م ، ولطائف الإعــلام ص397 وما بعدها ، وانظر أيضا :

1- Affifi (Dr . A .) : The Mystical Philosophy of Muhyid - Din Ibn Arabi , cambridge 1939 .

****

123ـ اليقظـــــة

****

اليقظة : اليقظة الانتباه والحذر ، وضدها الغفلة والرقود ، قال تعالى : { وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْـيَمِينِ وَذَاتَ الشِّـمَالِ } [الكهف/18] وعن عوف بن مالك τ ، أ ن رسول اللَّه ε قال : " إن الرؤيــا ثلاث منها أهاويل من الشيطان ليحزن بها ابن آدم ، ومنها ما يهم به الرجل في يقظته ، فيراه في منامه ، ومنها جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة " (1) واليقظة نوعان :

[1]- يقظة البدن بأوصافه كالسمع والبصر وسائر الحواس ، فعن أبي قتادة τ ، قال : " ذكروا للنبي ε نومهم عن الصلاة ، فقال : إنه ليس في النــوم تفريط ، إنما التفريط في اليقظة ، فإذا نسي أحدكم صــلاة أو نــام عنــها فليصلها إذا ذكرها " (2) وعن يزيد الفارسي τ قال : " رأيت رسول اللَّه ε

في النوم زمن ابن عباس ، فقلت لابن عباس τ : إني رأيـــت رســـول اللّـــه

---

1. أخرجه ابن ماجة فى كتاب تعبير الرؤيا برقم (3907) وقال الشيخ الألبـــانى : صحيح 1285/2 .

2. أخرجه النسائى فى كتاب المواقيت (615) 294/1 والترمذى فى كتاب الصلاة برقم (177) وقال : حديث حسن صحيح ، ومسلم برقم (2261) 1771/4.

ε في النوم ، قال ابن عباس τ : فإن رسول اللّه كان يقول : إن الشيطان لا يستطيع أن يتشبه بي ، فمن رآني في النوم فقد رآني ، فهل تستطيع أن تنعت لنا هذا الرجل الذي رأيت ؟ ، قلت : نعم رأيت رجلا بين الرجلين جسمه ولحمه أسمر إلى البياض حسن المضحك أكحل العينين ، جميل دوائر الوجه ، قد ملأت لحيته من هذه إلى هذه حتى كادت تملأ نحره ، فقال ابن عباس : لو رأيته في اليقظة ، ما استطعت أن تنعته فوق هذا) [1] .

وعن أبى هريرة τ ، قال سمعت النبي ε يقول : " من رآني في المنام فسيراني في اليقظة ، أو لكأنما رآني في اليقظة ، لا يتمثل الشيطان بي " [2] .

[2]- يقظة البصيرة وحياة القلب ، لما روى عن جابر بن عبد اللّه τ قال : " جاءت ملائكة إلى النبي ε وهو نائم ، فقال بعضهم : إنه نـــائم وقـــال بعضهم : إن العين نائمة والقلب يقظان ، فقالوا : إن لصاحبكم هذا مـــثلا فاضربوا له مثلا ، فقال بعضهم : إنه نائم ، وقال بعضهم : إن العين نائمة ، والقلب يقظان ، فقالوا : مثله كمثل رجل بنى دارا ، وجعل فيهـــا مأدبـــة

وبعث داعيا ، فمن أجاب الداعي ، دخل الدار وأكل من المأدبة ، ومن

---

1. صحيح بمعناه ، أخرجه أحمد فى المسند (3400) واللفظ له ، وفيه يزيد بن الفارس وهو مقبول ، وأخرجه مسلم بمعناه فى كتاب الرؤيا برقم (2266) 1775/4 .

2. أخرجه البخارى فى كتاب التعبير برقم (6993) 399/12 ، ومسلم فى كتاب الرؤيا برقم (2266) واللفظ له

لم يجب الداعي ، لم يدخل الدار و لم يأكل من المأدبة ، فقالوا : أولوها له يفقهها ، فقال بعضهم : إنه نائم ، وقال بعضهم : إن العين نائمة والقلب يقظان ، فقالوا : فالدار الجنة ، والداعي محمد ε ، فمن أطاع محمدا ε فقد أطاع اللَّه ، ومن عصى محمدا ε ، فقد عصى اللَّه ، ومحمد ε فرق بين الناس " [1] .

اليقظة فى الاصطلاح الصوفى :

اليقظة فى الاصطلاح الصوفى ، الانتباه من سنة الغفلة ، والنهوض عن ورطة الفترة ، اعتبارا بأهل البلاء ، قال الحارث المحاسبى (ت:243هـ) : (الزم الأدب ، وفارق الهوى والغضب ، واعمل فى أسباب التيقظ واتخذ الرفق حزبا ، والتأنى صاحبا ، والسلامة كهفا ، والفراغ غنيمة ، والدنيا مطية والآخرة مترلا) [2] .

وقال أبو اسماعيل الأنصارى الهروى (ت:481هـ) : (قال تعالى : { قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا } [سبأ/46] القومة لله تعالى هى اليقظة من سنة الغفلة ، والنهوض عن ورطة الفترة وهى أول ما يستنير قلب العبد بالحياة ، لرؤية نور التنبيه ، واليقظة على ثلاثة أقسام [3] :

1. أخرجه البخارى فى كتاب الاعتصام برقم (7281) 263/13 .
2. رسالة المسترشدين ص79:80 . 3. منازل السائرين ص252Ƴ253 .

1- نظر القلب إلى نعم الله تعالى ، التى لا يستطيع القلب ، أن يحصيها ويعجز عن أن يقوم بحق شكرها .
2- مطالعة الجناية بأن ينظر إلى الخطر فيها ، ويتوجه إلى التخلص من ربقتها ويحاول طلب النجاة وإصلاح الأعمال .
3- الانتباه لمعرفة الزيادة والنقصان فى أحواله ، فإن رأى نقصا ، بادر إلى الإصلاح ، وإن رأى صلاحا وزيادة انتهضت نفسه لما رأى من علامات الفلاح فى تدارك ما فات منها بأفعال محمودة عوضا عما فات .

ويذكر ابن عربى (ت:638هـ) أن اليقظة هى الفهم عن الله فى زجره [1]
وقال عبد الكريم الكاشانى (ت:735هـ) : (اليقظة هى التنبه عن سنة

الغفلة ، والقومة لله تعالى ، والتيقظ فى التحرز عن دواهى الشيطان والتحفظ عن التخيلات الموجبة للخذلان ، وعن رعونات النفس كالإعجاب بأعمالها ومداخلة الرياء والنفاق فى أعمالها ، وتسويل النفس لصاحبها رؤية العمل وتزينها ، واستحقاق الأجر والثواب بسببه ، وأن يحيا بالحياة القلبية الذاتية المنافية للنوم والموت ، الموجبة لدوام المراقبة والحضور مع الله ، والسعى فى القوت ، وتنور البصيرة بنور القدس ، والتيقظ بها عن التلف إلى جانب البدن وعالم الرجس ، وأن يكون يقظان بالحق فى المشاهدة ، متحرزا عن التلوين بالنظر إلى المغايرة) [2] .

---

1. اصطلاحات الصوفية لابن عربى ص17 .
2. معجم اصطلاحات الصوفية ص190:192 .

****

124 ـ اليقين

****

اليقين : اليقين هو التثبت ، وامتلاء القلب بالتصديق الجازم ، وسكون الفهم مع ثبات الحكم [1] ، كما قال تعالى : { وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ } [البقرة/4] ، وقال سبحانه فى نفى اليقين : { أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لا يُوقِنُونَ } [الطور/36:35] .

ومما ورد فى السنة ، قول أبو سفيان بن حرب τ ، بعد أن سأله هرقل عن وصف النبى ε : " فقلت لأصحابي حين أخرجنا : لقد أمر أمر ابن أبي كبشة ، إنه يخافه ملك بني الأصفر ، فما زلت موقنا أنه سيظهر حتى أدخل اللَّه علي الإسلام " [2] ، وقال أبو بكر τ : " قام فينا رسول اللَّه ε فقال : يا أيهـــا الناس سلوا اللَّه المعافاة ، فإنه لم يؤت أحد مثل يقين بعد معافاة ولا أشد من ريبة بعد كفر " [3] .

---

1. لسان العرب 457/13 ، والمفردات ص552 ، وكتاب العين 220/5 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب بدء الوحى برقم (7) 42/1 .
3. أخرجه أحمد فى المسند برقم (45) واللفظ له ، وأخرجه الترمذى فى كتـــاب الدعوات برقم (3558)557/5 ، وقال الألبانى : حسن صحيح 9/1 .

ومن حديث أبى هريرة τ قال : " قال عمر بن الخطاب τ : يا رسول اللَّه بأبي أنت وأمي ، أبعثت أبا هريرة بنعليك من لقي يشهد أن لا إله إلا اللَّـــه مستيقنا بها قلبه بشره بالجنة ؟ ، قال : نعم قال : فلا تفعل ، فإني أخشى أن يتكل الناس عليها فخلهم يعملون قال رسول اللَّه ε : فخلهم " [1] .

واليقين يضاده ثلاثة أشياء ، على اعتبار نسبة التثبت من الأمر :

أ- اليقين يضاد الوهم ، قال يحيى بن عبد اللَّه الجابر τ : " صليت خلف عيسى مولى لحذيفة بالمدائن على جنازة ، فكبر خمسا ، ثم التفت إلينا فقال : ما وهمت ولانسيت ، ولكن كبرت كما كبر مولاي وولي نعمتي حذيفة بن

اليمان ، صلى على جنازة وكبر خمسا ، ثم التفت إلينا فقال : ما نسيت ولا وهمت ، ولكن كبرت كما كبر رسول اللَّه ε ، صلى على جنازة فكبر خمسا " [2] ، والمعنى أنه على يقين من فعله ، وعن مالك بن بحينة τ : " أن رسول اللَّه ε قام في الركعتين من الظهر أو العصر ، فلم يرجع حتى فرغ من صلاته ، ثم سجد سجدتي الوهم ثم سلم " [3] ، يقصد سجدتى السهو عند عـــدم اليقين .

---

1. أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان برقم (31) .
2. أخرجه أحمد فى المسند (22938) وفيه يحيى بن عبد ا لله الحارث هو ضغيف .
3. أخرجه الدارمى فى سننه برقم (1500) واللفظ له ، والبخارى فى كتاب الأذان برقم (829) .

وعن سليمان اليشكري عن أبي سعيد الخدري τ أَنَّهُ قَـــالَ فِـــي الْـــوَهْمِ يُتَوَخَّى : قَالَ لَهُ رَجُلٌ : عَنِ النَّبِيِّ ε قَالَ : فِيمَا أَعْلَمُ " [1] .

ب- اليقين ضد الشك ، لما روى عن أبي سعيد الخدري τ ، عن النبي ε قال : " إذا شك أحدكم في صلاته ، فليلغ الشك وليبن على اليقين فإذا استيقن بالتمام ، فليسجد سجدتين وهو قاعد ، فإن كان صلى خمسا شفعتا له صلاته ، وإن صلى أربعا كانتا ترغيما للشيطان " [2] .

وعن أبي هريرة τ ، أن رسول اللَّه ε قال : " إذا كان أحدكم في المسجد فوجد ريحا بين أليتيه فلا يخرج حتى يسمع صوتا أو يجد ريحا " قال عبد اللَّه

بن المبارك فى معنى الحديث : إذا شك في الحدث فإنه لا يجب عليه الوضـــوء حتى يستيقن استيقانا يقدر أن يحلف عليه (3) .

ج- اليقين ضد الظن ، كقول الله تعالى : { وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَـــقٌّ وَالسَّاعَةُ لا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلا ظَنًّا وَمَا نَحْـــنُ

1. صحيح الإسناد ، أخرجه أحمد فى المسند برقم (10956) من طرق أبى محمد عمر بن دينار الأثرم .
2. أخرجه مسلم فى كتاب المساجد برقم (571) 401/1 والنسائى فى كتاب السهو برقم (1238) 27/3 واللفظ له .
3. أخرجه الترمذى فى كتاب الطهارة برقم (75) ، وقال الشيخ الألبانى : صحيح 109/1 ، ومسلم برقم (361) 276/1 ، وأبوداود برقم (177) 45/1 .

بِمُسْتَيْقِنِينَ } [الجاثية/32] ، وقوله عز وجل : { مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا } [النساء/157] أى ما قتلوه قتلا تيقنوه ، بل إنما حكموا تخمينا ووهما .

وعن عروة بن الزبير ، عن عائشة رضي اللَّه عنها ، قالت له وهو يسألها عن قول اللَّه تعالى : { حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُـــذِبُوا } [يوسف/110] قَالَ : قُلْتُ أَكُذِبُوا أَمْ كُذِّبُوا ؟ قَالَتْ : عَائِشَةُ رضي اللَّه عنها كُذِّبُوا ، قُلْتُ : فَقَدِ اسْتَيْقَنُوا أَنَّ قَوْمَهُمْ كَذَّبُوهُمْ ، فَمَا هُوَ بِالظَّنِّ ، قَالَتْ : أَجَلْ لَعَمْرِي لَقَدِ اسْتَيْقَنُوا بِذَلِكَ ، فَقُلْتُ لَهَا : وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُـــذِبُوا ؟

قَالَتْ : مَعَاذَ اللَّه ، لَمْ تَكُنِ الرُّسُلُ تَظُنُّ ذَلِكَ بِرَبِّهَا ، قُلْتُ : فَمَا هَذِهِ الآيَةُ ؟ ، قَالَتْ : هُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ الَّذِينَ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَصَدَّقُوهُمْ ، فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْبَلاءُ ، وَاسْتَأْخَرَ عَنْهُمُ النَّصْرُ ، حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ ، مِمَّنْ كَذَّبَهُمْ مِنْ قَوْمِهِمْ ، وَظَنَّتِ الرُّسُلُ أَنَّ أَتْبَاعَهُمْ قَدْ كَذَّبُوهُمْ جَاءَهُمْ نَصْرُ اللَّه عِنْدَ ذَلِكَ " [1] .

وهناك بعض المعانى المتعلقة باليقين منها :

(1- قد يطلق على الظن اليقين ، على اعتبار أن التثبت يزداد شيئا فشيئا حتى يصل إلى منتهاه ، كقول اللَّه تعالى : { كَلا إِذَا بَلَغَتْ التَّرَاقِي وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ } [القيامة/28:26] وقوله سبحانه : { وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلا عَلَى الْخَاشِعِينَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ } [البقرة/46:45] ، وعن عائشة رضي اللَّه عنها ، قالت : " كان رسول اللَّه ε إذا اغتسل من الجنابة ، غسل يديه وتوضأ وضوءه للصلاة ثم اغتسل ، ثم يخلل بيده شعره ، حتى إذا ظن أنه قد أروى بشرته أفاض عليه الماء ثلاث مرات ، ثم غسل سائر جسده " [1] .

(2- اليقين يرد بمعنى الموت ، على اعتبار أن التثبت منه كائن فى جميع القلوب ، كقوله تعالى : { وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ } [الحجر/99] .

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب تفسير القرآن برقم (4696) 8/ 218 .

قال سالم بن عبد اللّه بن عمر τ : " اليقين الموت " [2] ، وعن أم العــلاء رضى اللّه عنها وهى امرأة من الأنصار أنها قالت فى عثمان بن مظعون τحين موته : " رحمة اللّه عليك أبا السائب ، فشهادتي عليك : لقد أكرمك اللّه ، فقال النبي ε : وما يدريك أن اللّه قد أكرمه ، فقلت بأبي أنت يا رسول اللّه ، فمن يكرمه اللّه ؟ فقال : أما هو فقد جاءه اليقين ، واللّه إني لأرجو لــه الخير ، واللّه ما أدري وأنا رسول اللّه ما يفعل بي ، قالت : فواللّه لا أزكي أحدا بعده أبدا " [3] .

(3- اليقين من حيث قوته فى القلب ثلاث درجات متفاوتة :

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب الغسل برقم (273) 455/1 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب تفسير القرآن 235./8
3. أخرجه البخارى فى كتاب الجنائز برقم (1243) 137/3.

1- علم اليقين : كقول الله تعالى : { كَلا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ لَتَــرَوْنَ الْجَحِيمَ } [التكاثر/ 6:5] .

2- عين اليقين : كقوله تعالى : { ثُمَّ لَتَرَوْنَهَا عَيْنَ الْيَقِينِ } [التكاثر/ 7] .

3- حق اليقين : كقوله تعالى : { وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ } [الحاقة/51] .

اليقين فى الاصطلاح الصوفى :

اليقين فى الاصطلاح الصوفى هو السكون والاطمئنان لما غاب ، بناء على ما حصل الإيمان به ، وارتفع الريب عنه ، فإذا حصل السكون والاطمئنان بما غاب بناء على قوة الدليل ، بحيث يستغنى بالدليل عن الجلى ، فذلك عندهم علم اليقين [1] .

روى عن أبى بكر الوراق (ت:بعد250هـ) : (العبد لا يستحق اليقين حتى يقطع كل سبب بينه وبين العرش إلى الثرى ، حتى يكون الله مراده لا غيره ، ويؤثر الله على كل ما سواه) [2] ، وقال أيضا : (اليقين نور يستضئ به العبد فى أحواله ، فيبلغه إلى درجات المتقين) [3] .

وروى عن أبى الحسين الوراق النيسابورى (ت:قبل320هـ) : (اليقين ثمرة التوحيد فمن صفا فى التوحيد صفا له اليقين) [4] .

---

1. لطائف الإعلام 406/2 .
2. طبقات الصوفية ص227 .
3. السابق ص227 .
4. السابق ص300 .

وينسب لأبى على الروذبارى (ت:322هـ) : (أنفع اليقين ما عظم الحق فى عينيك وصغر ما دونه عندك وأثبت الخوف والرجاء فى قلبك) [1] .

ويذكر السراج الطوسى (ت:387هـ) أن اليقين حال رفيع ، هو أصل جميع الأحوال ، وإليه تنتهى جميع الأحوال ، وهو آخر الأحوال ، وباطن جميع الأحوال ، وجميع الأحوال ظاهر اليقين ، ونهاية اليقين ، تحقيق التصديق

بالغيب بإزالة كل شك وريب ، وبالاستبشار وحلاوة المناجاة ، وصفاء النظر إلى الله تعالى بمشاهدة القلوب ، بحقائق اليقين ، بإزالة العلل ومعارضة التهم ويجعل أهل اليقين ثلاثة أحوال :

فالأول : للأصاغر وهم المريدون والعموم ، واليقين عندهم يعنى ارتفاع الشك ، والثقة بما فى يد الله تعالى ، والإياس بما فى أيدى الناس وإذا وجد العبد الرضا بما قسم الله له ، فقد تكامل فيه اليقين .

والثانى : الأوساط وهم الخصوص ، واليقين عندهم هو ما زالت فيه المعارضات على دوام الأوقات ، والعبد إذا تحقق بهذا اليقين ترحل من يقين إلى يقين ، حتى يصير اليقين له وطنا .

والثالث : الأكابر وهم خصوص الخصوص ، واليقين فى جملته عندهم تحقيق الإثبات لله عز وجل بكل صفاته ، ودوام انتصاب القلوب لله عز وجل بما أورد عليها اليقين من حركات ما لاقى به الإلهام [2] .

---

1. السابق ص359 .   2. اللمع ص103:104 .

وقال على بن عثمان الهجويرى (ت:465هـ) فى علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين :

(كل هذه المصطلحات فى عرف المتصوف تدل على العلم ، فالعلم بدون يقين بالمعلوم ليس بعلم ، لكن إذا تمت المعرفة كان الأخفى جليا ، والمؤمنون الذين سيرون ربهم فى يوم القيامة ، سيرونه بالحالة التى يعرفونه هنا بها ، إذ لو

رأوه بغير ذلك ، لكانت رؤيتهم هناك ناقصة ، وأن معرفتهم هنا كانت خطأ وكلا هذين الضدين مغاير للتوحيد ، الذى يلزم فيه أن تكون معرفة النـــاس بربهم هنا على أساس صحيح ، وبذا تكون رؤيتهم هناك صحيحة ، ولذلك فعلم اليقين هو كعين اليقين وحق اليقين) [1] .

ويذكر أيضا أن الصوفية يعنون بعلم اليقين معرفة الفرائض الدينية فى هذه الدنيا طبقا لأوامر الله سبحانه وتعالى ، ويعنون بعين اليقين معرفة حال الترع ووقت المفارقة لهذه الدنيا ، وبحق اليقين معرفة رؤية الله سبحانه وتعالى التى ستنكشف لهم فى الجنة وماهيتها ، ولذلك فعلم اليقين هو رتبة العلماء عنـــد كمال اتباعهم للشرع الشريف ، وعين الـــيقين مقـــام العـــارفين وذلـــك لاستعدادهم للموت ، وحق اليقين هو نقطة فناء العاشق ، وذلك لإعراضهم عن المخلوقات ، ومن ذلك تعلم أن علم اليقين ينال بالمجاهدة ، وعين اليقين بالمؤانسة ، وحق اليقين بالمشاهدة ، فـــالأول للعامـــة ، والثـــانى للخاصـــة

1. كشف المحجوب ص463 .

والثالث لخاصة الخاصة [1] .

وقال أبو القاسم القشيرى (ت:465هـــ) : (اليقين هو العلم الذى لا يتداخل صاحبه ريب على مطلق العرف ، ولا يطلق فى وصف الحق سبحانه لعدم التوقيف ، فعلم اليقين هو اليقين ، وكذلك عين اليقين نفـــس الـــيقين وحق اليقين ، نفس اليقين ، فعلم اليقين على موجب اصطلاحهم ما كـــان

بشرط البرهان ، وعين اليقين ما كان بحكم البيان ، وحق اليقين ما كان بنعت العيان ، فعلم اليقين لأرباب العقول ، وعين اليقين لأصحاب العلوم وحق اليقين لأصحاب المعارف) [2] .

وأما مفهوم محى الدين بن عربى لليقين فينبع من فلسفته فى وحدة الوجود حيث يعبر عنه بقوله :

(علم اليقين معرفة الله بك ، إذ أنت عين الدليل عليه ، وهو إثبات ذات غير مكيفة ولا معلومة الماهية ، محكوم عليها بالألوهية سلطانا وحجة ، لا ريب فيه ، عين اليقين : مشاهدة هذه الذات بعينها لا بعينك ، فناء كليا لا يعقل معها نسبة ألوهية إثباتا أو نفيا ، حق اليقين : نسبة الألوهية لهذه الذات

---

1. السابق ص463 .
2. الرسالة القشيرية 266/1 وانظر للتوسع حول هذه المعانى : أدب النفس للحكيم الترمذى ص93 وما بعدها ، وعوارف المعارف للسهروردى ص528 ، ومكاشفة القلوب للغزالى ص143 ، والمناظر الإلهية ص34 .

بعد المشاهدة لا قبلها ، وهو الفرق بين العلم والحق ليس إلا ، وهنا سكت المحققون ، وبعد هذا حقيقة اليقين ، ظهور الانفعالات على العبد الكلى مع غيبته عنها فيه به ، غيبا كليا وفناء محققا ، وهذه غاية المراتب ، فالثلاثة كتابية علم وعين وحق والرابعة : سنية قال عليه السلام :

" فما حقيقة إيمانك " [1] ، لكل حق حقيقة ، فهذه الحقيقة بها يختبر العبد المحقق نفسه فى دعواه فى معرفة هذا اليقين) [2] .

1. يشير إلى حديث حارثة الذى رواه الطبرانى فى الكبير ، الحديث رقم (3367) 266/3 وهو ضعيف .
2. المسائل ص35 ، وانظر أيضا الفتوحات المكية 570/2 ، وتحفة السفرة ص92وبلغة الغواص ق124 .

****

1ـ الإحـــــــرام

****

الإحرام : ورد فى القرآن على نية أحد النسكين الحج أو العمرة ، أو لهما معا ، وهو فيهما بمترلة التكبير فى الصلاة ، فالتكبيرة الأولى فى الصلاة يقال لها تكبيرة الإحرام ، فإذا أحرم الحاج أو المعتمر منع من أشياء تحل له فى غير الإحرام ، كحلق الشعر وتغطية الرأس وصيد البر والنكاح والجماع وغـــير ذلك مما بينه الشرع ، قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّـــيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ } [المائدة/95] وقال سبحانه : { أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الأنْعَامِ إِلا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ } [المائدة/1] ، وقال : { وَحُـــرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا } [المائدة/96] .

وعن عبد اللَّه بن عمر رضي اللَّه عنهما قال : قام رجل فقال : يا رسول اللَّه ، ماذا تأمرنا أن نلبس من الثياب في الإحرام ؟ ، فقـــال الـــنبي ε : لا تلبسوا القميص ولا السراويلات ، ولا العمائم ولا البرانس ، إلا أن يكـــون أحد ليست له نعلان ، فليلبس الخفين ، وليقطع أسفل من الكعـــبين ، ولا تلبسوا شيئا مسه زعفران ولا الورس ، ولا تنتقب المرأة المحرمة ، ولا تلـــبس القفازين) [1] .

1. أخرجه البخارى فى الحج (1838) 63/4 ، ومسلم فى الحج (1177) 834/2 .

وينتهى الإحرام بانتهاء النسك ، ولا دليل فى إيجاب الإحرام على غير من دخل لأحد النسكين الحج أو العمرة لقوله تعالى :

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلا الْهَدْيَ وَلا الْقَلائِدَ وَلا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا } [المائدة/2] [1] .

الإحرام فى الاصطلاح الصوفى :

يختلف مفهوم الصوفية للإحرام عن المعنى السابق حيث وضعوا له معنى باطنيا يخالفا المعنى الظاهر المتعارف عليه بين النبى وأصحابه ، فإذا قيل فى عرفهم : رجل محرم ، فإنهم يعنون أنه ترك شهوة المخلوقات ، كما أن الخروج عن الإحرام ليس بالتحلل منه ، كما هو المقصود فى القرآن والسنة ولكنه عبارة عن التوسع للخلق ، والنزول إليهم بعد العندية فى مقعد صدق [2] .

ويرى الجنيد بن محمد (ت : 298هـ) ضرورة التخلى عن الصفات الآدمية ، كشرط لصحة الإحرام فى الشرع ، فقد روى عنه أنه قال لرجل محرم يريد الحج : هل تخليت عن صفاتك الآدمية كما تخليت عن ثيابك

---

1. الروضة الندية شرح الدرر البهية ، لأبى الطيب صديق بن حسن البخارى ، مكتبة التراث القاهرة ،بدون تاريخ 250/1 ، وانظر المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ص115 ، ولسان العرب لابن منظور 119/12.

2. كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى 131/6 .

الاعتيادية ؟ ، فقال : اللَّهم لا ، قال له : إنك إذا لم تحرم [1] .

ويحكى السراج الطوسى (ت : 378هـ) آداب الصوفية فى الإحرام فيقول : (وإذا نزعوا ثيابهم للإحرام ، وتجردوا وحلو العقد واتزروا وارتدوا كذلك نزعوا عن أسرارهم الغل والحسد ، وحلوا عن قلوبهم عقد الهوى ومحبة الدنيا و لم يعودوا إلى ما خرجوا منه من ذلك) [2] .

ويذكر على بن عثمان الهجويرى (ت : 465هـ) أن الإحرام فى عرف الصوفية هو أن يحرم على نفسه ذكر الغير [3] .

والإحرام فعل ظاهر يرتبط بالنية وإرادة اللَّه بالعمل ، كما هو الحال فى سائر العبادات ، فيتحتم أن يتوفر فيها شرطان أساسيان ، حتى يقبل العمل وهما الإخلاص ومتابعة السنة .

أما ما ذكره الصوفية لمعنى الإحرام ، ففيه مبالغة لا أصل لها فى القرآن والسنة ، من جهة أن ترك شهوة المخلوقات هى المعنية فى الشرع ، إذ ليس كل ما يشتهى محرما ، والتخلى عن صفات الآدمية وذكر الغير ليس على إطلاقه أيضا ، وإنما التخلى عن الصفات الذميمة من الوجهة الشرعية هو المراد ، فليس كل الصفات الآدمية ذميما ، ولا ينبغى أن يسمى ذلك إحراما

---

1. كشف المحجوب ص393 .
2. اللمع ص228 .

3. كشف المحجوب ص 391 .

لأن الإحرام له مفهومه الشرعى ، الذى لا يجوز المساس به أو تمييع مدلوله .

كما أن نزع الغل والحسد ، وخلع عقد الهوى ومحبة الدنيا عن القلب كل ذلك من المعانى ، لا تقترن بالحج أو غيره من العبادات عند أدائها ، أو أداء بعضها فقط ، ولكنها معان مصاحبة للمسلم عند إذعانه لربه ، وإسلامه له بنطقه للشهادتين ، فالصحابة وهم خير القرون لم يذكر عنهم ، أنهم التفتوا فى إحرامهم إلى ذلك ، و لم يتناقلوه فيما بينهم و لم يثبت عنهم ذلك ، ولـــو كان خيرا ما تركوه .

****

2ـ الاعتكـــــاف

****

- **الاعتكاف** : لزوم الشئ وحبس النفس عليه برا كان أو غيره [1] ، ومنــه قوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام وهو يخاطب قومه : { مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ } [الأنبياء/52] ، وقال عن بنى إسرائيل : { فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ } [الأعراف/138] .

وهو فى الشرع يعنى الاحتباس فى المسجد على سبيل القربة إلى اللّه ، قال البخارى : الاعتكاف في العشر الأواخر ، والاعتكاف في المساجد كلــها لقوله تعالى : [وَلا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ

1. المفردات ص343 ، وانظر لسان العرب 225/9 ، وكتاب العين 205/1 .

فَلا تَقْرَبُوهَا } [البقرة/187] ، وقال : { وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ } [البقرة/125] [1] .

وعن عائشة أم المؤمنين رضي اللَّه عنها قالت : " كان رسول اللَّه ε إذا أراد أن يعتكف ، صلى الفجر ثم دخل معتكفه " [2] .

وقال الإمام مالك : إنما الاعتكاف عمل من الأعمال مثل الصلاة والصيام والحج وما أشبه ذلك من الأعمال ، ما كان من ذلك فريضة أو نافلة ، فمن دخل في شيء من ذلك ، فإنما يعمل بما مضى من السنة ، وليس له أن يحدث في ذلك غير ما مضى عليه المسلمون ، لا من شرط يشترطه ولا يبتدعه وقد اعتكف رسول اللَّه ε وعرف المسلمون سنة الاعتكاف [3] .

- الاعتكاف فى الاصطلاح الصوفى :

الاعتكاف فى الاصطلاح الصوفى ، لا يعنى الإقامة فى المسجد على النحو

---

1. انظر فتح البارى شرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى دار الريان للتراث ط1 سنة 1986م 314/4 .
2. صحيح ، أخرجه مسلم فى كتاب الاعتكاف (1172) 831/2 .
3. انظر تعليق الإمام مالك على الحديث رقم (695) كتاب الاعتكاف فى الموطأ وانظر أيضا التمهيد لابن عبد البر ، تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي , محمد عبد

الكبير البكري ، نشر وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المغرب ، سنة 1387هـ ، 332/8 .

السابق ، ولكنه اعتكاف معنوى دائم ، القصد منه عكوف القلب على باب الحق لطلب المغفرة ، وتفريغ القلب عن شغل الدنيا ، وتسليم النفس إلى المولى [1] .

ويذكر أبو القاسم القشيرى (ت:465هـ) أن معنى الاعتكاف ، أن تكون الحقائق عاكفة فى قلوب الموحدين ، وأن تكون وفود همم العارفين عاكفة بحضرة العز [2] .

وقال أيضا فى قوله تعالى : { وَلا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَقْرَبُوهَا } [البقرة/187] ، أخبر أن محل القدرة مقدس عن اجتلاب الحظوظ ، وقال : إذا كنتم مشاغيل بنفوسكم ، كنتم محجوبين بكم فيكم ، وإذا كنتم قائمين بنا ، فلا تعودوا منا إليكم ، فغيرة الحق سبحانه على الأوقات ، أن يمزج الجد بالهزل .

قالت عائشة رضى اللَّه عنها : " يارسول اللَّه إنى أحبك ، وأحب قربك ، فقال عليه السلام : ذرينى يا ابنة أبى بكر أتعبد ربى ، وقال ε : لى وقت لا يسعنى غير ربى " [3] .

---

1. التعريفات للجرجانى ص31 .

2. لطائف الإشارات 124/1 .

3. السابق 158/1 .

****

3ـ الأعـــــــــراف

****

- **الأعراف** : الأعراف جمع عرف وهو المكان المرتفع [1] .

وقد ورد اللفظ فى القرآن للدلالة على مكان حاجب بين أهل الجنة وأهل النار ، وهو مكان غيبى مجهول الكيفية يعلمه اللَّه ، قال تعالى : { وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الأعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ } [الأعراف/46] أى على شرفات السور المضروب بينهم .

وقال فى نداء أصحاب الأعراف لبعض أهل النار : { وَنَادَى أَصْحَابُ الأعْرَافِ رِجَالا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ } [الأعراف/48] [2] ، وسميت سورة الأعراف باسم هذا المكان المذكور .

---

1. لسان العرب لابن منظور 236/9 ، والمفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ص332 .

2. انظر تفسير القرطبى 211/7 ، وفتح القدير 207/2 ، وانظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير 216/2 ، وشعب الإيمان للبيهقى ص 344 ، ومجمع الزوائد لعلى بن أبى بكر الهيثمى 23/7 .

الأعراف فى الاصطلاح الصوفى :

الأعراف فى الاصطلاح الصوفى ، لا يعنى المعنى الوارد فى سورة الأعراف ولكن يدل على معنى معرفة الأولياء العارفين بسيماهم فى الدنيا ، وأن اللَّـه يتجلى فيهم فيعرفون به ، قال الكاشانى : الأعراف تعنى المطلع ، وهو مقام شهود الحق فى كل شئ متجليا بصفاته التى ذلك الشئ مظهرها ، وهو مقام الاستشراف على الأطراف ، قال اللَّه تعالى : { وَعَلَى الأَعْـرَافِ رِجَـالٌ يَعْرِفُونَ كُلا بِسِيمَاهُمْ } [1] .

وقال فى موضع آخر : الأعراف هو المقام الذى أخبر اللَّه سبحانه أن رجاله يعرفون كلا بسيماهم ، وإليه أشار عمرو بن الفارض فى قوله :

ومطلع أنوار بطلعتك التى : لبهجتها كل البدور استسرت

ووصف كمال فيك أحسن صورة : وأقومه فى الخلق منه استمدت

ونعت جلال منك يعزب دونه : عذابى وتحلو عنده لى قتلتى

وسر جمال عنك كل ملاحة : به ظهرت فى العالمين وتمت

وحسن به تسبى النهى دلنى على : هوى حسنت فيه لعزك ذلتى

ومعنى وراء الحسن فيك شهدته : به دق عن إدراك عين بصيرتى

1. معجم اصطلاحات الصوفية لعبد الرزاق الكاشانى ص55 ، وانظر أيضا لطـــائف الإعلام 218/1 ، 315/2 ، والفتوحات المكية لمحى الدين بن عربى ، 254/2 والتعريفات للجرجانى ص39 .

لأنت منى قلبى وغاية مطلبى : وأقصى مرادى واختيارى وخيرتى [1]

ويرى عبد الكريم الجيلى ، أن الأعراف محل القرب الإلهى المعبر عنـــه فى القرآن بقول اللَّه تعالى : { فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ } [القمر/55] وسمى هذا المظهر بهذا الاسم للمعرفة وهو تحقق العلم ، وأهل الأعراف عنده هم العارفون باللَّه يعرفون بسيماهم [2] .

ويذكر التهانوى أن الأعراف فى عرف الصوفية ، عبارة عن الإطاعة التى هى مقام الحق الشهودى فى كل شئ من أعيان الممكنـــات ، وأوصـــافها فى حالة كون اللَّه متجليا بالصفات ، حيث إن هذا الشئ مظهر لتلك الصفات وهذا المقام يكون للأشراف [3] .

****

4ـ الأفق الأعـــــــلى

****

الأفق الأعلى : الآفاق النواحى قال تعالى : { سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ

1. لطائف الإعلام 315/2 وانظر ديوان عمر بن الفارض ص27 المكتبة الثقافية بيروت بدون تاريخ .

2. الإنسان الكامل 59/2 .

3. كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ص994 .

وَفِي أَنْفُسِهِمْ } [فصلت/53] (1) .

والأفق الأعلى النواحى العليا جهة المشرق من السماء ، والتى رأى فيها رسول الله ε جبريل على صورته الحقيقية ، وهو فى غار حراء ، له ستمائة جناح قد سد الأفق ثم اقترب منه وكلمه بالوحى (2) .

قال تعالى : { وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى وَهُوَ بِالأُفُقِ الأعْلَى ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى } [النجم/10:3] قال عبد الله بن مسعود τ : " إن محمدا لم ير جبريل في صورته إلا مرتين ، أما مرة فإنه سأله أن يريه نفسه في صورته فأراه صورته فسد الأفق ، وأما الأخرى فإنه صعد معه حين صعد به وقوله : { وَهُوَ بِالأُفُقِ الأعْلَى ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى } قال : فلما أحس جبريل ربه عاد في صورته وسجد فقوله : { وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى } قال خلق جبريل عليه السلام " (3) .

---

1. لسان العرب 382/10 ، المفردات ص19 .
2. انظر تفسير القرطبى 85/17 ، وتفسير ابن جرير الطبرى 43/27 ، وفتح القدير للشوكانى 106/5 ، وصحيح ابن حبان 256/1 .
3. أخرجه البخارى فى كتاب بدء الخلف برقم (3232) 360/6 (3233) 361/6 ومسلم فى كتاب الإيمان برقم (174) 158/1 .

- الأفق الأعلى فى الاصطلاح الصوفى :

الأفق : يكنى به عن الغاية التى ينتهى إليها سلوك المقربين ، فكل من حصل من أهل السلوك إلى اللَّه تعالى على مرتبة من القرب إليه ، فتلك المرتبة هى أفقه ومعراجه [1] .

والأفق العلى : هو حضرة الألوهية المسماة بحضرة المعانى ، وبالتعين الثانى وإنما كان هذا الأفق عليا ، لأنه هو الحضرة التى متى وصل إليها السائر ، فقد استعلى على جميع عالم الأغيار ، إذ كانت هذه الحضرة فوق جميع الخلائق لأنها حضرة العلم الأزلى الذاتى ، الذى لا مدخل للحديث فيها بوجه ، ولهذا صارت هذه الحضرة ، التى متى وصل المخلوق إليها ظهر بصفات الخالق من إحياء الميت وإبراء الأكمه وغير ذلك ، ولأجل هذا سموها حضرة ظهور الخلق بصورة الحق ، وأن مظهرها من الناس ، الإنسان الكامل المتحقق بالحقيقة الإنسانية الكمالية ، وقد يعنى بالأفق العلى ، حضرة الجمع والوجود التى هى اعتبار الوحدة ، لكون الأفق الأعلى ، هو اعتبار الأحدية ، وأن المتحقق به هو المتحقق بمقام الأكملية الذى فوق مقام الكمالية الإنسانية [2] .

والأفق الأعلى : هو حضرة أحدية الجمع ، لأنها هى أعلى التعينـــات إذ ليس وراء اعتبار الأحدية سوى الغيب المطلق ، والأفق العلى هو مقام تعانق

1. لطائف الإعلام 229/1 .
2. السابق 229/1، 230 .

الأطراف ، ومجمع الأضداد ، ومجمع البحرين ، وقاب قوســين ، والأفــق الأعلى أيضا ، هو مقام أو أدنى المختص بنبينا ε [1] ، وهو نهاية مقام الروح والحضرة الواحدية والحضرة الألوهية [2] .

****

5ـ الأفق المبيـــــن

****

– **الأفق المبين** : اصطلاح قرآنى ورد فى قوله تعالى : { وَلَقَــدْ رَآهُ بِــالأُفُقِ الْمُبِينِ } [التكوير/23] على المعنى السابق فى الأفق الأعلى ، وقال الشوكانى فى معنى الآية : اللام جواب قسم محذوف ، أى وتاللّه لقد رأى محمد جبريـــل بالأفق المبين ، أى بمطلع الشمس من قبل المشرق ، لأن هــذا الأفــق ، إذا كانت الشمس تطلع منه فهو مبين ، ولأن من جهته ترى الأشياء ، وقيـــل الأفق المبين : أقطار السماء ونواحيها [3] .

1. السابق 230/1 .
2. معجم اصطلاحات الصوفية لعبد الرزاق لكاشانى ص56 ، والتعريفـــات ص33 وكشاف اصطلاحات الفنون 120/1 ، تحقيق الدكتور لطفى عبد البـــديع والدكتور عبد المنعم محمد حسنين .
3. فتح القدير 391/5 ، وكذا قال ابن كثير والقرطبى وابن جرير الطبرى كلـــهم قالوا فى تفسير الآية : رأى جبريل له ستّ مئة جناح في صورته .

وقد ورد فى السنة النص على ذلك ، فعن مسروق قال : كنت متكئا عند عائشة فقالت : يا أبا عائشة ثلاث من تكلم بواحدة منهن ، فقد أعظم على اللَّه الفرية ، قلت : ما هن ؟ ، قالت : من زعم أن محمدا ε رأى ربه فقـــد أعظم على اللَّه الفرية ، قال : وكنت متكئا فجلست : فقلت : يا أم المؤمنين أنظريني ولا تعجليني ، ألم يقل اللَّه عز وجل : { وَلَقَدْ رَآهُ بِالأفُقِ الْمُبِينِ } [التكوير/23] ، { وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى } [النجم/13] ، فقالت : أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول اللَّه ε ، فقال : إنما هو جبريـــل ، لم أره علـــى صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين ، رأيته منهبطا من الســـماء ســـادا عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض ، فقالت : أو لم تسمع أن اللَّه يقول : { لا تُدْرِكُهُ الأبْصَارُ وَهُوَ يُـــدْرِكُ الأبْصَـــارَ وَهُـــوَ اللَّطِيـــفُ الْخَـــبِيرُ } [الأنعام/103] أو لم تسمع أن اللَّه يقول :

{ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ } [الشورى/51] (1) .

وعلى ذلك فإن الأفق الأعلى والأفق المبين ، قد جمعا بين وصفين لموقع جبريل من النبى ع ، وهما العلو والوضوح .

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب بدء الخلق برقم (3234) 361/6 وأخرجه مسلم فى كتاب الإيمان برقم (177) 159/1 ، وانظر أيضا فى معنى الأفق المبين ، الإيمان لمحمد بن إسحاق بن يحيى بن منده ، تحقيق الدكتور علي بن محمد بن ناصر الفقيهي ، نشر مؤسسة الرسالة ، بيروت ، سنة 1406هـ 762/2 .

- **الأفق المبين فى الاصطلاح الصوفى :**

أما المعنى الصوفى للأفق المبين ، فيختلف عن السابق فى الأفق الأعلى حيث يعنى نهاية مقام القلب [1] .

****

6- أم الكتـــــاب

****

- **أم الكتاب** : اصطلاح ورد فى الكتاب والسنة على ثلاثة معان :

1- اللوح المحفوظ : وذلك لكون العلوم كلها مكتوبة فيه ، فهو يحوى ما قدر من أمور المخلوقات ، وجميع ما يحدث ينتظم وفق ما فيه [2] ، قـــال تعالى : { يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ } [الرعد/39] ، وقال وقال النبى ع ليلة المعراج : " يا رب إن أمتي ضعفاء أجسادهم ، وقلـــوبهم وأسماعهم وأبصارهم ، وأبدانهم فخفف عنا ، فقال الجبار : يا محمد ، قال :

لبيك وسعديك ، قال : إنه لا يبدل القول لدي ، كما فرضته عليـــك في أم الكتاب ، قال : فكل حسنة بعشر أمثالها ، فهي خمسون في أم الكتاب وهي

---

1. معجم اصطلاحات الصوفية للكاشانى ص56 ، والتعريفات ص33 .
2. لسان العرب لابن منظور 441/7 ، المفردات ص22 ، وتفسير النســفى ، دار الكتاب العربى بيروت 146/1 ، 252/2 ، 113/4 ، وتفسير ابن عباس المكتبة الشعبية ، بيروت ص43 ، 210 ، 411 .

خمس عليك " [1] .

2- فاتحة الكتاب : قال الإمام البخارى : " وسميت أم الكتاب لأنه يبدأ بكتابتها في المصاحف ويبدأ بقراءتها في الصلاة " [2] ، وقال رسول اللَّه ε : " الحمد لله أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني " [3] ، وعن عائشة رضـــي اللَّه عنها ، قالت : " كان النبي ε يخفف الركعتين اللتين قبل صلاة الصـــبح حتى إني لأقول : هل قرأ بأم الكتاب ؟ " [4] .

3- أصل الكتاب : على الاعتبار اللغوى ، فقد يراد بأم الكتاب فى اللغة أصله الذى يرد إليه ، فكل شئ ضم إليه سائر ما يليه ، أو كان أصلا لوجود شئ أو تربيته أو إصلاحه أو مبدئه ، يقال له : أم الكتاب [5] ، وعلى هـــذا الاعتبار جاء قوله تعالى :

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب التوحيد برقم (7517) 486/13 ومسلم فى كتاب الإيمان برقم (162) 145/1 .

2. فتح البارى شرح صحيح البخارى 6/8 .

3. أخرجه البخارى فى كتاب تفسير القرآن برقم (4704) 8/.232

4. أخرجه البخارى فى كتاب الجمعة برقم (1165) 55/3 ومسلم فى كتاب صلاة المسافرين وقصرها برقم (724) 500/1 .

5. انظر المفردات ص22 ، ومفاتيح الغيب لفخر الدين الـــرازى 1/ 173: 175 طبعة المطبعة البهية المصرية ، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوى ط2 ســـنة 1955م مطبعة البابى الحلبى بمصر 2/1 .

{ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ } [آل عمران/7] ، أى أصله الذى يرجع إليه عند الاشتباه [1] .

- **أم الكتاب فى الاصطلاح الصوفى :**

أم الكتاب فى اصطلاح الصوفية يراد به عدة أمور :

1- أم الكتاب : العقل الأول الذى يسير إلى مرتبة الوحدة [2] .

2- أم الكتاب : ذات الحق ، يقول ابن عربى : (فاعلم أن الحق هو على الحقيقة أم الكتاب) [3] ، وقال فى موضع آخر : (فذات الحق سبحانه تعالى باعتبار اندماج الكل فيها ، هى أم الكتاب ، وعلمه هو الكتاب المـــبين فالذات هى أم الكتاب من الحقائق الإلهية) [4] .

---

1. تفسير القرآن العظيم لابن كثير 345/1 ، وانظر تفسير فى معنى أم الكتاب تفسير القرطبى 111/1 ، وتفسير ابن جرير الطبرى 175/3 ، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة ، لأبى القاسم هبة الله بـــن

الحسن بن منصور اللالكائي ، تحقيق الدكتور ، أحمد سعد حمدان ، نشر دار طيبة الرياض سنة 1402هـ ، 118/1 ، وعون المعبود ، شرح سنن أبي داود ، لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي 225/12 .

2. معجم اصطلاحات الصوفية للكاشانى ص57 ، وانظر كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى 130/1 .

3. الفتوحات المكية نشر دار صادر 160/3 .

4. مرآة العارفين ، مخطوط مكتبة رفيق حمدان الخاصة ، دمشق ص 121 أ .

ويعرف عبد الكريم الجيلى أم الكتاب ، بأنها ماهية كنه الذات المعبر عنها من بعض وجوهها بماهيات الحقائق ، التى لا يطلق عليها اسم ولا نعت ولا وجود ولا عدم ، ولا حق ولا خلق ، والكتاب هو الوجود المطلق الذى لا عدم فيه ، وكانت ماهية الكنه أم الكتاب ، لأن الوجود مندرج فيها اندراج الحروف فى الدواة [1] .

يقول عبد الكريم الجيلى : (إذا علمت أن الكتاب هو الوجود المطلق تبين لك أن الأمر الذى لا يحكم عليه بالجود ولا بالعدم ، هو أم الكتاب ، وهو المسمى بماهية الحقائق ، لأنه كالذى تولد الكتاب منه ، وليس الكتاب إلا وجه واحد من وجهى كنه الماهية ، لأن الوجود أحد طرفيها ، والعدم هو الثانى) [2] .

3- أم الكتاب : القلم الأعلى ، يقول ابن عربى : (وعلم بالقلم الملقب بأم الكتاب ، اللوح المحفوظ ، المسمى بالكتاب المبين) [3] .

ويقول أيضا : (كما أن القلم هو أم الكتاب من الحقائق الكونية) [4] .

4- أم الكتاب : العرش ، فالعرش عندهم هو أم الكتاب فى عالم الملك

---

1. الإنسان الكامل 64/1 .

2. السابق 64/1 .

3. مرآة العارفين ص 120 أ .

4 . السابق ص 121أ .

المفصل فى الكرسى ، يقول ابن عربى : (واعلم كذلك ، أن لعالم الملك كتابا مجملا وهو العرش ، وكتابا مفصلا وهو الكرسى فى العرش ، يقال له : أم الكتاب ، وباعتبار تفصيل ما كان فى العرش مجملا فى الكرسى ، يقال له : الكتاب المبين) [1] .

5- أم الكتاب : نقطة الباء حيث يرى ابن عربى أن نقطة الباء فى البسملة ، هى أم الكتاب من حيث اندراج الفاتحة ، وجميع الكتب المترلة فيها إذ بها بدءت البسملة ، فيقول : (والفاتحة فى البسملة ، والبسملة فى الباء والباء فى النقطة مندرجة مندمجة ، فهى أم الكتاب ، وجميع الكتب الكامنة فيها) [2] .

****

7ـ الأوتـــــــاد

****

- **الأوتاد** : وردت فى القرآن على معنى الجبال ، قال تعالى : { أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا } [النبأ/7:6] ، والأوتاد جمع وتد ، والمعنى فى الآية : جعلنا الجبال أوتادا للأرض ، لتسكن ولا تتحرك كما يرسى الخيام بالأوتاد [3] .

1. السابق ص 121ب .
2. السابق ص 124أ .
3. فتح القدير 364/5 .

وقال تعالى : { وَفِرْعَوْنَ ذِي الأوْتَادِ } [الفجر/10] والأوتاد فيها ، قيل : هم الجنود الذين يشدون أمر فرعون ، أو يشدون الخيام الكثيرة إلى الأوتاد أو البناء المحكم [1] ، إلا أن الأقرب أنها الجبال الفرعونية المصنوعة التى تشبه الجبال فى شماختها وارتفاعها ، والتى تشهد بقوتهم وتمكنهم وهى إشارة واضحة إلى الأهرامات التى هى إحدى عجائب الدهر .

ووردت الأوتاد فى حديث ضعيف عن أبي هريرة τ ، أن النبي ε قال : " إن للمساجد أوتادا ، الملائكة جلساؤهم ، إن غابوا يفتقدونهم ، وإن مرضوا عادوهم وإن كانوا في حاجة أعانوهم " [2] .

فسمى النبى ε بعض المداومين على الصلاة فى المسجد الثابتين على ذلك فى حياتهم أوتادا ، و لم يذكر لهم عددا معينا .

- **الأوتاد فى الاصطلاح الصوفى :**

أما الأوتاد عند الصوفية فهم الرجال الأربعة قائمون على منازل الجهات الأربع من العالم شرق وغرب وشمال وجنوب ، بهم يحفظ اللّه تعالى تلك

1. السابق 364/5 ، انظر تفسير الطبرى 130/23 .
2. أخرجه الحاكم فى مستدركه برقم (3507) 433/2 وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين موقوف و لم يخرجاه ، وأخرجه أحمد فى المسند رقم (9143) والحديث فى سنده دراج بن سمعان وهو منكر الحديث ، قاله الإمام أحمد فى كتابه العلل ومعرفة الرجال طبعة المكتبة الإسلامية تركيا سنة 1987 ، وانظر الجرح والتعديل لابن أبى حاتم 441/3 ، والكامل فى ضعفاء الرجال 115/3 .

الجهات لكونهم محل نظره تعالى [1] .

يقول الكاشانى : (وهؤلاء قد يعبر عنهم بالجبال أيضا ، من حيث أن الجبل ميد الأرض ، كقوله تعالى : { أَلَمْ نَجْعَلْ الأرْضَ مِهَادًا وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا } [النبأ/7:6] وكل رجل منهم يكون مورد الفيض من عندية الحق إلى عندية الغوث اللائق بتلك الجهات ، والوافى لما فيها من أصناف الخلائق وتوزيع هذه الأقسام من أركان الكعبة) [2] .

****

8ـ البدنة

****

- **البدنة** : البدن الجسد ، ويقال اعتبارا بعظم الجثة ، وسميت البدنة بـــذلك لسمنها ، يقال : بدن إذا سمن [3] ، وقد ثبت هذا المعنى فى السنة ، فعن أبى هريرة τ قال : قال رسول اللَّه ε : " إذا كان يوم الجمعة ، كان على كـــل

1. معجم اصطلاحات الصوفية للكاشانى ص58 ، لطائف الأعلام 256/1 .
2. رشح الزلال للكاشانى ص.63
3. لسان العرب لابن منظور 47/13 ، وكتاب العين للخليل بن أحمد 58/8 وتهذيب الصحاح ، تأليف وإعداد محمود الزنجانى ، طبعة دار المعارف بمصر ، بدون تاريخ ، مادة (بدن) والمفردات ص39 .

باب من أبواب المسجد ملائكة يكتبون الأول فالأول ، فإذا جلس الإمـــام طووا الصحف ، وجاءوا يستمعون الذكر ، ومثل المهجر كمثل الذي يهدي البدنة ، ثم كالذي يهدي بقرة ، ثم كالذي يهدي الكبش ، ثم كالذي يهدي الدجاجة ، ثم كالذي يهدي البيضة " [1] .

وورد ذكر البدنة مجموعا فى قوله تعالى : { وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِـــنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ } [الحج/36] ، والمراد بها البعير والناقة من بهيمـــة الأنعام التى تقدم للهدى فى الحج ، لما ثبت عن جابر بن عبد اللَّه τ ، قال : " اشتركنا مع النبي ε في الحج والعمرة ، كل سبعة في بدنة ، فقال رجل لجابر : أيشترك في البدنة ، ما يشترك في الجزور ؟ ، قال : ما هي إلا من البدن ، وحضر جابر الحديبية ، قال : نحرنا يومئذ سبعين بدنة ، اشتركنا كل سبعة في بدنة " [2] .

- **البدنة فى الاصطلاح الصوفى :**

البدنة فى الاصطلاح الصوفى تعنى النفس الآخذة فى السير القاطعة لمنازل السائرين ومقامات السالكين ، ولا تكون بدنة إلا إذا كانت بقرة ، والبقرة

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب الجمعة برقم (881) 425/2 ومسلم فى كتاب الجمعة برقم (850) 472/2 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب المناقب برقم (3560) 654/6 وأخرجه مسلم فى كتاب الحج برقم (1318) 955/2 .

هى النفس إذا استعدت للرياضة والمسير ، ولا تكون بقرة إلا إذا كانت كبشا ، فالكبش يطلق على النفس إذا لم يكن فيها استعداد [1] .

****

9- البـــــرق

****

- **البرق** : ورد فى القرآن على معنى لمعان السحاب ، الذى ينقدح من اصطكاك أجرام السحاب المتراكمة ، فيظهر على إثرها الضوء اللامع [2] قال تعالى : { أَوْ كَصَيِّبٍ مِنْ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ } [البقرة/19] وقال أيضا : { هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ } [الرعد/12] وقال : [يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ } [النور/43] ، وعن حذيفة τ ، قال : " قال رسول اللَّه ε : فيمر أولكم كالبرق ، قلت : بأبي

أنت وأمي ، أي شيء كمر البرق ؟ ، قال : ألم تروا إلى البرق ، كيف يمـــر ويرجع في طرفة عين ؟ " [3] .

- **البرق فى الاصطلاح الصوفى :**

والبرق عند الصوفية وضع للدلالة على شئ يظهر على العبد من اللوامع

---

1. معجم اصطلاحات الصوفية للكاشانى ص63 ، وانظر لطائف الإعلام 1/ 276.
2. المفردات ص43 ، وانظر فتح القدير 48/1 بتصرف ، ولسان العرب 14/10 .
3. أخرجه مسلم فى الإيمان (195) 186/1 ، وأحمد فى المسند برقم (10743) .

النورانية فينجذب بها نحو الحق [1] ، يقول الكاشانى عن البرق : (البرق أول ما يبدوا لأهل البداية من اللوامع النورية ، فيدعوه إلى الدخول فى حضـــرة القرب من الرب للسير فى اللَّه) [2] .

وتارة يطلق البرق ويراد به نور يقذفه اللَّه فى قلب العبـــد ، فيـــدعوه إلى الدخول إلى حضرته يقول ابن عربى : (فتلك سكينة الأولياء التى يســـكنون إليها ، ولا تحصل لهم دائما لكن لهم اختلاسات فيها كالبروق ، فهى تشـــبه المشاهد الذاتية فى كونها لابقاء لها ، يقول :

فيا راعى النجم كن لى نديما : ويا ساهر البرق كن لى سميرا) [3] .

وتارة يطلق ويراد به لائح إطلاقى مددى مترتب على قلق يغيب العبد عن أثر تعينه ، قاهر له سائر لظلمة ذلك الأثر بالكلية [4] .

وتارة يصطلح بالبرق على أول ما يبدو من الأنوار الجاذبـــة إلى حضـــرة القرب من الرب ، ويعبر بالحرق عن أوسطها ، وبالطمس عن نهايتها [5] .

---

1. كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى 203/1 .
2. معجم اصطلاحات الصوفية للكاشانى ص63 والتعريفات ص47 .
3. الفتوحات المكية 2/ 98 ، ترجمان الأشواق ص66 .
4. لطائف الأعلام 1/ 277 .
5. السابق 1/ 277 .

****

10ـ البقـــــرة

****

- **البقرة** : حيوان معروف مفرد البقر ، ويقال للذكر ثور [1] ، قال تعـــالى عن بنى إسرائيل : { إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّـــهُ لَمُهْتَـــدُونَ } [البقرة/70] ، وقال : { قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لا فَارِضٌ وَلا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ } [البقرة/68] وكان اللَّه قد أمر بعض بنى إســـرائيل تحاكموا إلى موسى فى مقتل قريبهم ، أن يذبحوا بقـــرة ، ويضـــربوا الميـــت ببعضها ، ففعلوا وأخبرهم المقتول عن قاتله .

قال تعالى : { وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَـــرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنْ الْجَاهِلِينَ } [البقرة/67] .

وقال النبي ε : " لأعرفن ما جاء اللَّه رجل ببقرة لها خـــوار ، تجـــأرون ترفعون أصواتكم كما تجأر البقرة " [2] .

وجميع ما ورد فى القرآن من ذكر البقرة مفردة كما سبق أو مجموعة على بقر أو بقرات كقوله : { وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ } [يوسف/43] فالمعنى المراد هو الحيوان المعروف .

---

1. لسان العرب 73/4 ، والمفردات ص56 ، والمغرب للمطرزى 82/1 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب الأحكام برقم (7174) 175/13 ومسلم فى كتاب الإمارة برقم (1832) 1463/3 .

البقرة فى الاصطلاح الصوفى :

أما البقرة فى عرف الصوفية واصطلاحهم ، فهى الـــنفس إذا اســـتعدت للرياضة وبدت فيها صلاحية قمع الهوى الذى هو حياتها ، كما يكنى عنـــها بالكبش قبل ذلك وبالبدنة بعده [1] .

يقول القشيرى عن أمر اللَّه لبنى إسرائيل بذبح البقرة : (إن من أراد حياة قلبه لا يصل إليه إلا بذبح نفسه ، فمن ذبح نفسه بالمجاهدات ، حـــى قلبـــه بأنوار المشاهدات، ففى ذبح النفس حياتها كما فى ذبح البقرة حياة قتيل بنى إسرائيل [2] .

ويذكر الكاشانى أن البقرة فى عرف الصوفية يكنى بها عن نفس الإنسان إذا كانت قد كملت ، واكتملت فى أوصافها الحيوانية ، حتى صارت تلك الصفات راسخة فيها ، بحيث لا ينجيها من دواعيها الجاذبة ، إلى الخيبة السافلة ، بتسلط الغضب والشهوة وتوابعهما عليها ، إلا التجرد التام الذى معناه الخروج عن قيود السفليات بالكلية ، وعن جميع الحظوظ النفسية المعبر عن ذلك بالذبح والقتل بلسان الصوفية ، فى قوله تعالى :

{ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ } [البقرة/54] .

---

1. معجم اصطلاحات الصوفية للكاشانى ص64 .
2. لطائف الإشارات 99/1 .

قال جعفر الصادق : (فمن تاب فقد قتل نفسه) ، وقد يشار إلى البقرة بالبدنة ، وبالكبش إلى شبح الإنسان فى أطوار عمره ، فقد كان شبحه فى عنفوان شبابه كبشا ، وفى زمان كهولته بقرة ، وفى وقت شيخوخته بدنة ولهذا فإن رؤية إبراهيم عليه السلام ذبح ولده ، فى قوله تعالى حكاية عنه صلى الله عليه وسلم : { قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى } [الصافات/102] ، لما كانت فى أيام طفولة ولده جعل اللّه تعالى الكبش فداء عنه ، وقد يشار بهذه الحيوانات الثلاث فى أحوال الإنسان إلى رتبته ، وذلك هو أن كل ما يتقوم به بقاء الإنسان ، إما أن يحصل منه مجرد

البقاء مدة إمكان البقاء ، ويشار إليه بلفظ الكبش ، أو يصلح مع حفظ البقاء لرياضة واجتهاد ، وينال صاحبها ثمرة فى ثانى الحال ، ويشار إليه بالبقرة ، أو يصلح مع ذلك لقطع المنازل والمراحل ، والوصول إلى المطالب العلية ، ويشار إليه بالبدنة ، ولهذا كان التقرب بالبدنة ، أعظم مترلة من التقرب بالبقرة ، والتقرب بالبقرة أعظم مترلة من التقرب بالكبش [1] .

****

11 ـ البيت الحرام

****

- **البيت الحرام** : أول بيت وضع للناس فى مكة المكرمة ، قال تعالى : { إِنَّ

---

1. لطائف الإعلام 1/ 289 :291 .

أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا } [آل عمران/96: 97] فالبيت الكعبة غلب عليها كالنجم على الثريا [1] .

وقال تعالى : { جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ } [المائدة/97] قال الشوكانى فى معنى الآية : جعل هنا بمعنى خلق ، وسميت الكعبة كعبة لأنها مربعة والتكعيب التربيع [2] .

وأكثر بيوت العرب مدورة لا مربعة وقيل سميت كعبة لنتوئها وبروزها وكل بارز كعب ، مستديرا كان أو غير مستدير ومنه كعب القدم والبيت

الحرام عطف بيان وسمى بيتا لأن له سقوفا وجدران وهى حقيقة البيت وإن لم يكن به ساكن وسمى حراما لتحريم اللَّه سبحانه إياه (3) .

وقد جعل البيت الحرام لغايات محددة ، بينها اللَّه فى عهده إلى إبـــراهيم وإسماعيل فقال سبحانه : { وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ } [البقـــرة/125] ، وقال تعالى : { وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِـــيَ لِلطَّـــائِفِينَ

1. أنوار التتريل وأسرار التأويل للبيضاوى 35/1 .
2. فتح القدير 79/2 ، التكعيب وحدة حجوم والتربيع وحدة مساحة ، وليس هذا المقصود هنا وإنما يعنى أن لها أضلاع إما متساوية وإما مختلفة ، وانظـــر تفســـير القرطبى 60/17 ، وتفسير الطبرى 77/7 .
3. السابق 79/2 .

وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِوَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالا وَعَلَى كُـــلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ } [الحج/26 ، 27] .

وخص اللَّه البيت الحرام عن سائر مساجد الأرض ، بمضاعفة أجر الصلاة فيه إلى مائة ألف ، لما ثبت عن جابر بن عبد اللَّه τ ، أن رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم قال : " صلاة في مسجدي ، أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام ، وصلاة في المسجد الحرام ، أفضل من مائة ألف صلاة فيمـــا سواه " (1) .

- **البيت الحرام فى الاصطلاح الصوفى :**

البيت الحرام فى الاصطلاح الصوفى ، يعنى قلب الإنسان الكامل الذى حرم على غير الحق أن يتصرف فيه ، وقد استدل عبد الرزاق الكاشانى له بقوله تعالى :

{ وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ } [الحج/26] ، يقول : فمن باب الإشارة هو القلب الذى وسع الحق ، واختص بكونه مستوى الحق بذاته ، وبجميع أسمائه وصفاته ، دون غيره من سائر المخلوقات (2) .

---

1. أخرجه ابن ماجة فى كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها برقم (1406) وقال الشيخ الألبانى : صحيح 451/1 وأحمد فى المسند برقم (14284) .
2. معجم اصطلاحات الصوفية للكاشانى ص64 ، لطائف الإعلام 1/ 292، 293 وانظر أيضا مشاهدة الأسرار القدسية لابن عربى ص52 .

****

12 ـ البيت المعمـــور

****

- **البيت المعمور** : العمارة نقيض الخراب ، قال تعالى : { إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلا اللَّهَ فَعَسَى أُوْلَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنْ الْمُهْتَدِينَ } [التوبة/18] ، وقال فى

المقابل : { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا } [البقرة/114] (1) .

والبيت المعمور ورد مقسوما به فى قوله اللَّه تعالى : { وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ } [الطور/1 :4] وهو بيت فى السماء السابعة لا نعلم هيئته ، عماره من الملائكة (2) .

وقد رآه رسول اللَّه ε عندما عرج به إلى السماء السابعة ليلة الإسراء والمعراج ، فقال فى وصفه : " فرفع لي البيت المعمور فسألت جبريل فقال : هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم " (3) .

1. المفردات ص347 ، وانظر تفسير القرطبى 80/10 .
2. أنوار التتريل وأسرار التأويل 232/2 والعظمة لأبى محمد الأصفهانى 623/2 .
3. أخرجه البخارى فى كتاب بدء الخلق برقم (3207) 348/6 .

وفى رواية أخرى " فإذا أنا بإبراهيم ε ، مسندا ظهره إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ، لا يعودون إليه " (1) ، وذكر ابن عمر أنه بحيال الكعبة (2) .

- البيت المعمور فى الاصطلاح الصوفى :

والبيت المعمور عند الصوفية ، يعنى قلب الإنسان ، فهو محل الحق ولا يخلو عندهم أبدا ممن يعمره ، قال سهل بن عبد اللَّه التسترى (ت:293هـ)

فى تفسيره : (البيت المعمور قلوب العارفين ، المعمورة بمعرفته ومحبته والأنس به وهو الذى تحجه الملائكة ، لأنه بيت التوحيد) [3] .

يقول القشيرى (ت:465هـ) : (البيت المعمور هو قلوب العابدين العارفين المعمورة بمحبته ومعرفته) [4] وقال أيضا : (البيت المعمور مواضع عباداتهم ومجالس خلواتهم) [5] .

ويقول ابن عربى فى وصف معراجه الروحانى (ت:638هـ) : (ثم رأيت البيت المعمور فإذا به قلبى ، وإذا بالملائكة تدخله كل يوم ، وقد تجلى الحق

1. أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان برقم (162) 145/1 .
2. فتح القدير 96/5 .
3. تفسير سهل بن عبد الله التسترى ص 94، 95 .
4. لطائف الإشارات 472/3 .
5. الفتوحات الكية 3/ 350 .

له فى سبعين ألف حجاب من نور وظلمة ، فهو يتجلى فيها لقلب عبده ، لو تجلى دونها ، لأحرقت سبحات وجهه عالم الخلق من ذلك العبد) [1] .

وقال عبد الكريم الجيلى (ت:829هـ) : (البيت المعمور قلب الإنسان فهو محل الحق ، ولا يخلو أبدا ممن يعمره ، إما روح إلهى قدسى ، أو ملكى أو شيطانى أو نفسانى ، وهو الروح الحيوانى ، فلا يزال معمورا بمن فيه من السكان ، قال الله تعالى : { إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلا اللَّهَ فَعَسَى أُوْلَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنْ الْمُهْتَدِينَ } [التوبة/18] (2) .

****

13ـ البيضـــــــاء

****

– **البيضاء** : البياض فى الألوان ضد السواد ، ويكـــون ذلـــك فى الإنســـان والحيوان وغير ذلك مما يقبله (3) .

قال تعالى : { يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّـــا الَّـــذِينَ اسْـــوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ } [آل عمـــران/106] وقال تعالى : { يُطَـــافُ

1. السابق 472/3 .
2. الإنسان الكامل 79/1 .
3. لسان العرب 122/7 ، وكتاب العين 68/7 .

عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ } [الصافات/46] وقوله : { وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ } [الأعـــراف/ 108] ، أى فإذا يده التى أخرجها بيضاء تتلألأ نورا يظهر لكل مبصر (1) .

وعن أبي هريرة τ ، أن سول الله ε قال : " إن أمتي في الأمم كالشـــعرة البيضاء في الثور الأسود " (2) .

كما ورد لفظ البيضاء على معنى الأرض الخالية من الزراعة والتى لا ينتفع منها فعن جابر τ ، قال : " نهى رسول اللَّه ε ، عن بيع الأرض البيضاء سنتين أو ثلاثا " [3] .

وربما أطلق على القمح البيضاء ، لما روى عن عبد اللَّه بن يزيد ، أن زيدا أبا عياش سأل سعدا عن البيضاء بالسلت [4] ؟ ، فقال : أيهما أفضل ؟ قال : البيضاء ، فنهى عن ذلك " [5] .

البيضاء فى الاصطلاح الصوفى :

البيضاء فى الاصطلاح الصوفى لفظ موضوع على معنى مختلف عما ورد فى

1. المفردات ص66 ، وانظر فتح القدير 231/2 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب الرقاق برقم (6529) 385/11 .
3. أخرجه مسلم فى كتاب البيوع برقم (1536) 1174/3 .
4. البيضاء القمح ، والسلت الشعير الأبيض الذى لا قشر له .
5. أخرجه الترمذى فى كتاب البيوع (1225) وقال الألبانى : صحيح 528/3 .

الأصول القرآنية والنبوية ، فجعلوا البيضاء مركز العماء ، وجعلوا الدرة البيضاء بمعنى العقل الأول ، أخذا من بعض الأحاديث الموضوعة .

قال عبد الرزاق الكاشانى : (الدرة البيضاء هى العقل الأول ، لقوله عليه السلام : (أول ما خلق اللَّه درة البيضاء) ، والحديث الآخر : (أول ما خلق اللَّه العقل) [1] .

فالعقل الأول هو مركز العماء ، وأول منفصل من سواد الغيب ، وهـــو أعظم نيران فلكه ، فلذلك وصف بالبياض ليقابل بياضه سواد الغيب ، فيتبين بضده كمال التبين ، ولأنه أول موجود ، ويرجع وجـــوده علـــى عدمـــه

1. الصوفية يحتجون بأحاديث العقل وأغلبها موضوع أو ضعيف كقوله : (إن الله لما خلق العقل قال له : أقبل ، فأقبل ، ثم قال له : أدبر ، فأدبر فقال : وعزتي وجلالي ما خلقت أشرف منك فبك آخذ وبك أعطي) وغيره ، قال في المقاصد نقلا عن ابن تيمية وغيره أنه كذب موضوع باتفاق ، وفي زوائد عبدالله بن الإمام أحمد على الزهد لأبي بسند فيه ضعف عن الحسن البصري مرفوعا مرسلا : (لما خلـــق الله العقل قال له : أقبل ، فأقبل ، ثم قال له : أدبر ، فأدبر ، قال : ما خلقت خلقـــا أحب إلي منك بك آخذ وبك أعطي) وأخرجه داود بن المحبر في كتاب العقل له ، وهو كذاب عن الحسن أيضا بزيادة ولا أكرم علي منك لأني بك أعرف وبـــك أعبد ، وفي الكتاب المذكور لداود من هذا النمط أشياء منها : أول ما خلـــق الله العقل وذكره ، لكن ذكره في الاحياء ، وقال العراقي في تخريج أحاديثه : أخرجه الطبراني في الكبير والأوسط وأبو نعيم باسنادين ضعيفين ، انظر كشف الخفا ومزيل الإلباس (723) 275/1 .

والوجود بياض والعدم سواد ، ولذلك قال بعض العارفين فى الفقر : (إنـــه بياض يتبين فيه كل معدوم ، وسواد ينعدم فيه كل موجود) فإنه أراد بالفقر فقر الإمكان [1] .

وعند ابن عربى : الدرة البيضاء هى العقل الأول ، وهو أول ما أوجد اللَّه من عالم العقول المدبرة ، وهو جوهر بسيط ليس بمادة ولا فى مادة ، عـــالم

بذاته فى ذاته ، علمه ذاته لا صفة له ، مقامه الفقر والذلة والاحتياج إلى باريه وموجده ومبدعه ، له نسب وإضافات ووجوه كثيرة لا يتكثر فى ذاته ، سماه الحق سبحانه وتعالى فى القرآن حقا وقلما وروحا ، وفى السنة عقلا وغير ذلك من الأسماء .

قال اللَّه تعالى : { وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلا بِالْحَقِّ } [الحجر/85] وهو أول عالم التدوين والتسطير ، وهو الخازن الحفيظ العليم الأمين على اللطائف الإنسانية التى من أجلها وجد ، ولا يزال هذا العقل مترددا بين الإقبال والإدبار ، يقبل على باريه مستفيدا فيتجلى له ، فيكشف فى ذاته من بعض ما هو عليه ، فيعلم من باريه قدر ما علم من نفسه ، فعلمه بذاته لا يتناهى ، وعلمه بربه لا يتناهى ، وطريقة علمه به التجليات وطريقة علمه بربه علمه به ، ويقبل على من دونه مفيدا ، هكذا أبد الآباد فى المزيد فهو الفقير الغنى ، العزيز الذليل ، العبد السيد ، ولا يزال الحق يلهمه طلب التجليات لتحصيل المعارف [1] .

ويقول ابن عربى : فحال الرتق ، هى كون العالم بأسره عقلا محضا كما جاءت الأخبار الصحيحة حيث أخبر صلى اللَّه عليه وسلم : " إن أول ما خلق اللَّه عز وجل درة بيضاء " ، فتلك الدرة هى العقل الذى أخبر به ε : "

---

1. انظر معجم اصطلاحات الصوفية لعبد الرزاق لكاشانى ص7 2 ، وله أيضا رشح الزلال ص130 .

أول ما خلق اللَّه العقل " وذلك العقل هو نور رسول اللَّه ε الذى أخبر عنه ، فيما رواه جابر τ قال : " سألت رسول اللَّه ε عن أول شئ خلقه اللَّه تعالى ؟ ، فقال : هو نور نبيك يا جابر ، خلقه اللَّه ، ثم خلق فيه كل خير ، وخلق بعده كل شئ " ، فقد تبين لك بهذا الحديث أنه ε كل العالم ، وأن كل جزء من العالم مظهر له ، من حيث اتحاده ، وجزء منه وبعضه وغيره ، من حيث امتيازه وانفراده ، إذ نوره ε الذى هو العقل أصل العالم " [2] .

---

1. انظر عقلة المستوفذ ص40 ،41 وانظر اصطلاح الصوفية لابن عربى ص12والفتوحات المكية 421/2 .
2. بلغة الخواص الورقات 8 :10 والأحاديث المذكورة فى كلام الكاشانى وابن عربى عن اول ما خلق الله ، ليس هما أصل فى السنة ، والثابت فى أول خلق اللَّه هو القلم كما فى سنن أبى داود عن عبادة بن الصامت τ قال سمعت رسول اللَّه ε يقول : إن أول ما خلق اللَّه القلم ، فقال له : اكتب ، قال : رب وماذا أكتب ؟ قال : اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة) ، وقال الحافظ ابن حجر : والوارد في أول ما خلق الله ، حديث أول ما خلق الله القلم ، وهو أثبت من حديث =

****

14 ـ التدانى والتدلى

****

التدانى والتدلى : ورد اللفظان فى قوله تعالى : { ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى } [النجم/8٬9] والتدانى القرب ، كما فى قول الله تعالى : { قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ } [الحاقة/23] والتدلى الدنو الاسترسال [1] ، والمعنى الــوارد فى سورة النجم على وجهين :

1- أحدهما يرتبط بالمعنى السابق من الآيات ، فبعد أن رأى رسول اللَّــه جبريل فى الأفق الأعلى من جهة المشرق وهو فى الغار ، دنا منه جبريل حتى كان على قدر زراع أو زراعين ، أو كما ورد فى الآية كان قاب قوسين أو أدنى [2] ، ثم أوحى اللَّه إلى نبيه ما أمر جبريل بتبليغه إياه : { فَأَوْحَى إِلَــى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى } [النجم/10] ويؤكد هذا المعنى ما روى عن مسروق قــال :

= العقل ، أخرجه أبو داود فى كتاب السنة برقم (4700) انظر تعليق الشيخ الألبانى على شرح العقيدة الطحاوية ص 234طبعة مكتبة الدعوة الإسلامية وانظر كشف الخفا ومزيل الإلباس (723) 275/1 .

1. انظر كتاب العين للخليل بن أحمد 75/8 ، ولسان العرب لابن منظور 271/14 والمفردات فى غريب القرآن ص.171

2. تفسير ابن جرير الطبرى 4/15 ، وفتح القدير 110/5 .

قلت لعائشة رضي اللَّه عنها : فأين قوله : { ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَــانَ قَــابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى } ؟ قالت : ذاك جبريل ، كان يأتيه في صورة الرجل ، وإنه أتاه هذه المرة في صورته التي هي صورته فسد الأفق " [1] .

2- والثانى يرتبط بالمعراج ليلة الإسراء ، والمقصود بالتدانى هو دنو النبى ε من رب العزة ، ويؤكد هذا المعنى ما روى من حديث أنس بن مالك τ أنه ε قال : " وإبراهيم في السادسة ، وموسى في السابعة ، بتفضيل كلام اللَّـه ، فقال موسى : رب لم أظن أن يرفع علي أحد ، ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا اللَّه ، حتى جاء سدرة المنتهى ، ودنا للجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى اللَّه فيما أوحى إليه خمسين صلاة على أمتك كل يوم وليلة " [2] .

التدانى والتدلى فى الاصطلاح الصوفى :

أما المعنى الصوفى لهذين الاصطلاحين ، فالقشيرى يفسر الدنو والتدلى تفسيرا باطنيا ، فيقول : (دنا محمد من ربه بما أودع من لطائف المعرفة وزوائدها فتدلى بسكون قلبه إلى ما أدناه) [3] .

وعند ابن عربى : التدانى معراج المقربين والتدلى نزولهم ، وقد يطلق بإزاء

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب بدء الخلق برقم (3235) 361/6 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب التوحيد برقم (7517) 485/13 .
3. لطائف الإشارات 482/1 .

نزول الحق إليهم عند التدانى [1] .

ويشرح الكاشانى ذلك بأن التدانى معراج المقربين ، ومعراجهم العامر بالأصالة ، ينتهى إلى حضرة قاب قوسين ، وكحكم الوراثة المحمدية ، ينتهى

إلى حضرة قاب قوسين أو أدنى ، وهذه الحضرة هى رقيقة التدنى ، والتـــدلى نزول المقربين بوجود الصحو المفيق ، بعد ارتقائهم إلى منتـــهى منـــاهجهم ويطلق بإزاء نزول الحق من قدس ذاته ، الذى لا يطأ قدم استعداد الســـوى إليهم ، حيثما تقتضى سعة استعدادهم وضيقها ، فإن أفلاك كمالات القوابل متفاوتة فى السعة والضيق عند التدانى على خلاف معارجهم أيضا [2] .

****

15ـ التلبيـــــس

****

التلبيس : اللبس الخلط ، يقال : لبست عليه الأمر أى خلطته قال تعالى :

---

1. اصطلاحات الصوفية لابن عربى ص13 .

2. رشح الزلال ص132 وانظر التعريفات ص56 ، ولعل القارئ يلاحظ المنـــهج المتكرر فى عرض مثل هذه المعانى المعقدة الغريبة الهمجية التى لا يصل منها العاقل إلى شئ يذكر ، أو هدية تنير له الطريق ، وهم يتعمدون هذا فى كلامهم حتى يقـــال : التصوف بعيد الأغوار ، ولا يفهمه إلاهم ، ولو عرضنا هذا الكلام على شيخ مشايخ الطرق الصوفية فى عصرنا الحاضر ، ليقربه إلى أذهان الصوفية فضلا عن العامة ، لكان فى وضع لا يحسد عليه .

{ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمْ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ } [الأنعام/82] [1] ، وقال عبد اللَّه بن مسعود τ : " من طلق كما أمره اللَّه فقد

بين اللَّه الطلاق ، ومن لبس على نفسه وكلنا به لبسه ، واللَّه لا تلبسون على أنفسكم ونتحمله نحن " [2] .

وأصل اللبس الستر بالثوب ونحوه ، كقوله تعالى : { يَابَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ } [الأعراف/26] .

وجعل اللباس لكل ما يستر الإنسان ، سواء حسيا كما سبق ، أو معنويا كقوله : { هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ } [البقرة/187] [3] .

ومصطلح التلبيس أخذ الصوفية لفظه من قوله تعالى : { وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ } [الأنعام/9] ومعنى الآية : لو جعلنا الرسول ملكا كما يرغبون ، فإنه سيشق عليهم التعامل معه مباشرة ، لكون كيفيته لا تتناسب مع خلقتهم ، مما يحتم أن يكون رجلا بالضرورة ، فتتم المصلحة من الرسالة ، وإذا جعله اللَّه رجلا أى على صورة رجل من بنى آدم

1. لسان العرب 738/1 ، فتح القدير 101/2 .
2. صحيح الإسناد ، أخرجه الدارمى فى المقدمة برقم (110) 60/1 ، وعبد اللَّه بن مسعود قال ذلك فى شأن رجل طلق زوجته مائة مرة فى كلمة واحدة .
3. كتاب العين 262/7 ، فتح القدير 101/1 .

ليسكنوا إليه ويأنسوا به ، سيقول الكافرون : إنه ليس بملك وإنما هو بشر ويعودون إلى تكذيبه كما هو الحال ، وهنا يكون الابتلاء بالتصديق أو

التكذيب ، فقوله تعالى : { وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ } [الأنعام/9] أى لخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم ، فإذا رأوه فى صورة إنسان ، قالوا : هـذا إنسان وليس بملك ، فإن استدل لهم بأنه ملك كذبوه [1] .

التلبيس فى الاصطلاح الصوفى :

يذكر السراج الطوسى أنهم يعنون بالتلبيس تحلى الشئ بنعت ضده ، كما قال الواسطى : (التلبيس عين الربوبية) ، يقول السرا ج معقبا : (معناه أن المؤمن يظهره فى زى الكافر ، والكافر فى زى المؤمن ، كما قال الله تعالى : { وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ } ، وقال الجنيد بن محمد فى ذلك : امتـزج بالالتباس واختلط متلونا فى الإحساس ، وللقناد فى هذا المعنى :

بنا يكشف التلبيس فى كل ماكر

إذا طاح فى الدعوى وطاح انتحاله [2] .

ويقول على بن عثمان الهجويرى : (التلبيس إظهار الشئ للخلـق علـى خلاف حقيقته ، تلبيسا لقوله تعالى : { وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ } ، وهذه الصفة محالة لغير الحق ، لأنه يظهر الكافر بالنعمة مؤمنـا ، والمـؤمن بالنعمة

1. تفسير القرطبى 340/1 ، وتفسير ابن جرير الطبرى 153/7 زالسابق 101/1 .
2. اللمع ص449 .

كافرا ، إلى وقت إظهار حكمه فى كل شخص ، وحين يخفى واحد من هذه الطائفة خصاله المحمودة بصفاته المذمومة يقولون : إنه يلبس [1] .

وعند القشيرى : التلبيس أن من لم يقدس سره لبس عليه أمره [2] .

ويذكر الكاشانى أن التلبيس هو ظهور الذات بالتعينات ، لما يحصل من اللبس فى معرفتها ، كما قال عمرو بن الفارض :

وتظهر للعشاق فى كل مظهر : من اللبس فى أشكال حسن بديعة

ففى مرة لبنى وأخرى بثينة : وآونة تدعى بعزة عزت

يقول الكاشانى معقبا : وقوله عزت أى عن هذا اللبس الحاصل لمن يشاهدها فى المظهر حيث يظنها منحصرة فيه ، وهو عز وجل أن يتقيد بشئ من المظاهر [3] .

****

16 ـ التلـــــوين

****

- **التلوين** : تلون إذا اكتسى لونا غير اللون الذى كان له [1] ، وعن عـــروة

1. كشف المحجوب ص474 .
2. لطائف الإشارات 462/1 .
3. لطائف الإعلام 257/2، 258 .
4. لسان العرب 393/13 ، والمفردات ص457 .

بن الزبير τ : " أن امرأة سرقت في عهد رسول الله ε ، في غـــزوة الفـــتح ففزع قومها إلى أسامة بن زيد يستشفعونه ، قال : عروة فلما كلمه أســـامة

فيها ، تلون وجه رسول الله ε ، فقال : أتكلمني في حد من حدود الله ؟ قال : أسامة استغفر لي يا رسول الله .. " [1] .

ومن حديث أبى عمر الغداني عن أبى هريرة τ ، أنه قال للعامرى : " إياك وأخفاف الإبل ، وأظلاف الغنم ، يردد ذلك عليه حتى جعل لون العامري يتلون " [2] .

وقال تعالى : { وَمِنْ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ } [فاطر/27] وقال : { وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ } [الروم/22] إشارة إلى أنواع الألوان ، واختلاف الصور التى يختص كل واحد بهيئة غير هيئة صاحبه ، وسحنا غير سحنائه، مع كثرة عددهم [3] .

وعن أبي هريرة τ ، قال رسول الله ε : " التمر بالتمر ، والحنطة بالحنطة ، والشعير بالشعير ، والملح بالملح ، مثلا بمثل ، يدا بيد ، فمن زاد أو استزاد فقد أربى ، إلا ما اختلفت ألوانه " [4]

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب المغازى برقم (3965) 346/7 .
2. جزء من حديث أخرجه أحمد فى المسند برقم (9977) واللفظ لـه ، وأخرجه البخارى فى كتاب الزكاة برقم (1402) 314/3 .
3. المفردات ص457 .
4. أخرجه مسلم فى كتاب المساقاة برقم (1588) 1211/3 .

وعنه أيضا : " أن رجلا أتى النبي ε ، فقال : يا رسول الله ، ولد لي غلام أسود ، فقال : هل لك من إبل ؟ ، قال : نعم قال : ما ألوانها ؟ قال : حمر ،

قال : هل فيها من أورق ؟ ، قال : نعم قال : فأنى ذلك ؟ قال : لعله نزعه عرق ، قال : فلعل ابنك هذا نزعه " [1] .

- **التلوين فى الاصطلاح الصوفى :**

التلوين فى الاصطلاح الصوفى مبنى على معنى التقليب وعدم الاستقرار ولكن لمعان مختلفة :

فيذكر السراج الطوسى (ت : 378هـ) أن التلوين ، هو تلون العبد فى أحواله ، فعلامة الحقيقة التلوين ، لأن التلوين ظهور قدرة القادر ، ويكتسب منه الغيرة ، ومعنى التلوين معنى التغير ، فمن أشار إلى تلوين القلوب وتغير الأحوال قال : (علامة الحقيقة رفع التلوين) ، ومن أشار إلى تلوين القلوب والأسرار الخالصة لله تعالى فى مشاهدتها ، وما يرد عليها من التعظيم والهيبة وغير ذلك من تلوين الواردات ، فقال : (علامة الحقيقة التلوين) ، لأنهم فى كل سير مع اللّه تعالى فى زيادة من تلوين الواردات على أسرارهم ، وأما تلوين الصفات ، فهو كما قال القائل :

كل يوم تتلون : غير هذا بك أجمل [2] .

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب الطلاق برقم (4893) 506/8 .
2. اللمع ص443 .

وقال أبو القاسم القشيرى (ت:465هـ) : (التلوين صفة أرباب الأحوال ، فما دام العبد فى الطريق ، فهو صاحب تلوين ، لأنه يرتقى من

حال إلى حال ، وينتقل من وصف إلى وصف ، ويخرج من مرحل ويحصل فى مربع ، فإذا وصل تمكن ، وصاحب التلوين أبـــدا فى الزيـــادة ، وصـــاحب التمكين وصل تم اتصل ، فالعبد ما دام فى الترقى ، فصاحب تلوين يصح فى نعتة الزيادة فى الأحوال والنقصان منها) [1] .

أما السهروردى (ت:632هــ) فالتلوين عنده ، يكون لأرباب القلــوب لأنهم تحت حجب القلوب ، وللقلوب تخلص إلى الصفات ، وللصفات تعدد بتعدد جهاتها ، فظهر لأرباب القلوب بحسب تعدد الصفات تلوينـــات ، ولا تجاوز للقلوب وأربابها عن عالم الصفات ، وصاحب التلوين قد يتناقض الشئ فى حقه عند ظهور صفات نفسه ، وتغيب عنه الحقيقة فى بعـــض الأحـــوال ويكون ثبوته غير مستقر الإيمان ، وتلوينه فى زوائد الأحوال [2] .

ويقول ابن عربى (ت:638هــ) فى معنى التلوين : (التلوين تنقل العبد فى أحواله ، وهو عند الأكثرين مقام ناقص ، وعندنا هو أكمـــل المقامـــات وحال العبد فيه حال قوله تعالى : { كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ } [الرحمن/29] [3]
.

---

1. الرسالة 252/1 ، 255 ، وانظر كشف المحجوب ص 617 ، والإملاء عن إشكالات الإحياء ص.65
2. عوراف المعارف ص529 .
3. اصطلاحات الصوفية لابن عربى ص10وانظر لطائف الإعلام 346/1 .

ويوضح الكاشانى رأى ابن عربى ، فيذكر أن التلوين هو الاحتجاب عن حكم أو حال ، أو مقام سنى بآثار حال ، أو مقام دينى ، وعدمه على التعاقب ، وآخره التلوين فى مقام تجلى الجمع بالتجليات الأسمائية فى حال البقاء بعد الفناء ، وإنما قال ابن عربى : إنه عندنا أكمل المقامات ، وعند الأكثرين مقام ناقص ، لأنه أراد بالتلوين الفرق بعد الجمع ، إذ لم يكن كثرة الفرق حاجته عن وحدة الجمع ، وهو مقام أحدية الفرق فى الجمع وانكشاف حقيقة معنى قوله : { كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ } [الرحمن/29] ، ولا شك أنه أعلى المقامات ، وعند هذه الطائفة ذلك نهاية التمكين ، وأما التلوين الذى هو آخر التلوينات ، فهو عند مبادى الفرق بعد الجمع يحتجب الوجد بظهور آثار الكثرة عن حكم الوحدة (1) .

ويرى الجيلى (ت:829هـ) أن التلوين مشهد ذاتى ، يتلون فيه الصوفى بمعانى الأسماء والصفات ، فيغلب عليه فى كل زمان حكم صفة ، فيكون فى لون غير ما كان عليه من قبل ، وفى هذا المشهد يجد من اللذة الإلهية ، ما يسرى فى جميع أجزائه ، إلى أن تكاد تخرج روحه من عالم التركيب إلى عالم الأرواح ، لشدة اللذة المنطبعة فيه ، يجدها حكم الضرورة محسوسة ، كما يجد لذة المحسوسات (2) .

يقول الجيلى : (وقد أخذت هذه اللذة فقيرا عن محسوساته حتى غاب

---

1. معجم الكاشانى ص174 ،175 .
2. المناظر الإلهية لعبد الكريم الجيلى ص117 .

عن الكون وما فيه ، فلما رجع إلى نفسه ، وجده قد أمنى لما سرت فيه اللذة الروحانية ، فعمت الروح والقلب ، ثم أفاضت على بشرة جسده فأعطاه الجسد حكم بشريته فكان ما كان ، وقد أنكر هذا الحال بعض المشايخ المتقدمين من علماء الصوفية ، فقال : إن ذلك للبقايا التى فيه من البشرية وأين البشرية منه فى هذا المقام ؟ ، بل إنما هو بحكم البشرية فى هيكله الجسمانى ، لا لبقاياها فى نفسه المطهرة فاعلم [1] .

****

17ـ التمكين

****

- **التمكين** : يقال مكنته ومكنت له فتمكن ، أى ثبته فاستقر له الأمر والنهى فيه [2] وقال تعالى : { وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا

---

1. السابق ص117 ، وانظر أيضا جامع الأصول للكمشخانوى ص157 ، والصوفية من أصحاب الوحدة يعتقدون أن المرأة أفضل ما يتعين فيه الخالق تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا ، ويعشقون المرأة ويعاشرونها على أنهم يعبدون رب العزة ، ولذ فلا يستغرب القارئ هذه الزندقة فى قول الجيلى : وقد أخذت هذه اللذة فقيرا عن محسوساته حتى غاب عن الكون وما فيه ، فلما رجع إلى نفسه ، وجده قد أمنى لما سرت فيه اللذة الروحانية ، فعمت الروح والقلب ، ثم أفاضت على بشرة جسده فأعطاه الجسد حكم بشريته فكان ما كان .
2. لسان العرب 412/13 ، والمفردات ص471 .

مَعَايِشَ قَلِيلا مَا تَشْكُرُونَ } [الأعراف/10] وقال { وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ } [يوسف/21] ، أى مكنا ليوسف عليه السلام فى مصر حتى صار متمكنا من الأمر والنهى فيها [1] .

وعن أبي بن كعب τ، قال رسول اللَّه ε : " بشر هذه الأمة بالسناء والتمكين في البلاد والنصر والرفعة في الدين ، ومن عمل منهم بعمل الآخرة للدنيا فليس له في الآخرة نصيب " [2] .

وقالت أم سلمة زوج النبي ε : " ودعونا اللَّه للنجاشي بالظهور على عدوه ، والتمكين له في بلاده " [3] .

- التمكين فى الاصطلاح الصوفى :

التمكين فى الاصطلاح الصوفى ضد التلوين على وجه الإجمال ، أما على وجه التفصيل فكل صوفى يعبر عنه بما يراه مناسبا من وجهة نظره ورؤيته للأدلة ، فيستدل أبو على الدقاق للتمكين بحال امرأة العزيز ، حيث أن النسوة اللاتى قطعن أيديهن لما رأين يوسف عليه السلام ، كن صاحبات

1. فتح القدير 14/3 وانظر المفردات ص471 .
2. صحيح الإسناد ، أخرجه أحمد فى المسند برقم (20718) .
3. حسن ، جزء من حديث أخرجه أحمد فى المسند برقم (1742) وفيه محمد بن اسحاق بن يسار وهو صدوق .

تلوين لما ورد عليهن من شهود جمال يوسف على وجه الفجـــأة : { فَلَمَّـــا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ } [يوسف/31] .

أما امراة العزيز فكانت صاحبة تمكين ، لأنها أتم فى بلاء يوسف منـــهن فلم تتغير لرؤيته ، فقالت : { قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ } [يوسف/32] [1] .

والقشيرى يرى أن التمكين هو مقام الرسوخ والاستقرار على الاستقامة وما دام العبد فى الطريق فهو صاحب تلوين ، لأنه يرتقى من حال إلى حال وينتقل من وصف إلى وصف ، فإذا وصل إلى الحق بانخناس أحكام البشـــرية مكنه الحق سبحانه ، بأن لا يرده إلى معلولات النفس ، فهو متمكن فى حاله على حسب محله واستحقاقه ، فالتمكين صفة أهل الحقائق ، وأمارة أنه وصل إلى التمكين ، أنه بالكلية عن كليته بطل ، والتمكين يرفع التلوين [2] .

وقد استدل الهجويرى لمعنى التمكين بشأن موسى عليه السلام ، لما بلغ درجة التمكين ، وسقطت عنه ألوان التلوين حيث أمره اللَّه تعالى بأن يخلـــع نعليه وأن يلقى عصاه قائلا : { إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِـــالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى } [طه/12] ، وهذا لكونهما عدة السفر وهو فى حضرة ربـــه فأول المحبة طلب وآخرها سكون ، والماء إنما يجرى فى مجرى النهر حـــتى إذا

1. الرسالة القشيرية 252/1 .
2. السابق 252/1 .

وصل إلى المحيط وقف تياره وتغير طعمه ، فمن طلب الماء لشربه ابتعد عنه أما فى طلب اللؤلؤ ، فإنه يجاهد نفسه ، ويضع حبل الطلب فى رأسه ويغوص تحت الماء برأسه مجدا فى نيل اللؤلؤ ، فإما يجده وإما يفقد نفسه العزيزة ، ولكن موسى كان عرضة للتلوين ، حيث صعق لما تجلى ربه لجبل سيناء كما قال :

{ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا } [الأعراف/ 143] .

أما سيدنا محمد ε ، فتمكن حيث أنه لم تتغير حاله مع مكاشفة الحق له بجماله وجلاله من مكة ، إلى قاب قوسين أو أدنى ، فقال : { مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى } [النجم/17] وهذه درجة أعلى فى التمكين [1] .

وللهجويرى أيضا فى هذا المعنى تفصيل ، فيقول : التمكين عبارة عن إقامة المحققين فى محل الكمال والدرجة العليا ، فيمكن لأهل المقامات العبور من المقامات ، أما العبور من درجة التمكين ، فمحال لأن الأول درجة المبتدئين والثانى مستقر المنتهين ، والتمكين على نوعين : الأول ما تكون نسبته إلى شاهد النفس ، والآخر : ما تكون إضافته إلى شاهد الحق ، فما تكون نسبته إلى شاهد النفس يكون باقى الصفة ، وما تكون حوالته إلى شاهد الحق يكون فانى الصفة) [2] .

1. كشف المحجوب ص450 .
2. السابق ص450 .

ويذكر السهروردى أن أرباب التمكين ، هم الذين خرجوا عـــن مشـــائم الأحوال ، وخرقوا حجب القلوب ، وباشرت أرواحهم سطوع نور الذات فارتفع التلوين ، لعدم التغير فى الذات ، إذا حلت ذاته عن حلول الحوادث والتغيرات ، فلما خلصوا إلى مواطن القرب من أنصبة تجلى الذات ، ارتفـــع عنهم التلوين ، فالتلوين حينئذ يكون فى نفوسهم ، لأنها فى محـــل القلـــوب لموضع طهارتها وقدسها ، والتلوين الواقع فى النفوس ، لا يخرج صاحبه عـــن حالة التمكين ، لأن جريان التلوين فى النفس ، لبقاء رسم الإنسانية ، وثبوت القدم فى التمكين كشف حق الحقيقة ، وليس المعنى بالتمكين ، أن لا يكون للعبد تغير فإنه بشر ، وإنما المعنى به أن ما كوشف به من الحقيقة ، لا يتوارى عنه أبدا ، ولا يتناقص بل يزيد) [1] .

وعند محى الدين بن عربى : التمكين هو التمكين فى التلوين وقبل حـــال أهل الوصول [2] .

ويشرح الكاشانى المعنى بأن القلب الفائض ، يتحقق بحضرة قاب قوسين لوسيطة تتمانع فيها الأحكام التفصيلية الإلهية والإمكانية ، ترتفـــع بـــذلك الأحكام ، ويعود القلب حالتئذ مطلقا محيطا بها إحاطة الشئ بوجوه تقلباته فإذا انتقل من وسيطته المقتضية استواء الأطراف ، ينتقل بتغليب اسم إلهـــى وترجيح حكم كونى فى حقه إختيارا ، فإن هنالك أبو الوقت الحاكم عليـــه

---

1. عوارف المعارف ص529 .
2. اصطلاحات الصوفية لابن عربى ص10 .

يجعله قاضيا بظهور شئ أو بخفائه ، وهذا هو التمكين فى التلــوين ، فإنــه باختياره يغلب حكم التقييد على إطلاق نفسه ، فينتقل من اسم إلى اســم ومن وجه إلى وجه ، وحكم مع حكم ، مع الحق الذى { كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِـي شَأْنٍ } [الرحمن/29] [1] .

والتمكين عند عبد الكريم الجيلى ، هو تجلى الحق تعالى للعبد بذاته مــن حضرته ، فيتصف حينئذ بأسمائه وصفاته ، فيمكنه بنصب الحضرة الإلهية بين يدى العبد ، فيأخذ فيها ما شاء ، ويترك ما شاء ، ويظهر أثر ما شــاء متى شاء [2] ، يقول الجيلى : (وعند الدخول فى هذا التجلى ، يسمع العبد صلصلة الجرس ، وعند التوسط فيه يرى الرفرف ، والنعلين والتاج والسرير والمتجلى فى ذلك على الصورة المذكورة فى الحديث النبوى) [3] .

---

1. رشح الزلال ص160 .
2. المناظر الإلهية ص119 .
3. السابق ص119 ، وهو إما يشير بذلك إلى حديث عائشة عن الحارث بن هشام τ ، أنه سأل رسول اللَّه ε ، فقال : يا رسول اللَّه كيف يأتيك الوحي ؟ فقــال رسول اللَّه ε : أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس ، وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال ، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي مــا يقول " وهو حديث صحيح ، أخرجه البخارى فى كتاب بدء الوحى بــرقم (2) 25/1 ، وإما يقصد ما هو أبعد من ذلك ، وهو سماع الصوفى كسماع الملائكة للوحى فى الملأ الأعلى ، كما ورد عن بن مسعود τ ، قال =

****

18ـ الجـــــــلاء

****

- **الجلاء** : أصل الجلو الكشف الظاهر يقال : أجليت القوم عـــن منـــازلهم فجلوا عنها أى أبرزتهم عنها [1] ، قال الإمام البخارى : " الجلاء الإخـــراج من أرض إلى أرض " [2] .

والجلاء يطلق أيضا على نوع من الكحل يجلو البصر ويريحه ، فمن‌ حديث أم حكيم بنت أسيد عن أمها أن زوجها توفي ، وكانـــت تشـــتكي عينـــها

= رسول اللَّه ε : " إذا تكلم اللَّه بالوحي سمع أهل السماء للسماء صلصلة ، كجر السلسلة على الصفا ، فيصعقون فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل ، حـــتى إذا جاءهم جبريل فزع عن قلوبهم ، قال : فيقولون : يا جبريل ماذا قـــال ربـــك ؟ فيقول : الحق ، فيقولون : الحق الحق " وهو صحيح ، أخرجه أبو داود فى كتاب السنة برقم (4738) وقال الشيخ الألبانى : صحيح 235/4 ، وفى روايـــة أبى هريرة τ ، قال النبي ε : " إذا قضى اللَّه الأمر في الســـماء ، ضـــربت الملائكـــة بأجنحتها خضعانا لقوله ، كالسلسلة على صفوان " صحيح ، أخرجه البخارى فى كتاب تفسير القرآن برقم (4701) 231/8 ، ولكن لا علاقة للحديثين بما ذهب إليه غير التواطئ فى سماع صلصلة الجرس وضرب الملائكة بأجنحتها .

1. المفردات ص96 .
2. البخارى فى كتاب تفسير القرآن ، انظر فتح البارى 497/8 .

فتكتحل الجلاء ، فأرسلت مولاة لها إلى أم سلمة ، فسألتها عن كحل الجلاء فقالت : لا تكتحل إلا من أمر لا بد منه [1] .

وقال الشوكانى : الجلاء مفارقة الوطن ، ولا يكون إلا للجماعة ومع الأهل والولد [2] ، ومنه قوله تعالى : { وَلَوْلا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ الْجَلاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ } [الحشر/3] ويعنى إخراج يهود بنى النضير من المدينة ، كما ثبت ذلك من حديث كعب بن مالك τ ، وفيه : " وغدا رسول اللَّه εعلى بني النضير بالكتائب ، فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء ، فجلت بنو النضير ، واحتملوا ما أقلت الإبل " [3] .

- **الجلاء فى الاصطلاح الصوفى :**

أما الجلاء الصوفى ، فيذكر الكاشانى أنهم وضعوه على معنى ظهور الذات القدسية لذاته فى ذاته ، والاستجلاء ظهورها لذاته فى تعيناته [4] ، والفرق بين الجلاء والاستجلاء عندهم ، أن الأول عبارة عن ظهور الذات المقدسة فى مرآة الإنسان الكامل ، وأما الثانى عبارة عن جمع الحق بين شهوده نفسه

---

1. أخرجه النسائى فى كتاب الطلاق (3537) وقال الألبانى : ضعيف 204/6 .
2. فتح القدير 5 /196 .
3. أخرجه أبو داود فى كتاب الخراج برقم (3004) وقال الشيخ الألبانى : صحيح الإسناد 156/3
4. معجم الكاشانى ص65 وانظر لطائف الإعلام 389/1 .

بنفسه فى نفسه وحضرة وحدانيته ، وبين شهوده نفسه فيما امتاز عنه فيسمى بسبب الامتياز غيرا ، ولم يكن قبل الامتياز كذلك ، وعبارة عن مشاهدة ذلك الغير أيضا ، نفسه بنفسه منذ كونه غيرا ممتازا ، ومشاهدة من امتاز عنه أيضا بعينه ، وعمن امتاز عنه ، فتميز الواحد عمن ثناه بالفرقان النبى الذى حصل بينهما ، فظهر بينهما ضدا ، فانفرد كل بأحديته وجمعيته }[1] .

****

19ـ الجلال

****

- **الجلال** : الجلالة عظم القدر ، والجلال بغير الهاء التناهى فى ذلك فى وصف الجلالة [2] ، وخص الجلال بوصف اللَّه تعالى فقال : { وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ } [الرحمن/27] وقال : { تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلالِ وَالْإِكْرَامِ } [الرحمن/78] ولم يستعمل فى غيره [3] .

والجليل العظيم القدر ووصفه تعالى بالجلال إما لخلقه الأشياء العظيمة المستدل بها عليه أو لأنه يجل عن الإحاطة به أو لأنه يجل أن يدرك بالحواس فى

---

1. السابق ص65 .

2. المفردات ص94٬95 ، لسان العرب 116/11 ، والمغرب للمطرزى 155./1

3. السابق ص95 .

الدنيا [1] ، وعن أنس بن مالك τ ، " أنه كان مع رسول اللَّــه ε جالســا ورجل يصلي ثم دعا : اللَّهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض ، يا ذا الجلال والإكرام ، يا حي يا قيوم ، فقــال النبي ε : لقد دعا اللَّه باسمه العظيم ، الذي إذا دعي به أجاب ، وإذا سئل به أعطى " [2] .

- **الجلال فى الاصطلاح الصوفى :**

الجلال فى الاصطلاح الصوفى يعرفه ابن عربى بأنه نعــوت القهــر مــن الحضرة الإلهية كما أن الجمال نعت من نعوت الرحمة [3] .

ويعرفه عبد الرزاق الكاشانى ، بأنه مشاهدة جلال اللَّه تعالى فى القلب [4] ويقول مفسرا ذلك : (المراد جلال الجمال ، فإن الجلال الذاتى معنى يرجع إليه ، وهذا لأنه عظمة يجدها القلب عند التجلى ، فإذا أفرد غشيانها عليــه ذهب بحاله ونعته ، ولكن لا يذهب بعينه ، إذا كان المتجلى له ذا روح ، إذ لها حكم فى مسلك صورتها على ما هى عليه ، ألا ترى أنه لما تجلــى لعــين الجبل الخالية عن الروح ، خر موسى صعقا ولم تزل صورته وعينه ، ولذلك

---

1. السابق ص95 .
2. أخرجه أبو داود فى كتاب الصلاة برقم (1495) وقال الألبانى : صحيح 79/2 .

3. اصطلاحات الصوفية لابن عربى ص5 ، وانظر لطائف الأعلام 390/1 .
4. رشح الزلال ص72 ، ص75 .

أفاق موسى عليه السلام ، وعاد إلى حاله ، و لم يرجع الجبل كما كان جبلا والحق لا يتجلى بالجلال المطلق لأحد أبدا إذ لا يثبت معه وجود الغير) [1] .

أما الجيلى فقد عرفه بقوله : (الجلال عبارة عن ذاته ، بظهوره فى أسمائه وصفاته كما هى عليه على الإجمال ، وأما على التفصيل ، فإن الجلال عبارة عن صفات العظمة والكبرياء ، والمجد والثناء ، وكل جمال له يشتد ظهـــوره فإنه يسمى جلالا) [2] .

ويذكر الجيلى فى أثر الجلال على العبد ، أن اللَّه يتجلى له بصفات القهر والكبرياء والعظمة والقدرة والجبروت ، فيندك جبله وتصعق نفسه ، فيقع فى بحار من الهيبة تتلاطم أمواجها بالنار ، وفى هذا المشهد يسمع العبد صلصلة الجرس ، وأول بدؤه فى الكشف فى هذا المنظر ، يسمع تصادم الحقائق بعضها مع بعض ، فيجد لها أطيطا يملأ ما بين السماء والأرض ، ثم إذا تقوى وثبت لسماع ذلك ، يترقى ويسمع صلصلة الجرس ، عند رفع الستر عن الصـــفة القاهرة ، وفى هذا المنظر يتصف الأولياء بالصفة القادرية ، فيخترع الرجـــل منهم ما شاء من عجائب القدرة والتكوينات ، التى لا يسع شرحها ، ومـــا دام العبد فى تجليات الجلال ، فإنه لا يمكنه أن يبرز شيئا من عالم غيبتـــه إلى عالم شهادته ، لأن عالم الشهادة ، يضيق عن حمل ذلـــك ، فـــلا تكـــون

1. السابق ص72Υ73 .
3. الإنسان الكامل 60/1 .

اختراعاته وانفعلاته وخرقه للعوائد إلا فى عالم غيبه [1] .

ويذكر التهانوى أن الجلال فى العرف الصوفى ، هـو إظهـار استغناء المعشوق عن عشق العاشق ، وهو دليل على فناء الوجود ، وغرور العاشق وإظهار فقره ، وبقاء ظهور المعشوق ، كما يكون للعاشق اليقين به [2] .

****

20ـ الجلــــوة

****

- **الجلوة** : أصل الجلو الكشف الظاهر ، يقال : أجليت القوم عن منـازلهم فجلوا عنها ، ويقال : فلان ابن جلا أى مشهور ، والسماء جلواء ، أى صحو [3] .

قال تعالى : { وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى } [الليل/ 2] ، وقال أيضـا : { فَلَمَّـا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا } [الأعراف/143] ، وفى حديث جابر بن عبـد اللَّه τ : أنه سمع رسول اللَّه ε يقول : " لما كذبتني قريش قمت في الحجر ، فجلا اللَّه لي بيت المقدس ، فطفقت أخبرهم عن آياته ، وأنا أنظر إليه " [4] .

---

1. المناظر الإلهية ص194 ، 195 .

2. كشاف التهانوى 347/1 .

3. المفردات ص96 ، والقاموس المحيط ص 1641 .

4. أخرجه البخارى فى كتاب المناقب برقم (3886) 236/7 .

- **الجلوة فى الاصطلاح الصوفى :**

والجلوة كما ذكر محى الدين بن عربى ، تعنى خروج العبد من الخلوة بالنعوت الإلهية [1] ، ويضيف الجرجانى للمعنى الصوفي السابق ، فيقول : الجلوة خروج العبد من الخلوة بالنعوت الإلهية ، إذ عين العبد وأعضاؤه ممحوة عن الأنانية ، والأعضاء مضافة إلى الحق بلا عبد ، لقوله تعالى : { وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى } [الأنفال/17] ، وقوله تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ } [الفتح/10] [2] .

****

21- الجمال

****

- **الجمال** : ما يتجمل به ويتزين به ، وهو يعنى الحسن الكثير ، قال تعالى : { وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ } [النحل/6] ، أى لكم فيها تجمل وتزين عند الناظرين إليها [3] .

والجميل من أسماء اللَّه الحسنى يدل على صفة الجمال بدلالة التضمن لما ورد فى حديث عبد اللَّه بن مسعود τ ، عن النبي ε قال : " لا يدخل

1. اصطلاحات الصوفية لابن عربى ص13 .
2. التعريفات للجرجانى ص80 .
3. لسان العرب 123/11 ، والمفردات ص97 ، وكتاب العين 142/6.

الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ، قال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة ، قال : إن اللَّه جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق وغمط الناس " (1) .

والصبر الجميل والصفح الجميل ، أحسن ما يكون من الصبر والصفح كما قال تعالى : { فَصَبْرٌ جَمِيلٌ } [يوسف/18] ، وقوله : { فَاصْفَحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ } [الحجر/85] (2) .

- **الجمال فى الاصطلاح الصوفى :**

الجمال عند ابن عربى نعوت الرحمة والإلطاف من الحضرة الإلهية ، وهو معنى يرجع من اللَّه إلينا فى التنزلات والمشاهدات والأحوال ، وله فينا أمران الهيبة والانس ، وذلك لأن لهذا الجمال دنوا وعلوا ، فالعلو نسميه : جلال الجمال ، وفيه يتكلم العارفون ، وهو الذى يتجلى لهم ، ويتخيلون أنهم يتكلمون فى الجلال الأول ، وهذا جلال الجمال ، قد اقترن معه منا الأنس والجمال الذى هو الدنو ، اقترن معه منا الهيبة ، فإذا تجلى لنا جلال الجمال أنسنا ، ولولا ذلك لهلكنا ، فإن الجلال والهيبة ، لا يبقى لسلطانهما شئ فيقابل ذلك الجلال منه بالأنس منا ، لنكون فى المجاهدة على الاعتدال

1. أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان برقم (91) 93/1 .

2. لسان العرب 439/4 ، وفتح القدير 141/3 ، وتفسير البيضاوى 279/3 وانظر تفسير القرطبى 150/9 .

حتى نعقل ما نرى ولا نذهل ، وإذا تجلى لنا الجمال هبنا ، فإن الجمال مباسطة الحق لنا ، والجلال عزته عنا ، فتقابل بسطه معنا فى جماله بهيبته فإن البسط يؤدى إلى سوء الأدب ، وسوء الأدب فى الحضرة سبب الطرد والبعد ، ولهذا قال بعض المحققين ممن عرف هذا المعنى ، اقعد على البساط وإياك والانبساط فإن جلاله فى أنسنا يمنعنا فى الحضرة من سوء الأدب [1] .

والجمال عند الكاشانى ، هو تجلي اللّه بوجهه لذاته ، فلجماله المطلق جلال ، هو قهاريته للكل عند تجليه بوجهه ، فلم يبق أحد حتى يراه ، وهو علو الجمال ، وله دنو يدنو به منا ، وهو ظهوره من الكل [2] .

ويذكر التهانوى أن الجمال عند الصوفية ، عبارة عن إلهام الغيب الذى يرد على قلب السالك ، ويرد أيضا بمعنى إظهار كمال المعشوق فى طلبه للعشق ، والجمال الحقيقى صفة أزلية لله تعالى ، حيث يشاهد الجمال فى ذاته أولا مشاهدة علمية ، وهى علمه تعالى بأنه جميل ، فأراد اللّه أن يرى جماله فى صنعه مشاهدة عينية ، فخلق العالم كمرآة شاهد فيه عين جماله عيانا [3] .

وعند الجيلى الجمال ، منظر تتنوع تجليات الحق فيه ، فتارة يتجلى باللطف وتارة بالرحمة ، وتارة بالعلم ، وتارة بالفضل ، وتارة بالجود ، وأمثال ذلك

1. اصطلاحات الصوفية ص5 . 1، لطائف الأعلام 1/ 390 .

2. معجم اصطلاحات الصوفية للكاشانى ص66 .

3. كشاف التهانوى 348/1 .

إلى ما لا نهاية له من تجلياته ، ثم إن تجليات اللَّه تعالى على قلوب عباده كلها إما جمال الجلال ، وإما جلال الجمال ، واللَّه إذا تجلى لعبده فى منظر الجمال رأى ذلك العبد جميع الأشياء ملحقة باللَّه ، فلا يمر بحجر ولا مدر ولا حيوان ولا شئ من الأشياء ، إلا وتلوح له تجليات الجمال من تلك الأشياء ، بلا حلول ولا اتحاد ، بل على التتريه اللائق به ، وذلك لأن اللَّه تعالى يكشف له عن محتد الموجودات ، فلا يمر بموجود إلا ويكشف له عن محتده ، من جمال اللَّه تعالى ، ويسمع العبد من اللَّه تعالى فى منظر الجمال ، قوله : { فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ } [البقرة/115] [1] ، فيكون عند العبد علم بتوحيد الحق فى سائر المخلوقات ، وترد عليه ملائكة الحقائق بأنواع علوم التوحيد ، فلا تزال تهديه إلى الحق حتى يرتقى عنها وعن نفسه وعن علومها ، فيفنى عن جميع ذلك ، ثم يفنى عن الفناء ، ثم يبقى ببقاء اللَّه تعالى ، فإذا صار باقيا باللَّه شم رائحة من الجلال [2] .

****

22ـ جلال الجمال

****

- **جلال الجمال** : انظر مصطلح الجلال والجمال .

1. المناظر الإلهية ص193 .
2. السابق ص193 .

جلال الجمال فى الاصطلاح الصوفى :

يذكر الكاشانى أن جلال الجمال فى عرف الصوفية ، عبارة عن علو الجمال وعزته عنا ، فإذا تجلى لنا تعالى فى جماله ، فإن عزة جماله تمنعنا عن إدراكه تعالى ، ومعرفته على ما هو عليه ، فسميت تلك العزة والمنعة التى يقتضيها الجمال جلاله ، والفرق بين هذا الجلال ، وبين الذى فى مقابلة الجمال ، هو أن الجلال المطلق معنى يرجع منه إليه تعالى ، وهو الذى يمنعنا عن أن نرى ذاته تعالى ، فلانفراد الحق به تعالى لم يصح لغيره أن يراه فيه .

وأما جلال الجمال : فهو جلال الجمال الذى تجلى لنا فيه ، بحيث أنه لما تجلى لنا فى جماله ، وكان جلاله مقترنا بجماله ، فكان تعالى لأجل الجلال والجمال عند تجليه لنا ، مما لا يستحيل علينا أن ندركه فى تجليه لنا ، ومن لم يعرف هذا لم يعرف ما اختص به أهل السنة من بين سائر الطوائف ، حيث أثبتوا كونه تعالى مرئيا بالإبصار فى دار القرار ، مع تنزهه عن الجهة والتحيز وتوابعهما بخلاف من نفى رؤيته من الفلاسفة والمعتزلة ، لأجل تنزهه عن الجهة أو من أثبت الجهة لأجل رؤيته ، فقد اتضح معنى الجلال والجمال المطلقين ، ومعنى جلال الجمال [1] .

أما جمال الجلال ، فهو حضرة الدنو الذى منها تجلى لعباده ، وباعتبارها صحت المعرفة له ، وأهل العبيد لعبادته ، كما كما قال الشيبانى :

1. لطائف الإعلام 391/1 .

جمالك فى كل الحقائق سافر : وليس له إلا جلالك ساتر

وبجماله ظهر لخلقه بخلقه ، وبجلاله حجبهم عن معرفته ، فالجمال سافر والجلال ساتر ، ولما كان الجلال معنى يرجع منه إليه ، بحيث لا يصح لغيره أن يراه فيه ، لانفراده تعالى بحضرة جلاله ، لم يكن الجلال هو جلال الجمال بعينه [1] .

****

23ـ الجمــــع

****

- **الجمع** : الجمع ضم الشئ بتقريب بعضه من بعض ، يقال جمعته فاجتمع ، وقال عز وجل : { وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ } [القيامة/9] ، وقال سبحانه : { الَّذِي جَمَعَ مَالا وَعَدَّدَهُ } [الهمزة/2] .

ومن حديث ابن عمر τ ، عن النبى ε : " فيومئذ يبعثه اللَّه مقاما محمودا ، يحمده أهل الجمع كلهم " [2] ، وقوله عز وجل : { إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ } [آل عمران/173] قيل : جمعوا آراءهم فى التدبير عليكم ، وقيل أيضا :

جمعوا جنودهم ، وعن ابن عباس τ ، أن النبي ε ، قال يوم بدر : " اللَّهم إني أنشدك عهدك ووعدك ، اللَّهم إن شئت لم تعبد ، فأخذ أبو بكر

---

1. السابق 392/1 .

2. أخرجه البخارى فى كتاب الزكاة برقم (1475) 396/3 .

بيده فقال : حسبك ، فخرج وهو يقول : { سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ } [القمر/45] " [1] وقوله تعالى : { وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ } [النور/62] أى أمر له خطر يجتمع لأجله الناس فكأن الأمر نفسه جمعهم [2] ، ومن المعانى الاصطلاحية القرآنية والنبوية المتعلقة بالجمع :

1- يوم الجمع : سمى يوم القيامة يوم الجمع ، لاجتماع الخلائق فى أرض المحشر ، كما قال تعالى : { يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ } [التغابن/9] .

2- الإجماع : ويقال على ما اجتمعت أراء المسلمين عليه ، وعن أنس بن مالك τ ، قال رسول اللَّه ε : " إن أمتي لا تجتمع على ضلالة فإذا رأيتم اختلافا فعليكم بالسواد الأعظم " [3] .

3- يوم الجمعة : سمى يوم الجمعة ، لاجتماع الناس للصلاة ، قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ } [الجمعة/9] .

4- الجماعة : تطلق على الصلاة خلف الإمام ، فعن أبي هريرة τ ، أن

1. أخرجه البخارى فى كتاب المغازى برقم (3953) 335/7 .
2. المفردات ص 96.
3. أخرجه ابن ماجة فى كتاب الفتن برقم (3950) وقال الألبانى : ضعيف جدا دون الجملة الأولى 1303/2 .

رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم قال :" تفضل صلاة الجمع على صلاة أحدكم وحده بخمسة وعشرين جزءا ، ويجتمع ملائكة الليل والنـــهار في صلاة الفجر " [1] .

5- الجماعة : تطلق على السواد الأعظم من المسلمين ، لحديث أنس بـــن مالك τ ، قال رسول اللَّه ε : " فإذا رأيتم اختلافا فعليكم بالســـواد الأعظم " [2] ، ومن حديث ابن عمر τ ، أن رسول اللَّه ε قال : " يد اللَّه مع الجماعة ومن شذ شذ إلى النار " ، قال أبو عيسى الترمذى : الجماعة عند أهل العلم هم أهل الفقه والعلم والحديث [3] .

6- الجمع : يقال على التمر المتنوع المختلط ، لما روى عـــن أبي ســـعيد الخدري τ ، قال : " كنا نرزق تمر الجمع ، وهو الخلط من التمر وكنا نبيع صاعين بصاع ، فقال النبي ε : لا صاعين بصـــاع ولا درهمـــين بدرهم " [4] وفى رواية " لا تفعل بع الجمـــع بالـــدراهم ، ثم ابتـــع بالدراهم جنيبا " [5] .

1. أخرجه البخارى فى كتاب الآذان برقم (649) 161/2 .
2. جزء من الحديث السابق الذى أخرجه ابن ماجة فى كتاب الفتن برقم (3950) .
3. أخرجه الترمذى فىكتاب الفتن برقم (2167) وقال الشيخ الألبانى : صحيح دون قوله : ومن شذ 466/4 .
4. أخرجه البخارى فى كتاب البيوع برقم (2080) 364/4 .
5. أخرجه البخارى فى كتاب البيوع برقم (2202) 467/4 .

- الجمع فى الاصطلاح الصوفى :

الجمع فى الاصطلاح الصوفى ما يكون من قبل الحق ، من إبداء معان وإسداء لطف وإحسان ، فمن أشهده الحق سبحانه ما يوليه من أفعال نفسه سبحانه ، فهو عبد بشاهد الجمع ، وإذا أصغى بسره إلى ما يناجيه به مولاه واستمع بقلبه ما يخاطبه به فيما ناداه أو نجاه ، أو عرفه أو لوح لقلبه وأراده فهو بشاهد الجمع [1] .

وقال أبو على الدقاق : أنشد صوفى بين يدى أبو سهل الصعلوكى : جعلت تنزهى نظرى إليك ، وكان أبو القاسم النصراباذى حاضرا ، فقال أبو سهل : جعلتَ بنصب التاء ، وقال النصرباذى : بل جعلتُ بضم التاء فقال أبو سهل : أليس عين الجمع أتم ؟! .

ومعنى هذا أن من قال : جعلتُ بضم التاء يكون إخبارا عن حال نفسه فكأن العبد يقول : هذا من عنده ، وإذا قال : جعلتَ بفتح التاء ، فكأنه يتبرأ من أن يكون ذلك بتكلفه ، بل يخاطب مولاه ، فيقول : أنت الذى خصصتنى بهذا لا أنا بتكلفى [2] .

وقال الكاشانى : الجمع يطلق فى اصطلاح القوم على عدة معان :

1- يشيرون بالجمع إلى حق بلا خلق ، وبالتفرقة إلى العكس ويقولون :

1. الرسالة القشيرية 223/1 .
2. السابق 223Ƴ224/1 .

الفرق رؤية خلق بلا حق .

2- الجمع هو الاشتغال بالحق بحيث يجتمع الهم ، ويتفرغ الخاطر للتوجه إلى حضرة قدسه تعالى ، وأن الفرق هو تفرقة الخاطر عن ذلك ويقرب من هذا قولهم فى التفرقة ، بأنها عبارة عن اشتغال النفس بقوى البدن والتصرف فيها ، والانهماك فى لذاتها ، وأن الجمع إقبال النفس على العالم القدسى مشتغلة به عن العالم الحسى .

3- الجمع اجتماع همتها على عبادة الحق ، بحيث يذبها ذلك عن الالتفات إلى الخلق .

4- ويراد بالجمع أيضا : الاشتغال بشهود اللّه عما سواه تعالى والتفرقة : هى الاشتغال عن اللّه بما سواه .

5- وقد يطلقون الجمع ويريدون به شهود ما سوى اللّه قائما باللّه .

6- وتارة يعبرون بالجمع عن حال من أثبت نفسه ، وأثبت الحق ولكن شاهد الكل قائما به سبحانه .

7- وتارة يعنون بجمع الجمع ، الاستهلاك بالكلية فى اللّه .

8- الجمع شهود الوحدة فى الكثرة ، ويسمى عالم الجمع ، وحضـــرة الجمع ، ومقام الجمع ، وهو أن تشهد الذات بحسب واحديتـــها المحيطـــة بجميع الأسماء ، والحقائق [1] .

---

1. لطائف الإعلام 392٢393/2 .

****

24ـ الحـــــــرق

****

ـ **الحرق** : الإحراق إيقاع نار ذات لهيب فى الشئ ، ومنه اســتعير أحـــرقنى بلومه ، إذا بالغ فى أذيته بلومه ، والحريق النار قال تعالى :

{ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ } [الأنفال/50] وقال : { فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ } [البقرة/266] [1] .

واللفظ ورد فى القرآن والسنة على معنى إشعال النار ، واللَّهب فى الدنيا أو الآخرة ، كقوله تعالى عن الحرق فى الدنيا : { وَانظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّـــذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا } [طه/97] .

وقال رسول اللَّه ε : "ما تعدون الشهادة ؟ ، قالوا : القتل في سبيل اللَّه عز وجل ، قال رسول اللَّه ε : الشهادة سبع سوى القتل في سبيل اللَّه عـــز وجل ، المطعون شهيد ، والمبطون شهيد ، والغريق شهيد ، وصاحب الهـــدم شهيد ، وصاحب ذات الجنب شهيد ، وصاحب الحرق شهيد ، والمرأة تموت

بجمع شهيدة " [2] ، أما عن الحرق فى الآخرة فهو كقوله تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ } [البروج/10] .

1. انظر المفردات ص114 ، ولسان العرب 41/10 .
2. أخرجه النسائى فى كتاب الجنائز برقم (1846) قال الألبانى : صحيح 13/4 .

- **الحرق فى الاصطلاح الصوفى :**

والحرق فى المفهوم الصوفى ، هو واسطة التجليات الجاذبة إلى الفناء التى أوائلها البرق ، وأواخرها الطمس فى الذات [1] .

قال الكاشانى : (الحرق هو أوسط ما يبدو من أنوار التجليات الجاذبة إلى الفناء فى عين التوحيد ، فإن أنوار التجليات ما دامت فى الابتداء ، فإنها تسمى برقا ، فإذا اشتد جذبها حتى أسقطت الصبر وغلبت العقل ، سميت حرقا ، فإذا بلغت من العبد الغاية التى لم يبق متسع لغيرها ، بحيث أفنته عن نفسه فضلا عن غيره سميت طمسا) [2] .

****

25- الحضـــــرة

****

- **الحضرة** : الحضر خلاف البدو ، والحضرة السكون بالحضر ، ثم جعل ذلك اسما لشهادة مكان أو إنسان أو غيره ، فمثال حضور المكان ما روى عن أبي

هريرة τ ، أن رسول اللَّه ε قال : " فإذا خرج الإمام حضــرت الملائكــة يستمعون الذكر " [3] .

1. معجم اصطلاحات الصوفية للكاشانى ص82 ، وانظر كشاف التهانوى 91/2 .
2. لطائف الإعلام 409/1 ، 410 .
3. أخرجه البخارى فى كتاب الجمعة برقم (881) 425/2 .

وعنه أيضا τ ، أن النبي ε قال : " ليأخذ كل رجل برأس راحلته ، فــإن هذا مترل حضرنا فيه الشيطان " [1] ، ومثال حضور الإنسان ، قوله تعالى : { وَأُحْضِرَتْ الأنفُسُ الشُّحَّ } [النساء/128] ، وقوله : { كُتِبَ عَلَــيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ } [البقرة/180] .

ومثال الأنواع الأخرى : قوله تعالى : { وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُون } [المؤمنون/98:97] ، وقوله : { يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا } [آل عمران/30] ، أى مشــاهدا معاينا فى حكم الحضر عنده .

وعن عائشة رضى الله عنها ، عن النبي ε قال : " لا صلاة بحضرة الطعام ، ولا هو يدافعه الأخبثان " [2] .

وعن فاطمة رضى اللَّه عنها قالت : أسر إلي النبي ε : " إن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة ، وإنه عارضني العام مرتين ، ولا أراه إلا حضر أجلي ، وإنك أول أهل بيتي لحاقا " [3] .

1. أخرجه مسلم فى كتاب المساجد برقم (680) ، وأخرجه النسائى فى كتاب المواقيت برقم (623) اللفظ له .
2. أخرجه مسلم فى كتاب المساجد برقم (560) 393/1 .
3. أخرجه البخارى فى كتاب المناقب (3624) 726/6 وانظر المفردات ص 122 .

الحضرة فى الاصطلاح الصوفى :

والحضرة فى عرف الصوفية ، إشارة إلى قوله تعالى : { كُنْ } ، كقوله : { إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } [النحل/40] ، فهى صورة الإرادة الكلية [1] .

ويذكر ابن عربى للحضرة معان متنوعة ، فالعشق الإلهى حضرة واجتماع أصحاب المعرفة حضرة ، والمنام يسميه حضرة الخيال ، وأم الكتاب يسميه حضرة أم الجمع ، وكل اسم إلهى هو حضرة ، والحضرات الإلهية لا تكاد تنحصر عند الصوفية [2] .

ويقول ابن عربى عن حضرة أم الكتاب : (أدخلنى الحق إياها ، فرأيتها ورأيت ظاهرها وباطنها ، وفرع سبحانه من هذه الحضرة الجامعة التى اختصها لنفسه ، حضرات لا يعلم عددها إلا اللّه فى السماء والأرض ، وما بينهما وما تحت الثرى) [3] .

ويقول أيضا : (فمن أحب العالم لجماله ، فإنما أحب اللَّه ، وليس للحق

---

1. اصطلاحات الصوفية لابن عربى ص17 ، ومعجم عبد الرزاق الكاشانى ص88 والتعريفات ص195 .
2. الفتوحات المكية 198/4 وما بعدها ، وانظر لطائف الإعلام 419:411/1 فى بيان تنوع معانى مصطلح الحضرة عند الصوفية .
3. السابق 582/2 .

مجلى إلا العالم ، وهنا سر نبوى إلهى ، خصصت به من حضرة النبوة ، مع كونى لست بنبى ، وإنى لوارث) [1] .

وقد أصبح مصطلح الحضرة فى العرف الصوفى حاليا ، مقترنا بالاجتماع أسبوعيا أو يوميا فى الخلوة المرفقة بالمسجد أو بمنزل شيخ الطريقة ، حيث يلتقى الشيخ بمريديه ، والحضرات ليست على مستوى واحد ، فهناك حضرة للمريدين وأخرى للذكر والسماع ، وتستمر الحضرة غالبا من بعد صلاة العشاء إلى منتصف الليل ، وعند انتهاء الحضرة يقوم الجميع لصلاة العشاء وتعد الحضرة الصوفية من المراسم التى يتسم بها مجالس الصوفية [2] ، وقد استجد فيها مزيد من المخالفات كشرب الشيشة والدخان وغيرهما .

****

26ـ الخلق الجديد

****

- **الخلق الجديد** : الجديد ما أحدث إنشاؤه ، كقول الله تعالى : { إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ } [إبراهيم/19] .

وعن أبي هريرة τ ، أن النبي ε قال : " ولو لم تذنبوا ، لجاء اللَّه بخلق

1. السابق 269/4 .
2. ألفاظ الصوفية ومعانيها للدكتور حسن محمد الشرقاوى الطبعة الثانية ، دار المعرفة الجامعية ص143 ،144 .

جديد كي يذنبوا فيغفر لهم " (1) .

وقوله تعالى : { بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ } [ق/15] يعنى النشأة الثانية فى الآخرة (2) ، وجميع ما ورد فى القرآن والسنة ، من الخلق الجديد فهو على هذا المعنى السابق .

- **الخلق الجديد فى الاصطلاح الصوفى :**

أما المعنى الصوفى للخلق الجديد ، فهو اتصال أمداد الوجود من نفس الرحمن إلى كل ممكن ، لانعدامه بذاته ، وفيضان الوجود عليه منه ، على التوالى حتى يكون فى كل آن خلقا جديدا ، لاختلاف نسب الوجود إليه مع الآنات ، واستمرار عدمه فى ذاته (3) .

يقول ابن عربى : (إن فى العالم الحسى والكون الثابت ، استحالات مع الأنفاس ، لكن لا تدركها الأبصار ولا الحواس ، إلا فى الكلام خاصة وفى الحركات ، وأصل ذلك كله ، أعنى أصل التغير من صورة إلى مثلها أو

خلافها ، لتغير الأصل الذى يمده ، وهو التحول الإلهى فى الصور ، وهو قوله تعالى : { كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ } [الرحمن/29] ، فلما كان اللَّه كل يوم هو فى

1 . أخرجه مسلم فى كتاب التوبة برقم (2749) والترمذى فى كتاب صفة الجنة برقم (2525) واللفظ له .

2. لسان العرب 108/3 ، المفردات ص88 .

3. معجم الكاشانى ص180 .

شأن ، كان تقليب هذا العالم الذى هو صورة هذا القالب من حال إلى حال مع الأنفاس ، فلا يثبت العالم قط على حال واحدة زمانا فردا ، لأن اللَّه خلاق على الدوام ، ولو بقى العالم على حال واحدة زمانين ، لا تصف بالغنى عن اللَّه ، ولكن الناس فى لبس من خلق جديد) [1] .

ويقول أيضا : (إن اللَّه يتجلى فى كل نفس ، ولا يكرر التجلى ، وكل تجلى عند الصوفية يعطى خلقا جديدا ، ويذهب بخلق ، فذهابه هو عين الفناء عن التجلى ، والبقاء لما يعطيه التجلى الآخر ، فيحدث نشأة الإنسان مع الأنفاس ولا يشعر ، وهو قوله تعالى : { وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لا تَعْلَمُونَ } [الواقعة/61] ، يعنى مع الأنفاس ، وفى كل نفس له فينا إنشاء جديد ، بنشأة جديدة ، ومن لا علم له بهذا ، فهو فى لبس خلق جديد) [2] .

ويذكر عبد الرزاق الكاشانى أن الخلق الجديد ، يعنى به ما يفهم من باب الإشارة من قوله تعالى : { بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ } [ق/15] وذلك أن هذه الآية الكريمة ، كما يفهم منها بحسب ظاهر عبارتها ، ما نزلت

لإثباته من حشر الأجساد ، وتجديد الخلق فى يوم الميعاد ، فكذا يفهم منها ما تشير إليه فى مقتضى ذوق الكمال ، بلسان الخصوص المفهوم لأهل اللَّه تعالى من تجديد الخلق مع الأنفاس :

---

1. الفتوحات المكية 198/3 .

2. فصوص الحكم 126/1، وانظر الفتوحات المكية 46/2.

(إن الكفار فى لبس وشك من تجديد الخلق مع الأنفاس) [1] .

فإن كل ما سوى الحق تعالى من جميع مخلوقاته الروحانيــة والجســمانية والعلوية والسفلية ، لا بقاء لشئ منها ، بل هى متجددة الوجود لحظة بلحظة فهى لا تزال فى فناء يعقبه بقاء ، هكذا دائما مع الأنفاس دنيا وآخــرة ، لا ستحالة استغناء ما سوى الحق تعالى عن إمداده بالتبعية ، فلولا تجدد الفنــاء والبقاء لكان الإمداد تحصيلا للحاصل ، لأنه يكون إبقاءا للبــاقى وإيجــادا للموجود وذلك محال) [2] .

****

27ـ الدبـــــور

****

- **الدبور** : الريح التى أهلكت قوم عاد قال تعالى : { وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ } [الحاقــة/7:6] دل على ذلك حديث ابن

عباس رضي اللَّه عنهما عن النبي ε قال : " نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور " [3] .

1. لطائف الإعلام 450/1 .
2. السابق 450/1 .
3. أخرجه البخارى فى كتاب بدء الخلق برقم (3205) 346/6 ، ومسلم فى كتاب صلاة الاستسقاء برقم (900) 617/2 .

- **الدبور فى الاصطلاح الصوفى :**

والدبور فى الاصطلاح الصوفى يقول فيه الكاشانى : (هى صولة داعية هوى النفس واستيلاؤها ، شبهت بريح الدبور التى تأتى من جهة المغرب لانتشائها من جهة الطبيعة الجسمانية التى هى مغرب النور ، ويقابلها القبول وهى ريح الصبا التى تأتى من جهة المشرق ، وهى صولة داعية الروح واستيلاؤها ، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام : " نصرت بالصبا وأهلكت عد بالدبور " [1] .

وقال فى قوله تعالى : { وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ } [الحاقة/7:2] : (فأهلكوا بريح هوى النفس الباردة بجمود الطبيعة ، وعدم حرارة الشوق والعشق ، العاتية أى الشديدة الغالبة عليهم الذاهبة بهم فى أودية الهلاك ، سخرها اللَّه عليهم فى مراتب الغيوب السبعة التى هى لياليهم ، لا حتجابهم عنها ، والصفات الثمانية الظاهرة لهم كالأيام

وهى : الوجود والحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والتكلم أى على ما ظهر منهم وما بطن ، تقطعهم وتستأصلهم ، فترى القوم فيها صرعى أى موتى لا حياة حقيقية لهم ، لأنهم قائمون بالنفس لا باللّه كما قال تعالى : { كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ } [المنافقون/4] { كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ } [الحاقة/7] ، أى أقوياء بحسب الصورة ، لا معنى فيهم ولا حياة

1. معجم الكاشانى ص70 ، وانظر لطائف الإعلام 461/1 .

ساقطون عن درجة الاعتبار والوجود الحقيقى ، إذ لا يقومون باللّه) [1] .

ويذكر التهانوى أن الدبور فى الاصطلاح الصوفى ، الصولة الدماغية بهوى النفس ، واستيلاؤها بصورة تجعل الشخص يصدر عنه عمل مخالف للشرع ويقابله الصبا وهو عبارة عن القبول [2] .

****

28- الرتق والفتق

****

- **الرتق والفتق** : الرتق الضم والالتحام خلقة كان أم صنعة ، والرتقاء الجارية المنضمة الشفرتين ، والفتق الفصل بين المتصلين ، وهو ضد الرتق يقال : أفتق القمر صادف فتقا فطلع منه ، وقد ورد الرتق والفتق بمعنى فصل

الملتحمين فى قوله تعالى : { أَوَلَمْ يَرَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا } [الأنبياء/30] ، أى منضمتين ففصلناهما [3]

وقد ورد الرتق فى السنة من حديث عائشة رضى اللَّه عنها قالت : " كان رسول اللَّه ε إذا أخذ أهله الوعك ، أمر بالحساء فصنع ، ثم أمرهم فحسوا

---

1. تفسير القرآن منسوب إلى ابن عربى وهو للكاشانى 690/2 .
2. كشاف التهانوى 254/2 .
3. لسان العرب 14/10 ، المفردات ص187 ، 371 .

منه ، وكان يقول : إنه ليرتق فؤاد الحزين ، ويسرو عن فؤاد السقيم ، كما تسرو إحداكن الوسخ بالماء عن وجهها " [1] .

وورد الفتق فى حديث معاوية بن حيدة القشيرى τ ، قال : "قلت يا رسول اللَّه : إنا قوم نتساءل أموالنا ؟ ، قال : يتساءل الرجل في الجائحة أو الفتق ليصلح به بين قومه ، فإذا بلغ أو كرب استعف " [2] .

وفى حديث عبد اللَّه بن الزبير τ ، أن رسول اللَّه ε : " قال لا رضاع إلا ما فتق الأمعاء " [3] .

- الرتق والفتق فى الاصطلاح الصوفى :

والرتق يطلق عند الصوفية على إجماد مادة الوحدانية ، الذى يسمونه العنصر الأعظم المطلق ، وقد كان مرتوقا قبل خلق السماوات والأرض ومفتوقا بعد تعينهما بالخلق ، وقد يطلق على نسب الحضرة الواحدية باعتبار

اللاظهورها ، وعلى كل بطون وغيبة ، كالحقائق المكنونة فى الذات الأحدية قبل تفاصيلها فى الحضرة الواحدة مثل الشجرة فى النواة [4] .

1. أخرجه الترمذى فى كتاب الطب برقم (2039) وقال : هذا حديث حسن صحيح وضعفه الألبانى 383/4 .
2. أخرجه أحمد فى المسند برقم (19529) (19547) والجائحة كل مصيبة عظيمة والفتق الجراح التى تنتج من آثار الحروب .
3. أخرجه ابن ماجة فى كتاب النكاح (1946) وقال الألبانى : صحيح 226./1
4. كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى 69/3 ومعجم الكاشانى ص166 .

والفتق ما يقابل الرتق من تفصيل المادة المطلقة بصورها النوعية ، أو ظهور كل ما بطن فى الحضرة الواحدية من النسب الأسمائية ، وبروز كل ما كمن فى الذات الأحدية من الشئون الذاتية ، كالحقائق الكونية بعد تعينها فى الخارج [1] .

قال ابن عربى : (واللَّه يقبض ويبسط ، فيقبض من الأجسام ما يبسطها بها فلا يعطيها شيئا من ذاته ، فإنها لا تقبله ، فلا وجود لها إلا بها فالممكنات إنما أقامها الحق من إمكانها ، فقيامها منها بها ، والحق واسطة فى ذلك مؤلف راتق فاتق ، { كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا } لأنه كذا أوجدها بإمكانهما لأنه لو لم يكن الفتق ممكنا لما قام بهما ، فما أثر فى الممكنات إلا الممكنات على أكثر الخلق الذين : { يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنْ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنْ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُون } [الروم/7] [2] .

وقال الكاشانى فى قوله تعالى : { أَوَلَمْ يَرَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّـــمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا } [الأنبياء/30] أو لم ير المحجوبون عن الحق أن سماوات الأرواح وأرض الجسد كانتا مرتوقتين فى صـــورة نطفـــة واحـــدة ففتقناهما بتباين الأعضاء والأرواح) [3] .

---

1. معجم الكاشانى ص152 ، وانظر لطائف الإعلام 482/1، 198/2 .
2. الفتوحات المكية 13/فقرة 16 .
3. تفسير القرآن الكريم منسوب لابن عربى ص72 .

****

29ـ الـــــــرداء

****

- **الرداء** : ثوب يلف به النصف الأعلى من الجسم [1] ، ورد ذكره فى السنة فى كثير من المواضع منها ما رود عن سبرة الجهني τ ، أنه قـــال : أذن لنـــا رسول اللّه ε بالمتعة ، فانطلقت أنا ورجل إلى امرأة من بني عامر كأنها بكرة عيطاء [2] فعرضنا عليها أنفسنا ، فقالت : ما تعطي ؟ فقلت : ردائي وقال صاحبي : ردائي ، وكان رداء صاحبي أجود من ردائي ، وكنت أشب منه ، فإذا نظرت إلى رداء صاحبي أعجبها ، وإذا نظرت إلي أعجبتها ، ثم قالت :

أنت ورداؤك يكفيني ، فمكثت معها ثلاثا ، ثم إن رسول اللَّه ε قال : من كان عنده شيء من هذه النساء التي يتمتع فليخل سبيلها [3] .

وعن صفوان بن أمية τ ، أنه طاف بالبيت وصلى ، ثم لف رداء له من

1. لسان العرب 316/14 ، ومعجم مقاييس اللغة مادة (ردى) .
2. مُتْعَة النساء نكاحهن لمدة محددة بأجر معلوم ، وقد كان أجازه رسول اللَّه ε ثم حرمه ، وقوله : كَأَنَّهَا بَكْرَةٌ عَيْطَاءُ يشبه المرأة بالفتيِّ من الإبل والعيطاء الطويلة العنق فى اعتدال القوام وحسنه .
3. أخرجه مسلم فى كتاب النكاح برقم (1406) 1023/2

برد ، فوضعه تحت رأسه فنام ، فأتاه لص فاستله من تحت رأسه ، فأخذه فأتى به النبي ε فقال : إن هذا سرق ردائي ، فقال له النبي ε : أسرقت رداء هذا ؟ ، قال : نعم ، قال : اذهبا به فاقطعا يده ، قال صفوان : ما كنت أريد أن تقطع يده في ردائي ، فقال له : فلو ما قبل هذا [1] .

وعن أبي هريرة τ ، قال رسول اللَّه ε : " يقول اللَّه سبحانه : الكبرياء ردائي ، والعظمة إزاري من نازعني واحدا منهما ، ألقيته في جهنم " [2] .

- **الرداء فى الاصطلاح الصوفى :**

يفسر ابن عربى الرداء بظهور الخلق ليستتر الحق بهم ، كما يستتر الإنسان بردائه فقال : (فإن قلت : وما الرداء قلنا : الظهور بصفات الحق

فى الكون فإن قلت : وما الكون ؟ قلنا : كل أمر وجودى وهـو خـلاف الباطل)[3] ، وإنما سماه رداء لأنه مشتق من الردى المقصور ، وهو الهـلاك لأنه مستهلك فى الحق استهلاكا كليا[4] .

وقال أيضا : (الكبرياء رداء الحق وليس سواك ، فإن الحق تردى بك إذ

---

1. أخرجه النسائي فى كتاب قطع السارق برقم (4881) وصححه الألبانى 69/8 .
2. أخرجه مسلم فى صحيحه برقم (2620) 2023/4 وابن ماجة فى كتاب الزهد برقم (4174) 1397/2 واللفظ له.
3. الفصوص 129/2 .
4. السابق 2 /104 .

كنت صورته ، فإن الرداء بصورة المرتدى ، ولهذا ما يتجلى لك إلا بك كما قال : من عرف نفسه عرف ربه ، فمن عرف الرداء عرف المرتـدى مـا يتوقف معرفة الرداء على معرفة المرتدى ، فما وصلت الأعين ، إلا إلى الرداء وهو الكبرياء ، وما تجلى لك إلا بنا ، فما وصلت الرؤيـة إلا إلينـا ، ولا تعلقت إلا بنا ، فنحن عين الكبرياء على ذاته ، فإذا رأيت الإنسان الكامـل رأيت الحق ، والإنسان لا ينقلب ، فلا يرجع الرداء مرتديا لمن هو لـه رداء فهذا معنى الكبير ، فإنه كبير لذاته ، والكبرياء نحن ، فمن نازعه منـا فينـا قصمه الحق)[1] .

وابن عربى يجعل الرداء سترا لله فى الظاهر ، وكشفا له فى الباطن فقال : (ولما كنا عين كبرياء الحق على وجهه ، والحجاب يشهد المحجوب ، فثبت أننا نراه ، فصدق الأشعرى وصدق قوله : ترون ربكم ، كما صدق المعتزلة لن ترانى ، وللرداء ظاهر وباطن ، فيرى الحق رداءا بباطنه ، فيصدق : ترون ربكم ، ويصدق مثبت الرؤية ولا يراه ظاهر الرداء ، فيصـــدق : المعتـــزلى ويصدق لن ترانى ، والرداء عين واحدة ، فلا يشهد العالم ســـوى الإنســـان الذى هو الرداء) [2] .

والكاشانى يجعل الرداء ظهور الإنسان سترا للحق ، بشرط موافقة الطاعة والمقصود بموافقة الطاعة ، ألا يرى نفسه أثناء الطاعة ، فإن لم يكن موافقا

---

1. السابق 245/4 .
2. السابق 246/4 .

لطاعته لم يكن رداءا ولكن يسمى عندهم الردى ، فيقول :

(الرداء يعنى به الظهور بصفات الحق بالحق ، وقولنا : بالحق أى من أمر الحق ، وعلى وفق طاعته ، فإن الظهور بصفات الحق ، إنما يكون ظهورا بها إذا كان كذلك ، وإلا فهو مجرد دعوى باطلة ، والإشارة إلى الأول ، أعـــنى الظهور بصفات الحق حقيقة ، هو ما ورد في منازلات أبي يزيد ، قدس اللَّه سره ، إنه تعالى قال له : اخرج إلى الخلق بصفتى ، فمن رآك فقد رآنى ، وأما الإشارة إلى الظهور بالدعوى والمنازعة ، والوثب لحب الرياسة ، فهو ما جاء فى الكلمات القدسية ، التى أخبر بها رسول اللَّه ε عن ربه تعالى أنه يقول :

" الكبرياء ردائى ، والعظمة إزارى ، فمن نازعنى واحدا منهما ، قذفته فى النار " فكان الرداء هو ظهور العبد بالموافقة لا بالمنازعة) [1] .

****

30ـ الـــــــردى

****

- **الردى** : الردى الهلاك ، والتردى التعرض للهلاك ، قال تعالى : { وَمَــا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى } [الليل/ 11] ، وقال قتادة : (إذا تردى : إذا سقط فى جهنم ، يقال : ردى فى البئر وتردى إذا سقط فيها) [2] .

---

1. لطائف الإعلام 487/1 .
2. لسان العرب 316/14 ، المفردات ص194 .

والمتردية فى قوله تعالى : { حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ } [المائدة/3] ، هى التى تتردى من علو إلى أسفل فتموت ، من غير فرق بين أن تتردى من جبل أو بئر أو مدفن أو غيرها ، وسواء تردت بنفسها أوردها غيرها [1] .

وعن عبد الله بن عمر τ ، عن النبي ε قال : " من نصر قومه على غـــير الحق ، فهو كالبعير الذي ردي ، فهو ينزع بذنبه " [2] .

- **ا لردى فى الاصطلاح الصوفى :**

والردى فى اصطلاح الصوفية كما ذكر الكاشانى عكس الرداء ، وهو إظهار الحق بالباطل أو إظهار العبد صفات الحق بالباطل فيرى نفسه أثناء الطاعة فيقول : (الردى الظهور بصفات الحق بلا حق ، كمن يتكبر على أمر اللَّه بالتذلل له ، فقد اتصف بصفة الكبر بعد الزجر عن الاتصاف بها من غير إذن ، فاستحق ما وعد به من التهديد المذكور ، قال اللَّه تعالى فى الكلمات القدسية : (الكبرياء ردائى ، والعظمة إزارى من نازعنى فى شئ منهما فصمته) [3] .

ويعنى بالرداء غاية الظهور كناية عن الشئ بغايته ، وذلك أنه لما كان

---

1. فتح القدير 452/5، 453 .
2. أخرجه أبو داود فى كتاب الأدب (5117) وقال الألبانى : صحيح 331/4 .
3. أخرجه ابن ماجة فى كتاب الزهد (4174) وقال الألبانى : صحيح 1397/2 .

الردى هو الهلاك ، وكانت غاية الهلاك هو الظهور بالنسبة إلى عالم الحس كنى عن الغاية بالردى اعتبارا بغايته) [1] .

وهو يعنى بالظهور ، الظهور فى الطاعة ورؤية النفس ، ويستدل لها بقوله تعالى : { سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ } [الأعراف/146] [2] .

****

31- الرق المنشور

****

- **الرق المنشور** : الرق ما رق من الجلد ليكتب فيه ، والمنشور المبسوط قال الله تعالى : { وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ } [الطور/3:1] والرق المنشور هو ما كتبت فيه سطور القرآن ، أو اللوح المحفوظ ، أو جميع الكتب المترلة أو ما تكتبه الحفظة ، وهى أقوال للمفسرين فى المراد بالكتاب المسطور [3] ، وقال البخارى الرق المشور الصحيفة [4] .

1. معجم الكاشانى ص167 .
2. لطائف الإعلام 1/ 488 .
3. انظر التبيان فى تفسير غريب القرآن 392/1 ، وفتح القدير 5/ 94 .
4. صحيح البخارى 1838/4 ، وأنوار التتريل 302/1 .

- **الرق المنشور فى الاصطلاح الصوفى :**

الرق المنشور فى الاصطلاح الصوفى ، يعنى روح الإنسان باعتبار قبولهـــا وانطباع الموجودات فيها [1] ، يقول الجيلى :

نفس حوت بالذات علم العالم : هى لوحنا المحفوظ يا ابن الآدمي

صور الوجود جميعها منقوشة : فى قابليتها بغير تكاتم [2]

ويذكر الكاشانى أن الرق المنشور هو الكتاب المسطور ، وهو صورة الكل على ما هو عليه من النظام المعلوم ، المنتقش فى لوح القضاء ، فهو الــــروح

الأعظم المشار إليه بالرق المنشور فى قوله تعالى : { وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ } [الطور/3:1] وتنكيرهما للتعظيم [3] .

****

32ـ الركـــــــوع

****

ـ **الركوع** : الانحناء ، فتارة يستعمل فى الهيئة المخصوصة فى الصلاة ، كما روى عن أنس بن مالك τ ، عن النبي ε قال : " أقيموا الركوع والســـجود فواللّه إن ي لأراكم من بعدي ، وربما قال : من بعد ظهري ، إذا ركعتم

1. الإنسان الكامل 88/1 .
2. السابق 6/2 .
3. تفسير القرآن الكريم لابن عربى (منسوب إليه وهو للكاشانى) 547/2 .

وسجدتم " [1] ، وتارة فى التواضع والتذلل ، إما فى العبادة ، وإما فى غيرها كقوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُـــدُوا رَبَّكُـــمْ } [الحـــج/77] ، وقوله سبحانه : { يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ } [آل عمـــران/43] ، وقوله : { وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ } [ص/24] [2] .

ـ **الركوع فى الاصطلاح الصوفى :**

قال الكاشانى : الركوع فناء الصفات ، والسجود فناء الذات [3] ، وذكر التهانوى أن الركوع عند الصوفية ، إشارة إلى شهود انعـــدام الموجـــودات الكونية تحت وجود التجليات الإلهية [4] .

****

33ـ الزبـــــــور

****

- **الزبور** : زبرت الكتاب كتبته كتابة عظيمة ، وكل كتاب غليظ الكتابـــة

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب الأذان برقم (742) 263/2 .
2. المفردات ص202 .
3. تفسير القرآن الكريم لابن عربى (منسوب إليه وهو للكاشانى) 115/2 .
4. كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى 61/3 .

يقال له : زبور ، وخص الزبور بالكتاب المنزل على داود عليه السلام لقوله تعالى : { وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا } [النساء/163] وقوله { وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِي الصَّالِحُونَ } [الأنبياء/105] [1] .

وقال رسول الله ε لأبي بن كعب τ : " أتحب أن أعلمك سورة لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها ؟ قال : نعم يـــا رسول اللَّه ، قال رسول اللَّه ε : كيف تقرأ في الصلاة ؟ ، قال أبو هريرة τ راوى الحديث : فقرأ أم القرآن ، فقال رسول اللَّه ε : والذي نفسي بيده ما

أنزلت في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها وإنها سبع من المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيته " [2] .

- **الزبور فى الاصطلاح الصوفى :**

يذكر التهانوى أن الزبور يعنى عند الصوفية تجليات الأفعال [3] .

وقال الكاشانى فى قوله تعالى : { وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ } [الأنبياء/105] ، ولقد كتبنا فى زبور القلب من بعد الذكر فى اللوح ، أن أرض البدن يرثها القوى الصالحة المنورة بنـــور السكينة بعد إهلاك الفواسق بالرياضة ، أو ولقد كتبنا فى زبور اللوح المحفوظ

---

1. لسان العرب 315/4 ، والمفردات ص211 ، والمغرب للمطرزى 360/1 .
2. أخرجه الترمذى فى فضائل القرآن (2875) وقال الألبانى : صحيح 155/5 .
3. كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى 114/3 .

من بعد الذكر فى أم الكتاب أن الأرض يرثها عبادى الصالحون من الـــروح والسر والقلب والعقل والنفس ، وسائر القوى بالاســـتقامة بعـــد إهـــلاك الصالحين بالفناء فى الوحدة [1] .

****

34ـ الزجاجـــــــة

****

- **الزجاجة** : الزجاج حجر شفاف ، الواحدة زجاجة ، وردت فى قوله تعالى : { اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ } [النور/35] [2] ، ووردت فى السنة من حديث أنس بن مالك τ قال : " أصاب أهل المدينة قحط على عهد رسول اللَّه ε ، فبينا هو يخطب يوم جمعة ، إذ قام رجل فقال : يا رسول اللَّه هلكت الكراع ، هلكت الشاء فادع اللَّه يسقينا ، فمد يديه ودعا ، قال أنس τ : وإن السماء لمثل الزجاجة " [2] .

وعن أبي بن كعب τ ، عن النبي ε : " أنه ذكر الدجال عنده ، فقال :

---

1. تفسير القرآن الكريم لابن عربى (منسوب إليه وهو للكاشانى) 93/2 .
2. المفردات ص211 .
3. أخرجه البخارى فى كتاب المناقب برقم (3582) 680/6 .

عينه خضراء كالزجاجة فتعوذوا باللَّه من عذاب القبر " [1] .

- **الزجاجة فى الاصطلاح الصوفى :**

الزجاجة فى الاصطلاح الصوفى تعنى القلب ، فالمثل الذى ورد فى سورة النور لنور اللَّه عز وجل ، فيه المشكاة بمثابة الجسد ، والزجاجة القلب المتنور بالروح المنور لما عداه بالإشراق عليه ، والشجرة التى توقد منها هذه الزجاجة هى النفس القدسية ، المزكاة الصافية النابتة من أرض الجسد المتعالية ، فى فضاء القلب إلى سماء الروح [2] .

يقول الكاشانى : (اللّه نور السماوات والأرض ، النور هو الذى يظهر بذاته ، فهو مظهر سماوات الأرواح ، وأرض الأجساد ، وهو الوجود المطلق الذى وجد به ما وجد من الموجودات والإضاءة) [3] .

ويقول الكاشانى : (الزجاجة المشار بها فى آية النور إلى اللطيفة الإنسانية المختصة بمن تنور بمشكاته ، أى جسمه بنور العقل والإيمان ، فسميت زجاجة لاستضاءتها بذلك النور المذكور ، الذى حرم الاستضاءة به من لم يكن من أهل العقل والإيمان ، لكثافته المانعة من ذلك ، ويكنى بالزجاجة عن حيوانية قلب المؤمن ، قال تعالى : { الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ } [النور/35]

---

1. أخرجه أحمد فى المسندبرقم (20643) بإسناد الثقات عن أبى بن كعب .
2. تفسير القرآن الكريم لابن عربى (منسوب إليه وهو للكاشانى) 140/2 .
3. السابق 140/2 .

والمصباح هو الروح الروحانى ، المسمى بالروح الإلهى ، الظاهر آثاره وأفعاله بتوسط الروح الجسمانى ، المسمى بالنفس الحيوانى ، فلشفافيته فى نفسه واستنارته بنور من غيره ، سمى زجاجة ، ولضعفه فى نفسه أيضا ، فإن حياة الروح الحيوانية ضعيفة ، وليست فيها من ذاتها) [1] .

الزجاجة المشار إليها فى آية النور هى القلب والمصباح هو الروح والشجرة التى توقد فيها الزجاجة المشبهة بالكوكب الدرى هى النفس والمشكاة البدن

والزيتونة هى النفس المستعدة للإشتغال بنور القدس بقوة الفكر والزيت نورا ستعدادها الأصلى [2] .

****

35ـ الزكـــــــاة

****

- **الزكاة** : أصل الزكاة النمو الحاصل عن بركة اللَّه تعالى ، وذلـــك يعتـــبر بالأمور الدنيوية والآخروية ، يقال : زكا الزرع يزكوا ، إذا حصل منه نمـــو وبركة [3] ، وقال الله تعالى : { خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا } [التوبة/103] .

---

1. لطائف الإعلام 507/1 .
2. معجم الكاشانى ص80 .
3. كتاب العين 394/5 ، والمفردات ص213 .

قال الإمام البخارى : الزكاة الطاعة والإخلاص [1] ، ومنه الزكـــاة لمـــا يخرج الإنسان من حق اللَّه تعالى إلى الفقراء قال تعالى : { وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ } [البقرة/43] ، وعن ابن عمر رضي اللَّه عنهما ، قال رسول اللَّه ε : " بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدا رسول اللَّه وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان " [2] .

ا لزكاة فى الاصطلاح الصوفى :

الزكاة فى الاصطلاح الصوفى ، التضحية بكل ما يملكه الإنسان ، قال إبراهيم بن شيبان لأبى بكر الشبلى :

(كم فى خمس من الإبل ؟ ، أى مقدار الزكاة فيها ، فقال الشبلى : فى واجب الأمر شاة ، أى حكم الشرع عند أهل الظاهر شاة ، وفيما يلزمنا كلها ، أى فى عرف الصوفية يخرجونها كلها) [3] .

وقال الهجويرى : (قال رجل من أهل الظاهر لأبى بكر الشبلى : ما هو نصاب الزكاة ؟ خمس دراهم عن كل مائتى درهم ونصف دينار عن كل عشرين دينارا ، هذا بالظاهر لمذهبكم ، أما مذهبى فإنه لا يلزم الإنسان أن

---

1. انظر صحيح البخارى ، كتاب تفسير القرآن باب قوله : { بَرَاءَةٌ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ مِنْ الْمُشْرِكِينَ } [التوبة/167] ، فتح البارى 316/8 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب الإيمان برقم (8) 64/1 .
3. اللمع فى التصوف ، لأبى نصر السراج الطوسى ص210 .

يملك أى شئ ، وبذلك يخلص من شغل آداء الزكاة ، فسأله : ما هى حجتك فى هذه المسألة ؟ ، فقال : له حجتى فيها أبو بكر الصديق ، الذى دفع كل ماله ، ولما سأله رسول اللَّه ε :ما خلفت لعيالك ؟ فقال : اللَّه ورسوله " [1] .

ويقول الجيلى : (الزكاة عبارة عن التزكى بإيثار الحق على الخلق ، أعنى يؤثر شهود الحق فى الوجود على شهود الخلق) [2] .

ويذكر التهانوى أن الزكاة عند الصوفية تعنى ترك الدنيا وتطهير الـــنفس من التعلق بالغير [3] .

****

36ـ سدرة المنتهـــى

****

- **سدرة المنتهى** : سدرة المنتهى اسم مكان فى السماء السادسة ، ورد فيـــه قوله تعالى : { وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى } [النجم/16:13] ، وانتهى إليه رسول اللَّه ε فى ليلة الإسراء ، لما ورد عن ابن مسعود τ أنه قال : " لما أسرى برسول اللَّـــه

1. كشف المحجوب ص377 ، وانظر ص 366 فى تفنيد احتجاجهم بفعل أبى بكر .
2. الإنسان الكامل 86/2 .
3. كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى 124/3 .

صلى الله عليه وسلم انتهى إلى سدرة المنتهى ، وهى فى السماء السادسة ينتهى ما يعرج من الأرواح فيقبض منها ، وإليها ينتهى ما يهبط به مـــن فوقهـــا فيقبض فيها [1] .

ومن حديث أبى ذر τ ، أن رسول اللَّه ε قال : " ثم انطلق بي جبريل حتى انتهى بي إلى سدرة المنتهى ، وغشيها ألوان لا أدري ما هي ، ثم أدخلت الجنة ، فإذا فيها حبايل اللؤلؤ ، وإذا ترابها المسك " [2] .

وعن مالك بن صعصعة رضي اللَّه عنهما أن النبي ε قال : " ورفعت لي سدرة المنتهى ، فإذا نبقها كأنه قلال هجر ، وورقها كأنه آذان الفيول في أصلها أربعة أنهار " [3] .

- سدرة المنتهى فى الاصطلاح الصوفى :

وسدرة المنتهى فى الاصطلاح الصوفى ، هى المقام الذى تنتهى إليه أعمال الخلائق وعلومهم ، وهى البرزخية الكبرى ، لكونها هى غاية الغايات ونهاية المنتهى ، وقد يصطلح بالسدرة على نهاية المراتب الأسمائية ، التى لا تعلوها رتبة [4] .

---

1. أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان برقم (173) 157/1 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب الصلاة برقم (349) 547/1 .
3. أخرجه البخارى فى كتاب بدء الخلق برقم (3207) 348/6 .
4. لطائف الإعلام 13/2 .

ويحدد الجيلى مفهومه لسدرة المنتهى ، بأنها نهاية المكانة التى يبلغها المخلوق فى سيره إلى اللَّه تعالى وما بعدها ، إلا المكانة المختصة بالحق تعالى وحده ، ليس لمخلوق هناك قدم ، ولا يمكن البلوغ إلى ما بعد سدرة المنتهى

لأن المخلوق هناك مسحوق ، ممحو ومدموس مطموس ، ملحـــق بالعـــدم المحض لا وجود له فيما بعد السدرة ، يقول الجيلى : (وإلى ذلـــك أشـــار جبريل عليه السلام للنبى ε : لو تقدمت شبرا لاحترقت ، واعلم بأنا وجدنا السدرة مقاما فيه ثمانى حضرات ، فى كل حضرة من المناظر العلا ما لا يمكن حصرها ، تتفاوت تلك المناظر على حسب أذواق أهل تلك الحضرات ، أما المقام ، فهو ظهور الحق فى مظاهره ، وهو عبارة عن تجليه فيما هو له مـــن الحقائق الحقية والمعانى الخلقية) (1) .

ويقول أيضا : (سدرة منتهى العارفين ، فناء الأوصاف الكونيـــة مـــن ذواقم ، ببقاء الأوصاف الإلهية ، واتصافهم بها ، فهذا ما ينتهى إليه السالك فى اللَّه تعالى) (2) .

****

37ـ الســـــــر

****

- **السر** : الإسرار خلاف الإعلان ، قال الله تعالى : { وَأَسِرُّوا قَـــوْلَكُمْ أَوْ

1. الإنسان الكامل 8/2 .   2. المناظر الإلهية ص253 .

اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ } [الملك/13] .

والسر هو الحديث المكتم بالنفس ، وأسررت إلى فلان حديثا ، أى أفضيت إليه فى خفية ، كقوله تعالى : { وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا } [التحريم/3] [1] .

وقال تعالى : { يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلا نَاصِرٍ } [الطارق/9:10] ومعنى تبلى السرائر أى تختبر وتمتحن ، والسرائر ما يسر فى القلوب من العقائد والنيات وغيرها ، والمراد عرض الأعمال ونشر الصحف ، فعند ذلك يتميز الحسن منها من القبيح ، والغث من السمين ، فما للإنسان من قوة فى نفسه يمتنع بها عن عذاب اللَّه ، ولا ناصر ينصره مما نزل به [2] .

وقالت عائشة رضي اللَّه عنها عن النبى ε : " فانطلقت خديجة به إلى ورقة بن نوفل ، وكان رجلا تنصر يقرأ الإنجيل بالعربية ، فقال ورقة : هذا الناموس الذي أنزل اللَّه على موسى ، وإن أدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا ، الناموس صاحب السر الذي يطلعه بما يستره عن غيره " [3] .

وعن أنس τ : " أن نفرا من أصحاب النبي ε ، سألوا أزواج النبي ε عن عمله في السر ، فقال بعضهم : لا أتزوج النساء ، وقال بعضهم : لا

1. لسان العرب 356/4 ، المفردات ص228
2. فتح القدير 420/5 .
3. أخرجه البخارى فى أحاديث الأنبياء برقم (3392) 486/6 .

آكل اللحم ، وقال بعضهم : لا أنام على فراش " [1] .

- **السر فى الاصطلاح الصوفى :**

تنوع معنى السر عند الصوفية بحسب المضاف ، فأسرارهم التى يذكرونها كثيرة ومتنوعة منها :

(1- السر : المقصود به نصيب كل موجود من وجود الحق ، قال عبد الرزاق الكاشانى : (السر يعنى به حصة كل موجود من الحق بالتوجه الإيجادى المنبه عليه بقوله تعالى : { إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ } [النحل/40] وقولهم : لا يحب الحق إلا الحق ، ولا يطلب الحق إلا الحق ، ولا يعلم الحق إلا الحق ، إنما أشاروا بذلك إلى السر المصاحب من الحق للخلق على الوجه الذى عرفت ، فإنه هو الطالب للحق والمحب له ، والعالم به قال ε : عرفت ربى بربى)[2] .

(2- سر العلم : يطلق بإزاء حقيقة الحال ، وهو ما يقع به الإشارة من الأشياء ، التى تكون مصونة مكنونة بين العبد وبين الحق ، وعليه يحمل معنى قولهم : أسرارنا بكر لم يفتضها وهم واهم ، ويقولون : صدور الأحرار قبور الأسرار)[3] .

---

1. أخرجه مسلم فى النكاح برقم (1401) 1020/2 .
2. لطائف الإعلام 14/2
3. السابق 14/2.

(3- سر السر : ويعنون به ما انفرد به الحق عن العبد ، بحيث لا يكون لغير اللَّه اطلاع عليه [1] .

(4- السر المصون : يعبرون به عن غيب هوية الذات الأقدس وإطلاقه فإن كنها الذات ، وهو يجل أن يدخل تحت علم ، أو أن يحاط به أو أن يدرك من حيث ذاته أصلا ، فهو السر المصون عن الإدراك والإحاطة [2] .

(5- سر التجليات : يشيرون به إلى كل شئ فى كل شئ ، وكيفية حصول هذا الشهود ، أن يتجلى للقلب عين التجلى الأول ، الذى له أحدية الجمع بين جميع الأسماء الكلية والجزئية ، والأصلية والفرعية ، والذاتية والصفاتيه ، حتى يدرك الذات الواحدة التى لا كثرة فيها بوجه ، ويشاهد كل شئ فى كل شئ [3] .

(6- سر العبادات : والمقصود به ، إدراك أسرار العبادات التى افترضها اللَّه تعالى على عباده ، من الصلاة والزكاة والصوم والحج ، فلما لم يكن فى وسع الناس الوصول إلى مرتبة الكمال ، فى الحضور الدائم مع اللَّه ، وتطهير النفس عما يليق ، افترض اللَّه عليهم هذه الفرائض ، ليكون وسيلة إلى نيل هذه المقامات [4] .

---

1. السابق 15/2 .
2. السابق 15/2 .
3. السابق 15/2 .
4. السابق 15/2 ، 16 .

(7- سر القدر : وهو عندهم إظهار الأشياء على ما هى عليه ، فقد كانت معلومات فى الأزل ، أو ما يسميها ابن عربى بالأعيان الثابتة فظهرت بتلك الصورة فى حال وجودها بسر القدر ، قال الكاشانى :

(سر القدر يشيرون به ، أن حكم اللّه تعالى فى الأشياء وعليها ، إنما هو بها ، فلما كان القضاء عبارة عن حكم اللّه فى الأشياء على ما أعطته من المعلومات ، مما هو عليه فى نفسها ، والقدر توقيت ما هى عليه الأشياء فى عينها من غير مزيد ، فما حَكَم القضاء على الأشياء إلا بها ، وهذا هو عين سر القدر : { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ } [ق/37] ، { فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ } [الأنعام/149] ، فالحكم فى التحقيق تابع لعين المسألة التى يحكم فيها بما يقتضيه ذاتها ، فالمحكوم عليه بما هو فيه حاكم على الحاكم ، أن يحكم عليه بذلك ، وكل حاكم محكوم عليه بما حكم به أن يحكم به ، كان الحاكم من كان ، فتحقق هذه المسألة ، فإن القدر ما جهل إلا لشدة ظهوره ، فلم يعرف) [1] .

(8- سر الربوبية : هو ما أشار إليه سهل بن عبد اللّه ، بقوله : إن للربوبية سرا ، لو ظهر لبطلت الربوبية ، ومعناه أن المربوب لما كان هو الذى يبقى على الرب ربوبيته ، لكون الربوبية نسبة بين الرب والممكن ، فلو ظهر هذا السر للخلق لبطل عندهم ما يترتب عليه الربوبية [2] .

---

1. الفتوحات 573/2 ، وفصوص الحكم ص39 ، و السابق 17٢18/2 .

2. لطائف الإعلام 20/2 .

(9- سر سر الربوبية : يشيرون به إلى سر هو أعلى من هذا السر الذى ذكر للربوبية ، فهو سر السر المفهوم منها ، وتقريره هو أن الربوبيـــة ، وإن كان تحققها متوقفا على المربوب ، الذى هو عين معدومة فى نفسها ، لكنـــه لما كان مظهرا لربه ، الظاهر بأحكام تعيناته ، التى هى الأعيان الثابتـــة ، لم يصح لأجل هذا أن تبطل الربوبية ، فظهور سر الربوبية ، يوجب بطلانها عن من لم يظهر له هذا السر الثانى المستتر فى الأول ، ولهذا كـــان الثـــانى هـــو المسمى بسر السر المفهوم من الربوبية ، فكان سر سرها موجبا لإثباتها ، قال ابن عربى فى هذين السرين :

الرب حق والعبد حق يا ليت شعرى من المكلف
إن قلت عبد فذاك ميت أو قلت رب أنى يكلف [1] .

ويقول الكاشانى : فيفهم مما ذكر الشيخ هنا ، أنك إذا نظرت إلى الرب وحده أو العبد وحده ، بطلت الربوبية لبطلان المربوب ، المعبر عن بطلانهـــا بقوله : إن قلت عبد فذاك ميت ، أما إذا نظرت إلى قيامه بربه ، وإلى كونه مظهرا له صح تكليفه ، لأن المكلف عبد ، هو مظهر الرب ، فثبتت الربوبية بظهور سر سرها ، كما قال الشيخ :

العبد عين الحق ليس سواه والحق عين العبد لست تراه
فانظر إليه به على مجموعه لا تفردنه فتستبيح حماه [2] .

1. السابق 21:20/2 .   2. السابق 21/2 .

(10- السرائر : هى انمحاق السيار ، بالاتصال بنور الأنوار عند الوصول التام ، وقد لا يطلع عليه وعلى حاله غيره البتة ، وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم : (لى مع اللَّه وقت لا يسعنى فيه غير ربى) ، وقوله تعالى فى الحديث القدسى : " أوليائى تحت قبابى لا يعرفهم غيرى " [1] .

****

38ـ السفر

****

- **السفر** : السفر كشف الغطاء ، وسافر خص بالمفاعلة اعتبارا بأن الإنسان قد سفر عن المكان والمكان سفر عنه [2] ، قال تعالى : { لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لاتَّبَعُوكَ } [التوبة/42] وقال : { فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ } [البقرة/184] .

وعن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت :فرض اللَّه الصلاة حين فرضها ، ركعتين ركعتين في الحضر والسفر ، فأقرت صلاة السفر ، وزيد في صلاة الحضر [3] .

---

1. معجم الكاشانى ص122 والحديثان لا أصل لهما فى كتب السنة ، وانظر كشف الخفاء ومزيل الإلباس 174/2 .
2. لسان العرب 367/4 ، والمفردات ص233 ، وكتاب العين 246/7 .

3. أخرجه البخارى فى كتاب الصلاة برقم (350) 467/8 .

وكل ما ورد فى القرآن والسنة من ذكر السفر ، فإنه يعنى قطع مسافة الطرق للوصول إلى المكان المراد على اختلاف بين الفقهاء ، فى تحديد تلك المسافة التى يطلق على سالكها أنه مسافر .

- السفر فى الاصطلاح الصوفى :

أما السفر عند الصوفية ، فيعنى توجه القلب إلى الحق ، حتى يقطع الأسفار الأربعة وهى كالتالى :

1- السفر الأول : هو رفع حجاب الكثرة عن وجه الوحدة ، وهو السير إلى اللَّه من منازل النفس بإزالة التعشق من المظاهر والأغيار ، إلى أن يصل العبد إلى الأفق المبين ، وهو نهاية مقام القلب .

2- السفر الثانى : هو رفع حجاب الوحدة عن وجوه الكثرة العلمية الباطنة وهو السير فى اللَّه بالاتصاف بصفاته ، والتحقق بأسمائه و، هو السير فى الحق بالحق إلى الأفق الأعلى ، وهو نهاية حضرة الوحدانية .

3- السفر الثالث : وهو زوال التقيد بالضدين الظاهر والباطن ، بالحصول فى أحدية عين الجمع ، وهو الترقى إلى عين الجمع والحضرة الأحدية ، وهو مقام قاب قوسين ما بقيت الأثنينية ، فإذا ارتفعت ، فهو مقام أو أدنى وهو نهاية الولاية .

4- السفر الرابع : عند الرجوع عن الحق إلى الخلق ، وهو أحدية الجمع والفرق ، بشهود اندراج الحق فى الخلق ، واضمحلال الخلق فى الحق وصورة الكثرة فى عين الوحدة ، وهو السير باللَّه عن اللَّه للتكميل وهو مقام البقاء بعد الفناء والفرق بعد الجمع [1] .

وعند الغزالى تعريف للسفر فى مفهوم الصوفية ، بأنه سفر القلب بآلة الفكر فى طريق المعقولات ، وعلى ذلك ابتنى لفظ السالك والمسافر فى لغتهم وأول مسالك السفر إلى اللَّه تعالى ، معرفة قواعد الشرع ، وخرق حجب الأمر والنهى ، وتعلق الغرض فيها ، والمراد بها ومنها ، فإذا خلفوا نواحيها وقطعوا معاطفها ، أشرفوا على مفاوز أوسع ، وبرزت لهم مهامه أعرض وأطول من ذلك معرفة أركان المعارف النبوية النفس والعدو والدنيا ، فإذا تخلصوا من أوعارها ، أشرفوا على غيرها أعظم منها فى الانتساب ، وأعرض بغير حساب ، من ذلك سر القدر ، وكيف خفى بحكم فى الخلائق ، وقادهم فى عنف وشدة فى لين ، وبقوة فى ضعف ، وباختيار فى جبر ، إلى ما هو فى مجاريه ، لا يخرج المخلفون عنه طرفة عين ، ولا يتقدمون ولا يتأخرون عنه والإشراف على الملكوت الأعظم ، ورؤية عجائب ، ومشاهدة غرائب مثل العلم الإلهى ، واللوح المحفوظ واليمين الكاتبة ، وملائكة اللَّه يطوفون حول العرش ، وبالبيت المعمور ، وهم يسبحونه ويقدسونه ، وفهم كلام المخلوقات من الحيوانات والجمادات ، ثم التخطى منها إلى معرفة الخالق للكل ، والقادر على كل شئ ، فتغشاهم الأنوار المحرقة ، ويتجلى لمرآة

قلوبهم الحقائق المحتجبة ، فيعلمون الصفات ، ويشاهدون الموصوف ويحجبون

1. اصطلاحات الصوفية لابن عربى ص2 ، ومعجم عبد الرزاق الكاشانى ص64 والتعريفات للجرجانى ص124 .

حيث غاب أهل الدعوى ، ويبصرون ما عمى عنه أولو الأبصار الضعيفة بحجب الهوى [1] .

****

39- السقف المرفوع

****

- **السقف المرفوع** : قال الإمام البخارى رحمه الله : السقف المرفوع السماء [2] ، وقد ورد على هذا المعنى مقسوما به ، فى قوله تعالى : { وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ } [الطور/1:5] ، ويعنى السماء ، سماها سقفا لكونها كالسقف للأرض ، ومنه قوله تعالى : { وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا } [الأنبياء/32] [3] ، وقيل : السقف المرفوع هو العرش [4] .

- **السقف المرفوع فى الاصطلاح الصوفى** :

يقول القشيرى : (السقف المرفوع سماء الهمم فى الملكوت) [5] ، ويذكر الجيلى أن السقف المرفوع ، هو المكانة العليا الإلهية التى فى هذا القلب [6] .

1. الإملاء للغزالى ص60 .
2. انظر صحيح البخارى ، كتاب بدء الخلق 467/8 .
3. لسان العرب 155/9 ، المفردات ص 235 .
4. زاد المسير 45/8 ، وتفسير الواحدى 1033/2 ، فتح القدير 94/5 ، 97 .
5. الإنسان الكامل 88/1 . 6. لطائف الإشارات 472/3 .

****

40ـ السكـــــــر

****

- **السكر** : السكر ما يكون فى العقل من ذهاب التمييز ، بسبب الخمـــر أو غيره ، كقوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ } [النساء/43] ، وكقوله سبحانه : { وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ } [ق/19] ، وقوله أيضا : { وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُـــمْ بِسُكَارَى } [الحج/2] .

وعن عبد الله بن عباس رضى اللَّه عنه قال : "حرمت الخمر قليلها وكثيرها والسكر من كل شراب " [1] .

والسكر من الخمر عند أبى حنيفة أن لا يعلم السكران الأرض من السماء وعند أبى يوسف والشافعى ، هو أن يختلط كلامه ، وعند بعضهم أن يختلط فى مشيه وتحركه ، وقد يذهب العقل بسبب فرط الحب والهوى ، فيطلقون عليه السكر ، ولكنه لم يرد فى القرآن أو السنة [2] .

- **السكر فى الاصطلاح الصوفى :**

السكر عند الصوفية غيبة بوارد قوى ، والمراد بالغيبة عندهم عدم الإحساس

---

1. أخرجه النسائى فى الأشربة (5683) وقال الألبانى : صحيح موقوف 320/8 .
2. المفردات ص236 ، وانظر التعريفات ص125.

فمن غاب بوارد قوى سمى سكرانا ، ويبين الكاشانى أن العبد إذا كوشف بنعت الجمال حصل له السكر وطرب الروح وهام القلب ، فإذا عاد من سكره سمى صاحيا ، والصحو مختص بأهل السماع ، فإن السكران لا يسمع ولا يفهم ، كما أن السكر حال صاحب الرؤية عندما ينقهر تحت سلطنة الجمال ، وما يخفى أن الصحو والسكر بعد الذوق والشرب ، وقد يعنى بالسكر رؤية الغير والغيرية ، ويقابله صحو الجمع ، وقد يفسر السكر بأنه حالة للنفس ترد عليها من عالم القدس ، تؤدى بها إلى ما هى بصدده من النظام المتعلق بعالم الأجسام بحيث يوجب الاختلال فى الحركات والسكنات ويقال : الصحو ، ويراد به الرجوع عن تلك الحالة ، بحيث لم يزل ذلك الاختلال الواقع فى النظام ، والعود إلى ما كان عليه بالتمام [1] .

وقال عبد الرزاق الكاشانى فى قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى } [النساء/43] ، وأنتم سكارى من نوم الغفلة وخمر الهوى ومحبة الدنيا [2] .

وروى عن أبى بكر الواسطى أنه قال : (مقامات الوجد أربعة : الذهول ثم الحيرة ثم السكر ثم الصحو ، كمن سمع بالبحر ثم دنا منه ثم دخل فيـــه ثم

---

1. لطائف الإعلام 25Ƴ26/2 والرسالة القشيرية 236/1 والتعرف فى مذهب أهل التصوف ص116 ومعجم اصطلاحات الصوفية للكاشـــانى ص6 ، وكشـــاف اصطلاحات الفنون للتهانوى 162/3 .
2. تفسير القرآن الكريم لابن عربى (منسوب إليه وهو للكاشانى) 260/1 .

أخذته الأمواج) [1] .

ويذكر محى الدين بن عربى أن من أسكره الشهود فلا صحو له البتة ، وكل حال لا يورث طربا وبسطا وإدلالا وإفشاء إسرار الهية فليس بسكر ، وإنمـــا هو غيبة أو فناء أو محق ، ولا يقاس سكر القوم فى طريق اللّه علـــى ســـكر شارب الخمر ، فإن سكر شارب الخمر ربما أورث بعض من يشـــربه غمـــا وبكاء وفكرة ، وذلك لما يقتضيه مزاج ذلك الشارب ، فغيبـــة الســـكران ليست عن إحساسه ، وإنما غيبته عن مقابل الطرب لا غير ، ويفارق السكر سائر الغيبات ، لأن الصحو لا يكون إلا عن سكر ، والسكر يتقدم صحوه وليس الحضور مع الغيبة كذلك ، ولا الفناء مع البقاء كذلك ، لكنه مثـــل الصعق مع الإفاقة ، والنوم مع اليقظة والسكران فى هذا الطريق لا يغيب عن إحساسه ، فإن غاب فقد انتقل عندنا من حال السكر إلى حال فناء أو غيبة أو محق ، ولم يعقب سكره صحوه) [2] .

****

41ـ سواد الوجه فى الدارين

****

سواد الوجه فى الدارين : السواد اللون المضاد للبياض ، وهـــو يـــرد فى

---

1. عوارف المعارف للسهروردى ص527 .

2. الفتوحات 545/2 .

الكتاب والسنة على وجهين :

الأول : أن يكنى ببياض الوجوه عن المسرة ، واسودادها عبارة عن المساءة كقوله تعالى : { وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأنثَى ظَلَّ وَجْهُـــهُ مُسْـــوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ } [النحل/58] ، وقوله : { كَأَنَّمَا أُغْشِـــيَتْ وُجُـــوهُهُمْ قِطَعًا مِنْ اللَّيْلِ مُظْلِمًا } [يونس/27] (1) .

الثانى : الابيضاض والاسوداد على المعنى المحسوس كقوله تعالى : { يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ } [آل عمران/106] لأن ذلك حاصل لهم سودا كانوا فى الدنيا أو بيضا ، ومن هذا الوجه أيضا ما روى من حديث البراء ابن عازب رضى اللَّه عنه ، قال رسول الله ε : " إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة ، نزل إليه ملائكة من السماء ، بيض الوجوه ، كأن وجوههم الشمس .. وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا ، وإقبال

من الآخرة ، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه ، معهم المسوح .. " [2] .

1. كتاب العين 281/7 ، والمفردات ص244 ، ولسان العرب 224/3 .
2. أخرجه أبو داود فى كتاب السنة برقم (4753) 239/4 ، وأحمد فى المسند برقم (18557) واللفظ له .

سواد الوجه فى الدارين فى الاصطلاح الصوفى :

الصوفية يعبرون عن التصوف أو الفقر ، بإسقاط الجاه وسواد الوجه فى الدنيا والآخرة ، بل قال بعضم العارف مسود الوجه فى الدنيا والآخرة [1] .

وسواد الوجه فى الدارين يعنى عند الصوفية أسمى الحالات ، فهو الفناء فى اللَّه بالكلية ، بحيث لا وجود لصاحبه ظاهرا وباطنا دنيا وآخرة ، وهو الفقر الحقيقى ، والرجوع إلى العدم الأصلى [2] .

قال الكاشانى : (ومعنى السواد المذكور فى الدارين ، هو رؤية المرء سقوط قدره ، وتفاهة قيمته وحقارة مترلته فى الدنيا والآخرة ، فهو لا يرى له عملا منجيا فى الآخرة ، ولا على أحد فى الدنيا ، وذلك لتحققه بفقر الصوفية ، وهو الانحباس فى بيد التجريد الذى عرفته ، وهو المقام الذى يبيد فيه كل ما سوى الحق تعالى ، أى يعدم ، وقد يتحقق صاحب هذه الحالة بالفقر الحقيقى الذى هو فقد الأنانية فى وجود حقيقة الحقائق ، وقد يرى سواد وجهه ، وهو ظلمة عدمية فى الدارين ، أى فى الدنيا ولآخرة) [3] .

وقال صدر الدين الرومى وقد سئل عن معنى سواد الوجه فى الدارين فقال : وجه الكامل لكونه مواجها لحضرة الغيب ، وهى تشبه الظلمة [4] .

---

1. لطائف الإعلام 30/2 . 2. السابق 29./2
3. السابق 30/2 ، وانظر معجم الكاشانى ص123 .
4. السابق 30/2 ، وانظر كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى 151/3 .

****

42ـ الشجــــــرة

****

الشجرة : الشجر من النبات ماله ساق ، يقال : شجرة وشجر ، نحو ثمرة وثمر ، وكل ما ورد فى القرآن من ذكر الشجر فى الدنيا ، فإنه يعنى الشجر من النبات ، كقوله تعالى : { وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنْ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنْ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ } [النحل/68] ، وكقوله : { الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنْ الشَّجَرِ الأخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ } [يس/80] وأمثال ذلك [1] .

وقال الشوكانى عن الشجرة فى قوله تعالى : { أَفَرَأَيْتُمْ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ أَأَنْتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ } [الواقعة/72:71] : (معنى تورون أى تستخرجونها بالقدح من الشجر الرطب ، يقال : أوريت النار ، إذا قدحتها) [2] ، وكانت العرب تستخدم شجرتين إحداهما تسمى المرخ

والأخرى تسمى العفار ، إذا أخذ منهما غصنان أخضران ، فحك أحـــداهما بالآخر تناثر من بينهما شرر النار [3] .

1. لسان العرب 394/4 ، والمفردات ص 255 ، 256 .
2. فتح القدير 158/5 .
3. تفسير القرآن العظيم لابن كثير 296/4 .

أما الشجرة التي ذكرت فى قوله تعالى : { وَقُلْنَا يَــا آدَمُ اسْــكُنْ أَنْــتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنْ الظَّالِمِينَ } [البقرة/35] فهى الشجرة التي نهى آدم عليه السلام وزوجته عن الأكل منها ، فعن أبي هريرة τ عن النبى ε قـــال : " فيقـــول آدم : إن ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته ، نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى نوح " [1] .

واختلفوا فى تعينها ، فقيل : العنب ، وقيل : التين ، وقيل : البر ، وقيل : النخلة ، قال ابن جرير : (والصواب فى ذلك أن يقال : إن اللَّه عز وجــل ثناؤه ، نهى آدم وزوجته عن أكل شجرة بعينها من أشجار الجنة دون سائر أشجارها ، فأكلا منها ولا علم عندنا بأى شجرة كانت على الــتعين ، لأن اللَّه لم يضع لعباده دليلا على ذلك فى القرآن ولا من السنة الصحيحة) [2] .

وأما الشجرة الملعونة فى القرآن والتى وردت فى قوله تعالى : { وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ } [الإسراء/60] فهى شجرة الزقوم التى وردت فى قوله تعالى :

{ أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ فَإِنَّهُمْ لاكِلُونَ مِنْهَا

1. أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان برقم (194) 184/1 .
2. تفسير ابن جرير الطبرى 233/1 .

فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ } [الصافات/66:62] ، كما قال عبد الله بن عباس τ : هي رؤيا عين أريها رسول اللَّه ε ، ليلة أسري به ، والشجرة الملعونة شجرة الزقوم [1] ، هذا جملة ما ورد فى القرآن والسنة من ذكر الشجرة ومعانيها .

الشجرة فى الاصطلاح الصوفى :

الشجرة فى الاصطلاح الصوفى تنوع مدلولها بمعان مختلفة :

1- الشجرة تعنى عند الصوفية الإنسان الكامل ، قال عبد الرزاق الكاشانى : (الشجرة يعنون بها فى اصطلاحهم ، الإنسان الكامل المشار إليه فى آية النور ، وهى الشجرة المباركة الزيتونة ، التى لا شرقية ولا غربية لاعتدالها بين طرفى الإفراط والتفريط ، فى الأقوال والأفعال والأحوال ويطلقونها على الأسماء الإلهية لتشاجرها وتقابلها ، كالغفور والمنتقم ، والضار والنافع ، والمعطى والمانع) [2] .

2- الشجرة كناية عن اللَّه ، فيذكر ابن عربى أنه رأى رسول اللَّه ε فى المنام ، قال : فقلت له : قول اللَّه : { اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ

1. أخرجه البخارى فى كتاب تفسير القرآن برقم (4716) 250/8 ، وانظر فتح القدير 240/3 .

2. لطائف الإعلام 35/2 ، 36 ، وانظر اصطلاحات الصوفية لابن عربى ص12 والتعريفات ص130 .

نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ } [النور/35] ، ما هذه الشجرة ؟ ، فقال ε : كنى عن نفسه سبحانه ، ولهذا نفى عنها الجهات والغرب والشرق ، كناية عن الفرع والأصل ، فهو خالق المواد وأصلها ، ولولا هو لما كانت مادة فى كلام طويل ، وتفصيل واضح ، وكان قبل أن يقول هذا الكلام يقول لى : أنت تعرف ما هى الشجرة ، وما كان لى علم بها ، فلما قال لى : أنت تعرفها ، وجدت العلم بها فى نفسى عند قوله : أنت تعرفها ، وكنت أقول له : نعم أعرفها ، وأحب أن أسمعها من فيك ε ، فكان يقول لى : ما ذكرت ، واستيقظت [1] .

3- الشجرة تعنى أيضا الحقيقة المحمدية ، قال ابن عربى : (فظهرت هذه الصورة المحمدية ، والشجرة الإنسانية الجامعة الكلية ، وقال لسان حالها : غرستنى يد الأحد فى بستان الأبد ، أنا شجرة النور والكلام ، وقرة عين موسى عليه السلام ، لى من الجهات اليمين الأنفس ، ومن الأمكنة الواد

المقدس ، ولى من الزمان الآن ، ومن المسالك خط الاستواء ، واعتدال الأركان ، فأنا الظل الممدود وكلمة الوجود ، وجوامع الكلم ، ومعدن الأسرار والحكم) [2] .

4- والشجرة تعنى عندهم أيضا الكون وتفريعاته ، كما يقول ابن عربى :

1. السابق 2/ 36 .
2. تذكرة الخواص فقرة 57 .

(فإنى نظرت إلى الكون وتكوينه وإلى المكنون وتدوينه ، فرأيت الكون كله شجرة ، وأصل نورها فى حبة { كُنْ } [آل عمران/47] ، قد لقحت كاف الكونية بلقاح حبة { نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلا تُصَدِّقُونَ } [الواقعة/57] ، فانعقد من ذلك البزر ثمرة { إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ } [القمر/49] ، وظهر من هذا غصنان مختلفان ، أصلهما واحد ، وهو الإرادة وفرعها القدرة ، فظهر عن جوهر الكاف معنيان مختلفان : كاف الكمالية { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي } [المائدة/3] ، وكاف الكفرية { فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ } [البقرة/253] ، وظهر جوهر النون ، نون النكرة ونون المعرفة ، فلما أبرزهم من العدم على حكم مراد التقدم ، ورش عليهم من نوره ، فأما من أصابه ذلك النور ، فحدق إلى تمثال شجرة الكون المستخرجة من حبة { كُنْ } [آل عمران/47] ، فلاح له فى سر كافها ، تمثال { كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ } [آل عمران/110] ، واتضح له فى شرح نونها { أَفَمَنْ

شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ } [الزمر/22] وكان حظ كل مخلوق من كلمة كن ، ما علم من هجاء حروفها) [1] .

****

43ـ الشـــــرب

****

- **الشرب** : الشرب تناول كل مائع ، ماء كان أو غيره ، قال الله تعالى :

---

1. شجرة الكون ص2 .

{ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا } [الإنســـان/21] ، وقال سبحانه فى صفة أهل النار : { لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ } [الأنعام/70] ، وجمع الشراب أشربة ، يقال شربته شَربا وشُربا ، وقال تعالى عن قصة طالوت : { فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي } [البقرة/249] ، وقال : { فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ } [الواقعة/55] [1] .

وعن أبى هريرة τ ، قال : " نهى رسول اللَّه ε عن الشرب من فم القربة أو السقاء " [2] .

- **الشرب فى الاصطلاح الصوفى :**

الصوفية تسمى حلاوة التقوى وجمال الكرامة ولذة الأنـــس شـــربا ، ولا يمكن لشخص أن يقوم عندهم بأمر بدون الشرب ، وكما أن شرب الأجسام هو الماء فشرب القلوب هو الأنس الروحانى [3] ، والشرب عندهم علـــى ثلاث مراحل ابتداء ووسط وانتهاء ولكل اصطلاح :

1- ابتداء الشرب : ويسمى فى عرفهم الذوق ، ويتمثل فى صفاء معاملاتهم ، قال ذو النون المصرى : (لما أراد أن يسقيهم من كأس محبته ذوقهم من لذاذته وألعقهم من حلاوته) [4] .

1. لسان العرب 487/1 ، والمغرب للمطرزى 436/1 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب الأشربة برقم (5627) 92/10 .
3. كشف المحجوب ص475 .
4. اللمع ص449 .

2- وسط الشرب : ويتمثل فى وفاء منازلتهم ، فمن قوى حبه عندهم تسرمد شربه ، فإذا دامت به تلك الصفة ، لم يورثه الشرب سكرا ، فكان صاحيا بالحق ، فانيا عن كل حظ ، لم يتأثر بما يرد عليه ، ولا يتغير عما هو به ، ومن صفا سره لم يتكدر عليه الشرب ، ومن صار الشراب له غذاء ، لم يصبر عنه ، ولم يبق دونه ، قال قائلهم :

عجبت لمن يقول ذكرت ربى فهل أنسى فأذكر ما نسيت

شربت الحب كأسا بعد كأس فما نفذ الشراب ولا رويت [1]

قال القشيرى : (كتب يحى بن معاذ إلى أبى يزيد البسطامى : ها هنا من شرب من كأس المحبة لم يظمأ بعده ، فكتب له أبو يزيد ، عجبت من ضعف حالك ؟ ههنا من يحتسى بحار الكون وهو فاغر فاه يستزيد) [2] .

3- نهاية الشرب : ويطلقون عليه الرى ، ويتمثل فى دوام مواصلاتهم وصاحب الذوق عندهم متساكر ، وصاحب الشرب سكران ، وصاحب الرى صاح [3] .

قال الكاشانى : { وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلا } [الإنسان/17] زنجبيل لذة الاشتياق ، فإنهم لا شوق لهم ، ليكون شرابهم الزنجبيل الصرف

---

1. الرسالة القشيرية 1/ 240 .
2. السابق 240/1 .
3. السابق 239/1 .

الذى هو غاية حرارة الطلب لوصولهم ، ولكن لهم الاشتياق للسير فى الصفات ، وامتناع وصولهم على جميعها ، فلا تصفو محبتهم من لذة حرارة الطلب ، كما صفت لذة محبة المستغرقين فى عين جميع الذات ، فكان شرابهم العين الكافورية الصرفة) [1] .

****

44ـ الشفع

****

- **الشفع** : الشفع ضم الشئ إلى مثله ، والوتر انفراده [2] ، وقد ورد فى قوله تعالى : { وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ } [الفجر/ 3:1] والآية لها تفسيران أحدهما لغوى والأخر اصطلاحى :

1- فالمعنى اللغوى ما قاله مجاهد فى تفسيرها : كل شيء خلقه فهو شفع السماء شفع ، والوتر اللَّه تبارك وتعالى [3] ، على ما روى عن أبي هريرة τ عن النبي ε ، قال : لله تسعة وتسعون اسما ، من حفظها دخل الجنـــة ، وإن اللَّه وتر يحب الوتر) [4] ، وفى المعنى اللغوى أيضا ، ورد الشـــفع فى الأذان

---

1. تفسير القرآن الكريم منسوب لابن عربى 744/2 .
2. المفردات ص 263 ، وفتح القدير 436/5 .
3. أخرجه البخارى فى كتاب التفسير، سورة الفجر 571/8 .
4. أخرجه مسلم فى كتاب الذكر والدعاء برقم (2677) 2062/4 .

والوتر فى الإقامة ، فعن أنس بن مالك τ : " أن رسول اللَّه ε أمر بـــلالا أن يشفع الأذان ، وأن يوتر الإقامة " [1] .

2- أما المعنى الاصطلاحى فهو على وجهين :

أ- الوتر يوم عرفة والشفع يوم النحر ، هكذا ورد عن النبى ε من حديث جابر بن عبد اللَّه τ ، قال رسول اللَّه ε : " إن العشر عشـــر الأضـــحى ، والوتر يوم عرفة ، والشفع يوم النحر " [2] .

ب- الشفع ركعتان أو عدد من الركعات الزوجية ، تصلى فى آخر الليل والوتر ركعة واحدة بعد الشفع ، لما ورد من حديث عائشة رضى اللَّه عنها قالت : " كان رسول اللَّه ε يصلي في الحجرة ، وأنا في البيت ، فيفصل بين الشفع والوتر بتسليم يسمعناه " [3] .

الشفع فى الاصطلاح الصوفى :

قال الكاشانى فى قوله تعالى : { وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ وَالشَّفْعِ وَالْـوَتْرِ } [الفجر/3:1] أقسم بابتداء ظهور نور الروح على مادة البدن ، عند أول أثـر تعلقه به { وَلَيَالٍ عَشْرٍ } ومحال الحواس العشرة الظاهرة والباطنة التى تـتعين

1. أخرجه البخارى فى كتاب الآذان برقم (603) 92/2 .
2. حسن الإسناد ، أخرجه أحمد فى المسند برقم (14102) .
3. ضعيف ، أخرجه أحمد فى المسند برقم (24018) عمر بن عبد العزيز لم يسمع من عائشة رضى الله عنها .

عند تعلقه به ، لكونها أسباب تحصيل الكمال وآلاتهـا { وَالشَّـفْعِ } ، أى الروح والبدن عند اجتماعهما ، وتمام وجود الإنسان الذى يمكن به الوصول { وَالْوَتْرِ } ، أى الروح الجرد إذا فارق [1] .

وقال أيضا : الشفع هو الخلق ، وإنما أقسم بالشفع والوتر ، لأن الأسمـاء الإلهية ، إنما تتحقق بالخلق ، فما لم ينضم شفعية الحضرة الواحدية إلى وترية الحضرة الأحدية ، لم تظهر الأسماء الإلهية [2] .

****

45ـ الشمـــس

****

- **الشمس** : الشمس يقال للقرصة ، وللضوء المنتشر عنها ، وتجمع على شموس قال الله تعالى : { وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ } [يس/38] وفى معنى الآية من حديث أبي ذر τ ، قال النبي ε لأبي ذر حين غربت الشمس : أتدري أين تذهب ؟ قلت : اللَّه ورسوله أعلم قال : فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش ، فتستأذن فيؤذن لها ، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها ، وتستأذن فلا يؤذن لها ، يقال لها : ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك قوله تعالى : { وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ

---

1. تفسير القرآن الكريم لابن عربى ص803 .
2. معجم الكاشانى ص170 /171 .

لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ } " [1] .

وقال البخارى : " باب صفة الشمس والقمر ، قال تعالى : { الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ } [الرحمن/5] ، قال مجاهد : كحسبان الرحى ، وقال غيره : بحساب ومنازل ، لا يعدوانها ، وحسبان جماعة حساب ، مثل شهاب وشهبان : { وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا } [الشمس/1] ضوءها ، { لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ } [يس/40] لا يستر ضوء أحدهما ضوء الآخر ، ولا ينبغي لهما ذلك ، { إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ } [التكوير/1] ، قال الحسن : تكور حتى يذهب ضوءها " [2] .

- **الشمس فى الاصطلاح الصوفى :**

والشمس عند الصوفية تعنى عدة معان :

1- الشمس هى مجلى الحق سبحانه وتعالى كما قال محى الدين بن عربى :

ألا بذكر اللَّه تزداد الذنوب وتنعكس البصائر والقلوب
وترك الذكر أفضل كل شئ فشمس الذات ليس لها غروب [3] .

2- والشمس كناية عن الروح فى البدن بمنزلة الشمس ، والنفس بمنزلة

1. أخرجه البخارى فى كتاب بدء الخلق برقم (3199) 342/6 ، وانظر المفردات فى غريب القرآن ص267 .
2. انظر صحيح البخارى فى كتاب بدء الخلق ، باب صفة الشمس والقمر 1169./3
3. كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى 116/4 ، وسائل السائل ص25 ، وديوان ترجمان الأشواق ص5:4 .

القهر ، لذلك قالوا : إذا رأى السالك نورا قبل شعاع القمر ، فإنه يعلم أن هذا النور هو الروح [1] .

وقال الكاشانى فى قوله تعالى : { وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاهَا } [الشمس/1] أقسم بشمس الروح وضوئها المنتشر فى البدن الساطع على النفس ، والقمر أى قمر القلب إذا تلى الروح فى التنور بها وإقباله نحوها ، واستضاءته بنورها ، ولم يتبع النفس فينخسف بظلمتها والنهار ونهار استيلاء نور الروح وقيام سلطانها ، واستواء نورها إذا جلأها وأبرزها فى غاية الظهور ، كالنهار عند الاستواء فى تجلية الشمس [2] .

3- وقال القشيرى : الشمس فى قوله تعالى عن إبراهيم υ : { فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ } [الأنعام/78] : أحاطت به سجوف

ظلمة الطلب ، و لم يتجلى له بعد صباح الوجود ، فطلع نجـــم العقــول فشاهد الحق بسره بنور البرهان ، فقال : هذا ربى ، ثم أسفر الصبح وفــتح النهار ، فطلعت شموس العرفان من برج شرفها ، فلم يبق للطلب مكان ولا للتجويز حكم ، ولا للتهمة قرار ، فقال : ياقوم إنى برئ مما تشـــركون إذ ليس بعد العيان ريب ، ولا عقب الظهور ستر ، ويقال : إنه كان يلاحـــظ الأغبار والآثار باللَّه ، ثم كان يرى الأشياء لله ومن اللَّه ، ثم طالع الأغيار محوا فى اللَّه [3] .

---

1. السابق 116/4 . 2. تفسير القرآن الكريم منسوب لابن عربى 811/2 .
3. لطائف الإشارت 485/1 .

****

46ـ الشيـــــــخ

****

- **الشيخ** : يقال لمن طعن فى السن الشيخ ، كقوله تعالى : { قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ } [القصص/23] ، وقوله : { ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا } [غافر/67] ، وعن أبي هريرة τ ، عن الـــنبي ε قال : " قلب الشيخ شاب على حب اثنتين حب العيش والمال " [1] ، وكل ما ورد فى القرآن ، والسنة فإنه يعنى ذلك .

وقد يقال لمن يكثر علمه شيخ ، لما كان من شأن الشيخ أن يكثر تجاربه ومعارفه [2] ، ويمكن أن يحمل عليه حديث عثمان بن موهب ، قال : جاء رجل حج البيت ، فرأى قوما جلوسا ، فقال من هؤلاء القعود ؟ ، قالوا : هؤلاء قريش ، قال : من الشيخ ؟ ، قالوا : ابن عمر ، فأتاه فقال : إني سائلك عن شيء أتحدثني ؟ .. [3] .

الشيخ فى الاصطلاح الصوفى :

والشيخ فى عرف الصوفية ، هو الإنسان البالغ فى العلوم الثلاثة التى هى

1. أخرجه مسلم فى كتاب الزكاة برقم (1046) 724/2 .
2. لسان العرب 31/3 ، وكتاب العين 284/4 ، المفردات ص270 .
3. أخرجه البخارى فى كتاب المغازى برقم (4066) 421/7 .

علم الشريعة والطريقة والحقيقة ، إلى الحد الذى من بلغه ، كان عالما ربانيا مربيا ، هاديا مهديا مرشدا إلى طريق الرشاد ، معينا لمن أراد الاستعانة به على البلوغ إلى رتب أهل السداد ، وذلك بما وهبه اللّه من العلم اللدنى الربانى ، والطب المعنوى الروحانى ، فهو طبيب الأرواح الشافى لها بما علمه اللّه تعالى من أدوية أدوائها المردية ، الذى بلغ فى نفوذ بصيرته إلى مقام المشاهدة لما يعرض لقلوب السالكين ، من الأدواء المانعة لهم عن الحظوة بالقرب ، من حضرة الحق تعالى ، ويشاهد أيضا ما ينبغى أن يعالج به تلك

الأدواء والعلل ، من الرياضات والمجاهدات ، فمن كان مقامه فى العلم اللدنى فهو طبيب الأرواح ، والشيخ الذى من اقتفى أثره صار من أهل الفلاح [1] .

قال الكاشانى : (الشيخ هو الإنسان الكامل فى علوم الشريعة والطريقة والحقيقة ، البالغ إلى حد التكميل فيها ، لعلمه بآفات النفوس وأمراضها وأدوائها ومعرفته بدوائها وقدرته على شفائها ، والقيام بهداها إن استعدت ووفقت لاهتدائها) [2] .

1. لطائف الإعلام 45Ƴ46/2 .
2. معجم الكاشانى ص172 .

****

47ـ الصنـــــم

****

- **الصنم** : الصنم جثة متخذة من فضة أو نحاس أو خشب أو حجر ، كانوا يعبدونها متقربين بها إلى اللَّه ، وجمعه أصنام ، وعلى هذا المعنى ورد قول الله تعالى : { وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ

لَهُمْ قَالُوا يَامُوسَى اجْعَل لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ } [الأعراف/132] وقوله :

{ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ } [الأنعام/74] ، وقوله : { وَتَاللَّهِ لأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ } [الأنبياء/57] (1) .

ومن حديث أبى هريرة τ ، فى فتح مكة قال : "فأتى ε على صنم إلى جنب البيت كانوا يعبدونه ، وفي يد رسول اللَّه ε قوس ، وهو آخذ بسية القوس ، فلما أتى على الصنم جعل يطعنه في عينه ، ويقول : { وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا } [الإسراء/81] (2) .

- **الصنم فى الاصطلاح الصوفى :**

والصنم فى الاصطلاح الصوفى يرد على معنيين :

1. لسان العرب 349/12 ، والمفردات ص287 .
2. أخرجه مسلم فى الجهاد والسير برقم (1780) 1405/3 .

الأول : كل ما يشغل عن اللَّه فهو صنم ، فصنم كل أحد ما يشغله عن اللَّه تعالى ، من مال وولد وجاه ، وطاعة وعبادة " (1) .

وقال القشيرى فى قوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام : { وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ } [إبراهيم/35] :

(لما بنى البيت استعان باللَّه أن يجرده من ملاحظة نفسه ، وفعله وقيل : كان مترددا بين شهود فضل اللَّه ، وشهود رفق نفسه ، فلما لقى من فضله

وجوده ، قال من كمال بسطه : { واغفر لأبي إنه كان من الضالين } [إبراهيم/35] ولما نظر من حيث فقر نفسه ، قال : { وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ } [الشعراء/86]) [2] .

الثانى : الصنم هو اللَّه ، من حيث هو مظهر الوجود المطلق ، قال التهانوى : (الصنم فى اصطلاح السالكين ، عبارة عن مظهر الوجود المطلق الذى هو الحق ، فالصنم من حيث الحقيقة ، هو الحق وليس باطلا أو عبثا وعابد الصنم يطلق عندهم على عابد الحق ، لأن الحق فى صورة صنم :

{ وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا } [الإسراء/23] ،فإذا ظهر صحيحا فالكل عابد بالضرورة) [3] ، وهذا يفسر على المعنى الذى

1. كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى 269/4 .
2. لطائف الإشارات 255/2 .
3. كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى 269/4 .

ذكره ابن عربى أن للحق فى كل معبود وجها ، يعرفه من عرفه ويجهله من جهله ، فى المحمديين ، { وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ } ، أى حكم ربك فالعالم يعلم من عبد ، وفى أى صورة ظهر حتى عبد ، وإن التفرقة والكثرة كالأعضاء فى الصورة المحسوسة وكالقوة المعنوية فى الصورة الروحانية ، فما عبد غير اللَّه فى كل معبود ، فالأدنى يقصد أهل الظاهر من تخيل فيه الألوهية ، فلولا هذا التخيل ما عبد الحجر ولا غيره ، قال : { قُلْ سَمُّوهُمْ }

[الرعد/33] ، فلو سموهم لسموهم حجارة وشجرا وكوكبا ، ولو قيل لهم : من عبدتم ؟ ، لقالوا : إلها ، ما كانوا يقولون : اللَّه ، ولا الإله ، والأعلى يقصد أهل الكشف ما تخيل ، بل قال : هذا مجلى إلهى ينبغى تعظيمه ، فلا يقتصر ، فالأدنى صاحب التخيل يقول : { مَا نَعْبُدُهُمْ إِلا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى } [الزمر/3] والأعلى العالم يقول : { إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ } [الكهف/110] أى حقا كان أو باطلا) [1] .

****

48ـ الضنائن

****

الضنائن : الضنين هو البخيل بالشئ النفيس الممسك به ، ويقال : فلان ضنى بين أصحابى ، أى هو النفيس الذى أضن به ، وقوله تعالى : { وَمَا هُوَ

1. فصوص الحكم ص 66، 67 .

عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ } [التكوير/24] أى ما هو ببخيل ، فلا يكتم شيئا مما جاء به الوحى [1] .

وقال لقيط بن صبرة τ : " يا رسول اللَّه ما عندك من علم الغيب ؟ فقال : ضن ربك عز وجل بمفاتيح خمس من الغيب لا يعلمها إلا اللَّه " [2] .

وقال أبو هريرة لعبد اللَّه بن سلام رضى اللَّه عنهما فى ساعة الإجابة يوم الجمعة : " أخبرني بها ولا تضنن بها علي قال : هي بعد العصر إلى أن تغرب

الشمس ، قال أبو عيسى الترمذى ومعنى قوله : أخبرني بها ولا تضنن بها علي لا تبخل بها علي ، والضن البخل ، والضنين المتهم [3] .

ومن حديث أبي هريرة τ فى فتح مكة قال رسول اللَّه ε : " يا معشر الأنصار قلتم أما الرجل فأدركته رغبة في قريته ، كلا إني عبد اللَّه ورسوله هاجرت إلى اللَّه وإليكم ، والمحيا محياكم والممات مماتكم ، فأقبلوا إليه يبكون ويقولون : واللَّه ما قلنا الذي قلنا إلا الضن باللَّه وبرسوله ، فقال رسول اللَّه ε : إن اللَّه ورسوله يصدقانكم ويعذرانكم " [4] .

---

1. القاموس المحيط ص 1564 ، والمفردات ص.29
2. حديث حسن ، أخرجه أبو داود فى كتاب الأيمان والنذور برقم (3266) وأحمد فى المسند برقم (15773) واللفظ له .
3. أخرجه الترمذى فى كتاب الجمعة برقم (491) وقال الألبانى : صحيح 362/2 .
4. أخرجه مسلم فى الجهاد والسير برقم (1780) 3/ 1405.

- **الضنائن فى الاصطلاح الصوفى :**

استخدم الصوفية مصطلح الضنائن ليعنوا به الخصائص من أهل اللَّه الذين يضن بهم لنفاستهم عنده ، وعلو شأنهم لديه ويستدل الكاشانى لهم بحديثين :

الأول : قوله ε : " سبعة يظلهم اللَّه تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظل عرشه " [1] ، وقال معقبا : وذكر منهم الشاب الذى نشأ فى عبادة اللَّه الهمه التوبة فى صباه ، ليعصمه ويجعله من ضنائنه [2] .

والثانى : حديث ينسبه إلى النبى ε : " إن لله ضنائن من خلقــه ألبســهم النور الساطع ، يحييهم فى عافية ، ويميتهم فى عافية " [3] .

ويقول معقبا : فقوله ε : يحييهم فى عافية ، أى يعصمهم من المعاصى من أول صباهم من بدء العمر ، ومعنى ويميتهم فى عافية ، أى يميتهم على مــا كانوا عليه من الحفظ والعصمة ، وذلك لمحبته لهم [4] .

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب الأذان برقم (660) 168/2 ومسلم فى كتاب الزكاة برقم (1031) 715/2 .
2. لطائف الإعلام 75Υ76/2 .
3. الحديث ضعيف ، وراه الطبرانى فى معجمه الكبير 385/12 وابن الجعد فى مسنده 494/1 ، والحكيم الترمذى فى نوادر الأصول 233/4 ، وابن رجب فى جامع العلوم والحكم ص371 ، وانظر ضعفاء العقيلى 152/4 .
4. معجم الكاشانى ص183 لطائف الإعلام 75/2 .

****

49ـ الضيــــــاء

****

- **الضياء** : الضياء على نوعين :

الأول : ما يدرك بالبصر ، وهو النور المحسوس للعين المبصرة ، ومنه قوله تعالى : { هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا } [يــونس/5] وقولــه

سبحانه : { يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا } [البقرة/20] (1) ، وعن أنس بن مالك τ ، أن النبي ε قال : " ولو أن امرأة من أهل الجنة ، اطلعت إلى أهل الأرض ، لأضاءت ما بينهما ، ولملأته ريحا " (2) .

وعنه أيضا أن أسيد بن حضير ورجلا آخر من الأنصار ، تحدثا عند رسول اللَّه ε ليلة في حاجة لهما ، حتى ذهب من الليل ساعة ، وليلة شديدة الظلمة ، ثم خرجا من عند رسول اللَّه ε ينقلبان ، وبيد كل واحد منهما عصية ، فأضاءت عصا أحدهما لهما حتى مشيا في ضوئها ، حتى إذا افترق بهما الطريق أضاءت للآخر عصاه ، فمشى كل واحد منهما في ضوء عصاه حتى بلغ إلى أهله " (3) .

---

1. المفردات ص300 .
2. أخرجه البخارى فى الجهاد (2796) 19/6 .
3. أخرجه البخارى فى كتاب الصلاة برقم (465) 662/1 ، وأحمد فى المسند برقم (11996) واللفظ له .

ومن حديث حفصة رضى اللَّه عنها : " أن النبي ε كان إذا أضاء له الفجر صلى ركعتين " (1) .

الثاني : ما يدرك بالبصيرة ، وهو ما يهتدى به العقل والإرادة والقلب وما تعلق بالروح ، ومنه قوله تعالى : { ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين } [الأنبياء/48] ، ومن حديث أبي مالك الأشعري τ ، قال

رسول اللَّه ε : " الطهور شطر الإيمان .. والصلاة نور ، والصدقة برهـــان والصبر ضياء .. " [2] .

- **الضياء فى الاصطلاح الصوفى :**

والضياء عند الصوفية يعرفه الكاشانى بأنه رؤية الأشياء بعين الحق عـــين الحق ، فإن الحق بذاته نور لا يدرك ولا يدرك به ، ومن حيث أسماؤه نـــور يدرك ويدرك به ، فإذا تجلى القلب من حيث كونه يدرك به شاهدت البصيرة المنورة الأغيار بنوره ، فإن الأنوار الأسمائية من حيث تعلقها بالكون مخالطة بسواده ، وبذلك استتر انبهاره فأدركت به الأغيار كما أن قرص الشمس إذا حازاه غيم رقيق يدرك [3] .

---

1. أخرجه مسلم فى كتاب صلاة المسافرين برقم (723) 500/1 .
2. المفردات ص300 والحديث أخرجه مسلم فى كتاب الطهارة (223) 203./1
3. انظر لطـــائف الإعـــلام 76/2 ، رشـــح الـــزلال ص142 ، ومعجـــم اصطلاحات الصوفية للكاشانى ص183 ، التعريفات ص181 .

****

50ـ الطـــــور

****

الطور : الطور فى القرآن ، اسم جبل مخصوص فى جزيرة سيناء ، له شأن عظيم مع بنى إسرائيل [1] ، وأقسم اللَّه به فى موضعين من كتابــه ، فقــال سبحانه : { وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ } [الطور/2:1] ، وقال أيضا : { وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ وَطُورِ سِينِينَ } [التين/2:1] ، كما أن اللَّه هيأ لموسى عليه الســلام بجانبه نارا ، عندما توجه من مدين إلى مصر مارا به ، قال تعالى : { فَلَمَّــا قَضَى مُوسَى الأجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَــالَ لأَهْلِــهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنْ النَّارِ لَعَلَّكُــمْ تَصْطَلُونَ } [القصص/29] وقد تجلى اللَّه له عندما طلب موسى الرؤية ، فاندك فى الأرض ، كما قال تعالى : { وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَــالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَــعِقًا فَلَمَّــا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ } [الأعراف/143] .

وقد رفعه اللَّه على بنى إسرائيل حتى كاد أن يسقط عليهم فقال : { وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمْ الطُّورَ } [النساء/154] وقال تعالى : { وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّــهُ ظُلَّةٌ

---

1. لسان العرب 508/4 ، المفردات 308 .

وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ } [الأعراف/171] .

وعن أبي سعيد الخدري τ ، قال رسول اللَّه ε : " لا تخيروا بين الأنبياء وأنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ، فأفيق فأجد موسى متعلقا بقائمة من قوائم العرش ، فلا أدري أجزي بصعقة الطور أو أفاق قبلي " (1) .

الطور فى الاصطلاح الصوفى :

والطور فى الاصطلاح الصوفى يعنى باطن النفس ، وذلك هو المعبر عنه بالحقيقة الإلهية فى الإنسان (2) .

أما الطور الأيمن فهو النفس ، يقول الجيلى : (الطور الأيمن هو النفس لأن الطور الذى هو الجبل الذى كان موسى يتجلى فيه) (3) .

وقال عبد الزاق الكاشانى : (الطور هو الدماغ الإنسانى ، الذى هو مظهر العقل والنطق ، أقسم به لشرفه وكرامته ، ولكون الفلك الأعظم الذى هو محدد الجهات بالنسبة إلى العالم ، بمثابة الدماغ بالنسبة إلى الإنسان ، يمكن أن يكون إشارة إليه ، وأقسم به لشرفه وكونه مظهر الأمر الإلهى ، ومحل القضاء الأزلى) (4) .

---

1. أخرجه أحمد فى المسند برقم (10894) واللفظ له ، وأخرجه البخارى فى كتاب الخصومات برقم (2412) .
2. الإنسان الكامل 88/1 .
3. السابق 88/1 .

4. تفسير القرآن الكريم لابن عربى 547/2 .

****

51ـ الظـــــل

****

- **الظل** : الظل ضد الضَّحِّ ، وهو أعم من الفئ ، فإنه يقال : ظل الليل وظل الجنة ، ويقال لكل موضع لم تصل إليه الشمس ظل ، ولا يقال الفئ إلا لما زالت عنه الشمس ، ويعبر عن الظل بالعزة ، والمتعة والرفاهية ، يقال : أظلنى فلان وحرسنى ، وجعلنى فى ظله وعزته ومناعته (1) .

وقد ورد الظل فى القرآن والسنة على ما يحجب الضوء ، كقول الله تعالى : { أَلَمْ تَرَى إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلا } [الفرقان/45] ، وقوله : { وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَلا الظُّلُمَاتُ وَلا النُّورُ وَلا الظِّلُّ وَلا الْحَرُورُ } [فاطر/19: 22] وقوله سبحانه : { هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلالٍ عَلَى الأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ } [يس/56] .

وعن أبي هريرة τ عن النبي ε قال : " إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة واقرءوا إن شئتم { وَظِلٍّ مَمْدُودٍ } " [الواقعة/30] (2) .

- **الظل فى الاصطلاح الصوفى :**

أما الظل فى الاصطلاح الصوفى فيعنى أمرين :

1. لسان العرب 415/11 ، المفردات ص314 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب بدء الخلق برقم (3253) 368/6 .

1- الظل : كل ما سوى اللّه من أعيان الكائنات ، وذلك من وجهين :

الوجه الأول : هو أنه لما لم يكن لشئ من الكائنات استقلال بنفسه لاستحالة وجود ما سوى الحق تعالى بذاته ، صارت الكائنات ظلا لله من حيث أن الظل لا تحرك له إلا بحركة صاحبه ، ولا حقيقة له ولا صورة ولا ذات ، إلا بحسب ما ينبعث عن الشئ الذى هو ظل له ، فهكذا من شهد الحقيقة ، فإنه يرى الكائنات ظلا لا تستطيع لنفسها نفعا ولا ضرا ولا موتا ، ولا حياتا ولا نشورا [1] .

الوجه الثانى : هو أنه لما كانت حقيقة الظل ، إنما هو عدم النور الشمسى أو غيره فى بقعة ما لساتر ما صارت الكائنات ظلا بهذا المعنى ، لأن حقيقة الظل لا ترجع إلى شئ فى نفسه ، بل إنما تتعين بالنور فكذلك كل ما سوى اللّه تعالى ، ليس هو شيئا فى نفسه ، إنما هو شئ بربه ، فهو أعنى الظل المشار به إلى ما سوى اللّه تعالى ، ما يحصل من انبساط النور الإلهى على أعيان من الأعيان الممكنات التى ليست نورا فى نفسها ، وقد يظهر الظل الذى هو ظلمة محضة ، لأنه ليس يظهر إلا بانبساط النور ، ولا هو نور محض [2] .

وقال الكاشانى : (الظل هو الوجود الإضافى الظاهر بتعينات

1. لطائف الإعلام 92/2 .

2. السابق 92/2 ، 93 .

الأعيان الممكنة وأحكامها ، التى هى معدومات ظهرت باسمه النـــور الذى هو الوجود الخارجى المنسوب إليها ، فيستر ظلمة عدميتها النور الظاهر بصورها صار ظلا لظهور الظل بالنور وعدميته فى نفسه ، قال اللَّه تعالى : { أَلَمْ تَرَى إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ } [الفرقـــان/45] ، أى بسط الوجود الإضافى على الممكنات ، فالظلمة بإزاء هذا النـــور هـــو العدم ، وكل ظلمة فهى عبارة عن عدم النور ، ولهذا سمـــى الكفـــر ظلمة لعدم نور الإيمان من قلب الإنسان ، الذى من شأنه أن يتنور به ، قال تعالى : { اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَـــى النُّورِ } [البقرة/257]) [1] .

2- الظل : يعنى وجود الراحة خلف الحجاب [2] ، وهذا من باب إطلاق الملزوم وإرادة اللازم ، فإنه قد أطلق الظل ، وأراد الراحة التى يجـــدها المستظل به ، فإذا كانت السبحات الذاتية محترقة ، فالحجاب الذى يمنع سوايتها كظل يعطى الراحة [3] ، وهو تفسير صوفى لحديث أبي موسى الأشعرى رضى اللَّه عنه ، قال : قام فينا رسول اللَّه صلى اللَّـــه عليـــه وسلم بخمس كلمات وذكر منها ...حجابه النور ، لو كشفه لأحرقت

---

1. معجم اصطلاحات الصوفية للكاشانى ص184 .

2. اصطلاحات الصوفية لابن عربى ص14 .

3. معجم اصطلاحات الصوفية للكاشانى ص184 .

سبحات وجهه ، ما انتهى إليه بصره من خلقه) [1] ، فسبحات وجه اللّـه كالشمس المحرقة ، والحجاب هو الظل المريح .

وربما أطلق الصوفية اصطلاح ظل الإله ، وأرادوا الإنسان الكامل ، يقول ابن عربى : (السلطان ظل اللّه فى الأرض ، فالظل لا محالة تابع لمن هو ظله [2] .. فإن اللّه حجب الجميع عنه ، وما ظهر إلا للإنسان الكامل الذى هو ظله الممدود ، وعرشه المحدود ، وبيته المقصود ، الموصوف بكمال الوجود [3] .. فجعل الإنسان الكامل خليفة عن الإنسان الكل الكبير يقصد اللّه عز وجل ، الذى هو ظل اللّه فى خلقه من خلقه ، فعن ذلك هو خليفة ، ولذلك هم خلفاء عن مستخلف واحد فهم ظلاله [4] .. فأول مفتاح فتح اللّه به ، مفتاح غيب الإنسان الكامل ، الذى هو ظل اللّه فى كل ما سوى اللّه [5] .

---

1. أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان برقم (179) 161/1 .

2. بلغة الخواص ق62 .

3. الفتوحات 282/3 .

4. السابق 297/3 .

5. السابق 279/3 وانظر رشح الزلال ص142 و لطائف الإعلام 94/2 .

****

52- الظلمـــــــة

****

- **الظلمة** : عدم النور ، وجمعها ظلمات وهى على نوعين :

1- ما يدرك بالبصر ، وهو انعدام النور المحسوس للعين المبصرة ، كقول الله تعالى : { الْحَمْدُ للَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثم الذين كَفَروا بربّهم يعدلُون } [الأنعام/1] وقوله تعالى : { أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا } [النور/40] .

وفى حديث عتبان بن مالك τ ، كان يؤم قومه وهو أعمى ، وقال لرسول اللَّه ε : " يا رسول اللَّه إنها تكون الظلمة والسيل ، وأنا رجل ضرير البصر ، فصل يا رسول اللَّه في بيتي ، مكانا أتخذه مصلى " [1] .

2- انعدام البصيرة ، وضلال العقل ، وذهاب الإرادة والقلب ، ويعبر بالظلمة هنا عن الجهل والشرك والفسق ، كما يعبر بالنور عـــن أضـــدادها كقوله تعالى : { يُخْرِجُهُمْ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ } [البقرة/257] ، وقولـــه

سبحانه : { أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لايَاتٍ لكُل صَبَّارٍ شَكُورٍ } [إبـــراهيم/5] ، ومن حديث عبد اللَّه بن عمر رضي اللَّه عنهما أن النبي ε قال : " الظلم ظلمات يوم القيامة " [1] .

الظلمة فى الاصطلاح الصوفى :

والظلمة فى عرف الصوفية ، تعنى العلم بالذات الإلهية ، فإنه لا يكشف معها غيرها ، إذ العلم بالذات يعطى ظلمة لا يدرك بها شئ ، كالبصر حين يغشاه نور الشمس عند تعلقه بوسط قرصها الذى هو ينبوعه ، فإنه حالتئذ لا يدرك شيئا من المبصرات ، قال اللَّه تعالى : { اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ } [البقرة/257] [2] .

ويذكر عبد الرزاق الكاشانى ، فى قوله تعالى : { أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِـــي بَحْـــرٍ لُجِّيٍّ.. } [النور/40] أن الظلمات ، ظلمات بحر الهيولى ، اللجى العميق الغـــامر لجثة كل نفس جاهلة ، محجوبة بهيئات بدنية ، الغامس لكل ما يتعلق بـــه مـــن القوى النفسانية ، يغشاه موج الطبيعة الجسمانية ، من فوقه موج النفس النباتية من فوقه سحاب النفس الحيوانية ، وهيئاتها الظلمانية ، ظلمات متراكمة بعضها فوق بعض ، إذا أخرج المحجوب بها المنغمس المحبوس فيها يد القـــوة العاقلـــة النظرية بالفكر ، لم يكد يراها ، لظلمتها وعمى بصيرة صاحبها وعدم اهتدائه إلى شيى ، وكيف يرى الأعمى الشئ الأسود فى الليل البهيم [3] .

1. انظر المفردات فى غريب القرآن ص 315 ، والحديث صحيح أخرجه البخارى فى الأذان برقم (667) 184/2.

1. السابق ص 315 ، أخرجه البخارى فى كتاب المظالم برقم (2447) 120./5
2. لطائف الإعلام 95/2 ورشح الزلال ص142 .
3. تفسير القرآن الكريم لابن عربى 143Ƴ144/2 .

****

53ـ العـــــرش

****

- **العرش** : العرش يرد فى اللغة على معنيين [1] :

الأول : سرير الملك كقوله تعالى : { وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا } [يوسف/100] وكقوله : { يَا أَيُّهَا المَلا أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ } [النمل/38] ، وقد أثبت اللَّه لنفسه عرشا ، استوى عليـــه بكيفية تليق بجلاله وعظمته ، يعلمها سبحانه ولا نعلمها نحن ، وليس كمثله شئ فيها ، فقال : { الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى } [طه/5] ، ووصفه بأنـــه عظيم فقال : { وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ } [التوبة/129] وأنه كريم فقال : { لا إِلَهَ إِلا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ } [المؤمنون/116] ، ومجيد فى قولـــه : { ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ } [البروج/15] على قراءة الخفض ، وأوصاف أخرى كثيرة ، وردت فى الكتاب والسنة .

الثانى : سقف البناء كقوله تعالى : { أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا } [البقرة/259] ، وقوله عز وجل : { وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ

مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ } [الأنعام/141] ، وعرش الرحمن ورد أنه فوق أعلى الجنان فى قوله ε ، عن أبي هريرة τ : " إن في الجنة مائة درجة

1. لسان العرب 313/6 ، والمفردات ص329 ، وكتاب العين 250/1 .

أعدها اللَّه للمجاهدين في سبيله ، كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض ، فإذا سألتم اللَّه فسلوه الفردوس ، فإنه أوسط الجنة ، وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن " [1] .

العرش فى الاصطلاح الصوفى :

والعرش عند الصوفية يقسمه ابن عربى إلى خمسة أنواع [2] :

(1- عرش الحياة : وهو عرش الهوية ، وعرش المشيئة ، ومستوى الذات ويستدل له بقوله تعالى : { وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ } [هود/7] ، فأضافه إلى الهوية وجعله على الماء ، ومن ثم سمى بعرش الحياة ، لقوله تعالى : { وَجَعَلْنَا مِنْ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ } [الأنبياء/30] ، ولقوله فيه : { وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ } [هود/7] أى أظهر الحياة فيكم ليبلوكم ، وكذلك قال تعالى فى موضع آخر : { الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلا } [الملك/2] فجعل ليبلوكم إلى جانب الحياة ، فإن الميت لا يختبر ، وهو قوله : { على الماء } ، { لِيَبْلُوَكُمْ } وهو قوله : { وَجَعَلْنَا مِنْ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ } فهو العنصر الأعظم ، فلك الحياة ، وهو اسم الأسماء ومقدمها ، وبه كانت

1. أخرجه البخارى فى كتاب التوحيد برقم (7423) 415/13.

2. ملخصة من كتاب عقلة المستوفز لابن عربى طبعة عالم الفكر 40 : 47 ، وانظر الفتوحات المكية 420/2 ، ومواقع النجوم 172 ، ورشح الزلال ص150 وانظر اصطلاحات الصوفية لابن عربى ص16 .

وقوله : { وَجَعَلْنَا مِنْ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ } [الأنبياء/30] من حيث هو حى لا من حيث هو جوهر .

(2- العرش المجيد : وهو العقل الأول ، والقلم الأعلى ، فهو أول ما أوجد اللَّه من العقول المدبرة ، وهو أول عالم التدوين والتسطير ، وهو الخازن الحفيظ ، العليم الأمين على اللطائف الإنسانية ، التى من أجلها وجد وهو القلم من حيث التدوين والتسطير وهو الروح من حيث التصرف وهو العرش المجيد من حيث الاستواء ، وهو الإمام المبين من حيث الإحصاء .

(3- العرش العظيم : وهو اللوح المحفوظ ، وهو النفس الناطقة الكلية السابقة ، فلما أوجد اللَّه سبحانه القلم الأعلى ، أوجد له فى المرتبة الثانية هذه النفس التى هى اللوح المحفوظ ، وهى من الملائكة الكرام ، وهو المشار إليه بكل شئ فى قوله تعالى : { وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِنْ كُل شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلا لكُل شَيْءٍ } [الأعراف/145] ، وهو اللوح المحفوظ وقال الله تعالى : { بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ } [البروج/21،22] ، فهو موضع تنزيل الكتب ، وهو أول كتاب سطر فيه الكون ، فأمر القلم أن يجرى على هذا اللوح بما قدره وقضاه مما كان من إيجاده ما فوق اللوح إلى أول موجود .

(4- العرش الرحمانى : الجامع للموجودات الأربعة ، وهى الطبيعة والهباء والجسم والفلك ، أوجد اللّه سبحانه الهباء ، فأول صورة قبل صورة الجسم هو الطول والعرض والعمق ، فظهرت فيه الطبيعة ، فكان طوله من العقل وعرضه من النفس ، وعمقه الخلاء إلى المركز ، فلهذا كانت فيه هذه الحقائق الثلاث ، فكان مثلثا ، وهو الجسم الكلى ، وأول شكل قبل هذا الجسم الشكل الكرى ، فكان الفلك فسماه العرش ، واستوى عليه سبحانه بالاسم الرحمن بالاستواء الذى يليق به ، الذى لا يعلمه إلا هو من غير تشبيه ولا تكييف .

(5- العرش الكريم : وهو الكرسى موضع القدمين ، وهو فى جوف العرش ، كحلقة ملقاة فى فلاة من الأرض ، وخلق بين هذين الفلكين عالم الهباء ، وعمر هذا الكرسى بالملائكة المدبرات ، وأسكنه ميكائيل ، وتدلت إليه القدمان ، فالكلمة واحدة فى العرش ، لأنه أول عالم التركيب ، وظهر لها فى الكرسى نسبتان ، لأنه الفلك الثانى ، فانقسمت به الكلمة ، فعبر عنها بالقدمين ، كما ينقسم الكلام ، وإن كان واحدا إلى أمر ونهى ، وخبر واستخبار ، ويقول الجيلى :

(عرش الرحمن هو الربوبية النافذة فى حق الوجود المطلق ، بأحدية الوجود السارى فيه ، فيتجلى فيها جمالا وجلالا ، بالبسط والقبض والعطاء والمنع ، والإيجاد والإعدام ، يتجلى اللّه تعالى على العبد فى هذا المنظر بتجلى يتمكن فيه العبد من العالم الكونى ، فيفعل ما يشاء كما يريد ، فحينئذ يستوى العبد أعنى روحه المقدسة على عرش الأسماء والصفات ، فيتصف بما

شاء من الصفات ، ويترك ما شاء مدخرا فى الذات ، أعنى يظهر أثر ما شاء ويخفى أثر ما شاء) [1] .

1. المناظر الإلهية ص248 ، والإنسان الكامل 6/2 .

والعرش الأكبر عند الصوفية أيضا ، هو قلب الإنسان الكامل [1] .

وقال القشيرى فى الاستواء الوارد فى قوله تعالى : { الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى } [طه/:5] : (استواء عرشه فى السماء معلوم ، وعرشـــه فى الأرض قلوب أهل التوحيد ، قال الله تعالى : { وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِـــذٍ ثَمَانِيَةٌ } [الحاقة/17] ، وعرش القلوب ، قال تعالى : { وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ } [الإسراء/70] ، أما عرش السماء فالرحمن عليه استوى ، وعـــرش القلوب الرحمن عليه استولى ، وعرش السماء قبلة دعاء الخلق ، وعرش القلب محل نظر الحق ، فشتان بين عرش وعرش) [2] .

****

54ـ العمد المعنوية

****

- **العمد المعنوية** : العمد جمع عمود ، والعمود خشب أو غير تعتمد عليـــه الخيمة ، يقال : عمدت الشئ ، إذا أسندته ، وعمدت الحائط مثله ، وكذلك ما يأخذه الإنسان بيده معتمدا عليه من حديد أو خشب ، يقال له :

عمود [3] ، وقد ورد لفظ العماد ، والعمد فى القرآن على المعنى الظاهر

---

1. كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ص981 .
2. لطائف الإشارات 446/2 ، وانظر تفسير القرآن لابن عربى 32/2 وقارن .
3. المفردات ص346 ، ولسان العرب 302/3 .

المحسوس ، فقال تعالى : { إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ } [الفجر/7] أى العماد الذى كانوا يعتمدونه فى مساكنهم ، وقال : { اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ } [الرعد/2] وفى السنة من حديث عبد اللَّه بن عمر τ ، قال : " كان المسجد على عهد رسول اللَّه ε مبنيا باللبن وسقفه الجريد وعمده خشب النخل ، فلم يزد فيه أبو بكر شيئا ، وزاد فيه عمر وبناه على بنيانه في عهد رسول اللَّه ε باللبن والجريد ، وأعاد عمده خشبا ثم غيره عثمان ، فزاد فيه زيادة كثيرة ، وبنى جداره بالحجارة المنقوشة والقصة ، وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه بالساج " [1] .

كما ورد فى السنة على معنى العمد المعنوية ، فى قوله ε لمعاذ بن جبل رضى الله عنه : " ألا أخبرك برأس الأمر كله وعموده ، وذروة سنامه ، قال رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد " [2] .

العمد فى الاصطلاح الصوفى :

والعمد المعنوية فى اصطلاح الصوفية ، تعنى روح العالم وقلبه ونفسه وهى حقيقة الإنسان الكامل الذى لا يعرفه إلا اللَّه ، واستدل الكاشانى لهذا

الاصطلاح بحديث ينسبه إلى رسول اللَّه ε عن رب العزة : " أوليائى تحـــت

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب الصلاة برقم (446) 1/ 643.
2. أخرجه الترمذى فى كتاب الإيمان برقم (2616) وقال الشيخ الألبانى : حـــديث صحيح 11/5 .

قبابى لا يعرفهم غيرى " [1] ، ثم قال : (وهى المشار إليها فى قول الله تعالى : { رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا } [الرعد/2] ، فالإشارة إلى أنه رفعها بعمد لكن لا يرونها ، وهو روح العالم وروح العالم لا يرى) [2] .

وقال محى الدين بن عربى : (واختار الحق الرسل من الأنبياء واصـــطفى واحدا منهم ، هو المهيمن على جميع الخلائق جعله عمدا أقـــام عليـــه قبـــة الوجود ، وهو محمد رسول اللَّه ε) [3] .

****

55ـ الغـــــــراب

****

- **الغراب** : الغرب أقصى ما تنتهى إليه الشمس ، والغراب طائر معـــروف سمى بذلك لسواده ، وكونه مبعدا فى الذهاب [4] وورد ذكـــره فى قـــول الله تعالى : { فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْـــفَ يُـــوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ } [المائدة/31] وقوله تعالى : { قَالَ يَاوَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ

هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنْ النَّادِمِينَ } [المائدة/31] ، وقوله

1. التعريفات ص295 ، الحديث لا أصل له فى كتب السنة .
2. لطائف الإعلام 162/2 واصطلاحات الصوفية للكاشانى ص150 .
3. الفتوحات 74/2 ، الفصوص 38/1 .
4. المفردات ص359 ، لسان العرب 637/1 .

سبحانه : { وَمِنْ الْجِبَال جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُود } [فاطر/27] ، جمع غرابيب ، وهو المشبه للغراب فى السواد ، كقولك أسود كحلك الغراب [1] ، ومن حديث حفصة رضي الله عنها ، قال رسول اللَّه ε : " خمس من الدواب لا حرج على من قتلهن الغراب والحدأة والفأرة والعقرب والكلب العقور " [2] ، وقال ابن عمر τ : " من يأكل الغراب وقد سماه رسول اللَّه ε فاسقا ، واللَّه ما هو من الطيبات " [3] .

- **الغراب فى الاصطلاح الصوفى :**

والغراب فى عرف الصوفية ، وضعوه على معنى الجسم الكلى لأنه يجمع بين البعد والسواد كالغراب ، قال ابن عربى : (فقام الغراب ، وقال : أنا هيكل الأنوار ، ومحل الكيف والكم ، وأنا الرئيس المرؤس ، ولى الحس والمحسوس ، بى ظهرت الرسوم ، أنا أصل الأشكال وبمراتب صورى تضرب الامثال ، أنا صورة الفلك ومحل الملك ، على صح الاستواء ، وعنى كنى بالمستوى ، وأنا اللاحق الذى لا ألحق كما العقاب ، والسابق الذى لا يسبق

هو الأول وأنا الآخر ، وله الباطن ولى الظاهر ، قسم الوجود بـــينى وبينـــه

1. تفسير القرطبى 342/14 ، السابق ص359 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب الحج برقم (1828) 4/.42
3. أخرجه ابن ماجة فى كتاب الصيد برقم (3248) وقال الشيخ الألبانى رحمه الله : صحيح 1082/2 .

وأنا أظهرت عزه وكونه) [1] .

ويذكر الكاشانى أن الغراب فى عرف الصوفية ، كناية عن الجسم الكلى لكونه فى غاية البعد عن عالم القدس والحضرة الأحدية ، ولخلوه عن الإدراك والنورية ، والغراب مثل فى البعد والسواد [2] .

يقول : (الغراب الجسم الكلى ، وهو أول صورة الجوهر الهبائى ، وبه عم الخلاء ، وهو امتداد متوهم من غير جسم ، وحيث قبل الجسم الكلى من الأشكال الاستدارة ، علم أن الخلاء مستدير ، ولما كان هذا الجسم ، أصل الصور الجسمية الغالب عليها غسق الإمكان وسواده ، فكان فى غاية البعـــد من عالم القدس وحضرة الأحدية ، سمى بالغراب الذى هو مثـــل فى البعـــد والسواد) [3] .

****

56ـ الفتـــــح

****

- **الفتح** : الفتح إزالة الإغلاق والإشكال ، وذلك ضربان :

أحدهما : يدرك بالبصر كفتح الباب ونحوه ، وكفتح القفل ، والغلـــق

---

1. رسالة الاتحاد الكونى ق146ب ، وانظر اصطلاحات الصوفية لابن عربى ص12 .
2. اصطلاحات الصوفية للكاشانى ص185 .
3. رشح الزلال ص128Υ129 .

والمتاع نحو قوله تعالى : { وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ } [يوسف/65] ، وقولــه : { وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنْ السَّمَاءِ } [الحجر/14] .

وعن أبى ذر τ ، أن رسول اللَّه ε قال : " فلما جئت إلى السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء : افتح ، قال من هذا ؟ ، قال : هذا جبريل قال : هل معك أحد ؟ قال : نعم ، معي محمد ε " (1) .

والثانى : يدرك بالبصيرة ، كفتح الهم وهو إزالة الغم والفقر بإعطاء المال ونحوه ، كقوله تعالى : { فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُــل شَيْءٍ } [الأنعام/44] أى وسعنا ، وقال : { وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَــوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنْ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ } [الأعراف/96] ، أى أقبلت عليهم الخيرات ، وقيل لوهب بن منبه : أليس لا إله إلا اللَّه مفتاح الجنة ؟ قـــال : بلى ، ولكن ليس مفتاح ، إلا له أسنان ، فإن جئت بمفتاح له أسنان ، فتح لك وإلا لم يفتح لك (2) .

ومن حديث أم سلمة رضي الله عنهاقالت : " استيقظ النبي ε ذات ليلـــة فقال : سبحان اللَّه ، ماذا أنزل الليلة من الفتن ؟ وماذا فتح من الخـــزائن ؟

1. معجم مقاييس اللغة مادة (فتح) ، والمفردات ص370 والحديث صحيح ، أخرجه البخارى فى كتاب الصلاة برقم (349) 547./1

2. أخرجه البخارى فى كتاب الجنائز ، باب ما جاء في الجنائز ومن كان آخر كلامه لا إله إلا اللَّه ، فتح البارى 109/3.

أيقظوا صواحبات الحجر ، فرب كاسية في الدنيا ، عارية في الآخرة " [1] .

وفاتحة كل شئ مبدؤه الذى يفتح به ما بعده ، وبه سمى فاتحة الكتـــاب وقيل : افتتح فلان كذا إذا ابتدأ به وفتح عليه كذا ، إذا أعلمه ووقفه عليه قال تعالى : { قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْـــدَ رَبِّكُمْ أَفَلا تَعْقِلُونَ } [البقرة/76] وفتح القضية فتاحا فصل الأمر فيهـــا وأزال الإغلاق عنها ، قال تعالى : { رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ } [الأعراف/89] [2] .

والفتح ورد فى القرآن على معنى اصطلاحى ، يدل على واحد من أمرين :

1- صلح الحديبية : لما روى عن أنس ابن مالك رضي اللَّه عنه فى قولـــه تعالى : { إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا } [الفتح/1] قال الحديبية) [3] .

2- فتح مكة : وقد ورد عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما ، فى قـــول الله تعالى : { إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ } [النصر/1] أنه قال : الفتح ، فتح مكة فذاك علامة أجلك { وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً

---

1. المفردات فى غريب القرآن ص370 والحديث صحيح ، أخرجه البخارى فى كتاب العلم برقم (115) 1/ .293

2. السابق ص370 .

2. أخرجه البخارى فى كتاب المغازى برقم (4172) 516/6 وانظر أيضا فـــتح القدير 223/5 .

فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا } [النصـــر/3:2] ، قال عمر بـــن الخطاب τ : ما أعلم منها إلا ما تعلم) [1] .

- **الفتح فى الاصطلاح الصوفى :**

والفتح فى عرف الصوفية ، هو ما يفتح على العبد من ربه تعالى ، بعد ما كان مغلقا ، قال الله تعالى : { إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا } [الفتح/1] ، والفتح عندهم على ثلاثة أنواع [2] :

1- الفتح القريب : وهو المشار إليه بقوله تعالى : { فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِــكَ فَتْحًا قَرِيبًا } [الفتح/27] ، وهو فتح باب القلب بالترقى عن مقام النفس وذلك بالمكاشفات الغيبية ، والأنوار اليقينية ، وعندهم أن النبى ε قـــد شارك فى ذلك أكثر المؤمنين ، كما أشار إليه بقوله تعالى : { وَأُخْـــرَى

تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ } [الصف/13] ، وقوله : { فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا } [الفتح/18] ويلزمه البشارة بالأنوار الملكوتية ، والتجليات الصفاتية ، كما قال : { وَبَشِّرْ الْمُؤْمِنِينَ } وحصول المعارف اليقينية ، وكشوف الحقائق القدسية ، المشار إليها بقوله : { وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا } [الفتح/19] .

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب المغازى برقم (4294) 6/ 613.
2. ملخصة من تفسير القرآن الكريم لابن عربى 2/505 ،506 ، وانظر اصطلاحات الصوفية للكاشانى ص152 ، لطائف الإعلام 2/ 200 ، 202 .

2 – الفتح المبين : بظهور أنوار الروح ، وترقى القلب إلى مقامه ، وحينئذ تترقى النفس إلى مقام القلب ، فتستتر صفاتها اللازمة إياها ، السابقة على فتح القلب من الهيئات المظلمة بالأنوار القلبية ، وتنتفى بالكلية وذلك معنى قوله تعالى : { لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ } [الفتح/2] ، وكذا الحادثة المتأخرة عنه من الهيئات النورانية المكتسبة بالتنور بالأنوار القلبية التى تظهر بها فى التلوينات ، وتخفى حالها ، وهى الذنوب المشار إليها بقوله : { وَمَا تَأَخَّرَ } ولا تنتفى هذه بالفتح القريب وإن انتفت الأولى به ، لأن مقام القلب لا يتم ولا يكمل ، إلا بعد الترقى إلى مقام الروح ، واستيلاء أنواره على القلب ، فيظهر تلوين القلب حينئذ ، وينتفى تلوين النفس ، الذى كان فى مقام القلب بالكلية

وتنقطع مادته ، ويحصل فى هذا الفتح ، مغانم المشاهدات الروحية والمسامرات السرية .

3- الفتح المطلق : المشار إليه بقوله : { إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ } [النصر/1] وهو فتح باب الوحدة بالفناء المطلق والاستغراق فى عين الجمع بالشهود الذاتى ، وظهور النور الأحدى ، فهذا الفتح المذكور ههنا هو المتوسط ويترتب عليه أمور أربعة : المغفرة المذكورة ، وإتمام النعمة الصفاتية والمشاهدات الجمالية ، والجلالية بكمال مقام القلب ، والهداية إلى طريق الوحدة الذاتية بالسلوك فى الصفات ، وانخراق حجبها النورية وانكشاف غيومها الرقيقة حتى الوصول إلى فناء الآنية ، والنصرة العزيزة بالوجود الموهوب ، والتأييد الحقانى الموروث بعد الفناء .

****

57- الفراق

****

- **الفراق** : ورد لفظ الفراق فى آيتين من الكتاب ، الأولى فى قوله : { قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ } [الكهف/78] ، والثانى فى قوله تعالى : { كَلا إِذَا بَلَغَتْ التَّرَاقِي وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ } [القيامة/28:26] ، ويعنى فى الأولى ، إنهاء صحبة التعليم بين موسى والخضر عليهما السلام ، ويعنى فى الثانية يقين المحتضر بالموت (1) .

وفى السنة من حديث أنس بن مالك τ ، قال صلى الله عليـه وسـلم فى موت ولده إبراهيم : " إن العين تدمع ، والقلب يحزن ، ولا نقـول إلا مـا يرضى ربنا ، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون " [2] .

الفراق فى الاصطلاح الصوفى :

والفراق فى الاصطلاح الصوفي يعنى عدة معان :

1- الفراق : مقام الغيبة حيث يكون محجوبا عن الوحدة [3] .

---

1. فتح القدير 341/3 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب الجنائز برقم (1303) 206/3 .
3. كشاف التهانوى ص1130 .

2- الفراق : هو أن يفترق العاشق عن المعشوق لمحة ، وفراق لمحة تساوى عندهم فراق مائة سنة [1] .

3- الفراق : يطلق على مقام الوحدة ، أى خروج السالك من الـوطن الأصلى الذى هو عالم البطون إلى عالم الظهور ، فهذا هو فراقه ، والعودة من عالم الظهور إلى عالم البطون هو وصاله ، وهذا الوصال لا يحصـل إلا مـن الموت الصورى [2] .

****

58- الفـــــرق

****

- **الفرق** : الفرق يقارب الفلق لكن الفلق يقال اعتبارا بالانشقاق ، والفرق يقال اعتبارا بالانفصال ، قال تعالى : { وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ } [البقرة/50] والفِرق القطعة المنفصلة ، ومنه الفرقة للجماعة المتفردة من الناس ، وقيل : فرق الصبح وفلق الصبح ، قال تعالى : { فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ } [الشعراء/63] ، والفريق : الجماعة المتفرقة عن آخرين ، كقول الله تعالى : { وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ } [آل عمران/78] ، وقوله سبحانه : { فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ } [البقرة/87] (3) .

---

1. السابق ص1130 .
2. السابق ص1130 .
3. كتاب العين 147/5 ، والمفردات ص377 ، 378 .

ويقال : فرقت بين الشيئين فصلت بينهما ، سواء كان ذلك بفصل يدركه البصر ، أو بفصل تدركه البصيرة ، قال تعالى : { فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ } [المائدة/25] ، وقوله : { فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا } [المرسلات/4] يعنى الملائكة الذين يفصلون بين الأشياء حسبما أمرهم اللَّه وعلى هذا قوله تعالى : { فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ } [الدخان/4] ، وقيل لعمر بن الخطاب τالفاروق ، لكونه فارقا بين الحق والباطل ، وقوله :

{ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ } [الإسراء/106] أى بينا فيه الأحكام وفصلناه ، وقيل : فرقناه أى أنزلناه مفرقا ، والتفريق أصله التكثير ، ويقال ذلك أيضا فى

تشتيت الشمل وتفريق الكلمة ، نحو قوله تعالى : { فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ } [البقرة/102] وقوله سبحانه : { لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ } [البقرة/285] [1] .

- الفرق فى الاصطلاح الصوفى :

والفرق فى الاصطلاح الصوفي يقابل الجمع [2] ، قال القشيرى : (الفرق ما يكون كسبا للعبد من إقامة العبودية ، وما يليق بأحوال البشرية .. فمن أشهده الحق أفعاله عن طاعاته ومخالفاته ، فهو عبد بوصف التفرقة .. وإثبات الخلق من باب التفرقة لقوله : { إِيَّاكَ نَعْبُدُ } ، وإذا ما خاطب العبد الحق

1. السابق ص378 .
2. انظر مصطلح الجمع .

سبحانه بلسان نجواه ، إما سائلا أو داعيا أو مثنيا أو شاكرا أو متنصلا أو مبتهلا ، فهو فى محل التفرقة) [1] ، وفى تعريف الفرق فى الاصطلاح الصوفي يبين الكاشانى عدة معان [2] :

1- الفرق : إشارة إلى رؤية خلق بلا حق ، وتارة يطلق ويراد به مشاهدة العبودية .

2- الفرق الأول : و يعنى به بقاء العبد بأحكام خلقيته ، وهو البقاء الذى يكون قبيل الفناء ، كما يعنى بالفرق بقاء العبد بربه ، عندما يفنى عن نفسه .

3- الفرق الثانى : وهو جمع الجمع ، بمعنى رؤية الكثرة فى الوحدة والوحدة فى الكثرة ، ويسمى بالفرق الثانى ، لكون الفرق الأول عبارة عن رؤية خلق بلا حق ، وهو حال من انحجب برؤية الكثرة عن رؤية الواحد المقيم لجميعها .

4- فرق الجمع : وهو تكثر الواحد بظهوره فى المراتب التى هى سبب تنوعات ظهور الواحد .

---

1. الرسالة القشيرية 222/1 ،223 .

2. لطائف الإعلام 205/2، 206 .

****

59ـ الفرقــــان

****

- **الفرقان** : اسم من أسماء القرآن ، ورد ذكره فى قوله تعالى : { تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا } [الفرقان/1] ، وقوله سبحانه : { شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنْ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ } [البقرة/185] .

والفرقان كلام اللّه تعالى ، لفرقه بين الحق والباطل فى الاعتقاد والصدق والكذب فى المقال ، والصالح والطالح فى الأعمال [1] ، قال الإمام البخارى : " سمي الفرقان ، لأنه يفرق بين الحق والباطل " [2] ، وقال صلى الله عليه وسلم فى دعائه : " ربنا ورب كل شيء ، فالق الحب والنوى ، ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان " [3] .

- **الفرقان فى الاصطلاح الصوفى :**

والفرقان عند الصوفية ، هو العلم التفصيلى الفارق بين الحق والباطل ويقابله عندهم القرآن ، فالقرآن هو العلم اللدنى الإجمالى ، الجامع للحقائق

1. المفردات ص378 ، وانظر مادة (فرق) فى الاصطلاح السابق .
2. صحيح البخارى ، كتاب التفسير 1770/4 .
3. أخرجه مسلم فى كتاب الذكر برقم (2713) 2084/4 .

كلها [1] ، قال محى الدين بن عربى : قال فى التنزيل بلسان نوح : { قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلا وَنَهَارًا فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلا فِرَارًا } [نوح/6] ، وعلم العلماء أنهم إنما لم يجيبوا دعوته لما فيها من الفرقان ، والأمر قرآن ، لا فرقان ومن أقيم فى القرآن لا يصغى إلى الفرقان ، وإن كان فيه ، فإن القرآن يتضمن الفرقان ، والفرقان لا يتضمن القرآن ، ولهذا ما اختص بالقرآن إلا محمد ε ، لأنه أوتى جوامع الكلم ، فما دعا محمد قومه ليلا ونهارا ، بل دعاهم ليلا فى نهار ونهارا فى ليل) [2] .

ويقول أيضا : " فإن اللَّه يقول : { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ } [المائدة/3] هذا هو الفرقان عند أهل اللَّه بين الأمرين ، فإنهم قد يرونه ε فى كشفهم فيصحح لهم من الإخبار ، ما ضعف عندهم بالنقل ، وقد ينفون من الأخبار ما ثبت عندنا بالنقل " [3] .

ويذكر الجيلى أن الفرقان ، عبارة عن حقيقة الأسماء والصفات على اختلاف تنوعاتها ، فباعتباراتها تتميز كل صفة واسم عن غيرها ، فحصل الفرق فى نفس الحق من حيث أسماؤه الحسنى وصفاته ، فإن اسمه الرحيم غير اسمه الشديد ، واسمه المنعم غير اسمه المنتقم ، وصفة الرضا غير صفة الغضب

---

1. معجم اصطلاحات الصوفية للكاشانى ص153 .
2. فصوص الحكم 71:70/1 .
3. الفتوحات المكية 28/4 .

فكما أن الفرق حاصل فى الأفعال ، فكذلك فى الصفات ، وكذلك فى نفس واحدية الذات ، التى لا فرق فيها ، لكن من غرائب شئؤون ، جمع الذات النقيضين من المحال والواجب [1] .

****

60 ـ قاب قوسين

****

- **قاب قوسين** : القاب ما بين المقبض والسية من القوس [2] ، وقاب قوسين مقدار المسافة بين جبريل والنبى ε ، عندما رآه على صورته الحقيقية ، له ستمائة جناح ، قد سد الأفق ، ثم اقترب منه وكلمه بالوحى ، قال عبد اللَّه بن مسعود τ : " إن محمدا لم ير جبريل في صورته إلا مرتين ، أما مرة فإنه سأله أن يريه نفسه في صورته ، فأراه صورته فسد الأفق ، وأما الأخرى فإنه صعد معه ، حين صعد به قال تعالى : { ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى } [النجم/8:10] " [3] .

وقال مجاهد : { قَابَ قَوْسَيْنِ } حيث الوتر من القوس [4] ، وقال مسروق

---

1. الإنسان الكامل 75/1 .
2. لسان العرب 693/1 ، المفردات ص414 .
3. رواه البخارى فى كتاب بدء الخلف برقم (3232) (3233) 360/6 ، ومسلم فى كتاب الإيمان برقم (174) 158/1.
4. البخارى فى كتاب التفسير 469/8 .

قلت لعائشة : فأين قوله : { ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى } ؟ ، قالت : إنما ذاك جبريل ε ، كان يأتيه في صورة الرجال ، وإنه أتاه في هذه المرة في صورته التي هي صورته ، فسد أفق السماء " [1] .

- **قاب قوسين فى الاصطلاح الصوفى :**

والصوفية يشيرون بقاب قوسين إلى مقام قرب قوسى الوحدة والكثرة ، أو قوس الوجوب والإمكان ، أو قوس الفاعلية والقابلية ، بحيث يجمع بين الوجوب والإمكان ، والوحدة والكثرة ، والفاعلية والقابلية ، فيجعل الجميع دائرة متصلة ، لكن مع أثر خفى من التميز والتكثر بينهما ، ثم أن باطن هذا المقام هو مقام { أَوْ أَدْنَى } ، أى أقرب من القوسين المذكورين ، وذلك الباطن ، هو التعين الأول ، لأنه لا يبقى عنده أثر التميز والتكثر فى دائرة الجمعية ، بين حكم الأحدية والواحدية [2] .

ويذكر الكاشانى فى قوله تعالى : { فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى } : فكان قاب قوسين ، أى كان ع مقدار دائرة الوجود الشاملة للكل ، المنقسمة بخط موهوم إلى قوسين ، باعتبار الحق الخلق والاعتبار هو الخط الموهوم القاسم للدائرة إلى نصفين ، فاعتبار البداية

---

1. أخرجه مسلم فى كتاب الأيمان برقم (177) 159/1.
2. لطائف الإعلام 225/2 ، ومعجم اصطلاحات الصوفية للكاشانى ص159 .

والتدانى ، يكون الخلق هو القوس الأول ، الحاجب للهوية فى أعيان المخلوقات وصورها ، والحق هو النصف الأخير ، الذى يقرب منه شيئا فشيئا وينمحى ويفنى فيه ، وباعتبار النهاية والتدلى ، فالحق هو القوس الأول الثابت على حاله أزلا وأبدا ، والخلق هو القوس الأخير ، الذى يحدث بعد الفناء بالوجود الجديد ، الذى وهب له ، أو أدنى من مقدار القوسين بارتفاع

الإثنينية الفاصلة ، الموهمة باتصال أحد القوسين بالآخر ، وتحقق الوحدة الحقيقية فى عين الكثرة ، بحيث تضمحل الكثرة فيها ، وتبقى الدائرة غير منقسمة بالحقيقة ، أحدية الذات والصفات [1] .

****

61ـ القــــدم

****

- **القدم** : القدم قدم الرجل وجمعه أقدام ، قال الله تعالى : { وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ } [الأنفال/11] ، وعن أنس τ قال : " كان النبي ε ، ضخم اليدين والقدمين ، حسن الوجه ، لم أر بعده ولا قبله مثله) [2] .

والقدم اعتبر به التقدم والتأخر ، قال تعالى : { وَبَشِّرْ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ

---

1. تفسير القرآن الكريم منسوب لابن عربى 2/ 455 ، 456 .
2. المفردات ص397 ومعجم مقاييس اللغة مادة (قدم) والحديث صحيح ، أخرجه البخارى فى كتاب اللباس برقم (5907) 369/10.

قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ } [يونس/2] ، وعن عمرو بن ميمون رضى اللَّه عنه قال فى شأن عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه : (وولج عليه شاب من الأنصار فقال : أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى اللَّه ، كان لك من القدم في الإسلام ما قد علمت ، ثم استخلفت فعدلت) [1] .

والقدم وصف من أوصاف ذات اللَّه عز وجل ، معلوم المعنى من حيث إثبات وجودها ، ومجهول الكيف ، لأننا ما رأيناها ، وما رأينا لها مثيلا لقوله تعالى : { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ } [الشورى/11] ، ولما ثبت عن أنس بن مالك τ ، عن النبي ε قال : " لا يزال يلقى في النار وتقول : هل من مزيد ؟ ، حتى يضع فيها رب العالمين قدمه ، فيتزوي بعضها إلى بعض " [2] .

القدم فى الاصطلاح الصوفى :

والقدم فى العرف الصوفى ، يعنى السابقة التى حكم الحق بها للعبد أزلا ويخص بما يكمل ويتم به الاستعداد من الموهبة الأخيرة بالنسبة إلى العبد لقوله عليه السلام : " لا يزال جهنم تقول : هل من مزيد ؟ ، حتى يضع الجبار فيها قدمه ، فتقول : قط قط " وإنما يكنى عنها بالقدم ، لأن القدم

1. لسان العرب 465/12 ، السابق ص397 والحديث صحيح ، أخرجه البخارى فى كتاب الجنائز برقم (1392) 301/3.
2. أخرجه البخارى فى كتاب التوحيد برقم (7384) 345/13.

آخر شئ من الصورة ، وهى آخر ما يقرب به الحق إلى العبد من اسمه الذى اتصل به وتحقق وكمل [1] .

****

62ـ القـــــرآن

****

- **القرآن** : القرآن فى الأصل ، مصدر نحو كفران ورجحان ، قـال الله تعالى : { إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ } [القيامة/18:17] .

قال ابن عباس τ : " إذا جمعناه وأثبتناه فى صدرك فاعمل به ، وقد خص بالكتاب المترل على محمد ε ، فصار له كالعلم ، كما أن التوراة أنزل على موسى والإنجيل على عيسى ε [2] .

وقد عرف القرآن بأنه كلام اللّه المترل على الرسول المكتوب فى المصاحف المنقول عنه نقلا متواترا بلا شبهة ، قال تعالى : { لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الأمْثَالُ نَضْرِبُهَا للنَّـاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } [الحشر/21] [3] .

وعن أبي هريرة τ ، قال : " كان جبريل يعرض على النبي ε القرآن كـل

1. معجم اصطلاحات الصوفية للكاشانى ص160 ،161 .
2. المفردات ص 402 ، ولسان العرب 128./1
3. الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى 50/1 ، وأبجد العلوم للقنوجى 429/2 .

عام مرة فعرض عليه مرتين في العام الذي قبض فيه " [1] .

- **القرآن فى الاصطلاح الصوفى :**

والقرآن عند صوفية الوحدة يقابل الفرقان [2] ، وهو عبارة عن الـــذات التى يضمحل فيها جميع الصفات ، فهى المجلى المسماه بالأحدية ، أنزلها الحق تعالى على نبيه محمد ε ، ليكون مشهد الأحدية من الأكوان [3] .

وأما القرآن الحكيم ، فهو تنزل الحقائق الإلهية بعروج العبد إلى التحقق بها فى الذات شيئا فشيئا ، على مقتضى الحكمة الإلهية التى يترتب عليها الذات فلا سبيل إلى غير ذلك ، لأنه لا يجوز من حيث الإمكان أن يتحقـــق أحـــد بجميع الحقائق الإلهية بجهده من أول إيجاده ، لكن من كانت فطرته مجبولـــة على الألوهة ، فإنه يترقى فيها ويتحقق منها ، بما ينكشف له من ذلك شيئا بعد شئ مرتبا ترتيبا إلهيا ، وقد أشار الحق إلى ذلك بقوله تعالى : { وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلا } [الفرقان/32] ، وهذا الحكم لا ينقطع ولا ينقضى بل لا يزال العبد فى ترف ، وهكذا لا يزال العبد فى تجل ، إذ لا سبيل إلى استيفاء ما لا يتنـــاهى لأن الحق فى نفسه لا يتناهى [4].

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب فضائل القرآن (4998) 660./8
2. انظر مصطلح الفرقان .
3. الإنسان الكامل 114/3 وانظر لطائف الإعلام 229/2 .
4. كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ص1163 .

وأما القرآن العظيم الذى ورد فى قوله تعالى : { وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِـــنْ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ } [الحجر/87] ، فإنه لا يعنى ما يتبادر إلى الذهن من

وصف القرآن بالعظمة ، ولكن الصوفية يعنون به الجملة الذاتية ، لا باعتبار النزول ولا باعتبار المكانة ، بل مطلق الأحدية الذاتية التى هى مطلق الهوية الجامعة لجميع المراتب والصفات ، والشئون والاعتبارات [1] .

يقول الكاشانى : (ولقد آتيناك سبعا ، أى الصفات السبع التى ثبتت لله تعالى ، وهى الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والتكلم ، من المثاني التى كرر وثنى ثبوتها لك ، أولا فى مقام وجود القلب عند تخلقك بأخلاقه ، واتصافك بأوصافه فكانت لك ، وثانيا فى مقام البقاء بالوجود الحقانى بعد الفناء فى التوحيد ، والقرآن العظيم ، أى الذات الجامعة لجميع الصفات ، وإنما كانت لمحمد ε سبعا ، ولموسى تسعا لأنه ما أوتى القرآن العظيم ، بل كان مقامه التكليم ، أى مقام كشف الصفات ، دون كشف الذات ، فله هذه السبع ، مع القلب والروح) [2] .

قال ابن عربى : (فمن أراد أن يرى رسول اللَّه ε ، ممن لم يدركه من أمته ، فلينظر إلى القرآن ، فإذا نظر فيه فلا فرق بين النظر إليه ، وبين النظر إلى رسول اللَّه ε ، فكأن القرآن انتشأ صورة جسدية ، يقال لها محمد ابن عبد اللَّه بن عبد المطلب ، والقرآن كلام اللَّه وهو صفته ، فكان محمد صفة الحق) [3] .

---

1. السابق ص1164 . 2. تفسير القرآن الكريم للكاشانى 670/1.
3. الفتوحات المكية 61/4 .

****

63ـ القلـــم

****

- **القلم** : يطلق على معنيين :

1- القلم خص بما يكتب به ، كقوله تعالى : { ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْـــطُرُون َ } [القلم/1] وقوله : { وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ } [لقمان/27] (1) وعن عبادة بن الصامت τ ، أن رسول اللَّه ε قال : " إن أول ما خلق اللَّه القلم ، فقال له : اكتب ، فجرى بما هو كائن إلى الأبد " (2) .

2- القلم يطلق على القدح الذى يضرب به وجمعه أقـــلام ، وقـــد ورد فى القرآن على هذا قوله تعالى : { وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُـــمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ } [آل عمران/44] ، وقال ابن عباس : " اقترعوا فجرت الأقلام مع الجرية ، وعال قلم زكريا الجرية ، فكفلها زكرياء " (3) .

- **القلم فى الاصطلاح الصوفى :**

والقلم فى الاصطلاح الصوفى يعنى علم التفصيل ، يقول الكاشانى : (القلم

---

1. المفردات ص412 ، وانظر معجم مقاييس اللغة مادة (قلم) .
2. أخرجه الترمذى فى كتاب تفسير القرآن برقم (3319) وقال الشيخ الألبـــانى : صحيح 424/5.
3. البخارى فى كتاب الشهادات 954/2.

علم التفصيل ، فإن الحروف التى هى مظاهر تفصيله فى مداد الدواة ، ولا تقبل التفصيل مادمت فيها ، فإذا انتقل المداد منها إلى القلم ، تفصلت الحروف به فى اللوح ، وتفصيل القلم إلى لا غاية) [1] .

ويذكر الجيلى أن القلم الأعلى ، هو أول تعينات الحق فى المظاهر الخلقية على التمييز ، وهو نور مخلوق من حضرة اقتضاءات الأسماء والصفات بظهور مؤثراتها لظهور الأثرة ، وهو مشهد يتجلى اللّه تعالى على العبد بتجلى علمى ، فيه يحكم الولى على الموجودات بما تقتضيه صفات الحق تعالى فيهما من الاقتضاءات المختلفة ، وفى هذا المشهد يتعرف العبد بالعقل الأول على حقيقة ما ينبغى [2] .

****

64ـ القيامة

****

القيامة : والقيامة أصلها ما يكون من الإنسان ، من القيام دفعة واحدة وأدخل فيها الهاء ، تنبيها على وقوعها دفعة ، والقيامة فى عرف الشرع انبعاث بعد الموت إلى الحياة الأبدية ، حيث يقوم الخلق بين يدى الحى القيوم

1. اصطلاحات الصوفية لابن عربى ص14 وانظر رشح الزلال ص137 .
2. الإنسان الكامل 5/2 ، وانظر المناظر الإلهية ص250 .

للعرض والحساب والجزاء [1] .

والقيامة وردت فى القرآن والسنة ، فى جميع المواضع على هـذا المعنى كقوله تعالى : { لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ } [القيامة/1] وكقوله سبحانه : { وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ } [الزمر/60] ، وعن عائشة أم المؤمنين ، أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة ، رأينها بالحبشة فيها تصاوير ، فذكرتا للنبي ε ، فقال : " إن أولئك ، إذا كان فيهم الرجل الصالح ، فمات بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور ، فأولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة " [2] .

- **القيامة فى الاصطلاح الصوفى :**

القيامة فى الاصطلاح الصوفى ، وضعها الصوفية على معنيين باطنيين ذكرهما الكاشانى فقال :

1- الانبعاث بعد الموت الإرادى ، إلى الحياة القلبية الأبدية ، فى عالم القدس ، كما قيل : من مات بالإرادة يحيا بالطبيعة ، وهى القيامة الوسطى المشار إليها فى قوله تعالى : { أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا } [الأنعام/122] ويعنى أومن كان ميتا بالجهل ، وهو النفس باحتجابه بصفاها ، فأحييناه بالعلم

---

1. المفردات ص417 لسان العرب 496/12 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب الصلاة برقم (409) 607/1.

ومحبة الحق ، أو بكشف حجب صفاته ، بتجليات صفاتنا ، وجعلنا له نورا من هدايتنا وعلمنا ، أو نورا من صفاتنا ، أو نورا منا بقيوميتنا له بذاتنا على حسب مراتبه ، كمن صفته فى ظلمات من نفسه وصفاقما وأفعالها ليس بخارج منها [1] .

2- الانبعاث بعد الفناء فى اللَّه فى الحياة الحقيقية ، عند البقاء بالحق وهى القيامة الكبرى المشار إليها ، بقوله تعالى : { فَإِذَا جَاءَتْ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الإنسَانُ مَا سَعَى } [النازعـات/35:34] ، أى تجلى نور الوحدة الذاتية الذى يطم على كل شئ ، فيطمسه ويمحوه ، يومئذ يتذكر الإنسان ما سعى فى الأطوار ، من مبدأ فطرته إلى فنائه وسلوكه فى المقامات والدرجات ، حتى وصل إلى ما وصل فيشكره [2] .

أما القيامة على المعنى القرآنى ، فيطلقون عليها القيامة الصغرى ، وتعنى الانبعاث بعد الموت الطبيعى إلى حياة فى إحدى البرازخ العلوية أو السفلية بحسب حال الميت فى الحياة الدنيوية [3] .

---

1. معجم اصطلاحات الصوفية للكاشانى ص163 ، وانظر تفسير القرآن الكريم منسوب لابن عربى 400/1 .
2. السابق ص163 ، وانظر تفسير القرآن الكريم 765/2 .

3. السابق ص163 .

****

65ـ الكـــــأس

****

الكأس : الكأس هو الإناء بما فيه من الشراب ، وسمى كل واحد منـــهما بانفراده كأسا ، يقال : شربت كأسا طيبة ، يعنى بها الشراب ومنه ، قولـــه تعالى : { وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ } [الواقعة/18] وقوله : { وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلا } [الإنسان/17] وقوله : { إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا } [الإنسان/5] [1] ، وقال عكرمـــة : { وَكَأْسًـــا دِهَاقًـــا } [النبأ/34] ملأى متتابعة ، وقال ابن عباس τ : " سمعت أبي يقول في الجاهلية : اسقنا كأسا دهاقا " [2] .

وقال عثمان بن عفان τ : " اجتنبوا الخمر ، فإنها أم الخبائث ، إنه كان رجل ممن خلا قبلكم تعبد ، فعلقته امرأة غوية ، فأرسلت إليـــه جاريتـــها فقالت له : إنا ندعوك للشهادة ، فانطلق مع جاريتها ، فطفقت كلما دخل بابا أغلقته دونه ، حتى أفضى إلى امرأة وضيئة عندها غلام وباطيـــة خمـــر فقالت : إني والله ما دعوتك للشهادة ، ولكن دعوتك لتقع علي ، أو تشرب من هذه الخمرة كأسا ، أو تقتل هذا الغلام ، قال : فاسقيني من هذا الخمـــر

---

1. المفردات ص443 ،444 .

2. أخرجه البخارى فى كتاب المناقب برقم (3840) 183/7.

كأسا ، فسقته كأسا ، قال : زيدوني ، فلم يرم ، حتى وقع عليها ، وقتـــل النفس ، فاجتنبوا الخمر ، فإنها والله لا يجتمع الإيمان وإدمان الخمر ، إلا ليوشك أن يخرج أحدهما صاحبه " [1] .

- **الكاس فى الاصطلاح الصوفى :**

الصوفية تسمى حلاوة التقوى ، وجمال الكرامة ، ولذة الأنـــس شـــربا والشراب لا بد له من كأس ، أو وعاء يحويه ، والكأس الحاوى للشراب عند الصوفية هو المفيض الذى يدلى بالفيض من الكأس على الشارب [2] .

يقول التهانوى : الكأس فى اصطلاح الصوفية ، يريدون به وجه المحبـــوب وفى بعض المواضع يأتى بمعنى الفيض [3] .

ويقول الكاشانى : { وَكَأْسًا دِهَاقًا } كأسا من لذة محبة الآثار ممزوجـــة بالزنجبيل والكافور ، لأن أهل جنة الآثار والأفعال ، لا مطمح لهم إلى مـــا وراءها ، فهم محجوبون بالآثار عن المؤثر وبالعطاء عن المعطى [4] .

---

1. أخرجه النسائى فى كتاب الأشربة برقم (5666) وقال الشيخ الألبانى : صحيح موقوف 315/8 .
2. كشف المحجوب ص475 وانظر مصطلح الشرب .
3. كشاف التهانوى ص1252 .

4. تفسير القرآن الكريم لابن عربى 759/2 .

****

66ـ الكـــــتاب

****

الكتاب : الكتاب فى الأصل اسم للصحيفة مع المكتوب فيـــه [1] ، قـــال تعالى : { وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ } [الأنعام/7] وقال تعالى : { وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنْ الْكِتَابِ وَمَا هُـــوَ مِـــنْ الْكِتَابِ} [آل عمران/78] والكتاب يطلق فى القرآن والسنة ويراد به ما يلى :

1- الكتاب يعنى القرآن ، وقال معمر فى قوله تعالى : { ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ } [البقرة/2] هذا القرآن بيان ودلالـــة [2] ، وقـــال سبحانه وتعالى : { إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا } [النساء/105] .

2- الكتاب يعنى التوراة الإنجيل جمعا أو إفرادا ، ففى الجمع بينهما قـــال تعالى : [وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلا مِنْ بَعْدِ مَا جَـــاءَتْهُمْ الْبَيِّنَـــةُ } [البينة/ 4] وفى إفراد التوراة قال تعالى : { وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيه } [هود/110] وفى إفراد الإنجيل : { قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَـــانِي الْكِتَـــابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا } [مريم/30] .

---

1. لسان العرب 698/1 ، والمفردات ص423 .

2. أخرجه البخارى فى كتاب التوحيد ، باب قوله تعالى : { يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك .. } 512/13 .

3- الكتاب يعنى اللوح المحفوظ ، قال تعالى : { وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ } [الأنعام/38] وقال رسول اللَّه ε فى شأنه : "لما قضى اللَّه الخلق ، كتب في كتابه ، فهو عنده فوق العرش ، إن رحمتي غلبت غضبي " [1] .

4- الكتاب يطلق على ما يكتب بين العبد وسيده بحيث يدفع العبد ثمنا معينا لعتقه وحريته قال تعالى : { وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا } [النور/33] وصيغة الكتابة كما ذكرها النسائى :

(هذا كتاب كتبه فلان بن فلان في صحة منه ، وجواز أمر لفتاه الذي يسمى فلانا ، وهو يومئذ في ملكه ويده ، إني كاتبتك على كذا من المال فإن وفيت ، فأنت حر لك ما للأحرار ، وعليك ما عليهم ، فإن أخللت شيئا منه عن محله بطلت الكتابة ، وكنت رقيقا لا كتابة لك) [2] .

5- الكتاب يطلق على ما يكتبه الرقيب والعتيد من أعمال العبد قال تعالى : { وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ } [الكهف/49] قال ابن كثير : أى كتاب الأعمال الذى فيه الجليل والحقير والفتيل والقطمير والصغير والكبير [3] .

1. أخرجه البخارى فى كتاب بدء الخلق برقم (3194) 331/6 ومسلم فى كتاب التوبة برقم (2751) 2107/4.
2. أوردها النسائى فى الأيمان والنذور 119/3.
3. تفسير ابن كثير 87/3 .

- **الكتاب فى الاصطلاح الصوفى :**

والكتاب فى عرف الصوفية ، يطلق على الوجود المطلق ، الذى لا عدم فيه [1] ، وهو على عدة أنواع بحسب الإضافة :

1- الكتاب المبين : وهو عبارة عن لوح القدر المحفوظ ، الذى هو النفس الكلية أو العقل الكلى ، وهو عبارة عن العلم الإلهى ، قال تعالى : { وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ } [الأنعام/59] يفسر حضرة العلم هذه ، إذ إن الرطب عبارة عن الوجود ، واليابسة كناية عن العدم ، ولا يتصور الإحاطة بهاتين المرتبتين ، إلا فى هذه الحضرة [2] .

2- الكتاب المسطور : هو الوجود المطلق على تفاريعه وأقسامه واعتباراته الحقية والخلقية ، وهو مسطور أى موجود مشهود فى الملكوت [3] ، وقال ابن عربى : (اعلم أيدك اللَّه ، إن العالم كتاب مسطور فى رق منشور ، هو الوجود ، فهو ظاهر مبسوط غير مطوى ، ليعلم ببسطه إنه مخلوق للرحمة وبظهوره يعقل ويعلم ما فيه وما يدل عليه ، وجعله تعالى كتابا لضم حروفه بعضها إلى بعض) [4] .

---

1. كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ص1242 .
2. السابق ص1242 .

3. الإنسان الكامل 88/1 .

4. الفتوحات المكية 455/3 .

3- الكتاب الإلهى : هو العلم الإلهى ، يقول ابن عربى : (فلا حكم لخالق ولا مخلوق إلا بما سبق به الكتاب الإلهى ولذا قال : { وَمَا أَنَا بِظَلامٍ لِلْعَبِيدِ } [ق/29] فما نجرى عليهم إلا ما سبق به العلم ، ولا أحكم فيهم إلا بما سبق به ، فهذا موقف السواء الذى يوقف فيه ، وليس إلا العالم دليل على علمه بمن أنزله ، وليس إلا الرحمن الرحيم) [1] .

4- الكتاب الجامع : الكتاب الجامع ، هو آدم عليه السلام الذى جمع بذاته الحقائق المتفرقة فى العالم ، يقول ابن عربى : (فالعالم كله تفصيل آدم وآدم هو الكتاب الجامع ، فهو للعالم كالروح من الجسد ، فالإنسان روح العالم ، والعالم الجسد) [2] .

5- كتاب الوجود : هو الوجود نفسه ، فهو أشبه بالكتاب المنظور والكتاب عند ابن عربى عبارة من باب الإشارة عن المبدع الأول ، ولما كان الكتاب يتضمن الفاتحة وغيرها لأنها منه ، وصح لها اسم الفاتحة من حيث أنها أول ما افتتح بها الكتاب ، كذلك العالم أول ما افتتح به كتاب الوجود [3] .

6- الكتاب الكبير : الكتاب الكبير عند ابن عربى هو العالم ، بل الوجود بأسره { وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ } [الطور/3:2] يقول : (تلاه عليك

---

1. السابق 455/3 .

2. السابق 67/2 .

3. السابق 11/1 .

سبحانه وتعالى لتعقل عنه إن كنت عالما ، ولا يحجب عن ملاحظة المختصر الشريف من هذا المسطور الذى هو عبارة عنك ، فإن الحق تعالى تارة يتلــو عليك من الكتاب الكبير الخارج ، وتارة يتلو عليك من نفسك) [1] .

7-الكتاب المرقوم : يقول ابن عربى : (الوجود كتاب مرقــوم ، يشــهده المقربون ويجهله من ليس بمقرب وتتويج هذا الكتاب ، إنما يكون بمن جمــع الحقائق كلها وهى علامة موجدة ، فالإنسان الكامل الذى يدل بذاته مــن أول البديهة على ربه هو تاج الملك) [2] .

****

67ـ الكــرســي

****

- **الكرسى** : الكرسى يقال على أمرين :

1- اسم لما يقعد عليه ، ورد فى قوله تعالى : { وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ } [ص/34] ، وعن علي τ : " أنه أتي بكرسي فقعد عليه ثم دعا بتور فيه ماء " [3] .

وفى حديث أبى رفاعة τ ، قال : " انتهيت إلى النبي ε ، وهــو يخطــب

---

1. مواقع النجوم ص72

2. الفتوحات المكية 104/2 .

3. صحيح ، أخرجه النسائى فى الطهارة (93) 68/1 ، وانظر المفردات ص428 .

فقلت : يا رسول اللَّه رجل غريب ، جاء يسأل عن دينه لا يدري ما دينه ؟ قال : فأقبل علي رسول اللَّه ε وترك خطبته ، حتى انتهى إلي فأتي بكرسي حسبت قوائمه حديدا ، فقعد عليه رسول اللَّه ε ، وجعل يعلمني مما علمه اللَّه ، ثم أتى خطبته فأتم آخرها " [1] .

2- الكرسى اسم لموضع القدمين ، يكون بين يدى العرش ، ذكر فى قوله تعالى : { وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ } [البقرة/255] وفسره النبى ε فقال فيما رواه عبد الله بن عباس τ : " كرسيه موضع قدميه ، والعرش لا يقدر قدره إلا اللَّه عز وجل " [2] .

وقوله ε عن أبى ذر τ : " ما الكرسى فى العرش ، إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهرى فلاة من الأرض " [3] ، والكرسى مخلوق من مخلوقات اللَّه ، غيبى لا نعلم كيفيته ، لم نره ولم نر له نظيرا ، كما قال الله عز وجل : { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ } [الشورى/11] .

---

1. أخرجه مسلم فى كتاب الجمعة برقم (876) 597./2.

2. رواه الحاكم فى المستدرك 282/2 وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وقال الشيخ الألبانى : صحيح موقوفا أما المرفوع فهو ضعيف ، انظر شرح العقيدة الطحاوية ص352 .

3. حديث صحيح رواه ابن أبى شيبة فى كتاب العرش برقم (58) الكويت ، والذهبى فى العلو (150) مختصر الألبانى والبيهقى فى الأسماء والصفات ص510 من حديث أبى ذر ، وصححه الألبانى فى الصحيحة برقم (109) ومختصر العلو ص130 .

- **الكرسى فى الاصطلاح الصوفى :**

والكرسى فى عرف الصوفية ، هو موضع الأمر والنهى ، لأنه عمر بالملائكة المدبرات وأسكنه ميكائيل ، وتدلت إليه القدمان فالكلمة واحدة فى العرش ، لأنه أول عالم التركيب ، وظهر لها فى الكرسى نسبتان ، لأنه الفلك الثانى ، فانقسمت به الكلمة فعبر عنها بالقدمين ، كما ينقسم الكلام ، وإن كان واحدا إلى أمر ونهى ، وخبر واستخبار [1] .

ويشرح الكاشانى ، كيف أن الكرسى موضع الأمر والنهى ؟ ، فيبين أن الكرسى هو الثانى من الأجرام الطبيعية ، فهو موضع كل زوجين اثنين ، ومن ذلك الأمر والنهى ، فهو من حيث كونه محل انطباع لوح القدر محل تفصيل الصور ، وأول مراتب التفصيل اثنان ، فالكرسى منشأ الرسالة التى هى لتكميل صور الكثرة فى طور تنزل الوجود ، وأول مراتب الصور القابلة للكمال إثنان ، ولذلك بعث الرسول من المرسل إلى المرسل إليه بالأمر [2] .

ويذكر الجيلى أن الكرسى تجلى جملة الصفات الفعلية ، فهو مظهرا لاقتدار الإلهى ، ومحل نفوذ الأمر والنهى [3] ، يقول الجيلى : (من تجلى اللَّه عليه فى الكرسى ، اتصف من اللَّه تعالى بسائر الصفات المتقابلة الفعلية ، وبها يكشف له عن تجلى القدمين والنعلين قبضا وبسطا ونعمة ونعمة وهيبة وأنس) [4] .

1. عقلة المستوفز ص47 .
2. رشح الزلال ص150 .
3. الإنسان الكامل 5/2 .		4. المناظر الإلهية ص249 .

****

68- الكفـــــر

****

- **الكفر** : الكفر فى اللغة ستر الشئ ، ووصف الزارع به لستره البـــذرة فى الأرض قال تعالى : { يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمْ الْكُفَّارَ } [الفتح/29] .

والكافر على الإطلاق متعارف فيمن يجحد الوحدانية ، كقوله تعالى : { لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ } [المائدة/73] ، أو النبوة كقوله فى كفر اليهود بالرسالة المحمدية : { فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ } [البقرة/89] ، أو الشريعة { هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ فِي الأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلا مَقْتًـــا وَلا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلا خَسَارًا } [فاطر/39] أو ثلاثتها [1] .

وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه ، قال رســـول الله ε : " لي خمســـة أسماء أنا محمد وأحمد ، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ، وأنا الحاشـــر الذي يحشر الناس على قدمي ، وأنا العاقب " [2] .

- **الكفر فى الاصطلاح الصوفى :**

والكفر عند الصوفية يرد على المعانى الآتية :

---

1. لسان العرب 144/5 ، المفردات ص432 .

2. أخرجه البخارى فى كتاب المناقب برقم (3268) 385/6 .

(1- الكفر هو الإيمان الحقيقى ، قال ابن عربى : (وأما الإيمان ، فهو أمر عام ، وكذلك الكفر الذى هو ضده ، فإن اللَّه قد سمى مؤمنا من آمن بالحق وسمى مؤمنا من يؤمن بالباطل ، وسمى كافرا من يكفر باللَّه ، وسمى كافرا من يكفر بالطاغوت ، والكافر من الأولياء من كان ختم الحق على قلبه لأنه اتخذه بيته وختم على سمعه ، فلا يصغى إلى كلام أحد إلا كلام ربه) [(1)] .

(2- الكفر عالم التفرقة ، أو كفر الظلمة ، قال الكاشانى : (لقد كفر ، أى حجب الذين قالوا : إن اللَّه ثالث ثلاثة ، واحد من جملة ثلاثة أشياء :

1- الفعل الذى هو ظاهر عالم الملك .

3- الصفة التى هى باطن عالم الملكوت .

4- الذات التى تقوم بها الصفة ويصدر عنها الفعل .

إذ ليس هو ذلك الواحد الذى توهموه ، بل الفعل والصفة فى الحقيقة عين الذات ولا فرق إلا بالاعتبار ، وما اللَّه إلا الواحد المطلق ، وإلا لكان بحسب كل اسم من أسمائه إله آخر ، فتتعدد الآلهة سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا) [(2)] .

(3- الكفر هو ستر الكثرة فى الوحدة الذى يفنى تعينات الموجودات وكثرتها فى بحر الأحدية ، بل يمحو وجود الذات الإلهية ، ويبقى ببقاء الحق تعالى

1. الفتوحات 136/2، 388/3 .
2. تفسير القرآن الكريم منسوب لابن عربى 339/1 .

فيصير عين الوحدة ، قال ابن عربى : (ومنهم الكافرون ، يقصد الأولياء وهم الساترون مقامهم ، مثل الملامتية ، والكفار الزارعون ، لأنهم يسترون البذرة فى الأرض) [1] .

(4- الكافر من لم يكن قد عبر من مرتبة الصفات والأسماء والأفعال ، وألبس الحق تعالى الوجود والتعينات والتكثرات [2] .

ويذكر الجيلى أن الكفر ضرورة للموحد ، فلا بد أن يمر على قنطرة الكفر فى ترقيه إلى حقيقة التوحيد ، وإلا لن يصل إليه ، ودليله على ذلك كلمة التوحيد نفسها فيقول :

(ألا ترى إلىكلمة التوحيد إن وقفت على النصف الأول منها ، كان كفرا فلا يجوز أن تقول لا إله وتقف عنده ، ولا بد من قوله مردوفا بإلا لله فما وصلت إلى كلمة التوحيد إلا بعد كلمة الكفر) [3] .

ويبين أنه إذا كان هذا الظاهر فى كلمة التوحيد ، فما هو القول الباطن والظاهر عنوان الباطن ، ومن ثم يؤكد على المعنى الذى ورد فى قول الحسين بن منصور الحلاج :

(كشف اللّه عنك سر الكفر ، فإن فيه حقيقة الإيمان ، وحجب عنك سر

1. الفتوحات 2/.136
2. كشاف التهانوى ص1252 .
3. المناظر الإلهية ص178 .

الإيمان فإن منه حقيقة الكفر) [1] .

يقول الجيلى : (وفى منظر الكفر ، يتجلى الحق تعالى على العبد بتجلـــى يستتر عنه حقائق ما يجب الإيمان به ، لظهور سيمات الجمال ، فيقال : كافر بمعنى ساتر) [2] .

****

69- الكـــــوكب

****

- **الكوكب** : الكوكب هو النجم اللامع ، وقد ورد الفظ فى قول الله عـــز وجل : { الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ } [النور/35] وقوله تعالى : { فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي } [الأنعام/76] وقد ورد مجموعا فى مواضع أخرى قوله تعالى : { إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ } [الصافات/6] [3] .

وفى السنة عن أبي هريرة τ ، أن رسول اللَّه ε قال : " أول زمرة تـــدخل الجنة ، على صورة القمر ليلة البدر ، والذين على إثرهم كأشـــد كوكـــب إضاءة " [4] .

---

1. السابق ص178 .
2. السابق ص178 .
3. تفسير ابن جرير الطبرى 139/18 ، المفردات ص420 ، والتعاريف ص.612
4. أخرجه البخارى فى كتاب بدء الخلق برقم (3246) 367/6.

ومن حديث أبي سعيد الخدري τ ، أن رسول اللَّه ε قال : " إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم ، كما تتراءون الكوكب الدري الغابر مـــن الأفق ، من المشرق أو المغرب " [1] .

- الكوكب فى الاصطلاح الصوفى :

والكوكب فى عرف الصوفية يطلق على ما يأتى :

1- الكوكب الحجة والبرهان لكونها ، تحفظ من كل شـــيطان مـــن شياطين الأوهام ، والقوى التخيلية عند الترقى إلى أفق العقـــل ، لتركيـــب الموهومات والمخيلات فى المغالطات والتشكيكات ، ولقوله تعالى : { إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ } [الصافات/6] [2] .

2- الكواكب تعنى الحواس ، وقوله تعالى : { وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ } [الانفطار/2] ، قال الكاشانى : أى الحواس إذا ماتت [3] .

3- الكوكب الدرى يعنى النفس الكلية ، شبهت به زجاجة قلب المؤمن التى هى روحه الحيوانية ، فقال تعالى : { الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَـــبٌ دُرِّيٌّ } [النور/35] ومعنى الدرى أى المنسوب إلى الدرة البيضاء المكنى بها عن العقـــل الأول فكانت النفس كوكبا دريا لمشابهتها الدر المعروف ، فإن الكوكـــب

1. أخرجه مسلم فى كتاب الجنة برقم (2831) 4/.2177
2. تفسير القرآن الكريم منسوب لابن عربى2/337
3. السابق 2/776 .

بزيد ضياءا عليه زيادة كثيرة لا محالة ، إنما شبهت النفس بالعقـــل ، لأنـــه متخلل بينهما [1] .

4- كوكب الصبح ، وهو أول ما يبدو من التجليات ، وقد يطلق على المتحقق بمظهرية النفس الكلية ، من قوله تعالى : { فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا } [الأنعام/76] [2] .

****

70ـ اللوح المحفـــوظ

****

- **اللوح المحفوظ** : هو أم الكتاب ، كتب اللَّه فيه مقادير الخلائق ، قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة [3] ، وقد ورد ذكره فى قولـــه تعالى : { بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ } [الـــبروج/22:21] ، وعـــن

عمران بن حصين τ ، قال رسول اللَّه ε : " كان اللَّه تبارك وتعالى قبل كل شيء ، وكان عرشه على الماء ، وكتب في اللوح ذكر كل شيء " [4] .

---

1. لطائف الإعلام 250/2 .
2. معجم الكاشانى ص89 .
3. انظر مصطلح (أم الكتاب) .
4. أخرجه أحمد فى المسند برقم (19375) واللفظ له ، وأخرجه البخارى فى كتاب التوحيد برقم (7418) .

- **اللوح المحفوظ فى الاصطلاح الصوفى :**

يعنى عند الصوفية ، نور إلهى حقى متجلى فى مشهد خلقى ، انطبعت الموجودات فيه انطباعا أصليا ، فهو أم الهيولى لأن الهيولى ، لا تقتضى صورة إلا وهى منطبعة فى اللوح المحفوظ ، فإذا اقتضت الهيولى صوره ما وجد فى العالم على حسب ما اقتضته الهيولى من الفور والمهلة [1] .

ويذكر ابن عربى أن اللوح المحفوظ ، هو النفس الناطقة الكلية ، وأن اللَّه لما أوجد القلم الأعلى ، أوجد له فى المرتبة الثانية ، هذه النفس التى هى اللوح المحفوظ ، وهى من الملائكة الكرام ، المشار إليه بكل شئ فى قوله تعالى : { وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِنْ كُل شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلا لكُل شَيْءٍ } [الأعراف/145] ، وهو اللوح المحفوظ ، وقال تعالى : { بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ } [البروج/22:21] ، فهو موضع تتريل الكتب ، وهو أول

كتاب سطر فيه الكون ، فأمر القلم أن يجرى على هذا اللوح ، بمـا قـدره وقضاه مما كان من إيجاده ما فوق اللوح إلى أول موجود (2) .

يقول ابن عربى : (فكان بين القلم واللوح نكاح معنوى معقول وأثـر حسى مشهود وكان ما أودع فى اللوح من الأثر مثل الماء الدافق الحاصل فى رحم الأنثى ، وما حصل من تلك الكتابة من المعانى المودعة فى تلك الحروف

1. معجم الكاشانى ص90Υ91 .
2. عقلة المستوفز ص42 .

الجرمية بمترلة أرواح الأولاد) (1) ، ويقول الجيلى : (اعلم أن اللوح مجملا مجلىتعيين نبذة من علم اللّه فى المحدثات ومن تجلى اللّه عليه فى هذا المنظـر تحقق بعلم ما كان وما سيكون إلى يوم القيامة (2) .

****

71 ـ ليلة القــدر

****

ـ **ليلة القدر** : هى الليلة المباركة التى قال اللّه فيها : { إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَـةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ } [الـدخان/3] ، وهى ليلة خير من ألف شهر ، كما قال تعالى : { إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُل أَمْرٍ

سَلامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ } [القدر/ 5:1] ، وعن أبي هريرة τ أن النبي ε قال : " من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا ، غفر له ما تقدم من ذنبه " [3] .

- **ليلة القدر فى الاصطلاح الصوفى :**

وليلة القدر عند الصوفية ، ليلة يختص فيها السالك بتجل خاص يعرف به

1. الفتوحات 129/1 .
2. الإنسان الكامل 9/2 ، والمناظر الإلهية ص.252
3. أخرجه البخارى فى كتاب الصوم برقم (1901) 138/4، ومسلم فى كتاب صلاة المسافرين برقم (760) 523/1.

قدره ورتبته بالنسبة إلى محبوبه ، قال الكاشانى : (ليلة القدر هى ليلة مختصة من بين سائر الليالى بتجل لا يكون فى غيرها ، وأهل الظاهر يخصوها ببعض ليالى رمضان ، وأكثرها فى العشر الأواخر منه ، وعند أهل الطريق إنها لا تتقيد بل تقع فى جميع ليالى السنة ، وذكر الشيخ ابن عربى أنه رآها فى ليلة النصف من شعبان وفى غيرها من الليالى) [1] .

ليلة قدر المريد : يعنى بها ابتداء وصول السالك إلى مقام البالغين فى المعرفة وإلى التحقق بمظهرية حقيقة الحقائق ، ومرتبة الجمع والوجود ، وتارة يعنى بليلة القدر أوقات التجلى كيفما كان ، وإشاراتهم إلى المعنى الأول ، هو بقولهم : وليلة قدر المرء وقت لقائه ، وإلى المعنى الثانى أشار عمرو بن الفارض بقوله : وكل الليالى ليلة القدر ..الخ [2] .

****

72 – المثـــــل

****

– **المثل** : المثل عبارة عن قول فى شئ ، يشبه قولا فى شئ آخر بينهما مشابهة ، ليبين أحدهما الآخر ويصوره ، وعلى هذا الوجه ضرب اللَّه الأمثال فقال : { لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ

---

1. لطائف الإعلام 260/2 .
2. السابق 260/2 .

اللَّهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا للنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُون } [الحشر/21] ، وقد يعبر بالمثل عن وصف الشيء ، كقوله تعالى : { مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ } [محمد/15] [1] .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما ، أن رسول اللَّه ε قال : " إن من الشجر شجرة ، لا يسقط ورقها وهي مثل المسلم ، حدثوني ما هي ؟ ، قال ابن عمر : فوقع الناس في شجر البادية ، ووقع في نفسي أنها النخلة " [2] .

– **المثل فى الاصطلاح الصوفى :**

والمثل عند الصوفية ، هو الإنسان الكامل المشار إليه بقوله تعالى : { مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ } [النور/35] ، لكون الإنسان هو مشكاة نـــور الحقائق الربانية ، ومعدن ظهور الأسماء الإلهية التى فطر عليها [3] .

ويقول الكاشانى : (المثل هو الإنسان الكامل ، الظاهر بسر الخلافـــة فى الخليفة ، وهى صورة أحدية الجمع التى فطر عليها ، ومع ذلك مشـــهده فى الحق ، حجاب العزة لئلا يغلط فى نفسه ، ولا يذهل عن عبوديته) [4] .

---

1. لسان العرب 610/11 ، والمفردات ص462 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب العلم برقم (131) 277/1.
3. لطائف الإعلام 260/2 ، وانظر اصطلاحات الصوفية لابن عربى ص.16
4. رشح الزلال ص149 وانظر مصطلح (الزجاجة) .

****

73 – مجمع البحـــرين

****

- **مجمع البحرين** : اسم مكان محدد لموسى عليه السلام ، لما ورد من حديث أبي بن كعب τ ، أن رسول اللَّه ε قال : " قام موسى عليه السلام خطيبـــا في بني إسرائيل ، فسئل أي الناس أعلم ؟ ، فقال : أنا أعلم ، قال : فعتـــب

اللَّه عليه ، إذ لم يرد العلم إليه ، فأوحى اللَّه إليه ، أن عبدا من عبادي بمجمع البحرين ، هو أعلم منك " (1) .

وذكر فى قوله تعالى : { وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا } [الكهف/60] والمراد بالبحرين مختلف فيه ، ولا دليل على تعيينه (2) ، ومجمع البحرين ملتقاهما ، ومنه قوله تعالى : { مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لا يَبْغِيَانِ } [الرحمن/20:19] .

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب تفسير القرآن برقم (4726) 263/8 ومسلم فى كتاب الفضائل برقم (2380) 1847./4
2. انظر فى المراد بمجمع البحرين ، فتح القدير للشوكانى 298/3 ، وتفسير البيضاوى 509/3 ، وتفسير القرطبى 9/11 ، وتفسير ابن جرير الطبرى 271/15 ، وفتح البارى شرح صحيح البخارى 408/8 ، و تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي لأبى العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري ، نشر دار الكتب العلمية بيروت ، 468/8 .

مجمع البحرين فى الاصطلاح الصوفى :

مجمع البحرين فى عرف الصوفية ، ملتقى العالمين عالم الروح وعالم الجسد وهما العذب والأجاج فى صورة الإنسانية ومقام القلب (1) .

ويقول الكاشانى : مجمع البحرين هو حضرة قاب قوسين ، لاجتماع بحرى الوجوب والإمكان فيها ، وقيل هو حضرة جمع الوجود باعتبار اشتمالهما على أعيان الأسماء الإلهية وحقائق الأعيان الكونية (2) .

ويذكر القشيرى أن اللَّه خلق فى القلوب بحرين ، بحر الخوف وبحر الرجاء ويقال : القبض والبسط ، وقيل : الهيبة والأنس ، وهو قوله تعالى : { مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لا يَبْغِيَانِ } [الرحمن/20:19] ، وقوله : { يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ } [الرحمن/22] ، أى يخرج منهما اللؤلؤ والجواهر وهى الأحوال الصافية والطائف المتوالية [3] .

ويقول أيضا : البحران إشارة إلى النفس والقلب ، فالقلب هو البحر العذب ، والنفس هى البحر الملح ، فمن بحر القلب كل جوهر ثمين وكل حالة لطيفة ، ومن النفس كل خلق ذميم ، والدر من أحد البحرين يخرج ومن الثانى لا يكون إلا التمساح ، مما لا قدر له من سواكن القلب يصون

1. تفسير القرآن الكريم منسوب لابن عربى766/1 .
2. لطائف الإعلام 273/2 ، وانظر معجم الكاشانى ص98 .
3. لطائف الإشارات 507/3 .

الحق هذا عن هذا ، فلا يبغى هذا على هذا [1] .

ويفسر الكاشانى البحرين فى الآية السابقة ، ببحر الهيولى الجسمانية الذى هو الملح الأجاج وبحر الروح المجرد ، الذى هو العذب الفرات ، يلتقيان فى الوجود الإنسانى ، بينهما برزخ النفس الحيوانية ، التى ليست فى صفاء الأرواح المجردة ولطافتها ، ولا فى كدورة الأجساد الهيولانية وكثافتها ، لا يبغيان ولا يتجاوز أحدهما حده ، فيغلب على الآخر بخاصيته ، فلا الروح

يجعل البدن من جنسه ، ولا البدن يجعل الروح ماديا ، وبالتقائهما وتركيبهما يخرج منها لؤلؤ العلوم الكلية ، ومرجان العلوم الجزئية ، أى لؤلؤ الحقائق والمعارف ، ومرجان العلوم النافعة ، كالأخلاق والشرائع [2] .

****

74ـ المسافر

****

- **المسافر** : السفر كشف الغطاء ، ومنه سمى المسافر على اعتبار أن الإنسان سفر عن المكان والمكان سفر عنه [3] ، ورد اللفظ فى القرآن والسنة على عكس المقيم كقوله تعالى : { فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ

---

1. السابق 507/3 .
2. تفسير القرآن الكريم منسوب لابن عربى573/2 .
3. المفردات ص233 ، ومعجم مقاييس اللغة مادة (سفر) .

أَيَّامٍ أُخَرَ } [البقرة/184] ، ومن حديث عمران بن حصين τ ، قال : " كنا في سفر مع النبي ε ، وإنا أسرينا حتى كنا في آخر الليل ، وقعنا وقعة ولا وقعة أحلى عند المسافر منها ، فما أيقظنا إلا حر الشمس " [1] .

- **المسافر فى الاصطلاح الصوفى :**

المسافر فى عرف الصوفية ، هو الذى سافر بفكره فى المعقولات ناظرا فيها من حيث كونها دلالات على مبدعها ، لا من حيث معرفة حقائقها وماهيتها

ولوازمها وأحكامها الذاتية ، فإنها من هذه الحيثية ، من سوانح الكشف والشهود المغنى عن إعمال القريحة والأفطار [2] .

ويذكر محى الدين بن عربى أن السفر هو الاعتبار ، حيث يعبر المسافر باعتباره ونظره فى المعقولات ، من العدوة الدنيا الخلقية التى فيها تتصف النفس بالعمى والجهالة إلى العدوة القصوى ، فينتهى به الفكر إلى معرفة المبدع وتوحيده وحقائقه المقتضية وجود الخلق لظهورها به ، بل إلى معرفة كل شئ من حيث أنه يدخل تحت مثال العقل [3] .

وقد يراد بالمسافر أيضا ، من هجر أوطانه الطبيعية ، وملاذه الحيوانية بتصحيح معاملاته وتعديل أحواله [4] .

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب التيمم برقم (344) 533/1.
2. لطائف الإعلام 302/2 .
3. رشح الزلال ص43 ، 44 .
4. لطائف الإعلام 302/2 ، وانظر السابق ص 43 ، 44.

****

75ـ المسامرة

****

المسامرة : السمر ، سواد الليل ، ومنه قيل : لا آتيك السمر والقمر وقيل للحديث بالليل : السمر ، وسمر فلان إذا تحدث ليلا ، ومنه قول الله تعالى : { مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ } [المؤمنون/67] [1] .

قال الإمام البخارى : " سامرا من السمر ، والجميع السمار ، والسامر ها هنا في موضع الجمع " [2] ، وقال عبد اللَّه بن مسعود τ : " جــدب لنــا رسول اللَّه ε السمر بعد العشاء ، يعني زجرنا " [3] .

المسامرة فى الاصطلاح الصوفى :

المسامرة فى عرف الصوفية ، تعنى وقتا للعبد مع الحق ليلا ، حيث تتفــرد الأرواح بخفى مناجاتها ولطيف مناداتها فى السر ، بلطيف وعتاب الأســرار عند خفى التذكار ، واستدامة طول العتاب مع صحة الكتمــان ، ورؤيــة القلوب إلى ما توارت فى الغيوب بأنوار اليقين [4] .

---

1. لسان العرب 376/4 ، والمفردات ص 242.
2. صحيح البخارى ، كتاب التفسير ، سورة المؤمنون 1769/4 .
3. أخرجه ابن ماجة فى الصلاة برقم (703) وقال الشيخ الألبانى : صحيح 230./1
4. انظر اللمع ص 426 ، وكشف المحجوب ص624 ، وعوارف المعارف ص527 والتعريفات ص225 .

يقول محى الدين بن عربى : (المسامرة خطاب الحق للعارفين ، من عــالم الأسرار والغيوب : { نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنْ الْمُنْذِرِينَ } [الشعراء/193] ، وهو خصوص فى المحادثة ، فإن قلت : وما المحادثة ؟ ، قلنا : خطاب الحق للعارفين من عباده ، من عالم الملك ، كالنداء من الشــجرة لموسى ، وهو فرع عن المشاهدة) [1] .

يقول الكاشانى : وإنما كنوا عن ذلك بالمسامرة ، لأنها فى العرف عبـــارة عن المحادثة ليلا وأنشدوا :

يا قمرى ليلة الوصل إذا غاب القمر

ويا سميرى كلما استحلى لمحبوبى السمر [2] .

****

76 ـ المستـــريح

****

ـ **المستريح** : الروْح التنفيس ، وقد أراح الإنسان إذا تنفس ، والراحة مـــن الروح [3] ، قال تعالى : { وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ } [النحل/6] ، وقد ورد لفظ المستريح فى السنة على معنى الميت إذا وضع فى قبره

1. الفتوحات 132/2 .
2. لطائف الإعلام 303/2 .
3. المفردات ص205 ، والقاموس المحيط 282 ، وكتاب العين 292/3 .

وكان مؤمنا ، فعن أبي قتادة بن ربعي الأنصاري τ ، أنه كـــان يحـــدث أن رسول اللَّه ε مر عليه بجنازة ، فقال : مستريح ومستراح منه ، قالوا : يـــا رسول اللَّه ، ما المستريح والمستراح منه ؟ ، قال : العبد المؤمن يستريح مـــن نصب الدنيا وأذاها إلى رحمة اللَّه ، والعبد الفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب [1] .

المستريح فى الاصطلاح الصوفى :

وعند الصوفية المستريح من العباد ، من أطلعه اللَّه تعالى على سر القـــدر لأنه يرى أن كل مقدور يجب وقوعه فى وقته المعلوم ، وكل ما ليس بمقدور يمتنع وقوعه ، فاستراح من الطلب والانتظار لما لا يقع ، والحزن والتحســـر على ما فات ، كما قال اللَّه تعالى : { مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا } [الحديد/22] [2] .

قال عبد الرزاق الكاشانى : (المستريح من العباد : من أطلعه اللَّه على سر القدر ، فإن المطلع عليه ، قد عرف تحققه بكون العالم تابعا للمعلوم ، وأنـــه واجب الوقوع ، فيستريح من وجهين :

أحدهما : بوقوع الملائم وثانيهما : استراحته من انتظار ما يعلم أنه لو قدر

1. أخرجه البخاري فى كتاب الرقاق برقم (6512) 369/11 ، ومسلم فى كتاب الجنائز برقم (950) 656/2.
2. معجم اصطلاحات الصوفية الكاشانى ص104 .

لكان ، فمثل هذا لا يحزن لفائت ولا يعترض على واقع قال تعالى : { لكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ } [الحديد/23] ، وقال أنس τ : " ما قال لى رسول اللَّه ε منذ زمان خدمته فى شئ فعلته لم فعلته ، ولا لشئ لم أفعله لم تفعله وإنما كان ε يقول : لو قدر لكان " [1] .

****

77ـ المســـــخ

****

- **المسخ** : تشويه الخلق والخُلق ، وتحويلهما من صورة إلى صورة ، والمسخ ضربان [2] :

1- مسخ يحصل فى الذات وهو مسخ الهيئة ، وكل ما ورد فى القرآن والسنة على ذلك ، كقوله تعالى : { وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ } [يس/67]

1. لطائف الإعلام 305/2 . والحديث أخرجه ابـن حبـان فى صـحيحه بـرقم (7179) 145/16 ، والهيثمى فى موارد الظمآن بـرقم (1816) 450/1 ، واللفظ عندهما : (خدمت النبي ε عشر سنين ، فما بعثني في حاجة لم أتمها ، إلا قال : لو قضى لكان أو لو قدر لكان) وأخرجه أحمد فى المسند برقم (13005) ونصه عن أنس بن مالك τ قال : (خدمت النبي ε عشر سنين فما أمرني بـأمر فتوانيت عنه أو ضيعته فلامني فإن لامني أحد من أهل بيته ، إلا قال : دعوه ، فلو قدر أو قال : لو قضي أن يكون كان) .
2. لسان العرب 55/3 ، والمفردات ص468 .

وكما روى عن جابر بن عبد اللَّه τ أن رسول اللَّه ε أتي بضـب فـأبى أن يأكل منه وقال : " لا أدري لعله من القرون التي مسخت " [1] .

وفى رواية عن أبي سعيد الخدرى τ ، قال : " إن اللَّه لعن أو غضب على سبط من بني إسرائيل ، فمسخهم دواب يدبون في الأرض ، فلا أدري لعل هذا منها فلست آكلها ولا أنهى عنها " [2] .

وعن أبي هريرة τ ، قال ε : " الفأرة مسخ ، وآية ذلك أنه يوضع بين يديها لبن الغنم فتشربه ويوضع بين يديها لبن الإبل فلا تذوقه " [3] .

وعن ابن عمر τ ، عن النبي ε قال : " يكون في أمتي خسف ومسخ وذلك في المكذبين بالقدر " [4] .

2- مسخ قد يحصل فى كل زمان وهو مسخ الخلق ، وذلك أن يصير الإنسان متخلقا بخلق ذميم من أخلاق بعض الحيوانات ، نحو أن يصير فى شدة الحرص كالكلب وفى الشره كالخنزير ، وفى الغمارة كالثور ، وهذا لم يرد ذكره فى القرآن أو السنة ، والمسيخ من الطعام ما لا طعم له [5] .

---

1. أخرجه مسلم فى كتاب الصيد والذبائح برقم (1949) 1545./3
2. مسلم فى كتاب الصيد والذبائح برقم (1951) 1546./3
3. أخرجه البخارى فى كتاب بدء الخلق (3305) 403/6 ومسلم فى كتاب الزهد برقم (2997) 2294/4 واللفظ لمسلم .
4. أخرجه الترمذى فى القدر (2153) وقال الشيخ الألبانى : صحيح 456./4
5. المفردات ص468.

- **المسخ فى الاصطلاح الصوفى :**

والمسخ عند الصوفية ، هو عقاب من اللَّه بتشويه باطن القلوب ، وتغيير أوصافها ، كما أن المسخ فى الظاهر تشويه الخلقة فى الذات ، قال أبو نصر السراج الطوسى : (المسخ معناه مسخ القلوب ، وذلك للمطرودين من الباب ، كانت لهم قلوب متوجهة ، فمسخت بالإعراض عنها ، وجعلت

توجهها إلى الحظوظ دون الحقوق ، فإذا قال القائل : فلان قد مسخ به معناه أى أعرض بقلبه) [1] .

****

78 – المسيرون

****

- **المسيرون** : السيرة الطريقة والمذهب ، أو صحيفة الأعمال ، وجمعها سير والسيارة القافلة [2] ، والتسيير يرد فى القرآن على ضربين [3] :

1- التسيير بالأمر والاختيار والإرادة من السائر ، نحو قوله تعالى : { هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ } [يونس/22] .

2- التسيير بالقهر والتسخير ، كتسخير الجبال ، كقوله تعالى :

---

1. اللمع للسراج الطوسى ص448 .
2. المغرب للمطرزى 427/1
3. المفردات ص247 .

{ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ } [التكوير/3] وقوله : { وَسُيِّرَتْ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا } [النبأ/20] .

- **المسيرون فى الاصطلاح الصوفى :**

واصطلاح الصوفية على قولهم : نحن مسيرون ، لا يشعر بـالمعنى الـذى يحتويه اللفظ فى اللغة ، بل يقصدون تسيير القلوب وسيرها عند انتقالها مـن حال إلى حال ، ومن مقام إلى مقام ، كما أشار إلى ذلك يحى بـن معـاذ الرازى فى قوله : (الزاهد سيار والعارف طيـار) [1] ، يعـنى فى سـرعة الانتقال فى المقامات والأحوال عند الزوائد وطُرَف الفوائد .

وقال الشبلى يريد سير القلوب :

لست من جملة المحبين إن لم : أجعل القلب بيته والمقاما

وطوافى إخاله السير فيه : وهو ركنى إذا أردت استلاما [2] .

ويذكر الكاشانى معنى التسيير فى العرف الصوفى من خلال تفسيره لقولـه تعالى : { وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَـدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِي وَأَيَّامًا آمِنِينَ } [سـبأ/18] ، فالحضـرة القلبيـة والسرية والروحية والإلهية ، بالتجليات الأفعالية والصفاتية والأسمائية الذاتية وأنوار المكاشفات والمشاهدات ، قرى المقامات والمنازل الظـاهرة مترائيـة

1. اللمع للسراج الطوسى ص442 .
2. السابق ص443 .

ومتواصلة ، كالصبر والتوكل والرضا وأمثالها ، والسير فيها مقدر إلى اللَّـه وفى اللَّه ، مرتبا يرتحل السالك فى الترقى من مقام ، ويترل فى مقام ، سيروا فى منازل لنفوس ليالى ، وفى مقامات القلوب ومواردها ، أياما آمنين بـين

القواطع الشيطانية ، وغلبات الصفات النفسانية بقـــوة الـــيقين ، والنظـــر الصحيح على منهاج الشرع المبين [1] .

****

79 ـ المشـــــــرق

****

ـ **المشرق** : الناحية التى تخرج منها الشـــمس فى أول النـــهار ، والمشـــرق والمغرب إذا قيل بالإفراد فإشارة إلى ناحيتى الشرق والغرب [2] ، وعن خالد العدواني τ ، أنه أبصر رسول اللَّه ε في مشرق ثقيف ، وهو قائم على قوس أو عصا ، حين أتاهم يبتغي عندهم النصر [3] ، أى الناحية التى تقابل الشمس عند شروقها فى ثقيف .

والمشرق فى القرآن والسنة يعنى ناحية طلوع الشمس كقوله تعالى : { رَبُّ

1. تفسير القرآن لابن عربى 308/2 .
2. لسان العرب 173/10 ، والمفردات ص259 .
3. حديث حسن ، أخرجه أحمد فى المسند برقم (18479) ، وفى سنده عبد الله بن عبد الرحمن بن يعلى وهو صدوق .

الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لا إِلَهَ إِلا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلا } [المزمل/9] وكقوله : { لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ } [البقرة/177] وقوله : { للَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } [البقرة/142] .

وعن أبي هريرة τ ، أن رسول اللَّه ε قال : " يأتي المسيح من قبل المشرق همته المدينة ، حتى يترل دبر أحد ، ثم تصرف الملائكة وجهه قبل الشام وهنالك يهلك) [1] ، وقال مجاهد { رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ } [الرحمن/17] للشمس في الشتاء مشرق ، ومشرق في الصيف [2] .

- **المشرق فى الاصطلاح الصوفى :**

والمشرق فى عرف الصوفية يرد بمعنى التجلى ، ويعنون بذلك تجليات الذات قبل الفناء التام فى عين أحدية الجمع [3] .

والكاشانى يفسر المشرق فى قوله تعالى : { وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ } [البقرة/115] على وجهين :

1- المشرق هو عالم النور والظهور ، الذى هو جنة النصارى ، وقبلتهم بالحقيقة هو باطنه ، والمغرب أى عالم الظلمة والاختفاء ، الذى هو جنة اليهود ، وقبلتهم بالحقيقة هو ظاهره ، فأينما تولوا ، أى أىّ جهة تتوجهوا

---

1. أخرجه مسلم فى كتاب الحج برقم (1380) 1005/2.
2. البخارى تفسير سورة الرحمن 8/.486
3. معجم الكاشانى ص104 .

من الظاهر والباطن ، فثم وجه اللَّه أى ذات اللَّه المتجلية بجميع صفاته [1] .

2- ولله المشرق أى الإشراق على القلوب بالظهور فيها ، والتجلى لها بصفة جماله ، حالة شهوده وفنائه ، والغروب فيها بتستره واحتجابه بصورها

وذواتها ، واختفائه بصفة جلاله ، حالة بقائه بعد الفناء ، فأى جهة تتوجهوا حينئذ فثم وجهه ، لم يكن شئ إلا إياه وحده ، { يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } [البقرة/142] ، أى طريق الوحدة التى تتساوى الجهات بالنسبة إليها ، لكون الحق المتوجه إليه ، لا فى جهة ، وكون الجهات كلها فيه وبه وله كما قال : { فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ } [2] .

والمشرق عند الإضافة يتنوع مدلوله عند الصوفية فمن ذلك :

(1- مشارق الفتح : ويعنون بها الأسماء الكلية والصفات الأصلية التى هى مفاتح الغيب وهى : الفتاح والسميع والبصير والقادر من جهة أنه أول ما يفتح على السائر أنوار التجليات ، ويشرق عليه من أشعة الذات إنما يكون مورد ذلك الفتح والإشراق فى مبادئ سيره إلى حضرة أحدية الجمع ، فإذا قيل : مشارق الفتح فإنهم يعنون التجليات الأسمائية لأنها مفاتيح أسرار الغيب وتجلى الذات عندهم [3] .

---

1. تفسير القرآن الكريم منسوب لابن عربى 80/1 .
2. السابق 91/1 .
3. لطائف الإعلام 307/2 .

(2- مشارق شمس الحقيقة : ويعنون بها أعيان مفاتح الغيب أيضا لأن نور الذات الأقدس إنما أشرق وطلع شمس حقيقة الهوية وطولع منها [1] .

(3- مشرق القمر : ويعنى عندهم ظهور الخلق بنور الحق ، ويقال : ظهور الحق فى عالم الصور ، ويقال : مشرق القمر : الإنسان المتحقق بمظهرية العقل المصور [2] .

(4- مشرق الضمائر : هو أحد النقباء العلماء به ، وهم الذين استخرجوا خبايا النفوس وكشف اللَّه لهم عن بواطن الأشياء ، وهم عبيد الإسم الباطن أطلعهم اللَّه على ضمائر الناس وتجلى لهم باسمه ، قال الكاشانى : (وسمى الشيخ أبو سعيد بن أبى الخير (ت:440هـ) مشرق الضمائر لكون اللَّه تعالى قد كشفه على بواطن السرائر ، وقد رأى الجنيد قدس اللَّه سره فى المنام إبليس وهو عريان فى السوق فقال : أما تستحى من الناس فقال : هؤلاء ليسوا بناس ، إنما الناس قوم فى مسجد الشونيزى ، قال الجنيد رحمه اللَّه : وأتيت لأصلى الصبح فى الشونيزى ، فلما وقع بصرى على الفقراء فى المسجد ، سلمت عليهم ، فردوا السلام ، وقالوا : كذوب هو لا تغتر به ونحن أيضا لسنا من الناس ، فهذا من باب الإشراق على الضمائر) [3] .

---

1. معجم اصطلاحات الصوفية الكاشانى ص104 .
2. لطائف الإعلام 307/2 .
3. السابق 307/2 ، 308 ، ومعجم اصطلاحات الصوفية الكاشانى ص104 .

****

80 – مغرب الشمس

****

- **مغرب الشمس** : محل غروب الشمس قال تعالى : { حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ } [الكهف/86] وقال أيضا : { وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ } [ق/39] .

وقال مجاهد : { وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ } [الرحمن/17] مغرب الشمس في الشتاء والصيف [1] وعن صفوان بن عسال τ ،قال رسول الله ε : " إن من قبل مغرب الشمس بابا مفتوحا عرضه سبعون سنة ، فلا يزال ذلك الباب مفتوحا للتوبة ، حتى تطلع الشمس من نحوه ، فإذا طلعت من نحوه لم ينفع نفسا إيمانها ، لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا " [2] .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما ، عن النبي ε قال : " إنما أجلكم في أجل من خلا من الأمم كما بين صلاة العصر ومغرب الشمس ، ومثلكم ومثل اليهود والنصارى ، كمثل رجل استعمل عمالا ، فقال : من يعمل لي إلى نصف النهار على قيراط ، فعملت اليهود ، فقال : من يعمل لي من نصف النهار إلى العصر على قيراط ، فعملت النصارى ، ثم أنتم تعملون من

---

1. انظر مصطلح المشرق .
2. صحيح ، أخرجه ابن ماجة فى كتاب الفتن برقم (4060) .

العصر إلى المغرب بقيراطين قيراطين ، قالوا : نحن أكثر عملا وأقل عطاء ، قال : هل ظلمتكم من حقكم ؟ قالوا : لا ، قال فذاك فضلي أوتيه من شئت " [1] .

مغرب الشمس فى الاصطلاح الصوفى :

والصوفية تعنى بمغرب الشمس ، استتار الحق بتعيناته ، واستتار الروح بالجسد [2] ، قال الكاشانى : (مغرب الشمس استتار العين بتعيناها ويقال : استتار الحقيقة بملابسها ، ويقال : بطون الذات فى مظاهرها ويقال : بطون الحق فى الخلق ، ويقال : اشتباه الحق بالباطل) [3] .

ويذكر الكاشانى فى قوله تعالى : { حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ } [الكهف/86] ، أن القلب الذى ملك قرنيه لما بلغ مكان غروب شمس الروح ، وجدها مختلطة بالحمأة وهى المادة البدنية الممتزجة من الأجسام الفاسقة ، كقوله : { مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ } [الإنسان/2] ووجد عندها القوى النفسانية البدنية والروحانية) [4] .

وقال أيضا فى قوله تعالى : { رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ } [الرحمن/17] أى مشرقى الظاهر والباطن ومغربيهما ، بإشراق نور الوجود المطلق على

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب فضائل القرآن برقم (4633) 8/.145.
2. معجم اصطلاحات الصوفية الكاشانى ص107 .
3. لطائف الإعلام 322/2 .
4. تفسير القرآن الكريم منسوب لابن عربى 774/1 .

ماهيات الأجساد الظاهرة وغروبه فيها باحتجابه بما هياها وتعينها به فله فى ربوبيته لكل موجود شروق بإيجاده بنور الوجود وظهوره بـــه ، وغـــروب باختفائه فيه وتستره به بيربه بهما) [1] .

****

81 – الملامتيـــــة

****

الملامتية : لم يرد لفظ الملامتية فى الكتاب والسنة ، ولكنه مشتق من مادة اللوم ، وهو عزل الإنسان بنسبته إلى ما فيه لوم ، يقال : لمته فهـــو ملـــوم وقال تعالى : { فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ } [إبراهيم/22] ، وقال : { قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ } [يوسف/32] وقال سبحانه : { يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيل اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ } [المائدة/54] ، ويعنى لا يخافون فى قـــول الحـــق ملامة الناس [2] .

وعن زيد بن أرقم τ ، قال لما قال عبداللَّه بن أبي : { لا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُول اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا } [المنافقون/7] ، وقال أيضا : { لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأعَزُّ مِنْهَا الأذَلَّ } [المنافقون/8] ، أخبرت به النبي ε فلامني الأنصار ، وحلف عبد اللَّه بن أبي ما قال ذلك ، فرجعت إلى المترل فنمـــت

1. السابق 572/2 .
2. المفردات ص456 ، 457 .

فدعاني رسول اللَّه ε ، فأتيته فقال : إن اللَّه قد صدقك ونزل : [هُمْ الَّذِينَ يَقُولُونَ لا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُول اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا } [المنافقون/8] [1] .

وعن أبى هريرة τ ، قال رسول الله ε : " احتج آدم وموسى ، فقال له موسى : أنت آدم الذي أخرجتك خطيئتك من الجنة ؟ ، فقال له آدم : أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه ، ثم تلومني على أمر قدر علي قبل أن أخلق ، فقال : رسول الله ε فحج آدم موسى مرتين " [2] .

- الملامتية فى الاصطلاح الصوفى :

والملامتية هم أعلى الطائفة عند الصوفية وأفضلها ، وهم الذين يفعلون ما يوجب ملامة الناس فى الظاهر حفظا منهم على الباطن ، فيقوم بعمل شيء عجيب لا يقره الناس ، كأن يفطر فى نهار رمضان لينفض عنه الناس بينما يكون فى الباطن على سفر [3] .

يقول على بن عثمان الهجويرى فى وصف الملامتية : (إن أهل هذه الجماعة من الصوفية يتميزون عن الخلق أجمعين ، بأنهم يختارون أن تلام أجسامهم لتسلم قلوبهم وهذه مرتبة عالية لا يصل إليها الزهاد والعباد وأعيان الخلق فى العصور الغابرة ولكنها خاصة بأفراد هذه الأمة الذين يسبحون فى

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب تفسير القرآن برقم (4902) 515/8
2. أخرجه البخارى فى كتاب احاديث الأنبياء برقم (3157) 297./6
3. أصول الملامتية وغلطات الصوفية ص 141 .

طريق الابتعاد الكامل عن شئون هذه الدنيا) [1] .

وعند ابن عربى الملامتية ، هم الذين لم يظهر على ظواهرهم مما فى بواطنهم أثر البتة ، وهم أعلى الطائفة وتلامذتهم يتقلبون فى أطوار الرجولية ، فهم الأخفياء الأبرياء ، الأمناء فى العالم ، الغامدون فى الناس ، ولا يدوم التجلى إلا لهذه الطائفة على الخصوص [2] .

ويذكر الكاشانى أن الملامتية من الصوفية ، هم أعلى الطائفة لاقتدارهم على سر الأسرار الجليلة الإلهية ، وإخفائها كما ينبغى ، كمن ألقى إليه سر الكمال الجمعى فى أنهى مراتب العروج إلى ربه ، الذى إليه المنتهى فلم يظهر أثره على ظاهره قطعا ، ومن ألقى إليه روح التكلم من وراء حجاب فى عروجه إلى أفق من آفاق الكون المحسوس ، ظهر أثر الإخفاء على وجهه حتى صان الأبصار من ابتهار نوره ، وترك ما يرفع مقداره على أنجب أفراد الكون وتلامذتهم يتقلبون فى أطوار الرجولية ، لأنهم يؤثرون حظ الغي رعى حظوظ أنفسهم ، ولا يمنون عليه فى ذلك ، فعليهم تدور أفلاك الفتوة [3] .

ويشرح الجيلى وصف الملامتية ، فيقول : التلامت منظر يتجلى الحق

---

1. كشف المحجوب ص80 ،81 .
2. الفتوحات المكية 181/1 ، وانظر مواقع النجوم ص48 ، اصطلاحات الصوفية لابن عربى ص4 .
3. رشح الزلال ص67 ، 68 .

تعالى على العبد فيه بتجل تتغرب فيه أحوال العبد على الخلق ، فلا يظهر منه فعل ولا قول ، ولا يكون على حال إلا وهو موجب لملامتهم عليه ، لأنه قد بعد عليهم فهم ما هو عليه ، فلاموه فيما لم يوافق مرادهم من أمره جهـــلا بحاله ، وليس فى أمره موافقا لهم ، فهم يلومونه تارة بحكم النقـــل ، وتـــارة بحكم العقل ، وتارة بحكم العادة [1] .

****

82 – المنهـــــج الأول

****

- **المنهج الأول** : النهج الطريق الواضح ونهج الأمر وضح ، ومنهج الطريـــق ومنهاجه كقوله تعالى :

{ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا } [المائدة/48] [2] ، وقال عبد اللَّه بن سلام τ : " بينما أنا نائم ، إذ أتاني رجل ، فقال لي : قـــم فأخـــذ بيـــدي فانطلقت معه ، فإذا أنا بجوادٌّ عن شمالي ، قال : فأخذت لآخذ فيها ، فقال لي : لا تأخذ فيها ، فإنها طرق أصحاب الشمال ، قال : فَإِذَا جَوَادٌّ مَـــنْهَجٌ عَلَى يَمِينِي ، فقال لي : خذ هاهنا ... قال : فأتيت النبي ε ، فقصصتها عليه فقال : أما الطرق التي رأيت عن يسارك ، فهي طرق أصحاب الشمال

1. المناظر الإلهية ص168 .
2. لسان العرب 383/2 ، والمفردات ص506 .

وأما الطرق التي رأيت عن يمينك ، فهي طرق أصحاب اليمين ، ولن تـــزال متمسكا بها حتى تموت " [1] ، ومعنى جَوَادٌّ مَنْهَجٌ الطريق الواضح السالك .

- المنهج الأول فى الاصطلاح الصوفى :

والصوفية يقصدون بالمنهج الأول ، انتشاء الأسماء والصفات عن الوحـــدة الذاتية ، وكيفية انتشاء جميع الصفات والأسماء فى رتب الذات ، فمن أشهده اللَّه صورة الانتشاءات الحاصلة عن الوحدة ، التى هى منشأ جميع التعينـــات وعرفه ظهورها فى المراتب الوجودية ، ترتيبا وبدءا وإيجادا وعودا ، فقد دله الحق على أقرب السبل من المنهج الأول [2] .

والمنهج فى عرف الصوفية ، يطلق على طريق الباطن ، فكما أن لأهـــل الظاهر منهجا هو الشرع ، فكذلك الصوفية لهم منهج باطنى ، لقوله تعالى : { لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا } [المائدة/48] ، قال الكاشانى فى تفسيره الصوفى : (لكل جعلنا منكم موردا كمورد النفس ، ومورد القلب ومـــورد الروح ، وطريقا كعلم الأحكام والمعاملات ، التى تتعلق بالقلب ، وســـلوك طريق الباطن الموصل إلى جنة الصفات ، وعلم التوحيد والمشاهدة ، الـــذى يتعلق بالروح ، وسلوك طريق الفناء الذى يوصل إلى جنة الذات) [3] .

---

1. أخرجه مسلم فى كتاب فضائل الصحابة برقم (2484) 1931/4.
2. معجم اصطلاحات الصوفية للكاشانى ص109 ولطائف الإعلام 322/2 .
3. تفسير القرآن الكريم منسوب لابن عربى 329/1 .

****

83 – المــــــوت

****

- **الموت** : الموت أنواع بحسب أنواع الحياة [1] :

الأول : ما هو بإزاء القوة النامية الموجودة فى الإنسان والحيوانات والنبات نحو قوله تعالى : { كَيْفَ يُحْيِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا } [الروم/50] ، وقوله سبحانه : { وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا } [ق/11] ، وقال عروة : " قضى عمر بن الخطاب τ في خلافته ، أن من أحيا أرضا ميتة ، فهي له " [2] .

الثانى : زوال القوة الحاسة ، نحو قوله تعالى : { قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا } [مريم/23] ، وقوله سبحانه : { وَيَقُولُ الإنسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا } [مريم/66] ، ومن حديث أنس τ ، أن رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم قال : " لا يتمنين أحد منكم الموت لضر نزل به ، فإن كان لا بد متمنيا للموت ، فليقل : اللَّهم أحيني ما كانت الحياة خيرا لي ، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي " [3] .

الثالث : زوال القوة العاقلة وهى الجهالة ، نحو قوله تعالى : { أَوَمَنْ كَانَ

---

1. المفردات فى غريب القرآن ص476 ، 477 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب المزارعة برقم (2335) 5/23.
3. أخرجه البخارى فى كتاب الدعوات برقم (6351) 11/119.

مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ } [الأنعام/122] ، وإياه قصد بقوله : { إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى } [النمل/80] ، وفى حديث عقبة بن عامر τ ، أن رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم قال : " إياكم والدخول على النساء ، فقال رجل من الأنصار : يا رسول اللَّه ، أفرأيت الحمو ؟ ، قال : الحمو الموت " [1] .

الرابع : الحزن المكدر للحياة ، من مرض أو عذاب أو الم ، أوغير ذلك كقوله تعالى : { يَتَجَرَّعُهُ وَلا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُل مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ } [إبراهيم/17] ، وعن عائشة رضي اللَّه عنها ، قالت : " سقطت قلادة لي بالبيداء ، ونحن داخلون المدينة ، فأناخ النبي ε ونزل ، فثنى رأسه في حجري راقدا ، وأقبل أبو بكر فلكزني لكزة شديدة ، وقال : حبست الناس في قلادة ، فبي الموت لمكان رسول اللَّه ε ، وقد أوجعني " [2] .

الخامس : النوم موت خفيف ، والموت نوم ثقيل ، وعلى هذا النحو سماهما اللَّه تعالى توفيا ، فقال : { وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْل } [الأنعام/60] وقوله : { اللَّهُ يَتَوَفَّى الأنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى } [الزمر/42] .

السادس : بقاء أهل الخلدين وانعدام الموت ، فمن حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول اللَّه ε قال : " إذا صار أهل الجنة إلى الجنة

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب النكاح برقم (5232) 242./9.
2. أخرجه البخارى فى كتاب تفسير القرآن برقم (4608) 121/8.

وأهل النار إلى النار ، جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ، ثم يـــذبح ثم ينادي مناد : يا أهل الجنة لا موت ، ويا أهل النار لا موت ، فيزداد أهـــل الجنة فرحا إلى فرحهم ، ويزداد أهل النار حزنا إلى حزنهم " [1] .

- **الموت فى الاصطلاح الصوفى :**

يذكر الكاشانى أن الموت فى اصطلاح الصوفية ، هو قمع هوى النفس فإن حياها به ، ولا تميل إلا لذاها وشهواها ، ومقتضيات الطبيعة البدنية إلا به ، وإذا مالت إلى الجهة السفلية جذبت القلب ، الذى هو النفس الناطقـــة إلى مركزها ، فيموت عن الحياة الحقيقية بالجهل ، فإذا ماتت الـــنفس عـــن هواها بقمعه ، انصرف القلب بالطبع والمحبة الأصلية إلى عالمه ، عالم القدس والنور والحياة الذاتية ، التى لا تقبل الموت أصلا ، وإلى هذا المـــوت أشـــار أفلوطن بقوله : مت بالإرادة تحيا بالطبيعة [2] .

ويتنوع مفهوم الموت عند الصوفية حسب التأويلات الباطنية للفظ سواء كان منفردا أو مضافا فمن ذلك :

(1- الموت : هو التوبة أخذا من قوله تعالى : { فَتُوبُوا إِلَـــى بَـــارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ } [البقرة/54] فمن تاب عند الصوفية ، فقد قتل نفسه [3] .

1. أخرجه البخارى فى كتاب الرقاق برقم (6548) 11/.423
2. لطائف الإعلام 342/2 ، ومعجم اصطلاحات الصوفية للكاشانى ص .110
3. السابق 34/2 .

(2- الموت الأحمر : وهو مخالفة النفس ، ويستدلون له ، بحديث منسوب إلى رسول اللَّه ε قال : " رجعنا من الجهاد الأصغر ، إلى الجهاد الأكبر قالوا : يارسول اللَّه ، وما الجهاد الأكبر ؟ ، قال : مخالفة النفس " [1] ، وقال تعالى : { أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ } [الأنعام/122] يعنى : ميتا بالجهل فأحييناه بالعلم [2] .

(3- الموت الأبيض : الجوع لأنه ينور الباطن ، ويبيض وجه القلب ، فإذا لم يشبع السالك لا يزال جائعا ، مات الموت الأبيض ، فحينئذ تحيا فطنته لأن البطنة تميت الفطنة ، فمن ماتت بطنته ، حييت فطنته [3] .

(4- الموت الأخضر : ليس المرقع من الخرق الملقاة التى لا قيمة لها ، فإذا قنع من اللباس الجميل بذلك ، واقتصر على ما يستر العورة ، ويصح فيه الصلاة ، فقد مات الموت الأخضر لاخضرار عيشه بالقناعة ، ونضارة وجهه بنضرة الجمال الذاتى الذى حى به واستغنى عن التجمل العارضى [4] .

(5- الموت الأسود : هو احتمال أذى الخلق ، فإذا تحقق السالك بالمقام الذى يصير فيه ، بحيث لا يجد فى نفسه حرجا مما يناله من أذى الناس وسبهم

---

1. انظر كشف الخفا للعجلونى حديث رقم (1362) .
2. لطائف الإعلام 343/2 .
3. معجم اصطلاحات الصوفية للكاشانى ص 111.
4. لطائف الإعلام 344/2 .

وشتمهم وغير ذلك ، فقد مات الموت الأسود ، ويحيا بالإمداد من حضـــرة الجواد ، لأنه يصير ممن قد شاهد النعم الباطنة عن غيره ، حين صـــارت فى حقه ظاهره ، فلم يتألم فى نفسه ، بل يتلذذ به لكونه يراه من محبوبه [1] .

يقول الكاشانى : (الموت الأسود وهو الفناء فى اللَّه لشهوده الأذى منـــه برؤيته فناء الأفعال فى فعل محبوبه ، بل برؤية نفسه وأنفسهم فانين فى المحبوب وحينئذ يحى بوجوده الحق من إمداد حضرة الوجود المطلق) [2] .

****

84 – الميــــــزان

****

- **الميزان** : الوزن معرفة قدر الشئ ، والميزان يطلق على معنيين :

1- الميزان بالمعنى الحسى المدرك ، وهو المتعارف عليه فى الوزن سواء فى الدنيا والآخرة :

أ- فميزان الدنيا معلوم المعنى والكيف ، وعليه ورد قوله تعالى : { وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ } [المطففين/3] ، وقوله سبحانه : { وَزِنُـــوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ } [الإسراء/35] ، وقوله عز وجل : { وَأَقِيمُوا الْـــوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ } [الرحمن/9] ، ومن حديث جابر بن عبد اللَّه

---

1. السابق 345/2 .
2. معجم اصطلاحات الصوفية للكاشانى ص 113.

رضى الله عنه قال : " فأمر ε بلالا أن يزن له أوقية ، فوزن لي بلال فأرجح لي في الميزان " [1] .

ب- والميزان فى الآخرة شئ مخلوق حقيقى ، موضوع لوزن الأعمال لــه كفتان ، معلوم المعنى مجهول الكيف ، قال تعالى : { وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ } [الأنبياء/47] ، وقال تعالى :

{ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ نَارٌ حَامِيَةٌ } [القارعة/ 9:6] روى عن أبي مالك الأشعري τ ، قال رسول اللَّه ε : " الطهور شطر الإيمان ، والحمد لله تمــلأ الميزان " [2] ، ومن حديث عبد اللَّه بن عمرو τ ، أن رسول اللَّه صــلى الله عليه وسلم قال : " فتوضع السجلات في كفة ، والبطاقة في كفة ، فطاشت السجلات ، وثقلت البطاقة " [3] .

2- الميزان المعنوى ، كقوله تعالى : { وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُل شَيْءٍ مَوْزُونٍ } [الحجر/19] إشارة إلى كل ما أوجده اللَّه

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب البيوع برقم (2097) 375/4 ، وانظر المفردات فى غريب القرآن ص522 .
2. مسلم فى كتاب الطهارة برقم (223) 1/ 203.
3. أخرجه ابن ماجة فى كتاب الزهد برقم (4300) ، وقال الشيخ الألبانى : صحيح 1437/2.

تعالى وأنه خلقه باعتدال [1] .

وعن أبي بكرة τ ، أن النبي ε قال ذات يوم : من رأى منكم رؤيا ؟ فقال رجل : أنا ، رأيت كأن ميزانا نزل من السماء ، فوزنت أنت وأبـــو بكـــر فرجحت أنت بأبي بكر ، ووزن أبو بكر وعمر ، فرجح أبو بكـــر ، ووزن عمر وعثمان ، فرجح عمر ، ثم رفع الميزان ، فرأينا الكراهية في وجه رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم [2] .

- **الميزان فى الاصطلاح الصوفى :**

الميزان عند الصوفية يعنى ما به يتوصل الإنسان إلى معرفة الأراء الصـــائبة والأقوال السديدة ، والأفعال الجميلة وتميزها من أضدادها ، وهو العدالة التى هى ظل الوحدة الحقيقية المشتملة على علم الشريعة والطريقة والحقيقة ، لأنها لم يتحقق بها صاحبها ، إلا عند تحققه بمقام أحدية الجمع والفرق [3] .

والميزان عند الصوفية يتنوع مدلوله بحسب الإضافة على ما يأتى [4] :

1- ميزان العموم : وهو ما به يتميز نفس الإنسان عن نفوس الأنعام بظاهر العقل المعيشى المقيد بأمور دنيوية ، وهذا ميزان شارك المسلمين

1. لسان العرب 446/12 ، وكتاب العين 386/7 ، والمفردات ص522 .
2. أخرجه الترمذى فى كتاب الرؤيا برقم (2287) وقال : حديث حسن صـــحيح وقال الشيخ الألبانى : صحيح 540./4
3. معجم اصطلاحات الصوفية للكاشانى ص113 .
4. لطائف الإعلام 348/2 .

فيه من ليس من أهل الحق ، من اليهود والنصارى وغيرهم ، لأنه ميزان مقتصر فى زمانه على ما يتعلق بالأمور الدنيوية ، غير متعد عنها إلى شئ من الأمور الأخروية ، قال تعالى : { يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنْ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } [الروم/7] .

2- ميزان الخصوص : وهو العقل المنور بنور الشرع المطهر الهادى إلى الإيمان باللَّه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر .

3- ميزان الخصوص الظاهرى : وهو علم الشريعة المبين غايات الهيئات البدنية من الأفعال والأقوال النافعة منها والضار ، فيما يتعلق بخير العافية وشرها اللذين هما السعادة والشقاوة الأخرويان .

4- ميزان الخصوص الباطنى : وهو علم الطريقة ، المبين غايات الهيئات النفسانية والروحانية .

5- ميزان الخصوص السرى : وهو علم الحقيقة المبين لعلم أسرار المحكم تبيان كل شئ وهو القرآن المجيد ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه لقوله تعالى : { لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ } [فصلت/42] ، فهذا الكتاب هو الميزان المتضمن بيان شريعة من أرسل به ε ، وهى الشريعة العامة الحكم الشاملة النفع الجامعة خلاصة الشرائع ، المتصدية لبيان ما يحتاج إليه من تكميل الهيئات البدنية من الأفعال والأقوال ، والمتضمن لبيان دقيق علم الطريقة المتعلقة ، بتكميل الهيئات النفسانية ، والصفات الروحانية

والأحوال القلبية ، من تعديل الأخلاق ، ومعرفة آفات النفس ونحو ذلك ، والمتضمن لبيان ما يحتاج إلى تحقيقه من علوم الحقيقة المشتملة على أسرار الربوبية ، والمعرفة الحقيقية للحق تعالى .

6- ميزان المراتب : هو العبد الذى أعزه اللّه بطاعته ، ولم يذله بمعصيته فصار ميزانا للخلائق فى إعزازهم وإذلالهم ، إذ كان عز كل عزيز وذل كل ذليل ، إنما يؤذن بمرتبته .

7- ميزان خاصة الخاصة : وهو العدل الإلهى ، الذى لا يتحقق به إلا الإنسان الكامل [1] .

****

85 – النــــار

****

- **النار** : النار ترد على معنيين :

1- النار تقال للهيب الذى يبدو للحاسة ، سواء فى الدنيا أو الآخرة :

أ- فنار الدنيا كقوله تعالى : { أَفَرَأَيْتُمْ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ } [الواقعة/71] وقوله : { مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لا يُبْصِرُونَ } [البقرة/17] .

---

1. معجم اصطلاحات الصوفية للكاشانى ص113 .

وعن أبي هريرة τ أنه قال :" بعثنا رسول اللّه ε في بعث ، فقال : إن وجدتم فلانا وفلانا فأحرقوهما بالنار ، ثم قال رسول اللّه ε حين أردنا الخروج : إني أمرتكم أن تحرقوا فلانا وفلانا ، وإن النار لا يعذب بها إلا اللّه فإن وجدتموهما فاقتلوهما " [1] .

ب- ونار الآخرة أعاذنا الله منها وهى المذكورة ، فى قول الله تعالى : { النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا } [الحج/72] وقوله : { فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ } [البقرة/24] ، وعن ابن عباس τ أن النبي ε قال : " أريت النار ، فإذا أكثر أهلها النساء " [2] .

2- النار على الوجه المعنوى ، كنار الحرب المذكورة فى قوله : { كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ } [المائدة/64] [3] .

- **النار فى الاصطلاح الصوفى :**

النار تطلق فى عبارة القوم على عدة معان فمنها :

(1- النار : تطلق على اللّه ويريدون بها ظهور الحق تعالى محتجبا بالصورة النارية ، فلما كان هو الظاهر فى كل مفهوم ، الباطن على كل فهم ، صار يلتبس على الناظر عندما يراه فى كل شئ ، بحيث ينحجب بمجاليه عن تجليه

---

1. أخرجه البخارى فىكتاب الجهاد والسير برقم (3016) 6/.173
2. أخرجه البخارى فىكتاب الإيمان برقم (29) 1/.104
3. المفردات ص508 .

فينحجب عن رؤية وجوده عند ظهوره فى الموجودات ، التى كلها أشعة نوره الوجودى ، فكان الانحجاب بالنار هو المجوسية ورؤية الثنوية و، هى تشـــبيه النورية الحقية بالنار الخلقية ، قال ابن الفرض :

رأوا ضوء نورى مرة فتوهموا : نارا فضلوا فى الهدى بالأشعة [1] .

(2- النار : حال الإنسان البالغ فى أول أوان بلوغه ، عند كمال عقله فى قوتيه النظرية والعملية ، فيعبر عن هذه المعانى كلها ، بالإيناس المـــذكور فى قوله تعالى : { إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى } [طه/10] ، فإن الإنسان إذا صار مـــن أهل الإيناس المكنى عنه بكمال عقله ، صح له الدخول إلى حضرة ربه ، إذ لا ضار له ولا مانع ، إلا كونه من أهل النقص ، الذين لا يليق بهم الولـــوج فى حضرات القدس ، فإذا زال نقصه عندما صار من أهل الإيناس المكنى به عن كمال عقله ، حتى زال المانع الموجب للعبد ، تحقق بحقيقة القرب : { فَلَمَّـــا أَتَاهَا نُودِي يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى } [طه/11] [2] .

قال الكاشانى عن موسى عليه السلام فى الآية السابقة : (إذ رأى نـــارا رأى روح القدس ، التى ينقدح منها النور فى النفوس الإنسانية رآها باكتحال

1. لطائف الإعلام 354/2 وانظر تفسير القرآن الكريم منسوب لابن عربى 35/2.
2. السابق 353/2

عين بصيرته بنور الهداية ، فقال للقوى النفسانية اسكنوا ، ولا تتحركوا إذ السير إنما يصير إلى العالم القدسى ، ويتصل به عند هذه القوى البشرية من الحواس الظاهرة والباطنة الشاغلة لها إنى آنست نارا) [1] .

(3- مشاهدة الملك النازل بالوحى ، واتصاله برقيقه الإمداد من حضرة الجواد ، وعلى هذا المعنى يكون المفهوم من قوله تعالى : { يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ } [النور/35] فحال الإنسان البالغ فى كمال قابلية قلبه التقى النقى ، بحيث يكاد أن يكون فى قبوله لما يرد عليه من حرات القدس غير محتاج إلى واسطة ملك ولا سبب فهذا هو معنى النار الوارد فى آية النور [2] .

(4- النار نعيم أهلها ، ويذكر ابن عربى أن من يدخل النار ، ورودا عارضا ، فذلك لكونها طريقا إلى دار الجنان ، فإن تألموا فى أول دخولها فذلك إلى حد معلوم ، حتى إذا انتهى الحد فيهم ، أقاموا فيها بالأهلية لا بالجزاء ، فعادت النار عليهم نعيما ، فلو عرضوا عند ذلك على الجنة لتألموا لذلك العرض ، لو أخرجوا منها فى المآل لتضرروا ، فلهم فيها نعيم مقيم لا يشعر به إلا العلماء باللَّه [3] .

---

1. تفسير ابن عربى 34/2 .
2. لطائف الإعلام 354/2 .
3. الفتوحات المكية 120/4 ، ص137.

(5- قال ابن عربى : (النار وهى دار الغضب ، قال : فيضع الجبار فيها قدمه ، فتقول : قط قط أى قد امتلأت ، وليست تلك القدم إلا غضب اللَّه فإذا وضعه فيها امتلأت ، فإنها دار الغضب ، واتصف الحق بالرحمة الواسعة فوسعت رحمته جهنم بما ملأها به من غضبه ، فهى ملتذة بما اختزنته ، ورحم اللَّه من فيها أعنى فى النار فيجعل لهم نعيما فيها) [1] .

وقال أيضا : (لا تكون هذه الرحمة فى الدار الأخرة ، إلا لأهل الجنان ثم أثبت النعيم المباين لأهل الشقاء ، فالنعيم هو عين الرحمة عند سائر أهل اللَّه والنعيم منه نعيم خالص مختص بأهل الجنان ، ومنه نعيم ممتزج بالعذاب مختص بأهل جهنم :

يسمى عذابا من عذوبة طعمه : وذاك كالقشر والقشر صائن [2] .

****

86 – النعـــــلان

****

- **النعلان** : النعل ما وقيت به القدم من الأرض ، ونعل الدابة ما وقى بـــه حافرها وخفها ، ويقال لحمار الوحش ناعل لصلابة حافره ، ويقال أيضا : نعل السيف للحديدة التى فى أسفل جفنه [3] .

---

1. السابق 386/2 .
2. فصوص الحكم ص122 ، ص123 .
3. لسان العرب 667/11 ، وكتاب العين 143/2، المفردات ص499 .

وقد ورد ذكر النعلين فى القرآن ، فى موضع واحد ، فى قوله تعالى مخاطبا موسى عليه السلام : { إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى } [طه/12] ، ووردت فى السنة فى عدة مواضع منها ما روى عن عيسى بن طهمان قال : أخرج إلينا أنس نعلين جرداوين لهما قبالان ، قال أنس بن مالك τ : إنهما نعلا النبي ε " [1] .

وعن أبي هريرة τ ، أن النبي ε قال لبلال عند صلاة الفجر : " يا بلال حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام ، فإني سمعت دفَّ نعليك بين يدي في الجنة ؟ " [2] .

ومن حديثه أيضا τ قال : " أعطاني رسول اللَّه ε نعليه ، وقال : اذهب بنعلي هاتين ، فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا اللَّه مستيقنا بها قلبه ، فبشره بالجنة ، فكان أول من لقيت عمر ، فقال : ما هاتان النعلان يا أبا هريرة ؟ فقلت : هاتان نعلا رسول اللَّه ε " [3] .

- **النعلان فى الاصطلاح الصوفى :**

والنعلان فى العرف الصوفى لهما من الاصطلاحات الباطنة المعانى المتنوعة :

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب فرض الخمس برقم (3107) 244/6ومعنى جرداوين أى لا شعر عليها ، والقبال رباط النعل الذى يكون بين الإصبعين .
2. أخرجه البخارى فى الجمعة (1149) 41/3 ، ومعنى دف نعليك يعني تحريك .
3. أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان برقم (31) 59/1 .

1- المراد بخلع النعلين ، تفريغ القلب من حديث الدارين ، والتجرد للحق بنعت الإفراد [1] .

2- المراد بقوله : { فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ } تبرأ عن نوعى أفعالك وامح عن الشهود جنسى أحوالك ، من قرب وبعد ، ووصل وفصل ، وارتياح واجتياح وفناء وبقاء ، وكن بوصفنا ، فإنما أنت بحقنا ، تجرد عن جماتك واصطلم عن شواهدك [2] .

3- النعلان هما الوصفان المتضادان ، كالرحمة والنعمة ، والغضب والرضا وأمثال ذلك وهما يرتبطان بالقدمين ، فيذكر الجيلى أن القدمين عبارة عن حكمين ذاتيين متضادين ، وهما من جملة الذات ، بل هما عين الذات وأما النعلان فالوصفان المتضادان ، كالرحمة والنعمة ، والغضب والرضا وأمثال ذلك ، والفرق بين القدمين والنعلين ، أن القدمين عبارة عن المتضادات المخصوصة بالذات ، والنعلان عبارة عن المتضادات المتعدية إلى المخلوقات ، يعنى أنها تطلب الأثر فى المخلوقات ، فهى نعلان تحت القدمين ، لأن الصفات العقلية تحت الصفات الذاتية [3] .

4- والنعلان يذكر الكاشانى فى تفسيرهما : أن اللَّه لما خاطب موسى إنى أنا

---

1. لطائف الإشارات 448/2 .
2. السابق 448/2 .
3. الإنسان الكامل 4/2 .

ربك محتجبا بالصورة النارية ، التى هى أحد أستار جلالى متجليا فيها أمـــره بقوله : { فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ } أى نفسك وبدنك أو الكونين ، لأنه إذا تجرد عنهما ، فقد تجرد عن الكونين ، أى كما تجردت بروحك وسرك عـــن صفاقما ، وهيأهما حتى اتصلت بروح القدس ، تجرد بقلبك وصدرك عنهما بقطع العلاقة الكلية ، ومحو الآثار والفناء عن الصفات والأفعال ، وإنما سماها نعلين ، ولم يسمهما ثوبين ، لأنه لو لم يتجرد عن الملابس ، لم يتصل بعـــالم القدس ، والحال حال الاتصال ، وإنما أمره بالانقطاع إليه بالكلية ، كما قال : { وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلا } [المزمل/8] [1] .

****

87ـ النفـــــس

****

- **النَّفَس** : النفَس يطلق على عدة معان [2] :

الريح الداخل والخارج فى البدن من الفم والمنبخر ، وهو كالغذاء للنفس وبانقطاعه بطلانها ، ومن ذلك قول عائشة رضي اللَّه عنها : " وإني لأنهـــج حتى سكن بعض نفسي " [3] .

1. تفسير القرآن لابن عربى 35/2 .
2. لسان العرب 233/6 ، والمفردات ص501 .
3. أخرجه البخارى فى كتاب المناقب برقم (3894) 264/7.

عن جابر τ ، قال : سمعت النبي ε يقول : " إن أهل الجنة يـــأكلون فيهـــا ويشربون ، ولا يتفلون ولا يبولون ، ولا يتغوطون ولا يمتخطون ، يلـــهمون التسبيح والتحميد ، كما تلهمون النفس) [1] .

والنفس يقال للفرج : ومنه ما روى عن أبى هريرة رضى الله عنـــه ، أن النبي ε قال : " ألا إن الإيمان يمان ، والحكمة يمانية ، وأجد نفس ربكم من قبل اليمن " [2] ، وعنه أيضا τ قال ε : "من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا ، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة " [3] .

والنفس يقال للإشراق والظهور ، ومنه قول الله تعالى : { وَالصُّـــبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ } [التكوير/18] ، والنفس أيضا يقال : لحر الصيف وبرد الشتاء ، ومنه ما روى عن أبي هريرة τ ، عن رسول اللَّه ε قال : " قالت النار : رب أكل بعضي بعضا ، فأذن لي أتنفس ، فأذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفـــس في الصيف ، فما وجدتم من برد أو زمهرير ، فمن نفس جهنم ، وما وجدتم من حر أو حرور فمن نفس جهنم " [4] .

---

1. أخرجه مسلم فى كتاب الجنة برقم (2835) 2180./4.
2. أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان حديث رقم (52) ، وأ خرجه أحمد فى المسند برقم (10595) واللفظ له .
3. أخرجه مسلم فى كتاب الذكر والدعاء والتوبة برقم (2699) 2074/4 ، وابن ماجة فى المقدمة برقم (221) واللفظ له .
4. أخرجه البخارى فى كتاب بدء الخلق برقم (3260) 380/6 ، ومسلم فى كتاب المساجد برقم (617) 431/1 .

النفس فى الاصطلاح الصوفى :

النفس عند الصوفية يقال على عدة معان باطنية :

1- النفس روح يبعثه اللَّه على نار القلب ليطفئ شررها [1] .

2- النفس ترويح القلوب بلطائف الغيوب ، وصاحب الأنفاس أرق وأصفى من صاحب الأحوال ، فكان صاحب الوقت مبتدئا ، وصاحب الأنفاس منتهيا وصاحب الأحوال بينهما ، فالأحوال وسائط ، والأنفاس نهاية الترقى فالأوقات لأصحاب القلوب ، والأحوال لأرباب الأرواح والأنفاس لأهل السرائر ، وأفضل العبادات عد الأنفاس مع اللَّه سبحانه [2] .

3- النفس الرحمانى : هو حضرة المعانى ، وهو التعين الثانى لظهور المخلوقات عن نفس اللَّه ، تشبيها لظهور الحروف والأصوات عن نفس العبد قال عبد الرزاق الكاشانى : (النفس الرحمانى ، هو حضرة المعانى وهو التعين الثانى ، سمى بذلك من جهة أن النفس نفس العبد ، أمر وجدانى كامن فى باطن المتنفس منبعث منه إلى ظاهره ، حاملا لصور المعانى الحاصلة عن اختلاف مخارج الحروف ، وهى المنافذ والمقاربات ، من الصدر والحلق والحنجرة واللسان والشفة والأسنان وغير ذلك ، بحيث يصير النفس الواحد لأجل ذلك متعينا بحروف وكلمات ، متميزة ومختلفة فى صورها ، فكذا

---

1. لطائف الإعلام 358/2 .
2. الرسالة القشيرية 262/1 ، وعوارف المعارف للسهروردى ص530

التعين الثاني ، هو أول ما يتميز وينبعث من الباطن ، الذى هو التعين الأول فسمى بالنفس الرحماني لأجل ذلك ، فإن تعدد الوجود الواحد واختلاف صوره ، إنما يحصل عن اختلاف القوابل التى هى الأعيان الثابية وأحكامها وأحوالها المختلفة) [1] .

****

88ـ النقباء

****

النقباء : التنقيب البحث عن الشئ ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم من حديث أبى سعيد الخدري رضى الله عنه : " إني لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس ، ولا أشق بطونهم " [2] .

والنقيب المعنى بالأمر أو الباحث عن القوم وعن أحوالهم ، وجمعه نقباء كقوله تعالى : { وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا } [المائدة/12] ، وقال عبادة بن الصامت رضي اللَّه عنه : " إني من النقباء الذين بايعوا رسول اللَّه ε ، وقال : بايعناه على أن لا نشرك باللَّه شيئا ولا نسرق ولا نزني ، ولا نقتل النفس التي حرم اللَّه ، ولا ننتهب ولا نعصي بالجنة إن فعلنا ذلك " [3] .

---

1. السابق 358/2 ، 359 ومعجم الكاشانى ص114 وفصوص الحكم 219/1 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب المغازى برقم (4351) 665/7.
3. أخرجه البخارى فى كتاب المناقب (3893) 260/7 ، وانظر المفردات ص305 .

وقد ورد لفظ النقباء فى بعض كتب السنة على المعنى الاصطلاحى بمعنى النجباء الخلفاء ، ولكن بروايات ضعيفة لا يعول عليها ، كما روى علي بن أبي طالب τ ، قال النبي ε : " إن كل نبي أعطي سبعة نجباء أو نقباء وأعطيت أنا أربعة عشر ، قلنا من هم ؟ ، قال : أنا وابناي وجعفر وحمزة وأبو بكر وعمر ومصعب بن عمير وبلال وسلمان والمقداد وحذيفة وعمار وعبد اللَّه بن مسعود " [1] .

وفى رواية أخرى عن على τ ، قال : " سمعت رسول اللَّه ε يقول : ليس من نبي كان قبلي إلا قد أعطي سبعة نقباء وزراء نجباء ، وإني أعطيت أربعة عشر وزيرا نقيبا نجيبا ، سبعة من قريش وسبعة من المهاجرين " [2] .

وقال مسروق τ : " كنا جلوسا عند عبد اللَّه بن مسعود τ ، وهو يقرئنا القرآن ، فقال له رجل : يا أبا عبد الرحمن هل سألتم رسول اللَّه ε كم تملك هذه الأمة من خليفة ؟ ، فقال عبد اللَّه τ : ما سألني عنها أحد منذ قدمت العراق قبلك ، ثم قال : نعم ، ولقد سألنا رسول اللَّه ε فقال : اثنا عشر كعدة نقباء بني إسرائيل " [3] .

---

1. أخرجه الترمذى فى كتاب المناقب برقم (3785) 662/5 ، وقال : الترمذى حسن غريب ، وقد روي هذا الحديث عن علي موقوفا .
2. حسن غريب ، أخرجه أحمد فى المسند برقم (667) واللفظ له ، والترمذى فى كتاب المناقب برقم (3785) 662/5.
3. أخرجه أحمد فى المسند برقم (3772) فيه مجالد ين سعيد بن عمير وهو ضعيف .

النقباء فى الاصطلاح الصوفى :

والصوفية فى اصطلاح النقباء يختلفون من حيث المعنى والعدد على أقوال :

1- النقباء الإثنا عشر : هم الحواس الخمس الظاهرة ، والخمس الباطنه والقوة العاقلة النظرية والعاقلة العلمية [1] .

2- النقباء إثنا عشر فى كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون وهم من رجال العدد على عدد بروج الفلك ، والنقيب هو الذى استخرج كتر المعرفة باللَّه من نفسه لما سمع قول اللَّه عز وجل : { سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ } [فصلت/53] [2] .

3- النقباء هم الذين استخرجوا خبايا النفوس ، وهم ثلثمائة أشرقوا على بواطن الضمائر ، فاستخرجوا خفاياها لانكشاف الستائر لهم عن وجوه السرائر [3] .

4- النقباء الذين تحققوا بالاسم الباطن ، فأشرفوا على بواطن الناس فاستخرجوا خفايا الضمائر وهم ثلاثة أقسام :

أ- نفوس علوية وهى الحقائق الأمرية .

---

1. تفسير ابن عربى 315/1 .
2. الفتوحات المكية 416/4 .
3. انظر لطائف الإعلام 361/2 ، ومعجم اصطلاحات الصوفية الكاشانى ص77 واصطلاحات الصوفية لابن عربى ص4 .

ب- ونفوس سفلية وهى الخلقية .

ح- نفوس وسطية وهى الحقائق الإنسانية .

وللحق تعالى فى كل نفس منها أمانة منطوية ، على أسرار إلهية وكونية وهم ثلثمائة (1) .

****

89 ـ النكـــاح

****

- **النكاح** : قال الراغب : أصل النكاح للعقد ثم استعير للجماع ، ومحال أن يكون فى الأصل للجماع ثم استعير للعقد لأن اسماء الجماع كلها كنايات لاستقباحهم ذكره كاستقباح تعاطيه ، ومحال أن يستعير من لا يقصد فحشا اسم ما يستفظعونه لما يستحسنونه قال الله تعالى : { وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ } [النساء/6] وقوله تعالى : { فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ } [النساء/25] إلى غير ذلك من الآيات (2) .

وفى السنة ما روى أن زينب بنت جحش رضي اللَّه عنها : " كانت تفخر على نساء النبي ε وتقول : إن اللَّه أنكحني في السماء " (3) وعن المسور بن

---

1. التعريفات للجرجانى ص266 .
2. المفردات ص505 .
3. أخرجه البخارى فى كتاب التوحيد برقم (7421) 415/13 .

مخرمة τ قال : " إن عليا τ خطب بنت أبي جهل ، فسمعت بذلك فاطمة فأتت رسول اللَّه ε فقالت : يزعم قومك أنك لا تغضب لبناتك ، وهذا علي ناكح بنت أبي جهل " [1] .

ولما دخل عبد اللَّه بن عباس τ ، على عائشة قبل موتها ، وهي مغلوبة قال : " فأنت بخير إن شاء اللَّه ، زوجة رسول اللَّه ε ، ولم ينكح بكرا غيرك ، ونزل عذرك من السماء " [2] .

- النكاح فى الاصطلاح الصوفى :

والنكاح عند الصوفية يقصدون به التزاوج بين الذات اللإلهية فى خفائها بالمخلوقات العينية فى ظهورها ، عن طريق التوجه الحبى ، فالذات فى الأزل كانت كنزا مخيفا بالغيبة وانعدام الظهور ، فأرادت أن تعرف بالميل الأصلى والحب ذاتى للظهور ، هذا الحب هو الوصلة بين الخفاء والظهور ، يسرى ذلك إلى كل متعين ظاهر فى جميع مراتب التعينات ، فتلك الوصلة هى أصل النكاح السارى فى جميع الزرارى عند الصوفية [3] .

ويذكر ابن عربى أن المخلوقات زوج ، لأنها شفعت وجود الحق بعد أحديته فى الأزلية ، كما أن هناك المرأة ، شفعت بوجودها الرجل ، فصيرته

1. أخرجه البخارى فى كتاب المناقب برقم (3729) 7/ 106.
2. أخرجه البخارى فى كتاب تفسير القرآن برقم (4754) 7/ 341.
3. معجم الكاشانى ص116، 117 .

زوجا فظهرت الثلاثة ، حق ورجل وامرأة ، فحن الرجل إلى ربه الذى هـــو أصل حنين المرأة إليه ، فحبب إليه ربه النساء ، كما أحب اللَّه من هو على صورته ، فإذا شاهد الرجل الحق فى المرأة ، كان شـــهودا فى منفعـــل ، وإذا شاهده فى نفسه من حيث ظهور المرأة عنه ، شاهده فى فاعل ، وإذا شاهده فى نفسه من غير استحضار صورة ما كان شهودا فى منفعل عن الحـــق بـــلا واسطة ، فشهوده للحق فى المرأة ، أتم واكمل لأنه يشاهد الحق ، من حيث هو فاعل منفعل ، فلهذا أحب ε النساء ، لكمال شهود الحق فـــيهن ، إذ لا يشاهد الحق مجردا عن المواد أبدا ، ولما لم تكن الشهادة إلا فى مادة ، فشهود الحق فى النساء أعظم الشهود وأكمله ، وأعظم الوصلة الجماع الحلال وهو نظير التوجه الإلهى على من خلقه على صورته ليخلفه فيرى فيه نفسه [1] .

قال ابن عربى فى معنى النكاح : { يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ } [فاطر/13] فجعله اللَّه نكاحا معنويا ، لما كانت الأشياء تتولد فيهمـــا معا ، وأكد هذا المعنى بقولة :

{ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا } [الأعـــراف/54] من قولـــه : { فَلَمَّـــا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلا خَفِيفًا } [الأعراف/189] فأراد النكاح فكان [2] .

---

1. انظر فصوص الحكم ص 332، 333 ، و الفتوحـــات المكيـــة 656/2 ، وكتاب أيام الشأن ص7 .
2. السابق 116/1 .

****

90- النـــــور

****

- **النور** : الضوء المنتشر الذى يعين على الإبصار ، وذلك ضربان دنيـــوى وأخروى [1] :

1- فالدنيوى ضربان :

أ- ضرب معقول بعين البصيرة وهو ما انتشر فى الأمور الإلهية كنور العقل ونور القرآن وحجاب الحق ، فمن نور العقل قوله تعالى : { وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِـــي الظُّلُمَـــاتِ لَـــيْسَ بِخَـــارِجٍ مِنْهَـــا } [الأنعام/122] ومن نور القرآن : { قَدْ جَاءَكُمْ مِنْ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُـــبِينٌ } [المائدة/15] .

ومن النور الذى هو حجاب الحق ، ما روى عن أبي موسى الأشـــعرى τ قال : " قام فينا رسول اللَّه ε بخمس كلمات ، وذكر منها .. حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه " [2] .

ب- ومحسوس بعين البصر ، وهو ما انتشر من الأجسام النيرة كالقمر بين النجوم والنيران فى الظلمة نحو قوله : { هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا } [يونس/5] ، وتخصيص الشمس بالضوء ، والقمر بالنور من حيـــث إن

1. المفردات ص508 ، ولسان العرب 240/5 .

2. أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان برقم (179) 161/1.

الضوء أخص من النور قال : { وَقَمَرًا مُنِيرًا } [الفرقان/61] أى ذا نور .

2- ومن النور الأخروى قوله تعالى : { يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا } [الحديد/13] ، وسمى اللَّه تعالى نفسه نورا من حيث إنه هو المنور ، قال تعالى : { اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ } [النور/35] وتسميته تعالى بذلك لمبالغة فعله .

- **النور فى الاصطلاح الصوفى :**

والنور فى اصطلاح الصوفية يطلق على عدة معانى :

1- النور كل وارد إلهى يطرد الكون عن القلب [1] .

2- النور نور الوجود ، يقول ابن عربى : ولله نور منبسط على جميع الموجودات يسمى نور الوجود واللَّه تعالى أخرجنا من ظلمة العدم إلى نور الوجود ، فكنا نورا بإذن ربنا إلى صراط العزيز الحميد ، فنقلنا من النور إلى ظلمة الحيرة [2] .

3- النور نور الشهود يقول محى الدين بن عربى : من عرف نفسه عرف ربه ، فيعلم أنه الحق ، فيخرج العارف المؤمن الحق بولايته ، التى أعطاه اللَّه

1. انظر اصطلاحات الصوفية لابن عربى ص14 معجم الكاشانى ص176 ، ورشح الزلال ص141 .

2. الفتوحات 412/3 .

من ظلمة الغيب إلى نور الشهود فيشهد ما كان غيبا له ، فيعطيه كونه مشهودا [1] .

4- النور روح والجسد ظلمة ، قال تعالى : { مَثَلُ نُورِهِ } أى صفة وجوده وظهوره فى العالمين بظهورها به كمثل : { كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ } وهى إشارة إلى الجسد ، لظلمته فى نفسه ، وتنوره بنور الروح [2] .

5- النور هو الوجود المطلق ، قال تعالى : { اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ } [النور/35] لما وجد الوجود بوجوده وظهر بظهوره ، كان نور السماوات والأرض ، أى مظهر سماوات الأرواح وأرض الأجساد ، وهو الوجود المطلق الذى وجد به ما وجد من الموجودات والإضاءة [3] .

6- النور الإلهى : هو المعبر عنه باللوح المحفوظ ، وهو نور ذات اللَّه تعالى ونور ذاته عين ذاته ، لاستحالة التبعيض والانقسام عليه ، فهو حق مطلق وهو المعبر عنه بالنفس الكلية [4] .

7- النور الأحدى : نور محمد ε وهو التجلى الأول ، وهو عبارة عن

---

1. السابق 147/4 .

2. تفسير ابن عربى 140/2 وانظر السابق 53/2 .

3. تفسير ابن عربى 140/2 .

4. الإنسان الكامل للجيلى 7/2 .

ظهور الذات لذاتها فى عين وحدتها فلكونه أول التعينات قال ε : " أول مـــا خلق اللَّه نورى " [1] ، وهو أصل جميع الأسماء الإلهية [2] .

8- النور الأخضر : يطلق على الصديقية ، فالصادق يتحـــول إلى صـــديق والصديق يبقى فى مقام الصديقية ، والصديقية نور أخضر بين نورين يحصل بذلك النور شهود عين ما جاء به المخبر ، من خلف حجاب الغيب بنور الكرم [3] .

****

91ـ النـــــون

****

- **النون** : يراد به أمران :

1- النون : حرف من حروف العربية ، ورد فى قوله تعالى : { ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ } [القلم/1] وقد اختلف المفسرون فى الحروف المقطعة التى فى أوائل السور ، فمنهم من قال : هى مما استأثر فى علمه ، ومنهم من قال : فـــواتح السور من أسماء اللَّه تعالى ، وقال آخرون : بل إنما ذكرت هذه الحروف فى أوائل السور التى ذكرت فيها ، بيانا لإعجاز القرآن ، وأن الخلق عـــاجزون

1. حديث ضعيف تقدم تخريجه ص1119 .
2. لطائف الإعلام 366/2 .
3. الفتوحات المكية 92/2 .

عن معارضته بمثله ، هذا مع أنه مركب من هذه الحـــروف المقطعـــة الـــتى يتخاطبون بها وهو ما رجحه ابن كثير [1] .

2- النون : الحوت لما روى عن ثوبان τ ، مولى رسول اللَّه ε : " أن حبار من أحبار اليهود ، سأل النبى ε فى مسائل ذكر منها : قال اليهـــودي فمـــا تحفتهم حين يدخلون الجنة ؟ ، قال ε : زيادة كبد النون " [2] ، وفى رايـــة أخرى عن أبي سعيد الخدري τ قال الحبر : " ألا أخبرك بإدامهم؟ إدامهـــم بالامٌ ونون ، قالوا : وما هذا ؟ ، قال : ثور ونون يأكل من زائدة كبـــدهما سبعون ألفا " [3] .

وعن مكحول τ ، قال رسول اللَّه ε : " فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم ، ثم تلا هذه الآية : { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ } [فاطر/28] إن اللَّه وملائكته وأهل سماواته وأرضيه والنون في البحر يصـــلون على الذين يعلمون الناس الخير) [4] .

النون فى الاصطلاح الصوفى :

والنون فى عرف الصوفية ، اصطلاح يعنى علم الإجمال فى مقابل القلم

---

1. تفسير ابن كثير 1/ 37 ، 38 .
2. أخرجه مسلم فى كتاب الحيض برقم (315) 1/252.

3. أخرجه مسلم فى كتاب صفة الجنة برقم (2792) 2151/4 .
4. أخرجه الدارمى فى المقدمة برقم (289) ، والترمذى بلفظ الحوت بدلا من النون فى كتاب العلم برقم (1685) .

الذى هو علم التفصيل [1] .

يقول الكاشانى : (ن فى قوله تعالى : { ن وَالْقَلَمِ } هو العلم الإجمالى فى الحضرة الأحدية ، والقلم حضرة التفصيل ، فالنون هى الدواة التى فيها مداد العلم ، فإن الحروف التى هى صورة العلم موجودة فى مدادها إجمالا) [2] .

وفى تفسير قول الله تعالى : { ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ } [القلم/1] ، قال الكاشانى : (ن هو النفس الكلية والقلم هو العقل الكلى ، والأول من باب الكناية بالاكتفاء من الكلمة بأول حروفها ، والثانى من باب التشبيه إذ تنتقش فى النفس صور الموجودات بتأثير العقل ، كما تنتقش الصور فى اللوح بالقلم ، وما يسطرون من صور الأشياء وماهيتها وأحوالها المقدرة على ما يقع عليها) [3] .

ويقول عبد الكريم الجيلى : (النون عبارة عن انتعاش صور المخلوقات بأحوالها وأوصافها ، كما هى عليه جملة واحدة ، وذلك الانتعاش هو عبارة عن كلمة اللّه تعالى لها كن) [4] .

---

1. اصطلاحات ابن عربى ص14 .

2. لطائف الإعلام 365/2 ، ومعجم الكاشانى ص 118 ، والتعريفات ص267 .
3. تفسير القرآن لابن عربى 683/2 .
4. الإنسان الكامل 24/1 .

****

92ـ الواقعـــــة

****

- **الواقعة** : الواقعة لا تقال إلا فى الشدة والمكروه وأكثر ما جاء فى القـــرآن من لفظ وقع جاء فى العذاب والشدائد والواقعة اسم من أسماء القيامة [1] .

قال تعالى : { إِذَا وَقَعَتْ الْوَاقِعَةُ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ } [الواقعة/2:1] ، وقال سبحانه : { فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ وَحُمِلَتْ الأَرْضُ وَالْجِبَـــالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتْ الْوَاقِعَةُ } [الحاقة/15:13] .

وربما عبر عن الوقوع بالجماع لما روى عن أبى هريرة τ ، قال : " بينمـــا نحن جلوس عند النبي ε إذ جاءه رجل فقال : يا رسول اللَّه هلكت وقعـــت على امرأتي وأنا صائم " [2] .

ويعبر عن الوقوع أيضا بتقسيم المكان ، كما روى عن جابر بن عبـــد τ أن رسول اللَّه ε قال فى الشفعة : " إذا وقعت الحدود ، وصرفت الطرق فلا شفعة " [3] .

1. لسان العرب 402/8 ، والمفردات ص531 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب الصوم برقم (1936) 193/4 .
3. أخرجه البخارى فى كتاب البيوع برقم (2213) 476/4 .

- **الواقعة فى الاصطلاح الصوفى :**

والواقعة فى العرف الصوفى : تعنى ما يرد على القلب من ذلك العلم بأى طريق كان من خطاب أو مثال ، قال الكاشانى : (الواقعة ما يرد على القلب من عالم الغيب بأى طريق كان) [1] ، ويذكر التهانوى أن الواقعة فى العرف الصوفى ، تطلق على ما يراه السالك من الوقع أثناء الذكر واستغراق حاله مع اللَّه بحيث يغيب عنه المحسوسات ، وهو بين النوم واليقظة [2] .

****

93- الوطـــــر

****

- **الوطر** : الوطر النهمة والحاجة والمهمة ، قال الخليل بن أحمد : (الوطر كل حاجة يكون لك فيها همة فإذا بلغها البالغ قيل قضى وطره وأربه ولا يبنى منه فعل) [3] ، قال اللَّه عز وجل : { فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا

1. اصطلاحات الصوفية لابن عربى ص12 ، ومعجم اصطلاحات الصوفية للكاشانى ص 73 لطائف الإعلام 380/2 .
2. كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى 1488 .
3. كتاب العين 446/7 .

مِنْهُنَّ وَطَرًا } [الأحزاب/37] ، يقصد بذلك الطلاق [1] وقال عبـــد الله بـــن عباس رضى الله عنهما : " الطلاق عن وطر والعتاق ما أريد به وجه اللَّـــه " [2] .

الوطر فى الاصطلاح الصوفى :

والوطر فى الاصطلاح الصوفى ، منية محمودة خارجة عن نعت البشـــرية وحظوظ النفسانية ، ويقال : فلان هو المتمكن فى وطنه ، والمعلى فى وطـــره كما أنشدوا : ترحلت يا ليلى و لم أقضى أوطارى

وما زلت محزونا أحن إلى دارى [3] .

وقال ذو النون المصرى :

أموت وما ماتت إليك صبابتى : ولا قُضيت عن ورد حبك أوطارى

مناى المنى كل المنى أنت لى منى : وأنت الغنا كل الغنا عند افتقارى [4]

وقيل لحكيم : أى المواطن أحب للسكون والتوطن فيه ؟ ، فقال : أحب المواطن إلى صاحبه موطن ، إذا دعا فيه أوطاره أجابته [5] .

1. المفردات ص526
2. البخارى فى كتاب الطلاق ، باب الطلاق في الإغلاق 300/9 .
3. اللمع ص445 .
4. السابق ص445 .
5. السابق ص445 .

****

94ـ الوطـــــن

****

- **الوطن** : الوطن يتنوع مدلوله اللغوى على ما يأتى :

1- الوطن بلد المرء ومحل إقامته ، وقال الزهرى : " إنما صلى عثمان بمـــنى أربعا لأنه اتخذها وطنا ، وأجمع على الإقامة بعد الحج " [1] .

ومن حديث قيلة بنت مخرمة قالت : " فلما رأيته قد أمر لحريث بن حسان بالدهناء شخص بي وهي وطني وداري ، فقلت : يا رسول اللَّه إنه لم يسألك السوية من الأرض .. " [2] .

وعن ابن مسعود τ عن النبي ε قال : " حتى إن الحجر والشجر ليقول يا مسلم إن تحتي كافرا فتعال فاقتله قال فيهلكهم اللَّه ثم يرجع الناس إلى بلادهم وأوطانهم قال فعند ذلك يخرج يأجوج ومأجوج " [3] .

1. أخرجه البخارى فى كتاب الجمعة برقم (1084) أبو داود فى كتاب المناسك برقم (1960) واللفظ له .

2. أخرجه أبو داود فى كتاب الخراج برقم (3070) وقال الشيخ الألبانى : ضعيف الإسناد 177/3 .

3. صحيح الإسناد ، أخرجه ابن ماجة فى الفتن برقم (4081) 1365/2، وأحمد فى المسند برقم (3546) واللفظ له .

2- توطين النفس على الشئ تعودها عليه ، لما روى عن حذيفة أن رسول اللَّه ε قال : " لا تكونوا إمعة ، تقولون : إن أحسن الناس أحسنا ، وإن ظلموا ظلمنا ، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا ، وإن أساءوا فلا تظلموا " [1] .

يقال : وطن نفسه على كذا أى عزم علية ونوى فعله ، لحديث أبي سعيد الخدري τ ، أن رسول اللَّه ε قال فى شأن يأجوج ومأجوج : " فيترل منهم رجل قد وطن نفسه على أن يقتلوه ، فيجدهم موتى فيناديهم : ألا أبشروا فقد هلك عدوكم " [2] .

وقال جابر بن عبد اللَّه τ فى شأن والده الذى توفي وترك عليه عشرين وسقا تمرا دينا : " وقد وطنت نفسي ، أن أشتري لهم من العجوة ، أوفيهم العجوة الذي على أبي ، فأوفيتهم والذي نفسي بيده عشرين وسقا " [3] .

والموطن المشهد من مشاهد الحرب ، كقوله تعالى : { لَقَدْ نَصَرَكُمْ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ } [التوبة/25] [4] .

1. أخرجه الترمذى فى كتاب البر والصلة برقم (2007) وقال : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وقال الألبانى : ضعيف 364./4
2. أخرجه ابن ماجة فى كتاب الفتن برقم (4079) وقال الشيخ الألبانى : حسن صحيح 1363./2
3. أخرجه البخارى فى كتاب البيوع برقم (2127) ، وأخرجه أحمد فى المسند برقم (14587) واللفظ له .
4. فتح القدير 347/2 .

- **الوطن فى الاصطلاح الصوفى :**

والوطن فى عرف الصوفية هو وطن العبد ، حيث انتهى به الحال واستقر به القرار ، ويقال : توطن فى حال كذا ومقام كذا ، وقال الجنيد بن محمد : (إن لله عبادا على وطنات مطى حملانه يركبون ، والسرعة والبدار إليه يستبقون [1] ، وقال أبو الحسين النورى :

أما ترى هيمنى شردنى عن وطنى

إذا تغيبت بدا وإن بدا غيبنى

يقول لا تشهد ما تشهد أو تشهدنى [2] .

وقال أبو سليمان الدارانى : الإيمان أفضل من اليقين ، لأن الإيمان وطنات واليقين خطرات [3] ، ويقول الهجويرى : (الوطنات ما يتوطن فى السر من المعانى الإلهية) [4] .

1. اللمع ص446 .
2. السابق ص446 .
3. السابق ص446 .
4. كشف المحجوب ص628 .

****

95ـ الوقفـــــة

****

ـ **الوقفة** : يقال وقفت الدار إذا سبلتها ، وعن عبد الله بن عمر رضي اللَّـــه عنهما : " أن عمر اشترط في وقفه ، أن يأكل من وليه ، ويؤكل صديقه غير متمول مالا " [1] .

والوقيفة الوحشية التي يلجئها الصياد إلى أن تقف حتى تصاد [2] ، وقـــال تعالى : { وَلَوْ تَرَى إِذْ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ } [سبأ/31] وقال سبحانه : { وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ } [الصافات/24] .

والوقفة تطلق على وقوف الحجيج يوم عرفات ، فعن ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال : " بينا رجل واقف مع النبي ε بعرفة ، إذ وقـــع عـــن راحلتـــه

فوقصته أو قال : فأقعصته ، فقال النبي ε : اغسلوه بماء وسدر وكفنـوه في ثوبيه ، ولا تحنطوه ولا تخمروا رأسه ، فإن اللَّه يبعثه يوم القيامة يلبي " [3] .

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب الوصايا برقم (2778) 477/5 .
2. المفردات ص530 ، ولسان العرب 359/9 .
3. أخرجه البخارى فى كتاب الحج برقم (1849) 76/4 ومسلم فىكتاب الحـج برقم (1206) 865/2

- **الوقفة فى الاصطلاح الصوفى :**

والوقفة عند الصوفية هى الحبس بين المقامين ، وذلك لعـدم اسـتيفاء حقوق المقام الذى خرج عنه ، وعدم استحقاق دخوله فى المقام الأعلى فكأنه فى التجارب بينهما [1] .

يقول محى الدين بن عربى : (فإن الإنسان السالك ، إذا انتقل من مقام قد أحكمه وحصله تخلقا وذوقا وخلقا إلى مقام آخر يريد تحصيله أيضا ، يوقف بين المقامين وقفة ، يخرج حكم تلك الوقفة عن حكم المقامين ، يعـرف فى تلك الوقفة بين المقامين آداب المقام الذى ينتقل إليه ، وما ينبغى أن يعامل به الحق) [2] .

ويقول الكاشانى : (الوقفة هى التوقف بين المقامين ، لقضاء ما بقى عليه من الأول ، والتهيؤ لما يرتقى إليه بآداب الثانى) [3] .

1. رشح الزلال ص96 .
2. الفتوحات المكية حـ6 فقرة 65 .
3. معجم اصطلاحات الصوفية للكاشانى ص79 ، وانظر اصطلاحات الصوفية لابن عربى ص 40 ، والتعريفات ص274 .

****

96- الياقوتـــــة

****

- **الياقوتة** : الياقوت أحد الأحجار الكريمة ، رد ذكرها فى القرآن والسـنة على المعنى الظاهر ، قال تعالى : { كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَان } [الرحمن/58] وعن عبد اللَّه بن مسعود τ عن النبي ε قال : " إن المرأة من نساء أهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة حتى يرى مخها ، وذلك بأن اللَّه يقول : { كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ } ، فأما الياقوت ، فإنه حجر لو أدخلت فيه سلكا ، ثم استصفيته لأريته من ورائه " [1] .

وعن المقدام بن معدي كرب τ قال : " قال رسول اللَّه ε للشهيد عند اللَّه ست خصال ، وذكر منها : ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها " [2] .

الياقوتة فى الاصطلاح الصوفى :

الياقوتة لها معنى باطن يختلف معنى حسب اللون المضاف إليها :

---

1. الحديث ضعيف أخرجه الترمذى فى كتاب صفة الجنة بـــرقم (2533) وقـــال الشيخ الألبانى : ضعيف 676/4 .
2. أخرجه الترمذى فى كتاب فضائل الجهاد برقم (1663) وقال الشيخ الألبانى : صحيح 187/4.

1- الياقوتة البيضاء : حقيقة الحقائق ، وتفسيرها عندهم أن اللَّه تعالى قبل أن يخلق الخلق ، كانت الموجودات مستهلكة فيه ، و لم يكن له ظهور فى شئ من الوجود ، وتلك هى الكترية المخفية ، وحقيقة الحقائق التى فى وجودها ليس لها اختصاص بنسبة من النسب ، لا إلى ما هو أعلـــى ولا إلى ما هو أدنى ، وهى الياقوتة البيضاء ، فلما أراد الحق ســبحانه وتعالى إيجاد هذا العالم ، نظر إلى حقيقة الحقائق ، وإن شئت قـــل إلى الياقوتة البيضاء ، التى هى أصل الوجود ، فذابت وصارت ماء ، ثم نظر إليها بنظر العظمة ، فتموجت لذلك ، كما تموج الأرياح بـــالبحر فانفهقت كثائفها بعضها فى بعض ، كما ينفهق الزبد مـــن البحـــر فخلق اللَّه من ذلك المنفهق سبع طباق الأرض ، ثم خلق سكان كـــل طبقة من جنس أرضها ، ثم صعدت لطائف ذلك الماء ، كما يصـــعد البخار من البحار ، ففتقها اللَّه تعالى سبع سموات ، وخلق ملائكة كل سماء من جنسها ، ثم صير اللَّه ذلك الماء سبعة أبحر محيطة بالعالم ، فهذا

أصل الوجود جميعه ، ثم إن الحق تعالى ، كما كان فى القدم موجودا فى العماء التى عبر عنها بحقيقة الحقائق ، والكنز المخفى ، والياقوتة البيضاء كذلك هو الآن موجود فيما خلق من تلك الياقوتة ، بغير حلـــول ولا مزج ، فهو متجل فى جميعها ، لأنه سبحانه وتعالى على ما عليه كـــان وقد كان فى العماء ، وقد كان فى اليباقوتة البيضاء [1] .

1. الإنسان الكامل 58/2 .

2- الياقوتة الحمراء :هى النفس الكلية ، لامتزاج نوريتها بظلمة التعلق بالجسم ، فهى أجل الجواهر الترابية الأرضية [1] ، وقال محى الدين بن عربى : (ومن خواص الأحجار ، حجر الياقوت الأحمر ، وآيته من كتاب اللَّه : { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ } [الشورى/11] وخاصيته إذا كان الإنسان مشاهدا له من جهة روح قدسى ، فإنه يعلم من العلوم المتعلقة بذات الحق ما لا يطلع عليه غيره ، فإن كان مشاهدا له من جهة نفسه الغضبية ، وصادف جبارا من الجبابرة ، فإنه يذل له ويخضع لما يجد له فى نفسه من التعظيم وإن كان توعده عفا عنه) [2] .

3- الياقوت الأزرق : يقول ابن عربى : (ومن خواص الأحجار حجـــر الياقوت الأزرق ، وآيته من كتاب اللَّه تعالى : { وَاللَّـــهُ يَحْكُـــمُ لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ } [الرعد/41] ، وهو الذى يعطى الربانيـــة للإنســـان ، مخصوص بأصحاب الأحوال والخلق) [3] .

4- الياقوت الأصفر : وهو مخصوص بأصحاب المقامات ، يقول ابن عربى : (وحجر الياقوت الأصفر آيته من كتاب اللَّه تعالى : { وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ } [الصافات/96] ، وخاصيته العبودية والذلة والافتقار وهو مقام مشترك من حصل له جهل حالة) [4] .

---

1. معجم الكاشانى ص87 ، لطائف الإعلام 403/2 .
2. التدبيرات الإلهية فى إصلاح المملكة الإنسانية ص188 .
3. السابق ص189 .
4. السابق ص189 .

****

97- اليتـــــم

****

- **اليتم** : اليتم الانفراد ، و اليتيم الفرد ، و اليتم فقدان الأب ، قال ابن السكيت : اليتم في الناس من قبل الأب ، وفي البهائم من قبل الأم ، ولا يقال لمن فقد الأم من الناس يتيم ، ولكن منقطع ، وقال ابن بري : اليتيم الذي يموت أبوه ، والعجي الذي تموت أمه ، واللطيم الذي يموت أبواه ويقال : هو يتيم حتى يبلغ الحلم ، اليتم انقطاع الصبى عن أبيه قبل بلوغه وفى سائر الحيوانات من قبل أمه [1] ، قال الله تعالى : { أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى } [الضحى/ 6] ، وقال سبحانه : { وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا } [الإنسان/8] وجمعه يتامى ، قال تعالى : { وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ } [النساء/2] وكل منفرد يتيم [2] .

وعن أبي هريرة τ ، أن النبي ε قال : " اجتنبوا السبع الموبقات ، قالوا : يا رسول اللَّه ، وما هن ؟ ، قال : الشرك باللَّه والسحر وقتل النفس التي حرم اللَّه إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات " [3] ، وقال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما

1. لسان العرب 645/12 .
2. المفردات ص550 .
3. أخرجه البخارى فى كتاب الوصايا برقم (2767) 462/5 .

عندما سأل عن اليتيم ، متى ينقطع عنه اسم اليتم ؟ : " لا ينقطع عنه اسم اليتم حتى يبلغ ويؤنس منه رشد " [1] .

- **اليتم فى الاصطلاح الصوفى :**

واليتم عند الصوفية ، هو وصف العبد الذى يجعل نفسه عبدا للمحبة ويوصف بمن له التجريد الظاهرى والتفريد الباطنى ، واليتم عندهم من مراتب المحبة [2] .

وفى تفسير قوله تعالى : { أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى } [الضحى/ 6] قال عبد الرزاق الكاشانى : ألم يجدك محجوبا بصفات النفس ، عن نور أبيك الحقيقى الذى هو روح القدس منقطعا عنه ضائعا ، فآواك إلى جنابه ورباك فى حجر تربيته وتأديبه ، وكفلك أباك ليعلمك ويزكيك [3] .

أما قوله تعالى : { وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا } [النساء/2] فمعناها : آتوا

يتامى قواكم الروحانية ، المنقطعين عن تربية الروح القدسى ، معلوماتهم وكمالاتهم وربوهم بها ، ولا تتبدلوا الخبيث من المحسوسات ، والخياليات والوساوس ودواعى الوهم وسائر قوى النفس التى هى أموالها ، بالطيب منها

1. أخرجه مسلم فى الجهاد والسير برقم (1812) 1444/3 .
2. التهانوى ص1544 .
3. تفسير القرآن لابن عربى 820/2 .

ولا تخلطوها بها ، فيشتبه الحق بالباطل ، وتستعملوها فى تحصيل لذاتكم الحسية ، وكمالاتكم النفسية ، فتنتفعوا بها فى مطالبكم الخسيسة الدنيوية إنه كان حوبا وحجبة وحرمانا كبيرا [1] .

****

98- اليـــــدان

****

- اليدان : صفة من أوصاف الذات ، إذا أضيفت إلى الإنسان ، فإنها تعنى الجارحة المعلومة فى المعنى والكيفية ، كقول الله تعالى : { وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ } [النمل/12] .

وكما روى عن أبى موسى الأشعرى τ ، أن النبي ε دعا بقدح فيه ماء فغسل يديه ووجهه فيه [2] .

وإذا أضيفت اليد إلى اللَّه فهى معلومة المعنى مجهولة الكيف ، كقوله تعالى : { قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَاسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنْ الْعَالِينَ } [ص/75] ، وكقوله : { وَقَالَتْ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ } [المائدة/64] .

1. السابق 1/ 253، 254 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب الوضوء برقم (196) 361/1 .

وعن أبي هريرة τ ، أن رسول اللَّه ε قال : " يد اللَّه ملأى ، لا يغيضها نفقة ، سحاء الليل والنهار ، وقال : أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض ، فإنه لم يغض ما في يده ، وقال : عرشه على الماء ، وبيده الأخرى الميزان يخفض ويرفع " [1] ، وقد ترد اليد على وصف من أوصافها كالنعمة أو القوة أو القدرة [2] .

- **اليدان فى الاصطلاح الصوفى :**

واليدان فى الاصطلاح الصوفى : هما أسماء اللَّه المتقابلة فى الحضرة الأسمائية فالحق تعالى خلق الإنسان بيديه أى ظهر فيه كمالات أسمائه وصفاته المتقابلة جلال وجمال ولما كانت الحضرة الأسمائية تجمع حضرتى الوجوب والإمكان قال بعضهم : إن اليدين هما حضرتا الوجوب والإمكان [3] .

قال عبد الرزاق الكاشانى فى قوله تعالى : { قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ } [ص/75] ، أى خلقته بصفتى الجمال والجلال

والقهر واللطف ، وجميع أسمائى المتقابلة ، المندرجة تحت صفتى القهر والمحبة لتحصل عند الجمعية الإلهية فى الحضرة الواحدية ، بخلاف حال الملأ الأعلى فإن من خلق منهم بصفة القهر لا يقدر على اللطف وبالعكس [4] .

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب التوحيد برقم (7411) 404/3 .
2. المفردات ص550 .
3. لطائف الإعلام 403/2 ، ومعجم الكاشانى ص87 .
4. تفسير القرآن لابن عربى 366/2 .

ويقول ابن عربى : (وصف نفسه تعالى بأنه جميل وذو جلال ، فأوجدنا على هيبة وأنس ، وهكذا جميع ما ينسب إليه تعالى ويسمى به ، فعبر عن هاتين الصفتين باليدين اللتين توجهتا منه على خلق الإنسان الكامل لكونه الجامع لحقائق العالم ومفرداته ، فما جمع اللَّه لآدم بين يديه إلا تشريفا ، ولهذا قال لإبليس : { مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ } [ص/75] وما هو إلا عين جمعه بين الصورتين صورة العالم وصورة الحق وهما يد الحق) [1] .

****

99ـ يوم الجمعة

****

- **يوم الجمعة** : أحد أيام الأسبوع ، واليوم يعبر به عن وقت طلوع الشمس إلى غروبها ، وقد يعبر به عن أى مدة كانت [2] .

فمن الأول : قول الله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي للصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُون َ } [الجمعة/9] وعن أبي سعيد الخدري τ عن النبي ε قال : " الغسل يوم الجمعة ، واجب على كل محتلم " [3] .

1. فصوص الحكم 54؟55/1 .
2. المفردات فى غريب القرآن ص553 .
3. أخرجه البخارى فى كتاب الأذان برقم (858) 401/2 .

وقال عمر بن الخطاب τ يوم العيد : " هذان يومان نهى رسول اللَّه ε عن صيامهما ، يوم فطركم من صيامكم واليوم الآخر تأكلون فيه من نسككم " [1]
ومن الثانى : قوله تعالى : { نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلا يَوْمًا } [طه/104] وقال ورقة بن نوفل لرسول اللَّه ε : " هذا الناموس الذي نزل اللَّه على موسى .. وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا " [2] .

- **يوم الجمعة فى الاصطلاح الصوفى :**

والصوفية يطلقون يوم الجمعة على عدة معان :

1- يوم الجمعة : وقت اللقاء والوصول إلى عين الجمع ، إذ هو اليوم الذى ظهرت فيه جميع الصفات ، وسمى هذا الظهور عين الجمع لاجتماع الكل فيه ولهذا المعنى سميت الجمعة ج معة ، واتفق أهل الملل كلها من اليهود وغيرهم أن اللَّه فرغ من خلق السماوات والأرض فى يوم السابع [3] .

2- يوم الجمعة : وصول السالك إلى مقام المشاهدة المعبر عنها بلقاء الحق [4] .

3- يوم الجمعة : يعنى به وقت مطلق اللقاء ، أى وقت كـــان مـــن أوقـــات الابتداء ، أو فيما بعد ذلك ، كما قال عمرو بن الفارض :

وكل الليالى ليلة القدر إن دنت : كما كل أيام اللقا يوم الجمعة [5] .

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب الصوم برقم (1990) 280/4 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب بدء الوحى برقم (4) 47/1 .
3. معجم الكاشانى ص87 وتفسير ابن عربى 643/2.
4. لطائف الإعلام 407/2 .
5. السابق 40/2 .

الخاتمة

خاتمة البحث وأهم النتائج والتوصيات

إن البحث فى الأصول القرآنية للمصطلح الصوفى يجذب الدارسين إلى بذل الجهد فى إنصاف أهل الحق ، ودفع شبه المغرضين الذين حاولوا تشويه الصورة الحقيقية للحياة الروحية فى الإسلام ، وإلصاقها بمصدر أجنبى ، أو تعكير صفوها بدس أفكار فلسفية غريبة ، أو بث معان وافدة سقيمة تحت ألفاظ القرآن والسنة ، التى تناولها الصوفية فى مقاماتهم وأحوالهم ومدارج السالكين إلى ربهم ، فالمعتدلون من أوائل الصوفية حجة على الآخرين بحسن اعتقادهم والتزامهم بالقواعد الأساسية التى تمثل اتفاقا وثيقا وأصولا راسخة فى اعتقاد المسلمين ، فعظموا كتاب الله وسنة رسوله ε ، ولم يجوزوا لأحد أن يخالفهما ، تحت أى دعوى أو فكر ، وإن حسنت النوايا .

لقد تناولت هذه الرسالة البحث عن الأصول القرآنية للمصطلح الصوفى من جانبين أساسيين : أحدهما نظرى ، والآخر تطبيقى معجمى ففى الجانب النظرى ،جاء الحديث عن معرفة الضوابط اللازمة للاستدلال بالقرآن وكيفية فهمه على النحو الذى أراده الله عز وجل ، وتناول أيضا منزلة القرآن والسنة عند الصوفية ، وأن الأوائل منهم أجمعوا أن القرآن كلام الله تعالى على الحقيقة ، وأنه ليس بمخلوق ولا محدث وأنه متلو بألسنتنا مكتوب فى مصاحفنا محفوظ فى صدورنا غير حال فيها ، كما أن الله تعالى ، معلوم بقلوبنا مذكور بألسنتنا ، معبود فى مساجدنا غير حال فيها ، وأنهم أجمعوا أن

جميع ما فرض الله تعالى على العباد فى كتابه وأوجبه رسول الله ε فرض واجب ، وحتم لازم على العقلاء البالغين ، لا يجوز التخلف عنه ، ولا يسع التفريط فيه بوجه من الوجوه لأحد من الناس من صديق وولى وعارف ، وإن بلغ أعلى المراتب ، وأعلى الدرجات ، وأشرف المقامات وأرفع المنازل ، وأنه لا مقام للعبد تسقط معه آداب الشريعة من إباحة ما حظر الله ، أو تحليل ما حرم الله ، أو تحريم ما أحل الله ، أو سقوط فرض من غير عذر ولا علة والعذر والعلة ما أجمع عليه المسلمون ، وجاءت به أحكام الشريعة ، ومن كان أصفى سرا وأعلى رتبة وأشرف مقاما فإنه أشد اجتهادا ، وأخلص عملا وأكثر توفيقا .

كما تناول البحث النظرى أيضا ، ضوابط تفسير القرآن الكريم ، ومفهوم التأويل فى القرآن والسنة واصطلاح المتأخرين ، وبيان أنواع التأويلات الباطلة التى يحترز منها ، ثم طريقة الصوفية فى تفسيرهم للقرآن ، والأدلة من القرآن والسنة على جواز التفسير الإشارى ، مع آراء العلماء والمستشرقين فى التفسير الصوفى ، ثم الشروط التى يمكن بها قبول التفسير الصوفى ، وأمثلة على ذلك .

وقد كان من أهم الموضوعات التى تناولها البحث التعرف على ينابيع المصطلح الصوفى ، ودراسة مقتضبة للمعاجم الصوفية ، فقد تم انتقاء المؤلفات الينبوعية للمصطلحات الصوفية بنوعيها ، أعنى المصطلحات الصوفية ذات الأصول القرآنية والنبوية ، وهى مصطلحات مكونة من ألفاظ

قرآنية أو نبوية ، وموضوعة على معانيها أو معان أخرى تجيزهـا الأصـول القرآنية والنبوية ، أو المصطلحات الصوفية ، ذات الألفاظ القرآنية والنبويـة وهى مصطلحات صوفية مكونة من ألفاظ قرآنية أو نبوية ، منفصلة الدلالة عن معانيها الواردة فى الكتاب والسنة ، وموضوعة على معـان أخـرى استحدثها الصوفية ، وتداولوا الألفاظ عليها ، هذه المؤلفات الينبوعية التى شكلت أمهات الكتب الصوفية تم انتقاؤها من التراث الصوفى حتى القـرن العاشر الهجرى ، لأن التأليفات التى حُققت بعد هذا التاريخ هى فى مجملها إعادة ، وتبسيط للدلالات القديمة لهذه المصطلحات ، أو شروح لهـا وملخصات .

وبعد الاطلاع على ما هو مشهور ومؤكد الأهمية فى مضمار التصوف فى تلك الحقبة التى تمثل فترة العزو والصفاء للتآليف فى التصوف الإسلامى أمكن حصر الاختيار بعد تكلف وعناية فى عشرة مؤلفات أمدتنا بجل ما للصوفية من ألفاظ ومعان خاصة ، هذا علاوة على تتبع أقوال الصوفية وإشارات أعلامهم فى متفرقات ما أثر عنهم فى التراث الصوفى ، والاستعانة أيضا بالمعاجم الصوفية الحديثة ، والمعاجم العلمية العامة التى تتناول ألفاظ الصوفية .

كما تعرفنا على دراسة وجيزة للمعاجم الصوفية ، مثل اصطلاحات الصوفية لابن عربى ، ومعجم الكاشانى ، ومعجم الدكتور الحفنى ، والمعجم الصوفى للدكتورة سعاد حكيم ، ومعجم الدكتور الشرقاوى من حيث

ترتيب المداخل وكثافتها ، وكيفية الاستعانة بالأصول القرآنية والنبوية ، ثم تناول البحث فى فصل مستقل على المنهج الذى نميز به بين ما يمكن أن يكون مصطلحا تعارف عليه الصوفية ، أو لفظا صوفيا يشابه سائر الألفاظ ، وقد التزمت فى حصر هذه النوعية من المصطلحات شرطا صارما ، تمثل فى اتفاق جمع من الصوفية لا يقل عن ثلاثة على ذكر مدخل المصطلح ، أو أحد تصاريفه اللغوية وذلك من باب الأخذ بالأحوط ، والتزام الدقة على قدر الإمكان والاطمئنان فى حصر المصطلح الصوفى ، فبلغ عدد المداخل العامة على هذا الشرط مائة وأربعة وعشرين مصطلحا لهم أصول قرآنية ، وبلغ مجموع المداخل الفرعية والعامة فى هذه الفصول ثلاثمائة وتسعة وثلاثين مصطلحا ، كما تطلب الأمر أيضا استقصاءا شاملا للقرآن والسنة ، وفق منهج محدد فى بحث الأصول القرآنية لكل مصطلح صوفى على حده .

وقد تناول البحث أيضا ،مراحل التصوف ، وأثرها على التغير الدلالى للمصطلح الصوفى ، وعلاقة ذلك بالأصول القرآنية ، فالتصوف عبر مراحله الفكرية المختلفة مر بعدة مراحل متميزة ومتدرجة ومؤثرة فى علاقة الأصول القرآنية ، بما أفرزته كل مرحلة من رموز وألفاظ ، واصطلاحات تتنوع فى معناها الدلالى .

فالتصوف الأوَّلى البسيط الذى نجم عن حركة الزهد ، ومسلك التوكل على الله والذى يعنى نماء الحياة الروحية فى الإسلام ، اتخذ أصحابه من حياة النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وما كانوا يأخذون به أنفسهم من زهد

فى الدنيا وإعراض عن زخرفها وجاهها ، وإقبال على الله عز وجل بقلوبهم المصدر الأصيل لبدايته ، فكانت طبيعة الألفاظ الدائرة بين الصوفية فى هذه المرحلة أنها ألفاظ واصطلاحات قرآنية أو نبوية متماسكة مع معانيها الدلالية الواردة فى الكتاب والسنة لا تنفك عنها ، ودور الصوفية يكمن فى توضيح المعنى أو استنباط حقيقة روحانية دلت عليها الآيات القرآنية ، أو تقويم ما اعوج من السلوك لأدعياء التصوف حول فهمهم لمعنى قرآنى أو نبوى .

أما التصوف المبنى على إضافات الصوفية الاجتهادية فى رسم خطوات الطريق للمريدين وتدرجهم فى منازل السائرين ، وترتيب المقامات والأحوال عند المتحققين ، فلم تعد قضية الاكتفاء بالممارسة العملية ، كافية لإبراز الوجهة الحقيقية للعلاقة القائمة بين الصوفية وربهم .

ولكن تطور الأمر عندهم إلى ما هو أعلى ن مجرد الزهد فى الدنيا ، وترك المألوفات والمستحسنات ، فأصبح التصوف قريبا من الفكر المنظم إلى حد بعيد ، وإن اتسم بكثير من المخالفات الشرعية ، وأفرز الطريق الذى التزمه أوائل الصوفية وباشروه فى تجاربهم الشخصية ، نتاجا فكريا أطلقوا عليه مقامات السائرين وأحوال المتحققين ، وقد أفرزت هذه المرحلة معان واسعة الدلالة للمصطلح الصوفى ، ومضى بعض الصوفية إلى الاستقصاء والبحث عما ورد فى الأصول القرآنية والنبوية ،من شواهد تؤيد ذلك بحيث بدت غالبية القضايا الفكرية اللاحقة فى التأمل الذوقى النظرى ، نتائج ضرورية من إفراز هذا الميدان ، واتسعت دلالة المصطلح الصوفى وزادت مساحتها لتنتقل

من دلالة قرآنية تتناول سائر الناس إلى دلالة تفرق بين العامة والخاصة وخاصة الخاصة وأنواع أخرى متزايدة .

كما أن التصوف مر بمرحلة نجمت عن الغلو فى الحب والفناء ودعوى الاتحاد ، وهى حركة صوفية اهتزت فيها معايير الأصول القرآنية للمصطلح الصوفى ، وفارق فيها اللفظ فى أغلب الأحيان معناه ، حيث غدت الرياضة الصوفية فى المرحلة اللاحقة ترمى إلى الوصول لله والاتحاد به على نحو يعطى الصوفى تميزا أعلى مما كان يرمى إليه كل سالك فى أهدافه المتواضعة ، وغدا الاقتصار على التوقف فى المستوى السابق قصورا سلوكيا ينبغى للصوفى ألا يطيل اللبث فيه طويلا .

وانتقل التصوف نقلة حاسمة ومرحلة جديدة ، تمثلت فى تحول الصوفى من مجرد سالك أو متوكل يجعل كده وجهده فى مزيد من التأسى والمجاهدة فى العمل إلى صوفى ينقل إلينا تجربته الدينية الشخصية ، ويدفعنا إلى الاقتداء بطريقة تفكيره وتدبره إلى جانب اقتدائنا بطريقته السلوكية العملية ، وقد ظهر أيضا تصوف أصحاب وحدة الوجود ، الذى يشارك التصوف الحلولى فى مفارقة الألفاظ الاصطلاحية لمعانيها الدلالية والعبث بطريقة الاستدلال فى الأصول القرآنية والأحاديث النبوية للمصطلح الصوفى ، فبدلا من أن يكون اللفظ موضوعا على المعنى المراد فى الكتاب والسنة ، أصبح اللفظ نفسه موضوعا على نقيضه تماما تحت هذه الفلسفة .

ثم تناول البحث دراسة الأصول القرآنية لمصطلح التصوف ،على وجه خاص وتقرير الأصول التى يرد إليها الصوفية مصطلح التصوف ، ثم مناقشة ذلك مناقشة علمية ، لتقرير ما إذا كان الصوفية قد اهتموا بالبحث عن الأصول القرآنية والنبويه للتصوف ؟ وهل مصطلح التصوف له أصل فى الكتاب والسنة يعتمد عليه ؟ وكيف ظهرت نسبة التصوف إلى الصوف ؟ ومن أول من صرح بها ؟ وهل رد التصوف إلى الصوف أو الصفاء أو الصفة أو الصف الأول ، يعتبرا أصلا مقبولا ومقنعا له ما يؤيده فى الكتاب والسنة ؟

نتائج البحث وأهم التوصيات :

أولا : نتائج البحث .

من خلال ما ورد فى هذه الرسالة بجانبيها النظرى والمعجمى يمكن أن نصل إلى بعض النتائج الآتية :

[1] - تبين لنا من خلال الدراسة الإحصائية التطبيقية للمصطلحات الصوفية أن الجانب الأصيل من حيث النسبة إلى القرآن والسنة أكبر بكثير من الجوانب الأخرى التى لحقت بالتصوف ولا أصل لها ، فقد بلغ مجموع الاصطلاحات الصوفية ذات الأصول القرآنية والنبوية فى هذه الرسالة مائة وأربعة وعشرين مصطلحا من مصطلح الأبد إلى مصطلح اليقين لها جميعها أصول قرآنية أو نبوية تؤيد المعنى الصوفى فى مرحلته الأولى وجانبا من الثانية ، كما بلغ عدد هذه المصطلحات مع مداخلها الفرعية والعامة ثلاثمائة وتسعة وثلاثين مصطلحا ، فى حين بلغ مجموع الاصطلاحات الصوفية ذات الألفاظ القرآنية والنبوية فى هذه الرسالة من مصطلح الإحرام إلى مصطلح يوم الجمعة تسعة وتسعين مصطلحا لهم أصول قرآنية أو نبوية من جهة اللفظ دون المعنى ، كما بلغ عدد هذه المصطلحات ، مع مداخلها الفرعية والعامة مائة وثلاثة وستين مصطلحا ، وهذا يعنى أن جملة الاصطلاحات الصوفية التى وردت فى

هذه الرسالة وعلى منهج الإحصاء المتبع فى المعاجم الأخرى بالإضافة إلى مصطلح التصوف ذاته أربع مصطلحات وخمسمائة .

[2] - بلغ عدد الشواهد القرآنية فى القسم المعجمى ما يقارب ثلاثة آلاف شاهد قرآنى كما بلغ عدد الشواهد الحديثية أكثر من ألفي حديث نبوى محكوم على درجتهم ، من حيث الصحة أو الضعف على منهج أهل الحديث ، وهذا العدد يعتبر الأكبر عند المقارنة بالمعاجم القديمة والحديثة التى ظهرت حتى الآن .

[3] - من النتائج الهامة أن السراج الطوسى يعتبر أول من نسب التصوف إلى الصوف ، وعلل ذلك بأنه دأب الأنبياء والصديقين وشعار المساكين المتنسكين ، وقد تبين من البحث فى الأصول النبوية أن النبى صلى الله عليه وسلم ، لم يكن يرغب فى لبس الصوف ولا يفضله وأنه كان يلبسه عند الضرورة وكان أحب الثياب إليه صلى الله عليه وسلم القطن ، ولما أصل السراج الطوسى هذه النسبة وأظهر رأيه فيها بجرأة تتابع المؤلفون من معاصريه ولا حقية يوافقون رأيه أو يخالفون يدققون ويبحثون عن اللوازم المترتبة على رد التصوف إلى الصوف إما بإظهار نسبة أخرى تتآزر مع السابقة أو تنفرد دونها فالقول بأن التصوف إلى الصوف فقط تركيز على المظهر دون الجوهر والظاهر دون الباطن ودعوتهم فى حقيقتها تنصب على الباطن ، وتدعوا إلى النظر فى أعماق الأمور وبلوغ الحقيقة ، ومن ثم حاول الكلاباذى أن يستقصى كل

الوجوه الممكنة ثم تابعه الهجويرى والقشيرى ثم الغزالى والســـهروردى وغيرهم من مؤرخى التصوف ، فكانت أبرز الوجوه التى يـــرد إليهـــا التصوف غير الصوف ، القول بأنه من الصفاء أو الصـــفة أو الصـــف الأول ، وهى مبررات لا تشهد لها سلامة الاشتقاقات اللغوية ، وفضلا عن هذا فإن فيها نظر ، فالصفاء ليس وصفا للصوفية وحدهم والصفة كانت مترلا مؤقتا وضروريا للفقراء من المهاجرين حتى يتأهلوا لحياقم الخاصة .

أما نسبة التصوف إلى الصف الأول ، فيكفى فى ردها قول السراج الطوسى فى وصف أداب الصوفية : (ومن آدابهم أيضا أنهم يكرهـــون الإمامة والصلاة فى الصف الأول بمكة وغيرها) [1] .

وعلى ذلك فالرأى المعتبر هو ما ذكره القشيرى (ت:465هـــــ) حيث يقول : (ثم هذه التسمية غلبت على هذه الطائفة فيقال : رجل صوفى وللجماعة صوفية ، ومن يتوصل إلى ذلك يقال لـــه متصـــوف وللجماعة متصوفة) [2] .

ثم علل ذلك بأنه لا يشهد للتسمية من حيث العربية ، قيـــاس ولا اشتقاق ، فالأظهر أنه كاللقب ، فالذين قالوا : إنه من الصوف ولبســـه فذلك وجه ، ولكنهم لا يختصون بلبس الصوف ، والذين قالوا : يرد

---

1. اللمع ص208 .

2. الرسالة القشيرية 550/2 .

إلى الصفة التى فى مسجد رسول اللّه صلى الله عليه وسلم ، فالنسبة إلى الصفة لا تجئ على نحو الصوفى ، ومن قال : إنه من الصف الأول بعيد أيضا فى مقتضى اللغة [1] .

[4] – دلت دراسة الأصول القرآنية للمصطلحات الصوفية على أن التصوف من حيث مبدأ الزهد أصيل المنشأ فى البيئة الإسلامية ، فلا مؤثرات أجنبية ملحوظة حتى منتصف القرن الثالث الهجرى على الأقل ، ومن الطبيعى أن الأمر طالما أنه اجتهاد لخدمة الدين وتطبيقه من الجانب العملى وتجسيد لمذاقات العبودية فى صورة نظرية ، فمن المعقول أن يختلف الأمر من شخص إلى آخر ومن مذاق إلى آخر ، ومن ثم فسوف يأخذ منه ويرد ، وسوف يخضع لعوامل التطور واحتمال الخطأ والصواب والنقد والمخالفة .

[5] – أن التوحيد الصوفى عند أغلب أوائل الصوفية لا يجافى التوحيد السنى بل يتآزران فى التعبير عن عقيدة الكتاب والسنة ، فالتوحيد الصوفى لأوائل الصوفية شدد على ضرورة التخلص من خفايا الشرك والرياء والكبر وعبودية الدرهم والدنيار والنفس والشيطان ، وجميع المصطلحات ذات الأصول القرآنية تشهد لذلك ، ولم يثبت من خلالها جواز الأفعال التى تنسب إلى التصوف فى هذا العصر ، من عكوف على قبور الصالحين

1. السابق 2 /550 ، ص551 .

ودعاء الأموات ، وإقامة الموالد لهم ، والاستعانة بهم ، والتوكل علـــيهم والنذر لهم أو شد الرحال إليهم ، بل مصطلحاتهم فى توحيد العبادة تدل على السمو فى تحقيق الإيمان وتجسيده .

[6] – أن بعض السلبيات الصوفية التى وجدت عند الأوائل ، وأثرت على الزيادة فى زاوية الانحراف عبر القرون ، تثمثل في الغلو فى الطاعة والالتزام بما ليس بلازم من الأحكام ، فكثير منهم نزل المندوب مترلة الوجوب ، وشق على نفسه فى كثير من النواحى التى جعل الشرع فيها مندوحة وسعة ، فأصبحت هذه الالتزامات سنة عند المتأخرين لا يسعهم الخروج عنها ، وكل طريقة شددت على المريدين فى الالتزام بمنهجها الخاص ، وإن لم ينسجم مع السنة فى كثير من النواحى ، مما فتح الباب للاجتهاد فى التصور الخاطئ لعلاقة الحب بين العبد وربه ، فظهرت آراء شاذة ألصقها الناس فى أذهانهم بعامة الصوفية دون بعضهم ، فآراء الحلاج وشطحات أبى يزيد البسطامى والشبلى والنورى وغيرهم جعلت الناس يرفعونها على حساب التصوف من ناحية ، وإهمال الموقف الإيجابى للمشايخ فى التبرؤ منها وتقبيحها من ناحية أخرى ، ومما زاد فى الصاق هذه الأفكار بهم أنها وجدت فلسفة أخرى عند ابن عربى وابن الفارض وغيرهما ، ساعدت على إظهار المزيد من التجاوزات فأثمرت هذه الآراء علقما وحنظلا تتجرع الأمة الإسلامية مرارته .

[7] – الاستغلال السيئ لبعض المصطلحات الصوفية من قبل المرتسمين بالتصوف أو المعادين له أو للإسلام بصفة عامة ، فمن خلال عرض أوائل الصوفية لأقوال المخطئين فى فهم هذه المصطلحات ، أو النظرة العامة للتطور الدلالى لكل مصطلح صوفى عبر مراحل التصوف المختلفة يستطيع الباحث أن يرى مدى الجهد المبذول لكشف المقصود فى استعمال المصطلح المعين من ناحية ، وفهم الأثر السيئ لهذه المصطلحات والجهد المطلوب لرده من ناحية أخرى .

ثانيا : أهم التوصيات .

1- ما زال البحث فى الأصول القرآنية والنبوية يحتاج إلى استقصاء أوسع لكل مصطلح صوفى على حده ، فالرسالة مع ضخامتها لم تستوعب العمل بشكل تام ، لأنه يحتاج إلى جهد كبير ووقت طويل ، فربما وجدت مصطلحات تخلفت عن جهدى فى حصرها وجمعها ، فالأمر يتطلب عملا موسوعيا شاملا ، يتكاتف المخلصون من المسلمين ، لفرز التراث الصوفى وفصل ما له علاقة مثمرة بالأصول القرآنية والنبوية ، وما هو لصيق بها ولا أصل له ، وهذا العمل بالغ الأهمية فى تقصى الحقائق ، ووزن الأمور بميزان الحق والاعتدال .

2- إذا كانت هذه الرسالة بداية لمن أراد المزيد فى البحث عن الأصول القرآنية والنبوية للمصطلح الصوفى ، فإن البحث يتطلب أيضا دراسة الأصول الأجنبية للمصطلحات الصوفية والتى لم تتعرض لها الرسالة ، فلا بد من معرفة الاصطلاحات التى أدخلت على التصوف والبحث عن معانيها ومصادرها بصورة جدية تكشف حقائق الأمور وتميز الخبيث من الطيب .

3- أوصى الباحثين بضرو التحرى وبذل الجهد فى عزو الأحاديث النبوية إلى مصادرها الأصلية ، ليس هذا وفقط ، ولكن تحرى الحكم على الحديث أيضا حفاظا على السنة من ناحية ، وتثبيت الثقة فى نفوس القراء والباحثين من

ناحية أخرى ، وربما تطلب الأمر من الدارسين الرجوع إلى المحديثن وسؤالهم عن ثبوت الحديث ، إذا لم يهتد الباحث بمفرده إلى الحكم ، وهذا مما أراه واجبا لجدية الدراسة .

4- تفتقر المكتبة الصوفية إلى تفسير علمى جاد مبنى على قواعد التفسير وأصوله المعتبرة عند علماء التفسير ، يجمع نتاج الصوفية فى شرحهم لأعمال القلوب والجوارح وسائر المقامات والأحوال ، وما قدموه للجانب الروحى والأخلاقى فى الإسلام ، وعلى النحو الاجتهادى الذى نراه فى تراث المحاسبى وأبى طالب المكى وأبى حامد الغزالى وغيرهم من تفسير للقرآن بالقرآن أو تفسير للقرآن بالسنة وأقوال الصحابة والتابعين .

5- اتباع الشرع بميزان الاعتدال ، لأن الغلو ابتداع فى دين الله وقدح فى سنة رسول الله ع ووصف لأصحابه بالتقصير فى الالتزام ، ولذلك قال حذيفة بن اليمان رضى الله عنه : " كل عبادة لم يتعبد بها أصحاب رسول الله ع ، فلا تتعبدوا بها فإن الأول لم يدع للآخر مقالا ، فاتقوا الله يامعشر القراء خذوا طريق من كان قبلكم " [1] .

كما أن الغلو فى جانب سوف يؤدى إلى التقصير فى جانب آخر على وجه الضرورة ، فاستطاعة الإنسان محدودة ، وقدرته مهما بلغت تتأثر بضعفه فى

1. انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة لأبى القاسم اللالكائى 90/1 وحلية الأولياء 280/1 ، وأخرج البخارى نحوه عن حذيفة رضى الله عنه انظر كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب الاقتداء بسنن رسول الله ε برقم (7282) .

النواحى الأخرى ، والله سبحانه كلفنا بمنهج يتناسب مع فطرتنا ، فقال سبحانه : { لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلا وُسْعَهَا } [البقرة/286] ، فالمنهج الإسلامى فيه الخير ولا خير أفضل منه .

6- وجوب الاعتدال فى النظر إلى التصوف ورجاله ، فكل يأخذ من كلامه ويرد ، ولا يصح التحامل عليهم مطلقا ولا الموافقة لهم مطلقا ، صحيح أن الواقع الصوفى فى العصر الحاضر يكوِّن صورة بغيضة عن الصوفية وأبناء جنسهم ، لكن الله عز وجل أمرنا بالعدل ، فقال سبحانه : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ } [المائدة/8] ، فمشايخ الصوفية الأوائل لهم كلام بديع يعبر عن حقيقة الدين ولبعضهم شطحات فى بعض الأوقات تخرج عن حد الدين ، وقد أحسن شيخ الإسلام ابن تيمية حين قال :

(تنازع الناس فى طريقتهم ، فطائفة ذمت الصوفية والتصوف ، وقالوا : إنهم مبتدعون خارجون عن السنة ، وطائفة غالت فيهم وادعو أنهم أفضل الخلق وأكملهم بعد الأنبياء ، والصواب أنهم مجتهدون فى طاعة الله كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده وفيهم

المقتصد الذى هو من أهل اليمين وفى كل من الصنفين من قد يجتهد فيخطئ ، وفيهم من يذنب فيتوب أو لا يتوب) [1] .

1. الصوفية والفقراء ص6، 7 .

مراجع البحث

الكتب المطبوعة والمخطوطات

أولا : المطبوعات

1- أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم ، تحقيق عبد الجبار زكار صديق بن حسن القنوجي ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ، سنة 1978م .

2- الإحسان فى تقريب صحيح ابن حبان ، للإمام ابن أبى حاتم محمد بن حبان البستى ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، طبعة مؤسسة الرسالة ، بيروت سنة 1988م .

3- إحكام الإحكام فى أصول الأحكام ، لابن حزم الأندلسى ، طبعة مطبعة السعادة بمصر ، بدون تاريخ .

4- إحياء علوم الدين ، للإمام أبى حامد الغزالى ، طبعة دار إحياء الكتب العربية القاهرة سنة 1377 هـ ، 1957م ، وطبعة أخرى لدار الريان للتراث القاهرة سنة1407 هـ ، 1987م .

5- أخبار الحلاج ، جمع الأستاذين : لويس ماسينيون ، وبول كراوس طبع فى باريس سنة1936م .

6- آداب المريدين ، تأليف أبى النحيب ضياء الدين السهروردى ، تحقيق فهيم محمد شلتوت ، طبعة دار الوطن العربى ، القاهرة ، بدون تاريخ .

7- آداب المريدين وبيان الكسب ، للإمام الحكيم الترمــذى ، تحقيــق الدكتور عبد الفتاح عبد الله بركة ، طبعة مطبعة السعادة ، القاهرة بدون تاريخ .

8- الأدب المفرد لأبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى ، مراجعة محمد فؤاد عبد الباقى ، طبعة دار البشائر الإسلامية ، بــيروت ،ســنة 1989م 1409 هـ .

9- أدب النفس ، للإمام الحكيم الترمذى ، تحقيق الأســتاذ ج أربــرى والدكتور على حسن عبد القادر ، طبعة مصطفى البابى الحلبى ، القــاهرة سنة 1974م .

10- إرشاد الفحول ، للإمام محمد بن علي الشوكاني ، طبعة مصطفى البابى الحلبى مصر سنة 1356 هـ .

11- أساس البلاغة ، جار الله محمود بن عمرو الزمخشرى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، سنة 1985م .

12- أستاذ السائرين الحارث بن أسد المحاسبى ، تأليف الدكتور عبد الحليم محمود طبعة دار الكتب الحديثة ، القاهرة سنة 1973م .

13- الإسلام فى مواجهة الاستشراق العالمى ، للدكتور عبد العزيز المطعنى طبعة دار الوفاء ، بالمنصورة ، مصر ، سنة 1987م .

14- الإسلام والمستشرقون ، للدكتور عبد الجليل شلبى ، طبعة دار الشعب ، القاهرة بدون تاريخ .

15- أصول الدين ، تأليف عبد القادر بن طاهر البغدادى ، طبعة استانبول بتركيا سنة 1346 هـ ، 1928م .

16- أصول الملامتية وغلطات الصوفية ، تأليف الإمام أبى عبد الرحمن السلمى تحقيق الدكتور عبد الفتاح أحمد الفاوى محمد ، طبعة مطبعة الإرشاد ، القاهرة سنة 1405 هـ ، 1985م .

17- أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن ، لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطى ، طبعة عالم الكتب ، بيروت ، بدون تاريخ .

18- أعذب المسالك المحمودية إلى منهج السادة الصوفية للشيخ محمود خطاب السبكى ، تحقيق سعيد عبد الفتاح سنة 1996م .

19- الأعلام ، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء والنساء من العرب والمستعربين فى الجاهلية والإسلام ، تأليف خيرى الدين الزركلى طبعة المطبعة العربية ، القاهرة ، سنة 1927م .

20- أعمال القلوب والجوارح ، لأبى عبد الله الحارث بن أسد المحاسبى ، تحقيق عبد القادر أحمد عطا ، طبعة دار التراث العربى القاهرة ، سنة 1400 هـ ، 1980م .

21- الألفاظ المترادفة المتقاربة المعنى ، لأبى الحسن على بن عيسى الرمانى تحقيق ودراسة الدكتور فتح الله المصرى ، دار الوفاء ، مصر سنة 1987م .

22- الأم ، للإمام محمد بن إدريس الشافعى ، طبع بعناية محمد زهرى النجار طبعة دار المعرفة ، الطبعة الثانية ، بيروت لبنان سنة 1393هـ .

23- الإمام القشيرى سيرته آثاره مذهبه فى التصوف ، للدكتور إبـــراهيم بسيونى طبعة مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ، سنة 1972م .

24- الأمر بالاتباع والنهى عن الابتداع ، للحافظ جلال الدين السيوطى تحقيق مشهور حسن سليمان ، طبعة دار الأرقم ، الدمام ، السعودية ســنة 1410 هــ ،1990م .

25- الإملاء عن إشكالات الإحياء للغزالى ، نسخة مطبوعة على هـــامش إحياء علوم الدين ، طبعة فيصل الحلبى ، دار إحياء الكتب العربية ، بدون تاريخ ، وطبعة أخرى لدار الريان للتراث ، القاهرة سنة 1407 هــ .

26- الأنساب ، لأبى سعيد عبد الكريم بن أبى بكر بن أبى المظفر بن عبد الجبار التميمى السمعانى المتوفى سنة 542 هــ .

27- الإنسان الكامل فى معرفة الأواخر والأوائل ، لعبد الكريم بن إبراهيم الجيلى طبعة مصطفى البابى الحلبى ، القاهرة سنة 1956م ، 1375 هــ .

28- إنشاء الدوائر لمحى الدين بن عربى ، نشر ليدن ، طبعة مكتبة المـــثنى بغداد سنة 1363 هــ ، وطبعة أخرى لعالم الفكر سنة 1997م .

29- أيام الشأن ، رسالة ضمن مجموعة رسائل ابن عربى طبعة ، دار إحياء التراث العربى ، حيدر آباد ، الهند ، سنة 1948م .

30- الإيمان للدكتور محمد عبد الله الشرقاوى ، مكتبة الزهـــراء الطبعــة الأولى ، القاهرة سنة 1409 هـ ، 1989م .

31- ابن الفارض والحب الإلهى للدكتور محمد مصطفى حلمى الطبعة الثانية طبعة دار المعارف ، القاهرة سنة1971م .

32- ابن تيمية وفلاسفة التصوف ، للدكتور محمد سليمان داود ، الطبعة الثانية القاهرة ، سنة1983م .

33- ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل ، للدكتور محمد السيد الجليند طبعة مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر القاهرة سنة 1393هـ 1973م .

34- ابن سبعين وفلسفته الصوفية ، للدكتور أبى الوفا التفتازانى ، طبعة دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ، سنة 1973م .

35- اتباع السنن واجتناب البدع ، لأبى عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسى ، تحقيق على حسن على طبعة دار ابن القيم ، الرياض السعودية سنة 1988م .

36- الاتجاه الأخلاقى فى الإسلام للدكتور مقداد بالجن ، طبعة مطبعة الخانجى ، الطبعة أولى سنة 1973م .

37- الاتجاهات الحديثة فى دراسة التصوف الإسلامى ، للدكتور محمد عبد الله الشرقاوى ، طبعة دار الفكر العربى ، القاهرة سنة 1993م .

38- الاتجاهات الحديثة فى صناعة المعجمات ، للدكتور محمود فهمى حجازى ، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة الجزء الأربعون سنة 1977م .

39- الاتقان فى علوم القرآن ، تأليف جلال الدين السيوطى ، طبعة مصطفى البابى الحلبى القاهرة سنة 1354هـ .

40- الاستشراق دراسات تحليلية تقويميـــة ، للـــدكتور محمـــد عبـــد الله الشرقاوى ، طبعة دار الفكر العربى القاهرة سنة 1992م .

41- الاستقامة ، لإبى العباس تقى الدين ابن تيمية ، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم ، طبعة مؤسسة قرطبة ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، بدون تاريخ .

42- اصطلاحات الصوفية لمحى الدين ابن عربى ، طبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية حيدر أباد الدكن سنة 1948م ، وطبعة أخرى ملحقة فى نهايـــة كتاب التعريفات للجرجانى ، مكتبة لبنان ، بيروت سنة 1996م .

43- الاعتصام ، لأبى اسحاق ابراهـــيم بن موسى بن محمـــد اللخمـــى الشاطبى ، طبعة المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، بدون تاريخ .

44- الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة ، للإمام أبى بكـــر أحمد بن الحسين البيهقى ، تحقيق أحمد عصام الطالب ، طبعة دار الأوقاف الجديدة ، بيروت بدون تاريخ .

45- الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث ، لأحمد محمد شاكر طبعة دار الكتب العلمية بيروت 1403ه

46- البداية والنهاية ، لأبى الفداء إسماعيل بن عمرو بن كـــثير القرشـــى الدمشقى طبعة المطبعة السلفية ، القاهرة سنة 1351 هـــ 1932م .

47- البراهين الساطعة فى رد بعض البدع الشائعة ، تأليف الشيخ ســـلامة العزامى تقديم الشيخ الكوثرى ونجم الدين الكردى ، طبعة مطبعة السعادة القاهرة سنة 1366 هـــ ، 1948م .

48- البرهان فى علوم القرآن للإمام بدر الدين الزركشى ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، طبعة دار المعرفة ، بيروت سنة 1972م .
49- بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث ، الحـــارث بـــن أبى أســـامة البغدادى مراجعة حسين أحمد صالح الباكرى ، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية ، المدينة المنورة ، سنة 1992م ، 1413 هـــ .
50- بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب ، للحكيم الترمـــذى تحقيق الدكتور نقولا هير ، نشر مكتبة الكليات الأزهرية ، بدون تاريخ .
51- تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد مرتضى الزبيدى ، المطبعـــة الخيرية القاهرة سنة 1306 هـــ .
52- تاج اللغة وصحاح العربية لأبى نصر إسماعيل بن حماد الجوهرى تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، القاهرة سنة1337 هـــ .
53- تاريخ أدبيات در إيران ، للدكتور ذبيح الله صفا ، الطبعـــة الثالثـــة سنة1339 هـــ .
54- تاريخ الأخلاق فى الإسلام للدكتور ، محمد يوسف موسى ، القاهرة سنة1952م .
55- تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام ، لأبى عبد الله محمد بـــن أحمد الذهبى ، طبعة مكتبة القدس ، القاهرة سنة 1367 هـــ .
56- تاريخ الاصطلاحات الفلسفية العربية ، للمستشرق لويس ماسينيون تحقيق الدكتوره زينب الخضيرى ، طبعة المعهد الفرنسى للآثـــار الشـــرقية

سنة 1991م .
57- تاريخ التراث العربى ، لفؤاد سيزكن ، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة 1978م .
58- تاريخ التصوف الإسلامى من البداية حتى نهاية القرن الثانى ، للدكتور عبد الرحمن بدوى ، طبعة وكالة المطبوعات ، الكويت ، سنة 1975 م .
59- تاريخ التصوف فى الإسلام ، تأليف قاسم غنى ، ترجمه عن الفارسية صادق نشأت ، طبعة النهضة المصرية القاهرة 1390 هـ ، 1970م .
60- تاريخ الرسل والملوك ، لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ، تحقيق أبو الفضل إبراهيم ، طبعة دار المعارف القاهرة سنة 1383 هـ 1964م .
61- تاريخ الفلسفة الإسلامية ، القسم الأول ، تأليف المستشرق هنرى كوربان ترجمة حسن قبيسى وزميله ، مراجعة وتقديم موسى الصدر وعارف تامر الطبعة الأولى 1966 م .
62- التاريخ الكبير ، لأبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى ، طبعة مطبعة دائرة المعارف النظامية ، حيدر آباد ، الهند ، سنة 1360 هـ .
63- تاريخ المذاهب الإسلامية فى السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية للإمام محمد أبو زهرة ، طبعة دار الفكر العربى ، القاهرة ، بدون تاريخ .
64- تاريخ بغداد ، لأبى بكر أحمد بن على الخطيب البغدادى ، طبعة دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، وطبعة مطبعة السعادة ، القاهرة سنة 1349 هـ ، 1931م .

65- التبيان فى علوم القرآن ، محمد بن على الصابونى ، طبعة مكة ، الطبعة الثانية ، سنة 1400 هـ ، 1980م .
66- التدبيرات الإلهية فى إصلاح المملكة الإنسانية لابن عرب ، نشر ليدن طبعة بريل ، مكتبة المثنى ببغداد سنة 1336 هـ .
67- تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى للحافظ جلال الدين السيوطى دار الفكر .
68- تذكرة الأولياء ، لفريد الدين العطار ، القاهرة ، بدون تاريخ .
69- تذكرة الحفاظ ، لأبى عبد الله محمد بن أحمد الذهبى الدمشقى مراجعة عبد الرحمن بن يحى المعلمى ، دار الكتب العلمية بيروت 1374 هـ .
70- تذكرة الخواص ، لمحى الدين بن عربى ، نشر روجر دولادرير سنة 1975م .
71- تراث الإسلام المستشرق شاخت وبوزورث الجزء الثانى طبعة عالم المعرفة ترجمة الدكتور حسين مؤنس وإحسان صدقى العمد ، الكويت سنة 1988م .
72- التربية الأخلاقية فى الإسلام للدكتور مقداد بالجن ، مطبعة الخانجى طبعة الأولى ، سنة1977م .
73- ترجمان الأشواق ، لمحى الدين بن عربى ، طبعة دار صادر ، بيروت سنة 1966م .
74- التسهيل فى علوم التنزيل لابن جزى الكلبى ، تحقيق مصطفى محمد سنة 1355 هـ .

75- التصوف الإسلامى ، لزكى مبارك ، طبعة الاعتماد ، القـــاهرة سنة 1937م .
76- التصوف طريقا وتجربة ومذهبا ، تأليف الدكتور محمد كمال إبراهيم جعفر طبعة دار الكتب الجامعية ، القاهرة سنة 1390 هـــ ، 1970م .
77- التصوف عند المستشرقين ، للدكتور أحمد الشرباصى ، القاهرة سنة 1966م .
78- التصوف فى الإسلام وأهم الاعتراضات الـــواردة عليـــه ، تـــأليف الدكتور عبد اللطيف محمد العبد ، طبعة دار الثقافة العربيـــة ، القـــاهرة سنة 1407 هـــ ، 1986م .
79- التصوف فى تراث ابن تيمية ، تأليف الدكتور الطبلاوى محمود سعد ، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة سنة 1405 هـــ 1984م .
80- التعبير الاصطلاحى دراسة فى تأصيل المصطلح ومفهومـــه ومجالاتـــه الدلالية ، وأنماطه التركيبية للدكتور زكى حسام الدين كريم ، طبعة مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ، سنة 1985م .
81- التعرف لمذهب أهل التصوف ، لأبى بكر محمد الكلاباذى ، تحقيـــق محمود أمين النواوى ، طبعة مكتبة الكليات الأزهريـــة ، القـــاهرة ســـنة 1400 هـــ ، 1980م وطبعة أخرى ، تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود وطه عبد الباقى سرور القاهرة طبعة عيسى الحلبى سنة 1960م .
82- التعريفات ، للشريف الجرجانى مكتبة لبنان ، بيروت سنة1978م .

83- تفسير ابن جرير الطبرى ، جامع البيان عن تأويل آى القرآن ، لأبى جعفر محمد ابن جرير الطبرى ، تحقيق الأستاذ محمود محمد شاكر ، مراجعة الشيخ أحمد محمد شاكر ، طبعة دار المعارف ، القاهرة ، بدون تاريخ .

84- تفسير القرآن العظيم ، لأبى الفداء إسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى طبعة دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة بدون تاريخ .

85- تفسير القرآن العظيم ، لأبى محمد سهل بن عبد الله التسترى ، طبعة دار الكتب العربية الكبرى ، القاهرة سنة1329 هـ .

86- تفسير القرآن الكريم ، لعبد الرزاق الكاشانى ، منسوب إلى محى الدين بن عربى طبعة دار الأندلس ، بيروت سنة 1978م .

87- تقريب التهذيب لأبى الفضل أحمد بن على بن حجر العسقلانى مراجعة محمد عوامه ، دار الرشيد سوريا سنة 1986م ، 1406 هـ .

88- تلبيس إبليس ، لأبى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى ، طبعة مطبعة القاهرة الحديثة للطباعة ، القاهرة ، سنة 1391 هـ ، 1971م .

89- التنوير فى إسقاط التدبير ، تأليف ابن عطاء السكندرى ، تحقيق موسى محمد على الموشى ، وعبد العال أحمد العرابى القاهرة بدون تاريخ .

90- تهافت الفلاسفة ، لأبى حامد الغزالى ، تحقيق سليمان دنيا طبعة دار المعارف الطبعة الثالثة ، القاهرة ، سنة 1972م .

91- تهذيب الأخلاق لأبى على أحمد مسكويه ، تحقيق قسطنطين زريق طبعة دار الحياة بيروت .

92- تهذيب التهذيب لأبى الفضل أحمد بن على بن حجر العسقلانى ، دار الفكر بيروت 1984م 1404 هـ

93- تهذيب الصحاح ، تأليف محمود الزنجانى ، طبعة دار المعارف بمصر بدون تاريخ .

94- تهذيب الكمال فى أسماء الرجال ، لأبى الحجاج يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف الدمشقى ، طبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة بدون تاريخ .

95- توجيه النظر إلى علوم الأثر ، إعداد طاهر الجزائرى ، طبعة مصر سنة 1328 هـ .

96- توحيد الربوبية ، ضمن مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد طبعة دار الإفتاء بالمملكة العربية السعودية ، الرياض ، سنة 1381 هـ .

97- التوقيف على مهمات التعاريف ، محمد عبد الرؤوف المناوي ، تحقيق الدكتور محمد رضوان الداية طبعة دار الفكر المعاصر , دار الفكر ، بيروت الطبعة الأولى ، سنة 1410هـ .

98- تيسير مصطلح الحديث ، للشيخ محمود الطحان ، طبعة دار التراث الكويت ، سنة 1984م .

99- الجامع الصحيح ، للإمام أبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبد الباقى ، مع فتح البارى ، طبعة دار الريان للتراث ، القاهرة سنة 1407 هـ ، 1986 م .

100- الجامع الصحيح ، للإمام مسلم بن الحجاج القشيرى ، تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبد الباقى ، طبعة المكتبة السلفية ، القاهرة ، بدون تاريخ .
101- الجامع الصحيح المختصر لمحمد بن إسماعيل البخارى مراجعة مصطفى ديب البغا ، طبعة دار ابن كثير بيروت سنة 1987م ، 1407 هـ .
102- جامع العلوم والحكم ، للإمام ابن رجب الحنبلى ، طبعة مصطفى البابى الحلبى القاهرة ، سنة 1369 هـ ، 1948 م .
103- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، كتاب الشعب ، مصر .
104- جزء أشيب لأبى على الحسن بن موسى الأشيب البغدادى مراجعة خالد بن قاسم ، دار علوم الحديث ، الفجيرة 1410 هـ ، 1990م .
105- الحرية فى الإسلام ، تأليف الشيخ محمد الخضر حسين طبعة دار الاعتصام للطباعة الإسلامية ، القاهرة ، سنة 1403 هـ ، 1982م .
106- الحكيم الترمذى ونظريته فى الولاية ، للدكتور عبد الفتاح عبد الله بركه طبعة مجمع البحوث الإسلامية القاهرة سنة 1391 هـ ، 1971م .
107- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، لأبى نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهانى ، طبعة مطبعة السعادة ، القاهرة سنة 1351 هـ .
108- الحياة الروحية فى الإسلام ، تأليف الدكتور محمد مصطفى حلمى طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة سنة 1984م .

109- ختم الأولياء ، تأليف الشيخ أبى عبد الله محمد بن الحسن الحكيم الترمذى تحقيق عثمان إسماعيل يحى ، طبعة المطبعة الكاثوليكية ، بيروت سنة 1965م .

110- خلق أفعال العباد ، للإمام أبى عبد الله محمد بن إبراهيم بن إسماعيل البخارى تحقيق على سامى النشار وعمار الطالبى ، طبعة منشأة المعارف الإسكندرية سنة 1971م ، وطبعة أخرى مراجعة عبد الرحمن عميرة ، دار المعارف السعودية الرياض سنة 1978م ، 1398 هـ .

111- دائرة المعارف الإسلامية ، تحقيق إبراهيم زكى خورشد وأحمد الشناوى وعبد الحميد يونس ، القاهرة دار الشعب سنة 1933م .

112- الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ، للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى طبعة دار الفكر ، القاهرة ، بدون تاريخ .

113- درء تعارض العقل والنقل ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم ، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، السعودية سنة 1403 هـ ، 1983م .

114- دراسات أصولية فى السنة النبوية ، للدكتور محمد إبراهيم الحفناوى طبعة دار الوفا الطبعة الأولى ، المنصورة مصر سنة 1412 هـ 1991م .

115- الدراسات العربية والإسلامية فى الجامعات الألمانية تأليف رودى بارت ترجمة الدكتور مصطفى ماهر دار الكتاب العربى بمصر سنة1967م .

116- دراسات فى الفلسفة الإسلامية ، تأليف الدكتور محمود قاسم طبعة مكتبة القاهرة الحديثة ، القاهرة سنة 1972م .

117- دستور الأخلاق فى القرآن الكريم للدكتور محمد عبد الله دراز ترجمة الدكتور عبد الصبور شاهين سنة1973م .

118- دلالة الألفاظ للدكتور إبراهيم أنيس ، الطبعة الثالثة ، مكتبة الأنجلو المصرية سنة1972م .

119- ديوان الشيخ الأكبر ابن عربى ، تصوير مكتبة المثنى ، بغداد عن طبعة بولاق القاهرة سنة 1271 هـ .

120- الديوان لعمر ابن الفارض ، تحقيق فوزى عطوى ،طبعة الشركة اللبنانية للكتاب بيروت ، 1969م .

121- ذخائر الأعلاق شرح ترجمان الأشواق لابن عربى ، تحقيق الدكتور عبد الرحمن الكردى ، بيروت سنة 1312 هـ .

122- الرد على الجهمية ، تأليف عثمان بن سعيد الدارمى ، تحقيق على سامى النشار وعمار الطالبى ، ضمن عقائد السلف القاهرة بدون تاريخ .

123- الرد على الزنادقة والجهمية ، للإمام أحمد بن حنبل ، نشرة قصى محب الدين الخطيب ، طبعة المطبعة السلفية ، القاهرة ، سنة 1399 هـ .

124- الرزق الحلال وحقيقة التوكل على الله ، للحارث بن أسد المحاسبى تحقيق محمد عثمان الخشت ، طبعة مطبعة القرآن ، القاهرة ، سنة 1405.

125- رسائل ابن عربى طبعة دار إحياء التراث العربى ، حيدر آباد ، الهند سنة1948م .

126- الرسائل الصغرى لابن عباد النفرى المطبعة الكاثوليكية ، بيروت 1957م .

127- رسالة الإكليل فى المتشابه والتأويل لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ضمن مجموعة الرسائل الكبرى طبعة دار التقوى ، بلبيس ، مصر .

128- الرسالة العرشية ، وهى رسالة ضمن مجموعة تسع رسائل لابن سينا طبعة مطبعة كردستان العلمية ، سنة 1328 هـ .

129- الرسالة القشيرية ، للإمام أبى القاسم عبد الكريم القشيرى تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود ، ومحمود بن الشريف ، طبعة دار الكتب الحديثة القاهرة سنة1974م .

130- رسالة المسترشدين تحقيق عبد الفتاح أبو غدة طبعة مكتبة دار السلام الطبعة الرابعة ، القاهرة سنة1982م .

131- رشح الزلال تحقيق سعيد عبد الفتاح ، طبعة المكتبة الأزهرية للتراث القاهرة سنة 1995م .

132- الرعاية لحقوق الله للحارث بن أسد المحاسبى تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود طبعة دار المعارف ، القاهرة سنة 1990م .

133- الروضة الندية شرح الدرر البهية ، لأبى الطيب صديق بن حسن البخارى ، مكتبة التراث القاهرة ، بدون تاريخ .

134- الرياضة وأدب النفس ، للحكيم الترمذى ، تحقيق الأستاذ ، ج أربرى والدكتور على حسن عبد القادر ، طبعة مصطفى البابى الحلبى ، القاهرة سنة 1947م .

135- زاد المسير فى علم التفسير ، لأبى الفرج جمال الدين بن الجوزى تحقيق محمد عبد الرحمن عبد الله ، طبعة دار الفكر الإسلامى ، القاهرة سنة 1987 م .

136- زاد المعاد فى هدى خير العباد لابن القيم الجوزية تحقيق الشيخ محمد حامد الفقى طبعة أنصار السنة المحمدية ، القاهرة 1370 هـ ، 1951م .

137- السلوك ، ضمن مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم ، وابنه محمد ، طبعة دار الإفتاء المملكة العربية السعودية ، سنة 1381 هـ .

138- السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى ، للدكتور مصطفى السباعى طبعة المكتب الإسلامى بيروت سنة1978م .

139- سنن أبى داود ، لأبى داود سليمان بن الأشعث السجستانى ، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، دار الفكر .

140- سنن ابن ماجه ، لأبى عبد الله محمد بن يزيد القــزوينى بــن ماجــه تحقيق الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى ، طبعة عيســى الحلــبى ، القــاهرة سنة 1372 هـــ ، 1952م .
141- سنن الترمذى ، لأبى عيسى محمد بن عيسى الترمذى ، تحقيق عبــد الوهاب عبد اللطيف ، طبعة مطبعة المدنى ، القاهرة سنة 1384هـــ .
142- سنن الدارقطنى لأبى الحسن على بن عمر الدارقطنى ، مراجعة السيد عبد الله هاشم يمانى المدنى دار المعرفة بيروت سنة1966م ، 1386 هـــ .
143- سنن الدارمى ، لأبى محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدارمى تحقيق محمد أحمد دهمان ، طبعة دار إحياء السنة النبوية ، القاهرة ، بــدون تاريخ .
144- السنن الكبرى ، لأحمد بن الحسين بن على بن موسى البيهقى مراجعة محمد عبد القادر عطا مكتبة دار الباز مكة 1994م ، 1414 هـــ .
145- سنن النسائى ، شرح السيوطى ، لأبى عبد الرحمن بن شعيب بن على النسائى طبعة المطبعة المصرية ، مصطفى الحلبى ، القاهرة سنة 1383 هـــ .
146- السياسة الشرعية ونظام الدولة الإسلامية فى الشــئون الدســتورية والخارجية والمالية للشيخ عبد الوهاب خلاف ، طبعة دار الأنصار ، القاهرة سنة 1977م .
147- سير أعلام النبلاء ، لأبى عبد الله محمد بن أحمد بن عثمــان الــذهبى طبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، بدون تاريخ .

148- سيرة الشيخ الكبير أبىعبد الله محمد بن خفيف الشيرازى ، تـــأليف أبى الحسن على بن محمد الديلمى ، تحقيق الدكتور إبراهيم الدســـوقى شتا طبعة مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف ، القـــاهرة ســـنة 1397 هـــ ، 1977م .

149- السيرة النبوية ، لأبى محمد عبد الملك بن هشام ، تحقيق محمد محـــى الدين عبد الحميد ، طبعة مطبعة المدنى ، القاهرة سنة 1383 هـــ .

150- شجرة الكون لمحي الدين ابـــن عـــربى ، طبعـــة مكتبـــة الشـــمرلى الأسكندرية ، بدون تاريخ .

151- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، لأبى الفلاح عبد الحى بن أحمد الصالحى المشهور بابن العماد الحنبلى ، طبعة مكتبة القدسى ، القـــاهرة ، سنة 1350 هـــ .

152- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة تأليف أبى القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبرى اللالكائى تحقيق الدكتور أحمد سعد حمدان طبعة دار طيبة ، الرياض سنة 1409 هـــ 1988م .

153- شرح السنة ، للإمام الحسين بن مسعود الفراء البغوى ، تحقيق زهير الشاويش وشعيب الأرناؤوط طبعة المكتب الإسلامى القاهرة 1396 هـــ .

154- شرح العقيدة الطحاوية ، لابن أبي العز على بن على الحنفى ، تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى ، طبعة المكتب الإسلامى القاهرة سنة 1392 هـ .

155- شرح معانى الآثار لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوى مراجعة محمد زهرى النجار دار الكتب العلمية بيروت سنة1979م .

156- الشريعة ، لأبي محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادى الأجرى تحقيق الشيخ محمد حامد الفقى طبعة أنصار السنة المحمدية القاهرة 1369 هـ .

157- شفاء العليل فى مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ، تأليف الإمام شمس الدين محمد ابن القيم الجوزية ، طبعة دار الفكر ، القاهرة سنة 1398 هـ ، 1978 م .

158- الشيعة والتشيع فرق وتاريخ ،تأليف إحسان إلهى ظهير الطبعة الثالثة إدارة ترجمان السنة لاهور باكستان سنة 1984م ، 1404 هـ

159- الشيعة والسنة تأليف إحسان إلهى ظهير ، إدارة ترجمان السنة لاهور باكستان الطبعة الثالثة سنة 1396 هـ ، 1976م .

160- صحيح ابن حبان ، لأبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمى تحقيق الشيخ أحمد شاكر ، طبعة دارالمعارف ، القاهرة ، سنة 1372 هـ ، وطبعة أخرى مراجعة شعيب الأرنؤوط ، طبعة مؤسسة الرسالة بيروت سنة 1993م ، 1414 هـ .

161- صحيح ابن خزيمة لأبى بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابورى مراجعة الدكتور محمد مصطفى الأعظمى ، المكتب الإسلامى ، بيروت سنة 1970م ، 1390 هـ .

162- صحيح الجامع ، للشيخ محمد ناصر الدين الألبانى ، طبعة المكتب الإسلامى الطبعة الثانية ، دمشق ، سوريا ، سنة 1399 هـ .

163- صفة الصفوة ، للإمام جمال الدين أبى الفرج عبد الرحمن بن على بن الجوزى طبعة دار الصفا ، القاهرة سنة 1411 هـ .

164- الصفدية ، لأبى العباس تقى الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم ، طبعة دار الإفتاء بالمملكة العربية السعودية ، الرياض ، سنة 1406 هـ .

165- الصلاه ومقاصدها ، لأبى عبد الله محمد بن الحسن الحكيم الترمذى تحقيق الأستاذ حسنى نصر زيدان ، طبعة القاهرة ، سنة 1965م .

166- الصوفية فى الإسلام رينولد نيكلسون ، ترجمة نور الدين شريبة القاهرة سنة1947م .

167- الصوفية والفقراء ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تقديم الدكتور محمد جميل غازى طبعة مكتبة المدنى ، جدة ، السعودية ، بدون تاريخ .

168- صيد الخاطر ، للإمام جمال الدين أبى الفرج عبد الرحمن بن على بن الجوزى طبعة دار الفكر العربى ، دمشق ، سوريا سنة 1380 هـ .

169- طبقات الشافعية الكبرى ، لتاج الدين عبد الوهاب بن على السبكى تحقيق عبد الفتاح الحلو ومحمود الطناحى ، طبعة المطبعة الحسينية القـــاهرة 1324 هــ .

170- طبقات الصوفية لأبى عبد الرحمن السلمى ، تحقيق نور الدين شـــريبه طبعة مكتبة الخانجى ، القاهرة سنة 1372 هــ .

171- الطبقات الكبرى ، لعبد الوهاب بن أحمد بن الشعرانى ، طبعة بولاق القاهرة سنة 1914م .

172- طبقات المعتزلة ، لأحمد بن يحى بن المرتضى ، تحقيق سوسنه ديفشلد فيلزر طبعة المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، بدون تاريخ .

173- الطرق الصوفية فى مصر نشأتها ونظمها ، للدكتور عـــامر النجـــار طبعة مكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة ، سنة 1987م .

174- طريق اللّه تعالى لعبد الكريم القشيرى ، تحقيق الدكتور إبراهيم بسيونى والدكتور محمد غانم ، القاهرة سنة 1985م .

175- طريق الهجرتين وباب السعادتين ، تأليف شمس الدين بن القيم الجوزية تحقيق محب الدين الخطيب ، طبعة المكتبة السلفية ، سنة 1407 هــ .

176- طريق الهجرتين وباب السعادتين ، تأليف شمس الدين بن القيم الجوزية تحقيق محب الدين الخطيب ، طبعة المكتبة السلفية ، سنة 1407 هــ .

177- الطواسين ، لأبى المغيث الحسين بن منصور الحلاج طبعة باريس سنة 1913م ونصوص أخرى عن أخبار الحلاج شاركه فى جمعها المستشرق بول كراوس وطبعت فى باريس سنة 1936م .

178- ظهر الإسلام لأحمد أمين ، دار النهضة العربية القاهرة 1961هـ .
179- العبادلة تأليف محى الدين بن عربى ، تحقيق عبد القادر أحمد عطا الطبعة الأولى نشر مكتبة القاهرة بالصنادقية الأزهر سنة 1969م .
180- عقلة المستوفز لابن عربى تصوير مكتبة المثنى ببغداد عن طبعة بريل سنة1336 هـ .
181- العقيدة والشريعة فى الإسلام تاريخ التطور العقدى والتشريعى فى الإسلام لجولد تسهير ترجمة الدكتور محمد يوسف موسى وآخرين طبعة دار الكتب العربى الطبعة الثانية سنة 1959م .
182- علم الدلالة ، للدكتور أحمد مختار عمر ، طبعة مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع ، الكويت سنة1982م .
183- علم اللغة وصناعة المعجم ، للدكتور على القاسمى ، مطبوعات جامعة الرياض بالمملكة العربية السعودية ، سنة1975م .
184- علوم الحديث لابن الصلاح ، طبعة دار الفكر دمشق سنة1986م .
185- عنقاء معرب لابن عربى طبعة البابى الحلبى ، القاهرة ، بدون تاريخ .
186- عوارف المعارف ، لشهاب الدين أبى حفص بن عمر السهروردى تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود والدكتور محمود بن الشريف ، طبعة مطبعة السعادة القاهرة سنة 1971 م .
187- العواصم من القواسم فى تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم ، تأليف القاضى أبى بكر بن العربى ، تحقيق محب الدين

الخطيب ، طبعة المكتبة السلفية ، الطبعة الخامسة القاهرة سنة 1399 هـ .

188- العواصم والقواصم فى الذب عن سنة أبى القاسم ، لابن الوزير، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، طبعة مؤسسة الرسالة ، بيروت لبنان ، بدون تاريخ .

189- عيوب النفس ، لأبى عبد الرحمن السلمى ، تحقيق مجدى فتحى السيد ، طبعة مكتبى الصحابة ، طنطا ، مصر ، سنة 1408 هـ ، 1987م .

190- فتاوى ابن الصلاح فى التفسير والحديث والأصول والفقه ، تحقيق الدكتور عبد المعطى أمين قلعجى ، الطبعة الأولى ، طبعة دار الوعى حلب سوريا سنة 1403 هـ ، 1983م .

191- فتح البارى شرح صحيح البخارى ، للإمام الحافظ أحمد بن على بن حجر العسقلانى ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ، طبعة دار الريان للتراث القاهرة سنة 1407 هـ ، 1986م .

192- الفتح الربانى والفيض الرحمانى لعبد القادر الجيلانى ، طبعة مصطفى البابى الحلبى القاهرة سنة 1979م .

193- فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير ، للإمام محمد بن على بن محمد الشوكانى طبعة مصطفى البابى الحلبى ، القاهرة سنة 1383 هـ .

194- فتوح الغيب للشيخ عبد القادر الجيلانى ، طبعة مكتبة الحلبى القاهرة سنة1973م .

195- الفتوحات المكية ، لأبى بكر محى الدين محمد بن على بن محمد الشهير بابن عربى ، تصوير دار صادر بيروت عن طبعة بولاق ، القاهرة ،سنة 1293 هـ ، وطبعة أخرى نشرة عثمان يحيى طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب .

196- الفتوى الحموية الكبرى ، تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية ، طبعة روضة الفسطاط القاهرة سنة 1398ه .

197- الفتوى الحموية الكبرى ، تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية ، طبعة روضة الفسطاط القاهرة سنة 1398 هـ .

198- الفرق بين الفرق ، تأليف عبد القادر بن طاهر بن محمد البغدادى طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان سنة 1405 هـ ، 1985م .

199- الفرق بين الفرق ، تأليف عبد القادر بن طاهر بن محمد البغدادى طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان سنة 1405 هـ ، 1985م .

200- الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، تأليف الإمام أبى محمد على بن أحمد بن حزم الظاهرى ، تحقيق الدكتور محمد إبراهيم نصر والدكتور عبد الرحمن عميرة ، طبعة دار الجبل بيروت لبنان سنة 1405 هـ ، 1985م .

201- الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، تأليف الإمام أبى محمد على بن أحمد بن حزم الظاهرى ، تحقيق الدكتور محمد إبراهيم نصر والدكتور عبد الرحمن عميرة ، طبعة دار الجبل بيروت لبنان سنة 1405 هـ ، 1985م .

202- فصوص الحكم لابن عربى نشر أبو العلا عفيفى ، طبعة دار الكتاب العربى بدون تاريخ ، وأخرى شرح عبد الرزاق الكاشانى ، طبعة مكتبة البابى الحلبى سنة1966م .
203- فصوص الحكم لابن عربى نشر أبو العلا عفيفى ، طبعة دار الكتاب العربى بدون تاريخ ، وأخرى شرح عبد الرزاق الكاشانى ، طبعة مكتبة البابى الحلبى سنة1966م .
204- فصول فى التصوف ، تأليف الدكتور حسن محمود عبد اللطيف الشافعى ، طبعة دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة سنة 1991 هـ .
205- فضائح الباطنية ، للإمام أبى حامد الغزالى ، تحقيق الدكتور عبد الرحمن بدوى طبعة القاهرة ، سنة 1964م .
206- فضائل الصحابة لأبى عبد الله أحمد بن حنبل الشيبانى ، مراجعة وصى الله محمد عباس طبعة مؤسسة الرسالة بيروت سنة1983م ، 1403 هـ .
207- الفكر الإسلامى والفلسفات المعارضة فى القديم والحديث ، للدكتور عبد القادر محمود ، الطبعة الثانية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1986م .
208- الفهرست ، تأليف أبى الفرج محمد بن اسحاق بن النديم ، طبعة المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، سنة 1348 هـ ، ونسخة أخرى طبعة دار المعرفة بيروت سنة 1978م ، 1398 هـ .
209- فوات الوفيات ، لابن شاكر الكتبى ، تحقيق محمد بن محى الدين عبد الحميد طبعة بولاق ، القاهرة ، سنة 1951م .

210- فى التصوف الإسلامى وتاريخه لرينولد نكلسون ، ترجمة الدكتور أبى العلا عفيفى طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر.

211- قاموس الرجال فى تحقيق رواة الشيعة ومحدثيهم ، تأليف محمد تقى بن حسن التسترى ، مركز نشر الكتاب طهران سنة 1382 هـ .

212- القاموس المحيط لمجد الدين الفيروز أبادى ، طبعة المطبعة المصرية الطبعة الثالثة ، القاهرة سنة 1353 هـ ، 1935م .

213- القصد والرجوع إلى الله ، لأبى عبد الله الحارث بن أسد المحاسبى تحقيق عبد القادر أحمد عطا ، طبعة دار التراث العربى ، القاهرة ، سنة 1400 هـ ، 1980م .

214- القضاء والقدر فى الإسلام ، تأليف الدكتور فارق أحمد الدسوقى طبعة دار الدعوة ، الإسكندرية ، سنة 1984 هـ .

215- قضية التصوف المنقذ من الضلال ، للدكتور عبد الحليم محمود ، طبعة دار المعارف ، الطبعة الثانية ، القاهرة سنة 1985 م .

216- قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث ، للقاسمى ، طبعة البابى الحلبى سنة1380 هـ .

217- قوت القلوب فى معاملة المحبوب ، للشيخ أبى طالب محمد بن أبى الحسن على بن عباس المكى ، طبعة مكتبة المتنبى القاهرة سنة 1310 هـ .

218- الكامل فى التاريخ ، لعلى بن محمد بن الأثير ، طبعة مصطفى البابى الحلبى القاهرة سنة 1303 هـ .

219- كتاب التوهم ، لأبى عبد الله الحارث بن أسد المحاسبى طبعة دار التراث العربى القاهرة سنة 1400 هـ ، 1980 م .

220- كتاب الصدق لأبى سعيد أحمد بن عيسى الخراز ، تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود طبعة دار الكتب الحديثة القاهرة سنة 1975 م .

221- كتاب الضعفاء ، لأبى نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهانى ، مراجعة فاروق حماده دار الثقافة ، الدار البيضاء سنة1984م ، 1405 هـ .

222- كتاب العلم لأبى خيثمة زهير بن حرب النسائى ، مراجعة محمد ناصر الدين الألبانى ، كتب الإسلامى بيروت سنة1403 هـ ، 1983م .

223- كتاب العين ، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي ، والدكتور إبراهيم السامرائي ، طبعة دار ومكتبة الهلال ، بدون تاريخ .

224- كتاب الفناء لأبى القاسم الجنيد بن محمد ، نشره الدكتور محمد كمال جعفر فى كتابه التصوف طريقا وتجربة ومذهبا .

225- كتاب المصاحف ، لعبد الله بن أبى داود ، المطبعة الرحمانية ، القاهرة سنة 1936م .

226- كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ، طبعة طهران سنة 1947 وأربعة أجزاء تصل إلى فصل الباء من باب الصاد ، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، تحقيق لطفى عبد البديع وعبد المنعم حسنين .

227- كشف الخفا ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس لإسماعيل بن محمد العجلونى ، طبعة دار إحياء التراث العربى ، بيروت لبنان سنة1351 هـ .

228- كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ، تأليف مصطفى بن عبد الله المشهور بحاجى خليفة ، نشرة المستشرق جوستاف فلويجل ، طبعة مكتبة المثنى ، بغداد ، بدون تاريخ .

229- كشف المحجوب ، لأبى الحسن على بن عثمان الهجويرى ، تحقيق الدكتور إبراهيم الدسوقى شتا ، دار التراث العربى القاهرة 1394 هـ .

230- الكمالات الإلهية فى الصفات المحمدية لعبد الكريم الجيلى تحقيق وتقديم سعيد عبد الفتاح ، نشر مكتبة عالم الفكر القاهرة سنة 1997م .

231- الكواكب الدرية فى تراجم السادة الصوفية ، تأليف عبد الرؤوف المناوى ، نشر منه جزء واحد ، القاهرة ، سنة 1357 هـ .

232- اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ، وضعه محمد فؤاد عبد الباقى ، طبعة دار الحديث ، القاهرة سنة 1993 م .

233- اللباب فى تهذيب الأنساب ، لعلى بن محمد بن الأثير طبعة مكتبة القدسى ، القاهرة سنة 1375 هـ .

234- لسان العرب ، لمحمد بن المكرم بن منظور الإفريقى طبعة دار المعارف القاهرة سنة 1307 هـ ، وطبعة أخرى لدار بيروت سنة 1374 هـ .

235- لسان الميزان لأبى الفضل أحمد بن على بن حجر العسقلانى مراجعة دائرة المعارف النظامية الهند بيروت سنة 1986م 1406 هـ .

236- لطائف الإشارات ، للإمام أبى القاسم عبد الكريم القشيرى ، طبعة دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، بدون تاريخ .

237- لطائف الإعلام فى إشارات أهل الإلهام لعبد الرزاق الكاشانى ، تحقيق سعيد عبد الفتاح مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة 1996 هـ .

238- اللمع فى التصوف ، لأبى نصر السراج الطوسى ، تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود ، وطه عبد الباقى سرور ، طبعة دار الكتب الحديثة القاهرة سنة 1960 م .

239- اللمع فى الرد على أهل الزيغ والبدع ، لأبى الحسن على بن اسماعيل الأشعرى تقديم الدكتور محمود غرابة ، طبعة مطبعة مصر ، القاهرة سنة 1955 م .

240- ماهية العقل ، للحارث بن أسد المحاسبى ، تحقيق الدكتور حسين القوتلى ، طبعة بيروت ، لبنان ، سنة 1972 هـ .

241- مباحث فى علوم القرآن ، لصبحى صالح ، طبعة دار العلم ، القاهرة بدون تاريخ .

242- المبين فى شرح معانى ألفاظ الحكماء والمتكلمين لسيف الدين الآمدى تحقيق الدكتور حسن محمود الشافعى ، طبعة مكتبة وهبة ، الطبعة الثانية سنة 1413 هـ ، 1993م .

243- المجتبى من السنن لأبى عبد الرحمن أحمد بن شعيب ، مراجعة عبد الفتاح أبو غدة مكتبة المطبوعات الإسلامية حلب 1986م ، 1406 هـ .

244- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، لعلى بن أبى بكر الهيثمى طبعة مطبعة القدسى القاهرة ، بدون تاريخ .

245- محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار فى الأدبيات والنوادر والأخبار لابن عربى دار اليقظة العربية بيروت 1968م .

246- المحيط بالتكاليف ، لقاضى القضاه أبى الحسن عبد الجبار الأسد ابادى تحقيق عمر عزمى ، طبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة سنة 1965م .

247- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة تأليف شمس الدين بن القيم الجوزية ، طبعة مكتبة المتنبى القاهرة سنة 1981 م .

248- مختصر العلو للعلى الغفار ، تأليف الحافظ شمس الدين الذهبى ، تحقيق محمد ناصر الألبانى ، طبعة المكتب الإسلامى دمشق سوريا سنة 1401 هـ 1981م .

249- مختصر منهاج القاصدين ، تأليف أحمد بن عبد الرحمن بن قدامى المقدسى طبعة مكتبة الإيمان ، المنصورة ، مصر ، سنة 1994 م .

250- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، تأليف شمس الدين بن القيم الجوزى ، طبعة دار الفكر العربى القاهرة سنة 1375 هـ .

251- مدخل إلى التصوف الإسلامى ، تأليف الدكتور أبو الوفا التفتازانى طبعة دار الثقافة ، القاهرة سنة 1983م .

252- مذاهب التفسير الإسلامى للمستشرق إجناز جولد تسهير ، ترجمة محمد يوسف موسى وآخرين ، طبعة دار الكتاب العربى سنة 1959م .

253- مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، للإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أسعد اليافعي ، طبعة حيدآباد ، الهند سنة 1338 هـ .

254- المستدرك على الصحيحين ، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري ، طبعة حيدر آباد ، الهند سنة 1342 هـ ، وطبعة أخرى مراجعة مصطفى عبد القادر عطا ، طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت سنة 1990م ،1411 هـ .

255- المستشرقون الناطقون بالإنجليزية لعبد اللطيف الطيباوي ، ترجمة الدكتور قاسم السمرائي ، مطبعة جامعة الإمام محمد ابن مسعود الإسلامية سنة 1991م .

256- المستشرقون والسيرة للدكتور عماد الدين خليل ، طبعة دار الثقافة الدوحة ، قطر سنة 1989م .

257- المسند ، للإمام أبي يعلى الموصلي ، تحقيق حسين سليم أحمد ، طبعة المكتب الإسلامي ، القاهرة سنة 1410 هـ ، 1989 م .

258- المسند ، للإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق الشيخ أحمد شاكر ، طبعة دار المعارف ، القاهرة ، سنة 1374 هـ 1955م .

259- مسند ابن الجعد ، لأبي الحسن علي بن الجعد بن عبيد البغدادي مراجعة عامر أحمد حيدر ، مؤسسة نادر بيروت 1990م ، 1410 هـ .

260- مسند الحميدى ، لأبى بكر عبد الله بن الزبير الحميـــدى ، مراجعـــة حبيب الرحمن الأعظمى ، طبعة دار الكتب العلمية بيروت سنة1381 هـــ .

261- مسند الشافعى ، لأبى عبد الله محمد بن إدريس الشافعى ، طبعة دار الكتب العلمية بيروت ، بدون تاريخ .

262- مسند الشاميين ، لأبى القاسم سليمان بن أحمد الطبرانى ، مراجعـــة حمدى بن عبد المجيد السلفى ، طبعة مؤسسة الرسالة ، بيروت لبنان ســـنة 1984م ، 1405 هـــ .

263- مسند الشهاب ، لأبى عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر القضـــاعى مراجعة حمدى بن عبد المجيد السلفى ، طبعة مؤسسة الرســـالة ، بـــيروت لبنان سنة1986م ، 1407 هـــ .

264- مسند الطيالسى : لأبى داود سليمان بن داود الطيالسى ، دار المعرفة بيروت .

265- مصرع التصوف ، للعلامة برهان الدين البقاعى ، تحقيق عبد الرحمن الوكيل مطبعة السنة المحمدية القاهرة سنة 1373 هـــ ، 1953م .

266- المصطلح الفلسفى عند العرب للدكتور عبد الأمير الأعسم طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة سنة1989م .

267- المصنف لعبد الرزاق بن همام الصنعانى ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمى الطبعة الأولى ، القاهرة سنة 1392 هـ .

268- المعاجم العربية دراسة تحليلية ، للدكتور عبد السميع محمد أحمد دار الفكر العربى ، الطبعة الرابعة القاهرة سنة 1984م .

269- المعارضة والرد على أهل الفرق وأهل الدعاوى فى الأحوال ، تأليف سهل بن عبد الله التسترى ، تحقيق الدكتور محمد كمال جعفر ، طبعة دار الإنسان ، سنة 1980م .

270- معجم ألفاظ الصوفية للدكتور حسن الشرقاوى ، طبعة مؤسسة المختار ، الطبعة الأولى سنة 1987م .

271- معجم اصطلاحات الصوفية ، لعبد الرزاق الكاشانى تحقيق الدكتور عبد العال شاهين طبعة دار المنار القاهرة سنة 1992م

272- معجم البلدان فى معرفة المدن والقرى والعمار والسهل والوعر من كل مكان لياقوت بن عبد الله الرومى الحموى ، طبعة مطبعة السعادة القاهرة سنة 1323 هـ .

273- المعجم الصوفى ، الحكمة فى حدود الكلمة ، للدكتورة سعاد حكيم طبعة دندرة ، بيروت سنة 1401 هـ ، 1981م .

274- المعجم العربى نشأته وتطوره ، للدكتور حسين نصار ، طبعة دار نهضة مصر القاهرة سنة 1956م .

275- معجم مصطلحات الصوفية للدكتور عبد المنعم حفنى ، طبعة دار المسيرة بيروت سنة 1400هـ ، 1980م .

276- معجم مقاييس اللغة ، لأحمد بن فارس ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، طبعة مطبعة مصطفى البابى الحلبى ، القاهرة سنة 1970م .

277- معرفة الثقات ، لأبى الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح الكوفى مراجعة عبد العليم عبد العظيم البستوى ، مكتبة الدار ، المدينة المنورة ، سنة 1985م 1405 هـ .

278- معرفة السنن والآثار عن الإمام الشافعى ، تصنيف أحمد بن الحسين البيهقى طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، بدون تاريخ .

279- معرفة علوم الحديث للحاكم محمد بن عبد الله النيسابورى ، المكتبة العلمية المدينة المنورة سنة1403 هـ .

280- المغرب في ترتيب المعرب لأبي الفتح ناصر الدين بن عبد السيدبن علي بن المطرز ، تحقيق محمود فاخوري و عبد الحميد مختار ، طبعة مكتبة أسامة بن زيد ، حلب ، سنة 1979 م .

281- المغنى للإمام موفق الدين بن قدامة ، ومعه الشرح الكبير ، طبعة دار الكتاب العربى ، بيروت ، لبنان ، سنة 1393 هـ ، 1973 م .

282- مفتاح الجنة فى الاحتجاج بالسنة ، تأليف جلال الدين السيوطى طبعة البابى الحلبى ، مصر ، بدون تاريخ .

283- مفتاح السعادة ومصباح السيادة ، لأحمد بن مصطفى طاش كـبرى زاده ، طبعة دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، بدون تاريخ .

284- مفتاح دار السعادة ، للإمام شمس الدين بن القيم الجوزيه ، طبعة دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، بدون تاريخ .

285- المفردات فى غريب القرآن لأبى القاسم الحسين بن محمـد الراغـب الأصفهانى تحقيق محمد سيد كيلانى ، طبعة مصطفى البابى الحلبى ، القاهرة سنة 1324 هـ .

286- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، لأبى الحسن الأشعرى تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، طبعة مكتبة النهضة المصـرية ، القـاهرة سنة1389 هـ ، 1969 م .

287- المقدمة ، لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، تحقيق الدكتور على عبد الواحد وافى ، طبعة لجنة البيان العربى سنة 1960م .

288- مكارم الأخلاق ، لأبى بكر عبد الله بن محمد ابن أبى الدنيا القرشـى مراجعة مجدى السيد إبراهيم ، مكتبة القرآن ، القاهرة 1990م .

289- الملل والنحل ، على هامش الفصل لابن حزم ، لأبى الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستانى ، تحقيق محمد السيد الكيلانى ، القاهرة 1961م .

290- من التراث الصوفى ، لسهل بن عبد الله التسترى ، للدكتور محمـد كمال إبراهيم جعفر ، طبعة دار المعارف القاهرة سنة 1974م .

291- من قضايا التصوف فى ضوء الكتاب ، للدكتور محمد السيد الجليند طبعة مطبعة التقدم ، القاهرة سنة 1406 هـ ، 1985م .

292- منازل السائرين ، لأبى يحى زكريا بن محمد الأنصارى الهروى طبعة مطبعة الحلبى ، القاهرة سنة 1228 هـ .

293- المناظر الإلهية لعبد الكريم الجيلى ، تحقيق الدكتور نجاح محمود الغنيمى طبعة دار المنار القاهرة ، سنة 1407 هـ ، 1987م .

294- مناهل العرفان فى علوم القرآن ، محمد الزرقانى ، طبعة عيسى البابى مصر سنة 1953م .

295- المنتظم فى تاريخ الأمم والملوك لابن الجوزى ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا ، طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان سنة 1412 هـ ، 1992م .

296- المنتقى من السنن المسندة ، لأبى محمد عبد الله بن على بن الجارود النيسابورى ، مراجعة عبد الله عمر البارودى ، بيروت ، 1408 هـ .

297- المنحنى الشخصى لحياة الحلاج ، ترجمة عبد الرحمن بدوى دار النهضة المصرية لسنة 1964م .

298- المنطق ومناهج البحث ، مدخل نقدى لأستاذنا الدكتور محمد عبد الله الشرقاوى دار النصرسنة 1998م .

299- منع جواز المجاز فى المترل للتعبد والإعجاز ، إعداد محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطى ، تحقيق أبى حفص سامى بن العربى طبعة مكتبة السنة ، القاهرة سنة 1414 هـ ، 1993م .

300- المنقذ من الضلال ، للإمام أبى حامد الغزالى ، تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود طبعة دار الكتب الحديثة الطبعة الخامسة القاهرة 1385 هـ .

301- المنية والأمل فى شرح كتاب الملل والنحل ، لأحمد بن يحى بن المرتضى ، تحقيق توماسى آرتولد ، طبعة حيدر آباد الهند سنة 1316 هـ .

302- الموافقات فى أصول الشريعة للإمام الشاطبى ، طبعة المطبعة التجارية مصر ، بدون تاريخ .

303- مواقع النجوم ، لمحى الدين بن عربى ، طبعة مطبعة السعادة ، مصر سنة1325 هـ .

304- الموالد ، دراسة للعادات والتقاليد الشعبية فى مصر ، للدكتور فاروق أحمد مصطفى ، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة1980م .

305- موطأ الإمام مالك ، لأبى عبد الله مالك بن أنس الأصبحى ، مراجعة محمد فؤاد عبد الباقى ، دار إحياء التراث العربى ، مصر .

306- ميزان الاعتدال ، لأبى عبد الله محمد بن أحمد الذهبى ، تحقيق على محمد البجاوى ، طبعة دار إحياء الكتب العربية ، بيروت سنة 1282 هـ 1963م .

307- نزهة النظر لابن حجر العسقلانى ، طبعة مكتبة التوعية الإسلامية القاهرة سنة1989م .

308- نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام ، للدكتور على سامى النشار طبعة دار المعارف ، القاهرة سنة 1969 هـ .
309- نفحات الأنس من حضرات القدس لأبى البركات عبد الرحمن الجامى طبعة الأزهر الشريف ، دار التراث العربى سنة 1409 هـ ، 1989م .
310- نهاية الإقدام فى علم الكلام ، لأبى الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستانى ، تحقيق ألفردجيوم ، طبعة اكسفورد سنة 1934م .
311- النهاية في غريب الحديث والأثر ، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ، تحقيق طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطناحي طبعة المكتبة العلمية بيروت ، سنة 1399هـ ، 1979م
312- نوادر الأصول فى معرفة أخبار الرسول ، لأبى عبد الله محمد بن الحسن الحكيم الترمذى ، طبعة استانبول تركيا سنة 1293 هـ .
313- الهدى والبيان فى أسماء القرآن ، صالح إبراهيم البليهى ، طبعة جامعة الإمام سنة 1397هـ .
314- هياكل النور للسهروردى المقتول تحقيق الدكتور محمد على أبو ريان القاهرة سنة 1957م .
315- الوحى فى المنظور الاستشراقى ونقده للدكتور محمود ماضى ، طبعة دار الدعوة الإسكندرية ، بدون تاريخ .
316- الورع لأبى بكر عبد الله بن محمد بن أبى الدنيا البغدادى ، مراجعة أبى عبد الله محمد بن حمد الحمود ، الدار السلفية ، الكويت سنة 1988م .

317- وسائل السائل لمحى الدين بن عربى نشر Man Fred Profitlich ، ألمانيا سنة 1973م .

318- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لابن خلكان تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، طبعة مكتبة النهضة المصرية القاهرة سنة 1367 هـ .

319- اليواقيت والجواهر فى بيان عقائد الأكابر ، لعبد الوهاب الشعرانى طبعة دار المعرفة بيروت ، بدون تاريخ .

ثانيا : الرسائل العلمية والمخطوطات

أ- رسائل الدكتوراه :

1- ابن جرير الطبرى ومنهجه فى التفسير ، لمحمود محمد السيد شبيكة مخطوط بمكتبة كلية أصول الدين ، جامعة الأزهر الشريف بالقاهرة سنة 1976م .

2- ابن سبعين ومنهجه فى التصوف مخطوط بمكتبة كلية أصول الدين جامعة الأزهر الشريف بالقاهرة إعداد أحمد محمد محمود سليمان سنة1977م .

3- أثر التصوف الإسلامى فى الآداب والأخلاق إعداد محمد زكى عبد السلام مبارك كلية الآداب جامعة القاهرة سنة 1937م .

4- أثر القرآن على منهج التفكير الفلسفى ، إعداد محمود السعيد طه الكردى ، كلية الآداب جامعة القاهرة سنة 1979م .

5- أسس الاتفاق بين السلفية ومشايخ الصوفية فى تراث ابن تيمية ، إعداد الطبلاوى محمود حسين سعد ، مكتبة كلية دار العلوم سنة1982م .

6- الإمام القشيرى سيرته وآثاره ومذهبه فى التصوف ، إعداد إبراهيم بسيونى ، مكتبة كلية أصول الدين جامعة الأزهر الشريف القاهرة ، سنة1971م .

7- توثيق السنة فى القرن الثانى الهجرى أسسه واتجاهاته ، إعداد رفعت فوزى عبد المطلب مكتبة كلية دار العلوم رقم سنة 1976م .

8- الحب الإلهى فى التصوف بين الإسلام والنصرانية ، إعداد دين محمد ميرا صاحب ، مكتبة كلية أصول الدين بجامعة الأزهر القاهرة ، سنة1991م .

9- السلوك عند الحكيم الترمذى ومصادره من السنة ، إعداد أحمد عبد الرحيم السايح ، مكتبة كلية أصول الدين جامعة الأزهر الشريف القاهرة سنة 1986م .

10- السنة فى القرن الثانى الهجرى أسسه واتجاهاته ، إعداد رفعت فوزى عبد المطلب ، كلية دار العلوم سنة1976م .

11- الصفات الإلهية فى الكتاب والسنة فى ضوء الإثبات والتتريه ، إعداد محمد آمان بن على الجامى ، مكتبة كلية دار العلوم سنة 1975م .

12- العبادة فى الإسلام وصلتها بالفرد والجماعة ، إعداد على عبد اللطيف منصور ، مكتبة كلية أصول الدين جامعة الأزهر الشريف بالقاهرة سنة 1975م .

13- الغموض فى الدلالة أنماطه وعوامله ووسائل التخلص منه ، إعداد محمد أحمد محمود حماد كلية دار العلوم جامعة القاهرة 1986م .

14- الفضائل الخلقية فى الإسلام ، إعداد أحمد عبد الرحمن إبراهيم ، مكتبة كلية دار العلوم سنة1977م .

15- المجاز فى القرآن بين مثبتيه ونافيه ، إعداد عبد السلام محمد وفا مكتبة كلية أصول الدين جامعة الأزهر الشريف بالقاهرة سنة 1986م .

16- المحكم والمتشابه فى القرآن الكريم ، إعداد إبراهيم عبد الرحمن خليفة مكتبة كلية أصول الدين جامعة الأزهر بالقاهرة سنة 1973م .

17- محى الدين ابن عربى مفسرا ، إعداد حامد محمود الزفرى ، كلية أصول الدين جامعة الأزهر الشريف بالقاهرة ، سنة 1972م .

18- مدارك السالكين عند الصوفية وأثرها فى السلوك إعداد محمد هاشم شكرى ، مكتبة كلية أصول الدين جامعة الأزهر الشريف بالقاهرة سنة 1977م .

19- مدى انطباق أفكار الصوفية على الكتاب والسنة ، إعداد عبد الله يوسف الشاذلى مكتبة كلية أصول الدين جامعة الأزهر الشريف بالقاهرة سنة 1978م .

20- مذهب التأويل عند الشيعة الباطنية دراسة تحليلية نقدية ، إعداد محمد محمود عبد الحميد ، كلية دار العلوم سنة 1983م .

21- مشكلة الحرية عند الفلاسفة والصوفية فى الإسلام ، إعداد فاروق أحمد حسن دسوقى مكتبة دارالعلوم سنة 1978م .

22- مشكلة الخير والشر بين المعتزلة والأشاعرة ، إعداد الدكتور محمد السيد مرسى الجلیند كلية دار العلوم سنة 1975م .

23- مشكلة الذات والصفات عند محى الدين ابن عربى ، إعداد إسماعيل منصور جودة كلية الآداب جامعة القاهرة سنة1990م .

24- المصطلحات النقدية فى التراث العربى حتى القرن السابع الهجرى لعبد المطلب عبد المطلب زيد بمكتبة كلية دار العلوم سنة 1989م .

25- مقاييس نقد متون السنة ، إعداد مسفر عزم الله أحمد الدمينى مكتبة جامعة القاهرة سنة 1982م .

26- مناهج الاستدلال وصوره لدى المتكلمين والفلاسفة المسلمين ، مختار محمود أحمد عطا الله كلية دار العلوم سنة 1995م .

27- المنهج الصوفى فى الأخلاق إعداد محمد يوسف بن الحاج محمد نور مكتبة كلية دار العلوم ، سنة 1974م .

28- النص القرآنى بين التفسير والتأويل ، لأستاذنا الدكتور عبد الفتاح سلامة ، مكتبة كلية أصول الدين جامعة الأزهر الشريف بالقاهرة سنة 1979م .

29- نظرية المعرفة بين الكندى وذى النون المصرى دراسة مقارنة بين الفلسفة والتصوف إعداد السيد رزق الحجر ، مخطوط كلية دار العلوم جامعة القاهرة سنة 1981م .

30- الوفاء بالعهد فى القرآن الكريم ، إعداد حسنى أمين مصرى ، مخطوط بمكتبة كلية أصول الدين جامعة الأزهر الشريف سنة 1981م .

31- الولاية عند محى الدين ابن عربى ، إعداد أستاذنا الدكتور عبد المنعم عبد الحميد مدكور ، بكلية دار العلوم جامعة القاهرة سنة1980م .

ب – رسائل الماجستير :

1- الأبعاد الدلالية للتركيب فى تراث ابن تيمية إعداد أحمد طاهر عبد الرحمن مخطوط بمكتبة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، سنة1994م .

2- ابن العربى ومنهجه فى التفسير ، لمحمد عبد السلام زغوان ، مكتبة جامعة القاهرة لسنة 1978م .

3- أبو طالب المكى ومنهجه الصوفى لأستاذنا الدكتور عبد الحميد مدكور ، مخطوط بمكتبة كلية دار العلوم جامعة القاهرة 1972م .

4- الإنسان الكامل عند محى الدين بن عربى ، إعداد هالة أحمد فؤاد مصطفى ، مخطوط بمكتبة كلية الآداب ، جامعة القاهرة 1990م .

5- البرهان فى متشابه القرآن للكرمانى تحقيق ودراسة ، إعداد منصور محمد منصور الحفناوى مجلدان بمكتبة كلية دار العلوم جامعة القاهرة لسنة 1975م .

6- البيهقى ومشكلة الصفات الإلهية لأستاذنا الدكتور عبد الفتاح أحمد الفاوى محمود كلية دار العلوم ، سنة 1975م .

7- تفسير القرآن الكريم على الطريقة الصوفية ، دراسة وتحقيق حقائق التفسير لأبى عبد الرحمن محمد بن الحسين الأزدى السلمى ، إعداد سلمان نصيف جاسم التكريتى ، مكتبة كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة سنة 1975م .

8- التفسير بين الرأى والأثر إعداد محمد حلمى محمود أبو غزالة مخطوط بمكتبة جامعة أم القرى بمكة المكرمة سنة1397 هـــ .

9- الحافظ ابن كثير ومنهجه فى التفسير إسماعيل سالم عبد العال ، بمكتبة كلية دار العلوم جامعة القاهرة ، سنة 1977م .

10- حال الفناء فى التصوف الإسلامى إعداد إبراهيم إبراهيم محمد ياسين مكتبة كلية الآداب جامعة القاهرة سنة 1980م .

11- الحب الإلهى عند صوفية القرنين الثالث والرابع الهجريين ، إعداد صبرى متولى منصور الشرقاوى ، مكتبة كلية الآداب ، جامعة القاهرة سنة 1986م .

12- الحب الإلهى عند محى الدين بن عربى ، إعداد منشاوى عبد الرحمن إسماعيل مكتبة كلية دار العلوم سنة 1983م .

13- الحب الصوفى عند الإمام البرعى إعداد سبع متولى أيوب ، كلية أصول الدين جامعة الأزهر القاهرة سنة1984م .

14- الحب فى القرآن دراسة موضوعية إعداد سالم عبد الخالق عبد الحميد ، مخطوط بكلية أصول الدين جامعة الأزهر الشريف 1992م .

15- الخوف والخشية والوجل فى القرآن الكريم إعداد حسن عبد اللطيف مصطفى ، كلية أصول الدين جامعة الأزهر الشريف سنة 1989م .

16- دراسة فى توليد الألفاظ للدلالة على المعانى ، إعداد محمد إبراهيم حسن العفيفى مكتبة كلية اللغة العربية ، جامعة الأزهر القاهرة سنة1979م .

17- دراسة دلالية للمصطلحات الإسلامية فى القرآن الكريم إعداد عودة خليل أبو عودة كلية دار العلوم ، سنة 1981م .

18- الصلة بين الفلسفة والتصوف عند محى الدين ابن عربى ، إعداد محمد عبد التواب السيد يوسف ، مكتبة كلية أصول الدين جامعة الأزهر الشريف بالقاهرة 1983م .

19- الطعام والعادات الغذائية عند متصوفة الإسلام ، إعداد محمد عبد المنعم صالح ، كلية الآداب جامعة القاهرة سنة 1967م .

20- العقل ومكانته فى القرآن الكريم إعداد سيد محمد يوسف منصور اللبان ، مخطوط كلية أصول الدين جامعة الأزهر القاهرة سنة 1985م .

21- فلسفة ابن سبعين ، إعداد محمد ياسر شرف ، مكتبة جامعة دمشق سوريا سنة 1977م .

22- قضية التأويل عند الإمام ابن تيمية ، لأستاذنا الدكتور محمد السيد الجليند مكتبة كلية دار العلوم جامعة القاهرة سنة 1970م .

23- كتاب شرح أسماء الله الحسنى لأبى الحكم بن برجان ، إعداد شوقى على عمر ، كلية دار العلوم سنة1986م .

24- مشكلة الذات الإلهية والصفات عند القاضى عبد الجبار المعتزلى رابحة نعمان توفيق عبد اللطيف ، مكتبة كلية الآداب جامعة القاهرة سنة 1988م .

25- المصطلحات عند الفرابى دراسة لغوية ، إعداد خالد بوشطارة مكتبة كلية الآداب جامعة القاهرة سنة1992م .

26- المصطلحات النحوية نشأتها وتطورها إعداد سعيد أبو العزم إبراهيم رسالة ماجستير بمكتبة كلية دار العلوم سنة 1977م .

27- المصطلح العلمى وأساليب صوغه فى مصر فى العصر الحديث إعداد إبراهيم عبد المجيد عبد العزيز ضوه ، رسالة ماجستير بكلية دار العلوم جامعة القاهرة سنة 1985م .

28- مفهوم الحرية عند الصوفية فى القرنين الهجريين الثالث والرابع ، إعداد محمود عبده عبد الرازق ، مكتبة كلية دار العلوم جامعة القاهرة ، سنة 1995م .

29- مقام التوكل عند صوفية القرنين الثالث والرابع الهجريين ، إعداد طباح مندى السيد مكتبة كلية الآداب جامعة القاهرة سنة 1988 .

30- مقام الرضا عند صوفية القرنين الثالث والرابع الهجريين ، إعداد محمد مختار محمد مصلح ، مخطوط كلية الآداب جامعة القاهرة 1988م .

31- المنهج الصوفى عند عبد الرزاق الكاشانى ، إعداد عصام على معوض مخطوط بكتبة كلية دار العلوم جامعة القاهرة سنة 1997م .

32- موقف الصوفية من التكاليف الشرعية ، إعداد أحمد على عجيبة رسالة ماجستير بمكتبة كلية أصول الدين جامعة الأزهر الشريف بالقاهرة سنة 1987م .

33- موقف الصوفية من العقل حتى نهاية القرن الرابع الهجرى رسالة ماجستير ، الدكتور محمد عبد الله الشرقاوى كلية دار العلوم جامعة القاهرة برقم 268 ، سنة 1978م .

34- الموقف النقدى من التصوف لدى الصوفية ، إعداد عدل أمين حافظ مكتبة كلية دار العلوم جامعة القاهرة برقم 615 سنة1995م .

35- نظرية المعرفة بين ابن رشد وابن عربى إعداد أحمد عبد المهيمن عبد الله ، مخطوط كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة سنة 1994م .

36- الوجود والعدم فى فلسفة ابن عربى الصوفية ، إعداد جمال أحمد سعيد المرزوقى ، ماجستير بمكتبة كلية الآداب جامعة القاهرة 1979م .

37- وحدة الوجود بين الصوفية والفلاسفة وعلاقتها بصفة الوحدانية إعداد ديدار سيدى محمد مختار رسالة ماجستير بالمكان السابق 1983م .

ج ـ المخطوطات الأخرى :

1- الأكياس والمغترون للحكيم الترمذى مخطوط ضمن المخطوطة رقم 104 ، مودعة بدار الكتب الوطنية الظاهرية ، نسخة مصورة من معهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية .

2- أنواع العلوم ، للحكيم محمد بن على الترمذى ، مخطوط مكتبة ولى الدين رقم 770 نسخة مصورة على الميكرو فيلم .

3- باب فى بيان الشكر والحمد ، للحكيم الترمذى مخطوط مجاميع رقم 694 تصوف دار الكتب الوطنية الظاهرية ، نسخة مصورة من معهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية .

4- رسالة القواعد الكلية فى معرفة تجلى الأسماء الإلهية ، لمحى الدين ابن عربى مخطوط الظاهرية ، دمشق ، رقم5963 .

5- كتاب الإرشاد ، لمحى الدين ابن عربى مخطوط الظاهرية مخطوط الأحمدية حلب سوريا رقم 797 .

6- مرآة العارفين لمحى الدين ابن عربى مخطوط الظاهرية مخطوط مكتبة رفيق حمدان الخاصة دمشق .

7- مرآة المعانى فى إدراك العلم الإنسانى ، لابن عربى مخطوط الظاهرية دمشق ، رقم 19 .

8- مشاهد الأسرار القدسية مخطوط مكتبة رياض المالح الخاصة ، دمشق .

ثالثا : المراجع الأجنبية :

1- Affifi (Dr . A .) : The Mystical Philosophy of Muhyid Din Ibn Arabi , cambridge 1939 .

2- An Account of the Rise and Progress of mahometa nism By dr . Henry Stubble , Lahor , 1975.

3- Annemarie Schimmel, Mystical Dimension of Islam, North Carolina , USA . 1975 .

4- Arbrry , An Introdution to the Histrory of Sufism Oxford , 1942 .

5- A . Schimmel : Mystical Dimensions of Islam , The University of N .Caroline press .1975 .

6- Bannerth .e : das : Buch der Vierzig Stufen .

7- Corbin , Henri : Ruzbehan Baqle shirazi , Histoire de la philosophie Encyclopedie de la pleiade. ed. Gallimard . France 1973

8- Corbin en Islam Iranien Pibliotheque des idees Gallimard . France 1971 La source preeternelle de l’amour

9- Chevalier , Jean : Le soufisme Oul’Ivresse de Dieu Dan La tradition Islamique , Pibliotheque de L’Irratinnel coll Dirigee par Lous Pauwels ed Retz . paris 1974

10- Dozy : Essai sur L’ histoire de L’ Islamisme .

11- Evelyn Underhill Mysticism astudy in the nature and development of man’s spiritual consciousness 1940 .

12- Goldziher : Encycl . of Islam . art , Abdo Karim1913.

13- Hayek , Michel : Le Christ de L’Islam . ed . Seuil Paris 1975 .

14- J.Spencer Trimingham , The Sufi Orders in Islam , Oxford , 1971.

15- James , H, Leuba : Psychologie du mysticisme religieux traduction francaise Par , Lucien Herr , 1295 .

16- La passion , d' Al - Halladaj Martyr Mystique de L' Islam Paris . 1922

17- Margoliouth : Development of Mohammedanism .

18- Massignon , Louis : La passion de Hallaj , Nouvelle Edition , Gallimard paris 1975 .

19- Massignon , Louis : Recueil De Textes Inedits , Concernant L'histoire de la Mystique en Pays de L'Islam , Paris 1929 .

20- Massignon , Louis : Essai sur les Originesde Lexique Technique de la Mystique Musulmane , Paris . 1922 .

21- Massignon : Encyclopedia .of Islam . Art , Al - Halladaj .

22- Norman Daniel , Islam and the west , London , 1963 london , 1975 .

23- Palacias.Asin : Ibn Masarra y su Escuela Obras Escgidas , Madrid 1946 .

24- Robere Thouless An Introduction to the Psychology of Religion Cambridge , 1928

25- Russell : Mysticism and Logic ,Selected Papers The Modern Library , New York ,1957 .

26- Southern , Western Views of Islam in the Middle Ages , Harvard Cambridge , 1962 .

27- Stace : Mysticism and philosophy ,Mac Millan , Lonodon ,1961 .

28- Urdang , Laurence : Review of problems in Lexicography . Languag- e 30 -1963

29- Watt .M. Muhammead-Propht and States Man NewYork 1978 .

30- Watt .M. The Islamic Revoltion in The Modern Warld 1969 .

Report about The thesis

In the name of Allah,

Most Gracious, Most Merciful.

****

This dissertation is about the relationship between Mysticism and The Noble qur'an , or scrutiny in the roots of Mysticism which are taken from The Noble qur'an and Sunna . And for which extent they are close to qur'an .

Also , their positive or negative role to keep the Islamic religion intact .

The researcher tries to present perfect Islamic point of view for the spiritual life in Islamic through showing the mystics terminology based on the qur'an and prophetic origins by using a theoretical search and lexical application.

Regarding to the ceality of this topic and its influence in Correcting the contemporary mystic life , the researcher tries to suggest suntan upright scientific study for the patrons and opponents of the mysticism for making troth realizable .

The researcher also tries to emphasis the Bases of

dependance of qur'anic and prophetic origins in the lexical work.

Schema comprises an introduction, two parts and a conclusion

The introduction implies the incentive to choose this theme ' the previous ' study the research metrology and the research steering plan .

The first Part comprises the qur'an word stem of the mystical terminology in its original theoretical as pectin six chapters the first chapter comprises the fundamental qur'an induction constrains . The second deals with the holy qur'an as expounded by the interstation and mystic illucidations .

The third chapter explain the mystical terminological developments and lexical study of mysticism . the fourth chapter speaks of the mysticism developmental stages that play anactiue role in allocating the mysticism alluding terminology in respect of its relevants qur'ans wordstems .

In the fifth chapter the research comprises a methodological and cognitive study in the mysticism qur'ans development of mystical terminologies and idioms , the sixth chapter deals with the recent research

about the qur'ans wordstem of mystical terminology ' has mysticism a wordstem developmental references to The Noble qur'an .

The second part indicates to a lexical use study of The qur'an steamed mysticism terminologies in the six chapters the research from the first chapter to the fourth deals with qur'anic and prophet traditional admission of mystical terminologies consisting of qur'anic or prophetic expressions as its being in correspondence with their meanings and with them .

This paper in the both five and six chapters of the second part explains the pxclusively qur'anic or prophetic expressions of mystical terminology with indication to their stated meaning with the holy scripture qur'an and Sunna in so much as it must correspond to external mysticism innovatory meanings with their circulating expressions .

The number of qur'an and prophet steamed mysticism terminologies with this dissertation make up one hundred twenty four idioms ranging from the eternity to conviction of mysticism meanings confirmation with the qur'anic and prophetic fundamentals .

The terminology number with partial and general

introduction make about three hundred thirty nine idioms.

The number ranging form pilgrimage ceremony to Friday make up ninety nine idioms of non meaning expressed terminologies of qur'anic and prophetic wordstems .

Thus ' the totally adduced mystical terminologies as enumerated with lexical appreciation make five hundred as well as idion tetradic mysticism terminology in itself .

The qur'anic reference number with the lexical aspect make about three thousand and the prophetic thousand traditions to the anciently and recently published mysticism dictionaries .

The conclusion comprises a summary , suggested results of the research proposal and recommendations .